حميد حلمي زادة

زمن الحسين عليه السلام

حوارات و مقاربات تحليلية لتجليات عاشورائية معاصرة

القائد الإسلامي السيد حسن نصر الله : نموذجاً

مؤسسة البلاغ
بيروت - لبنان

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

زمن الحسين عليه السلام

اسم الكتاب ..... زمن الحسين عليه السلام حوارات ومقاربات تحليلية لتجليات عاشورائية معاصرة

المؤلف ..... حميد حلمي زادة

تصميم الغلاف ..... د. سرور علواني

المعالجة الكمبيوترية ..... تمام عمراني

التصحيح الطباعي ..... سنديا عثمان - دمشق - سورية

التنضيد والإخراج ..... سعاد الشيخة - دمشق - سورية

المتابعة الفنية ..... ناهد التيناوي

التاريخ ..... ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

الناشر ..... مؤسسة البلاغ / بيروت - لبنان

عدد النسخ ..... ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

■المكتب : بئر العبد - سنتر الإنماء١ - ط٣ ■المستودع : حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - مقابل نادي السلطان
ص.ب : (١١-٧٩٥٣) بيروت (٢٢٥٠-١١٠٧) - هاتف : (٠١/ ٥٤١٨٥٤) - (٠١/ ٥١٤٩٠٥) - (٠٣/ ٥٤٣١١٩) - فاكس : (٠١/ ٥٥٣١١٩) لبنان
التوزيع في سوريا : دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار الحسين (ع) - هاتف : ٦٤٧٠٦٥٤ - جوال : ٠٩٣/ ٤٢٧٦١٧
الموقع الإلكتروني : www.albalagh-est.com

عليه السلام

زمن الحسين

حوارات ومقاربات تحليلية
لتجليات عاشورائية معاصرة

القائد الإسلامي السيد حسن نصر الله : نموذجاً

حميد حلمي زاده

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الاخرى لرجح إيمانه.
(الإمام الصادق ع)

moamenquraish.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

رب اغفر لي
ولوالديّ
وارحمهما
كما ربياني
صغيرا

الإهداء

إليك أيها المفتدي المعطاء . . . .

يامن علَّمت البشرية كيف تكون التضحية الخالصة لله تعالى

إليك يا سبط النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم

ياسيد الشهداء ويا أبا الأحرار

إليك يا أبا عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب

أُهــدي هـذا الجـهد المتواضع

العبد الفقير إلى الله

حميد حلمي زادة

كلمة المؤلف

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا﴾ ـ الأحزاب /٢٣

صدق الله العلي العظيم

ثمة صوت سرمدي، يهتف على مرّ العصور، بالثورة على الظلم والاستكبار، ويهيب بالأمة، إدامة المقاومة والنضال، بوجه العدوان والاضطهاد والانحراف، دفاعاً عن حياض الإسلام وقيمه ومقدساته وحرماته.

هذا الصوت هو ـ بلا شك ـ صوت الإمام الحسين بن الإمام علي عليه السلام الذي سطّر بدمه الطاهر في عاشوراء كربلاء، أمثولة أزلية، في التضحية والفداء والإيثار في سبيل المحافظة على الرسالة المحمدية الأصيلة، والتمسك بالمبادئ والقيم السامية، التي حددها جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، لدولة الأمن والأمان والتآخي والسلم على امتداد الأمة الإسلامية.

وهو النهج ذاته الذي التزمه من بعده، صلحاء الأمة، استناداً إلى أسس الإيمان والتقوى والشورى والتناصح والاتحاد، وتفضيل المصالح العليا للإسلام، على أيّة مصالح أخرى ضيقة أو نزوات دنيوية زائلة.

التاريخ يحدثنا أنه وبعد مضي ستة عقود على الهجرة النبوية الشريفة، وعندما مات معاوية بن أبي سفيان في مركز حكمه بدمشق، وكان قد حوّل الخلافة ـ لأول مرة ـ إلى ملكية وراثية، وفرض تولية ابنه يزيد شؤون السلطة، بدت الدولة الإسلامية في حالة انقسام على الصعيدين الفكري والجغرافي معاً.

فلم يوافق الكثير من كبار الصحابة على هذا التوجه الذي ابتدعه معاوية، باستخلاف هذا الابن المنغمس في الملذات والموبقات، فاختلفوا حول المبادئ والخطوط العريضة، واستقلّ كل بموقعه، وتعثّرت حركة الفتوحات والدعوة إلى الإسلام، وتكاتف المتمردون في شرق الدولة الإسلامية وغربها لتقويض تجربتها.

في خضم هذه الأجواء وعملاً بالحديث النبوي الشريف: (من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبهِ وذلك أضعَف الإيمان)، تحرّك الإمام الحسين عليه السلام بعملية إنقاذ على جبهتين: فكرية وإدارية.. للإصلاح في أمة جدّه صلى الله عليه وآله. بحركة احتجاجية اعتراضية كبرى في المركز، وفي الحجاز تحديداً، حيث يتدفق المسلمون للحج كل عام، فاستطاع بوسائله البسيطة وخلال فترة زمنية قصيرة، أن يحشد المسلمين، للعمل من أجل تخليص الأمة والدولة، وهي تنزلق نحو الانحراف والتشرذم.

لقد كانت كربلاء منعطفاً هاماً في التاريخ الإسلامي الفكري والسياسي. فقد برزت معارضة لابد منها، لإشعار الأسرة المالكة القابضة على السلطة، أن عليها أن تفكر في أمور المسلمين، وأن تحافظ على الدولة وأمنها، وأن تفتح باب الاجتهاد الفكري، وتلج آفاق المعرفة، من أجل التطوير ومواكبة المستجدات.

وبما أن الإمام الحسين عليه السلام، كان يعلم بأنه لا يستطيع إنجاز هذه المهمة في زمنه، رأينا أحفاده يكملونها، وبخاصة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الذي أطلق نهضة علمية هائلة حتى وفاته عام ١٤٨هـ مستنداً إلى ثورة جده الحسين السبط عليه السلام، ومصرعه المفجع بصحراء الطفّ في العاشر من محرم عام ٦١هـ.

إن من الأهمية بمكان، التأكيد على أن تراث عاشوراء بما انطوى عليه من هزّة إيمانية توعوية كبرى تُوجت باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته وصحبه الأطهار على أرض كربلاء؛ لم يكن كما يصوّر بعض الجهلة والمتعصبين والسطحيين، تقسيماً للأمة، بل كان توحيداً وتنبيهاً لها من غفلتها عن الأخطار المحدقة.

فلقد أدّت هذه الملحمة - بالتالي - وعلى امتداد الزمان، إلى تماسك لُحمة المسلمين، وتنامي يقظتهم ووعيهم بالتحديات، التي تهدد دينهم وعقيدتهم

ومقدساتهم ومقدراتهم، وإذكاء روح الاستعداد والحماسة والتحفز في نفوسهم، لتلبية نداء الواجب الديني والأخلاقي والإنساني، الذي تمليه ضرورات المرحلة ومتطلبات الأمن الإسلامي معنوياً وجغرافياً، في زمن البعثرة والتمزّق والميوعة، الذي نعيش في هذه الأوقات أصعب نماذجها، وذلك بلحاظ اشتداد التواطؤ الأمريكي ـ الصهيوني الساعي إلى إطباق الحصار والإذلال على أبناء الأمة الإسلامية شعوباً وحكومات.

إننا إذ نستذكر مقولة الراحل العظيم الإمام الخميني (طاب ثراه): «أن كل ما عندنا هو من عاشوراء» ندرك عمق خبرة هذا العارف بالله، ببركات نهضة الإمام الحسين عليه السلام وعطاءاتها المستديمة في الأبعاد المعنوية والثورية والحضارية والتنموية.. كيف لا وهو الذي أقام الجمهورية الإسلامية الإيرانية انطلاقاً من مبادئها ومآثرها وأهدافها السامية، وصنع منها صحوة إسلامية، تحمل على أجنحتها بشائر الخير والمحبة والسلام للبشرية جمعاء، على الرغم من محاولات التشويه الحاقدة والعدائية لأصحاب القوة والمال للنيل منها والقضاء عليها، بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، ولا سيّما عبر ممارسات أفراد وأناس ينتحلون ظلماً وبهتاناً صفة الدين ومعالمه الظاهرية، لكنهم يرتكبون باسمه الفظائع والمجازر الدموية التي تقشعرّ منها الأبدان، مما لا يجرؤ حتى أعداء الإسلام، على القيام بها مخافة غضب شعوبهم أو تزايد نقمة الرأي العام العالمي عليهم.

أين هؤلاء المضلّلون من الأهداف النبيلة لمدرسة عاشوراء الحسين عليه السلام وهو القائل:

«إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله... فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق».

ما أروعها من دعوة، لا تهديد فيها ولا وعيد.. لا تكفير فيها ولا مكابرة، بل خطاب مفعم باللطف، معروضٌ بأسلوب إيماني راقٍ، صادرٌ عن ربيب النبوة، موجّه إلى ذوي العقول المنفتحة، بعيداً عن التلويح بأسلوب البطش والإرهاب، أو بالعصا الغليظة وقرع طبول الحرب، كما يصنع الاستكبار العالمي بزعامة أمريكا راهناً، بدعوى نشر الإصلاح وإطلاق الحريات وتعميم

الديمقراطية المعلّبة غربياً وبتسويق صهيوني في منطقتنا.

إن تألق ملحمة عاشوراء عبر القرون ينبع من علو أهدافها ومنطلقاتها التحررية والانعتاقية. ويؤكد سماحة ولي أمر المسلمين آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامنئي قائد الثورة الإسلامية (حفظه الله) هذا الجانب في عبارة رائعة له يقول فيها: «إن عظمة الملحمة الحسينية، تظهر بجلاء عندما يدرك الإنسان، أنه ما دام الهدف سامياً، فإنه يهون دفع أي ثمن من أجله».

ولا ريب في أن انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران، وكذلك الفتح المبين الذي حققه أبناء حزب الله المقاومون الأشاوس في لبنان في العامين ٢٠٠٠ و ٢٠٠٦، هما مثال حي يبرهن على إمكانية تحقيق أهداف الأمة الإسلامية في كسر قيود الاستعباد، ودكّ صروح الطواغيت والمعتدين وطردهم بلا عودة، والتحرك نحو الحريّة والتقدم والرقي بخطى ثابتة وحثيثة ومطمئنة، انطلاقاً من مدرسة عاشوراء وثورة الإمام الطاهر الحسين بن علي أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام.

فهاتان التجربتان أثبتتا حتى الآن، جدارة فائقة في تطوير امكاناتهما الذاتية سياسياً وتقنياً واستراتيجياً وهما تسابقان عجلة الزمن في جميع المجالات، وتقفان بالمرصاد بوجه كل المؤامرات والتحديات والتهديدات الاستكبارية، وفي نفس الوقت فإنهما تمثلان زخماً كبيراً، لجميع القوى المناضلة من أجل استرجاع حقوقها المغتصبة ولا سيّما في فلسطين وسورية والعراق، وتشكلان مع القوى العربية والإسلامية الناهضة، جبهة متراصة لمكافحة مؤجّجي الحروب والأزمات الدوليين مستلهمين في ذلك شعار الحسين عليه السلام: «هيهات منا الذلة»، الشعار الذي رفعه الإمام الشهيد يوم كربلاء، ليكون منارةً للأحرار في عملية التصدّي للباطل ورموزه.

وهنا لابد من تسجيل تألق دور المرأة في النهضة الحسينية، فقد ظهر اسم السيدة زينب بنت الإمام علي عليها السلام دوراً مؤثراً لامرأة مثقفة عالمةٍ مناضلة، إلى جانب الرجل. هذا الدور لم تحقّقه قبلها، إلا أمُّها البتول السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله، وذلك بعيد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله.

لقد أكملت العقيلة زينب هذا الشوط في كربلاء، وتصاعد الدور النسائي في الإسلام، لدى مدرسة أهل بيت النبيﷺ أولاً، انطلاقاً نحو جموع النساء المسلمات عامة. إن هذا الدور كان محكوماً عليه بالانحدار، لولا نهضة الحسين، فالإمام السبط عليه السلام وأخته السبطة زينب عليها السلام، ملأا الساحة الإسلامية بأخبار أروع صمود وتحد أمام الطغيان والتهميش والاستهتار بالقيم والمبادئ، فضلاً عن القهر الفكري، ولهذا يمكننا التحدث عن أسباب كامنة وراء اصطحاب الحسين عليه السلام النساء معه، في مهمة انقاذية استنهاضية، رغم كل التحذيرات التي تلقاها، بألا يصطحبهن معه وأجاب عليه السلام: «لقد شاء الله أن يراهن سبايا».

إن هذا السبي الظالم، أنار دور المرأة في الإسلام ساطعاً، حيث أكملت نساء أهل البيت عليهم السلام، المهمة عبر المراحل اللاحقة، وبذلك أسست السيدة زينب عليها السلام لفاعلية الحركة النسائية الواعية والمؤثرة في مسيرة الأحداث، ودشنت بدورها البليغ في أعقاب واقعة كربلاء الأليمة، منهجية الإعلام الإسلامي التغييري في مخاطبة الطواغيت والمتغطرسين، كما حفّزت أصحاب القلوب والضمائر الحيّة على استبانة الصواب وتلمّس الحقيقة حال احتدام المفترقات الصعبة.

في ضوء ذلك يعتبر هذا الكتاب، رحلة علمية ذات محطات بارزة، في سبيل خلق مناخ من الحوار العقلاني والعلمي، وتجاوز الخلافات الشكلية التي تعرقل وتكبل حركة الجماهير. وقد تفضلت ثلّة طيّبة ونيّرة من رجالات الأمة بالمشاركة في هذا المنبر الحواري.

وإذ تنوعت المشارب والانتماءات المذهبية والإقليمية، فإن المحور الجامع والموحّد يبقى دائما هو النهضة الحسينية الخالدة. وقد آليت على نفسي في هذا السبر الفكري استقراء مواقف كبار الشخصيات والأعلام والنخب في مختلف الدول الإسلامية، في عملية استطلاع للرأي اشتملت على أسئلة محددة، شارك في الإجابة عليها طائفة من العلماء والمفكرين والقادة والسياسيين. كما أجريت حوارات منفصلة تناولت أبعاداً مختلفة لموضوع البحث، وقد راعيت في كل ذلك احترام وجهات نظر المساهمين في الاستبيان والأحاديث الصحفية المستقلّة

والمقالات المقدمة على امتداد محاور الكتاب، توخياً للموضوعية والتزام الأمانة العلمية، رغم تحفظي على موارد جزئية واردة في بعض الآراء، انطلاقاً من قاعدة احترام الرأي والرأي الآخر.

وإغناءً للخط العام للكتاب فقد استعنت بدراسات ومقالات لمفكرين وزعماء راحلين كالعلامة الشيخ عبد الله العلايلي والإمام أبو الأعلى المودودي والشهيد الدكتور فتحي الشقاقي (رحمهم الله وطيّب ثراهم)، كونهم أنصفوا موضوع ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) بكل علمية وموضوعية، وبالتالي فإن آراءهم لها وقع بليغ في نفوس أبناء الأمة، الذين ينشدون الحق والكمال في مسيرتهم الإنسانية.

ولقد تركّزت محاور الاهتمام أساسا على إحياء الهدف الأسمى للنهضة الحسينية، وهو التزام القضايا والتحولات التي تواجهها الأمة في الوقت الحاضر، ولا سيما تلك التي تعوق مسيرة تطوّرها، من الداخل ومن الخارج، بلحاظ حاجتنا الأكيدة إلى بثّ الوعي اللاّزم، وتنبيه أمّتنا من غفوتها وإيقاظها من سباتها العميق. وتوجيه الأنظار إلى ضرورة مكافحة مؤامرات قوى الاستكبار المتربصة بنا من كل حدب وصوب.

وبلا شك فإنه لا يمكن معالجة الأدواء إلاّ بتضافر الجهود ونبذ الخلافات الشكلية، والتخلّص من أشكال التخلف الحضاري والفكري، ومن ذيول الاستعمار وصنائعه، وبخاصة عقب ظهور التيار التكفيري الذي بات يشكل انحرافا فكريّا خطيرا، يتغاضى عن التحديات الاستكبارية عن جهل وعن لا وعي، وينخرط في خدمة الصهيونية العالمية من جانب، ويشتت طاقات الأمة المهدورة من جانب آخر، ليوجّه بذلك ممارسات الإقصاء والإهدار والتخريب والقتل نحو بقية أفراد الأمة الإسلامية.

لقد واكبت لحظات إعداد هذا الكتاب أحداثاً أليمة تزايدت حدتها مع تصاعد الحملة الحاقدة على الإسلام العظيم ورموزه ومقدساته، ليذكّر كل الغافلين بأنّ يزيد المستكبر لا زال يتربص بالدين وبالرسالة المحمدية، إذ لم يتورع الاستكبار العالمي المدعي للحرية، عن التطاول والمسّ بمقام النبي صلى الله عليه وآله عبر دوائره

وأدواته الغربية المتصهينة في أوربا وأمريكا وأماكن أخرى، شكلت تحالفاً بغيضاً من أجل الإساءة إلى الإسلام والأديان السماوية وأنبياء الله جميعاً عليهم السلام. كما سعت هذه القوى العمياء إلى تأجيج الفتنة بين صفوف الأمة باستهداف العتبات المقدسة لأئمة آل البيت النبوي عليهم السلام، في مدن بغداد (الكاظمية) وكربلاء والنجف، وتفجير القبة المشرفة لمقام الإمامين العسكريين عليهما السلام في مدينة سامراء، إضافة إلى تسعير النعرة الطائفية في العراق بين أبناء الوطن الواحد، وإشاعة حالات مريعة من الفوضى والرعب في هذا البلد الجريح، كجزء من المخطط الاستكباري لضرب الدين الحنيف والتهجّم على رموزه، وتأجيج الحقد والشحناء بين بني الإسلام وإغوائهم بهدر أرواح بعضهم البعض بغية إذلالهم وتفتيت أواصر الأخوة فيما بينهم، وفصلهم عن هويتهم الحقيقية وعزتهم.

كما تزامن إعداد هذا الكتاب مع عدوان صهيوني سافر على لبنان ومقاومته الإسلامية البطلة بزعامة سماحة حجة الإسلام والمسلمين المجاهد الكبير السيد حسن نصر الله، أمين عام حزب الله، عدوان همجي بكل ما للكلمة من معنى حشدت له الإدارة الأمريكية وحلفاؤها أقوى الإمكانات ووضعتها تحت تصرف اسرائيل الغاصبة.

لكن جند الله الأشاوس تمكنوا وعلى مدى ٣٣ يوماً (١٢ تموز - ١٤ آب ٢٠٠٦)، من تلقين العدو الغاصب درساً لن ينساه، وأهدوا للأمة الإسلامية وسام عزٍ وشرف وشموخ، ستتوارثه الأجيال إلى الأبد، وبرهنوا بانتصارهم الأسطوري الخارق القائم على مبادئ عاشوراء وثورة الإمام الحسين عليه السلام، على إمكانية إلحاق الهزيمة والمهانة بالاستكبار العالمي، إذا ما اعتصم أبناء الإسلام وأتباع القرآن والسنّة النبوية الشريفة، بحبل الله سبحانه وتعالى، ولم يتفرقوا، ووحدّوا طاقاتهم لصيانة مقدراتهم، ودفع الغزاة المكابرين على أعقابهم وإيقاعهم في مهاوي السقوط والخذلان والانكسار.

واعتقادنا هو أن الجماهير المؤمنة، هي بأمسٍ الحاجة اليوم إلى التأسي بعظماء الأمة الإسلامية، ولاسيما الإمام الحسين عليه السلام، باعتباره المثل الأعلى في الثبات على العقيدة، والدفاع عن الحرمات والمقدسات، الأمر الذي يُبرزُ أهمية

دور القدوة الصالحة، في إذكاء معاني الصمود والمقاومة والجهاد بوجه الانحراف الذي بات الآن يأخذ أبعاداً دولية تحرّكها أمريكا والدوائر الصهيونية في مختلف الأشكال والاتجاهات. لكننا على يقين أيضاً بأن الانتصار الحسيني العاشورائي الذي حققه أبناء جبل عامل في لبنان، في العام ٢٠٠٦، الذين أخذوا بنهج صانع النهضة الإسلامية المعاصرة سيدنا الراحل الإمام الخميني (قدس سره) وطبقوا تعاليم تلميذه النجيب سماحة السيد حسن نصر الله (دام عزّه)، شكل دليلاً قاطعاً على إمكانية لجم لغة الغطرسة والعربدة الاستكبارية، استناداً، إلى مقومات الإيمان والتقوى والصدق، المقومات التي ولّدت قوة هائلة، استطاعت أن تكشف هشاشة الكيان الصهيوني، وتطرح بشكل حقيقي حتمية دحره وإزالة "إسرائيل الغاصبة" من الوجود، بل وطرد كل معتد غاز من جميع الأراضي الإسلامية المحتلة.

إنَّ مقولة (كل يوم عاشوراء، كل أرض كربلاء) التي توارثها المسلمون عن أهل البيت النبوي (عليهم السلام)، هي مقولة زاخرة بكم هائل من القيم السامية المولّدة للرشاد والصلاح والشجاعة والاستبسال في مكافحة الظالم المستبد، مادام هناك في كل زمن من يلبي نداء الحسين عليه السلام المدوي منذ العام ٦١ هجري: "ألا هل من ناصر ينصرني".

وأملي أن يشكل هذا الكتاب الحِواريُّ إحدى الأرضيات الممهِّدة لمثل هذا الوعي والفهم، راجياً المولى الكريم أن يتقبل مني هذا الجهد تحقيقاً لمرضاته وتبياناً لمعالم دينه، وأن يتجاوز عن أي تقصير بدر مني فيه بلطفه، وأن يسدّد خطانا جميعاً لما فيه خير المسلمين ووحدتهم وعلّو قدرهم وتقدّمهم، إنه سميع مجيب. وصلى الله وسلّم على رسوله المصطفى محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حميد حلمي زادة

دمشق: رمضان المبارك ١٤٢٧هـ
تشرين الأول ٢٠٠٦م

الشخصيات المشاركة أو الحاضرة
في حوارات ومقالات الكتاب

إيران

١ ـ آية الله العظمى الإمام الخميني (قدس سره الشريف)

٢ ـ آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله)

٣ ـ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد حسن أخترى

٤ ـ آية الله السيد مجتبى الحسيني

٥ ـ آية الله الشيخ محمد علي التسخيري

٦ ـ العلامة الشيخ حسن مهدويان

لبنان

٧ ـ العلامة المجاهد السيد حسن نصر الله

٨ ـ المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله

٩ ـ المرحوم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي

١٠ ـ العلامة الشيخ نعيم قاسم

١١ ـ العلامة الشيخ عفيف النابلسي

١٢ ـ الأستاذ السيد حسين شرف الدين

١٣ ـ الأستاذة السيدة رباب الصدر

١٤ ـ العلامة الشيخ الدكتور أحمد حسون

١٥ ـ العلامة الشيخ وهبة الزحيلي

١٦ ـ العماد أول الدكتور مصطفى طلاس

١٧ ـ الدكتور الشيخ نبيل الحلباوي

١٨ ـ الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر

١٩ ـ العلامة السيد عبد الله نظام

٢٠ ـ الأستاذ الدكتور محمود عكام

٢١ ـ العلامة الشيخ جودت سعيد

٢٢ ـ معالي الأستاذ أحمد الحسن

٢٣ ـ معالي الدكتور أسعد صقر

سورية

٢٤ ـ الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

٢٥ ـ الأستاذ الدكتور طيب تيزيني

٢٦ ـ الأستاذ الدكتور سهيل زكار

٢٧ ـ الشيخ الدكتور أحمد راجح

٢٨ ـ فضيلة الشيخ محمد حسن تقي

٢٩ ـ الدكتور الشيخ محمد الحبش

٣٠ ـ الأستاذ الدكتور عبد السلام راجح

٣١ ـ الأستاذة السيدة مريم خير بك

٣٢ ـ الأستاذة الدكتورة نعيمة شومان

٣٣ ـ الأستاذة الدكتورة مها قنوت

العراق	٣٤ ـ المرحوم آية الله الشيخ أحمد الوائلي
	٣٥ ـ آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي
	٣٦ ـ العلامة السيد مقتدى الصدر
	٣٧ ـ العلامة الشيخ جواد الخالصي
	٣٨ ـ العلامة السيد حسن النوري
فلسطين	٣٩ ـ الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي
	٤٠ ـ المناضل الأستاذ أحمد جبريل
	٤١ ـ الأستاذ الدكتور سعيد يعقوب
	٤٢ ـ الأستاذ الدكتور زهير غزاوي
	٤٣ ـ الأستاذ الدكتور ماهر الطاهر
	٤٤ ـ الأستاذ عبد الصمد عز الدين القسام
باكستان	٤٥ ـ المرحوم العلامة أبو الأعلى المودودي
البحرين	٤٦ ـ العلامة السيد كامل الهاشمي
المغرب	٤٧ ـ الأستاذ الدكتور أدريس هاني
إنكلترا	٤٨ ـ العلامة السيد محمد الموسوي
مصر	٤٩ ـ الأستاذ الدكتور علي أبو الخير
أفغانستان	٥٠ ـ الأستاذ الشيخ قاسم آخوند
تونس	٥١ ـ الأستاذ الدكتور عبد الكريم الشبلي
اليمن	٥٢ ـ الشيخ إبراهيم بن محمد الوزير

تمهيد:

منعكسات الثورة الحسينية في الواقع:

الجمهورية الإسلامية ونهج قيادتها نموذجا

❖ تطبيقات أهداف الإمام الحسين عليه السلام في نهضة حفيده المجاهد آية الله العظمى الخميني (قدس سره)

❖ النهضة الحسينية في فكر القائد السيد علي الحسيني الخامنئي (دام ظله)

لا يختلف اثنان على أن الثورة الإسلامية في إيران التي فجرها وقادها الزعيم الراحل الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني (قدس سره)، هي إحدى الثمار المهمة لملحمة عاشوراء وفداء حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله، الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

إن شعارات سيد الشهداء والمآثر التي سجلها بدمه الطاهر هو وأهل بيته وأصحابه الكرام، كانت نبراس الشعب الإيراني المؤمن، عندما انطلق ثائراً على الطغيان الشاهنشاهي، الذي سخّر نفسه لخدمة الأهداف والمصالح الأمريكية والإسرائيلية، وطوّع البلاد بقوة الحديد والنار، لتكون مركزاً للتآمر على مقدرات الشعوب الإسلامية في المنطقة. إن هذا الموقف المشين للحكم أغاظ أبناء الشعب الإيراني المسلم الذين كانوا معبئين من قبل ضد الظلم والاستبداد، وكان يحزّ في نفوسهم أن تكون بلادهم وخيراتهم، نهباً للأطماع الاستكبارية والصهيونية وأن تبقى أرضهم وسماؤهم ومياههم، مسرحاً للمخططات الأجنبية المعادية للدين الإسلامي الحنيف.

لقد قدمت مجالس العزاء في شهري محرم وصفر من كل عام واستذكار تضحية الإمام الحسين عليه السلام شهيد كربلاء في سبيل إحقاق الحق ومكافحة الانحراف والتسلط وبالتالي تقويم المسيرة الإسلامية، دروساً عملية في تعزيز روح الإيمان وتقوية العزائم لدى الشعب الإيراني، ودافعاً له من أجل أن يفجر طاقاته الكامنة ويعلن غضبهُ على الشاه وأزلامه ويتحدى أجهزته القمعية الرهيبة، بكل قوة وتصميم، والجود بأغلى ما يملك الإنسان أي الروح، لتغيير هذا الوضع المسيء وإعادة البلاد إلى الحاضنة الإسلامية من جديد، كل ذلك تأسياً بالنموذج الأروع الإمام الحسين عليه السلام.

كان انتصار ثورة الجماهير الإيرانية المؤمنة في ١١ شباط ١٩٧٩.. بقيادة الزعيم المجاهد الإمام الخميني (طاب ثراه) وعلى هدي مدرسة عاشوراء وشعارها الأبرز (هيهات منا الذلة)، هو ذلك الزلزال الذي غيّر خارطة المنطقة وقلب موازين القوى في العالم، وكرّس انطلاقة المستضعفين في الأرض لمقارعة الاستكبار العالمي والتصدي لأهدافه ومشاريعه، وتفعيل الصراع مرة أخرى

ضد العدو الصهيوني الغاصب للقدس الشريف وفلسطين والعديد من الأراضي الإسلامية.

واليوم وبعد أكثر من ٢٧ عاماً تشق الجمهورية الإسلامية الإيرانية بزعامة سماحة الإمام السيد علي الخامنئي (دام ظله) قائد الثورة الإسلامية وراعي النهضة العلمية والتنموية في البلاد، طريقها بخطى ثابتة نحو مدارج الرقي والتقدم. حيث قطعت أشواطاً عظيمة في الصناعات الكبرى والتكنولوجيا الحديثة ومنها الطاقة النووية للأغراض السلمية. وإزاء ذلك تتعرض طهران لضغوط أمريكية وأوروبية متزايدة لإجبارها على وقف هذه المسيرة، وتحجيم قدراتها بما ينسجم مع تكرس التفوق الصهيوني في المنطقة.

بيد أن إيران التي التزمت الإسلام المحمدي الأصيل، وتبنّت الأسلوب الحسيني في الثبات و المقاومة والجهاد، مصممة على مواصلة طريقها مستهدية بتراث عاشوراء الخالد للتمسك بحقوقها المشروعة والدفاع عن مقدراتها وثوابتها مهما كان الثمن غالياً، وتوظيف مكاسب كل ذلك لخدمة الإسلام والمسلمين في أرجاء المعمورة.

في هذا السياق يهمني أن أقدم وجهات نظر سيدنا الراحل الإمام الخميني (قدس سره) وسماحة القائد الخامنئي (دام ظله) حول عاشوراء والثورة الحسينية، انطلاقاً من التزام الجمهورية الإسلامية الإيرانية بقواعد هذه النهضة الإيمانية في الماضي والحاضر والمستقبل.

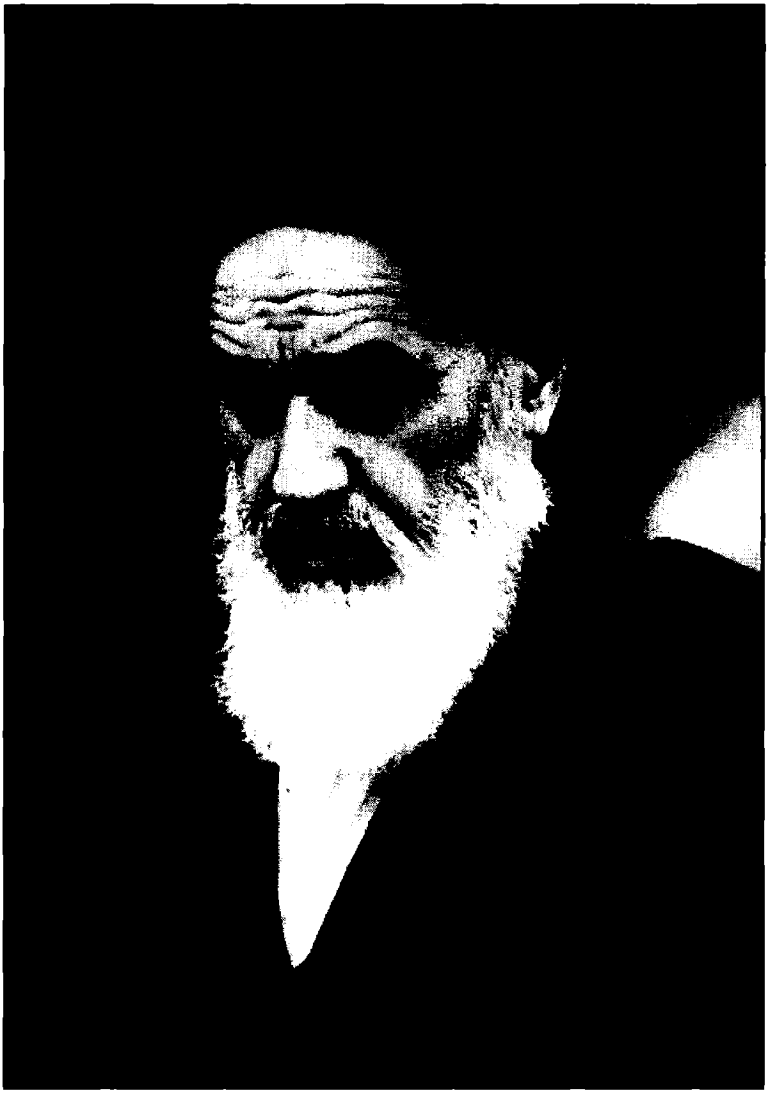

زعيم الأمة الإسلامية الراحل
آية الله العظمى الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سره

عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام
في نهضة حفيده المجاهد آية الله العظمى الخميني (قدس سره)(*)

□ سيدي حبذا لو بينتّم رؤيتكم ومفهومكم إزاء مقولة (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء)؟

□□ بسم الله الرحمن الرحيم، هذه الكلمة (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء) هي كلمة كبيرة، يشتبه كثيرون في فهمها، بمعنى إنهم يتصورون أننا يجب أن نبكي كل يوم، ولكن مفهوم هذه الكلمة هو غير ذلك. ماذا فعلت كربلاء؟ ما هو الدور الذي لعبته أرض كربلاء في يوم عاشوراء.؟ أيجب أن تكون كل الأراضي هكذا؟ إن دور كربلاء تمثّل في أن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام حارب بعدة أفراد، لقد أتت ثلة قليلة إلى كربلاء ووقفت بوجه ظلم يزيد وفي مواجهة السلطة الجبارة وفي مواجهة طاغية زمانه، هذه الثلة وقفت وتصدت وضحّت ولم تقبل الظلم وهزمت بموقفها الرسالي والاستشهادي يزيد بن معاوية.

وعليه يجب أن يحصل هذا في كل مكان، وفي كل الأيام، يجب أن يفهم شعبنا الإيراني هذا على الدوام، وهذا المعنى وهو أن يومنا هذا هو يوم عاشوراء ونحن يجب أن نقف بوجه الظلم، وأن أرض إيران اليوم هي كربلاء فعاشوراء ليس محصوراً بأرض بعينها، ولا يمكن أن ينحصر فقط بمجموعة أفراد. إن قضية كربلاء لم تكن محدودة بجمع يتألف من سبعين نفراً ونيّف وبأرض اسمها كربلاء. يجب أن

(*) الحوار هو عبارة عن توليفة لأحاديث وخطابات ألقاها إمامنا الراحل آية الله العظمى المقدس السيد روح الله الموسوي الخميني (طاب ثراه) في مناسبات مختلفة بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران، وقد عملتُ على نسقها وتنظيمها وانتاج نص حواريٍّ منها يتناسب وأهداف الكتاب (المولف).

لا تغفل الشعوب عن أنها يجب أن تقف بوجه الظلم في كل زمان ومكان.

إن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ، علّمنا باستشهاده كيف نتصرف في ساحات الوغى وكيف نتعامل خارجها وهو لقّن المجاهدين والمناضلين دروس النضال المسلح كما أرشد العناصر المتواجدة في الخطوط الخلفية للجبهة ، إلى كيفية ممارسة دور الإعلام وإيصال الحقائق إلى الآخرين.. لقد علّم الجميع كيف يكون النضال عندما نكون أقلية أمام سلطة متجبرة تسيطر على مقاليد الأمور ، وكيف يمكننا مواجهة مثل هذا الوضع.. إنها دروس تعلمناها من سيد الشهداء عليه السلام ..

وهكذا فإن أهل بيته الأطهار وابنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، علّمونا كيف نتعامل مع الأوضاع بعد وقوع المصيبة؟ فهل ينبغي أن نستسلم؟ أو أن نقلل من وتيرة جهادنا؟ أم أنّ علينا أن نتصرف كما تصرفت الحوراء زينب عليها السلام بعد فاجعة عاشوراء ، التي تصغر عندها المصائب ، حيث وقفت هذه المرأة البطلة بوجه الكفر والزندقة ، وخطبت متى ما استلزم المقام ذلك ، ومثلُها فعل الإمام علي بن الحسين عليه السلام رغم نحول جسمه ومرضه ، حيث أكمل رسالة الثورة وأهدافها على أحسن وجه.

□ سيدي ما هي الرسالة التي أراد سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام إيصالها من خلال نهضته؟

□□ إنَّ النهضة الحسينية صانت الإسلام من التشويه ، فلقد علّم سيد الشهداء عليه السلام الجميع سبل مواجهة الظلم والجور والحكومات المستبدة ، ورغم أنه كان يعلم أن الطريق الذي يسير فيه يتطلب التضحية بأصحابه وأهل بيته من أجل الإسلام ، لكنه أصر على المضي فيه لأنه كان يدرك عاقبة الأمور.

فلو لم تكن نهضة الإمام الحسين عليه السلام ، لنجح يزيد بن معاوية وأتباعه في عرض الإسلام مغلوطاً ومقلوباً أمام الناس ، ولا سيما أمام جماهير الناس الذين لم يكونوا قد آمنوا بالإسلام في بداية الدعوة ، وليس هذا فحسب ؛ بل كانوا أيضاً حاقدين على الرعيل الأول من المؤمنين وأولياء الله..

إن سيد الشهداء ، بهذه التضحية ، قد هزمهم في الواقع ، لأن الناس أدركوا بعد فترة وجيزة عظم المصيبة التي حلّت بهم ، الأمر الذي أدى إلى فضح الطغمة

الحاكمة باسم الإسلام وبالتالي تقويض أركان حكم بني أمية.

إن سيد الشهداء بتضحيته، حدّد ورسم للجميع معالم الطريق وشجعهم على عدم الخوف والفزع في عملية المواجهة بسبب قلة العدد، لأنّ الكثرة لا جدوى منها أحياناً إن لم تكن معبأة معنوياً، بينما في المقابل قد تكون القلة النوعية أقدر بكثير على التغيير والمجابهة، ويكون النصر حليفها.

سيد الشهداء أنقذ الإسلام بدمه

لقد ثار سيد الشهداء عليه السلام ضد معاوية وابنه يزيد اللّذين عرَضا الإسلام مشوّهاً أمام الناس، حيث كانا يؤمّان المسلمين في صلوات الجماعة والجمعة ويخطبان فيهم وفي ذات الوقت كانا يشربان الخمرة ويفعلان المنكر.. أي أن الدين كان على وشك الاندراس والزوال.

إن أمثال (رضا خان) لو اقترف منكراً لا يضر كثيراً لأن الناس كانوا يعرفونه بشكل جيد، لكن عندما يدّعي أحد أنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ويخطب في الناس ويؤمهم في الصلاة، وفي نفس الوقت يقترف تلك الآثام ويسوق الناس نحو الإنحراف والسقوط، فإن ذلك يختلف عن أخطاء رضا خان ومن بعده إبنه الشاه محمد رضا المقبورين...

إذن فإن خطأ يزيد بن معاوية لا ينحصر في قتله سيدَ الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام فقط، فقد كان ذلك أحد أخطائه، لكنّ خطأه الأكبر كان يتجلى في عرضه الإسلام ممسوخاً أمام الناس، الأمر الذي دفع الإمام الحسين عليه السلام إلى الثورة على حكمه ليلبي بذلك استغاثة الإسلام والمسلمين وينقذهما من المتطاولين والمستهترين والمنحرفين..

□ سيدي ما الذي كان سيحصل لو لم يقم الإمام الحسين عليه السلام بنهضته في عاشوراء؟ ولم يستشهد في العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية؟

□□ لو لم تكن عاشوراء ولم تكن تضحيات آل الرسول صلى الله عليه وآله، لقضى طواغيت ذلك الزمان على الرسالة الإسلامية وعلى الجهود المضنية للرسول الأكرم، ولو لم تكن عاشوراء لساد المنطق الجاهلي لأتباع أبي سفيان الذين كانوا

يريدون أن يشطبوا الوحي والكتاب بالقلم الأحمر، ولطغى منطق يزيد بن معاوية وعهد عبادة الأصنام المظلم الذي كان يتحرّق حقداً لإطفاء نور الإسلام بقتل بني بيت الوحي ، ويتمنى قلع الإسلام من جذوره، ويقول بصراحة (لا خبر جاء ولا وحي نزل) وصولاً إلى القضاء على الحكومة الإلهية. ولولا عاشوراء، لم نكن نعلم ماذا كان سوف يحلّ بالقرآن الكريم والإسلام العزيز؟ لكنّ إرادة الله العلي القدير كانت وما تزال تحفظ الإسلام دين الحرية وتحفظ القرآن كتاب الهداية، خالِدَيْن، وترفدهما بأسباب القوة والصمود وتسقيهما بدماء شهداء أبناء الوحي، وتحميهما من آفات الدهر. هذه الإرادة الإلهية هي التي دفعت بربيب النبوة وبقية الولاية للتضحية بنفسه وبأعزائه، فداء لعقيدته، ولأمّة الرسول الأعظم، ولكي يبقى دمه فواراً على امتداد التاريخ، يروي دين الله ويحرس الإسلام أبد الآبدين.

إنّها تضحية سيد الشهداء التي جعلت الدماء تغلي في عروق كل الأمم الإسلامية ، وإنّها مراسم عاشوراء التي تثير همم الناس وتهيؤهم لحراسة أركان الإسلام. لذلك لا يجب تجاهل هذه الذكرى، وكما كان يُعمل في السابق فلتقم مجالس العزاء ولتُتْلَ المراثي الحزينة وليُقرَأ الشعر والنثر في فضائل أهل البيت ومصائبهم، كل ذلك في سبيل تعبئة الناس، وليكونوا دائماً على أهبة الاستعداد في الساحة.. والمطلوب من الناس أن لا تكون مسيراتهم في عاشوراء خالية من المعاني النبيلة التي ضحى من أجلها سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، بل تكون مسيرات تخليد العزاء، مسيرات استحضار وعِظَة، مع حفظ النواحي الشرعية الإسلامية. أبقوا عاشوراء حية، فبحفظها لن يصيب بلدكم أي أذىً.

إنّ محرّم هو شهر النهضة الكبرى لسيد الشهداء وخير أولياء الله الذي أعطى بثورته، البشرية، تعاليم الصمود والثبات في مواجهة الطاغوت، فقد كان يرى أن طريق إزاحة الظالم وتحطيم المستبد إنّما هو بالتضحية والفداء، وهذه هي تعاليم الإسلام للأمم إلى الأبد.

إن علينا أن نجدد هذه الذكرى عبر العصور والأزمان حيث أن: "كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء". وهذا يعني أن النهضة الحسينية يجب أن تستمر في كل عصر ومكان، لأن الإمام الحسين عليه السلام رغم قلة عدد أنصاره، ضحّى بكل شيء

من أجل الإسلام ووقف بكل صلابة أمام تلك الإمبراطورية الكبرى وصرخ (لا) بوجه طغاتها، لذلك فإن كلمة (لا) التي أطلقها الإمام السبط قبل حوالي أربعة عشر قرناً لا بد أن تبقى مدى الدهر، وهي تعني رفض كل الجبابرة والظلمة. إن من النقاط التي لا بد أن نؤكد عليها هي أن الإمام الحسين عليه السلام باستشهاده قد ضمن مستقبل الإسلام، وهذا يدعونا لأن نبدي حرصاً أكبر وأشمل على إحياء عاشوراء دوماً، ونجعلها متقدة ومتفاعلة. فالواجب يحتم علينا الحفاظ على هذه الذكرى التي ألحقت الهزيمة والانهيار بالأمويين لاحقاً، رغم مصرع بطل كربلاء وأصحابه البررة في تلك المعركة غير المتكافئة.

إننا إن أردنا أن نصون سيادة بلداننا ونحافظ عليها حرّةً ومستقلّة، فلا بد أن نستلهم هذا الدرس ونحفظه جيداً، ونعلمه أبناءنا حتى يتوارثوه جيلاً بعد جيل.

□ **سيدي كيف ينبغي توظيف ذكرى عاشوراء والمراسم الحاشدة التي تقام في أنحاء العالم حداداً على الإمام الحسين عليه السلام لخدمة الإسلام والأهداف الإلهية؟**

□□ ينبغي على جميع المسلمين والأحرار في العالم أن يعرفوا أنه لو لم تكن نهضة سيد الشهداء عليه السلام، لما استطاع الشعب الإيراني المؤمن، أن يحقق النصر. إن وحدة كلمتنا التي أدت إلى انتصار الثورة الإسلامية المباركة، كانت بفضل مجالس العزاء الحسيني. وهي أساساً مجالس لتبليغ الإسلام ونشر القيم الدينية والأخلاقية والثورية. إن الإمام الحسين عليه السلام قد هيأ أفضل فرصة لاجتماع الناس دون أن نكلف نحن أنفسنا عناء التعب؛ حيث أن الإسلام ينظر إلى المساجد كمعاقل تنطلق الجموع منها بعد تأديتها لصلوات الجمعة والجماعة.. إن الإمام الحسين عليه السلام عبّد أمامنا كل السبل التي تضمن تقدم الإسلام وإشعال الثورة..

لذلك فإن علينا أن نتعامل مع مجالس العزاء والحداد والمراسم الأخرى التي تقام سنوياً في ذكرى عاشوراء باعتبارها ذات محتوى سياسي وعقائدي وثوري، لأنها تؤجج في نفوس المتلّقين روح الثورة والإستقامة والنهضة بوجه الظالمين والمستكبرين.

كما إن عليكم أن لا تفقدوا روح التنسيق والتآلف والأخوة المتولّدة خلال تخليد ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كل مكان، في إيران وفي الباكستان والهند والعراق وأفغانستان وأندونيسيا وفي مختلف أرجاء الأرض.

يجب عليكم أن تعلنوا هذه الحقائق الناصعة ولا تتخلوا عن أداء مهمة التبليغ.. ولا بد أن تبقوا شهر محرم حياً.. لأنّ كلّ ما لدينا الآن هو من محرم وعاشوراء ومجالس الحسين هذه، التي يجب علينا أن نوظفها في سبيل سبر أغوار معنى تلك الشهادة التي توجّها الإمام الحسين عليه السلام والثلة الطاهرة معه على أرض كربلاء، بتضحياتهم الفذة والعظيمة. علينا أن نعرّف بأسرار هذه الملحمة الخالدة، لتعمّ آثارها أنحاء الأرض، ولتعي البشرية كافة سرّ استمرارية تأثير هذه النهضة وخلودها على امتداد الزمان.

فلو لم تكن مجالس الموعظة والخطابة والعزاء هذه لما انتصرت إيران في ثورتها.. فقد انتفض الجميع في بلدنا تحت لواء الإمام الحسين عليه السلام.. ولا بد للعلماء الأعلام والدعاة والخطباء أن يستفيدوا من هذه التجمعات الشعبية التلقائية الكبرى التي تعقد في شهري محرم وصفر وباقي الأشهر، ليوضحوا للناس واجباتهم الشرعية في هذا العصر الذي تكالب علينا الأعداء فيه من كل حدب وصوب، وليشرحوا لهم قضايا الساعة السياسية والاجتماعية.

كما أن على علماء الدين ورجال المنبر الحسيني أن يبيّنوا للناس أننا مانزال في وسط الطريق، وأن علينا إكمال هذا المشوار إلى النهاية إن شاء الله. وأنا أُطمئنكم بأن النصر الكامل سيكون حليفنا ما دمنا نسير في النهج الصحيح الذي سرنا به إلى الآن ولله الحمد، لكننا يجب أن لا نتهاون أو نَهِن في هذا الطريق أبداً.

وهنا يجب القول إنه: في اليوم الذي يدرك فيه المسلمون احتمال أن يكون الإسلام في خطر، فإن عليهم حينذاك أن يقوموا بنفس عمل الإمام الحسين.. في اليوم الذي نحتمل فيه أن الإسلام في خطر علينا جميعاً أن نضحي، يجب أن نبدأ العمل بلا تأخير، إذا احتملنا أن إسلامنا وجمهوريتنا الإسلامية سوف يكونان في خطر بسبب الدعايات المغرضة، وعلينا أن نصدّ هذه الدعايات الخطرة، لأنها تشكل تهديداً للإسلام، وأحياناً قد تحصل أمور مخالفة للإسلام باسم الإسلام أو ربما يخيّل للبعض أنها إسلامية، وهذه أيضاً يجب التصدي لها بحزم.

وكما ذكرت الروايات، فإن الإسلام غريب، ولقد كان غريباً منذ البداية، وهو ما يزال كذلك. لأن الغريب هو الذي لا يعرفه أحد ويجهله المجتمع رغم

وجوده فيه، وهو ما ينطبق على الإسلام الذي نعيش في كنفه، إلا أن الناس لم يعرفوه على حقيقته بعد.

علينا أن نقتدي بالإسلام الذي جسده الإمام الحسين عليه السلام، عندما ضحى بكل ما يملك وقدّم نفسه الزكية وقدم الشباب والأقرباء والأصحاب قرابين في سبيل الله، ومن أجل تثبيت أركان الإسلام. إن سبط الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قام بثورته ضد الظلم وليس معه سوى النفر القليل من الأهل والأنصار، ورغم أنه استشهد وسفك دمه ودماء أهل بيته وأصحابه، إلا أن المنتصر الحقيقي كان الإمام الحسين عليه السلام الذي هزم الظلم ونظامه المتغطرس.

وإزاء ذلك فإن مجالسنا التي أكد على إقامتها الإمام جعفر الصادق عليه السلام والأئمة الآخرون (صلوات الله عليهم) لا بد أن تكون دوماً ضد الظلم والجبروت، وأن تخلد عاشوراء تلك الواقعة الكبرى على مرّ العصور.

□ **لكن سيدي رب سائل يسأل: ما هي صلة إقامة مجالس العزاء الحسيني في شهري محرم وصفر، باستمرارية الإسلام؟**

□□ إن مجالس العزاء ومراسم الحداد التي تقام سنوياً للإمام الحسين عليه السلام، لها دور كبير في حفظ رسالة الإسلام واستمراريته، لأن استحضار ذكرى عاشوراء، يؤدي بالنتيجة إلى استحضار القيم الدينية والمعنوية والتحررية للإسلام.

إن من يقف بسلبية أمام إقامة هذه المجالس، وربما يعمد إلى منع إحياء ذكرى هذه الملحمة الإيمانية المفجعة، ويحول دون شرح مبادئها للناس، لا يعرف – في الواقع- فلسفة تضحية سيد الشهداء ولا يفقه رسالة نهضته عليه السلام. إن أمثال هؤلاء الأفراد السلبيين، يجهلون أن مجالس العزاء هذه، هي التي حفظت المسيرة الإسلامية على الدوام، وأن المراسم والشعائر التي تُقام في عاشوراء، هي التي حفظت لنا الإسلام خلال أكثر من ١٤٠٠ عام. فلو أن العلامة المجلسي (رحمه الله)* مثلاً وهو من كبار علماء الأمّة، كان قد اكتفى بالاعتكاف والانزواء في أحد أركان منزله،

(*) هو العلامة محمد باقر المجلسي – صاحب الموسوعة الشهيرة المعروفة باسم (بحار الأنوار). توفي سنة ١١١١ هجرية.

وانشغل فقط بقراءة زيارة عاشوراء، واحتسب عند الله هذا المصاب الجلل، لما بقي أيُّ شيءٍ من الإسلام، لأن الدين يحتاج إلى الحركة والنشاط والفاعلية. وفلسفة عاشوراء هي أنّ استحضارها وإقامة مجالس العزاء والحزن والبكاء فيها حداداً على الحسين الشهيد عليه السلام وتفاعلاً مع مأساته في كربلاء، كل ذلك يشكّل منطلقاً وجسراً نحو الحيوية المعنوية والعملية التي يحتاجها الدين الإسلامي.

□ **سيدي قد يُنكر البعض قضية البكاء والحزن الشديد على أبي الأحرار عليه السلام أيام محرم وصفر. فماذا تقولون في هذا الباب؟**

□□ قبل كل شيء علينا أن ندرك ونتيقّن أن الإمام الحسين عليه السلام، لم يقتحم ساحة الشهادة رجاء مثوبة أُخروية، لأن ذلك لم يكن يمثل أولوية ولم يكن يشكل أهمية كبرى بالنسبة له. لقد كان هدفه أشمل بكثير من موضوع الثواب والأجر، لأنه ما دخل في عملية المواجهة، إلا لإنقاذ الإسلام من مؤامرة وأده. إنه بنهضته أحدث زلزالاً عظيماً أدى إلى تقويض حالة الركود التي انتابت المدرسة الإسلامية، فقام عليه السلام ببث الروح في الإسلام وأعاده إلى الحياة من جديد.

من هنا، فإن البكاء على الشهيد، هو إحياءٌ للنهضة الإسلامية؛ وفي الحديث الشريف للمعصوم عليه السلام: (إنّ من بكى على الحسين أو أبكى الآخرين أو تباكى عليه، فإن ثوابه الجنة). فقضية البكاء والحزن على سيد الشهداء عليه السلام إنما تعني الحفاظ على جذوة نهضته في النفوس والعقول. إنّ قضية البكاء على الحسين وأهل بيته وصحبه الذين استشهدوا في عاشوراء كربلاء، وأن التفاعل الوجداني مع هذه الواقعة المحزنة والمفجعة، هي التي صانت لنا الإسلام، وأوصلته إلينا سالماً منيعاً، وعصيّاً على التزييف.

إن سيد الشهداء عليه السلام هو الذي قام بتلك الثورة لأنّ معاوية وابنه كانا قد حرّفا الإسلام.. لقد لبى سيد الشهداء نداء الدفاع عن الإسلام وأنقذه. إنّ مجالس العزاء لسيد الشهداء، إنّما هي لحفظ دين سيد الشهداء. إنّ أولئك الذين يقولون: لا تقيموا مجالس عزاء سيد الشهداء لا يفهمون ما هي عقيدة سيد الشهداء ولا يعرفون ماذا يعني نهجه، ولا يعلمون أنّ هذا البكاء وهذه المجالس هي التي حفظت هذا الدين. لقد أنقذ الإمام الحسين الإسلام، فهل يطلبون مِنّا أن نقف موقف

اللاّمبالاة والسكوت أمام إنسان فذٍّ أنقذ الإسلام وقُتِلَ لأجله؟! يجب علينا أن نعتلي المنبر كل يوم لأجل حفظ هذا الدين ولأجل حفظ هذه الثورة. إن كل الثورات والانتفاضات التحررية، لهي مَدينةٌ لعاشوراء الإمام الحسين عليه السلام.

□ سيدي ما هو دور الخطباء والمبلغين في إيضاح مفاهيم البكاء والحزن على سبط رسول الله صلى الله عليه وآله؟

□□ إن على الخطباء والمبلغين والوعاظ وهم يستذكرون عبر محاضراتهم ومراثيهم وبرامجهم الإرشادية، ألا يعتبروا أو يصوِّروا هذه الشعائر على اختلاف ممارساتها- على أنها هي الغاية، بل عليهم الاستفادة من العزاء الحسيني باعتباره وسيلة يجب أن يُؤدي إلى الهدف الأسمى، وهو المحافظة على الإسلام من أيّ زيغ أو تحريف. عليهم التركيز على هذه الحقيقة وهي: أننا نريد أن نصون الإسلام ونحمي الدين والرسالة السماوية، من خلال إقامة هذه المجالس التأبينية واستذكار مأساة عاشوراء سيد الشهداء عبر استعراض وقائعها وقراءة قصائد الرثاء، وإقامة الممارسات التقليدية التي يجب أن تتواصل مثلما هي وتُقام سنوياً بشكل متزن يفيد في تقوية دور الإيمان في أوساط الناس.

إن على العلماء وخطباء المنبر الحسيني، أن يُفهموا الناس، بأن البكاء والتباكي على سيد الشهداء عليه السلام، إنما هو إحدى ضمانات حفظ الإسلام وديمومته عبر الأجيال. وأنا أدعو أولئك الحانقين على إحياء هذه الذكرى والبكاء على شهيد كربلاء عليه السلام، أن يراجعوا حساباتهم، ويتفهموا سرَّ خلود هذه النهضة الاستشهادية دون غيرها، مع إكبارنا لكل التضحيات التي قُدِّمت في سبيل الله ورفعة الإسلام.

إن من الخطأ النظر إلى إحياء مأساة عاشوراء من زاوية واحدة، بل يجب قراءتها من مختلف الزوايا دينياً وعقلياً لإدراك ماهيتها والسبب في استمراريتها. وللأسف الشديد فإن الإسلام، كان وما يزال مبتلىً بنماذج بشرية ذات نظرة أحادية ضيقة، لا ترى الأمور إلاّ بعين واحدة.

□ سيدي ؛ يمرّ الإسلام بمنعطف خطير وهو يواجه تحديات هائلة تستهدف النيل منه وبخاصة جيل الشباب. فما هي نصيحتكم في هذا الاتجاه، وبما يتصل بتخليد ذكرى واقعة عاشوراء من قبل الناشئة؟

□□ ينبغي للشباب الواعي من أبنائنا، ألاّ يتصوروا أن استذكار عاشوراء، هو قضية مقتصرة على البكاء فقط، لأن الآخرين أشاعوا ضدّنا مثل هذه المغالطة، فقط من أجل أن يصفونا ويصفوا شعبنا، بأننا شعب بكاء وعويل. فالحقيقة غير ذلك، لأن المتحاملين على إحياء مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، هم يخافون من مثل هذا البكاء الباعث على رفض الظلم والطغيان والاستكبار.. لأنه بكاء على المظلوم وصرخة إدانة وتحدٍ بوجه الطواغيت. وبما أن الأيدي والقبضات المشدودة، لا بد من إبقائها مرفوعة أمام حكام الجور، باعتبارها من أسلحة الإسلام وأسباب قوته في مقارعة الجبابرة، فإن إحياء العزاء الحسيني هو خير وسيلة في هذا الاتجاه، لكونه يشحن النفوس الشابة والوثابة، بعناصر القوة والمنعة، والاستعداد للتضحية والعطاء في سبيل الدفاع عن الإسلام والحفاظ على مرتكزاته.

إنني أحذّر الأجيال الصاعدة من أولئك المهزومين المضلّلين، الساعين بشتى الأساليب الماكرة والمخادعة والنوايا السيئة، إلى سلب الشباب والناشئة من عناصر قوتهم ومعالم عزتهم، وتجريدهم كلياً من أية نوازع دينية ومعنوية. إنّ أولئك المعترضين، يعتبرون إقامة مجالس العزاء الحسيني، والتي تذكر فيها مصائب المظلومين، وتفضح فيها جرائم الظالمين، تستهدف الطغاة والمستبدين في كل عصر. من أجل هذا فإنني أدعو شبابنا إلى عدم الانخداع بهذه المكائد الخائنة. إنني أعلن بصراحة بأن كلّ من يثير مثل هذه الفتن، ويشيع بأننا مجرد شعب بكاء، فهو خائن، ولا بد من ردعه.

فأسياد هؤلاء المرتزقة والعملاء هم الذين يخشون من إقامة هذه المجالس.

ولقد كانوا من قبل قد أوعزوا إلى خادمهم رضا خان (والد الشاه المقبور)، بمحاربة المراسم الحسينية والقضاء عليها كلياً. إنهم في الأساس جاؤوا به وسلطوه على إيران – بعد القاجاريين- لاجتثاث هذه الذكرى وإنهاء العزاء العاشورائي، ومن ثم القضاء على الإسلام المحمدي الأصيل.ولقد زوّده الطامعون الأجانب

بالإمكانات والتعليمات التي ظنوا بزعمهم، أنها قادرة على تنفيذ هذه الدسيسة وحظر إقامة المجالس التأبينية أيام محرم وصفر.

ينبغي لشبابنا الرسالي، أن يعوا هذه المخططات، وعليهم أن يتفاعلوا بقوة مع مجالس العزاء الحسيني التي تستعرض المظالم والآلام التي نزلت بأهل البيت عليهم السلام وأنصارهم والسائرين على نهجهم عبر التاريخ. لأن هذا الاستذكار السنوي يحمل في طياته جوانب سياسية واجتماعية جمّة، تضع الناس أمام حقائق الدين والمسؤوليات الشرعية التي يجب حملها لنصرة الحق ومكافحة الباطل.

□ سيدي ماذا يمثل النداء الحسيني وعاشوراء؟

□□ إنّ نداء سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، هو نداء كلّ عصر. وإن الذين يخالفون إقامة الشعائر في أيام محرم وصفر بدعوى أنها مراسم لا تواكب العصر، أقول لهم: إن هذه الشعائر تتجدّد باستمرار تقارناً مع منجزات الحضارة الإنسانية الآخذة بالتطور يوماً بعد آخر. بل إنّ نداء التقدم والتطوّر، لهو نداء سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام، ذلك النداء الذي ما انفكّ مدوياً منذ عاشوراء ٦١ هجري حتى الآن وفي المستقبل.

إنني أحذّر أولئك الذين يرفعون شعار عدم جدوى إحياء مجالس العزاء الحسيني وأقول لهم: إن هذا شعار خطير جداً، لأن مُطلقيه اليوم، هم أنفسهم الذين وقفوا من قبل بالمرصاد بوجه علماء الدين الرساليين، ووقفوا بوجه الجامعات والعمال والفلاحين، ذلك لأنهم يهدفون بذلك إلى إذلالنا ونهب ثرواتنا.

من هنا فإنَّ روح الأخوة والمودة والتعاون التي تقوى بين أبنائنا خلال تخليد ذكرى عاشوراء وإقامة مراسم العزاء الحسيني، هذه الروح تمثل أكبر ظاهرة سياسية واجتماعية ومعنوية في العالم أجمع، لأن القلوب الطيبة، تتحد خلال هذه المناسبة، وعلينا أن نَعرِفَ قدر هذه النعمة، كونها تعتبر ضمانة لنا لتحقيق الانتصارات الكاملة في كل زمان ومكان.

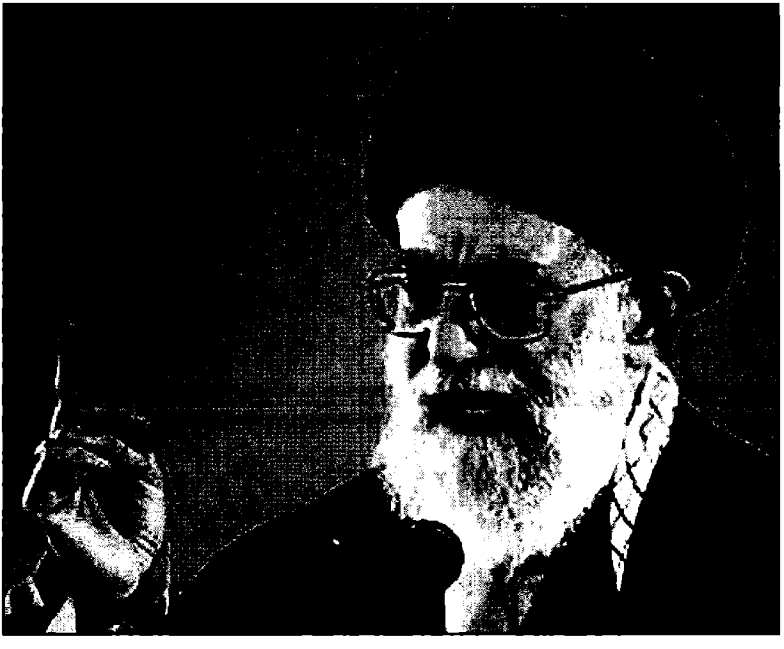

ولي أمر المسلمين وقائد الثورة الإسلامية

سماحة آية الله العظمى الإمام السيد علي الخامنئي دام ظله

النهضة الحسينية
في فكر القائد الخامنئي (دام ظله)(*)

□ سماحة السيد القائد كيف تقرأون قضية عاشوراء.؟

□□ إنّ قضية عاشوراء التي أتحدث عنها بهذه العجالة- لم تكن واقعة تاريخية بحتة، بل هي ثقافة وحركة مستمرة، وقدوة فذة ورائعة للأمة الإسلامية. إنّ الإمام الحسين عليه السلام إستطاع من خلال نهضته -التي كان لها في ذلك الوقت دافع عقلاني ومنطقي واضح جداً- أن يرسم نموذجاً ويجعل منه إرثاً خالداً للأمة الإسلامية.

إنّ هذا النموذج لا يتمثّل في السعي لنيل الشهادة فحسب، بل هو أمرٌ متداخل ومعقد وعميق جداً. إن لنهضة الإمام الحسين عليه السلام ثلاثة عناصر هي: المنطق والعقل، والحماسة المتوائمة بالعزة، والعاطفة.

إن عامل المنطق والعقل في هذه النهضة يتجلّى من خلال كلمات الإمام العظيم، فكل فقرة من كلماته النورانية التي نطق بها عليه السلام -سواء قبل نهضته، عندما كان في المدينة، وإلى يوم شهادته- تعرب عن منطق رصين خلاصته: إنّه

(*) النص تم تحويره من خطاب ألقاه ولي أمر المسلمين سماحة الإمام الخامنئي (دام ظله الوارف) عشية شهر محرم ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦/١/٢٥. استعداداً لتخليد ذكرى عاشوراء. ولا بد من تنويه هنا بأن للسيد القائد (دامت بركاته) مؤلفات ونتاجات فكرية وعلمية متميزة في تحليل ثورة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وتفسير أبعادها، يمكن الرجوع إليها في الكتب والمراكز الثقافية. على أنني أكتفيت بهذا النص انطلاقاً من كونه خطاباً إرشادياً وتوجيهياً يصلح لأن يكون مفتاحاً للتعرف على فلسفة عاشوراء وطريقة عرضها للمتلقين بشكل مقنع ومطلوب. (المؤلف).

عندما تتوفر الشروط المناسبة فإنه يتوجّب على المسلم تحمّل المسؤولية، سواء أدّى ذلك إلى مخاطر جسيمة أم لا. وإنّ أعظم المخاطر تتمثل في تقديم الإنسان نفسه وأعزاءه وأهل بيته المقربين –زوجته وإخوانه وأولاده وبناته- إلى أرض المعركة وفي معرض السبي قربة إلى الله تعالى.

إنّ مواقف عاشوراء هذه أصبحت أمراً طبيعياً لكثرة تكرارها، مع أنّ كل موقف منها هو لوحده يهزّ الأعماق. وبناءً على ذلك، فعندما تظهر الظروف المستلزمة لمواجهة هذه المخاطر، فإن على الإنسان أن يؤدي وظيفته، وأن لا يمنعه عن إكمال مسيرته، التعلق بالدنيا وطلب الملذات والمجاملات والخلود إلى الراحة الجسمانية، بل عليه أن يتحرك لأداء واجبه. لأنه خلاف ذلك إذا تقاعس الإنسان عن التحرك نتج عن ذلك اهتزاز في أركان إيمانه وإسلامه، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ولم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله".

إن هذا هو المنطق، فلو أن أصل الدين تعرض إلى خطر –كما حصل في فاجعة كربلاء- ولم يُغيّر ذلك بقول أو فعل، كان على الله أن يبتلي الإنسان اللاأبالي وغير ملتزم بما يبتلى به العدو المستكبر والظالم. ولقد بيّن الإمام الحسين عليه السلام هذه المسؤولية من خلال كلماته المختلفة- في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي أماكن كثيرة خلال مسيره، وبيّن ذلك في وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية.

لقد كان سيد الشهداء عليه السلام على علم بعاقبة هذا الأمر، وينبغي أن لا يُتصور أنّ الإمام الحسين عليه السلام علق آمالاً للحصول على السلطة ـ وإن كانت هذه السلطة من الاهداف المقدسة لأيّ مصلح ـ أو أنه تحرّك من أجل ذلك، كلا، فليس هناك رؤية فكرية تستوجب علينا أن نعتقد بذلك؛ لأنّ عاقبة هذا التحرك متوقعة وواضحة طبق الحسابات الدقيقة للإمام الحسين عليه السلام ورؤيته كإمام. إلا أن أهمية المسألة تتأتى من هذا الجانب، وهو إنّ شخصاً يمتلك روحاً عظيمة كعظمة روح الإمام الحسين عليه السلام يتعرض لما تعرض له من التضحية بالنفس، والاستدراج إلى ساحة الحرب، فإن هذا يعتبر درساً عملياً بالنسبة للمسلمين إلى يوم القيامة، وليس درساً نظرياً يُكتب في لوح ثم يُمحى، فقد خُطّ هذا النهج بأمر إلهي على جبين

التاريخ، ونودي به، وأدى ثماره حتى يومنا هذا، وإلى الأبد.

إنّ نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في محرم عام ١٩٦٢ م التي نتجت عنها واقعة الخامس عشر من خرداد العظيمة، استُلهمت من ثمار التطبيق العملي لدرس عاشوراء، وكذلك في محرم ١٩٧٨م استلهم إمامنا العزيز نهضته منها حين قال: (لقد انتصر الدم على السيف)، وقد أدّت هذه الحادثة التي ليس لها نظير في التاريخ- إلى انتصار الثورة الحسينية الإسلامية، هذا ما تحقق في عصرنا، وأمام أعيننا، وإنّ راية الفتح والظفر التي حملها الإمام الحسين عليه السلام ما فتئت مرفوعة وماثلة للشعوب على مرّ التاريخ، ولا بد أن تكون كذلك في المستقبل، وهو ما سوف يكون إن شاء الله تعالى.

هذا جانب المنطق العقلاني والإستدلالي لحركة الإمام الحسين عليه السلام وبناء على ذلك، لا يمكن حصر تفسير نهضة الإمام الحسين عليه السلام في جانبه العاطفي فقط، فهذا الجانب غير قادر لوحده على تفسير أبعاد الواقعة.

العنصر الثاني: الحماسة: أي أنّ العملية الجهادية الملقاة على عاتقنا، يجب أن تقترن بالعزة الإسلامية؛ لأنّ المولى تعالى يقول: ﴿ ولله العزة ولرسوله والمؤمنين ﴾ [المنافقون، ٨]، وعلى المسلمين في نفس الوقت الذي يتحركون فيه نحو الهدف، ويتحمّلون المسؤولية الجهادية، أن يحافظوا على عزّتهم ورفعة دينهم، ولا بدّ أن يتحلّى الفرد المؤمن بسمات الشموخ والعزة في أشدّ الأزمات. فلو نظرنا إلى الصراعات السياسية والعسكرية المختلفة في تاريخنا المعاصر، فإننا سوف نجد أنه حتى أولئك الذين كانوا يحملون السلاح ويقتحمون غمار الحروب، يُعرّضون أنفسهم أحياناً إلى مواقف مُذِلّة، إلا أنّ هذه الحالة لا وجود لها في فلسفة عاشوراء، فعندما يطلب الإمام الحسين عليه السلام أن يمهلوه ليلة واحدة، يطلبها من موقع العزّة، وفي الوقت الذي يقول: (هل من ناصر ينصرنا) طالباً النصرة، فإنه يطلبها من موقع العزّة والشمم، وعندما كانت تلتقي به الشخصيات المختلفة في الطريق بين المدينة والكوفة، ويتكلم معها ويطلب النصرة من بعضها، فإنه لم يكن يبادر إلى ذلك من موقع الضعف أو العجز أو عدم القدرة. إن هذا هو أحد العناصر البارزة في نهضة عاشوراء.

إذن ينبغي أن يُطبق عامل الحماسة مقروناً بالعزّة في جميع الحركات الجهادية المدرجة في جدول أعمال سالكي طريق النهضة الحسينية، وأن تكون جميع الممارسات الجهادية ـ سواء كانت سياسية، أو إعلامية، أو المواقف التي تستدعي التضحية بالنفس ـ منطلقة من موقف العزّة.

انظروا إلى شخص الإمام الخميني (قدس سره) في يوم عاشوراء عندما كان في المدرسة الفيضية[1]: فقد كان رجل دين، ولم يكن يمتلك شيئاً من أسباب القوة العسكرية، أو أي شيء من هذا القبيل، إلا أنّه كان يتمتع بشخصية لها من العزّة والإباء ما يجعل العدو يركع ويجعله صاغراً أمام قوة بيانه أيام كان يخاطب الشعب. إن هذا هو تأثير العزّة. هكذا كان الإمام الخميني (قدس سره) في تلك الظروف، وحيداً، فريداً، ليس له عدّة ولا عدد، إلا أنه كان عزيزاً، وهذه هي شخصيته العظيمة، وإننا نشكر الله تعالى الذي جعلنا في زمان تمكنّا فيه من الرؤية العينية المباشرة لنموذج عملي، لما كنا نردده ونقرأه ونسمعه كثيراً عن واقعة كربلاء، وهذا النموذج هو إمامنا الخميني العظيم (قدس سره الشريف)..

العنصر الثالث: العاطفة: أي أنّ للعاطفة دوراً مميزاً في نفس واقعة كربلاء وفي استمرارها، أدّى إلى إيجاد جسر وممرّ بين النهضة الحسينية والشيعة من جهة، وبين النهضات الأخرى من جهة ثانية. فواقعة كربلاء ليست قضية جافة تقتصر على الاستدلال المنطقي فحسب، بل هي قضية اتّحد فيها الحب بالعاطفة والعِبرة بالبكاء.

إنّ الجانب العاطفي جانب مهم؛ ولهذا أُمرنا بالبكاء والتباكي، وتفصيل جوانب الفاجعة لدى استذكار واقعة عاشوراء، فلقد كانت زينب الكبرى عليها السلام تخطب في الكوفة والشام خطباً منطقية، إلا أنها في نفس الوقت أقامت مآتم العزاء، وقد كان الإمام السجاد عليه السلام ينزل بقوة وصلابة كالصاعقة على رؤوس بني أمية عندما يصعد المنبر ويخطب أمام الناس الذين غُرِّر بهم، إلا أنه كان يعقد مجالس العزاء في الوقت نفسه حزناً على شهداء كربلاء.

---

[1] كبرى المدارس الدينية المعروفة باسم الحوزة العلمية في مدينة قم المشرّفة.

إنّ مجالس العزاء مستمرة إلى يومنا هذا، ولا بد أن تستمر إلى الأبد؛ من أجل إثارة العواطف، فمن خلال أجواء العاطفة واللوعة والاعتبار، يمكن أن تُفهم كثير من الحقائق، التي يصعب فهمها خارج نطاق هذه الأجواء. إن العناصر الثلاثة للنهضة الحسينية تعتبر من الأركان الأساسية لمنظومة عاشوراء، هذا على مستوى التحليل، وهي تعد واحدة من جوانب تضحية سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، إلا أن هذا الجانب يشتمل بالنسبة لنا على دروس عملية كثيرة جديرة بالتطبيق على الدوام.

□ **سيدنا ما هو المغزى من إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام؟ ما هي فائدة هذا التخليد على المستوى الإسلامي العام؟**

□□ في الواقع ونحن إذ نؤكد على استذكار عاشوراء سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وتخليد شخصيته العظيمة، فإننا نعتبر هذه الممارسة، الفرصة المغتنمة والمناسبة التي يمكن من خلالها التبليغ للدين الإسلامي في جميع مناحيه. وينبغي أن يكون لكل عنصر من العناصر الثلاثة الآنفة الذكر؛ أي (المنطق والعقل، والحماسة، والعاطفة)، دور في تبليغنا للدين.

فكما يُعدُّ حصر الاستذكار في الجانب العاطفي والتغافل عن الجانب المنطقي والعقلي الكامن في واقعة كربلاء، تقليلاً من قيمتها، كذلك فإن الفصل بين عن الجانب الحماسي والعزّة، هو أيضاً تقليل من قيمة الواقعة، وضياع لمجموعة من الكنوز الثمينة الزاخرة فيها. فيجب على الجميع ـ قارئ العزاء، والخطيب المنبري، والناعي ـ أن يلاحظ ذلك. ويأخذ بعين الحسبان ما معنى التبليغ؟ إنّ التبليغ يعني وجوب إيصال فكرة، لكن إلى أين؟ هل إلى آذان المستمعين؟ كلا، بل إلى قلوبهم. إنّ بعض المبلغين لا يتمكنون من إيصال أهدافهم ورسائلهم ومقاصدهم حتى إلى الآذان، فضلاً عن القلوب، بل إنّ المسامع لا تتحمّلُ ما يقولون أحياناً ولا تتقبله، فالسمع عندما يستقبل شيئاً، يحوله إلى الدماغ، وعندما لا يكون الخطاب مفهوماً وبليغاً فإن نتائج التبليغ قد تكون معكوسة أو حتى مسيئة أحياناً.

لا بد أن لا تنتهي القضية عند هذا الحد، بل ينبغي أن تنفذ الكلمات إلى القلب وتترسخ فيه، بحيث تنجذب شخصية المتلقي والمستمع إلى شخصية المبلغ،

هذا هو دور عملية التبليغ. إننا لا نؤدي الوظيفة التبليغية من أجل الحديث فقط بل من أجل إيصال المادة التبليغية إلى قلب المستمع حتى يصير مشحوناً بالمعنويات ويكون أهلاً لتحمل المسؤوليات والواجبات الدينية والإسلامية.

□ لكن سماحة القائد ما هي مكونات المادة التبليغية خلال استذكار المأساة الحسينية وملحمة كربلاء؟

□□ بدقة متناهية أقول: إن مكونات المادة التبليغية هي عبارة عن المبادئ والقيم الإسلامية، التي ضحى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام بنفسه وحرمه وأهل بيته والتي خطها خاتم الأنبياء الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وجميع أنبياء الله عليهم السلام وأوليائه الصالحين، وكان مظهرها أبا عبد الله الحسين الشهيد عليه السلام. إذن نحن نريد أن نقوم بتبليغ المنطق والقيم والأخلاق الإسلامية السامية وبناء الهوية الإنسانية على أساس الدين وبناء شخصية المستمع والمتلقي بناءً إسلامياً.

□ سماحة السيد القائد ما هي الأهداف المرجوة للتبليغ والتي ينبغي تحقيقها عملياً على أرض الواقع؟

□□ إنني أعتبر أنّ تشكيل الحكومة الإسلامية من أهم الأعمال، وهذا لا يعني أن نغفل صيانة الهوية الإنسانية للأفراد ـ الأشخاص الذين نتعامل معهم فرداً فرداً ـ فإنّ هذا من أهم الأمور. إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بدأ ببناء الإنسان ـ بناء اللبنة الأساسية ـ وعندها استطاع أن يحمّله مسؤولية بناء الإسلام. فالنبي صلى الله عليه وآله لم يغفل في جميع الأحوال ـ في قلب المعركة، وفي مرحلة البناء، وفي حالة العبادة، وعند التحدث إلى الناس وعلى مدى تلك الأعوام العشرة ـ التي كانت بمثابة مائة سنة لما اشتملت عليه من مهام عظمى. لم يغفل عن بناء هوية مستمعيه، بل كان صلى الله عليه وآله يقوم برسم هوية الإنسان حتى عند جعجعة الحروب الشديدة كحرب الأحزاب، وبدر وأحد.

لاحظوا آيات القرآن الكريم، ستجدون إنّ أهم أهداف التبليغ هو بناء الإنسان. لكن علينا هنا ألاّ نصطدم بمسألتين:

الأولى: عدم إغفال طرح القضايا السياسية في دائرة كلامنا وأقوالنا وسعينا وجهادنا التبليغي، وهذا ما صرف عليه الأعداء الأموال خلال عشرات السنين. إلا أنّ مجيء الثورة الإسلامية وانتصارها أدّيا إلى تبديد هذه المخططات والأوهام ونسفها من الوجود، فقد أدخلت الثورة الأقوال والأفكار السياسية في مجال النشاطات الدينية.

الثانية: عدم التصوّر بأنّ كل ما يقال من على المنبر التبليغي، عند مخاطبة المؤمنين، هو الجلوس والتحدث في قضايا أمريكا وإسرائيل والتحليل للمسائل السياسية، .كلا، فإذا لم يكن هناك مسائل ذات أهمية قصوى فهناك مسائل أخرى مهمة، وهو تطهير قلب المستمع والمخاطب. ينبغي للخطباء إصلاح الناس وإرواء قلوبهم وأرواحهم وأفكارهم، وهذا ما يحتاج إلى رصيد معنوي. نحن أيضاً لابُدَّ أن نمتلك جوانب معنوية حتى نستطيع التأثير في المستمعين والمتلقين، وبدونهما لا يمكن تحقق ذلك.

ولا بد أن يشتمل هذا الخزين المعنوي على عنصري الفكر والمنطق، وعلينا أن نتسلّح بهما، لكي لا نتفوه بالكلام الضعيف، ولقد صدق من قال: "إنّ اكثر الهجمات تأثيراً، هي التي يقابلها مقاومة مبتورة وضعيفة"، وهو كلام دقيق، فعندما يكون الدفاع عن الدين ضعيفاً ورخواً يكون الوقع السلبي لهذا الدفاع أشد على الدين مما لو هجم عليه، فعلينا أن نستعين بالله على ذلك. يجب أن لا يشتمل كلامنا ومنبرنا وتبليغنا ـ العملية التبليغية التي نقوم بها ـ على كلام هش، لا رصانة فيه، ولا محتوىً باعث على شحذ الهمم وتعزيز روح الاستقامة، فليس من العيب أن نطرح بعض المطالب التي نجدها أحياناً في كتاب وليس لها سند، كأن تكون حكمة أو من المسائل الأخلاقية التي لا تحتاج إلى سند، إلاّ أنّ العيب في أن نطرح مسألة بعيدة أو غريبة عن ذهن المستمع، ويصعب عليه فهمها؛ لأنها سوف تنفره من أصل الموضوع وتؤدي إلى الحطّ من هيبة الدين والمبلّغ معاً. إذن فإنّ العملية تستوجب امتلاك آلية المنطق والاستدلال العلمي ومن ثم معرفة الطريقة المثلى لاستخدامها، وجعلها وسيلة جذب وقبول لا تنفير وإبعاد، فالمنطق هو عنصر أساسي في التبليغ ولا سيما خلال مجالس العزاء الحسيني.

□ **سماحة القائد هذا يستدعي - إذاً - أن تكون هناك مؤهلات خاصة يمتلكها المبلّغ أو الخطيب الحسيني. أليس كذلك؟**

□□ قبل كل شيء على المبلّغ مراعاة سلوكه، حركاته، سكناته، أسلوب معاشرته مع الناس، قوة عبادته، الابتعاد عن الملذات الدنيوية وبخاصة مأكله ومنامه. على المبلغين وخَدَمة الدين الحنيف، أن يكونوا دقيقين ومحتاطين في سيرتهم وممارساتهم، فهذه تعتبر، من أهم وسائل التبليغ التي بخلافها ينقلب الأمر إلى الضدّ، وتؤدي إلى الابتعاد - لاسمح الله - عن الغايات المرجوّة من هذه الواجب الإيماني والأخلاقي، فكيف نتمكن من جعل قلوب الناس في الحياة الاجتماعية تطمئن لكلامنا، والعمل على تقوية ثقتهم بنا، وعندما نتكلم في ذم الإنغماس في الشهوات الدنيوية، وذم التعلق بالمال والإنهماك في طلب الملذات الدنيوية ، في حين قد نكون نحن كذلك على خلاف ما نقول — لا سمح الله- ؟! وكيف يمكن لهذا الكلام أن يؤثر في المستمعين إذا كان الأمر كذلك؟ فهو إما أن لا يؤثر أصلاً، أو يؤثر تأثيراً عابراً، أو يؤثر آنياً، وفي الوقت الذي تنكشف فيه حقيقة أعمالنا، سوف يكون تأثيره معكوساً تماماً، وبناءً على ذلك فإنّ العمل بما نقوله مهم جداً.

□ **ما هو دور طريقة الأداء والإلقاء في هذه العملية التبليغية؟ وتقريب الناس إلى المعنويات؟**

□□ بداية ينبغي أن أؤكد على أنَّ لديَّ قناعة تامة بالمنبر ودوره التغييري والتربوي، فمع انتشار شبكة المعلوماتية (الانترنيت)، والفضائيات، وشبكات التلفزة ووسائل الاتصال الأخرى بكثرة إلا أنه ليس هناك وسيلة من هذه الوسائل تضاهي المنبر، فالمنبر يعني التكلّم وجهاً لوجه، وقلباً لقلب، وهذا له تأثير مباشر وممتاز، ليس له وجود في أية وسيلة من الوسائل الأخرى، فعلينا الحفاظ على المنبر ، فهو وسيلة قيّمة، غاية الأمر يجب أن نتعامل معها بطريقة حِرفية ومهنية متقنة من أجل أن تؤدي غرضها.

سوف أتعرض كذلك إلى مسألة أخرى تتعلق بالعملية التبليغية: في أدعية الصحيفة السجادية يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في أحد الأدعية التي يناجي بها ربّه: " تفعل ذلك يا إلهي بمن خوفه أكثر من رجائه لا أن يكون

خوفه قنوطاً"، هذا المعنى يمثل بياناً رسمياً وقانوناً، ولذلك يجب على المبلّغين أن ينفثوا روح الرجاء والخوف في القلوب، على أن يكون الخوف أكثر من الرجاء. فمن الخطأ عند التعرض إلى آيات الرحمة الإلهية ـ حيث أنّ بعض هذه الآيات مختصة بمجموعة معينة من المؤمنين ولا تشمل الجميع ـ وإن إلقاءها بشكل عام ربما تؤدي إلى غفلة البعض فيتصوروا ـ بسبب حالة معنوية وهمية ـ إنها تشملهم، وأنهم قد وصلوا إلى أعلى درجات المعنوية، فيغفلوا بذلك عن أداء واجبات الدين الضرورية عند التطبيق. إنّ البشارة في القرآن الكريم خاصة بالمؤمنين، أما الإنذار فهو للجميع. فالمؤمن والكافر هما محلّ للإنذار معاً.

كان رسول الله ﷺ يبكي، فقال له أحدهم: يا رسول الله، إنّ الله تعالى يقول: ﴿ليغفر لكَ اللهُ ما تقدَّم من ذَنبكَ وما تأخَّر﴾ [الفتح، ٢]. فما هو سبب بكائك؟ قال: (ألا أكون عبداً شكوراً)؛ أي أنه؛ لو لم أشكر هذه المغفرة. فسوف تنهار القواعد الأساسية لهذه المغفرة، فلا بد أن يكون الإنذار هو المسيطر على قلوبنا وقلوب مستمعينا في جميع الأحوال. إن طريقنا، طريق شاق وصعب. فعلى الإنسان أن يهيئ نفسه لقطعه والوصول إلى نهاية المطاف، وإنّ العمل التبليغي عمل عظيم، وهو عمل حساس ومؤثر، ونحن نرى اليوم بركات الجهود التبليغية التي بذلت في السابق، وإن شاء الله سينتفع المجتمع من بركات هذه الأعمال التبليغية في المستقبل.

□ **سيدنا، كيف يمكن للعامل التبليغي أن يحاكي عقول الشباب ولا سيما وسط التجاذبات الفكرية والاجتماعية التي يعيشونها في الوقت الحاضر؟**

□□ إن تأثير التبليغ ليس من تأثير اللحظة وآنياً، بل هو بعيد الأمد، فعلى المُبلّغ أن لا ييأس عندما يرى بعض الظواهر التي توحي بأنها ليست من خصائص الدين، إنّ بعض الممارسات الرامية إلى إبعاد الشباب عن الدين، هو ضرب من الحرب النفسية، فإنّ واقع الأمر هو على خلاف هذه الأوهام؛ لأنّ شبابنا متمسكون بالدين وقلوبهم متعطشة للنهل من حقائق الدين، وكل شاب هو سليم الفطرة طبعاً وهذا الأمر ليس محصوراً في بلدنا فقط. لكنني أقول: إنّ الأرضية هنا مهيأة ـ ولله الحمد ـ فشبابنا توّاقون للنهل من الدين، ولا بد من إرواء رغباتهم

الروحيةَ، وإشباعها بالحقائق الإسلامية والشحنات المعنوية والأخلاقية. إنَّ ثمار هذا التبليغ سوف تؤتي أكلها، وسوف يجني المجتمع فوائد هذه النشاطات التبليغية في المستقبل. وإنني أسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من الشاكرين لهذه النعمة التي قيَّضتها لنا ثورتنا الإسلامية، نعمة التبليغ للإسلام العظيم والقيم الإلهية السامية، وهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وأن يوفقنا إلىالنجاح والفوز في أداء مهامنا الصعبة.

المحور الأول:

المدخل

إلى دراسة فكر الثورة الحسينية

من المؤكد أن الثورة الحسينية انطوت على منظومة فكرية عقائدية كبيرة هي الاستلهام الحقيقي لفكر الرسالة الإسلامية ومفجرها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، لهذا كانت الثورة التجسيد العملي الأكبر لمعنى ومضمون وحدود الرسالة الإسلامية. ومن هنا كان لا بد من دراسة أبعاد فكر الثورة الحسينية للتعرف على أبرز تجلياته العملية وخصوصياته العقائدية:

وقد وجّهنا في إطار منهجية هذا الكتاب سؤالاً محورياً يتعلقُ بخصائص فكر الثورة الحسينية وأبعادها في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والنفسية في الحياة الإسلامية. وقد تفضّل نخبة من الأساتذة والمفكرين بالإجابة عليه.

أمّا السُؤالُ الأساسيُ محور النقاش فهو:

- ما هي تصوراتك لدراسة فكر الثورة الحسينية وتدريسه في إطار معالجة قضايا الفكر الإسلامي ومعالجة مشاكل الأمة في راهننا المعاصر؟

فإلى الإجابات:

آية الله السيد مجتبى الحسيني(*):

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام في الحقيقة، لم تكن ثورة مؤسَّسة على المسألة الحربية وإنما هي ثورة تصحيح للقضية.. بعد أن بعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالرسالة وأوضح المعارف الإلهية للأمة وغادر الدنيا إلى جوار ربه، دخل الإنحراف إلى المجتمع الإسلامي شيئاً فشيئاً. والسبب الأصلي لهذه المسألة موجود في الروايات. فثمة أحاديث عنه جاء ببعضها قوله: "وكل من اتخذ عروة التبس الناس بالتي تليها؛ أولها الحكم وآخرها الصلاة". وهذا يعني أنه يمكن التنبؤ بأن الأشخاص الذين كانوا يترصدون لهذه الثورة أقاموا انحرافاً، والإنحراف مسألة طبيعية في كل مذهب ودين، وفي كل حركة إصلاحية، فبعد أن يرحل المصلح تتجه هذه الحركة تدريجياً نحو الإنحراف وهكذا فإن مسألة إعادة البناء والتجديد والصيانة هي أهم من أصل الثورة. وقد جاء في بيانات الإمام الخميني قدس سره هذه الفكرة ذاتها، من أن صيانة الثورة أهم من الثورة نفسها وأكثر حساسية.

كان عمل الرسول صلى الله عليه وآله بمنزلة ثورة في عالم البشرية، والتحول الأساسي الذي أحدثه الرسول في العصر الجاهلي كان ثورة. كما أن الثورة كانت بحاجة إلى الصيانة، وليست صيانة هذه الثورة ممكنة إلاّ بواسطة شخص يمكنه العمل كالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وذاك هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن ما ذكره الله تعالى من انك ﴿إن لم تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾، يعني أن استمرار هذه الرسالة لن يحصل، وأن دوام هذه الرسالة مرهون بوجود مثل أمير المؤمنين عليه السلام.

فمن نبوءات الإسلام التي تحققت: قيام الدولة الإسلامية: إنه نظام حكومة أبو الأعلى المودودي الذي كتب "خلافت وملاكيت" بمعنى "الخلافة

(*) عضو مجلس خبراء القيادة في إيران ـــ ممثل الإمام الخامنئي (دام ظله) في سورية.

والملكية"، ويبحث المسألة بحثاً تاريخياً، وقرر أن الخلافة أنجرّت إلى الملكية، وبعدئذٍ إلى ملكية فخمة، وأن هذا كان إنحرافاً تم التنبؤ به، وقد وقع للأسف. ومن الطبيعي أن ثمة مسألة نلاحظها – في بحث الوضع الاجتماعي لزمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله - في بيانات وخطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام. حيث أن لحضرتها تحليلاً نفسانياً – اجتماعياً قيماً يتعلق بما قبل الإسلام وما بعده. كما أن الأمر ورد أيضاً في عدة مواقع من "نهج البلاغة". كما أنّ هناك تحليلاً إجتماعياً يقول إنه كان لدينا قبل الإسلام مجتمع جاهلي، ولكن هذا المجتمع الجاهلي لم يكن جاهلاً كله، كان بعض أهله سياسيين متضلعين. إن علينا أن نميز بين من كانوا في مكة المكرمة كأبي سفيان، وأشخاص آخرين كانوا يرون أنفسهم مفكرين، لكنهم كانوا يبحثون عن الوجاهة ويسعون وراء المقام، وكان لديهم ارتباط بجهات مختلفة. لا يمكن القول بأن هؤلاء كانوا أشخاصاً بسطاء. كما لا يمكن مقارنة هؤلاء بالأعراب البدو- الذين هم في غاية السذاجة وبالغي الجهل. وقد كان هؤلاء أكبر بكثير من خطر أولئك. إن هؤلاء – ببساطة- عندما يعرفون الحق وتتغير الظروف يقبلون جماهير حاشدة على الإسلام ﴿إذا جَآءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ ورأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ في دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً﴾. فبعد فتح مكة – إذ صار الجو جواً إسلامياً وترسخت سلطة الرسول الأعظم في الجزيرة العربية- آمنت عامة الناس بالدين الإسلامي، بكل يُسر. وعلى هذا فقد كان عندنا جماعة من المؤمنين الذين كانوا أفراداً متدينين حقاً وتقبلوا الإسلام من أعماق وجودهم وأدركوا الإسلام وعرفوه وجدانياً أو عقلياً، وكان هؤلاء هم الفئة القريبة من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

كما كان ثمة أيضاً عدد قليل من الأفراد المفكرين والساسة الذين كان إظهارهم للإسلام بدافع الطمع وحب الوجاهة والوصول إلى المراكز. هؤلاء كانوا يحسّون بأنه – سواء شاؤوا أو أبوا- فإن هذا الرسول سينال التوفيق ويزداد نجاحاً. ولم تكن الجاهلية بالنسبة لهؤلاء أمراً ذا شأن مهم، بل كان الجاه هو المهم، ولهذا جاهروا بالإيمان وتابعوا الرسول... ونلاحظ هذه المسألة في أية حركة ثورية..

وقد شاهدنا كيف أنه – عندما بلغت ثورة الإمام الخميني قدس سره أوجها، تجمع بعض الإيرانيين من جميع أنحاء الدنيا، بما فيها من الولايات المتحدة، ممن

يدعون أنهم مثقفون، حول الإمام وجاؤوا مع الإمام إلى إيران. وكيف أن شعاراتهم كانت أكثر حرارة من شعارات الآخرين. وقد بالغوا بالأمور بحيث حصلوا على أحد عشر مليون صوت من أصوات الشعب.. ولكن دوافعهم كانت البحث عن المراكز الطبقية.

لقد تجمع أولئك الأشخاص حول الرسول الأكرم ﷺ، وما ورد في القرآن حول المنافقين يتعلق بهؤلاء الأشخاص إلى حد كبير. كقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾[المنافقون، ٤]؛ إلى هذا الحد كانت لديهم جاذبية.

إن أولئك الأشخاص الذين أظهروا الإيمان متأخرين، كانوا في البدء في خط القتال والمنابذة ضد الرسول ﷺ، ثم انقلب الوضع: ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة، ٤٨]، أو قوله: ﴿ ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ ﴾[التوبة، ٤٧]. يعني إيجاد مواطئ قدم داخل المجتمع الإسلامي. وعلى كل حال، فقد كان هؤلاء الأفراد فئة أخرى في المجتمع الإسلامي لذلك الزمان. كما أن عامة الناس أسلموا بقلوب نقية وفكر بسيط، كالأمواج، وهو ما عبَّر عنه القرآن بقوله ﴿أفواجاً﴾، أي أنهم كانوا حشوداً مكثفة.

ومن الطبيعي أن الأفراد الذين يأتون على هيئة أفواج، ليس إيمانهم تأملاً وتفكيراً، بل هو إيمان عاطفة، إيمان أحاسيس. وعلى هذا فقد كان المجتمع على هذا النحو. لم تكن لدى الرسول الأكرم ﷺ فرصة توعية هؤلاء الناس فكرياً وتغيير أفكارهم كلياً. وبعد الرسول الأكرم ﷺ عندما تغيرت الأحوال لم يكن هؤلاء بالطبع قادرين على التمسك بإيمانهم — وهم عامة الناس الذين لم يروا النبي ﷺ، أو قد يكونوا رأوه مرة واحدة — ولم يعرفوا عشق الإسلام ولا عاشوا في الجو العام، وكان ممكناً أن ينحرفوا بيسر، فقد كانت عندهم أرضية للإنحراف.

كما أن ثمة أمثلة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد، يقول فيها إنه لم يذكر حججه الأصلية في مطالبته بالخلافة لأن الناس كانوا حديثي العهد بالإسلام. وتعبير حديث العهد ينطوي على مسألة جديرة بالإهتمام تحثنا على

إدراك أنه كان طبيعياً أن ينحرف ذلك المجتمع. ولهذا نعرف أنه خلال خمسين سنة كان المجتمع الفدائي في زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مستعداً للتضحية بآخر قطرة من دمه في سبيل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله. لكن يبلغ الأمر بالمجتمع إلى حدّ أن ابن الرسول صلى الله عليه وآله ، ذاك الذي رأوا جميعاً وجه الرسول في وجهه ، وكثرة أقوال الرسول فيه ، يقتل على أيديهم.

لقد قتلوا الإمام الحسين عليه السلام على أسوأ نحو ، هو وأصحابه.. وكان هذا انقلاباً كبيراً. في ضوء ذلك الجوّ فإن الإمام الحسين عليه السلام لم يخرج من أجل تأسيس فكر معين وإنما لصيانة هذا الفكر. وتصحيح الفكر يعني العودة إلى ذلك الإسلام النقي الذي أتى به الرسول صلى الله عليه وآله وتطبيقه ، ولهذا ففي إعلانه عندما خرج من المدينة قال الإمام الحسين : "لم أخرج أشِراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً". هذه المحاور الأربع التي تكون عادة مسوغاً لتمرّد الأفراد : فإما أن يثوروا من أجل الجاه والمقام ، أو من أجل الوصول إلى الدنيا ومالها وسلطتها ونحو ذلك ، أو من أجل الإفساد فثمة البعض ممن لا أمل لهم في الجاه والمقام ، لكن الفساد بحد ذاته مطلوب عندهم. وكما نلاحظ فإن كثيراً من المعارضات في الدنيا على هذا النحو ، أي أنها معارضة لا من أجل الوصول إلى مركز ما ، فهي يائسة ، ولكن مجرد إيجاد الفساد يعني لها شيئاً ما. و"ولا ظالماً" ، أي أن هدف غضبي وتوجيهي ليس الطرف المقابل ، وإنما "خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي" : ليس تأسيساً جديداً ، بل إصلاح. خرجت من أجل طلب الإصلاح في أمة جدي. خرجت لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. والمعروف والمنكر كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد بينهما. "ما من شيء يقربكم إلى الجنة إلاّ وقد أمرتكم به وما من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد نهيتكم عنه". لذا فإن "طلب الإصلاح في أمة جدي" يعني أنني خرجت لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأبي علي بن أبي طالب.

وعليه ، فإنَّ ملاحظة هذه المسألة وبملاحظة أن الإسلام يحتاج على الدوام إلى الصيانة والتصحيح في المجتمع الإسلامي لأنه يقاد على الدوام نحو الإنحراف ، فإن إعادة بناء الإسلام وتجديده وتجديد فكره وتوجيهاته مبدأ إسلامي كما يسميه

الإمام الخميني إن الإسلام المحمدي الأصيل بحاجة على الدوام إلى عمل دؤوب، ويمكن لهذا العمل أن يكون خير درس في ظل فكر الخميني الراحل قدس سره وإحياء فكر أبي الشهداء الحسين عليه السلام، إن كل إصلاح يجب أن يتم من أجل إزالة الإنحراف، وهذا ما يفسر الحديث النبوي الشريف: "أهل بيتي لأمتي".

العلاّمة السيد محمد الموسوي(*):

دراسة وتدريس فكر الثورة الحسينية سوف يفتح أمام المسلمين آفاق النهج النبوي في مقارعة الظلم والتصدي للظالمين. إن من أهم أسباب التخلف الذي عانت وتعاني منه جماهير كثيرة من المسلمين هو تغييب هذا النهج النبوي ومحاولة تشويه هذا النهج بفتاوى التبرير للحاكم الظالم، والتي نشأت تحت وطأة وتأثير الحكومات الجائرة التي توالت على حكم المسلمين في فترات غير قصيرة وحاولت أن تؤسس لثقافة الخنوع للحاكم كيفما كان. هذه الثقافة التحريفية هي التي أشاعت أن طاعة الحاكم وان كان ظالما واجبة كطاعة الله ورسوله، عبر تحريفهم لمعنى الآية القرانية ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾. ولذلك نقطع بأن دراسة مبادئ الثورة الحسينية وتدريسها لعموم المسلمين سيولد زخما تصحيحيا يمكنه أن يرفع مستوى الأمة الأسلامية الى مراتب من العزة والنصر رأى العالم نموذجا منه في جهاد شباب المقاومة الأسلامية في لبنان الذين آمنوا بثورة الحسين عليه السلام ومبادئه الإسلامية السامية التي لا تعرف الخنوع للظالم.

إن تعميم ثقافة الثورة الحسينية بين جماهير المسلمين سيقطع الطريق على الثقافة التحريفية التي تريدها الأنظمة الحاكمة الظالمة. هذا هو من أهم أسباب وقوف الحكومات الظالمة ومن يسير في ركابها ضد نشر هذه الثقافة النبوية الأصيلة.

الدكتور محمود عكام(**):

الثورة الحسينية منهج حياة إنسانٍ ثائرٍ على الطّغيان وساعٍ إلى إزالة الظلم وإبادة الرذيلة.

(*) الأمين العام لرابطة أهل البيت العالمية في إنكلترا.

(**) مفكر إسلامي سوري.

الثورة الحسينية: قدوة القيادة والريادة والسياسة وَفْق معايير الدين الحنيف من قرآن كريم وسنة شريفة، وهي في النهاية امتداد لخط الرسالة في تحقيق الغايات الإنسانية على ضوء الرضا الإلهي، ولا شك في أنها تحمل في طياتها تفاصيل تطبيقية لتنظيرات إسلامية؛ ولذلك أدعو أرباب الفكر الإسلامي بل والفكر الإنساني اعتبارها محك الصحة ومعيار الرشاد لقضاياهم النظرية والعملية، وإنني إذ أقول هذا فأنا أدلهم على مسيرةِ سيد شباب أهل الجنة فهل أنتم واعون ؟!!.

الأستاذ أحمد الحسن(*):

ينطلق فهمنا للثورة الحسينية ومقاصدها السامية من كونها ثورة ضد الظلم والطغيان. وردعاً للبغي والعدوان، وإحقاقاً للحق ونشراً لراية العدل والمساواة. إنها ثورة لتقويم الانحراف عن صراط الدين القويم والعودة به إلى منابعه الأصيلة الصافية، وتحريره من الأوشاب التي طرأت جراء اجتهادات الحكام الباطلة وممارساتهم الخاطئة، التي دفعتهم لتفسير الدين بما يستجيب لأهوائهم الشخصية ونزعاتهم الأنانية الفردية، بغية التشبث بسلطان الحكم وتحويل مؤسسة الخلافة إلى ملك عضوض، وخرق مبدأ الشورى القرآني. ولقد كان لهذا السلوك التحريفي عواقب وخيمة شوهت صورة الإسلام ومبادئه السمحاء.

من هذا المنطلق، ينبغي دراسة أفكار الثورة الحسينية والتركيز على أهدافها الخلاقة بالنهوض بالدين إلى المستوى الذي أراده رسول الله ﷺ وضرورة توظيف هذه الأهداف عقلانياً وليس عاطفياً بما يضمن بقاءها شعلة متقدة، لا يخبو أُوارها على مسار الزمن، تتجدد في أذهان الأجيال المتتالية، تذكي فيهم روح الكفاح والنضال ضد قوى الطاغوت والهيمنة والاستكبار. وضد كل القوى التي تريد أن تحرف الدين عن مساره الصحيح والسليم. وهذه المبادئ والأهداف توحد المسلمين ولا تفرقهم، تجمعهم ولا تجعلهم يختلفون، تختط نهجاً قويماً يقتدي به المسلمون بمختلف انتماءاتهم المذهبية، ويستجيب لطموحهم في بناء مجتمع

(*) وزير الإعلام السابق في سورية.

إسلامي يتفتح فيه عقل الإنسان وتزدهر شخصيته ازدهاراً حقيقياً يمكنه من التفاعل مع المجتمعات الأخرى، يعطيها بما لديه من ثقافة ومعرفة وخبرة، ويأخذ منها ما يفتقر إليه في مجالات قصرت معرفته في التفوق فيها، وبذلك يكون المسلم نموذجاً للمجتمع الإسلامي الديمقراطي المزدهر الذي يتدفق عطاءاً وخيراً عميماً.

آية الله الشيخ محمد علي التسخيري(*):

أعتقد أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام وثقافتها يمكن أن تشكل مدرسة ثرة للباحثين ونبراساً رائعاً للثائرين، وأن تقدم حلولاً فريدة لكثير من مشاكلنا الفكرية اليوم، شريطة ملاحظة كل الظروف بذهن واعٍ ونظر نافذ. وذلك من خلال عرضها جيداً بعيداً عما لحق بمراسم إحيائها من رسوم دخيلة وأدب ضعيف.

إن الآخرين يتصورونا وكأننا بإحياء ذكرى عاشوراء ندين مذهبهم، والحقيقة أن كل المذاهب الإسلامية ترفض ديكتاتورية يزيد بن معاوية وإنحرافه وظلمه. وهذا ما يدعونا إلى تجريد هذه الثورة من ملابساتها القومية والعاطفية الضيقة، والنظر إليها ملحمة للعقيدة والإخلاص والحب لله وإصلاح المجتمع.

إن الأطروحة الحسينية يمكن أن تكون تقريبية، لأنها تعبر عن روح الإسلام، طبعاً إذا عرضت بشكل جيد. وإننا عندما نبرز الجانب الإنساني والإسلامي الأصيل في هذه الثورة فإن كل مسلم ومخلص سوف ينجذب إلى ثقافة الثورة الحسينية، إلا أنه – كما أعتقد- فإن فنانينا ومسرحيينا مقصرون في هذا المجال، ولو أنهم تعمقوا في هذه الملحمة لوجدوا فيها ما هو أروع من قصة عمر المختار أو عبد القادر الجزائري بكثير. وأنا آسف لكوننا إخباريين في حديثنا التاريخي، وأننا تركنا المنبر الحسيني في كثير من الموارد للمستأكلين به فشوهوا وفرطوا أو أفرطوا فيه. إن المبلّغ الحق هو من يملك مؤهلات البحث ويخلص لهدفه ولا ينسى كل الأبعاد. وأنا أعتقد بأن من يدرس ما كتبه الآخرون حول هذا الموضوع يجد غبشاً في تصوراتهم، وسِرُّه هو أننا لم نقم بالتوضيح الكامل،

(*) مفكر ومجتهد إسلامي- أمين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية في إيران.

وإنني وإن كنت أشكر كُتّاباً كباراً على كتاباتهم من قبيل الشيخ محمد مهدي شمس الدين، إلا أنني أعتقد أنَّ ما كتب حتى الآن لم يكشف للعالم عن عظمة ثورة الحسين، فلا نكاد نجد لديهم ما يروي الغليل.

إنه لو كان في الأمة الإسلامية روح الحسين، وإباؤه، ووعيه، وتضحياته، ما عشنا هذا الذل والهوان، وهذا ما يستدعي أن يُبعث الحسين من جديد فينا، لأن المستبدين في عالمنا، وكل دعاة العلمانية وتغييب الحاكمية الإسلامية، وكل دعاة إبعاد الأمة عن صياغة مُستقبلها، يرون في الثورة الحسينية خطراً عليهم. إن علينا التزام ثوابت هذه الثورة ومنها الأهداف الإنسانية والإسلامية كرفض الظلم، والتضحية بالذات في سبيل الآخرين، وبعث الحرارة الثورية في الجماهير، مع الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات وهي النسبيات الزمانية والمكانية.

وأنا في هذا المجال لا أرى تناقضاً في أساليب تجسيد ذكرى هذه الثورة، فالحزينون أدركوا حقيقة الثورة فتقربوا لله بحزنهم، والصائمون الفرحون تصوروا أنهم يتقربون إلى الله عبر موروثاتهم الروائية التي لا ترتبط مطلقاً بقضية الإمام الحسين عليه السلام، ولكي يتم توحيد الموقف يجب أن يتم الحوار البناء. وأخيراً يمكن القول بأن النظام الحاكم في العالم الإسلامي متفاوت، ولا يمكننا أن نقدم وصفة جامعة لاختلاف الظروف، لكنّ من واجبنا أن نقدم المبادئ والقيم الحسينية لتتم عملية التوعية، وعملية التحسيس بالظلم أيضاً وذلك حتى تكون لكل الشعوب خياراتها التي تراها مناسبة لها في مواجهة الطغيان ونبذ الباطل.

الشيخ إبراهيم بن محمد الوزير(*):

إن الثورة الحسينية التي قام بها الإمام الأعظم الحسين بن علي وابن رسول الله صلى الله عليه وآله هي التي حفظت الإسلام من التحول إلى شيء آخر وحفظت الإسلام الصحيح من الإندراس النهائي والاضمحلال ولذلك يقال إن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء.. فثورة الإمام الحسين عليه السلام أحدثت انفجاراً هائلاً وكبيراً سمعته أمة الإسلام كاملة، فجعلها تثوب إلى رشدها بعد أن تولى أمرها

(*) مفكر من اليمن- رئيس مركز الدراسات الإسلامية في صنعاء.

منحرف عن الجادة سكير عربيد ليس أهلاً لقيادتها ولو استمر في الحكم دون ثورة الإمام الحسين لانحرفت أمة الإسلام عن دينها القويم دون أن ندري وتفشت السيئات بكل أنواعها وأصبحت جزءً من الإسلام. ولأصبح منذ ذلك الزمن وفي بداية صدر الإسلام المنكر معروفاً والمعروف منكراً، ولهذا فإن دراسة الثورة الحسينية يجب أن تتم من ناحية دراسة مبادئ الإسلام الصحيحة أولاً سواءً في الأخلاق والمعاملة، كالأمر بالصدق والأمانة بالمحافظة عليها كما جاء في كتاب الله تعالى عن الصدق قوله جلَّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة، ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل، ١٠٥]، وقوله في آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران، ٦١]، وكما جاء في كتاب الله عن الأمانة قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ❖ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب، ٧٢- ٧٣]، وأنت ترى أيها الأخ الكريم كيف بدأ الله جل وعلا بذكر تعذيب المنافقين والمنافقات قبل ذكر تعذيب المشركين والمشركات وذلك لأن المنافقين كثيراً ما يكذبون ويغشون ويخدعون ويخونون أماناتهم وعهدهم أكثر من الشرك الذي يستمر على الشرك بتصميم، والانحراف عن الصدق وما يحصل من تضييع الأمانة كان قد انتشر في أمة الإسلام على عهد يزيد ومعاوية إلى جانب الأخلاقية والسلوكية الأخرى وكان يزيد ومعاوية يضربان أسوأ الأمثال في الغش والخداع والانحراف عن الأخلاق الفاضلة ونكث العهد كما حدث من معاوية في نكثه للعهد والاتفاق بينه وبين الإمام الحسن بن علي عليه السلام ولم يكتف بأن ينكث العهد في تسليم الأمر إلى الإمام الحسين بعد موته بل أمر بقتله وفيها منتهى الغش والخداع في إخراج زوجه من عصمة زوجها ليزوجها ابنه يزيد وفي قتله الصحابي الجليل حجر بن عدي وأصحابه صبراً، لأنهم رفضوا أن يتبرؤوا من الإمام منتهى الإقدام على مخالفة أوامر القرآن حيث

يقول ربنا جل وعلا في محكم كتابه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ، ٩٣]، ومعاوية هو الذي سن لحكام العرب الطغيان والظلم والقتل والفساد والإفساد والاستبداد بكل أنواعه، القتل ظلماً بدون محاكمة وشراء الذمم بالمال والعبث بالمال العام وعدم صرف المال العام لمستحقيه ... الخ ، وعليه وزر هذه الأعمال ووزر من عمل بها من حكام العرب والمسلمين إلى يوم القيامة دون أن ينتقص من أوزارهم شيئاً كما أن رسول الله ﷺ حيث يقول: (من سن في الإسلام سنةً حسنةً كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة دون أن ينقص من أوزارهم شيئاً كما قال في الأولى دون أن ينقص من أجورهم شيئاً). فهو الذي قدس الاستبداد والطغيان في الحكم والعبث بالمال العام الخ ، واستمر الأمر كذلك في عهد يزيد بن معاوية، وما حادثة قتل الأنصار وأبناء الأنصار أصحاب رسول الله ﷺ في الحرّة إلا دليل على الطغيان الكبير والاستخفاف بأوامر القرآن وتعاليم الإسلام وزاد على ذلك الانحراف الأخلاقي بأن أصبح الحاكم الأول في دولة الإسلام يزيد يشرب الخمور ويعبث بالكلاب والطيور ويضرب الظباء ويعزف المزامير ويقضي أوقاته في اللهو والمجون – ولولا ثورة الإمام الحسين عليه السلام التي هزت ضمير الأمة الإسلامية لاستمرت هذه الأعمال وأمثالها وأصبحت جزءً من أخلاق الأمة الإسلامية ، لا شك أصبحت جزءً من الإسلام لما عرف بعد ذلك الخطأ من الصواب.. وما قيام التوابين بعد فجيعة مقتل الإمام واستشهاده وأهل بيته ثم قيام المختار ووجود أنصار وأتباع للمختار قضى على كل من شارك في قتل الإمام الحسين عليه السلام ثم اضمحلال نسل معاوية وبني أمية، وما اضمحلاله إلا دليل على شدة الهزة العنيفة التي أحدثتها فجيعة الطف ومقتل الإمام الحسين وأولاده وأصحابه وأهل بيته في ضمير كل مسلم ومسلمة.. وبرغم عدم وصول أبنائه إلى سدّة الحكم تاريخياً فلقد حكم الأمويون بعد ذلك وبعد ثورات أبناء علي عليه السلام واعتزال الأئمة من أبنائه، حكم الأمويون ثم العباسيون وهم يتوجسون خيفة من أبناء علي وفكر أبناء علي ويحاولون أن يظهروا أمام الأمة

الإسلامية بمظهر الأتقياء الصالحين والمحافظين على مبادئ الإسلام، ولم يكونوا يجرؤون على المجاهرة بالمعصية، ولا المخالفة الصريحة للفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية (فيما عدا ما يتعلق بالحكم والسلطة ومن يعارضها أو يطمح فيها، مما أدى إلى الحفاظ على الكثير من فقه الإسلام ومبادئه وإلى التحاكم فيما بين أفراد الأمة في قضاياهم إلى الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية وعدم الجرأة الصريحة على التعبير والتبديل وكل ذلك ناتج عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام وثورة حفيده زيد بن علي عليه السلام واعتزال الأئمة من أبناء الحسين عليهم السلام وتفرّغهم لنشر العلوم والمعارف الدينية والطبيعية والإنسانية، ثم ثورات يحيى بن زيد وغيره من آل رسول الله المطهرين، ولولا ذلك ولولا اعتزال واعتراض الأئمة من أبناء الإمام الحسين ووقوف آل رسول الله صلى الله عليه وآله لمختلف الأساليب الثورية العنيفة والسلمية والتعليمية الهادفة لما بقي للإسلام روح ولا جسم ولا صورة ولا رسم.

ومن منطلق ما هي مبادئ الإسلام في الأخلاق وفي المعاملة وفي القيادة وفي المال وفي الدولة وفي التعليم وفي الحكم؛ ثم معرفة الانحراف الذي حصل، ثم الدور الكبير الذي أحدثته ثورة الإمام الحسين في أبناء وضمير الأمة، وما أحدثته من هزة عنيفة أرجعت الأمة إلى صوابها، ثم كيف سارت الأمة بعد ذلك في التعامل والأخلاق وما حافظت عليه وعادت إلى الله من مبادئ الإسلام بسبب ثورة الإمام الحسين وأبنائه وأبناء أخيه.

من هذا المنطلق ومن معرفة هذا وذاك وآثار ثورة الإمام الحسين عليه السلام في الأمة الإسلامية وفي تاريخ المسلمين تحت اسم دراسة ثورة الإمام الحسين بن علي والنظر إليها. عليه وعلى جده وابنه وأمه وجدته وأخته أفضل الصلاة وأتم السلام.

الدكتور سهيل زكّار(*):

بداية أنا لا أوافق على إستخدام كلمة الثورة، أنا أقول النهضة الحسينية، إن هذه النهضة حدث من أحداث التاريخ الإسلامي، وهي كانت مصدر إلهام طوال العصور الإسلامية وفي التاريخ الحديث. لقد كانت في سبيل إعادة تطبيق الشريعة

(*) مفكر وأكاديمي سوري- نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب.

النبوية وإعادة الأمور إلى نصابها. طبعاً النظام الأموي آنذاك عالج القضية معالجة دموية، وبتصوري فإن الدولة الأموية بأيام يزيد بن معاوية كان عندها قرار بتصفية آل البيت، وجاءت ملحمة كربلاء ضمن هذا المخطط. وبالطبع نحن نستلهم هذا الحدث في سبيل رفض التطبيع مع إسرائيل، رفض التطبيع مع الذين يظلمون الأمة، إلى غير ذلك. أما أن أتحدث عن أعمال انتقامية فهذا حديث ليس من خلق الإسلام، وليس من خلق المسلمين، وممن ننتقم؟ إذا تحدث الإنسان عن أعمال انتقامية فلينتقم بإصلاح نفسه وتقويمها والتخلق بأخلاق الإمام الحسين عليه السلام

فضيلة الشيخ قاسم آخوند(*):

إن دراسة هذه الثورة الخالدة تتطلب وعياً عميقاً بالفهم الحقيقي الكامن وراء ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وذلك بأن ننظر إلى هذه الثورة بأنها ثورة إصلاحية، الهدف منها إحياء الدين وبسط الأمن والسلام ونشر العدالة والحرية. فالإمام الحسين عليه السلام نفسه يتحدث عن ثورته قائلاً: (إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولامرائياً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي)، إذن لابد أن نفهم المعنى الإصلاحي لثورة الإمام الحسين عليه السلام، ويجب أن يكون فهمنا ودراستنا لهذه الثورة من منطلقاتها في الإصلاح وصيانة الدين: فالدين الإسلامي دين السلم والمنطق والحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، وعندما نجد فرداً فاسداً في المجتمع علينا أن ندعوه إلى نبذ الفساد ونحاوره ونناقشه في أفكاره، فإن لم يقتنع وأيقنا أن وجوده خطر على الأمة الإسلامية وأنه يشكّل تشتيتاً للأمة وضياعاً للقيم السامية للدين الحنيف عندئذ علينا السعي لردعه بالوسيلة المناسبة.

الدكتور علي أبو الخير(**):

إن الثورة الحسينية لها أفكارها ليس على المستوى الثوري الرافض للظلم فقط، ولكن – أيضاً – تملك أفكاراً حيويّة اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة هائلة تشمل آفاق المعرفة الإنسانية، وتدريس الثورة بكل أبعادها التنظيمية والتنظيرية

(*) مفكر وأكاديمي من أفغانستان.

(**) مفكر مصري و رئيس مركز الفارابي للدراسات في القاهرة.

يمكن أن يعالج مشاكل الأمة التي تعاني منها في العصر الراهن ..

فلو أخذنا – على سبيل المثال – الفكر الاجتماعي للثورة الحسينية فإننا سنجد أمامنا أن الامام الحسين عليه السلام تمكن مِن وضع أساس الفكر الاجتماعي للدولة ، أو أعطى النظرية لإقامة الدولة الإسلامية ، وسنجد ذلك واضحاً في قوله : " إن الدعي بن الدعي قَدْ خيّرنا بَيْن السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة " ، وهو توضيح عملي لمقولة الإمام عليّ : "الحياة في موتكم قاهرين " .

إن تدريس الثورة الحسينية يعني إعادة الخلافة الإسلامية القائمة على الورع ، وقَدْ قلنا في كتابنا " في رحاب كربلاء " إن الحسين لَمْ يخن الوسيلة في مقابل النصر ، وهو بالتالي أعطى النموذج للفكر السياسي غير المُداهن، والفكر الواثق مِن تحقيق النصر فيما بَعْد بكربلاء ، مع التأكيد هنا أن كربلاء تمّثل أرضاً ، نموذجاً حياتياً حتى لو كان هو النموذج الذي شهد إراقة دماء أهل بيت النبي ، فهي أرض انطلاق لتؤكد أن الشهيد هو محور التاريخ ، وليس البطل .

العلاّمة الدكتور نبيل الحلباوي(*):

من الأهمية بمكان في دراسة فكر الثورة الحسينية وتدريسه الانطلاق من توضيح مدى الارتباط بين هذا الفكر والفكر الإسلامي: ١- على صعيد المصادر، فهو يتمتع بالوضوح باعتباره فكراً إسلامياً أصيلاً من القرآن الكريم، ومنهل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، ويمثل بدوره مصدراً، إذ هو كلام الإمامة الأمينة على مواريث النبوة.﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ ﴾ [الأحزاب ، ٣٣]، (من رأى منكم سلطاناً)

٢- وعلى صعيد القيم، فهو يتبنى القيم الإنسانية كالكرامة، والحق والعدالة والحرية، وهي قيم يتلاقى في تأييدها العقل والدين، ويتبنى القيم الدينية كالتقوى والالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه: (ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه)، (هيهات منا الذلة).

(*) مفكر أكاديمي سوري، وإمام مقام السيدة رقية عليها السلام في دمشق.

٣- وعلى صعيد الأهداف: فهو يتمحور حول الإنسان الذي جاءت الأديان – ولا سيما الإسلام- لتصوغه صياغة إلهية، وتنقذه من أسر الطواغيت فرداً وجماعة، وتحفظ عزته الإيمانية المستمدة من عزة الله ورسوله: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون، ٨].

٤- وعلى صعيد الرؤية الكونية التي تفسِّر الكون والإنسان بوصفهما إبداعاً إلهياً وتجلياً ربانياً والإيديولوجية الإسلامية التي تقيم السياسة والاقتصاد والاجتماع على أساس التوحيد الخالص والفكر الحسيني إنما هو تكريس لهما بدمه الثورة والشهادة (شاء الله أن يراني قتيلاً) (ما رأيت إلا جميلاً).

وأما الدراسة والتدريس لفكر الثورة الحسينية فينبغي أن تقوم عليهما مراكز لتخطيط المناهج إسرائهما في مختلف مراحل الدراسة من الابتدائية إلى الثانوية إلى الجامعية إلى التخصصية كلاً بما يناسبها، ومن قبل متخصصين ووفق أصول التدريس وطرائقه وتقنياته.

الدكتور زهير غزاوي(*):

ثورة الإمام الحسين أنتجت - بعيداً عن الأسباب – عدداً من المعطيات البالغة الأهمية، أبرزها: أنها تحولت إلى رمز للصراع بين الإيديولوجيا الإسلامية ودعاتها وبين الانحراف عنها، خاصة أنها لم تكن بعيدة زمنياً عن عهد المؤسس، رسول الله ﷺ. لهذا كان لها أن تفرز كمّاً هائلاً من النتاج الفكري على صعيد الأدب والفقه والفلسفة وغيرها. المعطى الثاني: أنها أدت إلى إحداث شرخ كبير بين المسلمين، وتحولت يومها إلى أزمة ضميرية للعالم الإسلامي، أدت إلى سقوط عهد بأكمله تزعمته أسرة قرشية هي بنو أمية.

المعطى الثالث: أن هذه الثورة كان لها فيما بعد دعاتها ومعارضوها، ولكل من الطرفين فلسفته التي استخدمت في إبراز الأحقية أو فلسفة الحق، فكراً تسلل إلى الإيديولوجيا الإسلامية ذاتها، وأدى فيما أدى إليه تشويه السنّة النبوية –سلباً وإيجاباً- من خلال وضع الحديث ونسبه إلى رسول الله، بما في ذلك، هذا

(*) كاتب وباحث إسلامي فلسطيني.

الكم من التبريرات والتبريرات المضادة، ومنها ما تعانيه حقيقة ما حدث من إضافة أو نقص.

المعطى الرابع: أن هذه الثورة طبعت التاريخ الإسلامي بكامله بطابعها، فأبرزت أهمية أهل بيت رسول الله ﷺ ورسّخت مكانتهم من جهة وشطرت هذا التاريخ إلى قسمين: ما قبل وما بعد، ومهّدت لبروز المذهبية الإسلامية، بما في ذلك تأسيس التشيع الذي كان له أن يحفظ المأساة (ولأسباب سياسية وعقائدية) حيةً نابضةً حتى نهاية الزمان.

المعطى الخامس: أنها حشدت أغلبية ساحقة من المسلمين مع حق سلالة الأئمة في السلطة، فحولت الشارع إلى معارضة نشطة ولكنها معرضة للقمع أو التشرد من قبل السلطات. إن إعادة الاعتبار لفكر الثورة الحسينية عبر وضعه مادة دراسية، تواجهه عقبات كبيرة، من زاوية أن معظم السلطات الحاكمة في العالم الإسلامي لازالت تعتبره مصدراً للجدل والخلاف وإثارة الانقسام، خاصة وأن هذه الحكومات منقسمة إلى قسمين رئيسيين: فالإسلامي منها (ما عدا إيران) لا يعترف من زاوية تاريخية بصحة التفاصيل ويشكك فيها، أما العلماني فهو يدعي أن ما يجب وضعه في المناهج متصل بما يتفق عليه المسلمون، وإن أبرز عنصر مهم في المسألة يمكن الاتفاق عليه هو ما يشبه الإجماع على أن ثورة كهذه، تعتبر أول ثورة في صدر الإسلام اتصلت بحشد القيم الشاملة كالعدالة والحرية والكرامة والحق، ما يمكن أن يعتبر أموراً قابلة لأن تكون موضع تدريس دون الدخول في التفاصيل المتعلقة بالصراع على السلطة بين الأجنحة الإسلامية المتصارعة.

فضيلة الشيخ محمد حسن تقي(*):

للإجابة على هذا السؤال لابد من بيان معنى الفكر بشكل عام، ثم بيان الربط بين الفكر الحسيني والفكر الرسالي، ثم وضع النقاط على المشاكل الواقعية لأمتنا في واقعها الحالي:

الفكر: هو المنظومة النظرية التي تمثل الاطار العام والتي بها يتميز أو تتميز

(*) من علماء الدين الأكارم في محافظة إدلب السورية.

مجموعة ما أو دعوة ما عن غيرها .

أما الربط بين الفكر الحسيني والفكر الرسالي : لا يمكن الفصل بين الفكرين الحسيني والرسالي إلا بالاسم فقط ، إذ أن الفكر الحسيني هو وليد الفكر الرسالي المحمدي ولا يوجد فارق بينهما ، وسلوك الحسين "ع" وأهل بيته وصحبه الكرام هو ترجمان حقيقي للفكر الرسالي . ولا يمكن لنا أن نميز أو نخصص الحسين "ع" بفكرٍ خاص بمعزلٍ عن فكر جده رسول الله ﷺ أو الفكر العلوي لعلي "عليه السلام" .

أما القضايا الفكرية الأساسية الرسالية والتي تجسدت في كربلاء الحسين عليه السلام فهي : الرحمة ، والشدة ، والوفاء لله ورسوله ، والعبودية لله والجهاد في سبيل الله ، والإصلاح. قال تعالى : "محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ..."

وقال تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ..."

وقال تعالى " الذين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ... "

" يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ..."

هذه بعض مفردات الفكر الإسلامي المحمّدي العلوي الحسيني .. ولكن اعترت مسيرة الإسلام بعض مواطن الضعف والوهن أدت إلى تطرّف في بعض المواقف ابتدعت أفكاراً هدّامة للإسلام وللمسلمين منها :

أولاً : مسألة محاولة احتواء الدين من قبل مجموعة دون أخرى : مما أدى إلى إخراج مجموعات كبيرة من الإسلاميين خارج إطار الإسلام (حسب اعتقادهم) كتكفير البعض للبعض الآخر وإباحة دمهم وأعراضهم. علماً بأن الفكر الرسالي لمحمدٍ "ص" يقول : " من قال أشهد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله حفظ دمه وماله وعرضه..".

ثانياً : تفضيل التعاون مع العدو على التعاون مع المسلم اقتصادياً وثقافياً وعسكرياً :

بل إن من المسلمين من يحاول أن يوحِّد صفّه مع عدو الاسلام ضد بعض المسلمين وهنا تكون الطامّة الكبرى. والفكر العلوي يقول: " لو فعلها بنو الأصفر لوضعت يدي بيد معاوية ...". والفكر الإلهي يقول: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتّى تتبع ملتهم ...﴾ (البقرة ١٢٠).

والتعاون مع العدو له جذوره في تاريخ بعض الأمة وأحفادهم يتابعون ذلك الدور .

أما كيف لنا أن نتجاوز هذه المشكلات وهذه العقبات حتى نتخلص منها ، فإنني أرى بأن هناك مسألتين اثنتين ضروريتين وهامتين في هذا المجال وهما :

١- قبول الآخر بما عنده.

٢- الحوار.

لا يمكن أن أجلس على طاولة الحوار وأجرِّد الطرف الآخر من كل معتقداته وأجري معه الحوار بشكل هادئ وبشكل بنّاء يقوم على أساس مصلحة الأمة ومصلحة المسلمين وبما يساعد على لَمِّ الشمل وتوحيد الصف ضد أعداء الله عز وجلّ. إذا كان الفكر الإلهي يحمل هذا الخطاب :

" قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ..."

فكيف بالمسلم مع المسلم.. الحوار واجب ، وقبول الآخر واجب ولكن مع المحافظة على الثوابت الاسلامية التي لا يجوز المساس بها والنيل منها. ومن هذه الثوابت :

١- الأخوة : الفكر الإلهي يقول " إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم ..."

٢- حفظ المال والنفس والعرض: من قال أشهد أن لا إله إلا الله حفظ دمه وماله وعرضه .

إذاً النتيجة النهائية :

١- فهم الآخر.

٢- ومحاولة التقريب إن لم نقل التوحيد.

والثورة الحسينية هذا هو هدفها.. توحيد الله.. هدفها الاخلاص لله عز وجل.. هدفها الحب والبغض في الله..

العلاّمة السيد عبد الله نظام(*):

يشتمل فكر الثورة الحسينية على محاور عديدة منها مسؤولية الإصلاح، موقع الشخصيات المسؤولة والتي لها موقع خاص من عملية الإصلاح، أهمية الرعاية الصالحة للأمة، ودور هذه الرعاية في تثبيت الأمة وحفاظها على رسالتها في الدائرتين الداخلية والخارجية(داخل الأمة ذاتها ومع الأمم الأخرى) وخير بيان لهذه الأمورالإطلاع على بيانات الإمام الحسين عليه السلام المتعددة وتجريد تلك البيانات عن خصوصيات الزمان والمكان والأشخاص.

فعندما يقول الإمام الحسين عليه السلام: "إن يزيد رجل شارب للخمور مرتكب للفجور قاتل للنفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله" وعندما يقول في مقطع آخر "وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد" فهو يريد أن يبين في قوله الأول أثر السلوك الشخصي ومدى ارتباطه بسياسة الأمة فإن ارتكاب الفجور لن يكون مانعاً بأي حال من الظلم وقتل النفوس البريئة والمحترمة بل سيكون محرضاً على ذلك كله لأنه المنظومة الاخلاقية المتكاملة دائماً متى توفرت بعض أجزائها تداعت إلى الوجود أجزاؤها الأخرى فإن الانحراف والتجاوز على القيم والمبادئ هو مدرسة قائمة بنفسها لا يمكن القول بأن ما يتحقق هو بعض مصاديقه فقط وضمن حدود معينة لأن الشخصية التي تتصف بالانحراف عندها استعداد دائم لتحقيق ذلك الانحراف والقيام بكل ما من شأنه أن يصل بالإنسان إليه ، وتتأكد الخطورة أكثر إذا كان هذا الانحراف صادراً عن مراجع عليا للأمة كطبقة الأمراء والحكام والعلماء.. وكل صاحب نفوذ أو مكانة خاصة في أعين الناس. حيث ستتعاظم الأخطار والتأثيرات كلما كان للشخص المنحرف موقع أكبر في المسؤولية ، وإذا لاحظنا قول الإمام الحسين عليه السلام الثاني حيث يقول إذا بليت الأمة براع مثل يزيد. ولم يقل هو يزيد لأنه عليه السلام يريد أن يفتح عاشوراء على

(*) أكاديمي ومفكر سوري.

الزمان والمكان مما يجعل لعاشورائه امتداداً على واقعنا المعاصر وإلى واقعنا المستقبلي وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإن جزءاً كبيراً من مشكلات أمتنا المعاصرة إنما يرجع إلى الانحراف في الفكر السياسي والاجتماعي والديني و... الخ والذي يتمثل في الكثير من الذين يتحملون المسؤوليات في هذه الأمة على اختلاف مراتب مسؤولياتهم.

هذا وتبين ثورة الإمام الحسين عليه السلام مدى الارتباط بين الدين والدولة والسلطان فإنه لا يقوى الدين ولا يمكن تطبيقه بشكل تام إلا مع السلطان الذي يدعم ذلك ويتبناه لذا قال الإمام الحسين عليه السلام كلمته السابقة وعلى الإسلام السلام إن بليت الأمة براع مثل يزيد، كما أنه عليه السلام بيّن أن أصحاب المواقع الخاصة مسؤولون أكثر من غيرهم وهذا من يبينه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في قوله: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" وقول الأئمة عليهم السلام "إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه" لذا نجد أن الإمام الحسين عليه السلام يعبر عن موقعه الخاص في الامة عندما قال وأنا أحق من غيري بما يُمثله من تراث جده رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه علي عليه السلام فضلاً عن مقام الإمامة الخاص والذي يعني حفظ الدين وبيان مسائله كما جاء بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله والعمل على ترسيخه وتثبيت مفاهيمه في النفوس كما يبين عليه السلام أن طريقه إلى ذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسير بسيرة سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله. ثم يعقب قائلاً: "فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا اصبر حتى يحكم الله بيني وبين القوم الظالمين". حيث بين في تلك المقالة أن القبول إنما يتم على أساس الحق لا أساس القرابة أو الجاه أو المال أو أي شيء آخر وأن سبيله في دعوته هو الدعوة إلى الله عز وجل والصبر والتحمل من المخالفين كما بيّن الحسين عليه السلام أن الجهاد والاستشهاد إنما هو دفع للشر الأعظم ومن موقع الاضطرار حيث لا يمكن مواجهة الانحراف إلا بهذه الطريقة، فإنه عليه السلام كان قد قال: " ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين السلة أو الذلة وهيهات منا الذلة. فإن يزيد هو الذي اضطر الحسين عليه السلام إلى الخروج من مكة إلى الكوفة وهو الذي حاصره في كربلاء وبدأه الحرب وألجأه إليها وكان لا بد للحسين عليه السلام من أن يمضي في تلك الموقعة

إلى ربه شهيداً بعدما قدم في سبيل الله كل ما يملك من قوى مادية ومعنوية على السواء.

إن كل ما حصل مع الحسين عليه السلام وما قدمه الحسين يمثل الوقائع والحلول التي يمكن أن يلجأ إليها المؤمنون في حل مشكلاتهم والحفاظ على دينهم وتشخيص طرق حل مشكلاتهم في تحليلها وتحديد من هو المسؤول ومكان الخلل فيها وتشخيص الحلول الناجعة باختيار القيادة الصالحة في جميع مراتب قيادة المجتمع الإسلامي والسعي لإحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دائماً وأنه لا بد من الجهاد والشهادة إذا لزم الأمر في نهاية المطاف وإذا كان الفساد والخطر على الأمة بحجم استئصالها والقضاء على دينها ولا يمكن دفعه إلا بذلك.

الأستاذ أحمد جبريل(*):

أحد أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام هو الهدف المتمثل بتصحيح الخلل الفكري الذي عاشه المسلمون آنذاك بعد انتهاء عهد الخلفاء الراشدين حيث اختلطت صورة الحاكم المسلم بالحاكم المتسلط، وتحول نظام الحكم في الإسلام إلى وراثي وملك عضوض وأصبح المسلمون إلا قلة منهم يدينون بالطاعة لجميع الحكام والسلاطين وولاة الأمر، دون تمييز ويرون ذلك تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء، ٥٩] وقد مكن هذا الخلل الحكام المنحرفين من الحكم باسم الإسلام. وكان يمكن لهذا الخلل - لولا ثورة الحسين عليه السلام - أن يقضي على الإسلام. ويحرف مساره ويشوهه الحكام والسلاطين المنتفعون مع تعاقب السنين، كما حصل للديانات السابقة. ولكن ثورة الحسين عليه السلام ودماء الحسين ودماء أصحابه الشهداء، معه استطاعت أن تضع حداً فاصلاً بين الإسلام المحمدي الأصيل وبين إسلام الحكام والسلاطين.

ومشكلة الأمة الإسلامية في الوقت الراهن هو الخلط بين الإسلام المحمدي الأصيل الذي يدعو إلى العبودية لله الواحد الأحد، وإخراج الناس من جور

(*) الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، القيادة العامة.

الحكام إلى عدل الإسلام، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، والدعوة إلى الحرية والانعتاق من الظلم بكل أشكاله والجور بكل أنواعه، ويدعو إلى المساواة بين الجميع "كلكم لآدم وآدم من تراب. وأن أكرمكم عند الله اتقاكم" هذا هو الإسلام المحمدي الكفيل بعلاج مشاكل الأمة وما عداه فهو إسلام وضعي لا يحل إشكالاً ولا يؤدي إلى خلاص بل يزيد الطين بلة.

الدكتور ادريس هاني(*):

إذا ما تعمقنا أكثر في المحتوى الحضاري والإنساني للثورة الحسينية، سوف نجدها بلا شك أكبر من كونها مجرد ثورة.فليس كل ثورة تمتلك استحقاق الخلود في لوح التاريخ الممدود. وحيث ما يميزها عن عموم الثورات هو خلود مضمونها الرسالي الكبير، وما كان قد كشف عنه هذا الجرح الحسيني المفتوح من دروس وعبر، فإننا نفضل أن نحترز بها عن هذا العموم بعوض لفظي أكثر تقييدا، هو "النهضة"، بكل ما تعني الكلمة من معنى. وما يجعلني أرى أن كلمة ثورة لا بشرط القيد الإحترازي المذكور لا تفي بالغرض في المقام، هو أنه لا قيمة للثورة إلا فيما تحدثه في الوجدان الجماعي من آثار توقظ العقل وتحرك الروح.كما أن الثورة هي أمر عام يمكن أن تقوم به جماعة إنسانية في ظروف مختلفة ولغايات لا يتعدى محتواها إلى الدائرة الإنسانية.وكم من نظير في التاريخ لثورات قامت ولم تتعد حدودها، ولا استطاعت أن تتحول إلى درس تستلهم منه الأجيال مقومات نهضتها. وثورة الإمام الحسين كانت تعبيراً عن نهضة معاقة، وردة فعل عن عصور أخذت طريقها نحو الانحطاط.ثم هي ثورة أحرار لا ثورة عبيد.فالحسين لم يسمح لقاتليه بالإذلال. فكان أسرع في رد طغيانهم قبل أن يمسه عار المذلة.إنها ثورة أثمرت وعياً حياً في نفوس الأجيال المتعاقبة، تشدها إلى معنى الكرامة وجمال التحرر.فهي بما ينضم إليها من إنجازات تمثل نهضة أمة، وإن كان الحسين صانع ملحمتها، بوصفه الممثل الشرعي لضمير الأمة.وهي أيضا نهضة إذا ما تأملناها في ضوء المشروع الإصلاحي الكبير الذي قاده جده و أبوه وأخوه.كما

(*) مفكر إسلامي من المغرب.

تؤشر عليه كلمته وهو يتحرك باتجاه الكوفة: "إني لم أخرج أشرا ولا بطرا..وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ، آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر".إنها ثورة هيمنت على الوجدان المسلم ، فصنعت كل التحولات التي شهدتها القرون اللاحقة.وأنت تجد أن ما أعقبها من ثورات ، كثورة التوابين لسليمان بن صرد الخزاعي أو المختار الثقفي ، أو حتى ثورة العلويين المتحالفين في بداية نضالهم مع الثورة العباسية ضد المشروع الأموي المقبور ، والذين رفعوا شعار الرضى من آل محمد ، كلها كانت تستحضر الشعار الحسيني. وسواء أنجحت في ترجمة شعاراتها أم لا ، فإنها ثورات ملهمة من هذا الروح الحسيني الذي أعاد صياغة العقل المسلم باتجاه إمكانية التغيير للأفضل.

في هذا الإطار يمكننا القول بأن النهضة الحسينية كانت في صلب المسألة الإسلامية.فلسنا نحن من يحتاج أن يقرب النهضة الحسينية إلى صلب قضايانا الراهنة، ومسائل الفكر الإسلامي.بل لا قيمة لهذا الفكر إذا لم يستحضر تجارب الأمة في النهضة والإصلاح. والنهضة الحسينية هي طليعة هذه التجارب. وهل قضايا الفكر الإسلامي وقضايا الأمة الراهنة ، إلا الحرية والكرامة والإحساس بالمسؤولية والضمير الأخلاقي الذي شكل مقاصد النهضة الحسينية؟! فهي نهضة حية لا تموت من خلال القيم التي كانت تنطلق من داخل الميدان وترسم للأمة نهجاً في التحرر وعدم القبول بالذل.فكل كلمة نطق بها أبو الشهداء ، عبرت عن منتهى ما يطلبه الأحرار.إن النهضة الحسينية ، كانت أولى النهضات التي شهدها التاريخ جعلت لها مطلبا للتحرر والكرامة. لم تكن ثورة من أجل الخبز، على شرف ثورات الخبز، ولا ثورة ضد التمييز العنصري على شرف الثورات التي قامت ضد التمييز...فلقد كان بنو هاشم كرام القوم لا يملك أحد إذلالهم إلا ذل وذاق من كأس الهوان، لكنها كانت ثورة من أجل الكرامة ومن أجل الحرية.والذين صمموا على إذلاله يدركون أن مغامرتهم تلك جاءت بعد أن حسم الحسين في موقفه من يزيد وتموقعه في صفوف المظلومين. فكان إذلال يزيد للحسين ، إذلالاً لرمز يمثل ضمير هذه الفئة المستضعفة والمستباحة كرامتها. فسير الأحداث يؤكد على أن الحسين أبى إلا أن يكون درعا واقية لهؤلاء، ومعبراً

شجاعاً عما لا يقوى التعبير عنه آخرون.فلقد قدم الحسين أكبر دليل على خدعة الإسلام الأموي. ولولا قتل الحسين بتلك الطريقة الهمجية ، لما سمعنا يزيد يكشف عن نوايا التيار الأموي من خلال تمثله للأبيات الشهيرة، التي جاء فيها :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فلقد أظهر الحسين أنه ليس طالب ملك، بل طالب كرامة. وليس طالب غلب بل طالب تحرر.وليس طالب دنيا بل طالب آخرة.وليس طالب ثأر بل طالب عدالة...

في تصوري أن قضايا الأمة الراهنة هي من سنخ قضايا النهضة الحسينية.ذلك لأنها قضايا إنسانية تكررت على امتداد هذا الزمن المهدور على إيقاع فظاعات الإنسان في ربوعنا.وما دامت القيم النبيلة التي استشهد من أجلها الحسين لم تتحقق ، فحتماً سيظل كل زمان عاشوراء وكل مكان كربلاء. على أنه يجب فهم العبارة في عمق محتواها وفلسفة تجادل القيم مع الواقع، حيث كل بحسبه، فالتاريخ يعيد نفسه لكن بصورة أكثر تعقيداً وتركباً.وإذا كانت الثورة الحسينية النهضوية هي أول ثورة في تاريخ النوع جعلت عنوانها التحرر والكرامة، فإنها أول ثورة من داخل التجربة الإسلامية ضد استغلال الدين للإستبداد السياسي وإذلال الخلق. وقبل حركات التنوير والإصلاح الديني الذي شهدته أوربا الحديثة، يطلب الإصلاح في الوعي الديني.ولعله أول من جعل الكرامة والإحساس بالحرية عنواناً لا بشرط لنهضة الأمة.

العلامة السيد حسن النوري(*):

من الضروري دراسة فكر الثورة الحسينية وكذلك تدريسه في مختلف الاتجاهات وإن لم تأخذ طريقة التدريس التركيز على الشكليات والأطر التي قد يعتبرها البعض تركيزاً على الخاص دون العام في وقت حاجتنا إلى بيان الأمور العامة قبل الدخول في التفاصيل.

(*) من علماء الدين العراقيين الأفاضل ـــ أستاذ في الحوزات والجامعات الإسلامية في سورية.

ليس درس فكر ثورة الحسين ومدارسته وتدريسه منفصلاً عن دراسة وتدريس كل ما يحتاجه مجتمعنا وأمتنا، لأن الإمام الحسين كان صاحب هدف مقدس ومحترم عند كل فئات المجتمع، وسيجد الدارسون لفكر ثورة الحسين عليه السلام كل رائع وعظيم من المفاهيم الاجتماعية والتربوية والإنسانية، كما هي جوانب السياسة والثورة والحماسة وأخلاق التضحية والشجاعة وبهذا ستكون هذه الثورة مدرسة إلهام للمصلحين ولكل من يتطلع إلى تطوير وتنمية الطاقات الإنسانية في مختلف المجالات.

سيقرأ الدارس في فكر هذه الثورة أخلاقية الثوار الحسينيين الذين قرروا أن يقوموا بعملية إنقاذ لأوضاع الأمة المتردية في المجال الفكري العقائدي حيث كان منهج الحاكم آنذاك (النهج الأموي) هو التحريف وتزييف حقائق الدين العقائدية والفكرية وقلب أسس الدين وإبدالها بما كانت عليه الجاهلية وبما ستكون عليه محاولات أهل الاستبداد على طول الخط، وسيجد الدارس أيضاً أن هؤلاء الثوار أعادوا للأمة كرامتها المسلوبة في أخلاقها وهمومها وتطلعاتها... عوضاً أن يكون هم المسلم هو أن يعيش يومه ويأكل لقمته صار طموحه أن يعيش لمستقبل إنسانيته ويخرج عن ذاتيته وفرديته الضيقة، ولن يحصل هذا التطور ما لم يقم الإمام الحسين (ع) بثورته الفذة وهو الذي كان يجد كل مبررات وأسباب العيش المرفّه وهذا ما كان يطمح إليه الإنسان المدجّن وفق مقاسات منهج الأمويين.

وسيجد الدارس أيضاً أن الحقيقة لن تكون تابعة للمصلحة كما نجد تفسيرها عند الذرائعيين قدامى ومحدثين، لأن الفرص كانت وافرة أمام الإمام الحسين والثوار معه ليكونوا في أحسن وضع إذا كانت المسألة مصالح ذاتية شخصية، سنرى أن مع هذه الثورة تكون حقيقة الدين والقيادة والسياسة غير منسجمة مع محدودية المصالح بل تريد أفقاً واسعاً سعة مصدر الدين والقيادة وهدف السياسة البعيد.

لن تجد السياسة بمعنى إدارة وتدبير أمور الناس تعريفها الصحيح إلا من خلال مشاهدة ودراسة دوافع ثورة الحسين وأهدافها.

ولادة الإنسان غالباً ما يكون متأثراً بما هو محسوس مشاهد ومجرب مطبق لا بد من مدارسة ثورة الإمام الحسين لنجد الأسوة الصالحة والقدوة الحسنة، فها هو أفضل الناس في زمنه بكل المقاييس نسباً وفضلاً يقوم بثورته ليضخّ في قلب الأمة الدم الثائر ليحرك فيها ما سكن وخمد من طاقاتها...

لن يكون صحيحاً أن يقول قائل أن الثورات التي تستهدف تغيير مسار الأمة والمجتمع لن يكتب لها النجاح عندما نرى كيف انتصر الدم على السيف في كربلاء واذكر أن أستاذنا الشهيد محمد باقر الصدر قال عند انتصار ثورة الإمام الخميني على نظام الشاه: إننا نعتقد أن الدم ينتصر على السيف ونقرأ هذا في سيرة الإمام الحسين عليه السلام ولكننا لم نشاهده وها نحن نشاهد هذه المقولة تتحقق. مشيراً إلى الثورة الإسلامية في إيران.

ولمن يريد الأدلة على ضرورة مدارسة وتدريس فكر ثورة الإمام الحسين عليه السلام نذكره بما أصبح معروفاً ومشهوراً في اقتداء الثوار بعد الإمام الحسين عليه السلام على طول خط الثورات بالثورة الحسينية وشعاراتها صدق بعضهم أو لم يصدق في شعاراته مما يعني أن ثورة الإمام حققت أهدافها التي كانت عصية على إدراك فهم بعض كبار الصحابة .

لهذا فإن هذه الثورة استخدمت شعاراتها بشكل لا يخرج عن دائرة وعي الناس ولا يجعلها أسيرة فهم ضيق محدود مما يضعف تعاطف الجماهير معها ممن عاصر أو تأخر عن هذه الثورة لهذا فإنّ هذه الثورة ستكون موجهة لكل من يسير بنهج الظلم والتزييف والاستغلال كائناً من كان.

إنّ مدارسة وتدريس ثورة الإمام الحسين يضع أمور الفكر الإسلامي العقائدي في موضعها الصحيح فلن نرى الفكر الجبري الذي روج له منهج الأمويين ولن يصعب علينا إدراك أن الوضع الأخلاقي للإنسان كان قد اهتز بشكل خطير ومعالجته لن تكون سهلة ما لم تبرز ثورة على قيم وأخلاق الانهزام والسلبية عند الغالبية بينما أخلاق الطمع والاستغلال كانت سائدة عند الحاكمين والمرتبطين بهم... واستغلال الدين وتحريفه سيكون مستهدفاً بهذه الثورة التي أزالت براقع التخدير والتجهيل وكشفت نوايا وحقائق من كان يحكم المسلمين

آنذاك وسنجد من خلال هذه الدراسة أيضاً إن قيمة الإنسانية ليست باهتماماتها الذاتية بل بتطلعاتها وأهدافها الإنسانية والإيمانية... بثورة سيد الشهداء ستكون حياة الإنسان المؤمن هي وحدها الحياة الإنسانية البعيدة عن طمع التاجر وتفاهة الفارغ ونزوة البهيمة وهذه الحياة التي ترفع النفوس والاهتمامات ليست سهلة بل تحتاج إلى تضحية ودماء غالية غلاء هذه الحياة.

الدكتور سعيد يعقوب(*):

ربما لا يختلف اثنان من الناس عموماً أن النموذج الحسيني الكربلائي هو النموذج الأفضل في مواجهة الحكام الظالمين. وأن الابتعاد عن هذا الدرس الذي قدمه الإمام وضحى من أجل أن يستوعبه الناس، هذا الابتعاد هو الذي سمح لهؤلاء الظالمين أن يستمرئوا هذا الظلم ويدوم حكمهم قروناً. وإن هذا الدرس نفسه حين استوعبه حزب الله في العصر الحديث.. وربما حماس والجهاد أيضاً أعطى نتائج وثماراً يانعة.

أتصور أن الموضوع تربوي وأن الخلل تربوي أيضاً. لماذا لم تستطع وسائلنا التربوية أن تحقق هذا الأمر وتنجح فيه كما نجحت الأنظمة التربوية الغربية في تكريس الديمقراطية مثلاً في عقول ونفوس الناشئة الذين أصبحوا حكاماً ومحكومين فيما بعد.. وخلال مئة عام صارت منهجاً أساسياً في حياة القوم؟

إن أمتنا تعاني من الشعور بالضعف، على الأقل شعور نفسي، كما وتعاني من قصور تكنولوجي في وسائل الحضارة الحديثة.. تعاني من تشويه تاريخها المتعمد والمقصود والذي أصبح فيما بعد إرثاً تاريخياً أعطى قداسة لهذا التشويه وصار حقيقة لا تقبل النقاش، كما وتعاني من مشاكل عديدة جداً في العصر الحديث تحتاج إلى علاج. هدف هذا العلاج هو رفع المستوى الثقافي والاقتصادي والديني لأبناء المسلمين وزيادة المؤسسات التربوية والتنموية في جميع أقطار العالم وخصوصاً العالم الإسلامي.. وأن توحيد المذهب ليس هدفاً تربوياً بل اللقاء والاحترام وتعميق الفكر بين أصحاب هذه المذاهب.

(*) مفكر إسلامي من فلسطين.

فضيلة الأستاذ الشيخ جواد الخالصي(*):

لا بد من مقدمة نشير فيها إلى مواصفات الإنسان الذي نتحدث عنه، والذي سجل الملحمة التي نحن بصدد دراستها، فمن هو الحسين؟ وماهي كربلاء؟.

إنّ شخصية الإنسان الذي يصنع الحدث مهمة جداً لدراسة الحدث ودوافعه وأهدافه، ولأننا الآن أمام حدث إنساني استثنائي مازال يهيمن على عقل الإنسان الباحث عن الإله العادل الرحيم، وحتى الباحث عن العدالة والرحمة دون أن يفكر في مصدرهما إلى اليوم وبعيداً عن الجانب المأساوي القديم والحاضر، واعتبار تاريخنا كله محنة وأيامنا كلها كربلاء، كما قال بعض الشعراء، والتزاماً بالجانب المشرق والمستهدف من ذلك الحدث الكبير، فإن نظرة أولى على شخصية الحسين تغنينا عن كثير من الاستنتاجات التي قد تخلقه من إثارات ومواجهات نحن في غنى عنها كما يظن بعض الناظرين إلى الحدث من بعيد والمتأثرين بما خلقه صانعو المأساة نفسها.

لعل الحسين من نوادر الشخصيات الإنسانية التي حازت على لفظة الإمام وهو من عمر الطفولة، فقد قال عنه رسول الله وعن أخيه الحسن أنهما (إمامان قاما أو قعدا)، فالإمام أو القائد أوالملهم إنما يصل إلى هذا المقام بعد ممارسات طويلة ومواقف صعبة، ولكن الحسين حاز هذا اللقب وهو صغير، وكأن العناية الربانية تهيئه ليخوض غمار الموقف الأصعب في التاريخ وفي مرحلة الرسالة والصراع الثاني فيها وهو صراع التأويل بعد الصراع الكبير الأول وهو صراع التنزيل. كذلك فإن الحسين حاز على لقب الشهيد وهو حي يرزق، بل بكاه النبي صلى الله عليه وآله كما في صحيح الروايات والحسين طفل صغير يجلس في حجر جده المصطفى العظيم، وودعه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بقولهم نستودعك الله من شهيد، وهذا ما فعله عبد الله بن عمر وهو يبكي ويرجوه ألا يترك مدينة جده لكي يذهب إلى كربلاء والعراق. بل إن الحسين عليه السلام رثى نفسه طوال الطريق

(*) من الشخصيات الدينية العراقية المعروفة. نائب المشرف العام على المدرسة الخالصية للدراسات الإسلامية في مدينة الكاظمية ببغداد.

وهو يقول: "وخُيِّرَ لي مصرع أنا لاقيه بين النواويس وكربلاء". فالحسين هو إمام الحق والهدى وهو سبط رسول الإنسانية ومنقذها وهو أولى الناس باتباع نهج الحق في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهو أولى الناس بالدفاع عن هذا النهج إلى حد الشهادة، والتضحية بكل غال ونفيس وهو يقول:

إذا كانت الأبدان للموت انشئت فقتل امرئ بالسيف في الله أجمل

حين شاهد الحسين عليه السلام أن الأمة تمر في مرحلة خطيرة، وهي مرحلة الإحباط واليأس من صنع الثورة واستمرار منهج الرسالة، وتحقيق العدل والمساواة وهي مرحلة تشبه كثيراً مرحلتنا المعاصرة، وحين وجد الهزيمة تكاد تصيب كل الفواصل الحركية، وأن الجاهلية بدأت تعود من جديد، وأن مبدأ الشورى بدأ يتحول إلى الملك العضوض، وأن مبدأ العدالة بدأ يتحول إلى الفردية والديكتاتورية، وأن البدع بدأت تحل محل السنن، وأن عبادة الأصنام بدأت تسيطر من جديد على العقول، وإن أزيلت الأصنام من الكعبة وهُدِّمت في أنحاء جزيرة العرب. وحين وجد الإمام الشهيد أن مرحلة القمة من مسيرة الإمامة، ومرحلة تحقيق الشهادة قد حانت، سار الحسين بكل ثبات وعزيمة:

سأمضي وما في الموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مُسلِما

وقبل ذا قد حاولوا إغراء هذا الفارس الغريب
بالعزِّ والمواهب
والمال والمناصب
إذا به يَردّ كاللهيب:

إني على درب الإبا لا أعرف الخضوع والمساومة
بل ثائر في كل أمر مجتبى وكاتب صحائف المقاومة

وهكذا أثبت الحسين بدمه ودماء أهل بيته وأصحابه، وهم خير أهل بيت وخير أصحاب، وبآلام وأحزان ودموع أسرته، الدفاع عن الإمامة، وبأنوار الشهادة، والدفاع عن الإمامة دفاع عن الإيمان وكل مُثُل الخير التي تبحث عنها

الإنسانية.فمن يعرف مقام الحسين هذا لا يمكنه أولا يسمح لنفسه أن يقف ليشك أو يتردد في فهم دوافع هذه الثورة، بل يجد نفسه متواضعاً أمام الملحمة الفريدة من تاريخ الإنسانية والتي تتضمن مسيرة الهدى والإيمان إلى آخر الدهر.

من هنا فإن دراسة دوافع الثورة الحسينية وأهدافها تُعدُّ من أهم وسائل دراسة الفكر الإسلامي ومعالجة مشاكل الأمة، بسبب واضح يتعلق بمكانة الحسين عليه السلام وموقعه في آل بيت النبي القائد والأسوة العظمى التي أُمرنا باتباعها. ففكر الثورة هو فكر الإسلام، ووسائلها هي وسائل التغيير الشرعي، وبياناتها هي بيانات الحق في مواجهة الباطل، وروح العدالة في مقابلة الظلم، وخير الشورى في مواجهة الفردية والتسلط والملك العضوض. لذلك فإن التأكيد على ثورة الحسين ودوره وشهادته، ليس إحياءاً لذكرى فقيد عزيز فقط ولو كان بمكانة الحسين بن فاطمة، بل هو إحياء جاد لروح الإيمان وروح الجهاد والشهادة، ودعوة إلى التمسك بالإسلام الأول الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وآله إلى العالمين رحمة ومحبة وأخوة وسلاماً. فإحياء ذكرى الثورة هو إحياء لروح الإسلام بشكل كامل، وهو وسيلة معالجة أزمات الأمة. وقد أحيا الخالق العظيم ذكريات الشهداء السابقين والمعاصرين لعهد الرسالة، كما قال سبحانه ﴿ وَكَأَيِّن مِن نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة: آل عمران، ١٤٦]وقال سبحانه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وإلى غيرها من الآيات. وهذا الدور الإحيائي لثورة الحسين يُفَسِّرُ قول جده العظيم فيه (حسين مني وأنا من حسين)، وإن استمرار الرسالة فكراً وممارسة كان من خلال ثورة الحسين وموقعه العظيم.

العلامة السيد كامل الهاشمي(*):

أعتقد أنه ظلّ ينقصنا كمسلمين في محاولتنا لحل مختلف مشاكلنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحتى المعرفية والثقافية، هو عدم وجود مؤسسة

(*) من علماء الدين الأفاضل في البحرين

تعكف على دراسة وتدريس شؤون الثورة الحسينية، وذلك لأننا نريد أن نتجاوز بالثورة مفهومها التقليدي الضيق، والذي يحصرها في الزمان والمكان وبقية المشخصات، ويعيد النظر إليها بوصفها آلية وتقنية حركية تستثير على الدوام في نفس الإنسان أسئلة مهمة وكبيرة تتعلق بكل شؤونه الخاصة والعامة، ودوره المرتقب منه في هذه الحياة، وطبيعة المسؤولية التي يتحملها في علاقته بالله والإنسان والتاريخ.

وهذه الأسئلة الحساسة التي يفترض بأيّة ثورة أن تثيرها في وعي الإنسان، أفضل من أثارها وظل يثيرها على الدوام، وعبر مختلف الأزمنة والأجيال هو الثورة الحسينية بما قدمته من أداء متميز لا يسع الناظر فيه والسامع عنه إلا وأن يتفاعل معه ويشارك أشخاص وأبطال الثورة الحسينية في ثورتهم على الجمود والطغيان والتبلد والخمول والرضا بالأمر الواقع من دون محاولة للتغيير والتطوير.

والذي أراه أن الثورة الحسينية بشكل خاص تتجاوز في مداها وغاياتها حدود أن تكون معركة حربية صغيرة أنجزت وانتهت في اليوم العاشر من محرم عام ٦١ للهجرة، بل ما تفتحه هذه الثورة الخالدة لنا من آفاق تشكل فتوحات متنوعة في ميادين الحياة المختلفة، ولكن ذلك مرهون بكيفية فهمنا للثورة الحسينية، وإلا فإن قائد الثورة الحسينية الحسين بن علي عليه السلام نفسه قرّر بأن لا مجال لإدراك الفتح لمن لم يحضر معه الثورة ولم يشارك فيها بدور إيجابي، وذلك حينما كتب إلى أخيه محمد بن الحنفية قائلاً: (أما بعد فان من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح).

الدكتور عبد الكريم الشبلي(*):

نعتبر دراسة فكر الثورة الحسينية ضرورة ملحّة بالنسبة للفرد المسلم اليوم كما بالنسبة للأمة ككل لأن هذا الفكر الإسلامي هو متجدد، ولأن الثورة الحسينية لم تنبثق عن لحظة تاريخية عابرة. فقد كانت أعظم صرخة وأصدق فداء في تاريخ أمّة الإسلام، للتبرّئ من كل الطواغيت والإنحرافات، وللإعلان

(*) أكاديمي وباحث إسلامي من تونس.

بالولاء لله دون غيره. فكشفت الظالمين سعيهم لطمس جوهر الدين الإسلامي، حتى تخلو لهم سوق الدنيا لوحدهم، ويعيثوا فيها فساداً دونما حسيب ولا رقيب. إذ بلغ طاغوت ذلك العصر أوجه، عندما ضرب بعرض الحائط تعاليم رب السماوات والأرض، وهتك الحرمات، وتمادى في الفسق والفجور، متجاهراً بذلك ومكابراً، ومتحدياً في ذلك ربه (جلّ وعلا) وكل مؤمني الأمة وكل ضمير حي. وغرض الطاغوت (يزيد وزبانيته) عندما قتلوا الإمام الحسين وأصحابه ليس مجرد التحدي أوالسلطة، وإنما أكثر من ذلك: إزهاق روح الإسلام، وقتل أنفاس الحرية الإنسانية باستهدافهم صميم معتقداتنا، ففرضوا عليها الركون إلى الاستكبار والاستسلام إلى أهوائها المتعاقبة، وبالتالي التأسيس لمشروع استكباري يرفض أي نفس حرّ، ويصادر كلّ ما بناه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

فهذا الانقلاب الخطير في المعايير الخلقية الصحيحة التي لم تتبلور بعد في نفوس المجتمع الإسلامي الناشئ، كان لا بد من أن يتصدى له كلّ مسلم، وهذا هو الأصل والتكليف الشرعي، لكن الأيادي كانت مكبلة والأصوات مكمّمة، وكل أجهزة الدولة وعملائها كانوا موظفين لخدمة الاستكبار ووأد أصوات الحرية وتعقب كل نفس. ولهذا سجل لنا فكر الثورة الحسينية خطب الإمام الحسين عليه السلام لدعوة أفراد الأمة حيثما وجدوا وأينما كانوا، وهي كلمات راسخة وخالدة تضرب كل مستكبر وتعريه من الشرعية التي يتوسل بها. إن تضحية الإمام الحسين سبط المصطفى صلى الله عليه وآله بنفسه وبأهله وولده وأصحابه كان حجة على كل أفراد الأمة ممّن ضنّ بنفسه عن تلبية داعي الحق.

إن فكر الثورة أطنب في تعداد مزايا الإمام عليه السلام وكل فرد ممن كان معه، في وزنهم الاجتماعي العظيم، أو في ثقلهم الديني والخلقي فضلا عن كونهم من النخبة ومن ذوي اليسار، وليسوا بحاجة إلى سلطة أو جاه. وهذا التميز في حد ذاته هو الذي بعثهم على الثورة دون غيرهم. ولهذا السبب يعيد فكر الثورة تمثّل كل تلك القيم السامية لتستنهض همم أفراد الأمة ممن يختار طريق الإمام الحسين، والباب لا يزال مفتوحاً مادام هناك الاستكبار والطواغيت، وزماننا هذا مليء بهذه النماذج اليزيديّة، وحربها على الفكر الإسلامي معلنة ولا تقلّ سوءً

ولا قساوة عمّا اختطه مؤسسو الشرعية الوهمية، بل هي تستند إليها بدورها وتستمد منها فرمانها!

وبقدر ما أفلح الإمام الحسين عليه السلام في تشخيص أدواء الأمّة حينها، فإنه كان أدرى الناس وقتذاك بأن خط الاستكبار سيمكث جاثما على أنفاس أمة جدّه: كابحاً العقول وزارعاً الفتنة والفساد، ولهذا اختار أن يقدم الدواء للأمة مخطوطاً بدمه. وأن يجعل معالجتها رهينة أن تستلهم العظة من ثورته. ومن هنا يتصدى فكر الثورة الحسينية لبيان الدروس من هذه الحركة التاريخية ليعتبر منها كل فرد مسلم وليخيب كل جبّار عنيد. وأكبر مصداق لذلك مقولة السيد الإمام الخميني(قدس سره) "أن كل ما لدينا هو من ثورة الإمام الحسين عليه السلام".

الدكتورة نعيمة شومان(*):

لقد جاءت ثورة الحسين - في الواقع - لإحياء رسالة الإسلام بعد أن كادت يُقضى عليها على يد أعداء الإسلام، وبعث الروح الإسلامية بعد أن كانت تقترب من الاحتضار، وإنصاف المظلوم من الظلم، ورعاية الضعفاء من جور المستكبرين.

وإن كان يزيد بن معاوية، يمثل في ذلك الحين رأس الحربة للقضاء على رسالة الإسلام، والسيف الضاري المتسلط على رؤوس الضعفاء والمظلومين، فإن خلق إسرائيل في قلب الأمة الإسلامية، ليس إلا امتداداً لذلك الهدف عن طريق هذا السرطان الرهيب.

وبما أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد أصر على الثورة في وجه المستكبرين الظالمين، وعلى رأسهم يزيد، بعد أن ضاقت بهم سبل الإنقاذ، ووصف شدة الحرص "بالخوف الذي يهدد عزة الرجل الأبي" بقوله:

"إن شدة الحرص كالخوف يهدر عزة الرجل الأبي، ولا يضيف لعمره المقدور لحظة". وقوله: "عندما يصبح ذل الخوف سلطان القلوب، يصبح الباطل

(*) أستاذة في جامعة السوربون الفرنسية.

وحده في يديه الصولجان"..

كذلك، فإن هذا الأخطبوط الجاثم على قلب الأمة الإسلامية، والذي يزرع الخوف المروع في قلوب المسلمين كافة، فيستغله زبانيته من المسلمين وغير المسلمين، للحض على الحرص، الذي تحول -في الواقع- إلى جبن وذل وانصياع، فلسوف يصبح معه الإسلام والمسلمون- الذين يبادون كل يوم بالمئات- أثراً بعد عين، وبأيديهم بالذات...

" فالمسلمون يبادون.. ويتهم الإسلام بالإرهاب"...!

صحيح أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكسب معركة كربلاء. ولكنه أنقذ الإسلام والمسلمين، بفضل السيدة زينب عليها السلام بالكلمات، التي كان لها وقع كوقع الطعنات. وكذلك، فالثورة على إسرائيل وأذنابها، وإن لم تحسم المعركة لصالح الثائرين، فإنها لا بد إلا أن ترسخ دعائم الإسلام وتستقطب كافة قوى العدل في العالم، وكافة المستضعفين في هذه الأرض، للثورة على رؤوس الظلم والطغيان. فكثرة الإمهال، والتبصر، والحكمة كما يقول الحسين عليه السلام : "تلبس الباطل بالحق، فيبدو الجبن في ثوب الحكيم المتأمل، إن ظل الخوف يخفي الحق، حتى عن عيون العقلاء.." وبما أن هذا الخوف لا يضيف للعمر المقدور لحظة، وأن المسلمين حكم عليهم- في كافة الأحوال- جرم الإبادة، فلماذا يهادنون؟!..

البحّاثة الأستاذ حسين شرف الدين(*):

النهضة الحسينية لا ينظر إليها من وقائعها المادية والاجرائية، وإنما لأغراضها ولالتزامها التراثي وتراكمها الثقافي، وهما ـ بالنسبة للنهضة الحسينية متشكلان من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والسيرة المباركة للنبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وللإيضاح نورد نقاطاً أمثلة غير حصرية.

أـ الاغراض: في الالتزام الاخلاقي:

"*مثلي لا يبايع مثله*"، والمثلية هذه ليست في الشكل أو التمايز النِّسَبي، إذ

(*) مفكر إسلامي لبناني، حفيد الإمام عبد الحسين شرف الدين العاملي (قدس سره).

لو كانت في يزيد الأهلية المقتضية للمبايعة لما وردت المقارنة، ولذا، فمثلي هنا، أنا الملتزم بما جاء به الآي الكريم وما كان من سيرة النبي وأهل بيته، ومن جرت عليه ومعه ما جرى من إشكالات كان لها الصبر هو الأحجى، إذ كان لكل من في الدائرة النبوية دور ينتظر حينه، فلا يستبق أمره ولكلٍ أوان، فما إن حان وقت القيام على الطغيان وما يمثله يزيد بن معاوية من انحرافات في السلوك الشخصي اليومي، وفي قطع ما بين موقعية الخلافة عن المستخلِف، وارتباطات الإمامة بشؤون الناس، وهذا ما دعا الامام الحسين عليه السلام إلى جعل شعار نهضته: الاصلاح في أمة جده صلوات الله وسلامه عليه وعلى جده.

هذه النقطة الاولى في المعاني التي تحملها نهضة الامام الحسين عليه السلام وتلزم أدبياتنا بمصطلحات تقع منها دلالاتها في النقطة - المحور، إذ الغرض من نهضة الامام الحسين عليه السلام هو الوقوف في وجه الانحرافات وايقافها لتعديل مسارها إلى الاتجاه نحو دين الله تعالى الذي حمله نبيه ورسوله محمد بن عبد الله خاتمةً لرسالاته سبحانه، ولكل ما رسمه للانسان، ليقوم بمسؤولياته في كشف أسرار الكون. الانسان تولى القيام بأعباء الامانة عن كل ما هنالك مما يعبر عن القوة والقدرة والصعود كما هي السماوات والجبال والارض التي أشفقت من حمل الامانة، والانسان وحده أخذ عن ربه أسرار المعرفة بتعلم الاسماء دون القدرات الغيبية، التي تنفذ المهام الموكولة إليها من قبله سبحانه، ولكنها أعجز من أن تكتشف ما في الكون من أسرار وأن تتوصل لمستوى خلافة الله في الارض، إذ أنها موقوفة على الانسان وهو غرضٌ في أن يكون هو المخلوق الوحيد العاقل.

الإصلاح الحسيني هو العودة إلى الاسلام المحمدي، وليس الإسلام الاموي ولا أي إسلام آخر، العودة إلى المؤمنين في ما وعوه من الإسلام خشية أن ينالهم ما يمكن أن يأخذ بهم إلى انحراف دون قصد منهم، بينما التجهيل العام قد يخلق أجواءً من المفاهيم الخاطئة التي تسري في المجتمع سريان الحقيقة، ويأخذها الناس أخذهم للحقيقة. وهي الخطورة الكبرى، أن يأخذ المؤمنون بمقولات يسوِّقها الحكم الفاسد، فيقعوا في الخطأ الذي يعم جهلاً أو تجاهلاً. ولا

غرابة أن يغرق العامة في الروايات الملفقة والمنحرفة، والتاريخ يحفظ لنا الكثير من مثلها، ومن مثل الاستشهاد بآراء الصحابة الأولين، فلم تفلح حجة المحتج ولا شهادة الشاهد. فكيف يكون الامر في غياب الإعتراض وفي فقدان الاوائل؟ وحسبناً مثلاً في انعدام القدرة على المحاكمة ما قيل يوماً أن الحسين خرج على إمام زمانه، أو أنه خرج عن حده فقتل بسيف جده". وقد أخذت مثل هذه المقولات طريقها إلى أبحاث أزمنتنا، كما أخذت مثيلاتها من المرويات التي تبرئ يزيداً من الزندقة أو الفسق، حتى أن كاتباً في الإسلاميات كان من مشاهير القرن العشرين يكتب: (ما كان يزيد فاسقاً ولا زنديقاً، وإنما كان سكيراً يتلوط) وعلى مثل هذا تبنى الأحكام وتدوم لو استمر تزوير التاريخ، دون هزة ترجُه.

على هذا فالاصلاح هو المصطلح الأكثر انطباقاً على نهضة الامام الحسين عليه السلام من عبارة (ثورة) لو أعدناها إلى دلالتها الاساسية لا الاصطلاحية.

النقطة الثانية في الموقف السياسي العقائدي التي نجدها حقيقة بنهضة الامام الحسين عليه السلام دافعاً للقيام للاصلاح هو أن تؤول الاحكام إلى كفرة لا يرون في الاسلام إلا الملك، وهو العبارة التي خرجت عن لسان أبي سفيان عندما تدخّل على العباس ليأخذه إلى النبي صلى الله عليه وآله، وإذ وقع نظره على جموع المسلمين، لم يتمالك نفسه إلا أن يقول للعباس: لقد علا ملك ابن أخيك، وعندما تقدم خاضعاً إلى النبي وطلب منه أن يشهد بالوحدانية شهد بها، أما نبوة محمد فقال: إن في النفس منها شيئاً، وما كان ليقولها لولا أن دعّه العباس.

ثم قولة أبي سفيان في أواخر أيامه يوم أن تولى عثمان الامر: تلقفوها يابني أمية، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار. وهنا أكد أبو سفيان أنه لا زال على قناعته أن ليس من رسول ولا مرسِل، ولا ثواب ولا عقاب وإنما هو الملك الذي يدعو لتداوله بين بني أمية.

وكانت أيام إنفجر في أحدها معاوية غيظاً وهو يسمع شهادة أن محمداً رسول الله، فيتوعد بمحو هذا النداء في قول ينهيه: "ألا دفناً دفنا".

وأفضل وسيلة لهذا الدفن أن يولي منبر النبي صلى الله عليه وآله ومحرابه لمن لا يصحو من سكر، ليس له من حياة إلا في مجالس الشراب والنساء والمغاني والمعازف،

مع شذوذ جنسي. هذا الذي يأبى الحسين عليه السلام مماثلته فكيف يمكن أن يبايعه للتسلط على أعراض النساء وأموال الرجال ونفوس الاطفال وتدبر أمر الأمة.

وقد تأكد نهج أبي سفيان ثقافة أساسية في الذهنية الاموية، ألا يجد يزيد وهو يتلقى رأس الإمام الحسين عليه السلام إلاّ الإستشهاد بأبيات ابن الزبعري:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

حتى يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

إنها الذهنية الأموية بكل خصائصها اللاإيمانية، وعلى مثلها أمثلة طوال فترة ملك الامويين سفيانيين ومروانيين.

وأخيراً، نأتي إلى الاعتراضات على خروج الامام الحسين عليه السلام مع وجود الناصح النصوح ومنهم أخوه محمد بن الحنفية، وهو ابن أبيه علماً وشجاعة وقتالاً، ولكن فات الناصحين والمعترضين الربط بين حقيقة الاسلام وواقع الانهيار الاجتماعي والاخلاقي بما ينسف كل ما له صلة بالاسلام وقمتها تولي يزيد بن معاوية الحكم بما هو من صفات.

لم يكن الربط بين ما وصل إليه الاسلام في ذلك الحين وبين بداياته التي كانت أولى معاركها الحاسمة في بدر، من جانبها المعنوي والروحي، والذي يمكن أن يتمثل بالآية الكريمة التي أحدثت العزم لدى النبي صلى الله عليه وآله: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾(الانفال، ٧).

الاعتماد هنا هو وعد الله بالغلبة إن كانت المواجهة مع حماة قافلة تجارية، أو مع قوات دعم مسلحة قادمة من مكة، والغرض أن يحق الحق، والوعد الالهي هو في كل آن، ومنها ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[الروم/٤٧]، ولكن الله سبحانه ينصر من ينصره، فلا ينصر المعتدي والطاغي والباغي، وإنما ينصر من يقوم لأوامره ويعمل بنواهيه، إن كان على شخصه وعلاقته مع الله أو علاقته مع الناس.

وكما كان لا بد للنبي من الحرب في بدر، فالحسين عليه السلام لا بد له أيضاً من حرب في كربلاء نصراً لله ولدين الله ونصراً للناس وللاجيال القادمة من أن يقعوا في شراك الطغيان والبغي (المؤدلج) بإسلام أموي.

هذا نمط من الطروحات يمكنني اقتراحه الآن نموذجاً لكيفية تقديم الامام الحسين عليه السلام ونهضته إلى الناس وإلى جيل الصغار بالذات، وفي كلماته سلام الله عليه، عند خروجه، ينابيع لموضوعات يمكن البناء عليها.

فضيلة الأستاذ الشيخ جودت سعيد(*):

إن ما حدث للحسين حسب تصوري ينبغي أن يوضع في سياقه التاريخي، كنتيجة لما قبله، ومساهم للأحداث التي تلته.بعد الرسالة القرآنية فإن ما حدث من خصومة بين الفكر القرآني ومعارضيه، كما في السيرة النبوية ونصوص سور القرآن، جاء متسلسلا وكان فيه محطات بارزة من الاستخفاء، والصدع بالأمر، والمقاطعة الصعبة، وبدء استجابة أهل يثرب، والهجرة وتكوين مجتمع جديد والأذن بدفع العدوان إلى صلح الحديبية، إلى فتح مكة وما حدث بعد فتح مكة من ظهور المؤمنين كقوة في جزيرة العرب.

فإذا كانت نشأت بعد الهجرة ظاهرة النفاق، فقد ظهر بعد فتح مكة فكر المتملقين، الذين وصفهم القرآن قائلاً: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾، هؤلاء الذين لم يعانوا نشأة الدعوة إنما جاؤوا للمغانم كما يحدث لكل منتصر.

هذا ما حدث بعد فتح مكة، الإقبال الكبير، وسمي ذلك العام، (عام الوفود)، فهؤلاء الذين أسلموا بعد فتح مكة نستطيع أن نقول: على يدهم نشأ حدث العودة إلى الجاهلية، من الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان إلى قلوبهم، كما قال قائلهم في حنين: الآن بطل سحر محمد.

وبعد وفاة الرسول حصلت الردة الكبرى، التي قتل فيها الحفاظ للقرآن، إلى أن قضي على ذلك.

(*) مفكر إسلامي سوري معروف.

إلا أن عوامل النزاع ظلت كامنة، إلى أن انتعشت في عهد عثمان مما أدى إلى مقتله، حتى معركة صفين التي قتل فيها عشرات الآلاف - مثلما حصل في حروب الردة- وبعد هذه المعركة كان النصر للطلقاء. كما انتصرت فكرة الخوارج الذين خذلوا الإمام علي ثم اغتالوه.

هنالك انتصرت لغة السيف على الفكرة، وحل الإكراه في الدين والسياسة محل اللاإكراه والرشد، وودع المسلمون التحاكم إلى الإقناع إلى التحاكم إلى السيف وصاروا يقولون هذا الخليفة ويشيرون إلى الطاغية، وإن هلك هذا فهذا ويشيرون إلى إبنه، ومن رفض فهذا هو الحكم ويرفعون السيف.

وسارت الأمور على هذا المنوال، حيث كان الانتقام بالسيف من بني أمية، ومن ثم نبش قبورهم. لكن الذين انتصروا ورثوا شريعة المهزوم، مهزوم يتبع مهزوماً، وحتى الذين جاؤوا باسم آل البيت من بني العباس إلى الحكم، آثروا شريعة الذين قضوا على الرشد.

وبإيجاز شديد. وهنا ينبغي أن نشير إلى أن الأنبياء كانوا يأتون بالخوارق وليس بآيات الآفاق والأنفس، ولكن القرآن حول الآيات إلى الآفاق والأنفس، وقال للذين قالوا: ﴿لو ما تأتينا بآية كماأُرسل الأولون؟﴾. قال لهم: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾. وظل العالم الإسلامي ينحدر ويتمزق إلى قطع صغيرة. يبرز طاغوت فيضم لنفسه ما يستطيع. إلى أن وصل تداول الأيام بين الناس إلى أيدي الإفرنج بعد الحروب التي سموها صليبية.هؤلاء إكتشفوا أهمية الإطلاع على ثقافات الأمم وتعلم لغتهم. فصار لهم السلطان على العالم، وليس فقط أنهم اكتشفوا تقنيات الكيمياء والأسلحة، بل تغيرت نظريات الفلك، إلى أن اضطروا إلى أن يكبحوا الألوهية البشرية للملوك فابتكروا الجمهورية بدل تداول السلطة بالحروب، إلى التداول على أساس من يقنع بأنه يخدمهم أكثر، وهذا هو حدث جديد في الاعتراف بالعقل والإقناع وعدم اللجوء إلى القوة، حيث كان التاريخ كله يعتمد على القوة فمن ينتصر يطغى ويعلن كفرعون ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ﴿وما علمت لكم من إله غيري﴾ ﴿ولئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من

المسجونين﴾. فأزيلت الملوكية ونشأت الجمهوريات بمعاناة طويلة.

القرآن يقول لنا: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾. وكشف لنا أن الإنسان من طبيعته لا يمكن تغيير أفكاره بالقوة، ومن هنا وصلوا إلى حرية العقيدة رغماً عنهم، لأن الإكراه لا يصنع إيماناً ولا كفراً، إذ لا دخل للإكراه على النفس الإنسانية.

وهذا ما جاء به الأنبياء، وهذا ما أعلنه القرآن بإعلان كبير للإنسانية: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت - الإكراه- ويؤمن بالله - الذي لا إكراه في دينه- فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾، صحيح أن الغرب وصل إلى الجمهورية، أي إقناع الناس لا إكراههم، ولكن ذلك كان محصوراً بين الدول القومية. ولكن تطور هذا إلى أن تمّ تجاوز القومية، فأوربا تتحد بكلمة السواء فيما بينهم، وحين تصل كلمة السواء إلى الأمم المتحدة يكون قد وضعت فكرة لا إكراه في الدين في طريق العالمية، وهذا ما عرضه الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي حين حضر اللقاء العام في الأمم المتحدة و أعلن قائلاً: (جئتكم من شعب انتصر بقوة الكلمة على قوة السلاح) .. و(إن حضارة الفيتو ينبغي إلغاؤها بحضارة كلمة السواء).

وفي خضم هذه الوقائع، ظهر في العالم الإسلامي ، حدث انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية . إنه وبعد معركة صفين لم يحدث أكبر من الثورة الإيرانية، لأنها أثبتت وجودها، وأثبتت شيئاً ليس في التاريخ الإنساني، انتصار شعب بنسائه ورجاله المجردين من كل شيء إلا الإيمان بقوة كلمة (لا إله إلا الله)، لابسين الأكفان ويتحدون الأسلحة الرشاشة من الدبابات والطائرات... يا إلهي لم أسمع ولم أر مثل هذا الحدث الذي لم يعط حقه، حيث أنه لا نظير له في التاريخ الإنساني، بهذا الوضوح وتحت أسماع الناس وأبصارهم. إن الثورة الإسلامية الإيرانية أعطت للعالم كيف ينتصر الإيمان الأعزل على طاغية كبير مدعوماً من أكبر الطغاة التي وجدت على الأرض، ما هذا الحدث الذي لم يستوعبه الناس، وظنه كثير من أهله شيئاً خارقاً، ليس هناك خوارق إنها آيات الأفاق والأنفس. لم يعد هناك أسرار، إنه الأسلوب الذي يتغلب على الإنسان

الذي يطغى، كما في أول سورة في القرآن ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، تغلب وانتصر بقانون الله في تلك السورة الأولى في القرآن ﴿لا تطعه واسجد واقترب﴾، أنا أقول: إن الحدث الإيراني هو سوبرنوفا انفجار عظيم، لم يحدث مثله في التاريخ. وكان قائد الثورة الإمام الخميني انتبه إلى أشياء كثيرة (ابتكر ولاية الفقيه)، وهذا معناه ولاية الفكر ولاية العقل ، بالإيمان، بقوة الفكر عند الإنسان، وإنه أقوى من كل سلاح يمكن أن يبتكر، إنه خليفة الله حامل الأمانة، روح الله في الإنسان الذي نفخه الله فيه.قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾، أسجَدَ له الكون، ومن رفض السجود طُرد، وقال الله (يتحدى الشيطان) : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾ قال في تحديه ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ إلى آخره.

وعلينا أن نتذكر قوله تعالى في استخلاف الإنسان، لما كان الإنسان مشروعاً، في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٢/٣٠} وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾، هذا الإنسان الذي نفخ الله فيه من روحه، روح العلم والفهم والكشف لسنن الله، وتسخيره هذه الأمانة العظمى التي حملها الإنسان، ولم تستطع السماوات الأرض والجبال حملها ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ﴾، يفهم سنن الكون بما فيه البشر ويسخره، أعطى الإنسان أداتين، أعطاه النظر وكشف السنن، و أعطاه القدرة لنقل العلم وكشف سنن التسخير إلى إنسان أخر، ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾.

هذا وعلم آدم الأسماء، أي نقلُ العلمِ بوضع الأسماء، بالكلام صارت تنقل المعرفة. ثم حول الإنسان الكلام الذي كان يضيع في الهواء بابتكار الكتابة إلى الخلود للأفكار، ما يفهمه الإنسان من سنن الله في الآفاق والأنفس، صار خالدا بابتكار الإنسان للقراءة والكتابة. ولهذا ليس عجباً أن تكون أول كلمة في

القرآن (إقرأ)، ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ❖ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ❖ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ❖ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ❖ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ❖ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ... كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾.

لنفهم هذا التسلسل في الخلق، وتقدم الإنسان بمعاناة وكبد، لنفهم هذا علينا أن نتذكر قول الله تعالى ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير﴾ [سورة العنكبوت آية ٢٠].

لما نزلت هذه الآية لم يكن البشر يعرفون أطراف الأرض، ولا كم أخذ من الوقت حتى جاء الإنسان العاقل القادر على الفهم ونقل الفهم بالكلام، ولا كيف حول الإنسان الكلام إلى رموز للقراءة، فلهذا لم يكن لهم القدرة على فهم معنى ﴿إقرأ بسم ربك الذي خلق﴾. لهذا لما صار للإنسان القدرة على الفهم وعلى نقل الفهم إلى الإنسان الآخر بالقراءة. إن هذا التسلسل في الفهم هو الذي جعل القرآن يختم باب السماء، فلا يعود يرسل رسولاً ولا ينزل كتاباً. ولكننا جهلنا أن الله لما أغلق باب السماء، فتح لنا باب آيات الآفاق والأنفس، ونقل الوحي إلى آيات الآفاق. كل ما في الكون ما عدا الإنسان والأنفس خليفة الله الذي نفخ فيه من روح الله وحامل الأمانة العظمى والكرامة والذي علم الله فيه أنه خليفته في الأرض وسيحقق علم الله في الإنسان وسينتصرعلى الفساد وسفك الدماء.لقدعلمنا أن الله لم يقل أنه أنزل كتاباً على آدم وإنما قال: ﴿ وعلم آدم الأسماء﴾ أي الكلام، ولكنه قال: ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾. ونحن صرنا نقرأ آيات الآفاق والأنفس، وهي تتبع الإنسان بقدرة الفهم، فعرف الإنسان الذرة والمجرة إلى أن عرف الانفجار الأعظم، حين خلق الله الكون من العدم. آيات الأفاق والأنفس تكلمت. قال الله: ﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ كل شيء ينطق . تكلمت الأرض بأخبارها، بلغة لا يمكن أن ينكرها إلا إذا أنكر روح الله في الإنسان، وتكلمت آيات الأنفس البشرية لما قال الله: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

لما قال: ﴿لا إكراه في الدين﴾، قاله الذي يعلم السر وأخفى أن لا إكراه في الدين، به تبين الرشد من الغيّ.إنني لما كنت طالباً حين كنت أقرأ هذه الآية ﴿قد تبين الرشد من الغيّ﴾ كنت أقول في نفسي: إنه ما تبين لي الرشد من الغيّ. كنا نعيش في الظلام، ولكن بعد أكثر من ستين سنة من التفكر والتدبر، تبين لي الرشد من الغي ففهمت أن لا إكراه في الدين هو الرشد وأن الإكراه في الدين هو الغي، لأن الإكراه لا سلطان له على الإنسان. الله أكبر! ما هذا الخلق الذي ليس لأحد عليه سلطان؟! ما هذه السلطة العظمى التي للإنسان؟ لماذا قال الله: لا إكراه في الدين؟. قال: لا إكراه في الدين لأن الإكراه لا سلطان له على روح الله في الإنسان، لا سلطان لأدوات الإكراه على الأمانة العظمى التي نفخها الله في الإنسان، وحملها الإنسان لأنه صار جديراً وقادراً على حملها، لأن الإكراه لا قدرة له على صنع أمر، لا إيمانا ولا كفراً، لأنه ليس من أكره على الإيمان يصير مؤمناً، ولا من أكره على الكفر يصير كافراً. إذن لا إكراه في الدين لا يمكن إكراه الإنسان على الإيمان ولا على الكفر، هذا ليس سراً. لكن لم يرسخ فهم هذا فينا، لهذا قال الله عن الراسخين في العلم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (سورة آل عمران آية ٧)، ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ (آل عمران آية ١٩٣). لقدإشتبهت علينا المحكمات بالمتشابهات، إن لا إكراه في الدين صارت مادة أساسية في دساتير جميع دول العالم، من آمن، ومن لم يؤمن، لأن الإنسان فهم طبيعة الإنسان، لهذا صارت "لا إكراه في الدين" تتصدر كل دساتير العالم بعبارة (حرية العقيدة). ومع ذلك فإن التمسك بحق الفيتو مناقض لحرية العقيدة، ويفرض على الناس حق الفيتو وليس من منكر لهذا الباطل، باطل الأباطيل وليس من منكر بل هناك من يتلمظ أن يصير له حق الفيتو، لأن حق الفيتو هو الشرك الأكبر الذي يحبط كل الأعمال في لغة الأنبياء جميعاً، حيث يقول القرآن: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(الزمر٦٥).إذن فإن جميع أعمال البشر في الكرة الأرضية صارت محبطة لأن هناك من يمارس الإكراه في الدين، فالإنسان بالإكراه

لا يصير مؤمناً بل منافقاً، لقد آمن الناس بلا إكراه في الدين ، ولكن لا يزال الطاغوت يمكن أن يفرض سلطانه لأن الناس لايزالون يشركون بال له ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (يوسف١٠٦)، لا إكراه في الدين ولا إكراه في السياسة ولا إكراه في الزواج ولا إكراه في البيع والشراء وفي حقائق الحياة، لا دور للإكراه ولكن ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى ❖ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾، من شأن الإنسان أن يطغى إذا رأى أنه يمكن أن يفرض طغيانه، والطغاة لا يتنازلون عن سلطانهم وامتيازاتهم إلا رغماً عنهم، والقانون في هذا الموضوع هو الفهم والتفهيم ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾، الصراع هو صراع الفهم وكشف الحق من الباطل، فإذا انكشف الحق من الباطل يكون بذلك جاء الحق، وقانون الله أنه إذا جاء الحق ،زهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا، ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾.

نحن لم نذق بعد طعم الحق، وإلا لماذا يجول الباطل ويصول. يا الله ما أعجب ما نرى؟ وليس من صوت صارخ في البرية بأن ملكوت الله قادم، ولا نهيئ دروب الرب، ولا نتواصى بالحق (كشف الحق)، ولا نتواصى بالصبر، كيف نتواصى بالصبر ونحن لم نتواص حتى بالحق، لم نكشف الحق ولم نعرف طبيعته. لهذا أشعر أن سنن الله في الحق ما تزال سارية المفعول. يكشف الله للناس خلال التاريخ أحداثاً ولكن لا نعلم تأويلها، في سورة يوسف يذكر الله ثلاث مرات الأحاديث (تأويل الأحداث) لأن الأحاديث هي الأحداث التي صارت أحاديث يتناقلها الناس، يقول الله: ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ (المؤمنون٤٤)، يقول تعالى ليوسف ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف٦)، ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ (يوسف٢١). ثم قال يوسف: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾(يوسف١٠١)، مع أن هذه السورة في تأويل الأحلام، حلم يوسف وحلم الملك، ولكن الله ينبه إلى تأويل الأحداث، ويضرب الله الأمثال، لقد كان لسبأ -فيضرب مثل سبأ- ويقول عنهم ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ

كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (سبأ، ١٩).

يا أخي حلمي زادة ماذا سأقول لك؟ إنك تحمل هم المسلمين وهم الإنسان وهم العالم، لقد ذكرت وأشرت في أسئلتك إلى إشارات هامة، ليخرج العالم من الفساد في الأرض وسفك الدماء، وهذا يتحقق ببطء شديد بحسب نظر الإنسان المستعجل المخلوق من عجل يقول الله ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ (الأنبياء٣٧.)، إن رؤية الآيات تجعل الإنسان مطمئناً، يقول الله ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾. هنا نقف لنفهم كيف تحصل الطمأنينة في القلوب، ينبغي أن نعيد النظر كيف بدأ الخلق، لأن في رؤية كيف بدأ الخلق والأطوار التي قطعها الإنسان في رؤية آيات الآفاق والأنفس، إن تذكر هذا يساعد على فهم﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾، ذكر الله، ذكر آياته في الآفاق والأنفس، وذكر سننه. إن الله غيب لا تدركه الأبصار ليس كمثله شيء لم يكن له كفواً أحداً، ولكن الله خلق الآفاق والأنفس وهي آيات وعلامات و براهين وأدلة وحجج، كما إن الله ليس كمثله شيء لا تدركه الأبصار، ولكن أبصارنا تدرك آيات الآفاق والأنفس، لهذا لما انتقل الدليل إلى آيات الآفاق والأنفس ختمت النبوات، ولم تعد الكتب تنزل من السماء، لأن السماوات والأرض وما بينهما مسخرة للإنسان، ونحن نقرأ في القرآن أن بني إسرائيل طلبوا من موسى أن يريهم الله جهراً، وموسى طلب من الله ﴿ربّ أرني أنظر إليك﴾، وكان الجواب ﴿قال لن تراني ولكن انظر﴾ أنظر إلى آيات الله في الكون والإنسان، هذا الكون كله مسخر للإنسان، وهذا التسخير يزداد كل يوم تحت سمع الإنسان وبصره.

نحن علينا أن نجدد معرفتنا بالله، لأن فهمنا لله كان خطأ.إن الله يقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ إن تغيير ما بالأنفس وظيفة بشرية، والقرآن يقول لنا عليكم أن تفهموا سنن الله وآياته في الآفاق والأنفس، الله غيب ولكن دليله في عالم الشهادة، إنه يقول لنا انظر ماذا في السماوات والأرض ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا ﴾، والإنسان حين ينظر ويتفكر،

يعقل السنن، وإذا نظر وتفكر وعقل السنن يتسخر له الكون، الله يقول ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ينبغي أن نتعرف على الله من جديد، من خلال آيات الآفاق والأنفس، إذا كان الله يقول لنا ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ من أخسر منا أعمالاً، هذا العجز الذي عند المسلمين، لأنهم لم يعرفوا الله من خلال آياته وسننه في الأفاق والأنفس، ينبغي أن ننتقل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، وينبغي أن نخرج من عالم المسخرين بفتح الخاء إلى عالم المسخرين بكسر الخاء.إن الكون مسخر للإنسان بآفاقه وأنفسه، فإذا لم يتسخر لنا علينا أن لا نلوم إلا أنفسنا لأن الله يقول ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ إن من يفهم سنن الله في الآفاق والأنفس يحقق طمأنينة القلوب، "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"، ويحقق الإنسان برؤية وفهم آيات الله في الآفاق والأنفس ،القلب السليم الذي يقول عنه الله ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ❖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾، وذلك في مقابل النفس المرتابة، و القلب المريض.

إن الله غيب ولكن البرهان عليه يحصل من عالم الشهادة، انظروا إلى عالم الشهادة لتروا سنن الله التي لا تتغير ولا تتبدل ليس في الطبيعة فقط، بل في الأنفس. الآفاق والأنفس وذكرها جمعاً ليشمل المجتمع. الإنسان إنما يصنعه المجتمع الذي يولد فيه، يعطيه اللغة والأفكار، أنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون، إن صناعة القلب السليم والنفس المطمئنة يجعلها القرآن علماً، يكون ذلك بكشف السنن وتذكرها. ينظر الإنسان ويفكر ويكشف السنن ويتذكر ويذكر حتى تحصل التقوى، اتقاء الأخطار والخسائر، لا بد من تكرار سنن الآفاق والأنفس ،إن المشاهدة بالعين تؤدي إلى كشف السنن عندئذ تسخر للإنسان الأفاق والأنفس.

يا أخي حلمي ويا أيها القارئ الكريم أنا أذكر هذه المقدمة لأني أرى فيها أن الله أرانا من آيات الآفاق والأنفس ما لم يره الذين من قبلنا، وبتحويل القرآن من آيات الكتاب إلى آيات الآفاق والأنفس حصلت النقلة الكبيرة في

التاريخ الإنساني، وختمت النبوات ولم يعد الله ينزل كتاباً، لأن آيات الآفاق والأنفس هي الآيات التي إليها مرجعية القرآن، والمسلمون عظموا كثيراً النصوص، ولكن النصوص لها مرجعية أيضاً بحسب القرآن .إن أخي حميد حلمي زادة جزاه الله خيراً بذل جهداً في أحياء الثورة الحسينية، وأنا أرى أن هذه الثورة الحسينية أنتجت بطريقة ما الثورة الإيرانية، بقيادة الخميني في أول القرن الخامس عشر الهجري. إن الثورة الحسينية ثورة مأساوية بكل معنى الكلمة، فإذاكان أخي حلمي زادة يريد أن يحيي الثورة الحسينية في سبيل استنهاض همم المسلمين، فإن الإيرانيين أعادوا وأحيوا أهداف الثورة الحسينية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري بقيادة الخميني، ونجحوا نجاحاً مبيناً. إنه حدث عالمي، لم يحدث في التاريخ البشري، مثل هذه المواجهة بين الحق والباطل وزهوق الباطل، ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ إن هذا الحدث فاق جميع الأحداث ولكن هل تعلمنا تأويل هذا الحدث الفريد في التاريخ الإنساني، مواجهة حقيقية بين الطاغي المسلح بدعم من أكبر الطغاة في العالم أمريكا، بكل الأسلحة المتطورة من الدبابات والطائرات الفانتوم. إلى الآن لم يعط هذا الحدث حقه من الإبراز، وأنا مثل أخي حميد حلمي زادة أبحث وأصرخ وأقول: هنا حدث جديد طازج معاصر في قوة الحق وانتصار الإيمان على السلاح، هنا قاوم الفكر المخرز وانتصر الفكر الأعزل على أقوى سلاح الباطل خلال التاريخ، فكما يتألم حلمي زادة من إهمال الناس للثورة الحسينية، فأنا أرى إهمال الناس للثورة الإيرانية، وأنا مندهش من الحدث الإيراني ولكنني مندهش من إهمال الجانب المدهش في الثورة الإيرانية من الأصدقاء أكثر من الأعداء، أنهم لم يبرزوا هذا العمل الذي قاموا به، كيف انتصر الفكر الحق الأعزل بحضوره المتحدي على الباطل المدجج بأحدث الأسلحة، في مواجهة وتحدى كل منهم الأخر؟ هذا بالثبات والتمسك بالحق، وهذا بالاستقواء بالسلاح بالحديد والنار بالقتل، وأنا واثق بأن المستقبل سيظهر هذا الذي أخفاه حتى أهله.

أنا أرى أن الإيرانيين لم يقوموا بما فيه (حتى فرض الكفاية) في إبراز هذا الجانب في الثورة الحسينية، التي ظهرت آياته كيف خذل الناس الحسين وخذلوا

أباه وذهبا ضحيتين، لكن الثورة الإيرانية الحسينية الخمينية امتداد لثورة الحسين وكل المجاهدين السابقين، لأن المسلمين لما انتصر عليهم السلاح وقوة البغي في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، لم يتمكنوا من أن يتصورا أن ينتصر الحق الأعزل على الباطل المسلح، إن ميزة الثورة الإيرانية أنها أثبتت في الآفاق والأنفس أنه يمكن انتصار الحق الأعزل على الباطل المسلح بشكل واضح مبين أمام أعين الناس وأبصارهم، إن الثورة الإيرانية الحسينية أظهرت للناس جميعاً أن دعوة الأنبياء هي المنتصرة بالجهاد الكبير الذي في القرآن، وأفضل الجهاد كما في حديث الرسول، في الميدان الذي أبرزه الشعب الإيراني بنسائه ورجاله الشيوخ والشباب، إنهم أحيوا سنة الله في التاريخ الذي قال الله عنه ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾، لأن الشعب الإيراني حقق قول الله تعالى عن الرسل جميعاً أنهم قالوا ﴿لنصبرن على ما آذيتمونا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾.

أيها الشعب الإيراني كنتم الأمة الوحيدة في التاريخ في إثبات قانون الله وسنته في انتصار الحق، إني لأشعر بقصور شديد في إبراز هذا الحدث الإيراني، أين شعراء إيران؟ أين حكماء إيران؟ أين كتاب إيران؟ في وصف هذا الحدث الذي لم يخلق مثله في البلاد، في التاريخ البشري، كيف لما جاء الحق زهق الباطل إنهم أثبتوا للمترددين والمرتابين والمتشككين في قوة الحق، إن الله لم يقل جاء الحق وقتل الباطل بل قال﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾.إنه وبمجرد مجيء الحق وظهوره أمام جيش الشاه تزلزل الجنود. لقد كان زارني أحد الصحفيين الإيرانيين، ولما أظهرت له إيماني وإعجابي الشديد في ولادة الثورة الإيرانية، كونها الثورة الحسينية التي عادت وظهرت في هذا العصر الجديد، حدثني الصحفي وقال: إن أحد الجنود لما قتل أحد الشباب الذين يتحدون الباطل، تقدم إلى الجندي أحد الشيوخ وفتح صدره، وقال: للجندي أقتلني أنا.. لقد قتلت هذا الشاب الذي كان سينفع إيران. ولما شاهد الجندي هذا الموقف ارتعب واستسلم أمام الإيمان الصابر. وقال للشيخ: يا سيدي ماذا أفعل؟ فقال له الشيخ: ألق سلاحك وامش معنا، وللحال ترك سلاحه وانضم للمجاهدين بقوة الإيمان. إن الإيمان الصادق الذي لا يدافع عن نفسه ويتقبل الموت بصدر رحب يهز كيان

الجندي ويوقظ فيه الإنسان، ويوقظ فيه التقوى فينقلب في ساحة المواجهة التي لم يرها أحد أنه يفاجئ الجندي الذي تدرب على أن يقتل المحارب، فحين ذلك يتقدم إليه الذي يعتبره عدواً بالورد وبالحب والإيمان الصادق الرافض للزيف والباطل والطغيان، إن ذلك الجندي أمام الآخر الذي يقاوم ولايما نع من أن يقتله، حينما يظهر له نموذج آخر يتقدم إليه بالصدق والأمانة والتحدي للسلاح بالإيمان. هذا الذي قال الله عنه: إن الدفع بالتي هي أحسن هو الذي يحول العدو إلى ولي حميم، يستسلم وينضم إلى الحق، لقد أدرك هذا قادة الثورة الحسينية الإيرانية.

إنني مهما قلت فإن بياني ناقص في إظهار أهمية الحدث الكبير الذي لم يحدث مثله في التاريخ، إن ما تحمله أمة خاتم النبيين الموصوفة بـ"خير أمة أخرجت للناس"، إن ما تحمله هذه الأمة للإنسانية لم يبرز جيداً، وأنا أرى مندهشاً، كيف وجد في هذا العصر مثل هذا الحدث الذي سيتألق في المستقبل كمعدن نفيس يزداد تألقا على مر الزمن؟ أن يمر هذا الحدث ولم يعط حقه من إظهار قوته الروحية، إن هذه القوة الحسينية الإيرانية امتداد لذلك الذي حدث في الزمن الأقدم، إنه ظهور جديد لنور رسالة محمد٦، هذا ما قال رب العالمين عنه: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ و﴿ليظهره على الدين كله﴾، لأنه رسالة جميع الأنبياء الذين خذل أتباعهم رسالة الله، فأظهرتها الثورة الإيرانية الحسينية.

أنا مطمئن على أن علم الله في هذا المخلوق المكرم سيجعله يقضي على الفساد في الأرض وسفك الدماء وينشر الصلاح ويحقن الدماء ويترسخ مع الزمن، إن البشرية ما تزال في مرحلة الطفولة والمستقبل مشرق عزيز. إن هذه الثورة الحسينية الإيرانية تحتوي على جذور في الإصلاح وحقن الدماء وتحويل الأعداء إلى أولياء حميمين لأن هذا سيتكامل وسيترسخ وسيعم العالم ومن هذه الجذور الحية في هذه الحركة النبوية أبرز الإمام الخميني إلى جانب المقاومة السلمية ،أن قدم الهدية العظمى للشعب الإيراني ألا وهي الجمهورية لأن الحركة الحسينية المعاصرة أحيت وسيلة الإصلاح السياسي المعتمدة على الجماهير ،على الناس العاديين. إن كلمة الجمهور كلمة فقهية إسلامية، فكتب الفقه مليئة باستخدام هذه الكلمة لإبراز الأفكار التي تحظى بقبول رأي جمهور

الفقهاء الذين لهم الولاية الحقيقية وهذه الفكرة الأساسية التي أبرزت أنها مثل المواجهة السلمية لأنها نبتت في أرضية جمهور الناس الذين كانوا غائبين خلال التاريخ ، ولا سيما النساء هذه التي كانت بذرة الثورة الحسينية في ظهورها ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران ٦٠). إن الجمهورية فكرة كبيرة وبذرة مباركة ، إنها نتيجة العلم و إن عودتها للظهور جاءت مع ظهور وانتشار الوعي والمعرفة ، لأن أكثر الناس لا يعرضون عن الحق مع وجود العلم ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ لهذا إذا عم العلم سيكون أكثر الناس مع الحق ولا يكونون مع الباطل.. فها هنا تظهر قوة الحق وقوة العلم وقوة الجمهور واختيار هذه الكلمة التي ستترسخ وتنموتعم وتلتزم بأنها كلمة التقوى وسفينة النجاة في طوفان الباطل. إن هذا الإيمان المتجدد لن ينهزم ولكن لا بد من رعاية هذه المواليد الجديدة لتصل إلى إلغاء حق الفيتو وإلغاء حضارة الفيتو ودين الفيتو حتى لا يرتقي أحد لأن يدعي أنه رب الناس ويفرض ربوبيته بالإكراه. يا أيها الباحث حلمي زادة الذي يحمل هم الثورة الحسينية في هذا العالم المعاصر... هم إبراز علم الله في هذا الإنسانِ خليفة الله المكرم الذي سيقضي على الفساد وسفك الدماء ، هذا هو علم الله في الإنسان وينبغي أن نفهمه بعمق وحق ويقين.

إن الله لما ذكر ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ قال ويخلق ما لا تعلمون لقد فهمنا هذا بعمق وحق ويقين أمام أبصارنا ورأينا ما أبدعه الإنسان من وسائل النقل التي لم تكن لتخطر في بال أحد من الفقهاء الكبار السابقين، صنع الإنسان هذه الوسائل الجديدة من رأس المال الذي أعطاه الله للإنسان ، إنه رأس مال السنن في الكون ورأس مال روح العلم والفهم في الإنسان ، بهذين صنع الإنسان هذه الوسائل الجديدة ، ويخلق ما لا تعلمون بعد ذكر الخيل والبغال والحمير مثل قوله تعالى : ﴿علم ما لا تعلمون﴾ حين قالت الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء ﴾. وعلم الله في الإنسان بدأ يظهر في الثورة الحسينية الإيرانية ، لقد أظهر للعالم

جميعاً أن الإيمان والتزام كلمة التقوى سيظهر هذا الحدث العجيب ،إظهار كيف يتغلب الإنسان على كل أدوات سفك الدماء في عصر الحديد والنار. إن الثورة الإيرانية هي التي ظهرت من جديد في ظاهرة إبني آدم الذي لجأ الفاشل منهما إلى القتل وسفك الدماء ،إن الله لم يتقبل قربانه لأنه ضد قوانين الله ، ضد الإنسان الظالم ، الظالم لنفسه ، في إنه ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ لما رأى خسارته راجع نفسه فأصبح من النادمين. وأنا أفهم هذا الموضوع في آيات الآفاق والأنفس كما رأينا آيات الآفاق كيف تسخرت لآيات الأنفس ، كيف تسخرت النار للإنسان فصنع المحرك الكهربائي محققاً قول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ سخر الله الكون لروح الله الذي نفخه في الإنسان ، إن الله قال عن آيات النفس ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا❖ ﴾.

إنني أفهم من قوله تعالى -ألهمها فجورها وتقواها- أن الفجور يعلم التقوى لأن كل خطأ يرتكبه الإنسان له عقوبة تجعله يتقي العقوبة.إن المثل القريب المشاهد هو الطفل الذي يمد يده إلى الإبريق الساخن لا يعود يمد يده إليه مرة أخرى فيتعلم التقوى ، فمن هنا نفهم كيف يولد الفجور التقوى ، والطاقة الكهربائية تعلمنا هذا إن الخطأ مع الطاقة الكهربائية قاتلة عقوبتها آنية ، لهذا وضع الإنسان على الطاقة الكهربائية إشارة الموت (الجمجمة) يقول : لا تقرب هذا وأنت تجهل قوانينه ، ولكن هذه الطاقة الصاعقة المدمرة حين تعلم الإنسان سنتها رأينا كيف تسخرت تسخيرات لا نهائية واعدة ، ما لها من نفاذ ومجاناً يمكن إنتاجها باستمرار. ليس عجباً أن يكون في القرآن سورة الرعد والله يقول ﴿ ويسبح الرعد بحمده﴾ هذا الرعد بتسبيحه لله خالقه يسخر للإنسان ،هذه هي الآيات البينات التي يرينا الله إياها بأعيننا ونلمسها بأيدينا ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ ، أننا يمكن أن نضع الآية البينة التي أتت بها الثورة الإسلامية الإيرانية التي لم نتمكن من رؤيتها على حقيقتها. إن الثورة الحسينية الإيرانية كشفت كيفية تسخير طاقة الأنفس التي بإذن ربها

صارت السماوات والأرض مسخرة للإنسان ونحن رأينا البداية وسيرى الذين سيأتون من بعدنا ما لم نره نحن أيضاً، وسيكف الإنسان عن ممارسة الفساد وسفك الدماء لأن الإنسان كشف قانون تحويل العدو العسكري المهاجم بالسلاح إلى طرف يرمي سلاحه ويقول أنا خادمك يا إلهي، ما هذا الحدث العجيب والآية العظمى التي مرت بنا ومررنا عليها ؟ هل فهمنا هذا الحدث ؟ يقول الله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾، سنتعلم أن لا نلمس النار وسنتعلم التقوى من الفجور والله تعالى لطيف بعباده يقول ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ هذا في الدنيا وليس في الآخرة لأن الآخرة لا رجوع عنها ولكن الذين لا يعتبرون من العذاب الأدنى سيحل عليهم العذاب الأكبر يقول الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ❖ وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ ونحن نرى في التاريخ أحداثاً جساماً لا نعلم تأويلها.

إن اليابان هذا البلد الصغير البعيد على طرف الأرض هو البلد الوحيد في العالم الذي ألقيت عليه القنبلة النووية من دون الناس أجمعين واستسلموا بدون قيد أو شرط ،إنهم لم يعرفوا هذا الجهنم الذي ألقي عليهم ومع ذلك لم يلجؤوا إلى الحرب والقتال وإنما لجأوا إلى روح الله في الإنسان فصاروا خلال جيل واحد(وأنا أتذكر ذلك الحدث الكبير في العالم) قوة عظمى، وهم ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا مسلمين، إنهم من أولاد آدم ولكنهم أثبتوا إمكان التحرر بدون العضلات بل بالعقل وليس بالعضل وما ينوب عنه من سلاح، علينا أن نفهم أيضاً أن هؤلاء أيضاً أثبتوا وجودهم، ورغم أنهم لا يحملون رسالة للعالم ولا يفهمون معنى التوحيد، فهم لا يعرفون أن حق الفيتو هو الشرك الأكبر الذي يحبط كل الأعمال في العالم. أنهم ليس عندهم نور الإيمان والتوحيد ،أن لا يكون على الأرض آلهة بشرية لم يطالبوا بإلغاء حق الفيتو.

إن في اليابان لآية وإن في الثورة الحسينية الإيرانية آية وإن في الإتحاد السوفيتي لآية .إنه كان يملك من القنابل النووية ما يستطيع أن يدمر الأرض كلها ثلاثين مرة، ولكن لم تحم الإتحاد السوفيتي هذه الأوثان التي عبدها، إن الصنم

لا قوة فيه ولكن حين يفقد الإنسان عقله ويؤمن بالصنم يصير قوة أعظم من القنبلة ،إن الصنم من منحوتات الإنسان وإن السلاح من مصنوعات الإنسان ولقد صدق الله على لسان إبراهيم الذي قال ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ والسيد الخامنئي لما قال (عن القنبلة النووية أنها حرام صُنعُها) قال شيئاً كبيراً لأن الذي انتصر على السلاح بالإيمان لم يعد يُرهِبه سلاح. إن الإرهاب أن تخالف قوانين الله الكبير المتعال الذي قال ﴿وإياي فارهبون﴾، "ألم تر كيف فعل ربك بعاد.. وثمود.. وفرعون.. الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد".

كل من أعطى لنفسه امتيازات معتمداً على الإكراه دون إقناع الناس أعطى لغيره هذا الحق شاء أم أبى ،ولكن الأنبياء أعطوا للأخر كل الحقوق والامتيازات التي يحصلون عليها ، والقرآن ينادي العالم ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ،من لا يقبل كلمة السواء فقد رفض كلمة التقوى ومن رفض التقوى اختار الفجور والعذاب الأكبر، إذا كانت جذور التقوى واللاإكراه وتحدى القوة المسلحة بالإيمان و بالفكر و بالعلم و بالعواقب كما لم يحدث في التاريخ هي التي مارسته الثورة الحسينية الإيرانية ، إنها الآية الكبرى في هذا العصر كما رأينا تأويل الحدث الياباني وتأويل الحدث في الإتحاد السوفيتي و كذلك نرى آيات الأنفس.

في الإتحاد الأوربي فإنهم أتوا بشيء جديد بعد أن مارسوا الفجور بكل أنواعه فيما بينهم في حروب مذهبية وعالمية ودمر بعضهم بعضاً وتدمرت باريس ولندن وبرلين وروما ولكنهم الآن يتحدون بدون حروب وبدون جيوش ترسل وأسلحة فتاكة ترسل بالصواريخ ،إنهم يتحدون بكلمة السواء ، إن هذا الحدث أيضاً في حاجة إلى تأويل ،لنتعلم تأويل الأحداث التي صارت أحاديث ولكن مع ذلك فإننا رأينا كيف أن أعضاء الإتحاد الأوربي كما قلت عن الثورة الحسينية الإيرانية رسخوا انتصار اللاإكراه على الإكراه ونبذوا أدوات الإكراه ولكنهم لم يظهروها بما يليق به من عظمة وجلال ، كذلك فأن أعضاء الإتحاد الأوربي

يمشون على استحياء ولا يشعرون أنهم وضعوا الأساس للاتحاد العالمي ولكن فهمهم للتاريخ ليس في جلال الإيمان وجماله، إنهم لم يؤمنوا بالله فرفضوا أن يذكروا كلمة الله في دستور الوحدة.

إنني أرى إرادة الله تفعل فعلها، كما ذهبت المسيحية إلى روما سابقاً، الحواريون بالتزام التقوى ونبذ العنف ظلوا صابرين حتى دخلت روما إلى المسيحية وبعد ثلاثة قرون من الصبر على العذاب والقتل والصبر المبين، أعلن قسطنطين أنه آمن أيضاً ولكن التاريخ قال إن المسيحية ترومنت ودخل إليها داء الرومان ولم يدخل إليهم سلام المسيح، والآن فإن الإسلام يزحف إلى أوربا أيضاً، ولكن نأمل من الدعاة أن ينقلوا رسالة الأنبياء جميعاً إلى أوربا وسائر أنحاء العالم، كلمة السواء وكلمة التقوى وكلمة الأنبياء جميعاً ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. إن الذين لا يقبلون كلمة السواء هم المستكبرون الظالمون﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾

لقدحاولت أن أضع مقدمة لمعالجة قضايا الفكر المعاصر ... كما ورد في السؤال الأول وختم النبوات والتحول إلى آيات الآفاق والأنفس لمعرفة الحق ونقلت الحدث الحسيني إلى الحدث الإيراني المعاصر وحاولت الربط بينهما وإبراز أهمية آيات الآفاق والأنفس، والقرآن كتاب مستقبلي ويعرض تاريخ الأنفس من لحظة استخلاف الإنسان بالأرض ويقول الله عن النفس الإنسانية أنها تتعلم التقوى من الفجور وبمعاناة يتعلم الإنسان﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ❖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ كذبت ثمود وعاد وفرعون ومن جاء بعدهم بطغواها. يقول الله﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ﴾، كان الناس أمة واحدة يؤمنون بالقوة فبعث الله النبيين ليعلموا الناس أولوية العقل على العضل. قال الله ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾، الذي يعتمد على العضل وأدواته، ﴿ويؤمن بالله﴾ الذي لا إكراه في دينه ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا ﴾، وهو نور الله الذي أتاه الله لأوليائه. ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم

مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾. وضمن هذا جاء نبأ ابني آدم بالحق حين لجأ الفاشل إلى القوة والقتل ومواجهة الآخر بقوله ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾، كأنه يقول لقد آتاني الله العقل ولن أرجع إلى تحكيم العضل والإيمان به، ولهذا لن أمد يدي إليك حتى للدفاع عن النفس، وفكرة الدفاع عن النفس وفكرة حقوق الإنسان في الدفاع عن النفس وحق الشعوب في تقرير مصيرها بكل الوسائل ،أي الشعوب المضطهدة من قبل المستبدين من أخوانهم أو الذين استولوا عليهم من غيرهم مثل المستعمرين. إن الثورة الفرنسية ومبادئ حقوق الإنسان هي التي قررت فكرة الدفاع عن النفس ضد المعتدي بالسلاح لكن الأنبياء جميعاً أنطقهم الله قائلين لأقوامهم الذين اعتدوا عليهم ﴿ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ وقال الذين كفروا لرسلهم ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾. فأوحى إليهم ربهم ﴿لنهلكن الظالمين﴾. فمن الأنبياء من صبر حتى قتل مثل يحيى، ومنهم من نجاه الله منهم فشبه لهم مثل عيسى، ومنهم من نصره الله فآمن به الناس واستقبله أهل المدينة مرحبين رجالاً ونساءً.

فالذي يصل إلى الحكم بالإقناع بدون إكراه فهذا المجتمع هو المجتمع الراشد الشرعي الذي يصير له الحق في أن يرفع الإكراه عن الناس المكرهين بكل الوسائل الممكنة ،وبالقتال الشديد إن لم يمكن رفع الإكراه عنهم إلا بالقتال ،هكذا كان الأمر وهو ما جاء به القرآن ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ❖ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٧٥-٧٦النساء)، والتاريخ الإسلامي والإنساني علمنا أن الذين يغيرون بالقوة لا يتحاكمون إلى العقل والإقناع.

قد يوجد أشخاص يعتزلون الحكم مثل الحفيد معاوية في ما سبق ومثلاالضابط سوار الذهب الذي حين اضطربت الأمور في السودان أمسك بزمام الأمر وأجرى انتخابات ولم يرشح نفسه وترك، لكن هذا يدل على أن وعي الأمة هو الرصيد الحقيقي ،وبدون وعي الأمة لا تتحقق الجمهورية

والديمقراطية. هذه سنن وقوانين نفسية اجتماعية ، لهذا لا يكون التغيير الاجتماعي إلا بوعي الأكثرية أو الأقلية الصابرة على الإيذاء حتى يتغلب الإقناع على السلاح فمن هنا تقديري الكبير لما فعله الإمام الخميني في الثورة الإيرانية السلمية حينما حشد الشعب رجالاً ونساءً شيوخاً وشباباً.

إنه لا يكون لك مصداقية لاستخدام العنف ضد العنيف حتى تنتصر بدون استخدام وسائل العنف وإلا تكون من الذين قال الله فيهم ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ والعالم يتوجه إلى هذا وتتسع رقع الحل السلمي في تداول السلطة لإقناع الأكثرية والله يقول ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾. إذا قام أهل الحق بإيصال الحق إلى الناس لا يعرض أكثر الناس عن الحق وهذا الانتصار الصعب هو العقبة أمام المسلمين وأمام الأمم المتحدة، ولكن علم الله سيتحقق بجهد البشر وحين يجيء الحق ببلاغ مبين يزهق الباطل الذي كان زهوقا من أصله وأنا مؤمن بسنن الله في الأنفس وأن تغيير ما بالأنفس وظيفة بشرية ، والبشر حين يقومون بوظيفتهم بالتزام كلمة السواء وكلمة التقوى فإن الله سيحقق النتائج ، وما لم يهيىء الإنسان الأسباب فلن تتحقق النتائج .

إن البشر يتزوجون ولكن الله يخلق من الأزواج البنين والبنات، الله خلق التراب والماء والشجر ولكن الإنسان هو الذي ينبغي أن يزرع البستان. والبشرية لا تزال في مرحلة الطفولة وأكثر الناس ما يزالون مقلدين للآباء.المستقبل واعد ، وإن لم يكن بالاعتبار بمن سبق سنكون عبرة لمن سيأتي بعدنا ليحقق الناس الرشد والرشاد. والقرآن يهدي للرشد فإذا لم نسلك سبيل الرشد فسندفع الثمن والذين لهم القدرة على الاعتبار بالغير يوفرون الثمن الذي دفعه غيرهم وهم يأخذون الثمرة مجاناً ، هذا لو أحسنوا قراءة سنن الله في الأنفس والأفاق ويقول الله ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ .﴾ (الأعراف، ١٤٦)

ينبغي أن نتأمل التاريخ جيداً فهؤلاء الأوربيون أمام أعيننا يتحدون بلا

جيوش وبدون حروب ولكن بقبول كلمة السواء وكلمة التقوى ، كلمة العدل والإحسان . إن الإتحاد الأوربي حدث جديد في تاريخ الإنسان، هذا ما تدل عليه آيات الآفاق والأنفس وعواقب الأحداث ترينا إن الزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس يمكث في الأرض وإذا جاء الخير و بقي زهق الباطل والزبد يذهب جفاء وقانون الزبد لا يرحم أحدا ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾. كل الأنبياء وكل الكتب وكل البينات وكل الموازين جاءت ليقوم الناس بالقسط ، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾، ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾، ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾.

بهذا كله صار الدين علماً وكل شيء يصير علماً يصير عالمياً، وبأهل العلم يتحقق علم الله في الإنسان في الخروج من الفساد وسفك الدماء ، وبأهل العلم يتحقق تمام النور على الظلم والظلام ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الصف، ٦). ومن هنا ينبغي أن تتحول المفاهيم حول الأسئلة الحسينية والثورة الإيرانية إلى الثورة العالمية لمواجهة حضارة الفيتو . بحقائق ثورة كلمة السواء ضد حضارة الفيتو، وينبغي أن نحيي المفاهيم العليا التي جاء بها الرسل عليهم السلام جميعاً والآيات البينات وآيات الكتاب وحقائق الميزان التي تدعو إلى القسط العام لبني آدم ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران آية ٦٤).

وعلى المسلمين أن يفهموا تأويل الأحداث العالمية حتى يتأهلوا لمنصب خلافة الله في الأرض وقيادة العالم ويمهدوا لزوال الاستكبار، علينا أن لا نساهم في الإعاقة لنكون على بصيرة في توجيه معالم الحق وسبيل السلام.

■ ■ ■

المحور الثاني:

تطوير الخطاب العاشورائي لإصلاح الأمة وتوحيدها

الثورة الحسينية، حدثٌ في الفكر والسلوك والمضمون الإنساني، ارتفعت فيه النفوس إلى بارئها العظيم بالوعي والفناء في مفهوم الإمامة قبل أن ترتفع إليه بالشهادة والقتل في سبيله.

ومن المؤكد أن خطاب عاشوراء يتطوّر عبر العصور والأزمنة والأمكنة ويأخذ شكله ومضمونه الكبيرين بتطور الوعي الإسلامي وعلاقته بالثورة وقائدها، هُنا نعرض لتطوير خطاب الثورة عبر سؤال التطوير واصلاح الأمة وتوحيدها، وقد ارتأيت مناقشة هذا المحور بتوجيه سؤالين

السؤال الأول - كيف لنا أن نطوّر الخطاب الحسيني لجميع أبناء الأمة الإسلامية مع احتفاظ اتباع كل مذهب بخصوصياتهم؟

السيد كامل الهاشمي:

الخطاب المتحدر والمنتج من قبل الثورة الحسينية هو بالذات خطاب توعوي وحدوي، وتبقى المشكلة في من يتلقى هذا الخطاب حينما يريد أن يبقى غافلاً ونائماً، فليس من المعقول أن يتحول خطاب الثورة، الذي هو في الأصل خطاب تثوير وتحريض إلى خطاب ترويض وتدجين، وهذه الطبيعة هي لازمة لكل خطاب حقيقي للدين، فخطاب الدين يتضمن روح الثورة على الواقع والراهن على الدوام، فها هو الله تعالى يخاطب المؤمنين بالقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا... ﴾ [سبأ ٤٦]، وفي مورد آخر يقول سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ◆ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة ٣٨-٣٩].

ولكن هذا الأمر لا ينفي بطبيعة الحال الحاجة الماسة لتطوير الخطاب الحسيني سواء على مستوى المضمون أم على مستوى الأداء وطرق الإيصال، وذلك لأن خطاب المنبر الحسيني يمارس دوراً بارزاً في إعادة تركيب وتجديد حيوية وحراك الواقع الشيعي، ولاسيما في ما يرتبط باهتماماته الدينية التقليدية، وهذا ما يستوجب مزيداً من التفكير في أهمية صقل وتطوير مهارات التفكير والتعبير والتأثير عند خطباء المنبر الحسيني، وبالخصوص في ظل حالة الانتشار والتمدد التي يشهدها التشيع بحكم التغيرات العالمية التي طرأت على الساحة خلال العقود الثلاثة الأخيرة. ورغم أن المنبر الحسيني قدم خدمات جليلة وعظيمة في الحفاظ على الهوية الدينية التي جعلت من الشيعة كياناً اجتماعياً واحداً يرتبطون بالدين والعقيدة ارتباطاً عضوياً يتسم بالالتزام الديني الأكثر جدية من بين كل الفرق والمذاهب الإسلامية الأخرى، إلا أنه يبقى بحاجة إلى تطويره على مستوى أطروحاته وأساليبه واهتماماته، وضرورة العمل على إبعاده عن بعض السلبيات التي قدّر له الاقتران بها لسبب أو آخر.

ومن أجل أن نطور خطاب المنبر الحسيني لا مناص من الاشتغال بتطوير مضمون خطاب المنبر الحسيني، فبالرغم من أن الكثير ممن يمارسون مهمة الخطابة الحسينية ينظرون إلى هذه المهمة بوصفها مهمة نقل جامد وروتيني لأحداث الملحمة الحسينية، مع تطعيم المجلس الحسيني بأبيات وقصائد تستثير العاطفة والبكاء والحزن لدى الإنسان، إلا أن الرؤية الدقيقة والعميقة للدور الكبير الذي ينبغي أن يضطلع به المنبر الحسيني في بناء شخصية الإنسان المؤمن الملتزم تتجاوز حدود هذه النظرية الضيقة، فالرغبة في التذكير بمصاب الحسين عليه السلام وما جرى عليه وأهل بيته وأصحابه في يوم العاشر من محرم، والتي تبناها كل أئمة أهل البيت عليهم السلام بلا استثناء تعطينا انطباعاً مميزاً بأن الأئمة عليهم السلام أرادوا أن يجعلوا من هذه القضية مدخلاً يعين الإنسان المسلم على فهم كل مجريات الأمور في تاريخ الإسلام، وهي المجريات التي غاب عن أعيننا أكثرها وأهمها فلم نشهدها ولم نطلع عليها، ومهمة الثورة الحسينية في بعض أبعادها أنها جاءت لتثير عقولنا وتحفز أفكارنا للنظر والتدبر في ما جرى مما أخفاه الظالمون والمستبدون.

وفي ضوء ذلك يحقق التذكير بأحداث الثورة الحسينية، وهي المهمة التي ينجزها الخطيب الحسيني، دور الصيانة لكل تراثنا الديني والإسلامي من كل محاولات الطمس والتشويه والتعمية والتحريف، وفي ضوء ذلك يكون من أولى مهام الخطيب التوفر على مهارة النقد والتحليل بالإضافة إلى دقة النقل والتثبت في ما ينقله من أخبار ومرويات وأحداث، ولعلّه إلى ضرورة توفر هذا البعد فيمن يبتغي نقل رسالة الثورة الحسينية التي هي رسالة الإسلام والدين والحقيقة ألمح الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: (رحم الله عبدا حببنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم، أما والله لو يرون محاسن كلامنا لكانوا به أعز وما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشرا) [محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج ٨، ص ٢٢٩].

وعن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيا أمرنا فقلت له: وكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن

كلامنا لاتبعونا) [الصدوق: عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٢٧٥].

د.نعيمة شومان:

لتطوير الخطاب الحسيني، ليصل إلى جميع أبناء الأمة الإسلامية، لا بد من أن نثبت لهم أن للحسين (الذي ينتمي إليه جميع المسلمين) وصحابة رسول الله أجمعين، وكافة خلفاء المسلمين، الدور الأكبر في إعلاء كلمة الإسلام وازدهاره وسمو مكانته، مع التركيز على استثناء بعض الفاسدين الذين هبطوا بالإسلام إلى الحضيض، وأنواع هذا الفساد لتجنبه، وتوخي الحياد التام وعدم تخصيص جهة معينة بالحسنات وأخرى بالسيئات.

د.سعيد يعقوب:

إن الخطاب الحسيني الواضح والهادئ والصادق يقنع كل مستمع أو مشاهد أو قارئ.. ولا نريد أن يغير النّاس مذاهبهم وينضموا للشيعة، لا.. إن حب آل بيت محمد فريضة على كل مسلم ومسلمة بنص قرآني صريح ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قيل يا رسول الله قربانا أم قرباك قال (عليه وآله السلام) بل قرباي. لذلك فإن فكر آل البيت، والخطاب الحسيني، جزء لا يتجزأ منه يحتاج إلى تقديم، والمسلمون هم أولى الناس بذلك دون أن يدعو أحدهم الآخر لمذهب جديد كما أكدت عدة مرات.

الشيخ جواد الخالصي:

الحسين كما ذكرنا، إمام قام أو قعد بنص حديث رسول الله ﷺ وهو عاش في كنف جده المصطفى و أمه الزهراء وأبيه المرتضى علي وأخيه الحسن، وحتى شهادته الحزينة المدوية، قبل أن يعرف المسلمون ما هي المذاهب، وما معنى المذهبية. فإذا صيّرنا خطابنا الحسيني خطاباً إسلامياً جامعاً على سيرة الحسين فنكون قد أسسنا لوسيلة كبرى من وسائل جمع كلمة الأمة وإعادة الوحدة لكيانها. دون الإضطرار للتسليم بوجود المذاهب التي تعني تفرقة أهل القبلة حين لا تقتصر على الاجتهاد العلمي لفقهاء الأمة الذين لم يفكروا في صنع المذاهب أو تأسيسها.

د.محمود عكام:

علينا أن نقدمَ الخطابَ الحسيني على أنه الخطاب الإسلامي – كما ذكرنا آنفاً – فليس ثمة خطاب حسيني معزول عن الخطاب الإسلامي بل كلا الخطابين خطاب واحد، فالإسلامي نظري والحسيني تطبيقي أو صورة من صور التطبيق الأمثل، ولا سيّما إذا عرّفنا المسلمين كافة بسيدنا الإمام الحسين وأنّه كذا وكذا ...، وشرحنا مكانته في الشريعة والدين، ووضّحنا مكانته من صاحب الرسالة من حيث الإرث الرسالي .

د.علي أبو الخير:

تطوير الخطاب الحسيني لجميع أبناء الأمة الإسلامية مع احتفاظ أتباع كُلّ مذهب بخصوصياتهم ينطلق مِن النظر إلى القضايا التي يواجهها المسلمون جميعاً، وهي قضايا خطيرة تتعلق بهويتهم جميعاً ، أهمها الهجمة الغربية الصليبية على الديار الإسلامية عموماً ، ومِن هذه النظرة يمكن استثارة الضمير التاريخي للمسلم وجعله في خدمة هدفه السياسي المضاد للصليبية الجديدة ، فالتصدي للظلم مِن أي جهة والتحدي والصمود والصبر كلها مِن ضرورات خدمة الهدف السياسي ، وهذه المفردات حسينية التوجه ، قرآنية النشأة ، نبوية الأولويّة، ومِن هذا المنطلق يمكن تطوير الخطاب الحسيني ليكون خطاباً إنسانيّاً عامّاً لا إسلامياً فقط ، ولنتذكر هنا مقولة المهاتما غاندي : " تعلمت مِن الحسين كيف أكون مظلوماً وأنتصر " .

د.سهيل زكّار:

إنّ الخطاب الحسيني هو خطاب القرآن الكريم، هو خطاب الأمة كلها، والإمام الحسينﷺ، خرج في سبيل الأمة ولم يخرج في سبيل فئة من الفئات. واستُشهد في سبيل الأمة وفي سبيل العقيدة الإسلامية ولم يستشهد في سبيل مذهب أو فئة. وإذا جاز لنا أن نستخدم الآن كلمة الخطاب الحسيني، فإنّ الخطاب الحسيني هو الإسلام ووحدة الإسلام، ووحدة المسلمين، عقيدة وإجتماعاً وفكرة، مع القول بالاجتهادات ضمن إطار هذا الخطاب بشرط أن لا

يتجاوزه الإنسان أو يخرقه. هذا خط واضح، والخطاب الحسيني هو رفض التعامل مع خُصوم الإسلام، لكن الرفض لا يعني استخدام أدوات سفك الدماء ولا القتل، أو ما يُسمى في أيامنا "الإرهاب"، وإنما هو استخدام لغة الدعوة والحوار. والإمام الحسين قبل بأن يُسفك دمه في سبيل حفظ دماء المسلمين، وضَحّى هو وأهله في سبيل الأمة الإسلامية.

الأستاذ أحمد جبريل:

إذا أردنا أن نطوّر الخطاب الحسيني لجميع أبناء الأمة الإسلامية مع احتفاظ أتباع كل المذاهب بخصوصياتهم فعلينا أن نتبع أسلوباً جديداً في الخطاب، يتجاوز الأساليب القديمة التي زادت الفرقة وأورثت الضغينة. نبتعد أولاً: عن التعصب المذهبي، ونحترم كل المذاهب التي تؤمن بالله ورسوله... وتنطق بكلمة التوحيد... وننبذ السلبية في التعامل وتشويه الآخرين وتسفيه آرائهم.. بل نستمع إليهم باهتمام ونراعي مشاعرهم، وثانياً: أن نفتش عما هو مشترك بين المذاهب ونركز عليه ونعممه. ونجذره في عقول وأذهان الأجيال الشابة والصاعدة. نبدأ أولاً بالقرآن الكريم ونعتمده دستور حياة ونظام عمل، فهذا الكتاب العظيم لا يختلف عليه اثنان من المسلمين وهو المرجع في حل أي إشكال يقع وهو القول الفصل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا يبلى مع الأيام ولا تنتهي عجائبه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر، ٩]. ونثني بالسنة النبوية الشريفة. من قول وفعل وعمل وآثار الصحابة والتابعين من آل البيت والأئمة والفقهاء بما لا يتعارض مع القرآن.

د.عبد الكريم الشبلي:

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام طائفياً ولا متوجهاً بثورته إلى فئة دون أخرى، بل كان، كوريث لرسالة جدّه، يستصرخ كل الأمة الإسلامية كوحدة متكاملة، سواء من خلال حجاج بيت الله الحرام لموسم ٦٠هـ، أو القبائل العربية التي مرّ بها خلال مسيرته، وصولاً إلى جيش عبيد الله بن زياد.. بل لم يكن يبحث عن أنصار لشخصه، ولا حتى تجنيد المجتمع الإسلامي، ولذا لم يتراجع عن خطه حينما انهزم عنه أهل الكوفة، بل لم يتوان لحظة عن تحذير مصاحبيه من غياب

الكسب الدنيوي في المسير معه، فقد كان يبحث عن وعي حقيقي بشرعية الهدف وصحة خطاب الإصلاح الذي يدعو إليه.. فاستجاب له زهير بن القين والحر بن يزيد الرياحي وغيرهما ممن كان له فيما سبق من المعادين..

فخطاب الإصلاح وإحياء القيم الإسلامية الأصلية، هو الحاجة الأوكد لأمتنا سواء في عصر الحسين عليه السلام أو في يومنا هذا. فالإمام الحسين عليه السلام كان يستهدف الاستكبار، وهو أخطر أشكال الظلم الاجتماعي والسياسي، ولا يزال يكبّل أمتنا ويثقل كاهلها على امتداد العمق الإسلامي ولو بأسماء مختلفة. ولنا أن نستفيد اليوم كما يجب من برنامج المشروع الحسيني الذي يخاطب العقل والروح ولم يقتصر على نداء الشهادة. ونحن أحوج ما نكون إليه في ساحات النضال المتزايدة.. إذ أكّد على ضرورة بناء الذات وأن يخلص كل فرد ويتفانى في عمله، إذ لا يمكن لأية حركة أن تقوم على أفراد مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أو ضيّقي الأفق والرؤية، كما لا يمكن أن يتشبّث بمتاع زهيد في هذه الدنيا الفانية. فاستبسلت القلة الضئيلة من أصحاب الحسين عندما تمسكت بهذه الشروط، فصمدت إلى آخر قطرة من دمائها، ضد الآلاف من مجندة يزيد، فخلّد التاريخ أسماء هؤلاء الأفراد. وهم يقدمون أنفسهم لكل الأمة الإسلامية شهداء الحرية والقيم الإنسانية المحمّدية الأصلية.

الشيخ قاسم آخوند:

إن لثورة الإمام الحسين عليه السلام إطارين مهمين: عقلي وديني:

أما الإطار العقلي لثورته: فإنه عندما يجد الإنسان أن ظالماً يريد أن يفتك بالحريات وينشر الظلم والخراب في البلاد، فإن العقل السليم يدعوه إلى معالجة هذا الظلم بالدواء المناسب وإن لم يفلح فإن العقل يدعوه إلى بتره. وقد تجلى هذا الإطار في نهج الإمام الحسين عليه السلام عندما خاطب أعداءه بقوله: (إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم). فالظلم مناف للعدالة والحرية، ويجب مكافحة الظلم دفاعاً عن الحرية الإنسانية، وهناك شواهد أخرى تفيد بأن هنالك من الذين لم تكن لهم انتماءات دينية إسلامية قد استفادوا واستلهموا من ثورة الإمام الحسين "كالمهاتما غاندي مثلاً الذي قال: تعلمت من الحسين أن أكون مظلوماً فأنتصر.

أما الإطار الديني: فإنّ كل الشرائع السماوية تُقر بالسلم والأمن والأمان، فإذا وجد في المجتمع شخص متهتك، مستهتر بالدين ومهدم للشريعة ومخالف لقوانين السماء، فإنّ كلّ الأديان تدعو الناس إلى نبذ هذا الشخص وطرده بل وقطع دابره من أجل كيان أن يكون الدين مصاناً من أيدي العابثين.

لذلك فإن خطاباتنا يجب أن تكون ضمن هذين الإطارين. فالإمام الحسين عليه السلام رمز لكل الأحرار وهو لا يتعلق بدين دون آخر، وثورته كانت من منطلق علاج مأساة إنسانية ابتليت بها البشرية نتيجة وجود حاكم ظالم منحرف لم يقر بالقوانين العقلية والدينية والسماوية. ولم يقم لها وزناً. لذلك يجب إخراج قضية الإمام الحسين عليه السلام من إطارها الضيق الفئوي الخاص، وعندها تكون الفائدة عامة.

السيد حسن النوري:

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام ليست خاصة بمذهب معين كما هي إمامته، فهو إمام المسلمين وليست همومه خاصة ومذهبية. دوافع الثورة الحسينية وأهدافها هي أهداف إسلامية، وحفظت هذه الثورة حقائق الدين ودافعت عن مقدسات المسلمين وسعت إلى إرجاع كرامة الإنسانية وتربية التضحية والبسالة مقابل أخلاق الهزيمة والذوبان والانسحاق.

إن كافة أبناء المسلمين بحاجة إلى مواجهة مع الفساد المستفحل في مؤسسات الحكم والسياسة ومؤسسات التربية والثقافة ولهذا فلا بد من استثمار عطاء الثورة الحسينية في هذه المواجهة.

لا بد من خلق روح الشجاعة والتضحية بالغالي والنفيس من أجل مصلحة الإسلام العليا ومصلحة الإنسان والعدل الاجتماعي ولا بد من إبعاد الأجيال عن أساليب الإغراء التي يستعملها الحكام، إغراء المتعة واللهو والمجون وإغراء المادة والمال، وأساليب القمع هي الأخرى عائق كبير يقف في وجه التنمية والإصلاح ولا بد من الحديث عن ثورة الإمام الحسين التي لم تكن ثورة المطامع السياسية العاجلة ولا ثورة المنفعة السريعة ولا ثورة العاطفة المتأججة بل هي ثورة الوعي وتحمل المسؤولية بوجه التزييف الأموي قديماً والغربي والأمريكي والأوربي حديثاً.

لا بد من استذكار أن يزيد وعمر بن سعد لم يكونا يملكان أطروحة إسلامية تؤثر على النفوس والعقول، لكنهما كانا أهل إغواء وإغراء وتضليل، كما هم أهل قمع وسجن وتقتيل.. هذا النموذج يتكرر باستمرار، ولا بد له من مواجهة ولا بد له من حسينيين ثوار وزينبيين مبلغين لا يحتجون بالعجز ولا يكتفون بالأعذار بل يواجهون قوة الظالم، هذا الظالم الضعيف في نقاط معينة، منها (الفكر الإسلامي) يمكن مواجهته في نقطة ضعفه هذا بنقطة قوة يملكها الإسلاميون هي الثقافة الإسلامية ومنهج الفكر الإسلامي.

لقد انتصر الضعاف (الحسابات العسكرية) والمكبلون المأسورون على الظالمين في دهاليز سياستهم وفي مجالس عزهم وحكمهم بالحجة والبينة الواضحة.

وهنا لا بد من ذكر بعض المعالم:

١) مودة أهل البيت عليهم السلام قضية إسلامية بديهية لا يختلف عليها وفيها المسلمون لا بد إذا من الانطلاق من هذه النقطة وغيرها من المشتركات لإثارة قضية الثورة الحسينية، ليست المودة قضية مذهبية.

٢) قضية الإصلاح والثورة على الظلم ليست مذهبية والمواجهة مع الانحراف وأساليب التخدير هي أيضاً ليست مذهبية.

٣) قضية التربية والتنمية البشرية ليست مذهبية.

٤) استثمار حوادث وسنن التاريخ ليست مذهبية.

٥) الحديث عن دور السياسة والقيادة السياسية في انهيار المجتمع أو تنميته ليست مذهبية.

٦) كما أنه ليس مذهبياً الحديث عن أخلاقيات الاستشهاد من أجل مصالح الإنسان النبيلة، وأهداف الإسلام العظيمة وأخلاقيات الصبر والمصابرة والتضامن والجهاد والمجابهة.

٧) الوحدة الإسلامية ودورها في تقوية المجتمع وتحصينه ضد محاولات الاختراق والنفوذ الأجنبي ليست قضية مذهبية.

٨) دور القائد في صنع أتباعه قضية عامة وليست خاصة بمذهب معين.

٩) التركيز على العوامل التي تجمع الطاقات والابتعاد عن علل التضعيف والتجزئة والانقسامات.

١٠) وليس من المذهبية تصنيف الناس إلى الثوار وأتباعهم ومناصريهم والداجنين المدجنين والخائنين الفاسدين وأهل الضعف والخذلان والحديث عن مناقب الإمام الحسين عن التي ثبتت بأحاديث عن الرسول الأعظم بعيداً عن المذهبية.

١١) الحديث عن دور القدوة في الحياة والتربية مسألة عامة وهامة.

١٢) تحويل الضعف إلى قوة والصبر على البأساء والضراء مسألة يحتاجها أبناء الإسلام كافة مع موجة المواجهات مع دين الله... وكم هو بليغ الأثر حين نسمع زينب الحوراء عليها السلام قدوة البطولة تقول: "ما رأيت إلا جميلاً". إن كل مأساتها ما دامت في عين الله فهي امتحان واختبار وجميل لأنه من أجل الله سبحانه.

١٣) استثارة عاطفية مسألة فطرية عامة.

١٤) تخليد المقدس وتعظيم الأبطال ومدحهم والثناء عليهم وقول الشعر فيهم ليست مسألة مذهبية.

■ ■ ■

اية الله السيد مجتبى الحسيني

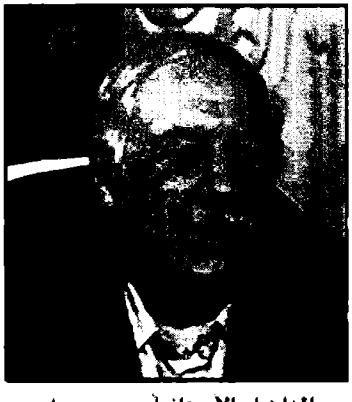

المناضل الاستاذ أحمد جبريل

سماحة الشيخ
محمد علي التسخيري

السؤال الثاني - من المعروف أن الموضوع الحسيني عولج بالكثير من التأليفات (كتباً وموسوعات). وحيث أن أمتنا لم تعد أمة قارئة(حسب البعض)، فإننا نكاد نغفل البعد التبليغي العصري(السمعي والبصري) لأبعاد عاشوراء. ما هي مقترحاتك في هذا المجال، بلحاظ وجود شبكات معقدة من الفضائيات، من أجل عرض فوائد الثورة الحسينية ومكاسبها السابقة والحاضرة واللاحقة بأسلوب شيّق ومقبول من الجميع؟

مع سماحة آية الله السيد محتبى الحسيني

مع المفكر السوري الشيخ جودت سعيد - دمشق

الشيخ محمد حسن تقي:

صحيح أن الحركة الحسينية عولجت بأساليب شتى كثيرة، منها الكتاب ومنها المجلة والمحاضرات والمسلسلات والأفلام...ولكن المؤلفات كثيرة وكثيرة جداً، ولكن للأسف في أحيان كثيرة يغلب على نسبة كبيرة منها الطابع التجاري.

كل مؤلف أو كتاب مهما كان لابد أن يأتي بشيء جديد حين مناقشته لأي موضوع، لا بد من البحث في جانب لم يلتفت إليه أحد أو محاولةٍ لبيان وشرح شيء ما..

للأسف الجانب التجاري يطغى في بعض الأحيان شأنه في ذلك شأن بقية المؤلفات في مواضيع أخرى..

مناسب جداً في هذا المجال أن تكون هناك مجلة دورية تتحدث عن حركة الحسين ونهضته وتتابع كل جديد في هذا المجال، أقصد بالجديد: الجديد بالتغيير الجديد بالتحليل الجديد بالبحث، لا الجديد بالكتابة كيفما كانت.. هذه المتابعة لا بد أن تكون من قبل مؤسسة متخصصة في هذا المجال، وأن يكون هناك اهتمام خاص بهذا الجانب أما من جانب المحاضرات، فلا بد للمحاضر أو الخطيب من النظر إلى الجانب النوعي لا الكمي، وخاصة في زمن الفضائيات والظهور فيها من قبل البعض إن لم يكن مدروساً بشكلٍ جيد يعطي مردوداً سلبياً لما يراد تحقيقه. وهذا ينتج عن ظهور البعض ذوي المستوى غير اللائق بحركة الحسين يؤثر هذا التأثير... أقول هذا لأننا في زمن البعض يترصد الأخطاء والهفوات لينال من الموضوع أو من البحث وهذه مسألة موجودة لها مصاديق كثيرة وكثيرة جداً...

أما المسلسلات والأفلام بدأت تظهر ولكن بشكلٍ خجول في حده الأدنى، وهي تحتاج إلى أكثر وأكثر. ولطيفٌ جداً أن يتم التواصل مع الفنانين الأكفاء من بلدان إسلامية مختلفة لإعداد مثل هذا العمل، هذه المشاركة لها فوائد عديدة بشروط منها:

١- التنوع في المشاركين يؤدي إلى تنوع في المشاهدين وكذلك يؤدي إلى تنوع في محطات العرض.

٢- الجودة والأداء: يؤدي إلى جذب أكثر للاستماع والمتابعة.

٣- الموضوعية في العرض: وهذا يتم من خلال التركيز على البعد الرسالي لحركة الحسين "عليه السلام" مع إظهار الجانب المأساوي لما جرى.

السيد محمد الموسوي:

الفضائيات هي أوعية تنقل لمشاهديها ما تحتويه من غث أو سمين، وبالتالي لا بد من يكون الخطاب الحسيني مؤثرا بالناس كاشفا عن حقيقة مباديء الحسين عليه السلام، شيقا في أسلوبه، ومن ثم يكون عرضه في الفضائيات تعميما للفائدة. والا فلا نتوقع من الفضائيات ايصال شيء نافع للناس لا تملكه هي.

الشيخ جواد الخالصي:

من المهم جداً أن تستمر الدراسات والكتب والموسوعات، والأهم، وضع خلاصات أهداف الثورة وبياناتها بين يدي أبناء الأمة في كل مكان، وتنشئة الصغار عليها وتثبيت الكبار وفق مبادئها لمنع الإنحراف والارتباط بالأجنبي والانهيار أمام مخططاته.

ومن المهم في هذا الزمان مع تتابع الأحداث وضيق الوقت وقلة القراءة، أن نستعين بالوسائل السمعية والبصرية الحديثة عبر مسلسلات أو أفلام أو مسرحيات مستمدة من كربلاء وأحداثها. وهنالك مسرحيات شعرية مهمة يمكن أن نقوم بصياغتها من جديد لتُحوَّل إلى مسرحية طويلة الأمد، لتتناقلها الأجيال.ويحفظها الصغار قبل الكبار. ويمكن لفيلم سينمائي على غرار (الرسالة) يعتبر الحلقة الثانية منه، أن يُصوِّر مسيرة الإسلام ضد الجاهلية في مرحلة ما بعد التنزيل. كما يمكن صنع أفلام متحركة للصغار تتحدث عن السيرة النبوية الشريفة وتمر بطفولة الحسين ونشأته وثورته وشهادته.

د.نعيمة شومان:

مما لا شك فيه، أن لوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والالكترونية الدور الأول في الوقت الحاضر في توجيه الشعوب، وعرض مآسيها وظلمها وظالميها.

وقد أحسنت عدوتنا الكبرى (إسرائيل) البكاء والنحيب في استخدام هذا الدور، كدموع التماسيح، لتفريغ رؤوس الشعوب في بلدان العالم أجمعها وحكامها، وحشوها بما يخدم أهدافها، وخاصة منها تشويه سمعة الإسلام، والنيل من نبوة نبيه، وإلحاق التهم والإهانات به، هذا، بينما يتلهى المسلمون في التشنيع ببعضهم وإعانتها بتكفيرهم وإبادتهم فيما بينهم.

وحبذا لو أحسن المسلمون استعمال هذا السلاح، ليس فقط لعرض فوائد ثورة على حساب أخرى، وإنما لعرض مآثر كافة الثورات التي خاضها المسلمون، بكافة طوائفهم، وما قاسوه على يد المحتلين من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، وما قدموه إبان حكمهم إلى الشعوب المغلوبة على أمرها لإنقاذهم من الجحيم إلى النعيم.

د.سعيد يعقوب:

الثورة الحسينية وملحمة عاشوراء قد قدمها المسلمون على مر العصور كلما سنحت لهم الفرصة، واليوم نجد أن الفرصة سانحة أكثر من أي وقت مضى.. وذلك بسبب الفضائيات وحرية امتلاك فضائية خاصة وصرنا نجد فضائيات تقدم الكثير عن فكر آل البيت. وهناك فضائيات حرة ديمقراطية تقدم هذا الفكر من منابرها بالتوازي مع غيره من الأفكار.. وإني أرى أن هذا الفكر الحر بما يملك من قوة الحق والصدق يستطيع أن يقنع المستمع والمشاهد، لذلك فإني أرى أن نستعمل الفضائيات والطرق السمعية البصرية وشبكات الانترنت بشكل واقعي عقلاني صادق.. والحق أنه لا بد أن ينجلي ويظهر ويتقدم على الباطل وعلى التجاهل والانكار والطمس.

السيد كامل الهاشمي:

لعل هذه المساحة الإعلامية والتبليغية التي أتيحت أمام محبي ومناصري الثورة الحسينية في عصرنا الراهن تولد لدينا شعوراً بقدرة الثورة الحسينية على التجدّد وعدم قابليتها للنفاذ والاستنفاذ، ولاسيما في ما يرتبط بتقديم البعد التصويري في الثورة الحسينية، وهو بعد اقترن بالثورة اقتراناً غير طبيعي ولا

معهود، فالثورة الحسينية رغم أنها صغيرة في الحجم والعدد، ومحدودة في الزمان والمكان، إلا أنها جاءت محملة بالعديد من اللحظات التصويرية المثيرة، والتي تشكل كل واحدة منها موقفاً حياتياً مثيراً ومحفزاً، ففي البصيرة والاستعداد للموت على الحق هناك موقف الحسين عليه السلام مع ابنه الأكبر في مسيرهم نحو كربلاء، فقد (خفق رأس الحسين خفقة ثم انتبه فأقبل يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين مرتين. فأقبل إليه علي بن الحسين وهو على فرسه فقال له: يا أبت جعلت فداك مم استرجعت؟ وعلام حمدت الله؟ قال الحسين: يا بني إنه عرض لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا فقال: يا أبتاه لا أراك الله سوء أبدا السنا على الحق؟ قال: بلى والذي يرجع إليه العباد. فقال: يا أبت فإذا لا نبالي قال: جزاك الله خير ما جزى ولد عن والده) [أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص ٧٤].

وفي التنافس على الجهاد في سبيل الله تعالى والإيثار والتضحية في سبيل العقيدة والدين والمبدأ تتجلى أمامنا صورة الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه حينما عرض عليهم أن ينجو كل واحد منهم بنفسه وأن يتركوه في مواجهة مصيره لوحده، فقد (قام الحسين في أصحابه خطيبا فقال: اللهم إنك تعلم أني لا أعلم أصحابا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت خيرا من أهل بيتي فجزاكم الله خيرا فقد آزرتم وعاونتم، والقوم لا يريدون غيري ولو قتلوني لم يبتغوا غيري أحداً فإذا جنكم الليل فتفرقوا في سواده وانجوا بأنفسكم. فقام إليه العباس بن علي أخوه، وعلي ابنه، وبنو عقيل فقالوا له: معاذ الله والشهر الحرام فماذا نقول للناس إذا رجعنا إليهم إنا تركنا سيدنا وابن سيدنا وعمادنا وتركناه غرضا للنبل ودريئة للرماح وجزراً للسباع وفررنا عنه رغبة في الحياة معاذ الله، بل نحيا بحياتك ونموت معك فبكى وبكوا عليه، وجزاهم خيرا، ثم نزل صلوات الله عليه) [المصدر السابق، ص ٧٤-٧٥].

وتتجلى قمة الوفاء والمواساة في تلك الصورة الرائعة التي قدمها أبو الفضل العباس حينما نزل إلى المشرعة وهو ظامئ عطشان فامتدت يده إلى الماء ليشرب ولكنه سرعان ما تذكر عطش أخيه الحسين عليه السلام فرمى الماء من يده، وفي

ذلك يقول أبو مخنف الأزدي في مقتله: (فجاء إلى الحسين عليه السلام واستأذنه في المصال. فقال عليه السلام له: أنت حامل لوائي، فقال: لقد ضاق صدري وسئمت الحياة، فقال له الحسين عليه السلام: إن عزمت فاستسق لنا ماءاً، فاخذ قربته وحمل على القوم حتى ملء القربة. قالوا واغترف من الماء غرفة ثم ذكر عطش الحسين عليه السلام فرمى بها وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني

هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين

[أبو مخنف الأزدي: مقتل الحسين عليه السلام، ص ١٧٨-١٧٩].

إن هذه الصور الحية والمتحركة والمؤثرة والفاعلة التي تقدمها واقعة الطف هي من أفضل ما يمكن استثماره في الإعلام التصويري في عصرنا الراهن من أجل التعريف بالقيم الكبرى التي أرادت ثورة الحسين عليه السلام أن توصلها لكل الناس في كل الأزمان.

الشيخ قاسم آخوند:

هذا الأمر حيوي ومهم جداً وخاصة بعد أن قلنا بضرورة أن تقام مجالس العزاء الحسيني في سبيل نشر الوعي والفكر السليم والأهداف السامية والتخلص من أطُر المجالس التقليدية. ويجب على المثقفين أن يبذلوا قصارى جهودهم في تبيان الهدف الحقيقي والإيماني للثورة الحسينية عبر كل الوسائل المتاحة ومن جملتها الفضائيات. وإن هذه الوسيلة هي من أنجع الوسائل لكسر الاحتقان والجمود والجفاء الموجود بين أبناء الأمة الإسلامية الواحدة.

الشيخ نبيل الحلباوي:

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام بقيمتها التي تروي كل الظمأ القيمي لدى جميع الناس في كل زمان ومكان، وبإنسانيتها التي تهدف إلى تحرير الإنسان من كل الطواغيت والأصنام على مر التاريخ وبإسلاميتها التي تقدم الإسلام الحقيقي الواقعي في نقائه المحمدي وتوءمتها بين نبل الغاية ونبل الوسيلة، إنما تجلّي الثابت

الذي لا يتغير؛ ولكنها في الآن نفسه لا تغلق الباب في وجه المتغير الذي يتناغم والظروف الموضوعية ولكن في إطار الثابت الذي تقدم ذكره.

ومن تجليات الثورة الحسينية بتثبيتها للثابت وانفتاحها على المتغير، الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني رضوان الله عليه وهو القائل: "كل ما لدينا من كربلاء، كل ما لدينا من عاشوراء وتجربة المقاومة الإسلامية المتنصرة في لبنان بقيادة حزب الله، والمقاومة الإسلامية الصامدة في فلسطين بفصائلها الثورية.. وإن الجانب المفجع في عاشوراء من خلال الإجرام الطاغوتي الإرهابي لأعداء الحسين عليه السلام والإسلام؛ لا يحجب الوجه النبيل التضحوي الاستشهادي للإمام عليه السلام وأهل بيته وصحبه ونسائه وأطفاله، وهذا الوجه المتألق بلا توقف على مدى الماضي والحاضر والمستقبل هو الذي يعني لنا ثورية إسلامية إنسانية لا تخلّ بالأمن بل تحفظ أمن الشعوب من بغي طواغيتها ، ولا تهدم السلام بل تتصدى لمقارعة كل ما يعكر السلام من بغي الباغين ونهب الناهبين ولا تلغي التسامح بل تدعو إلى تسامح بعيد عن كل تعصب وانغلاق تصان فيه القيم ولا سيما كرامة الإنسان، وتمهّد الطريق لتحقيق الحلم البشري المشفوع بالوعد الإلهي بمن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص، ٥]. صدق الله العظيم

د.علي أبو الخير:

لعل الفضائيات جعلت مِن الخطاب الحسيني مألوفاً للمسلمين عامّةً .. في الماضي كان الذين لا يتعايشون مع الشيعة أو لَمْ يروهم يتخيلون أشكالاً محددة عنهم : إما مِن خلال القراءة المتعسفة ، أو ممن شاهدوا كربلاء وعاصروا احتفالية عاشوراء ، وكانت هذه الروايات تعطي أشكالاً مخالفةً للغير في كثير مِن الأحيان .

الآن يرى المسلمون الاحتفالية العاشورائية مِن خلال شاشات الفضائيات، ويسمعون الأذان ويرون المسلمين الشيعة يصلون ، وكُلّ هذا أدى إلى تغيير في النظرة للشيعة رغم هجوم الفضائيات المعادي للتوجه الشيعي عموماً

ويمكن استغلال هذه الأدوات الإعلامية المعاصرة في البعد التبليغي بوسائل جديدة ومبتكرة ، مثل إلقاء الضوء على الثورات التي قامت في دول لَمْ تتبنّ المذهب الشيعي ولكنها انحازت للمفردات الثورية الحسينية ، مثل ثورات المهمشين في التاريخ الإسلامي : مثل ثورة الحدادين في الأندلس ، والحرافيش في مصر ، والزط في جنوب العراق ، حتّى الدولة الرستمية الخارجية في المغرب اتخذت أشكالاً حسينيّةً ثوريّةً عِنْد تأسيسها رغم الابتعاد العقائدي بَيْن الخوارج والشيعة .

كما يمكن عرض الكتب التي كتبت عن الإمام الحسين بأقلام غَيْر الشيعة ، وهي كتب هامة مؤثرة في الضمير الإسلامي بشكل عام : مثل كتب العقاد وعبد الرحمن الشرقاوي في الحسين ثائراً وشهيداً ، وخالد محمد خالد وغيرهم ، وهم كثير .

د.سهيل زكّار:

لقد لاحظت موضوع الإمام الحسين وقد عولج ومازال يُعالج خلال حوالي الأربعة عشر قرناً ، وقد رأيت مؤخراً أن بعض الأخوة العاملين في انكلترة عندهم مشروع موسوعة حسينية تتكون من (٥٠٠) مجلد ، ورأيت بعض المجلدات. في الحقيقة إن التعامل مع هذا الموضوع بما يتماشى مع روح العصر هو أمر مطلوب وربما يكون مسوغاً. لكن تصوري هو أن يكون التعامل مع رسالة الحسين انطلاقاً من كونها رسالة الثقافة الإسلامية ، ورسالة الوحدة الإسلامية ، وليس فقط أن أجمع من هنا وهناك مقالات أو أشياء أو أشعاراً أو غير ذلك. لا شك أن هذا العمل هو من أنواع العمل التراثي المفيد ، لكنني أقترح أن تكون هناك أولويات. بتصوري ، أنّ عشرة أو عشرين مجلداً تكفي كموسوعة عن الإمام الحسين. أما (٥٠٠) مجلد فإنه يمكن أن تصرف تكلفتها في سبيل أعمال فكرية تَخُصُّ المسلمين في الوقت الحاضر ، وتهمهم أكثر ، من دون عملية التكرار. مع ذلك أنا أقبل بحرية الآخرين. إذا كانوا هكذا يرون ، فلا اعتراض أساسياً. لا يجوز لي أن اعترض على العمل الذي يراه بعض الناس أنه لوجه الله تعالى ، وفيه إرضاء لله تعالى ، لكن على الإنسان أن يتعامل بتبادل الآراء.

إنما ستبقى رسالة الإمام الحسين، هي رسالة الشهداء. ونحن الآن في عصر هو عصر الطغيان الصليبي الصهيوني. نحن أحوج الناس اليوم لأن نحمل ما حمل الإمام الحسين، وأن نجاهد في سبيل الله وفي سبيل الإسلام. إنّ الجهاد هو بذل الجهد الممكن، والجهاد ليس كما يقول الأوروبيون هو الحرب المقدسة. ليس عندنا في الإسلام حرب مقدسة. إنّ الجهاد عندنا هو في سبيل تقويم ما هو معوج، واستخدام أدوات التقويم له شروط، وآخر الدواء الكيّ، لكن الإنسان المسلم لا يلجأ إلى آخر الدواء إلا عندما لا تبقى لديه وسيلة، وعندئذ يستخدمه إجراءً آلياً وسريعاً. ولقد كان الإمام الحسين أحرص الناس على دماء المسلمين وقد قدّم دمه ودماء أهل بيته في سبيل الحفاظ على دماء الأمة. هذه هي رسالة الإمام الحسين عليه السلام.

الأستاذ أحمد الحسن:

يلعب عامل التبليغ السمعي والبصري دوراً فاعلاً ومؤثراً في أوساط الشرائح الاجتماعية التي لا يتوفر لها الوقت الكافي للقراءة بحكم ظروف عملها الضاغطة، حيث تؤثر الميل نحو الاستماع للاذاعات أو مشاهدة الفضائيات التي تنتشر على نطاق واسع جداً، إضافة إلى بروز ظاهرة الانترنت وغيرها من الوسائل الالكترونية الأخرى التي أصبحت من السمات المميزة لهذا العصر. ولذلك تقتضي الضرورة الاستفادة من هذه الوسائل الإعلامية التي تغزو عقل المشاهد وتفكيره. واستخدام هذه الوسائل في إبراز الأبعاد الإنسانية والدينية للثورة الحسينية ولذكرى عاشوراء وفق أسلوب شيق وجذاب، يعتمد على مخاطبة العقل والوجدان معاً، وبما يعطي عامل الدعاية والتبليغ أثره الفاعل وحضوره القوي في كسب ثقة المشاهدين والسامعين واجتذاب جمهور واسع من مختلف الشرائح الاجتماعية. بما يطرحه من توجهات وإرشادات قيمة تستفيد بها الآذان ويستسيغها العقل ويرتاح لها القلب وتطمئن إليها النفس، وهنا تبرز أهمية الدعاة والمبلغين وما يتمتعون به من كفاءة عالية سواء من حيث الثقافة وسعة الاطلاع أم من حيث الخبرة والتجربة الناضجة التي تقوم على أساس تحليل نفسية الجماهير ومخاطبتها بما يستجيب لمستويات وعيها ومعرفتها بطريقة ذكية جذابة.

د.عبد الكريم الشبلي:

رغم وفرة العناوين التي تناولت مظلومية الإمام الحسين عليه السلام ومختلف أبعاد حركته الاستشهادية، فإن صدى صيحاته الخالدة في ضمير الأمة الإسلامية لازالت في حاجة إلى المزيد من التحليل والعمق، ليس لمجرد إحياء ذلك المنعرج الدموي الحاسم في تاريخ الأمة ودوره في حفظ رسالة الإسلام، ولكن لأن المعالجة الحسينية لأدواء الأمة هي البلسم الشافي الذي نحتاج إليه اليوم، ولكل منا الحق أن يأخذ نصيبه من فهم ومناقشة المشروع الحسيني الخالد. ولازال الموضوع الحسيني يحظى باهتمام شرائح الأمة الإسلامية كافة بمختلف انتماءاتها. ولهذا توجّب علينا استغلال هذه العاطفة وتهذيبها، بمزيد توضيح غوامض الموضوع، وعرض فوائد الثورة الحسينية التي لا تختلف بمكان عن حاجتنا الملحة للإصلاح في كل العالم الإسلامي على مستوى الفرد والمجموعة.

لكن ينبغي أن لا نتوخى أسلوباً محدداً لنصل إلى قلوب المسلمين كافة، بل يجدر بنا أن نعي اختلاف ثقافاتنا، وتباين مستويات الوعي لدينا.. ومن المفيد جداً مخاطبة العامة بأسلوب تربوي يهدف إلى خلق نموذج يحتذى به، ويخلّص الذهنية البسيطة من الشوائب والشبهات. أمّا المثقفون فيحتاجون إجمالاً إلى الاقناع العلمي وتوفير الوثيقة والحجّة التاريخية الداعمة لشرعية الثورة الحسينية، وذلك خافٍ عن الكثير. كما ننبّه إلى الحملات التشويهية المغرضة التي تشنها بعض وسائل الإعلام المشبوهة، فتلجأ إلى التلفيق والتركيز على بعض الممارسات المستهجنة التي تصاحب مناسبات الاستذكار، مثل التطبير المقبّح عقلاً وشرعاً.

د.محمود عكام:

لا زلتُ أشكّ في أنّ الموضوع الحسيني قد عولج معالجة كافية عبر الكتابة والتأليف، بل إنني أرى المسلمين مقصرين في هذا الميدان، فالثورة الحسينية لا يكفي أن يتحدث عنها الشيعة، بل لا بد من أن يتحدث عنها أهل السنة ولا بد من إقناعهم بضرورة الحديث عنها والكتابة فيها، وأنها – أي الثورة الحسينية – ليست حِكراً على الشيعة بل هي ثورة إسلامية بامتياز.

وهـاأنذا أغتنم فرصة لأناشد معتدلي الشيعة ومعتدلي السنة أن يجتمعوا معاً فيؤلفوا موسوعة عن الإمام الحسين، يتفقون من خلالها على المعايير السَّندية، والقواعد الموضوعية لكتابة السِّير والتاريخ، ومن ثم يسجل كل منهم خلاصاته واستنتاجاته وعِبرَه التي يراها من غير ما إلزام ظاهر أو باطن من طرف لآخر، ومن غير ما ضغط جلي أو خفي من جانب على جانب آخر، لأن المشكلة في فهمنا ((الوحدة)) أننا نريدها بلونٍ واحد، والحقيقة أن الوحدة ليست بوحدة إلا إذا كانت ذات ألوان منسجمة مجتمعة، واللون الواحد تَضْييع، والألوان المتعددة المجتمعة تقوية وترشيد وحسن توظيف.

د.ادريس هاني:

لا أجد في الاختلاف الفروعي ولا حتى الأصولي ما يمنع من الاشتغال اليقيني بواجب الوحدة. فالمسألة في اعتقادي ليست نافلة، بل هي واجب تكليفي عيني، يجب أن يوجه كل سلوك ومواقف المسلم المعاصر.إن احتفاظ أتباع المذاهب بقناعاتهم لا يرفع واجب الحرص على الوحدة.فالقناعات تابعة لأدلتها.ولا نطلب من المخالف أن يحيد عن أدلته التي انبنى عليها قطعه بالمرادات.ولا نطلب من أحد أن تكون قناعته عن تقليد أو دون دليل معتبر.ومثل هذه الرياضة المناظراتية يمكن أن تستمر بين المسلمين في أجواء محكومة بفقه للخلاف يستحضر أخلاقيات الحوار وعقلانية المناظرة.لكن الخلاف ما دام في نظري لا يمس الأسس التي بها يكون المسلم مسلماً، ولا يجرف الحد الأدنى الذي جعل الأئمة أنفسهم يعايشون المخالف لنهجهم ويعتبرونه مسلماً، فلا حاجة للاسترخاء في طلب الوحدة والتقارب بين المسلمين.ومن هنا يتعين تقديم الخطاب الحسيني باعتباره طلباً لإصلاح الأمة جميعاً كما يظهر من كلمة الإمام الحسين ـ ع ـ .علينا أن نعيد قراءة المشهد بعيون فوق طائفية.وأن نقرأ الحسين كمصلح كبير للأمة، كل الأمة، وليس متحيزاً في حركته الرسالية لطائفة ما. بل قد يصبح توسيع الخطاب الحسيني وجعله عنواناً لوحدة الأمة أمراً ضرورياً بهذا اللحاظ.وذلك كله يتطلب وقفة. وقفة تأمل قصوى كما قلنا سابقاً.إن الخطاب الحسيني خطاب إسلامي وإنساني

مفتوح.والإمام الحسين طلب من محاصريه أن يسمحوا له بأن يتجه إلى ثغر من ثغور المسلمين ليدافع عن الأمة حتى يلقى الله.كما أن ابنه زين العابدين رغم مواجع الاستضعاف الأموي وجرح ما شاهده من إبادة لأهل بيته، يقدم نموذجاً للهم الوحدوي من خلال دعاء أهل الثغور الذي يلامس فيه قضية الأمة الكبرى والقلق على بيضة الإسلام بما يفوق الاعتبارات الشخصية والحسابات السياسية الضيقة.

السيد حسن النوري:

إن الإمام الحسين عليه السلام والثوار معه رسموا للبشرية طريق العزة والكرامة والتضحية والنبل لهذا فإن ثورته بعيدة الأعماق وواسعة الأهداف، وهي كما عبرت سابقاً ضرورة وحاجة ملحة، ولا بد من بيانها بمختلف الأساليب إذا ركزنا على موضوع (السمعي البصري)، يمكن الاستفادة من خبرات الإنشاد والألحان المحللة شرعاً، والتمثيل والتصوير ومراعاة عامل الإثارة وعامل الوقت وعامل الفكرة المطروحة في الأنشودة والصورة والمشهد. يمكن الدعوة إلى مسابقات عن الإمام الحسين وثورته في مجال الكتابة الأدبية والفكرية، ومسابقات في مجالات الفن كالرسم والتصوير والتمثيل والمسرح، مع محاولة الحصول على نصوص معبرة لا بد من إدخال بعض طلاب الدراسات الدينية إلى عالم غريب عن عالمهم هو عالم الكتابة والإخراج ولدينا تجربة أحسها ناجحة هي تجربة السلسلة الإيرانية مريم العذراء عليها السلام ...

إدخال الشعراء إلى عالم الإمام الحسين الرحيب والتجربة تشهد كيف سحر الإمام الحسين الكثير من الأدباء والشعراء حتى من غير المسلمين، لنحصل من هذا على قطع أدبية جميلة تكون محفوظات لأجيالنا، عقد مؤتمرات ولقاءات عن قضية ثورة الإمام الحسين، ونقلها عن طريق الفضائيات، عرض أهداف الثورة الحسينية بشكل معاصر. وقد رأيت قطعة أدبية للدكتور شريعتي صورها وأخرجها التلفزيون الإيراني كانت رائعة ومؤثرة، التركيز على تصوير مواكب العزاء الحسيني وهتافاتها ذات المضمون الاجتماعي الإصلاحي، تصوير مواكب المشاة إلى زيارة الإمام الحسين بشكل مدروس.

الأستاذ حسين شرف الدين:

كثرة الشبكات الفضائية لا تحول دون الاستفادة من بعضها، وهناك الكثير من الفضائيات العربية وغير العربية التي تبث بلغات مختلفة إلى العالم، وليس من إشكال في تنوعها، بل الإشكال في الخطاب الذي يجب أن يكون بعيداً عن الكلام الانشائي والمنبري، والاعتماد على التحليل والبحث والدراسة، مع تقديم أشياء جديدة، دون تلك المقولات المستهلكة، إلى جانب ملاحظة الجهة التي سيوجه إليها البث لاختيار الأسلوب المناسب لأن لكل شعب ثقافته التي تميزه عن بقية الشعوب، وهذا يفرض خطاباً مختلفاً في التوجه إليه. الامر دقيق وحساس وليس مستحيلاً.

الأستاذ أحمد جبريل:

أيها الأخ الكريم إني أختلف معك في هذه النقطة بالذات وهي معالجة الموضوع الحسيني بالكثير من التأليف "كتباً وموسوعات" فرغم ما كتب وما دون عن الثورة الحسينية هو قليل ولا يتناسب مع أهداف هذه الثورة وتضحياتها، وإذا كانت هذه المؤلفات موجودة فهي غير منتشرة في العالم الإسلامي وهي ليست في متناول الإنسان المسلم. ربما موجودة في دولة من الدول أو لدى فئة من الفئات أو ربما هي غالية الثمن لا يستطيع الإنسان المسلم شراءها. رغم إنني اتفق معك بأننا أمة "قليلة القراءة" وهذا مخالف لتعاليمنا الإسلامية التي كان أول أية نزلت على الرسول الأعظم هي ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق.. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾.

يجب أن يعاد النظر في وسائل التبليغ... وتستغل كل الوسائل القديمة والحديثة، السمعية والبصرية. ونسخر وسائل العلم الحديث وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات ووسائل الإيضاح. وتبسيط الدعوة وإنشاء معاهد دراسات، وتزويدها بخيرة العقول والخبراء لوضع أسس جديدة لتبليغ الدعوة تتناسب مع متطلبات العصر دون التفريط بالأسس العقائدية والأهداف الأساسية للإسلام والثورة الحسينية.

■ ■ ■

المحور الثالث:

في سبيل تأصيل
الخطاب الحسيني ونبذ التكفير

الخطاب الحُسيني حالة إنسانية وفكرية مستمرة، استمرار الحياة في شرايين الثّوار. ومن أجل أن يكون للخطاب الحسيني مجال تأثير في أفئدة الناس وتشكيل وعيهم ومستقبلهم ودولتهم فلا بد من عملية تأصيل تشرف على ديمومة خطاب الثورة في وعي الأمة.

ولهذا نُعيد إلى الأذهان إشكالية هذا الوعي عبر سؤالين اثنين والإجابات التي تلقيناها عليهما في هذا المجال.:

السؤال الأول- يبدو أننا كلما أمعنا في تبيان مشروعية ثورة الإمام الحسين عليه السلام، نتواجه مع نماذج أكثر تعصباً ومعاداة لمنهج أهل البيت، أين الخلل هل هو في أسلوب خطابنا أم أنه في طريقة تلقي الآخرين لهذا الخطاب.؟

السيد مجتبى الحسيني :

إن مسألة العداء تجاه الإمام الحسين عليه السلام ليس بالأمر الجديد، وإنما مرت في الماضي أدوار أكثر شدة. ولقد ازداد اهتمام الناس الآن، ولله الحمد، بالإمام الحسين عليه السلام وباستذكار ثورته وازدادوا قرباً من فكر أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم. وقد أخذ هذا الأمر منحىً متصاعداً بعد انتصار الثورة الإيرانية الإسلامية المباركة في إيران، وبخاصة في الظروف الراهنة. إن أحد الأمور الذي يرعبُ أعداء الأمة كثيراً، هو فكرة المبدأ الإسلامي التي تجسدت في ثورة أبي عبد الله الحسين، ولهذا صار الأعداء يكثفون من تآمرهم. ومن جملة المؤامرات التي يقومون بها التوجُّه نحو اللادينية.. ولقد كان هذا فعالاً إلى حدٍ ما. ولكن نظراً لانتشار التوجه الديني، فقد اختلق الأعداء ديناً منحرفاً – في الظاهر من أجل الناس البسطاء- هو أشد تطرفاً وغلظةً من المشروع الإسلامي الذي عرضته الثورة الإسلامية- وهو الدين الأصيل – من خلال جماعات فئة التكفيريين أو الطالبان أو القاعدة وأمثالهم ، الذين ربّوهم في مناطق محدودة نائية ومغلقة وأثاروا فيهم روح التعصب والمغالاة.. إن هذا النوع من المنابذة والمعاداة، أمر هو في الحقيقة يُغذيه ويموله الصهاينة وأمريكا... كما أن الشباب الذي يسير نحو التوثب والانطلاق يتقبل بسرعة مثل هذه الأطروحات فإذا ما كان جاهلاً، فإنه سيكون أكثر عرضة وتأثراً بمثل هذه التوجهات الإنحرافية.

إنَّ على العلماء والمثقفين والمفكرين العمل على تغيير فكر هؤلاء، أن يعلموهم أن ما في أدمغتهم هو غير التوحيد ومخالف للتوحيد ومخالف للنبوة وللإسلام. فلو أنهم قالوا للناس: إن هؤلاء لديهم حسينيات بدلاً من المساجد، يعبدون الحسين بدلاً من الله، فإن علينا -كشيعة- أن لا نفعل ما يؤيد هذا الاتهام، وإنما ينبغي أن نبين أننا أكثر منهم توحيداً، وأن تقيدنا بالتوحيد في أعلى درجاته، وأننا إذا ما كنا نحب الإمام الحسين فإنما أحببناه لأنه كان عابداً لله، ولأنه كان عبد الله.. وإنّ توسّلنا بأهل البيت في الأدعية، فلأنهم كانوا عباد الله الخالصين المخلصين، ولأنهم أهل الكرامة، ومعدن الوحي والتنزيل. ولكن ينبغي ألا يأخذ ذكرهم مكان "يا الله". لا يجوز أن يأخذ "يا علي" مكان "يا الله".

ومن المؤسف أن عندنا في الثقافة العامة للعوام البسطاء شيئاً من هذا، إذ يلاحظ المرء، أحياناً أن العوام في الطواف يكررون "يا أبا عبد الله الحسين"، يا أبا الفضل العباس: والخ.. بينما لا يقولون "يا الله" ولا مرة واحدة!.. وإذا ما توسلنا – إلى جانب قولنا يا الله ويا رب- بأهل البيت عليهم السلام فينبغي أن نعرف أن الله القادر والقاهر هو الذي منح أولياءه قدرة المعجزة كرامة منه لهم. ثم نصل إلى هذه المسألة، وهي إن حدث وخلت مساجدنا من أهل العلم والفضلاء – لا سمح الله- وصار الأمر أن يولي العوام اهتماماً لإقامة التعزية أكثر من اهتمامهم بالصلاة، فعليهم ألا يتذكروا أن أبا عبد الله الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، ترك القتال وأقام الصلاة في أحلك ظروف المعركة.

وفي ظهر يوم عاشوراء، عندما يرتفع صوت الآذان، فأينما كنا ينبغي أن ننصرف إلى الصلاة فهي تجلٍّ للتوحيد. ينبغي أن نأخذ هذه الأمور بجدية واهتمام بالغ، وأن يكون ما نظهره من التشيع ومن حب أبي عبد الله الحسين في الدنيا، مظهراً للتوحيد الكامل الذي جسّده حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم العاشر من المحرم في العام ٦١ للهجرة. ويمكننا أن نقف إلى حد كبير ضد المظاهر المتناقضة مع الدين الحنيف، وأن نقف بوجه الأفراد المنحرفين حتى يهتدوا. وبعبارة أخرى، إنّ علينا مواجهة التكفيريين بالفكر لا بالقمع، وبالعلم لا بالطرق البوليسية.

كما أن من نصفهم بالتكفيريين يمكن أن يكونوا موجودين بين صفوفنا أيضاً، ويمكن لكل الشبان المسلمين أن ينحرفوا إثر الإيحاءات الباطلة. فكلمة تكفيري مثلاً تعبير جديد، كان لدينا شبيهاً له "مجاهدوا الشعب" الذين كانوا يلجؤون إلى القتل العمومي ويرتكبون الجرائم متذرعين بالدين. كان بعضهم يعشق الإسلام لا فرق في الأمر، إذ يمكن في كل مكان سوء استغلال الإسلام بشكل مغلوط انطلاقاً من التعصب والغُلّو لضرب الدين وضرب المسلمين ونشر الفساد. كان عندنا جماعة "مجاهدو الشعب" الذين كانوا مفسدين في الأرض ويمارسون الفساد. وكانوا يأولون ممارساتهم المنحرفة بالقرآن والسنة وأفكار أهل البيت.

كما وينبغي ألا نأى بأنفسنا عن أهل السنة وننفصل عنهم. إن على العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي جميعاً أن يعملوا على تقديم إسلام

معتدل، إسلام تقدمي، إسلام مُتجدد ويجب أن نتعاون نحن أيضاً كي نزيل هذه المشكلة وأن نعالجها فكرياً لا باستخدام أسلوب القوة.

السيد محمد الموسوي:

التعصب ضد منهج أهل البيت عليهم السلام ليس جديدا ، ولا نستغرب استمراره في أتباع وافرازات وحواشي الحكومات الظالمة ، لكن المؤسف هو أن نرى في المسلمين الداعين للنهضة الإسلامية من يصر على مناوأة منهج أهل البيت لا لشيء الا للموروث التأريخي النفسي الذي ورثته له عصور الظلام والإرهاب الفكري الذي مارسته الحكومات الظالمة ضد أتباع أهل البيت ورسمت من أجل تبرير سلوكها المتعسف ضدهم صورة مختلقة والمفروض في المسلم أن لا يتهم أخاه المسلم بل حتى غير المسلم الا بعد فحص وتمحيص ، فالأزمة هي أزمة تعصب ضد منهج أهل البيت الذي صورته الحكومات الظالمة بأبشع صورة، وحلها لا يكون إلا بالإنصاف والبحث وتغليب الدليل على الوهم، والبرهان على البهتان الذي طالما أشاعته الجطومات وذيولها ضد منهج أهل البيت عليهم السلام. ولا أقول أن أسلوب خطابنا ووسائل ايصاله للناس لا تعاني من نقص.فبالرغم من توفر الكتب والمواقع الألكترونية والقنوات الفضائية التابعة لأتباع أهل البيت، إلا أن الملاحظ أن ملايين المسلمين لا زالوا لا يعرفون عن أهل البيت حتى الأساسيات، وهذا ما يدعونا للتركيز على وسائل نافعة للوصول الى الناس وإسماعهم كلمة الحق التي جاء بها أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله.وأما طريقة تلقي الأخرين للخطاب الموضوعي الذي نطلقه نحن كأتباع لأهل البيت، فانها تتوقف على مدى حيادية وموضوعية المتلقي، وصدقه في البحث عن الحقيقة. ولا نتوقع تساوي كل الناس في نزاهة التلقي وموضوعيته، وهذا ما نراه في كثير من غير المسلمين في تلقيهم غير الموضوعي وغير المنصف لخطابنا الإسلامي.

د.ادريس هاني:

ثمة خلل بلا شك.وهو خلل على تفاوته يظل مشتركاً بين الإثنين.خلل في

الخطاب وخلل في ذهنية المتلقي للخطاب.وأعتقد أن مقتضى النهضة الحسينية ومحتوى حركتها الرسالية، هو الإنصاف والعدالة والإعتراف.لذا يتعين الحديث عن خلل يصيب الجهتين معا.حيث أن ثمة أمراً آخر يشكل مقصداً مؤطراً وموجهاً لكل قراءتنا، وهو المقصد نفسه الذي فجر الثورة الحسينية.أعني وحدة الأمة وإحساس أبنائها بأن أمراً كبيراً شغل وجدان رموزها وهو الوحدة التي تتعالى على الخلاف ولا تصل إلى حدود القطيعة.ونعتقد أن آثار القطيعة التاريخية لا زالت رابضة على العقول والقلوب.ومن هنا فإن الحديث عن المسؤولية المشتركة ، على التفاوت في النيات والمقاصد ، هو أمر ضروري.ونحن نعتقد أننا مطالبون أكثر من غيرنا بالتنازل في العوارض لما يخفف من وطأة هذا الشرخ الذي جعل الأمة في أرذل عمرها تبدو كالرجل المريض.ونعتقد أن منطق الأبوة للأمة الذي وسم معالم النهضة الحسينية بميسمه الخاص، يفرض على شيعته مواقف مسؤولة وصبراً أكبر وتشبثا بمصلحة الأمة لا يحركه الإستفزاز، وطلباً لرأب الصدع لا يخفف من باعثيته إزعاج .وذلك في نظري نابع من حالة الجهل وغياب معطيات كثيرة على من يتلقى الخطاب في زحمة التهريج والحصار التاريخي الذي جعل كل ما يقال عن شيعة أبي عبد الله الحسين، هو ما تنسجه حولهم أيادي خصومهم.تارة بجهل بسيط وتارة بجهل مركب.

أعتقد أن معالجة الخلل ينبغي أن يتم خارج هذا التراكم التاريخي المهول من المسبقات والخلفيات التي حكمت العقول والأذهان واستمرت ترفد العقل المسلم اليوم بكل فظاعاتها.وأعتقد أن العصر بما يشهده من نضج حضاري ومن إمكانيات هائلة للبحث عن جذور الأزمة ومعوقات العقل الإسلامي، يمكننا من تدبير أمثل لخلافنا.لقد عاش المجتمع الإسلامي عبر تاريخه على إيقاع ثقافة الاستئصال. وقد لحق أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام- من الظلم ما لم يلحق مدرسة من المدارس.ولا أدري كيف أن كل المدارس التي كان على رأسها فقهاء وعلماء من عموم الأمة نالت من الاحترام والتقدير ما لم تنله مدرسة كان رموزها هم أكبر رموز الأمة بلا منازع.إنها لمفارقة حقاً! وحتماً إننا في المجتمع المغلق، المحكوم "بفوبيا" الاستئصال، سيتشكل لديه إحساس خاص بمعتقداته.

وحيث أن المجتمع المغلق بخلاف المجتمع المفتوح ، يطور لنفسه تجربة طقسية تستمد تعبيراتها من الرموز الشعبية والظواهر والأذواق السوسيو ـ ثقافية.وهذا ما يجعل هوية المجتمع المغلق تزداد ابتعاداً عن الآخر وتتضخم مظاهر غربة المجتمع المغلق عن الآخر.إن ما نجده من مظاهر طقوسية عاشورائية هو نتيجة هذه العزلة التاريخية والحصار الذي فرضته السياسة الاستئصالية.إن الموقف الاستغرابي من الظاهرة الشيعية في طقوسياتها العاشورائية ، مسألة طبيعية بالنسبة للآخر المسلم الذي يكتفي بالفرجة ولا يشارك إخوانه الاحتفال بالذكرى. وهو إلى حد ما معذور تاريخيا لأنه لم يتمثل عمق المحنة وعمق الجرح الحسيني المفتوح. وتلك هي المشكلة.

الشيخ نبيل الحلباوي:

المهم ألا ينجرّ إلى تعصب مقابل ، وألا نقابل العداء بالعداء ، بل بالمحبة والتسامح ، وأن نجتهد في تعريف الثورة الحسينية ، وبيان مشروعيتها وإسلاميتها ونموذجيتها وعطاءاتها للإسلام والمسلمين ، وأن الظالمين المنحرفين آنذاك لم يكونوا سنة ولا شيعة ، وأن الثائرين وعلى رأسهم إمامهم عليه السلام لم يثوروا للشيعة بل للمسلمين جميعاً.

وعلينا أن نعالج الأخطاء في أسلوب خطابنا حيثما وجدت ، وفي ممارسات الشعائر الحسينية أينما حصلت ، وألا نتخفف من هذا العبء بإلقاء المسؤولية على الخلل في تلقي الآخرين لهذا الخطاب.

الأستاذ حسين شرف الدين:

لم تكن الخلافات بين الجماعات البشرية ، في يوم من الأيام ، عائدة لجانب فكري ، حتى أولئك الذين أعدموا ، إن شنقاً أو حرقاً وقتلاً ، منذ ما عرفت المحاكمات الفكرية في عهود اليونان الأولى حتى يومنا هذا ، وإنما هي خصومات سياسية ، فيلصق الاتهام وتقوم المعارك الدامية ، وفي الاتهام ترد أسباب إعتقادية ، والخصومات بين الجماعات تتوارثها الأجيال لتصبح عداوة مستحكمة ضد الفكر نفسه حتى لو تغيرت الأفكار أو تطورت ، أو تغيرت أنواع الخطاب وأشكاله أو تطورت.

ومشكلة نهج آل البيت مع المناهج الأخرى أساسية وعقائدية، وفيها ما لا يمكن تبديله أو تعديله أو تغييره لأنه من الثوابت العقائدية، ومنها مثلاً مفهوم الولاية وما يستتبعه من منظومة فكرية قائمة على نظرة خاصة للإمامة، وهذه الولاية لم تتشخص بالإمامة من حيث هي الحاكمة من بعد النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، ولم تنفذ فيها وصية، بل تمت تولية أمور المسلمين بالمبايعة، وعليها بنيت إدارة شؤون المسلمين في الحكومة الراشدة، إلى أن جاء زمان تحولت عن آل البيت نهائياً، واعتمد الواقع التاريخي، ولكن أتباع أهل البيت، رفضوه، واعتبروا الرفض من الثوابت مع سريان هذا الواقع وما ترتب عليه، ومنها طريقة وصول أمير المؤمنين علي عليه السلام للإدارة العامة، إذ تمت بالمبايعة. وعندما قامت الثورة الإسلامية، ووضعت دستورها لاحظت الانتخابات لجميع المؤسسات القيادية، وهو ما يقارب المبايعة ومع هذا تتمسك بمفهوم الولاية.

قد يرى البعض أن في الأمر شكلاً من الازدواجية، ولا أعتقد ذلك، فالشيعة يرون أن الولاية مُقتصرة على اثني عشر إماماً أولهم أمير المؤمنين علي وآخرهم محمد بن الحسن عليه السلام جميعاً، ويعتقدون باستمرار الولاية منذ الغيبة حتى يشاء الله ظهوراً يحقق الحكومة الإلهية بكامل مشيئته سبحانه. من هنا أفهم أن الشيعة يبنون على (الحق) وليس على (الواقع التاريخي)، وإن كان الواقع التاريخي قد جرى عكس الحق فهم متمسكون بقاعدة الحق مهما طالت فترة بلوغ صولته.

من هنا ندرك أن الإعتقاد بالولاية هو صورة للحق الذي هو أساس البنية الاخلاقية عند الشيعة، وعليها تقوم نظرتهم للوجود والحياة والكون، وتبنى أخلاقياتهم، ومن خلال يوميات عيشهم في مناخات التضحية تتشكل ذهنيتهم، ولذلك هم عرضة لهجوم فئتين من الناس: فئة التعايش مع الحكم، وفي محفوظاتها ومدوناتها ما يساعد على هذا التعايش، وفئة بطبيعة انتمائها المعادي والمصمم على إلغاء المخالف. وهاتان الطبيعتان يستحيل معهما التقارب مع طبيعة الحق.

لذلك قد أجد في الخطاب المتبع، الكثير مما لا يتناسب مع زاوية النظر التي دخلنا بها القرن الواحد والعشرين، ولكل عصر زاوية نظر هي طابع العصر بعيداً

عن الشعارات والتصنيفات، فتداول العصور تجعل لكل منها خصوصية، من هنا أجد أن الخطاب عندنا لايزال بعيداً نسبياً عن نقطة التماس مع الانسان الآخر، مع إقراري بأننا على صعد مختلفة، عندنا الكثير من روحية التقارب والتقرب.

هذا على مستوى الناس، ولكن جماعة الاستنكار الدائم والموسمي لن يتبدل معهم الموقف مهما كان نوع الخطاب، ففي الآذان وقر، وليس على العاشورائيين إلا أن يرفعوا من مستوى علاقتهم بأبعاد عاشوراء، فالدخول في دروبها، وعلى أبعد مدى هو الذي يفرض نفسه يوماً.

السيد حسن النوري:

هناك من لا يريد أن يغير قناعاته عن ثورة الإمام الحسين وبديهي إن البعض ممن لا يجيد أو لا يحسن عرض أهداف الإمام الحسين في ثورته سيكون عاملاً مبطئاً وسلبياً في تغيير رؤية البعض ولكن هذا القصور أو التقصير في الأسلوب بحاجة إلى معالجة وهي صعبة معقدة بمقدار تعقد شبكة المبلغين، والمنبريين الحسينيين إن صح التعبير ويفقد شبكة الممولين لهم.. ورغم هذا فإن المنبر الحسيني يحقق أهدافه وينمو ويتطور بشكل ملحوظ ليلامس آفاق تلك الثورة وجنباتها.

والذي نلاحظه أن النقلة النوعية التي نطمح إليها في إدخال المنبر إلى كل مجمع ومجلس لن تكون سهلة في كل البلدان الإسلامية كما هي سهولتها في بلدان أخرى..

لا بد إذن من التفكير بجدية في رفع الحواجز الموضوعة أمام فكر الثورة الحسينية لتكون مطمح الثائرين كافة ومصدر إلهام لكل الطاقات البشرية.

وإن العامل السياسي والمصلحي عند المعارضين لمنهج أهل البيت (ع) جعلهم يعلنون بصراحة عن مواقفهم العدائية مما يعني أن فعل المنبر الحسيني كلما زاد ونما كان رد فعل المعادين بنفس الدرجة.

د.زهير غزاوي:

ربما كان هناك بعض الخلل في الخطاب الإسلامي لبعض مفكري مدرسة أهل البيت، ولكنه ظل يمكن احتواؤه غالباً، إلاّ أنّ صعود التعصب الطائفي

لأسباب (خارجية) وسياسية، جعل من المقاييس التي وضعها المسلمون لنفس الأسباب في وجه الحوار حول مشروعية ثورة الحسين أبرز نهجين كبيرين في الثقافة الإسلامية، أبرزهما: أن منهج مدرسة أهل البيت أصبح رمزاً للمرونة والدفع باتجاه الحوار في مقابل منهج سلفي متعصب تكفيري، يقف سداً منيعاً في وجه جماهير المسلمين لحقيقة ما جرى وأبعاده وأهدافه، والرائع أن صعود الشيعة في العالم والدفع الخارجي المشار إليه أدى إلى طمس الحقائق خاصة بعيد سيطرة وسائل الإعلام الحديثة، ونجاح الغرب في تطييف السنّة وهم الغالبية، مما أدى إلى رسم خطوط للتماس في عالم إسلامي يخضع للهيمنة الغربية.

السيد كامل الهاشمي:

لا يوجد دليل على نجاح الثورة الحسينية في تحقيق المطلوب منها أكبر من هذا الدليل الذي تشيرون إليه في سؤالكم الكريم، فالثورة الحسينية -وكما هو معلوم من تاريخها المدون قبل وقوعها حتى- ما استهدفت إلا أن تكون "مشكلاً" في المسار الديني المعوج والمنحرف لأمة الإسلام، وهو المسار الذي لولا الثورة الحسينية لقدر له أن يكون المسار ليس الرسمي فحسب، وإنما المسار الوحيد الذي يمثل الدين الحق ويدعي أن الإسلام الذي أنزل على رسول الله ﷺ هو ما يجسده معاوية بن أبي سفيان، أو يزيد بن معاوية، أو أمثالهما ممن اعتنقوا الإسلام مكرهين وقالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ولكن ثورة الحسين عليه السلام فوتت عليهم هذه الفرصة التي طالما انتظرها الإسلام الأموي ولكنه يأس من أن يحظى بها بعد ثورة الحسين عليه السلام، فلقد أسقطت هذه الثورة ورقة التوت الأخيرة التي كان يستر بها الإسلام الأموي عورته، والتي كانت تخفى على كثير من الناس السذج والبسطاء.

وانطلاقاً من ذلك من المفترض جداً أن يثير خطاب الثورة الحسينية -أي الخطاب المنتج لها والمذكّر بها- جمود التفكير عند الآخرين وتكلس الأحاسيس والمشاعر عندهم، لأن ذلك ما أرادت الثورة الحسينية أن يترتب على وجودها وقيامها بالضبط، ومن أجل ذلك قررت أن تكون "ثورة" وليس أيّ شيء آخر، لأنها أرادت أن توقظ الفكر من غفوته، وتستفز الضمير من قبره، ومن هنا علينا أن لا نفاجَأ بردة فعل الآخرين ممن يجهلون أهداف الثورة الحسينية وغاياتها،

فهي جاءت في الأساس لتزعج مثل هؤلاء الناس الذين يحبون أن يطيلوا السبات ويديموا البيات، رغم كل المآسي والمصائب التي ظلت ترتطم بواقع المسلمين.

د.سعيد يعقوب:

أقول أن التقديم العملي ينجح أضعاف ما يتيحه التقديم النظري، بدليل أن ملايين المسلمين السنة أحبوا حزب الله في لبنان وقائده ورجالاته.. ويعلم الجميع أن النموذج الحسيني الكربلائي هو الذي حرر جنوب لبنان في العصر الحديث، وأكاد أقول أن هذا النموذج نفسه هو الذي حرر غزة، وهنا يبقى أن نعلن للمسلمين أن بطل هذه الملحمة الكربلائية هو رجل الثوابت الإسلامية والإنسانية الذي أنكر ذاته وضحى بنفسه وأهله من أجل المبدأ وأنه لم يهتم أقدِمَ هو إلى الموت أم قدم الموت إليه.. وإذا ذبح الحق فإن الذابحين حتماً هم الباطل.

ونذكّرُ أن الإمام الحسين عليه السلام اختار إحدى الحسنيين الشهادة أو النصر، وأنه أصلاً الحسين هو أحد الحسنين اللذين هما (إمامان قاما أم قعدا) على حدّ قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، أقول إن غالبية المسلمين ليسوا من أتباع يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وليسوا ناصبيين وبالإمكان أن يعيدوا فهم هذا النموذج السلوكي الإنساني الإسلامي.. وأن هناك سوء فهم غريباً يجب الانتباه إليه هو إهمال مكانة أهل البيت عند بعض المسلمين وإذا ذُكروا أمامهم يعتبرونهم كبقية الفقهاء والعلماء والشيوخ لكنهم يعودون ويهملون وجودهم مرة أخرى. وإني أرى أن يتم التعريف بفضائل كل آل البيت باعتدال شديد ومراعاة الرموز التي تقدسها كل مجموعة أو فئة من الناس ولا ضرورة لأن يدعو أحدهم الآخر لتغيير مذهبه.

إن موقف الحسين هو على الأقل موقف عزة وكرامة، وإن الاقتداء بهذا الموقف يقوي شخصية الإنسان الفرد ويقوي شخصية المسلمين كأمة. لتتذكر أثر التربية النبوية والعلوية في بناء شخصية الحسين.. الحسين القدوة لكل مسلم.. إذْ قال الرسول عن الحسين (إنه وأخاه سيدا شباب أهل الجنة) ألا يعني ذلك أن قاتله في النار بامتياز؟! .. إذا اقتنع المسلمون بهذا الكلام نكون قد أدينا دوراً جيداً ومقبولاً.

الشيخ جواد الخالصي:

لا يحتاج إثبات مشروعية الثورة الحسينية أكثر من قراءة المقدمة التي أوردناها لهذه الأجوبة، فالحسين إمام هدى لا خلاف على وجوب الالتزام بهديه وسيرته، ولا مشروعية أعظم وأعلى من هذه المشروعية التي هي الإمامة الهادية المتصلة نسباً وفكراً واتباعاً بالنبي الهادي محمد ﷺ. أما الخلل فهو من الأمرين معاً؛ أسلوب خطابنا في الأغلب، وتلقي الآخرين كذلك، فحين نُطيّف أفق الثورة، ونتحدث عن صراع طائفي لا وجود له في الثورة، أو قبائلي لا يمكن أن يكون له أثر في مسيرتها، أو نأخذ الأبعاد المأساوية ونقف عندها فقط، أو أن نتاجر بالثورة لنجعل منها وسيلة للإستثار والإستئكال، أو أن نخترع لأنفسنا أساليب مقززة في طرح الثورة، فتكرّس ممارسة الظلم وتؤيده لكي تستمر الشعائر الظاهرية المختلقة، أو أن نتحالف مع العدو الخارجي عن الفكر أو حتى عن الأمة لكن يسمح لنا بممارسات الطقوس المتوارثة وإلهائنا بها؛ كل هذا يشكل خللاً كاملاً في أسلوب حكايتنا وطرحنا لروح الثورة. والخلاصة، إن ترك الحديث عن الثورة وعاشوراء الحسين لخطباء غير علماء، يتلاعبون بالعواطف ولا يجيدون غيرها، بينما يحجم أهل العلم عن ممارسة الخطابة للحديث عن عاشوراء، بل قد يتركون الحديث حتى عن الإسلام، وعن الأخطار المحدقة بالأمة كلها، تاركين التفسير والحوار واتخاذ المواقف لأناس يحيطون بالموقف العلمي دون أن يكون لهم أدوات أهل العلم ولا أساليبهم. أما طريقة تلقي الأخرين والخلل الواقع فيها فإنه ناتج من الابتعاد عن فهم موقع الحسين عليه السلام في الأمة، والتأثر بالموروث السلبي الذي صنعه أعداء الثورة والصورة المختلقة أو المشوهة لحقيقة هذه الثورة العظيمة وذلك الحدث الجلل. ومع أن أغلب تلك الإشاعات أو التشويهات قد طواها الزمان وأزالها الوعي المتكرر الذي أكده الأئمة وأهل الصلاح من هذه الأمة – ومنه التأكيد على الاستذكار الواعي الدائم والاستذكار السنوي في مواجهة مخطط إنشاء الثورة وأهدافها – إلا أن بعض الموروث مازال يؤثر عند بعض الطبقات فتؤدي إلى خلل التلقي.

د.علي أبو الخير:

دائماً صوت المعادين لأهل البيت عالياً ، ليس الآن فقط ، بَلْ عبْر كُلّ التاريخ الإسلامي بأسره ؛ فَقَدْ قامت ثورة مستمرة ودؤوبة لتشويه ثورة الحسين مِن خلال تشويه الشيعة وفكر الشيعة ، حدث هذا منذ كربلاء حَتَّى الآن ، فسموهم " الرافضة والعلقمية " لا لشيء إلا لحجب أفكار الثورة الحسينية لأنها كانت دائماً المواجهة لمشروعية الدول القائمة .

عندما استطاع الفاطميون تأسيس الدولة الفاطمية طعن العباسيون لا في مشروعية الدولة بَلْ في نسب خلفائها وادعوا عليهم بأنهم عبيديون نسبةً إلى عبيد الله المهدي المؤسس الأول للدولة في أفريقية .

كما أن السلاجقة بمجرد أن استولوا على الخلافة العباسية وجعلوا مِن الخليفة لعبةً في أيديهم بدأوا في الطعن في بني بويه على الأساس العقائدي وليس السياسي .

تم خلط السياسة بالدين ، أو أن السياسة خطفت الدين ثُمّ رفضت كُلّ فكر ثوري بل أي فكر نقدي ، وأهم هذه الأفكار الثورية الحركة الحسينية .

الخلل هنا يكمن في الفكر الزاعق الداعي لتكفير الغير ، وأهل السنة بصفة عامة موالون لأهل البيت ، والعداء لمنهج أهل البيت في القلة السلفية..

لو قرأنا " منهاج الكرامة في معرفة الإمامة " لابن مطهر الحلي وقرأنا " منهاج أهل السنة " لابن تيمية لوجدنا الفروقات الضخمة في التفكير : فبينما يشرح الحلي الفكر الإمامي على أساسه العلمي نجد ابن تيمية لا يكف عن السب واللعن .

هذه القلة صوتها دوماً صارخ وعالٍ ، ومنهجهم تطرفي تكفيري ليس له أساس فكري علمي ، ولكنهم بإمكاناتهم المادية حاولوا استثمار هذه الأموال في الترويج لما يقولون عنه : إنهم الفرقة الناجية الوحيدة .

د.محمود عكام:

لعلَ الاستنكارَ مصدره ثلاثة أمور :

الأول : ما يقوم به بعض العاشورائيين من تصرفات غير مقبولة شرعاً،

يضربون أنفسهم ويسيلون دماءهم ويؤذون أجسامهم .

الثاني : جهل المستنكرين بمسيرة الإمام الحسين وحياته وحيثيات ثورته وتفصيلات ما وقع في كربلاء ، ولو أنّهم علموا هذا الذي حدث لتغيرت مواقفهم ولتحولوا إلى غير مستنكرين على الأقل .

الثالث : تقصير العلماء عامة ، وعلماء السنة بشكل خاص حيال تبيان ضرورة الاقتداء بأئمة أهل البيت وأن ذلك مطلوب شرعاً ومدعو إليه ديناً ، فلا والله ما كمل إيمانُ عبد مسلم أعرض عن الثناء والولاء لأهل العباء رضي الله عنهم وأرضاهم ، وبإزالة أسباب الاستنكار وموجباته يزول الاستنكار ذاته فهلا عملنا ، وإنا لمنتظرون .

وإذا كنت يا أخي – في آخر المطاف – تسعى إلى أنْ يُقر كل المسلمون بهذا الذي نعتقده فيما يتعلق بثورة الإمام الحسين فأنت حالم أو في طريقك إلى الحلم وبعيدٌ جداً عن الواقع ، فمن عادى الحسين في حياته وقاتله وجافاه وخَطّأه لا بد من أن يكون له امتداد على أرض الواقع ، وكلا الخطين مستمران وباقيان ، وهذه سنة الله في خلقه ، ومن وجد نفسه في خط الحسين فليحمد الله وليشكره ، ومن كان غير ذلك فعلينا أن نصبر عليه وندعوه ، وها هو الحسين العظيم علمنا في النهاية أن الدم سينتصر على السيف ، وأنّ الحوارَ سينتصر على السلاح وأن الحق سينتصر على الشبهات والباطل ، فاعمل واصبر واشتغل ، وتلك سنة الله في خلقه .

د.سهيل زكّار:

أنا أرى مرة أخرى ، مشروعية في نهضة الإمام الحسين. لا أقبل بكلمة ثورة ، لأنّ الثورة تكون على النظام القائم. والإمام الحسين عليه السلام لم يكن معترفاً بنظام يزيد بن معاوية ، ولم يقدم البيعة له. الإمام الحسين خرج بناءً على دعوة أهل الكوفة ، وخرج في سبيل إحقاق الحق وإعادة تطبيق الشريعة الإسلامية. فهي لحظة في سبيل الله ، ولبست رفضاً لنظام حاكم. هو لم يعترف بيزيد ولا بشرعية يزيد.

وفي أيامنا هذه يلاقي الإنسان دائماً مثل ما حدث في الماضي ، يلاقي من يعادي السير على طريق الحق ، ويرفض التعامل مع الأعداء والصهيونية

والصليبيين وغيرهم. ونحن سنظل نسير على طريق الإمام الحسين عليه السلام طريق الحق، طريق الإسلام، طريق الشهادة. والإمام الحسين هو الذي يمنح المشروعية ولا يحتاج إلى المشروعية، فهو سبط النبي صلى الله عليه وآله وهو من آل بيته، ومن بيت النبي صدرت الشرعية، فالحسين لا يحتاج إلى الشرعية من أحد. أنا لا أقبل بمنطق أن الشيعة عرب أو فرس، أنا أقبل بمنطق نحن أمة إسلامية، بيننا من يحب آل البيت وبيننا من يقف موقفاً ربما محايد. لكن أنا لا أظن أن هناك مسلماً مؤمناً حقاً بلا إله إلا الله محمد رسول الله، ويكره آل البيت. لكن القضية قضية غلو. لا أحد يحب الغلو، لأن الغلو هو تعصب يقود لأعمال غير مستحسنة. وبتصوري فإن كل مسلم هو مع الإمام الحسين. وأنا أعتقد أنه لو كان الإمام علي (كرم الله وجهه) موجوداً أو الإمام الحسين لبادرت لبيعته، وكل مسلم كان فعل ذلك. أما الآن فدعونا نبايع منهج الإمام الحسين الذي هو منهج وحدة المسلمين. إن الإمام الحسين عندما نهض، نهض في سبيل المسلمين ولم يكن هناك خوارج آنذاك ولا سنة ولا شيعة. إن الدين عند الله الإسلام، ليس الدين عند الله تسنن أو تشيع، ولا خوارج ولا غير ذلك. فأنا أؤمن بوحدة الأمة الإسلامية، وطالما أنّ كل مسلم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلي الصلوات الخمس ويؤمن بأركان الإسلام فإن هذا يكفيني. وأنا لا آخذ بأن هذا شيعي وهذا سني، لأن الدين عند الله الإسلام. والآن تستخدم هذه الاصطلاحات لتمزيقنا وإيقاع حرب أهلية فيما بيننا وما أظن أن مسلماً عندما يُقدم على استباحة دم مسلم يتصور بأنّ الله تعالى سيدخله الجنة، أو يغفر له، مهما كانت مسوغاته، هذا ما أراه وهذه هي قناعاتي. والإمام الحسين خرج في سبيل المسلمين جميعاً ولم يخرج في سبيل فئة، لأن الفئويات أو الفئات لم تكن قد وجدت بعد. ورسالة الإمام الحسين في هذه الأيام هي رسالة الوحدة، والكف عن إباحة الدماء، ورفض التعاون مع العدو. وإنّ الإسلام هو هوية، والإسلام يَجُبُّ ما قبله وإنّ المسلم يتخلى عن ماضيه الجاهلي، سواء كان بدوياً أو عربياً أو قبطياً أو مصرياً أو إغريقياً أو فارسياً أو خراسانياً. في الإسلام صارت هناك أخوة وأخوية، ودائماً فإنّ أي واحد عندما يدخل الإسلام يتخلى عن إسمه وعن عقيدته

ويصبح لينال اسماً جديداً إسلامياً وينال هوية إسلامية. أنا لا أقبل بمنطق أن هناك تشيعاً فارسياً أو إيرانياً أو عربياً، إن التشيع موجود، وهو وجد في كثير من البلدان الإسلامية. والآن في العراق، في سورية، في لبنان، في الباكستان، وفي كل مكان يوجد شيعة. دعونا نقول: لا شيعة ولا سنة، وإنما نحن كلنا نؤمن برسالة آل البيت عليهم السلام، وهي الرسالة النبوية لكن من دون غلو، ونؤمن فقط أن الله تعالى ختم الرسالة بنبيه المصطفى صلى الله عليه وآله، وكل من أحيا هذه الرسالة وأخذ بها فهو المسلم حقاً وهو حسيني وحسني وعلوي. لذلك يكفي القول أنه مسلم.

د.نعيمة شومان:

مما لا شك فيه أن الإمعان في التعصب للذات، واحتكار الخيرات لا بد أن يُستغل من قبل أعداء الإسلام، لإثارة الأطراف الأخرى وتحريكهم لمجابهة ذلك التعصب بتعصب أشد. إنّ ثورة الحسين عليه السلام لا تحتاج إلى براهين، وجدواها لا تحتاج إلى تبيان... وهي ثورة المسلمين جميعاً.

والمهم في الوقت الحاضر، هو حماية الإسلام، ودرء خطر الإبادة عن المسلمين، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتحسين الظروف المعاشية في بلاد الإسلام، ليصبح الإسلام- كما كان- كمثال...

الشيخ قاسم آخوند:

بإمكاننا أن نقول: إن المواجهة السلبية لفهم ثورة الإمام الحسين عليه السلام تعود لثلاثة أسباب:

أولاً: لا بدّ أن نعترف أن بعض خطاباتنا خارجة عن إطارها العلمي والفكر السليم، وأن بعضها يعتمد أفكاراً تعصبية شاذة قد تكون ناجمة عن الجهل وعدم الإدراك بمنهج أهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: كذلك فإن الطرف الآخر قد يعادي منهج أهل البيت عليهم السلام نتيجة الجهل بحقيقة هذا المنهج، ولأنه تلقّى فكراً محدوداً فإنه يعتبر كل من يخرج عنه معادياً له.

ثالثاً: هناك بعض الناس يحملون عقولاً متحجرة كالتكفيريين، فهم لا

يقبلون فكر غيرهم، وهم يعتبرون كلَّ رأي مخالف لرأيهم كفراً وإلحاداً، ومثل هؤلاء لا يمكن علاجهم بالوسائل العلمية والخطاب العقلاني إذا لم يكونوا مستعدين للتحرر من حالة التعصب والغلو التي تكبلهم.

د.عبد الكريم الشبلي:

مشروعية ثورة الإمام الحسين عليه السلام ناصعة وجليّة. لا تقبل الشك أو الدحض إلا ممن التبس عليه الحق أو ممن سخر نفسه لاستجداء المستكبرين، وهذه الفئة الأخيرة هي التي تصرّ على استكبارها وتتعالى عن الحق. أما الفئة الثانية فنقول لها إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي عين الشرعية بلحاظ كل المقاييس التي يمكن الاستناد إليها: دينياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً..

فدينياً خرج يزيد بن معاوية عن الدين بتجاهره بالمعصية والفسوق، بشهادة كل المؤرخين وبشهادة أهل المدينة المنورة التي استدعيت النخبة منها إلى بلاطه حتى تتقبل النموذج الأموي للزعامة، فانكفأت تستصرخ قومها لحماية الدين وتكشف الكفر المبطّن، فدفعت مدينة الرسول صلى الله عليه وآله آلاف الأرواح من الأحرار وهتكت الأعراض، وسبيت الحرائر.. وكانت أول ثورة شاهدة على مشروعية حركة الإمام الحسين عليه السلام، وقد قالها منذ لحظة تنصيب يزيد: "فمثلي لا يبايع مثله"، فالحركة ليست موقفاً شخصياً بل هي ثورة الشرعية الحقيقية على الباطل والاستكبار والشرعية الوهمية. وسياسياً يعتبر معاوية هو أول من نكث البيعة وانقلب على اتفاق الصلح الذي عقده معه الإمام الحسن عليه السلام في عام الجماعة وكان يقضي بانتقال الخلافة إلى الحسن أو الحسين عليهما السلام في حال وفاة معاوية. ولكن هذا الأخير سارع بمبايعة ابنه يزيد بولاية العهد والحض عليها واشترى الضمائر في سبيلها، وهذا يعتبر أوّل انقلاب في تاريخ الخلافة بحد ذاتها، وسعي مكشوف لترسيخ ملوكية أموية على النمط القيصري، ووفق الصورة التي لخّصها أحد مرازبة معاوية بقوله: "انّ الملك لهذا (معاوية)، فإن مات فهذا (يزيد)، فمن أبى فهذا" (واخترط سيفه). ومذّاك الحين تحولت الخلافة إلى منصب وراثي يتلاعب بها بنو أمية وأعوان الاستكبار، وهذا ما تنبه إليه كبار أبناء

الصحابة وتصدّوا له بدورهم بأشكال مختلفة، مع ثورات ابن الزبير وأهل المدينة والتوابين من أهل الكوفة..

أما اقتصادياً واجتماعياً فقد تحولت الأمة الإسلامية تدريجياً إلى مادة مرنة يشكّلها الاستكبار كيفما شاء: بيت مال المسلمين كان بيده ويوزع الفتات منه في شكل عطاءات أو قطائع أو صدقات حسب مقدار ولاءات وطاعة الأفراد لهم، ويحرم من العطاء كل من يشم عليه هوى أو ميل إلى أهل البيت عليهم السلام.

كما ترسخ تدريجياً مجتمع طبقي أبعد ما يكون عن المجتمع الذي أسسه الرسول صلى الله عليه وآله، وأقرب ما يكون إلى المثال الذي عرفته قريش ما قبل الإسلام: فتربّع القرشيون وحلفاؤهم (وخاصة من ثقيف) على قمة الهرم الاجتماعي، مستفيدين من كل الامتيازات السياسية والاقتصادية.. في حين كانت عامّة المسلمين، مادة الغزو والجند في مختلف الأمصار. وكانوا مرتبطين بما تمنحه الدولة من العطاء دورياً فكانت أيديهم مكبلة ولا يستطيعون التعبير عن أي شكل من أشكال المعارضة، أما في أسفل السلّم الاجتماعي فكان الموالي، المسلمون الجدد من غير العرب، يعانون من التمييز وأبشع الاستغلال من قبل أعوان الاستكبار، ولذا اندلعت ثوراتهم المتكررة وعمت مختلف أنحاء العالم الإسلامي وتسببت في انهيار العرش الأموي بعد حين.

في ظل هذه الهيمنة الاقتصادية والاجتماعية مارس الاستكبار دوراً فكرياً بغيضاً، من إحياء تراث وأساطير وأيام العرب ما قبل الإسلام، والترويج للإسرائيليات ومحاصرة علماء وأئمة أهل البيت.. وما إلى ذلك من تشويه الدين الحنيف والضرب بتعاليمه عرض الحائط. والمثال على ذلك أن المصادر الرسمية تؤكد أن أهل أفريقية لم يكونوا يعلمون بحرمة الخمر طيلة خمسين عاماً من الإسلام وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدعوة للإسلام عموماً كانت تتم بشكل أنجع بفضل الحركات المعارضة للاستكبار. ولكن هناك القليل اليوم من المفكرين ممن يعود إلى المصادر التاريخية، حتى يتلمّس معاناة المعارضة من ملاحقة الاستكبار ومجازره.

فثورة الإمام الحسين عليه السلام بقيت خالدة وحية في وعي الأمة التي نسجت على منوالها الثورات الكثيرة التي ظلت مطموسة في طيّ المصادر التاريخية رغم

تواصل أتباعها. وذلك عائد إلى إهمال عنصر الاستذكار والإحياء لكل جهد نضالي واستشهادي ساهم في الحفاظ على النهج الإسلامي بشكل أو بآخر، من خلال المباداة برفض الباطل..ومن هنا نفهم كثرة الآثار التي تحث على إحياء ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فعملية الاستذكار بحد ذاتها هي استرجاع للحظة التاريخية بحرارتها، وبزخمها الفكري والعاطفي. فلولا مجالس الاستذكار لما وصلت إلينا حقيقة الحركة الحسينية، ولولا هذه الأخيرة لما كان هناك لا استذكار ولا حتى إسلام يحيى!! ويمكن أن نعرج هنا على أهمية دور المبلّغ الناقل لمحطات الحركة الحسينية، ولعل تركيز الكثير من أصحاب المجالس على الجانب العاطفي وإهمالهم للرواية التاريخية، هو السبب الرئيسي في نفرة البعض أو في تعصب البعض الآخر. ولكن يكفي أن نذكّر كلاً من هؤلاء أن منهج الإمام الحسين عليه السلام كان مخاطبة العقل والروح في آن واحد، بل كان البرهان العقلي وسيلته الرئيسية في إفحام جند الاستكبار، إن لم نقل أن الفعل الاستشهادي كخطاب كان موجها خاصة إلى أنصار أهل البيت عليهم السلام. ولهذا يجب التسلّح بالرواية التاريخية العلمية التي لا مجال لدحضها، وهي عديدة وفي أمس الحاجة لنفض الغبار عنها.

الشيخ إبراهيم بن محمد الوزير:

إن من أسوأ ما مني به العالم الإسلامي اليوم وجود فريق من المسلمين ذهبوا إلى تكفير المسلمين ممن لا يعتقدون معتقداتهم ولا يذهبون إلى ماذهبوا هم إليه وبذلك استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وهم يعتقدون أن ديننا الإسلامي الحنيف يأمرهم بذلك. بينما هم بتكفير المسلمين واستحلال دماء الذين يقولون لا إله إلا الله محمد رسول اله يناقضون منهج الإسلام ويسيرون في خط هو عكس ما أمر الله سبحانه وتعالى به وانتهجه رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم

ونحن لا ننتقد أو نحمل علة هؤلاء مستنكرين مذهبهم واعتقاداتهم وما يذهبون إليه من آراء وأفكار فلهم أن يذهبوا إلى ما يشاؤون وأن يعتقدوا ما يشاؤون والله سيحاسبهم على اعتقاداتهم وما يذهبون إليه ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾{الإسراء/٨٤} لكن الطامة الكبرى أنهم يعتقدون أن معتقداتهم وما يذهبون إليه هو الشيء الصحيح الوحيد أما

معتقدات المسلمين الآخرين وما يذهبون إليه في مذاهبهم الإسلامية المتعددة كلها باطل وخارجة عن الإسلام في رأيهم. أقول الطامة الكبرى هو في هذا الاعتقاد وما يترتب عليه من تكفير للمسلمين واستحلال للدماء والأموال والأعراض.

إن الإسلام واضح في هذا الصدد وآيات الكتاب العزيز القرآن الكريم توضح أنه لا يصح أن يجبر أحد أحداً على أن يعتقد ما يراه هو صحيحاً والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله ﷺ متسائلاً: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾{يونس/٩٩} ويقول لرسوله محمد ﷺ: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾.. إن الحق واضح وإذا لم يتبين أحدنا الصواب فله أن يعتقد ما يُريد ولغيره أن يذهب إلى مايراه هو الصواب ولكن دون أن يُكفّر الآخرين أو يكفروا أو يسفك دماءهم أو يسفكوا دمائه ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾{النحل، ١٢٥} وإذا لم يستجيبوا فالله سبحانه وتعالى هو الذي يحاسبهم وليس لأحد أن يكره أحداً على ما يراه ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾.

فإذا كان ربنا جل وعلا يخاطب رسوله الكريم الذي يعلم أنه على الحق الذي لا شك فيه ويقول له ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ ويقول له ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ويستحل دماءهم وأعراضهم مع أنه ليس في منزلة الرسول ﷺ من ناحية اليقين بصحة ما يعتقده ويذهب إليه ولا من أي ناحية أخرى.

إن تكفير المسلمين واستحلال دماؤهم بحجة أنهم على ضلال في معتقداتهم الإسلاميةأو في ما ذهبوا إليه إن هو إلا ضلال.

وعندما قتل أحد الصحابة شخصاً بعد أن قال "لا إله إلا الله" وبلغ ذلك رسول الله ﷺ عنف ذلك القاتل تعنيفاً شديداً، وكان يقول كيف بلا إله إلا الله كررها عدة مرات، أي كيف تقتله وقد قال لا إله إلا الله، ولما قال الصحابي الذي قتل الرجل يا رسول الله إنما قالها تقية، أجابه النبي ﷺ هل شققت عن صدره؟ هل اطلعت على سويداء قلبه؟ أي حتى تعرف أنه إنما قالها تقية، ثم قال ﷺ حسب روايات الحديث الشريف: اللهم إني أبرأ إليك مما فعله فلان وكررها عدة مرات.

فهذا هو هدى رسول الله في صون الدماء والتعايش بين المسلمين جميعاً تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

وفي حجة الوداع الوحيدة التي حجها رسول الله ﷺ من المدينة المنورة قبل انتقاله إلى جوار ربه بحوالي شهرين فقط. وفي يوم عرفة وفي عرفة بالذات خطب رسول الله ﷺ خطبة تعتبر وصية لأمته لأنها قبيل وفاته فهي إحدى وصاياه لأمته وإرشاداته لهم وكانت خطبته في مائة ألف من المسلمين الذين أتوا للحج معه، وقد سألهم في خطبته تلك أي يوم هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال أي شهر هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال أي بلد هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم، ثم قال مجيباً على أسئلته إنه اليوم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام.. ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت، قالوا نعم يا رسول الله، قال: اللهم فاشهد. ثم كرر ألا هل بلغت قالوا نعم يا رسول الله فكرر للمرة الثالثة اللهم فاشهد، وكان عند قوله اللهم فاشهد يرفع اصبعه إلى السماء ويشير بها إليهم، ثلاث مرات. فهل بعد هذا التحذير من رسولنا الكريم ﷺ يمكن لمسلم أن يمد يده إلى أي سلم ليستحل دمه أو ماله أو عرضه اللهم لا ، فالواجب على المسلمين التعايش فيما بينهم وقبول الآخر مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن لا يكفر بعضهم بعضاً ولا يستحل شيئاً من دمه أو ماله أو عرضه. وهذا ما أوجبه الله على عباده المؤمنين حيث يقول جل وعلا ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾{الأنفال،٤٧} فقد حرم عليهم التنازع لأنه يؤدي إلى فشل المسلمين وذهاب ريحهم. ويقول جل وعلا في كتابه العزيز ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ {النساء/٩٣}وهذا تهديد كبير لمن يقتل مؤمناً يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ. ويقول جل وعلا: ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ {الأنبياء/٩٢}. ويقول: ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ {المؤمنون/٥٢}، فالأمة واحدة والرب واحد ولا يصح أن يتفرقوا أو يستحل بعضهم دماء بعض ويقول تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ {آل عمران، ١٠٣}وهذا أمر واضح بالوحدة وعدم التفرق. ويقول تعالى:

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾. فهذه الآيات في وجوب جمع الكلمة ووحدة صف المسلمين والتعايش في سلام وأخوة وهي واضحة الدلالة عبر آيات محكمات يجب على المسلم العمل بما جاء فيها. يقول النبي الأكرم ﷺ: (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).

وكل هذه الآيات القرآنية المحكمة والأحاديث النبوية الشريفة تأمر المسلمين بالوحدة وعدم الخلاف والنزاع فما بالك بسفك الدماء والتكفير وإزهاق الأرواح، إنّ ذلك محرم على المسلمين فيما بينهم قطعاً.

وعليهم الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن ذلك واجب في المجتمع الإسلامي. والمسلمون الصادقون العارفون لا يتنازعون ولا يتقاتلون ولا يسفك بعضهم دماء بعض بل يتناصحون ويرشد بعضهم بعضاً ويتشاورون ويتعاونون. يقول الله تعالى في وصفهم: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ {الحج/٤١}. فالمسلم العارف مطالب أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه وهو داخل المجتمع الإسلامي أوجب.

والتعاون بين المسلمين واجب بدلاً من النزاع والخصام، يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ {المائدة/٢}. إن الوحدة بين المسلمين واجبة والتعاون بينهم واجب والتناصح فيما بينهم واجب، والأخوة صفة من صفاتهم.وهذا هو دين الإسلام .أسأل الله تعالى أن يوحد صفوف المسلمين وأن يكلأهم بعين رعايته وأن يجعلهم إخواناً في الله أعواناً على ما يرضي الله وأن يجعل كلمته هي العليا إلى يوم الدين آمين اللهم آمين، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين ومن تبع هديه إلى يوم الدين آمين اللهم آمين. وسلام على المرسلين والحمدلله رب العالمين،

■ ■ ■

السؤال الثاني- إذا كان التوجه التكفيري ورغم هذا الكم الهائل من الحوارات و مؤتمرات للتقريب بين المذاهب، هو مفتاح القرن الحادي والعشرين، فما فائدة طروحاتنا الحسينية إن لم تكن عصرية ومقنعة مستقبلاً؟

فضيلة الشيخ نبيل الحلباوي

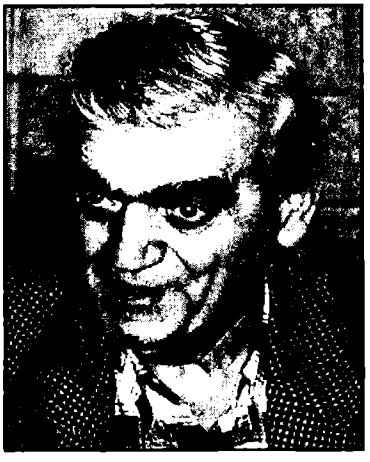

المورخ السوري د. سهيل زكار

الدكتور سعيد يعقوب

السيد محمد الموسوي:

لا يمثل الاتجاه التكفيري الا مساحة جد ضيقة من جمهور المسلمين، بينما غالبية أهل العلم والمفكرين وحملة القلم يدعون الى مفهوم الأمة الواحدة. والتكفيريون يحاولون أن يختلقوا معارك طائفية كي يلهبوا الأجواء بين المسلمين ويلتصقوا بجهة ضد أخرى، وهم في الوقت الذي يكفرون المسلمين الذين لا يؤمنون بأقوالهم، ويعتبرون أتباع المذاهب الإسلامية السنية المعروفة بالأشاعرة مارقين عن السنة، يزعمون أنهم هم لا سواهم أهل السنة. ولا يمكن للأمة أن تتقدم اذا لم تميز الخبيث من الطيب، وفكر التكفيريين هو الخبيث الذي لا بد لكل مسلم مخلص أن يميزه ويحذره ويحذر المسلمين منه. وخطاب الثورة الحسينية لا يمكن أن يتجاوب معه التكفيريون لأنهم أغلقوا عقولهم تماما أمام الدلائل القرآنية والنبوية التي تشهد بحق أهل البيت، وهم يقفون على طول الخط في الجهة المناهضة لأهل البيت عليهم السلام.ولا ينبغي الاهتمام كثيرا بقبول التكفيريين لخطابنا الموالي لأهل البيت عليهم السلام بعد أن رفض التكفيريون خطاب غالبية المسلمين وأعرضوا عن نصوص القرآن والسنة الصحيحة.

د.سهيل زكّار:

إن التقريب بين المذاهب الإسلامية هي عملية مهمة. دعنا الآن نقبل بالحوار بين الإسلام وغير الإسلام. أما التقريب لا بد من وضع قواعد له، والقواعد تقول: ينبغي الاتفاق على الأسس وعلى البديهيات وعلى أن لا نبدأ بأمور فرعية مثل الآذان، أو أن يقف الإنسان مكتوف اليدين في الصلاة وغير ذلك من هذه الأمور، ينبغي على رسالة التقريب أن تقف عند الأساسيات، هل نؤمن بالله تعالى؟ هل نؤمن بنبوّة النبيﷺ ؟ هل نؤمن بالقرآن الكريم كما هو؟! هل نؤمن بأركان الإسلام؟ وإذا تمّ الاتفاق حول هذ الأصول لم تعد هناك مشاكل.

يضاف إلى ذلك أنني لا أستطيع أن أعيش في الماضي، أنا أستفيد من تجارب الماضي، والماضي أساس لبناء الحاضر والمستقبل، أما مثل ما قال بعض

علماء العراق: "نحن في الماضي استخدم الناس ٥٠٠ مِعْوَل لتهديم تراثنا وتاريخنا ومجتمعنا. والآن نحن نستخدم آلاف المعاول، لا بل الصواريخ. لماذا؟ لا حاجة لهذه الأمور، والحقيقة، يكفينا شهادة أن لا إله إلا الله والالتزام بما جاءت به رسالة السماء. أن نقبل بالحوار ما بين المسلمين وغير المسلمين. نحن الآن لا نحتاج إلى أكثر من أن نتمسك بالقرآن، ومما جاء في القرآن نأخذ به. نحن ليس عندنا في الإسلام مثل ما وجد بالمسيحية من كنائس. نحن عندنا مدارس واجتهادات. والمدارس والاجتهادات مقبولة. ومطلوبة طوال التاريخ، لأنه في المدارس يُصار إلى التطور. لكن على كل إنسان يتبع مدرسة من المدارس أن يؤمن بحرية الفكر وأن يصغي إلى آراء الآخرين، وأن يمتنع عن الاستبداد ويقول: أنا وحدي فقط الصح، وغيري الغلط. لا؛ هذا لا يجوز فالاجتهادات والآراء، مطلوبة، وفيها حضارة وعطاء. يجب أن تعالج الأمور بروح المحبة والأخوة وليس بروح التكفير. لا يجوز لمسلم أن يكفر مسلماً، أنا لا يصح لي أن أُكفِّر إنساناً يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، كيف يحق لي ذلك؟! لا يجوز مثل هذا التفسير. أنا اقبل بالتاريخ، وبعشرات المدارس لتفسير الحدث التاريخي، ولماذا أقبل في الفلسفة. بكذا مدرسة، ولا أقبل ذلك بالنسبة للإسلام العظيم من آراء وتفسيرات وتوجهات؟ لكن لي وجهة نظر بالنسبة للقبول بتفسير صدر عن إنسان في رأي البعض إنه معصوم، وأنا أقول إن العصمة فقط متصلة بالوحي، والوحي توقف عند انتقال النبي الخاتم ﷺ إلى الرفيق الأعلى. أما فهمِ القرآن، فهم الحديث، وفهم كثير من الأمور فإنه أمر اجتهادي. أنا اجتهد وعلَّيّ أن أصغي إلى اجتهادات الآخرين، وأقبل برحابة صدر. مثلما أطلب من الناس أن يصغوا إليَّ، عليّ أن أُلزم نفسي بالإصغاء للآخرين، إنما من دون تعصب ومن دون غلو.

لكنني عندما أُلغي الآخرين ألجأُ إلى الديكتاتورية. ماذا فعل يزيد بن معاوية عندما ألغى الآخرين؟ لقد قتل واقترف جريمة كربلاء، هذا لا يجوز أن نكرره نحن في حياتنا بشكل ما من الأشكال.

السيد حسن النوري:

لا بد من مواجهة قوية وشاملة مع التوجه التكفيري وفصله عن جسم المجتمع الإسلامي وبيان عدم شرعيته تاريخيا، كما لا بد من بيان الأدلة الكثيرة على ارتباطه بأعداء الإسلام وكونه من آلياته التي يبرأ منها ظاهراً ويحركها وينميها باطناً، ولن يكون أنفع للغرب ومصالحه من إلقاء الكرة في ملعب الإسلاميين ليتنازعوا في التكفير وآثاره وعواقبه ليسهل على الغرب الدخول آمناً إلى ما استحكم عليه من دوائر إسلامية وبهذا يكون المجتمع المسلم يسير عكس اتجاه الآية التي تصف المؤمنين بأنهم أعزة على الكافرين أذلة على المؤمنين ولتكون دوائر الحوار واللقاء منغلقة على المذهبية والطائفية بينما هي تستنجد بقوى وآليات وسلاح الغرب لمواجهة المسلمين.

وإن الطّروحات والمؤتمرات لا بد من أن تستمر لمواكبة حاجات الأجيال الفكرية والثقافية من جهة، ولتربية المجتمع على الأخلاق الإسلامية على حقيقتها من جهة أخرى، كما لا بد من عقد المؤتمرات واستمرار الطروحات لدفع الشبهات التي يثيرها المثيرون عدوانا أو جهلاً، حول حقيقة النهضة الحسينية من جهة ثالثة..

أن روح المواكبة والزمنية والعصرنة مسألة هامة فلن نؤثر على شبابنا إذا كلمناهم بلغة الأجداد وأسلوبهم وطريقتهم..

ليس هدف المؤتمرات الإسلامية عامة والحسينية خاصة وكذلك مجالس الوعظ والإرشاد الحسيني منفصلة عن هدف التثقيف الإسلامي العام والتنمية التربوية والإنسانية.. ولن يتأثر هذا الهدف بإثارات التكفيريين وسلوكياتهم إلا من حيث التركيز على تخفيف آثار هذا النهج التكفيري على المسلمين، وتحجيمه وفضحه واستقطاب المعارضين له من كافة المذاهب الإسلامية لأن آثار هذا النهج من حيث الدوافع والملاكات لن تكون خاصة بمذهب معين، بل إن شرّ هذا النهج ظهر في دائرة مما في هذا النهج قبل غيرها من البلدان... كما أن سمات هذا النهج وعلاماته ينبغي دراساتها بشكل مكثف لكي تُحصّنَ أبناء

المجتمع الإسلامي من الانخراط في الدعوة إلى شعاراته بحجج مختلفة منها الانهزامية والظلم الذي يتعرض له أبناء الإسلام.

الشيخ جواد الخالصي:

إنّ الحالة التكفيرية حالة متعصبة وشاذة، وهي دليل على ضيق صاحبها فكرياً ونفسياً، وعجزه عن مقارعة الحجة، فيميل إلى الحسم بالتكفير للهروب من الحوار والبحث الجاد والمناقشة الواعية. وهذه الحالة ليست واسعة الانتشار إلا أنها شديدة الضجيج والتشويش، وهي تخلق الإشكالات في كل أركان المجتمع الإسلامي وحتى في كل التوجهات والتيارات الفكرية والفقهية. وكما هو معلوم، فإن التعصب للقلب كالعمى للبصر، لذلك نجد أن أصحاب التوجه التكفيري يخسرون ثوابت الإيمان التي ينطلقون منها، وإلا فكيف يمكن لمن ينسى قضية الحسين ومقامه في الإسلام أن يتحدث عن تخطئة الآخرين فضلاً عن تكفيرهم؟ وكيف يسأل إنسان عن دم البعوضة ويكون قد شارك في دم الحسين أو أن ينسى دم الحسين كما روى ذلك عن عبد الله بن عمر أو بعض الصحابة؟ والخلاصة إذا أحسنّا فهم الإسلام، وفهمنا حقيقة الثورة الحسينية بمعرفة موقع الحسين في الإمامة، ودراسة سيرته بالشكل الصحيح نكون قد أسسنا لطروحات الثورة المستمدة من كربلاء بشكل عصري وإنساني مقنع.

د.عبد الكريم الشبلي:

انتعش خلال العقود الأخيرة التيار التكفيري الذي يتحرّك ضمن نسق من الأطروحات الإقصائية والاستئصالية ورفض الآخر أيّاً كان لونه، وشعاراته التي ترفع من حين إلى آخر لا تتأسس على قواعد علمية مضبوطة تقبل النقاش، بل يغلب عليها الطابع السياسي، ونراها متصلبة عمليا وفارغة فكريا تلتمس وتوظف كلّ الأفكار التي تتماهى ومصلحتها الآنية، فتستمدها من التراث المتروك بضعيفه وأساطيره، وحتى من المدارس المتمذهبة القديمة، وقد فشلت في عصرها في النفاذ إلى ضمير الأمة الإسلامية.

ولا يمكن أن نستوعب خطر هذا التيار التكفيري قبل أن نرجعه إلى سياقه الأصلي، وقد عرف التاريخ الإسلامي نماذج عديدة منه، ولا يمكن حصره في مناصبة أنصار أهل البيت عليهم السلام بالعداء، بل هذا غطاء لهم لا أكثر كما إنّه أحد أبعاد حقيقتهم.

فالتيار التكفيري في جذوره الأولى ومنذ خروج محكّمة النهروان، إلى بقية الحركات الخارجية[1] المنبعثة عنها وصولاً إلى التشكيلات السياسية الإسلامية المعاصرة اليوم، تميّزت كلها وبغض النظر عن خصوصية كل فرقة، برفض الآخر بدعوى مروقه عن الدين، ومنها جاءت صفة التكفير، واتفقت كذلك في الادعاء باكتساب الحقيقة المطلقة، ومنها نشأ رفض الفكر المخالف إلى حدّ تحريم مجرد الاطلاع عليه.. إن هذه الفرق والحركات بلغت من الكثرة والانعزالية إلى حدّ لا يمكن معه لأي باحث حصرها كمّيا ولا أن يتوصل إلى تحديد منظومة فكرية متكاملة يمكن أن تنسب إليها، ومن هنا التقت فقاقيع هذا التيار، بحيث هي أشبه ما تكون بفرقعات آنية، أو قل فوضوية تدميرية تأتي على الأخضر واليابس، وتخبط خبط عشواء بدون هدف واضح. ويكفي أن نقول أنها على الطرف النقيض من طبيعة الثورة الحسينية الواعية والتأسيسية، وذلك على جميع المستويات.

وإذا كانت لخوارج القرن الأول اجتهادات سياسية متصلبة تستند إلى تفسير اقتصادي واجتماعي خاص للإسلام، فرفضوا هيمنة النخبة القرشية، وساهموا في تقويض عروش الأمويين والعباسيين، فإن خوارج اليوم ذهبوا إلى أبعد من ذلك: من تعميم العنف وتوجيه ضرباتهم نحو السلطة وبقية التيارات

---

[1] ذهب بعض المؤرخين إلى أن الحركات الخارجية التي استعرت خلال القرن الأول الهجري خاصة، تمثل انتفاضات سياسية مستميتة ضد سلطة الاستكبار الأموية، لكنهم يتناسون غياب الوعي اللازم والتأطير الضروري عن هذه الحركات التي حنّدت بمجموعات بدوية أساساً، وكانت تتقدمها قيادة تفتقد للشروط العلمية.. كما أن أثر هذه الجماعات برز في تدمير العمران والاقتصاد والمجتمع بعنوان المخالفة والتكفير.. وهي السمات نفسها التي تجمعها بخوارج العصر: لا سيما الجماعات التكفيرية..

الفكرية المخالفة.. وهذا إفراز طبيعي للأزمة وإفلاس للفكر السياسي المؤسس على الشرعية الوهمية، وأيضاً هو تعبير عنيف عن هزيمة الحركات السياسية الإسلامية! والأخطر من ذلك أن هذا التيار انزلق إلى أحضان أياد خفية ومشبوهة لعبت بنشاطاته ووظفته لخدمة المصالح والمشاريع الاستعمارية، والساحة العراقية وغيرها أكبر دليل على ذلك اليوم.

إنّ عملية الحوار المفتوح ومؤتمرات التقريب بين المذاهب يجب أن لا تتوقف، بل هي جوهر الخطاب الحسيني التوفيقي، وهي روح تعاليم الإسلام السمحة. ولنا أسوة في ذلك سياسة أمير المؤمنين عليه السلام، الذي لم يرفع سلاحه ضد سبابهم ولغطهم الذي قابله بالتي هي أحسن، وإنما حاربهم فقط عندما استباحوا دماء المسلمين، وقال عليه السلام كلمته المشهورة: "دعهم للزمن" وهو كفيل بطيّ ذكرهم وذهاب ريحهم، ويجب أن يتوجه الحوار إلى بناء جيل واع، وإلى مخاطبة الشباب والباحثين عن الحقيقة.

الأستاذ أحمد الحسن:

إن ظاهرة التوجه التكفيري ظاهرة مرضية أسقمت جسم الأمة الإسلامية وأوهنت من عزيمتها، مما جعلها فريسة لأطماع المستكبرين وقوى الهيمنة، الذين لا ينفكون يخططون باستمرار لإستنفار الخلافات المذهبية وتأجيج أوار الأحقاد التاريخية، وإثارة كل المشاعر والحساسيات التي تجعل المسلمين منشغلين دوماً بأحداث الماضي وعقده، حيث الماضي يتحكم بالحاضر والمستقبل، لا سيّما وأن الوحدة الإسلامية ممنوعة في قاموس السياسة الاستكبارية، يساعد على ذلك عاملا الجهل والتخلّف لدى العرب والمسلمين، واستغراقهم في إشاعة جو الخلافات والعنعنات الطائفية والعصبيات القومية التي تفتّ في عضدهم وتشل قدراتهم وتعطل إمكاناتهم، إضافة إلى ما تهيئه أجواء العولمة التي تسود العالم من عوامل فرقة واختلاف تحول دون تحقيق وحدة المسلمين وتمنعهم من إمكانية تقديم رؤياهم الخاصة بهم، للمساهمة في تقرير مصيرهم بأنفسهم بعيداً عن إملاءات القوى الاستكبارية فضلاً عن مشاركتهم في رسم مصير العالم الذي تنفرد فيه قوى الاستكبار العالمي.

وهذا ما يحتم بالضرورة استمرار ظاهرة الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية حتى ولو تعثرت هذه الحوارات في بعض الأحيان، فإن الحوار يجب أن يبقى القاعدة التي تشكّل الدعامة للوحدة في المستقبل. حوار يعتمد على العقل الرحب ويحترم القناعات المتبادلة، مقروناً بشفافية الطرح المتحرر من عقد الماضي وأحداث التاريخ.

حوار يتطلع إلى المستقبل، ينشد قيم الخير والحق والجمال والرغبة في حياة مفعمة بالطمأنينة والاستقرار النفسي. وحبذا لو استفدنا من تجربة أوروبا التي تتنوع في قومياتها ولغاتها ومصالحها وتاريخها ومذاهبها الدينية، لكنها استطاعت التغلب على عقد التاريخ عندما قررت بإرادة وتصميم على إيجاد الشخصية الأوروبية الموحدة التي تتكون في وجدان كل أوروبا لكن مع الاحتفاظ ببعض الخصوصيات والتنوعات التي يتميز بها كل بلد على حدة، عبر أجواء الحريّة التي تسمح بالتنوع والاجتهاد، ولكن لمصلحة الموقع الواحد بعيداً عن عامل التنافر فيما بينهم.

د.ادريس هاني:

ليست المشكلة في التوجه التكفيري، ما دام لم يخل تاريخنا من نظائر لا يزال يحتفظ بها التاريخ الإسلامي. ولا يجب أن نعطي أهمية معرفية وتاريخية لهذا الخطاب، ما دام أنه بلغ الأمر بهذه الأمة يوما، أنها كانت تلعن في المنابر وأعقاب الصلوات، أمير المؤمنين والصديق الأكبر، لمدة قرن من الزمان.ولقد كان الإمام علي عليه السلام أول ضحايا النهج التكفيري، وحيث نذكر كيف عقب الخوارج على جواب الإمام بالقول: "كافر ما أفقهه"!؟وإذا كان ملهم نهج البلاغة وقف مشدوها أمام جهل التكفيريين، حيث قال عن أمثالهم: "ما حاججت جاهلا إلا غلبني"، فأي حجة نستطيع امتلاكها في وجه المكابر التكفيري؟! ولكنني أعتقد أن عصر التكفير يتراجع تدريجياً وأحياناً بالجملة أمام نضج البشرية واتساع رقعة الخطاب العقلاني.فالتكفيريون لا تزدهر صناعتهم ولا يزدهر فنهم إلا في عصور الإنحطاط وشيوع الظلامية وتمكنها من الأذهان. واليوم فإن التوجه التكفيري يعيش صدمته الكبرى ولم يعد يملك من حجة سوى التحريض على قتل النفس المحترمة.

على هذه المحاولات التقريبية والحوارية أن تتواصل.ولا ينبغي أن ييأس الوحدويون والتقريبيون أمام خطاب التيئيس الذي ينهجه أعداء وحدة الأمة. وعلى الطروحات الحسينية أن تكون حاضناً حقيقياً لخطاب الوحدة والتقارب بين المسلمين. فالحسين هو للأمة جميعاً، وعلينا أن نحاسب إخواننا المخالفين على ذلك ، باعتبار، أن الحسين لهم أيضا.وليس لنا فحسب.

الشيخ.د.نبيل حلباوي:

الخطاب التكفيري هجومي إلغائي إقصائي للآخر المسلم المخالف للفهم الضيق المشوه للإسلام شيعياً كان أم سنياً.

وهو أسوأ ما مني ويمنى به الإسلام والمسلمون على مر التاريخ، وتبدو من ورائه بوضوح يد خفية تدعمه وتستخدمه لتشويه صورة الإسلام. وتنفير الناس منه، وإيقاع الفتنة والفرقة بين المسلمين وهو على طرف النقيض من الخطاب الحسيني العاشورائي الدفاعي المنفتح على المسلمين والناس أجمعين.

ولسنا بحاجة إلى طروحات حسينية عصرية، بل إلى إشاعة الطروحات كما وردت على لسان إمام الثائرين وسيد الشهداء وأخته البطلة السيدة زينب عليها السلام: (فإن الناس لو سمعوا من سُنن كلامنا لاتبعونا)..

وهذه الطروحات بمقدار ما هي أصيلة أصالة الإسلام، معاصرة إلى أبعد آفاق المعاصرة؛ لأنها تناغي كل ما هو ثابت ومستمر في حياة الناس وقيمهم وأهدافهم، وليست بالتالي بحاجة إلى عصرنة وتحديث مصطنعين.

وأما أن الخطاب التكفيري هو مفتاح القرن الحادي والعشرين فقد أراده من يستخدمون أدواته أن يغلقوا باب الإسلام ويعزلونه عن البشرية وأشواقها الإنسانية وظمئها الفطري إلى الإسلام بسيل الدم المهدور والرؤوس المقطوعة وخلط أوراق المقاومة بالإرهاب.

ولكن الإسلام سيخرج من هذه المحنة أكثر قوة ونقاء وفاعلية وجاذبية بالخطاب الأصيل السمح الذي لا تتناقض ثوريته مع إنسانيته وإسلاميته مع انفتاحه ويفصل بقوة وحسم بين مقاومة بصيرة لا تخدم إلا أهداف الأمة

والإسلام، وإرهاب أعمى لا يخدم أهداف الأمة ولا الإسلام بل يخدم أهداف أعدائهما وأعداء الإنسانية جمعاء.

الأستاذ حسين شرف الدين:

التوجه التكفيري هو من الحالات التي سبقت الإشارة إليها، فهي تمارس السياسة بالشعار الإسلامي على أنها صاحبة استراتيجية معينة تعمل لفرضها ولذلك لن يكون من المفيد أن نفصل بين الطرح الحسيني وبناء ثقافة الفداء باعتباره أعلى وسائل الانفاق في سبيل الله وبين من يرفع الله شعاراً.

الشيخ قاسم آخوند:

أظن أن هذا التوجه التكفيري سيعيش حالات الضعف والقوة، لأنّ للحق دائماً خصوماً وأعداءً، ولكن لا يجوز لنا أن نترك أمتنا تقع في براثن هؤلاء الجهلة، لأن في ذلك الطامة الكبرى. أما هذه المؤتمرات فإنها إن لم تفد في نبذ التكفيريين لأفكارهم وإعادتهم إلى جادة الصواب، فإنها ستفيد حتماً في توعية الأمة الإسلامية لتجنب الوقوع في شراك هذه العقول المتحجرة.

د.نعيمة شومان:

مما لا شك فيه أن التوجه التكفيري، هو السلاح الأمضى، في الوقت الحاضر، لإبادة المسلمين فيما بينهم، علماً بأن الإسلام يعتبر: "من كفّر مؤمناً فقد كفَر". وأن القرآن نفسه نهى عن الجهاد مع من هم من غير المعتدين: ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ {البقرة/ ١٩٠}. ونهى الله الرسول نفسه عن الدعوة إلى الإسلام بالإرغام: ﴿ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾(المائدة/ ١١٦). ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ { الكافرون / ٦}. ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ {البقرة/ ٢٥٦}ودعا إلى الجهاد الأكبر المتمثل بالمساعدة، وعمل الخير والإحسان. والآن، وقد نصب هؤلاء التكفيريون أنفسهم أنبياءً، وأحلوا دماء المسلمين، رجالاً وأطفالاً ونساء؛ فما جدوى الطروحات الحسينية إن لم تكن لتوحيد

المسلمين ودعوتهم إلى القضاء على رأس الأفعى (إسرائيل) التي تعدّ هؤلاء التكفيريين، إن لم يكونوا من صفوفها بالذات؟!..

د.علي أبو الخير:

غَيْر صحيح أن التوجه التكفيري هو مفتاح القرن الحادي والعشرين ؛ لأن الدول التي قامت على نهجه ثبت فشلها ، كما أن المسلمين أيقنوا أن التكفيريين هم أسباب بلاء الأمة ، وكُلّ ما نراه حالياً هو بدايات انهيار هذا الفكر ، ولكن أصواتهم العالية تحاول إثبات تشبثها في الفكر والأرض ..

فمثلاً : يحاول التكفيريون ضرب وحدة العراق المذهبيّة المتنوعة بتفجير مساجد الشيعة والسنة لكي تقوم الحرب الطائفية ، ولكن الأكيد أن العراقيين باتوا يدركون الدور الذي يقوم به التكفيريون بتحالفاتهم العبثيّة.

طرح الفكر الحسيني مِن الضرورة لمواجهة بقايا هذا الفكر التكفيري ؛ لأن الانسحاب عن الساحة يعطيهم الأرض التي يخسرونها ، ومِن الضروري إبراز خصوصيات الثورة الحسينية ؛ فليس الحسين المظلوم هو النبيل الذي سعى لاستشهاده ، ولكنه البطل الذي ذهب للتصدي للسياسة الغاشمة المنحرفة لتحريك الواقع السلبي غير الشرعي للسلطة ، ومِن هنا تأتي الخصوصية الحسينية والصفة العاشورائية .

الشيخ محمد حسن تقي:

قال تعالى: ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾. التوجه التكفيري حركة من ابتداع الكفر العالمي التي همها القضاء على الاسلام، والتي تسعى قدر جهدها إلى اشعال الفتن بين الطوائف الاسلامية ومذاهبها. وفي المقابل هناك حركات واعية، تعي حقيقة هذا التوجه التكفيري وتحاول أن تحبط أعمالها وخططها ومكرها نظراً لأن عمل هذه الحركات التي تواجه العملية التكفيرية هو لله ونابع من حرصها على سلامة الاسلام والمسلمين فإن الله يأخذ بيدهم ويساعدهم.

لكن قد تنشط الحركات التكفيرية في موقف ما في زمن ما وفي وقت ما،

هذا لا يبرر لنا الوقوف واليأس بل علينا أن نسعى جاهدين لإبطال كل أعمالهم ونحاول قدر جهدنا تحديد حركتهم وهذا يمكن أن يتم من خلال استمرار وتفعيل الحوارات والمؤتمرات التي تسعى للتقريب بين المذاهب، وأن نستفيد من أخطاء الماضي إن حصل وهذا أمر يمكن أن يحصل .. أن نقوم بتفعيل هذه النشاطات من أجل التقريب ولا شيء سوى التقريب لا أن يكون الهدف تسجيل نقاط أو مواقف أو إضافة رقم للحوارات أو رقم للمؤتمرات، فالمسألة ليست بالكم وإنما بالنوع. وهذا يتحقق عندما تكون الإرادة ناتجة عن قناعة وعن صدق وعن إخلاص في العمل.. وإلا كلما كانت حركتنا أكثر وعياً كلما جند الشيطان جنده أكثر وحبك مكائده أكثر. ولكن النتيجة هي علو كلمة الله، علو كلمة التوحيد.. لا إله إلا الله محمد رسول الله. أما الطروحات الحسينية: لا بد أن تكون مدروسة أكثر وأن تكون عامل جمع للأمة وهي بالأصل كذلك، لكن بعض الممارسات والتركيز على جوانب دون جوانب أخرى بالرغم من أهميتها قد تبعد القصد من إحياء عاشوراء عن هدفها الأصلي وهي:

١ - توحيد الأمة.

٢ -نصرة دين الحق.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذه الأمور لا اختلاف بين المسلمين حولها ولكن يبقى الأسلوب، يقول تعالى: ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾، ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾.

د.سعيد يعقوب:

إن التوجه التكفيري ضد الشيعة عموماً هو مفتاح القرن الحادي والعشرين أو على الأقل استمر في هذا القرن أكثر منه في القرن الماضي. ويعود السبب في ذلك إلى أن الوهابيين بدأوا يرددون أنهم يعيدون كتابة التاريخ الإسلامي، وهي كلمة حق لكنهم للأسف أرادوا بها تجميل وجه التاريخ الإسلامي المكتوب رغم أنه كتب أصلاً بيد الأمويين والعباسيين الذين كانوا

يطمسون ما استطاعوا من فضائل آل البيت، في العصر الحديث يريدون أن يجمّلوا أكثر... أن نتخيل معاوية زاهداً عظيماً مؤمناً ورعاً تقياً، ويزيد بن معاوية منتهى الفضيلة، وأنه لم يقتل يزيد الحسين ولم يمت الحسين أصلاً بهذا الشكل. المهم أن تتم إعادة كتابة التاريخ بحيث نقدس الزعماء والخلفاء.. وربما بعد ذلك يصح انطباق الحديث النبوي الشريف عليهم"الأئمة بعدي اثني عشر" ويُعتبر معاوية ويزيد وكثير من خلفاء بني أمية والعباسيين منهم الخ.. أما ما العمل، فهو إعادة كتاب التاريخ كما حدث فعلاً لكن دون شتائم.. وقد فعل الشيعة ذلك لكنهم لم يُقرأوا من قِبَل المسلمين الآخرين مع الأسف.

د.محمود عكام:

لا تلتفت يا أخي إلى التكفير، وأعلم أنّه أمرٌ كان قديماً وهو كائن اليوم وسيبقى دائماً وأنا أنصح بعدم البدء بمعالجته، ولنبدأ بالإيمان نقويه نؤصّله ونوضح ضرورته، نجمع أهلَه عليه ونوفق بين دعاته والساعين إلى التحقق به وتحقيقه على أرض الحياة وفي الوعي والوجدان.

نعم يا أخي: إذا كنت ستتأثر سلباً بتكفير المكفرين وتثبيط المثبطين لن تكون إذاً مستفيداً من الثورة الحسينية في الإقدام والمتابعة والمصابرة، وخلاصة الأمر في هذه القضية: علينا أن نستخلص العبر والدروس الإنسانية من الثورة الحسينية، وأهمها – في رأيي – الثباتُ على المبدأ الحق، والتضحية من أجله وتمحيص النية في العمل حتى تكون لله وليس للاستعلاء أو الاستكبار، واختيارُ الحالة التي يموت عليها الإنسان لتكون محمودة مشكورة عند الله وعند عقلاء الناس كافة، وبهذا تكون طروحاتنا الحسينية مقنعة وعصريّة.

السيد كامل الهاشمي:

لا أعرف ثورة في تاريخ البشرية ظلّ صداها يتردد في النفوس كما هو الشأن بالنسبة للثورة الحسينية رغم كونها الثورة الأقل من حيث إمكانياتها المادية والعددية، والأقصر من حيث سعتها الزمنية، والأضيق من حيث مساحتها المكانية، لكنها شكلت الأساس الأول والقالب الأتمّ لكل ثورة تالية،

وليس ذلك إلا لأنها الأكمل في تاريخ الثورات الدينية والإنسانية من حيث أخلاقيتها وإنسانيتها ومشروعيتها، وهو ما يمكن أن يشكل عامل حسد يثير الكثيرين ممن يزعمون انحصار الشرعية الدينية فيهم وفي تيارهم وتوجههم في الوقت الذي يفتقدون هذا الزخم الذي تحظى به الثورة الحسينية ومن ينتمون إليها، وفي الوقت الذي نجحت الثورة الحسينية -رغم كونها ثورة دموية- في أن تبدو أولاً وبالذات كحركة إصلاحية تستهدف تحقيق التغيير والإصلاح في واقع الأمة بالمنطق والحوار اللذين رفض الاحتكام إليهما من قبل السلطة الأموية، فإن ما يثبته التوجه التكفيري المعاصر في مواجهة محبي ومؤيدي الثورة الحسينية مرة أخرى، هو عجز هذا التوجه عن مقارعة المنطق بالمنطق، والعمل على مواجهة الكلمة بالرصاصة، وهو ما يكشف عن ظلمه وضعفه في الوقت نفسه، لأنّ ما يحتاج الظلم الضعيف.

الأستاذ أحمد جبريل:

إن الطروحات الحسينية وهي المعتمدة أساساً على القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه وعلى سنة رسول الله ﷺ وآل بيته تبقى منارة تحتذي بها الأجيال البشرية على مدى تاريخها الطويل. ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ وهي وسيلة نجاة للعالمين من التخبط والضياع ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ فالخلل حتماً ليس في الخطاب الحسيني بل الخلل حتماً في الجهة الأخرى المقابلة. فإذا كانت الحوارات ومؤتمرات التقريب بين المذاهب لم تنجح في كبح التوجهات التكفيرية، فهذا لا يعني أن الحوار والتقريب بين المذاهب أسلوب فاشل وقد استنفذ الفرصة لنجاحه وأن الطريق أصبحت مسدودة أمامه.. لا- الطريق لا يزال في بدايته والدعوة الحقة حتماً ستلاقي صعوبات ومتاعب- وخاصة إذا أخذنا بالحسبان أن دول الاستكبار والصهيونية العالمية قد وضعوا نصب أعينهم وفي مقدمة جدول أعمالهم تشويه الإسلام وتفتيت الأمة الإسلامية حتى تبقى ضعيفة متفرقة، والعمل بكل الوسائل على تجهيلها وإبعادها عن أسباب الصحوة والعودة إلى المناهل الحقيقية لمبادئ الإسلام. فالوحدة الإسلامية مبدأ

استراتيجي في أساسيات الدين ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ فلا نملّ ولا نيّأس ولا نفقد الأمل إن تأخرت أكلها ولنا في ديننا الحنيف خير شاهد على ضرورة استمرارية الدعوة، بغض النظر عن النجاح أو الفشل... وأمامنا تجربة سيدنا يونس عليه السلام الذي ذهب مغاضباً وتجربة سيدنا الحسين عليه السلام. وثورته ونهضته التي لم تنته باستشهاده ولا بفرعنة الباطل من بعده، فترة من الزمن ليست بسيطة. فالإمام الحسين عليه السلام لم يبحث في خروجه عن انتصار قريب آني، أو غلبة على الأعداء في جولة من الجولات، بل كان ينشد أهدافاً أوسع، كان يتطلع إلى تغيير المجتمع المسلم الذي عصفت به أهواء السلاطين ووعاظ البلاط ليرده إلى جادة الحق وتصحيح ما اعوج منه قبل فوات الأوان.

آية الله مجتبى الحسيني :

فيما يتعلق بتقديم رسالة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء وشمولها الأمة الإسلامية: إذا ما فهمنا أن ما طرحه الإمام الحسين عليه السلام لم يكن حرب مذهب ضد مذهب، فلم يكن السنة في مقابل الإمام الحسين عليه السلام يقاتلونه. ولم يكن الإمام الحسين عليه السلام قد جمع الشيعة في مواجهة السنة. حيث لم تكن الحرب حرباً سنية – شيعية أصلاً. لقد تحرك الإمام الحسين عليه السلام دفاعاً عن كل الناس أمام حكم بني أمية. كانوا أناساً لا هم سنة ولا شيعة، وإنما كانوا ناصبيين. إن أساس التسنن، محبة أهل البيت عليهم السلام، بينما كان قتلة الإمام الحسين عليه السلام يفرضون سب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر، والذي هو الخليفة الرابع لكل المسلمين. ولهذا ينبغي أن نبعد تماماً فكرة أن الحرب كانت بين التسنن والتشيع ففي داخل الشيعة ينبغي أن يُفهم أن من قتلوا الإمام الحسين عليه السلام لم يكونوا سنة، بل كانوا بني أمية، وكانوا النواصب. كما ينبغي أن يفهم أهل السنة أن الإمام الحسين عليه السلام لا يخص الشيعة وأنه لم يقم من أجل الشيعة. لقد قام من أجل دين جده، الدين الذي يجمع بين التشيع والتسنن. وعلى هذا فلو رأينا أننا أزلنا الاحتكار عن هذه الحركة، ولو أن الشيعة لم يسمعوا إلى جعل الإمام الحسين عليه السلام خاصاً بهم ولو فهم ويفهم أهل السنة أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن في مقابل أهل السنة، بل كان يواجه الجائرين. ولم يكن مقابل فكر ونمط

تفكير بل كان يواجه الجاه والسلطان على حساب الأمة. وعلى هذا يمكننا أن نقدم خطاباً شاملاً، وألا نحاول فرض إقامة العزاء على الآخرين، أي بعبارة أخرى، إن المهم بالنسبة لنا هو إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام، إحياء مظلومية الإمام الحسين عليه السلام. ولكن، هل يجب حصر إحياء هذه المظلومية على هيئة لطم الصدور أو ضرب السلاسل حتماً؟ كلا، على الإطلاق. يمكن لكل من يشاء أن يبتكر لنفسه شكلاً مع الاستذكار. أن يقدموا قضاياهم الفكرية وظروفهم السياسية، وعن هذا الطريق يحيون المناسبة... عندما كنا في زاهدان – جنوب شرقي إيران- وجدنا الشيعة يقيمون في عشرة محرم عزاء الإمام الحسين عليه السلام وأهل السنة كانوا يتفرجون. إنني أتصور أن هذا ظلم بحقهم، فهم يعترفون بالإمام الحسين عليه السلام، فلماذا لا نضع برنامجاً يكون مشتركاً؟ .. وعلى هذا فليست القضية مختصة بالتشيع. ولو أننا تمكنا من إثبات ذلك، يعني: من كونها غير مختصة بالتشيع، فستصير عالمية بالطبع، وتخرج من حالة الاحتكار.

والمسألة الثانية التي طرحت هي مسألة كيفية بيان هذه القضية. أرى أنه في عرض الحقائق ينبغي ألا نكف عن التكرار والتنويع؛ والشعور بأنه لا ينبغي أن لا نكتب كتاباً لأنه قد كتبت كتب من قبل، أو أن عملاً ما أجري، فلا يجب علينا أن نقوم بالعمل مرة أخرى. ينبغي إذاً أن نلجأ إلى هذه الطريقة، وإنما بالعكس ازداد عرض القضية بأشكال مختلفة وطرق مختلفة يكون ذلك أفضل. ومن جملة ذلك –آخذين بعين الاعتبار الظروف القائمة وإمكان عرض واقعة عاشوراءفي هيئة فيلم عالمي- ويمكننا أن نقدم أفلاماً. وهنا أيضاً، في صناعة الأفلام، يجب الانتباه إلى أنه يجب ألا تكون بعض الأفلام مهينة، كما جرى في بعض "التشابيه" الماضية. طبيعي أن هذا العمل قد أجري، ولكن ليس بالمقدار الكافي، في إيران مثلاً، قدمت أجزاء عدة عن واقعة كربلاء على هيئة فيلم، وهي أفلام ممتعة وجذابة جداً. ولقد عرضت مسرحيات عدة أيضاً في هذا الصدد، ولكن كما قلت، إنها مازالت لا تتناسب مع حجم الحاجة بأي شكل بعبارة أخرى: نحن نرى أننا ننفق في كل سنة المليارات في سبيل إقامة المجالس

الحسينية، سواء كانت في الحسينيات من خلال المحاضرات والتعازي أو مراسم الإطعام وغيرها. هذه كلها جيدة ينبغي أن نخصص لها مبالغ مناسبة – وإلى جانب هذه الحركة العمومية التي نقيمها كحركة تقليدية، وهي كتجربة يجب أن تبقى ولا ينبغي أن نعرضها للإضعاف. نحن ندعو الفنانين إلى صنع التمثيليات والمسرحيات. حيث أصبح عندنا أقوى الكوادر الفنية، من حيث صناعة الأفلام والأعمال الراقية في مجتمعنا الإسلامي، ولقد صارت لدينا نماذج رائعة حقاً. لقد بيعت أفلامهم في أرجاء العالم بأسعار عالية، مع أن العالم لا يميل إلى الإقرار بذلك، بل هو يعمل على إنكار مبدعينا، حيث ثبت أنه لا نقص عندنا ولذلك ينبغي الاستثمار في هذا المجال.

إن الأفلام التي صنعناها إلى حد مثل مسلسل الإمام علي عليه السلام ومسلسل الإمام الرضا عليه السلام ، أو مسلسل (مريم)، لم تكن أضعف من فيلم الرسالة أو "محمد رسول الله"، الذي لقي رواجاً كبيراً في العالم، لنستفد من هذه التكنولوجيا والقوى البشرية لدينا، وهي قوية. فلو تم إعداد سيناريو وتفاصيل واقعة كربلاء كلها، على هيئة فيلم، لكان ذلك عملاً مناسباً وضرورياً بالتأكيد. ويمكن للإعلاميين الأكارم أن يوفروا الظروف والأرضيات الملائمة من خلال الدعوة إلى إنجاز مثل هذا المشروع الكبير.

■ ■ ■

المحور الرابع:

الاستذكار السنوي لعاشوراء

في حين يعتبر أتباع مدرسة آل محمد ﷺ أن تخليد ذكرى عاشوراء في كل عام، أمراً طبيعياً ومطلوباً لتعزيز التربية الدينية والروحية والأخلاقية لدى الإنسان المسلم، ونفض غبار حبِّ الدنيا والتعلق بالمغريات المادية عنه، وإعداد النفس للتضحية والفداء اتّباعاً لنهج سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، يلاحظ أن ثمة طائفة من أبناء الأمة ينظرون بعين واحدة إلى إحياء ملحمة كربلاء، عين لا ترى سوى برامج صورية مبهمة ومراسم حزائنية على رجل من أحفاد الرسول ﷺ ، قتل قبل حوالي ١٤ قرناً، وانتهى أمره.

والمؤسف أن هذه النظرة الأحادية الجانب اشتدت في حِدَّتها لدى البعض حتى بلغت مستويات متفاوتة من البغض والحقد، الأمر الذي يحتاج إلى تسليط الأضواء على دوافع مثل هذا التعصب وتفسيرها ولاسيما في والوقت الحاضر، حيث تتصاعد موجة التكفير في العالم الإسلامي. الموجة التي أساءت إلى صميم العقيدة، وقدمت خدمة مجانية للأعداء من أجل الإساءة إلى ديننا ومقدساتنا بعدما وجدوا حالة الفرقة والاختلاف تضرب بظلالها على واقعنا المعاش. ولأجل ذلك جاء السؤال الآتي لوضع النقاط على الحروف حول هذا المشهد:

- **لماذا هذا التحامل والتجني من قبل البعض — وفيهم علماء ومفكرون - على الاستذكار السنوي لعاشوراء الامام الحسين عليه السلام؟ وكيف يُبَرهن لهؤلاء البعض على دور ملحمة كربلاء الخالدة في بعث الوعي الديني والثوري المتزن في نفوس أبناء الامة الاسلامية كافة؟**

-

السيد مجتبى الحسيني:

إن حب حفيد رسول الله ﷺ وإقامة العزاء الحسيني واستذكار وقائع عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام ، كل ذلك جاء أثر تعليمات منذ الإبتداء، بفعل التلقين. وقد بدأت هذه التعليمات وهذا التلقين منذ زمن الرسول الأكرم ﷺ بشأن نهضة أبي عبد الله الحسين عليه السلام : "إن لقتل الحسين حرارة تبرد أبداً"، وإن تشجيع الرسول الأكرم منذ ولادة الإمام الحسين على هذا الأمر، وكون الرسول قد بكى في مراسم متعددة بعد ولادة الإمام الحسين يفسر هذه المسألة. وبعد ذلك كان بقية الأئمة المعصومين عليهم السلام يشجعون على إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام ، وعزاء أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، ثم صار بعد ذلك ثقافة وفكراً، خاصة بين الشيعة. ولدينا حتى من غير الشيعة أفراد يحيون هذه الثقافة. بل حتى اسم "قراءة الروضة" مأخوذ من كلمة الروضة، التي جاءت في كتاب المرحوم الملا حسين الكاشي - وكان واحداً من علماء السنة - الموسوم بـ "روضة الشهداء"، والذي احتوى شرحاً لواقعة كربلاء وتاريخها، يقرأ القراء من هذا الكتاب ما يقرأ العرب من أشباهه، عن "المقتل"، وكانوا يسمّون من يقرأ هذا الكتاب بـ "قارئ الروضة" والمقصود هو قراءة هذا الكتاب: "روضة الشهداء". وعلى هذا فلا علاقة للأمر بالشيعة.. ولدينا أمثلة كثيرة في هذا الصدد: فقصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، يعني الـ "مقتل" الذي كتب باللغة الفارسية وجرى شرحه في القرن الثالث عشر أو الثاني عشر. وقبل ذلك بالطبع كان كثير من الأفراد من أهل السنة، سواء أكانوا من الحنفية أو الشافعية، قد نظموا الشعر حول الإمام الحسين عليه السلام وثمة أمثلة كثيرة على ذلك.

ولقد جرى هذا التقليد فبقيت هذه المسألة متصلة مستمرة.. أما بالنسبة لمن يخالفون إحياء مراسم عاشوراء وفاجعة كربلاء فإننا نقول: إذا كان هذا العداء من أجل أبي عبد الله الحسين عليه السلام ذاته، فما من مسلم يمكنه إنكار شخصية الإمام خصوصاً وأهل البيت عليهم السلام عموماً لكثرة الروايات بشأنهم. وثمة الكثير من الكتب التي كتبت بشأن أهل البيت، والتي تذكر وتبرهن على نزول آيات قرآنية

بشأنهم. وعلى هذا فينبغي أن نذكر هذا المبدأ أولاً، ثم نبين أن عاشوراء أبي عبد الله لم يكن أمراً وقع في ﴿أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾. وإنما كان عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام أمراً أراد له الله تعالى أن يبقى ويخلّد، ولقد جرى ذكر ذلك والتذكير به في زمان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عدة مرات. اقرأوا التاريخ وسوف تجدون روايات متعددة عن أم سلمة وأسماء وأم الفضل وعائشة قبل ولادة الإمام الحسين في هذا الشأن. تقول أم الفضل إنها كانت حاضرة عند رسول صلى الله عليه وآله الله ورأت في المنام أن قطعة من جسد الرسول الأعظم قطعت وجاءت لتستقر في حضنها، وتحكي له ذلك، فيبشر رسول صلى الله عليه وآله الله بأن سيأتي بطفل من فاطمة يكون في حضنك. ويأتون بالإمام الحسين ذات يوم بعد ولادته فيضعونه في حضن الرسول وترى أم الفضل أنهم بينما كانوا في حال مَرَح فإذا بعيني النبي تغرورقان بالدمع. تساءلوا ماذا جرى يا رسول الله؟ فقال إن ابني هذا سيقتل وستقتله أمتي، ويذكر إشارات عن واقعة كربلاء.

وقصة تراب كربلاء أيضاً، التراب الذي أعطاه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لأم سلمة فاحتفظت به. وقد سبق له أن قال لها: عندما يقتل الحسين سيصير هذا التراب أحمر اللون. وقد ذكر هذه الرواية أهل السنة، ووردت في صحيح مسلم. والكثير من أمثال ذلك في مواقع عديدة. ويمكن استخراج الكتب التي وردت فيها أخبار من هذا النوع، وعلى هذا، فهذه من المسلمات.. ولذلك فليست قضية عاشوراء مختصة بزمان معين، فإذا ا أحيينا اليوم قضية عاشوراء فإننا لا نقوم بذلك لأنها مجرد عزاء ومن أجل الحزن والجزع، وإنما بوصفها إحياءً لخط فكري وتعظيم للإسلام. نحن نعترف بأنه في بعض الأحيان يُقام عزاء للإمام الحسين عليه السلام لدى بعض أوساط الشيعة على نحو غير مناسب، مما يسبب الاستهجان والنفور أحياناً عند الآخرين، كضرب الرؤوس بالقامات (السيوف). ولكن نحن يمكننا أن نقيم عزاء الإمام الحسين عليه السلام ونحيي تاريخ عاشوراء بإتزان وبالعمل الصحيح، وأظن أنه عند ذلك لن يكون لدى الآخرين مشكلة.. كما أن بإمكان الناس أن يقيموا المجالس الحسينية في كل مكان بما يناسبهم. والمهم هو إحياء عاشوراء، وتوضيح أهداف عبد الله الحسين عليه السلام، وسيكون لذلك آثار جيدة جداً.

إننا نرى أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت خيراً وقد اعتبرها الإمام الخميني رحمه الله محور الثورة العالمية الكبرى، الذي يحرك الدنيا في هذا العصر، فقال: "كلّ ما لدينا هو من عاشوراء"، والواقع أنه لم يبالغ في هذا القول. لقد كنا في إيران نلمس هذا الأمر تماماً: فلو لم تكن لدينا المجالس الحسينية ما كانت لتتهيأ لنا محاور للتجمع والتظاهرات، وما كان بمقدورنا أن نجعل هذه الثورة، ثورة من داخل أرواح الناس وإيمانهم.. لقد ولّدت مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام جواً ثار الناس فيه من أجل الله، ومن أجل المعنويات. ومع هذا الجو تفجّرت الثورة، تحقيقاً لأهداف الإمام الحسين عليه السلام، التي كان الإمام الخميني رحمه الله تبنّاها.

الأستاذ أحمد الحسن:

طالما أن القصد من استذكار عاشوراء وملحمة كربلاء هو بعث الوعي الديني والثوري المتزن في نفوس أبناء الأمة الإسلامية كافة، فإن الاستذكار يكون عامل وحدة وليس عامل تفرقة واختلاف، شريطة الابتعاد عن المبالغة في الشكليات والغلوّ في الانفعالات العاطفية وما يرافق ذلك من سلبيات قد تثير حساسيات، تنأى بالذكرى عن هدفها السامي وغرضها النبيل. وطالما أن المسلمين جميعاً ينشدون إحقاق الحق وتعميم قيم الخير والجمال فإن الإحتفالات العاشورائية يجب أن تأخذ هذا المنحى وأن تبقى في إطار التركيز على هذه القيم.

ولعلّ بعض العلماء والمفكرين يودون بل يحبذون تزامن احتفالات عاشوراء بإحياء ذكرى عام الجماعة، وهو عام السلام والمصالحة بين المسلمين وذلك في عام ٤٠ للهجرة الذي تنازل فيه الإمام الحسن بن علي عليه السلام عن الحكم لصالح معاوية بن أبي سفيان حقناً لدماء المسلمين وحرصاً على وحدة الصف فيما بينهم. حيث إن الاحتفال بالمناسبتين معاً يرسي دعامة للوحدة بين المسلمين ويقلل من شأن الاختلاف فيما بينهم. إذ يكون استذكار الثورة الحسينية كونها كانت رفضاً لنقض العهد والنكث بالوعد من قبل معاوية ومحاولته الاستئثار بالسلطة لأسرته من بعده، منحرفاً بسلوكه هذا عن مبدأ الشورى القرآني. وعندما يجري التركيز على المبادئ وضرورة التمسك بها وحفظها من عبث ذوي السلطان، يتحفّز المسلمون جميعاً للنضال من أجل هذه الغايات السامية التي يطمحون إليها.

الشيخ جواد الخالصي:

أنا شخصياً لا أرى علماء ومفكرين يهاجمون أو يتجنون على الاستذكار العاشورائي بكل جوانبه وأوجهه، ومن جانب آخر أجد من الخطير أن يتوقف التأسي بالثورة والاهتمام بها على الاستذكار السنوي بطقوس مستحدثة لم يرد لها ذكر في كتاب ولا سنة، ولا في سيرة الأئمة من آل البيت عليهم السلام الذين عاصروا الحدث الكبير أو الذين جاؤوا من بعدهم. فلو اجتمعنا على نقاط القوة من الذكرى، كما أرادها القرآن الكريم وأكدتها السيرة النبوية، وسيرة آل البيت بخصوص ذكرى الحسين، لوجدنا مساحة واسعة من الوفاق واللقاء بعيداً عن التجني على إحياء الذكرى أو المبالغة في طرق الإحياء التي قد تشغل الإنسان بالأحزان والآلام وتقولبه في الطقوس غير الثابتة وتصرفه عن أهداف الثورة وغاياتها الإيمانية وآفاقها الإنسانية. وأفضل ما يرتب هذا الاجماع هو ملاحظة سيرة أئمة آل البيت عليهم السلام مع ذكرى الحسين وهم الأقرب والأولى، وسنجد أن الكثير من الوسائل أو الطرق الشائعة اليوم لم يكن لها وجود في تلك الفترة، ولعلها تساهم في تشويه الصورة الحقيقية لعاشوراء وكربلاء، وهذا ما يدفع البعض إلى الشكوى أو التجني كما ورد في أصل السؤال. ومن أفضل الوسائل لفهم الثورة، أن نأخذها بآفاق الرسالة الإنسانية، فالإسلام دين الله إلى الإنسان. فآفاق حركة الحسين إذاً إنسانية وغايتها هي نجاة الإنسان، وهو ما اتضح في رسالتها وأبعادها، ولذلك تسقط الأطروحة الطائفية أو العرقية في فهم الدين أو تفسيره، كذلك لا يمكن أن نقبل للثورة فهماً طائفياً أو عرقياً أو فئوياً، أو أن نجعل الثورة صراعاً عشائرياً بين قبيلتين على وزن كتاب المقريزي (النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم)، وهذا ما انعكس على الكثيرين من الأدباء والشعراء الذين نظموا الثورة وانحازوا إليها، وتحضرني كلمة رائعة للمفكر الراحل الإمام محمد مهدي شمس الدين حين قال (لا أختلف مع أحد، إختلافي مع من يجعل من ثورة الحسين قضية طائفية محصورة).

الشيخ قاسم آخوند:

إن الذي ينظر إلى المجالس الحسينية من خارج الإطار الشيعي، فإنه قد يتراءى له أن فولكلوراً شعبياً يقام في كل عام من قبل الشيعة في شهر محرم الحرام، وقد يعتبره خارجاً عن أي محتوى إنساني وقيمي، وذلك لأسباب عديدة منها؛ إنه قد تتم إدارة هذه المجالس من قبل أناس تقليديين ينظرون لهذه المجالس كونها مجالس سنوية تقليدية من دون أن يجعلوا الأمة تعيش المعاني السامية التي تزخر بها ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فلذلك لا بد أولاً أن نؤهل أنفسنا في رؤيتنا الحقيقية لهذه الثورة، وأن نضع مجالسنا في إطارها المناسب، ونمنع الناس العاديين التقليديين من العبث بهذه الثورة، وتجميدها بالاستذكار العابر وأحياناً التعصبي. وعندما تكون الرؤية واضحة لدينا نستطيع حينها أن ننشر الفكر الحسيني ونبين الهدف الحقيقي من وراء إقامة هذه المجالس باعتبارها مجالس تربوية توعوية أكثر منها مجالس تقليدية محنطة عاجزة عن الإصلاح والتهذيب.

د.سعيد يعقوب:

يظهر المصلحون والمجددون في كل أمة بحسب حاجتها إلى الإصلاح والتجديد في حقبة معينة من التاريخ ويعبرون عن حاجات الأمة وعن مطامحها وتكون حياتهم مثالاً عنها وصورة مصغرة للصراع الذي ينشأ بين جماعات المجتمع، في نضالها لبلوغ مرحلة أرقى من مراحل التطور الاجتماعي.

قال محمد عبده، المصلح المصري المعروف:

ولستُ أبالي أن يقال محمد ... أبرٌّ أم اكتظت عليه المآتمُ

ولكن ديناً قد أردت صلاحه ... أحاذر أن تقضي عليه العمائمُ

هذا مصلح أراد إصلاح ما علق في الدين من شوائب في عصر معين وفترة محدودة.. أما الإمام الحسين فقد أراد أن ينقذ دين الإسلام من الضياع الكامل في فترة بزوغه وبداية نهضته.. لذا فقد كانت تضحيته من أجل المسلمين في كل العصور التالية. وإذا سألنا: لماذا كل سنة عاشوراء، ولماذا نبكي الحسين كل عام

وقد مات الآلاف بعده وقبله ونسيهم الناس؟ إذا جاء هذا السؤال قلنا أن هذا ينطبق على أي مصلح أو عظيم يمر على أمة من الأمم في فترة ما من تاريخها .. مصلح أو ثائر خرج لطلب السلطة وكان يستحقها.. سواء نجح في ذلك أم أخفق.. أما الحسين فإنه لم يخرج لطلب السلطة بل أراد العدالة في أمة رسول الله.. أراد أن يصلح مستقبل الإسلام وكان الإسلام غضاً طري العود، خرج وهو يعلم من نبوءة جده الرسول أنه سيقتل في أرض كرب وبلاء.. خرج ليستقيم الدين.. خرج ليبقى الإسلام جذوة وإن كانت ضعيفة ليتسلمها حفيده المهدي.. أما إذا انطفأت فماذا سيبقى لمستقبل الأيام، وماذا سيبقى لتأويل آية كريمة مثل ﴿سيظهره على الدين كله﴾ .. وهذا هو الحسين.. قدوة للأجيال كافة، لذلك فلن تنساه الأجيال... أقول إنني كلما اذكر الحسين أتذكر المسيح عليه السلام أوكلما رأيت الرسم الذي يُظهر الحسين شبيهاً بالمسيح أتذكر أن المسيح أيضاً؛ كان يعلم أن مصيره الصلب وأن اليهود سيقتلونه لكنه أراد أن يموت ليحيا اتباعه. ولكن في لحظة معينة لم يكن يعرفها مسبقاً استبدله الله بشبيه له تماماً، كما أطاع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الأمر الرباني ثم في آخر لحظة فداه الله بذبح عظيم.. هكذا كان المسيح وهكذا كان إبراهيم وإسماعيل وهكذا كان الحسين عليه السلام.. إنهم قدوة، إنهم من مشكاة واحدة.

د.عبد الكريم الشبلي:

تندرج الحملات ضد ثورة الإمام الحسين عليه السلام وقيمها في إطار محاولات الاستكبار ومنذ اللحظة الأولى لانطلاقتها، لتشويه معالمها ومصادرة ما رسخته في وعي الأمة من قيم الرفض والإباء. تكررت محاولات التصدّي للإحياء السنوي لذكرى الإمام الحسين عليه السلام طيلة التاريخ الإسلامي وفي كل بقعة كانت تدين بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، واستعملت شتى الوسائل في ذلك: من القمع والإرهاب إلى الشغب والتشبيه.

وجنّد الاستكبار في كل زمان: "علماء البلاط" الذين توسّلوا بكلّ حجة واستعملوا كل المرجعيات التي يستندون إليها... ومع ذلك يأبى الله إلاّ أن تبقى ذكرى أبي عبد الله الحسين عليه السلام خالدة متجدّدة، وحيّة في ضمير كل الأحرار، في

حين خبا ذكر هؤلاء والتحقوا بأئمة السوء بلا رجعة. ونحن هنا لا نقصد الغافلين الذين لم تسنح لهم فرصة الإلمام بحقيقة ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وكانت في حد ذاتها موجهة إليهم، ولكن المعنيّ هنا هو كل فكر تجنّد لخدمة الشرعية الوهمية وتلبّس بلباس العلم، في حين أنّهم يُلبسون على الناس دينهم ويشوهون لهم تاريخهم. فلا غرو أن يجند يزيد ومن بعده عدداً من الصحابة ليضعوا لهم الأحاديث لضرب أهداف الثورة الحسينية، وتكفير الخروج على أئمة السوء، وفرض الخنوع والولاء لهم، وكان هذا دأب كل السلاطين والحكام المعادين لأهل البيت عليهم السلام وللحرية، وهكذا صار دين العامة: فهو ليس إسلام للعلي القدير، وإنما خضوع للاستكبار واستكانة للأمر الواقع والظلم المفروض.

د.زهير غزاوي:

الانقسام الكبير الذي تولد بُعَيْدَ ثورة الحسين عليه السلام أثار هذا التجني في صفوف من تناولوا التاريخ الإسلامي من زاوية فقهية – ظهرت فيما بعد- أنه لا يجوز الخروج على الحاكم مهما كانت مسيرته. لهذا رأينا ظهور خلافات كبيرة حول مشروعية الخروج بحد ذاته وأثره على الدولة الإسلامية الناشئة، فالسنّة يعتبرون (أو قسم منهم) أن الحسين قتل بِسيف جده، كما زعم ابن العربي في كتابه (العواصم من القواصم)، أو ما عبر عنه الغزالي وغيره. وبما أن توليد مناعة لدى أولئك لم يعد ممكناً، بسبب مكانتهم في نفوس شريحة كبيرة من المسلمين، فإن دحض آرائهم راهناً هو مهمة مفكري مدرسة أهل البيت – وقد فعلوا- ، على أن كثيراً من العلماء لدى السنّة يعتبرون هذه الأفكار تهديماً للإسلام ذاته، وهو رأي ظالم جداً، ولعلهم وهم يشرحون عدم المس بالصحابة بما فيهم يزيد بن معاوية، عاملاً مساعداً للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ما يؤدي إلى عرقلة الحوار الذي يدفع للتقريب رغم ضرورته المصيرية.

د.سهيل زكّار:

لامانع أن يحتفل الإنسان بهذه الذكرى ليجدد العزم وليجدد العهد والتعايش مع رسالة الحسين التي هي رسالة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله. ولكن ربما نجد

أن ما يرافقها من أعمال تعذيب للجسد، هذه المظاهر بتصوري، لا علاقة لها بالإمام الحسين، ولا أظن أنه عمل مرضٍ لا لله تعالى ولا للإمام الحسين. برأيي فإن نيل الرضى هو بالسلوك وليس بالأعمال الظاهرية، نيل الرضى ممكن بالصبر، بالاستغفار، بقراءة القرآن الكريم، لتجديد العهد. إنما هذه الكرنفالات هي نوع من أنواع الاحتفالات، وهي موروثة منذ عصور قديمة، ولا أظنها أكثر من فلكلور، وبرأيي فإنها لا تمت بصلة إسلامية إلى الإمام الحسين. أما أن يحتفل الإنسان بعاشوراء فهذا غير مرفوض بل هو مقبول، وملحمة كربلاء كما قلت، هي ملحمة علينا أن نستلهمها طوال عصورنا طالما أن هناك عدواً مغتصباً لأرضنا، وهناك من يحاول التعامل معه، فعلينا دائماً وأبداً أن نستلهم كربلاء وأن نسير على طريق الشهادة، والطريق الذي خطّه لنا الإمام الحسين.

الأستاذ حسين شرف الدين:

أعتقد أن الفهم العام للملحمة العاشورائية لم يجر تمثُّلها اللازم في الذهن العام، ولا نأخذ هذا الامر على العامة، فإن الكثيرين ممن يعتبرون أنفسهم من الخاصة، فالجميع يشتركون أيضاً في عدم إشغال الذهن بأصل التقليد القائم الآن عند شيعة العالم: المآتم الحسينية ـ المصرع ـ المقاتل ـ الأغراض الشعرية ـ اللطم ـ السلاسل ـ التطبير ـ المقامات اللحنية وغيرها. وقد قيل: الناس أعداء ما جهلوا.

ولكن ماذا يجهل هؤلاء؟ السؤال يفرض علينا أن نتوجه لنحدد موقع ملامتنا فنشخص قبلاً أسباب التحامل والتجني، وهذا يستتبع قبلاً وقبلاً الغرض من إحياء الذكرى الحسينية في كل مناسبة حزن، دون أن يتوقف الامر على عشرة أيام أو ثلاثة عشر أو أربعين، وقد توسع البعض بأن ينهي عقد القران بمجلس ذكرى حسينية بدلاً من الفرح المشروع.

الرواية الواردة عن الأئمة تدعو إلى إحياء أمر آل البيت، وأمرهم ـ سلام الله عليهم ـ هو مجمل ما يرتبط بسيرتهم سلوكاً وأخلاقاً وعلاقات ونمط تفكير وآثاراً أدبية وطرائق عيش وتعامل، إلى آخر ما هنالك من تفاصيل تقدم إلى الأجيال كصورة من صور الاقتداء، وخميرة لبنية ذهنية تقوم عليها ثقافة لشعب وأمة، ولها قابلية للتراكم الثقافي، إن كان في التجارب الذاتية بفعل ما في

العالم من متغيرات وتطورات وبالتالي استقبال الثقافات العالمية فتصطفي الثقافة الأصيلة ما يتآلف معها وتتمثل ما يوافق نسيجها العام، مراعية خصائصها التي تحفظ لشعوب الأمة تميزها الثقافي عن سواها من الشعوب.

على هذا فإحياء الأمر، في الاساس، وسيلة تعميم ثقافي، أما كيف يمكن أن تعمم الثقافة، فشعوب أمة الإسلام، عندهم الكثير من التراكمات عبر التاريخ، بحيث تجعل كل شعب له خصوصياته، والتقاليد هي من عناصر الثقافة أيضاً التي علينا أن نوليها ما تستحق من اهتمام.

قد يرد القول بأن اختلاف التقاليد بين الشعوب يغير الأشكال الأسلوبية بالتعامل مع مبدأ إحياء الامر، فتفتقد البنية وحدتها. وهذا قول من واقع نعيشه. إنَّ الذكرى الحسينية أساسها عنصران: المبدأ (مبدأ إحياء الامر، بما قدمنا من معنى) ثم الوسيلة (طريقة إقامة الذكرى). وقد اتفقت أساليب إقامة الذكريات للمعصومين بمبدأ الإحياء، وقد يكون بعضها أقل اتساعاً، وربما لا نجد لها ذكراً في بعض المجتمعات الشيعية، وإن أقيمت ذكرى وفاة أحدهم فتنتهي بالندب على الامام الحسين عليه السلام.

أما الأساليب، فهي لم تكن منذ البدء حسب تقاليد المنطقة التي تنفذ فيها، بل هي نتيجة حركة إعتراضية على ما كان مع الامام الحسين عليه السلام ، وكل حركة تركت بصمة معينة ـ على ما نعتقد ـ فحركة التوابين، بطبيعتها النادمة، تختلف عن طبيعة حركة المختار الطامحة، وهاتان تختلفان عن طبيعة حركة ابراهيم بن مالك الاشتر المؤمنة، ولذلك فإن الأسلوب الذي تنتجه مثل هذه الحركات تختلف عن بعضها البعض، وكذلك عن سواها مما كان بعدها. وهنا تتدخل الثقافة الخاصة عند الشعوب في مدى فهمها لأغراض الحركة، وطريقة ممارستها لأفراحها وأتراحها، ولهذا نجد على الزمن أشكالاً من الاساليب التي ننظر إليها على أنها هجينة غريبة، ويختلف استقبال الآخرين لهذه الغرابة والهجنة، فمنهم من يحاول أن يدرك أصولها ويعيدها بتقبل إلى تلك الاصول، ومنهم من يأخذها على ظاهرها الغريب والهجين بالنسبة إليه فيصدر عليها أحكاماً أقلها التخلف، وهي فعلاً تصبح كذلك إذا استمرت عقوداً وقروناً دون مسايرة

المتغيرات والتطورات، فتغير الأساليب أو تطورها، وتبدو كأنها هي الثوابت.

أما إذا سئلت عن الملوم في هذه الحالة، فلا أستطيع أن أشخصه فعلاً، إذ ليس من مسؤول بعينه وإنما هو نمط عام، الجميع فيه ملوم، وإن اختلفت نسبة اللوم تبعاً لنسبة الوعي التي نفترضها في المجموعات البشرية التي تتولى عملية الإحياء، وأقول: مجموعات، لأن اللائمة في هذه الحالة لا تقع على أفراد، وإنما على ذهنية عامة تأبى أن تخرج من حدود العادة. ولا يمنع هذا من أن أرسم بعض المعالم التي أراها تقوم بمتوجبات حق الاحياء.

١ـ المجتمعات الشيعية في العالم، على اختلاف ما عندها من تقاليد شعبية تمارسها منذ قرون ومنها من كان قبل الإسلام، تدخل في صلب الإحياء، وهي بشكل ما تتنافر مع غرض الإحياء، يمكن تطويرها أو تعديلها بحيث يبعد التنافر، وبالوقت نفسه يحافظ على طبيعة ما يعود للفنون الشعبية.

٢ـ تختلف يوميات المجتمعات الشيعية من الناحية الاجتماعية والسياسية. فمنها من يعيش حرية العبادة وحرية التعبير، ومنها من يعيش في الأجواء القاهرة المانعة لحرية الحركة، وتبعاً لهذا، فالجماعة التي تعيش في المناخات الحرة يتم التعامل معها بمخاطبة العقل، ثم ما يمس العواطف، أما المناخات المضغوطة فأسلوبها المناسب هو ما يحرك العاطفة مباشرة.

٣ـ هاتان النقطتان إذا تحققتا، ففيها الدلالة على ملامسة العمق لوعي القضية الحسينية، والخروج من حدود العادة والتخوف من أن تمس رعاية لما وقر في الذهن العام الذي قد تدجّن مع أساليبه حتى صار مرتهناً لها.

٤ـ قد ينتبه بعض من يهتم بالدراسات الاجتماعية والادبية والفنية، فيندفعون بروحية علمية أكاديمية للبحث في موضوعات علم الانسان والمباحث في الادب الشيعي من الزوايا التي لم تطرق إلى الآن، وهي كثيرة وكثيرة، وفي استخراج ما ابتدع أو ترك الندب على الامام الحسين عليه السلام من مقامات، إذ كانت محاولة سابقة قد تعرضت بالبحث إلى أن بعض المقامات مرجعها ندبي من العهود الأولى لواقعة الطف، وأية متابعة من خبير للندبيات وللحركات التي ترافقها، يتمكن من إعادتها إلى أصلها الاول، ومنها تلك الحركة الدائرية التي ترافق نغماً خاصاً.

٥ـ ولعله ينتج جو البحث والدرس تاريخاً شيعياً حقيقياً لسيرة كاملة لحياة الاشخاص بما يمكن الحصول عليه من يومياتهم وعلاقاتهم وروابطهم بحيث يتأسس تاريخ معلوم، وليس كما هو تاريخ أئمتنا عليهم السلام مثلاً، وهو أكثر التواريخ مجهولية، أو تاريخ حياة العباس وزينب، بما لهما من الهالة الرائعة عن موقفهما يوم العاشر من محرم، بينما نجدهما الأكثر مجهولية لانعدام المعلومات عما قبل ذلك. فالكُلّ مسؤول عن مسيرة المنبر الحسيني من القمة حتى القاعدة.

د. نعيمة شومان:

يقال كأن القانون الإلهي قد أراد أن يحل بهذه الأمة ما حل بها من الاختلاف والتمزق والضياع عن الجادة السوية، وإهمالها لأهل البيت، واستهتارها بمقدساتها. وأنا أقول، حاشا لله أن يريد ذلك بأهل بيته، ولكنها الأصابع الخفية التي أدركت منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، أن هذا الدين القويم لسوف يستولي على قلوب البشر أجمعين- لما حرفوا من أوامر الله وأقواله في كتبهم السابقة، ونالوا من هيبته وقدره، وقصروا رعايته وخيراته عليهم، وشوهوا سيرة أنبيائه وحولوها إلى سيرة قتل وإجرام واغتصاب أموال وأعراض.

ولذا، فإن ثورة الحسين جاءت لإحياء رسالة الإسلام والرسل أجمعين بعد أن كاد يُقضى عليها على يد أعدائها ومناوئيها، وضخ الحياة فيها بعد أن أشرفت على الاحتضار، وإنصاف المظلوم، وإعادة الحقوق إلى الضعفاء من براثن المستكبرين. وكذلك، فإن التجني والتحامل عليها منوط بالمستكبرين الظالمين. وبما أنّ الشيعة كانوا على رأس من حمل تلك الجذوة، فلا بد من أن يصابوا بنارها. فإذا كنا سنثور ثورة الحسين، فإننا سنثور على إسرائيل، رأس المستكبرين، والعدو الأكبر لإسلامنا من سنة وشيعة وغيرهما، وهذه الثورة، هي أولى أولويات الإسلام والمسلمين، وبنجاحها يتم استئصال كافة العِلل والمشاكل الجانبية.

وإن من يستطيع أن يحول البكاء والنحيب على ما قاساه أهل البيت إلى نجاح فعلي في القضاء على عدو الإسلام الأكبر وأهل بيت الرسول، لا بد إلا أن

ينال في نفوس المسلمين الصادقين أجمعين العزة والتقدير. فأهل البيت، هم للمسلمين أجمعين... وأعتقد بأن المبالغة في التركيز على انتسابهم للشيعة (هذه التسمية المستوحاة من تفتيت المسلمين) هي – في الواقع- خلف تنصل بقية المسلمين، من المشاركة في برامج الشيعة من حزن وعزاء..فأهل السنة (إنني أنكر أيضاً هذه التسمية) المخلصون الصادقون يبجلون كافة عائلة الرسول، كالشيعة تماماً، ولا يذكرون أحداً منه إلا مقروناً بصفة: سيدنا علي ﷺ والإمام الحسين عليه السلام وسيدتنا زينب عليها السلام ... الخ.

كما أنهم يشعرون بالأسى من هجوم بعض الشيعة على صحابة رسول الله وترسيخهم الأحقاد الناتجة عن أحقية الخلافة، والتي لم يكن الإمام علي (كرم الله وجهه) يحمل بين طيات نفسه الطاهرة أثراً منها، فانتقلت إلى الأجيال التي ليس لهم فيها ناقة ولا جمل. ولذا، فإنني اعتقد أن الهدف الأكبر، في الوقت الحاضر، هو المحافظة على الوعي الديني والثوري والاجتماعي الإنساني الذي قضى من أجله الحسين في معركة كربلاء، وليس كشف دور السنة أو الشيعة في هذا المجال. فالمسلم- كما نعلم- لا يعمل الخير إلا في الخفاء..

السيد محمد الموسوي:

المتحاملون على استذكار شهادة الحسين ومبادئه يخالفون نص القران الكريم، و لا يمكنلهم أن يبرروا موقفهم الا بالدعاوى الباردة والتخرصات الواهية، والا فان استذكار صراع الحق ضد الباطل هو أمر الهي نص عليه القران المجيد في قول الله لنبيه (واتل عليهم نبأ ابني أدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الأخر قال لأقتلنك .....) الى أخر الآيات الكريمة التي يأمر الله فيها نبيه الكريم بتلاوة واستذكار شهادة هابيل على يد أخيه الظالم قابيل. ولو لم يكن هذا الأستذكار لتلك الواقعة نافعا للناس لما أمر الله نبيه الكريم بتلاوة أحداث الواقعة بكل التفاصيل التي يذكرها الله عز وجل في القران.أن الله عز وجل يأمر نبيه الكريم صلى الله عليه واله وسلم أن يستذكر واقعة صراع حق وباطل تماما كما نفعل في استذكار صراع الحق والباطل في كربلاء. فاستذكار شهادة الحسين عليه السلام هي امتثال لأمر الله

الذي أمر نبيه باستذكار صراع الحق والباطل.

الأستاذ أحمد جبريل:

إنّ هذا التجني والتحامل من قبل البعض، والبعض فئة قليلة، وفيهم علماء ومفكرون ولكن أي علماء هؤلاء وأي مفكرين، إنهم علماء البلاط ومفكري الحكام، الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، وباعوا دينهم بدنيا غيرهم. وهذه الفئة موجودة في كل زمان ومكان حتى في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بعث رحمة للعالمين. وفي عهد الخلفاء الراشدين وفي عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفي عهد الإمام الحسين وقسم منهم شارك في قتل الإمام الحسين وسبي نسائه وهم يتلون القرآن ويتحدثون باسم الإسلام. هؤلاء هم الذين ذكرهم القرآن الكريم ولسان حالهم يقول ﴿ وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال، ٣٢] هؤلاء لا تعوزهم الحجة، ولا ينقصهم البرهان ولا الدليل، ولو أتيتهم بكل معجزات الأولين والآخرين لن تجدي معهم نفعاً، فهؤلاء ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة... فلا تضيع الوقت والجهد من أجلهم.

السيد كامل الهاشمي:

حينما نتحدث عن الثورة الحسينية فإننا نقف أمام مشروع إصلاحي شامل استهدف -وبلا مواربة- زعزعة أركان الحكم الأموي، وهو الحكم الذي وصل إلى درجة من الفساد والطغيان والاستهتار بالقيم والمبادئ الإنسانية والدينية إلى الحد الذي ما عاد يجوز السكوت عليه أو التغاضي عنه، وهو الأمر الذي استوجب أن يتحرك الإمام الحسين عليه السلام ضد مشروع الحكم الأموي القائم عبر مشروع مضاد يتمثل في الثورة العسكرية بشكل محدّد، إذ لم يكن أيّ من الخيارات الأخرى كفيلاً بوقف مستوى التدهور والانحطاط الذي وصل إليه المجتمع المسلم في عهد طاغية الشام يزيد، وهو المستوى الذي أفصح الإمام الحسين عليه السلام عنه بقوله حينما خرج متوجها إلى كربلاء: (إن هذه الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه،

ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما. إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون) [تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ص ٢٤٥].

وانطلاقاً من هذا الوضع فقد تحرّك الإمام الحسين عليه السلام عبر منهجية تغييرية وآلية إصلاحية تنفذ إلى عمق المجتمع المسلم لتكشف عن طبيعة الخلل الذي اعتراه في دينه وقيمه وممارساته ونظام حكمه، ولم تكن تلك المنهجية أو الآلية شيئاً آخر سوى الثورة العسكرية، ومن خلال تلك الثورة فجّر الإمام الحسين عليه السلام لأول مرة في تاريخ التجربة الإسلامية روافد الوعي السياسي والاجتماعي بضرورة الثورة بوصفها آلية تغيير حاسمة، لا مناص من الرجوع إليها كمنهجية مفاهيمية حينما تلتبس علينا الرؤى وتغيم الأفكار، وكمنهجية عملية حينما تسدّ علينا الأبواب وتستنفذ كل الخيارات في الإصلاح والتغيير. ومن الطبيعي حينئذ أن تكون أيّة محاولة للبحث عن خيار آخر سوى خيار الثورة، في ظروف مثل تلك الظروف التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام تهرباً من الالتزام بمتطلبات المسؤولية الدينية، ومحاولة للفكاك من مقتضيات الضمير الأخلاقي والواجب الإنساني، ولذا رأى الإمام الحسين عليه السلام أن كل من يسمع نداء ثورته ثم لا يجيبه فهو مستحق للنار، فقد حدّث هرثمة أنه رأى الحسين حينما نزل كربلاء فسأله الحسين عليه السلام: (معنا أنت أم علينا؟ فقلت: لا معك ولا عليك، خلفت صبية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد. قال: فامض حيث لا ترى لنا مقتلا، ولا تسمع لنا صوتا، فوالذي نفس الحسين بيده، لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلا كبه الله لوجهه في جهنم) [الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ١٩٩-٢٠٠].

ولأجل ذلك كانت العاقبة وخيمة على الأمة في حاضرها ومستقبلها بعد أن تركت نصرة الإمام الحسين عليه السلام، قال ابن الأثير في الكامل: (وقيل: وكان الحسين يقول: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العَلَقَة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذل من فرام المرأة. قال: و"الفرام" خرقة تجعلها المرأة في قُبُلِها إذا حاضت) [ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٣، ص٤٠١].

الشيخ نبيل حلباوي:

إن كربلاء مدرسة ثورية إسلامية بكل أبعاد الثورة وآفاق الإسلام؛ إذ قادها إمام من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فهي ثورة المعصوم والثورة المعصومة، وقد أمضى شرعيتها رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: (حسين مني وأنا من حسين)، وهي إذاً النموذج الأمثل الذي يتوئم بين الإسلام والثورة وهو ما تحتاجه الأمة باستمرار لاكتشاف ثورية إسلامها وأسلمة ثورتها على الطواغيت.

وما الاستذكار السنوي لها إلا محطة متجددة للنهل من الينبوع الثوري الإسلامي الثرّ لها، لشحن إسلامها وشحذ ثوريتها، لتبقى عصية على التخضيع والتطبيع والتركيع لغير ربها، وينتصب أبنية شامخة في وجه المستكبرين الطامعين والغاصبين المحتلين والظالمين المستبدين. مرددة قول سيد الشهداء وأبي الأحرار: (لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد).

السيد حسن النوري:

لقد تعلمنا من أستاذنا الشهيد محمد باقر الصدر أن لا ننظر عند التعليل والتحليل إلى عامل واحد فقط لأن عوامل عديدة قد تجتمع لتكون حدثاً ما... وهذا لا يعني أن لا يكون هناك عامل أقوى من سائر العوامل...

إن الجهل بماهية ودوافع ثورة الإمام الحسين عليه السلام على مداها القريب والبعيد من عوامل اتخاذ هذا الموقف والناس أعداء ما جهلوا وليس هؤلاء ممن يعذر لأن فيهم كما ذكرتهم العلماء والمفكرون. هناك عامل المصالحة مع الأوضاع التي ثار عليها الإمام الحسين مما يعني أن هؤلاء المتحاملين لعلمهم بهدف الثورة الحقيقية (الإصلاح) اتخذوا هذا الموقف السلبي من استذكار عاشوراء لأن الإصلاح ضرورة دائمة وحاجة أساسية مستمرة ومن الأمور التي لا بد من إصلاحها إصلاح مؤسسة الحكم الظالمة بحواشيها وأتباعها والمروجين لها.

هناك عامل العداء والبغض لأهل البيت الذي كان وما يزال يعيش في نفوس البعض حتى ممن يحمل علماً وفكراً.

هناك عامل خارج الدائرة الإسلامية يحرك بعض دوائر الفكر الإسلامي لقمع كل ما من شأنه إصلاح الوضع الفكري والإنساني والسياسي الإسلامي ضمن منهج الإسلام أي منهج (ثورة الإمام الحسين) ونجد أن هؤلاء يتحركون كالدمى في أوقات محدودة مدروسة لإثارة الغبار في وجه حقيقة الثورة الحسينية.

لن نعدم أيضاً عامل السياسة ومصالحها خارج أو داخل دائرة المسلمين وهناك عامل الاستغلال لسلبيات بعض العاملين في مجال تبليغ القضية الحسينية ولن يعوز هؤلاء جمع الشواهد من هنا وهناك لبيان أن ذكرى عاشوراء تسبب التفرقة بين المسلمين وتركز الذهنية المذهبية وتضر بالناصع من تاريخ المسلمين وهكذا...

وواضح أن شعارات ثورة الإمام الحسين إنما يضعها ويعرضها ويشرحها هو أبو الثوار الإمام الحسين عليه السلام والثائرون معهم، ولا نأخذ تفسيراً يرفضه كلام أو نهج الإمام الحسين ودور المنبر الحسيني الواعي في التثقيف والتربية غير خفي على الجميع كمالا يخفى دوره في صنع الثوار الذين حققوا انتصارات رائعة وكبيرة في مختلف الساحات بدمائهم ولن يكون آخرها دم الشهيدين الصدرين أو دماء الأبطال في المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين..

وأتصور أن حواراً مهما كان هادئاً لن يوقف حملات البعض ولكن مثل هذا الحوار سيؤثر بشكل كبير على الكثيرين.

سيكون هدف هذا الحوار الوصول إلى بيان إن هدف استذكار عاشوراء هو بعث الهمم لمواجهة الأوضاع الفاسدة داخل دائرة ومؤسسة الحكم وأيضاً سيكون هدفها هو حمل مشعل الثورة على الغاصبين لأرض ومقدسات المسلمين.

سيكون هدف هذا الحوار الوصول إلى أرضية مشتركة يقف عليها كل من يحتاج إلى إصلاح السلبيات في السياسة والأخلاق ، في العقيدة والمفاهيم في التربية والمناهج وغير ذلك مما يحتاج إلى إصلاح كثير. سيكون من ضمن نقاط هذا الحوار بيان أن هناك من يستغل ثورة الإمام الحسين عليه السلام عمداً أو جهلاً لمصالحه هو أو يجعلها محدودة بأفقه الضيق وقد لا نجد الدعاة الأكفّاء لأي ثورة أو فكرة

مع ملاحظة سعة دائرة الوعاظ واختلاف مستويات الثقافة عندهم وجوانب الطمع التي سيرضيها وتشبعها التبعية لمخطط من يقيم مجالس الذكرى والوعظ الحسيني. هذا الحوار إذا يستخدم أسلوب المناقشة ثم يذكر الشواهد التاريخية والمعاصرة التي تثبت مدى تأثير المنبر الحسيني على النفوس وتنميتها وعلى العقول وتطويرها وعلى الأعمال الحسنة والاستزادة منها.

الشيخ محمد حسن تقي:

قلنا بأن البعض أجرى عملية احتواءٍ حسب ظنه للدين وقد حصر الدين في نفسه وفي اتباعه، وكفّر من يقول بغير مقولته ووصل الأمر به إلى أن قال بأن من أحيا ذكرى رسول الله ولادةً أو مبعثاً أو هجرةً أو وفاةً فيكون قد أتى ببدعة وهو كفر. فإذا كان هذا مبدؤه وهذا معتقده فلا غرابة إن قال بأن إحياء ذكرى عاشوراء أمرٌ مستهجنٌ.

لكننا نقول بأن الأمة تحيا عندما تتمسك بقيم وسير زعمائها الروحانيين السائرين في خط الله والذائبين في محبته والذين لسان حالهم:

إلهي تركت الخلق طرا في هواكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني في الحب إرباً ... لما مال الفؤاد إلى سواكا

إذاً نلاحظ الباعث في لسان الحال هذا هو رضا الله والتضحية في سبيله وهكذا كان يؤكد أهل البيت عليهم السلام رضا الله رضا أهل البيت .. وبحبه الله نحبه وببغضه الله نبغضه.

من كان هكذا لسان حاله وهكذا سيرته، وإذا كان القائد بهذه الدرجة من العطاء لا يبقى مصلحةٌ دنيوية خاصة له أو لذويه أو لعياله. لا يمكن لأي إنسان أن ينال منه أو من حركته.. فهذا الإمام الحسين "ع" يقول: " شاء الله أن يراني قتيلاً وشاء الله أن يراهنّ (نساء وأهل بيته) سبايا.." هذا منتهى التسليم والعطاء لله وهذا درسٌ حَريٌّ بأي إنسان أن يطلع عليه ويسير على سيره إن أراد الفوز الأخروي. كيف يمكن أن ينال منه الإنسان وهو القائل خلال مسيرته: " إن كان دين محمدٍ لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني" .. والاستقامة التي يشير إليها

الإمام الحسين "ع" لا يقصد بها الجوانب المعنوية أو الجوانب الفكرية الحقّة فهذه الجوانب مستقيمة لا اعوجاج بها. ولكنه يريد أن يجعل الجهاد مستقيماً والمحبة مستقيمة والرحمة مستقيمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستقيماً والتبري من أعداء الله مستقيماً يعني قائماً متحققاً في الواقع ولا يمكن أن تتحقق هذه الأمور مع وجود الحاكم الفاسق الفاجر السكّير الخمّير. الاستقامة مطلوبة استقامة تطبيق عملي لا استقامة نظرية، أن يكون لهذه المفاهيم مصاديق وأمثلة حية في حياة الناس ..

ولكن هذا التحامل والاحتواء والتكفير يعود منشؤه إلى أحد أمرين :

١ - الجهل: وعدم معرفة حقيقة الواقع أقصد معرفة الحسين عليه السلام وأهدافه من القيام والثورة.

٢ - البغض: البغض الموروث منذ أبي سفيان وأحفاده الذين خططوا ودبروا سياسة التجهيل للأمة بواقع قادتها الحقيقين. هؤلاء هم أنفسهم الذين دخلوا الإسلام ليضربوه من داخله بعد أن عجزوا عن ضربه من خارجه. هؤلاء خط لهم زعيمهم أبو سفيان عندما آل الأمر إلى عثمان خط لهم الخط الذي يجب أن يسيروا عليه عندما دخل مجلس عثمان وكان أبو سفيان قد فقد بصره. قال للمتواجدين: أيوجد أحد؟ قالوا له لا. قال: تلقّفوها يا بني أمية تلقف الكرة والذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار هذا الولد المطيع لأبيه معاوية: قال له أحد أصحابه، مهلاً مهلاً بآل محمد. قال معاوية: انظر يا هذا لقد ملك فلانٌ أخو تيم ومات ومات ذكره معه ثم حكم أخو عدي ومات ومات ذكره، وحكم أخونا عثمان ومات ومات ذكره وهذا ابن أبي كبشة لا يزال يقرن اسمه مع اسم الله في كل يوم خمس مرات بالأذان ...سحقاً... سحقاً ... سحقاً.

ثم يأتي يزيد ليقول:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل.

ويقول:

نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل ... فلقد قضيت من الرسول ديوني.

إذاً المسألة عداء للمبدأ وعداء لأصحاب المبدأ من قبل من لا مبدأ لهم إلا محاربة الحق. وأحفادهم في هذا الزمان يقولون: لقد قتل الحسين بسيف جده على يد خليفته.

أما دور كربلاء فلا يمكن أن ينكر من قبل أي منصف يُعمِلُ عقله وذلك من خلال متابعة بيانات الحسين "ع" قبل وخلال الثورة الحسينية.

د.علي أبو الخير:

التحامل والتجني مِن بَعْض العلماء والمفكرين على الإحياء والاستذكار السنوي لعاشوراء له بُعْد فكري ؛ لأن ألفاً وخمسمائة عام مِن الفكر الأحادي القائم على أن التاريخ يُكتَب مِن وجهة نظر الحكومة القائمة واستقرار هذا الفكر دون مناقشته واعتباره مِن المسلّمات هو الذي أدى إلى استنكار البعض مِن الإحياء العاشورائي ؛ لأنهم يعتمدون على الفكر البرجوازي بصورة عامة ..

وعلى العموم .. فإن هؤلاء يفلسفون أموراً كثيرةً غَيْر ذات أهمية : مثل الملبس والمأكل وكيفية استعمال السواك ، ويعتبرون هذا كله مِن دين الله ، وإذَا قام عالِم بالبحث في أمور علاقة السلطة بالفكر وعلاقة الفكر بالدين تجد الكثيرين يقومون بشن حملة شعواء على الناطق بذلك .

ولكي لا تكون الأمور غَيْر واضحة نستطيع أن نضرب مثلاً على ما نقول: إن البحث عن علاقة الحاكم بالمحكومين تم ضبطها منذ زمن طويل لتقوم على تفسير الآية القرآنية الكريمة ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ ، معظمهم فسرها بأن أولي الأمر هم الحكام ، وارتبط هذا المفهوم على إطلاقه بالفكر السلفي عموماً ..

عندما نشر المرحوم الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي كتابه " علي إمام المتقين " قامت الدُّنْيَا عَلَيْه وهاجمه علماء كنا نظن فيهم سعة الصدر وسعة الفكر ورحابة القلب ..

فلماذا حدث هذا ؟

لأن هؤلاء العلماء استنكفوا قراءة التاريخ قراءةً ناقدةً ، فجاءت أحكامهم متطابقةً على فكرهم الديني الموروث الذي تحدثنا عنه .

وحدث لنا ذلك عندما نشرنا كتابنا " علي الإمام المبين " فقد هاجمني الذين كنا نحسبهم من أصحاب الفكر الرحب ، ولذلك فإن المطلوب نشر الفكر الكربلائي ؛ لأن كربلاء تمثّل العمق التاريخي الثوري للمسلمين عموماً وليس لطائفة دون غيرها .

■ ■ ■

المحور الخامس:

الماهية الحقيقية لعاشوراء

ثمة اتجاهان للاحتفاء بذكرى عاشوراء.يقوم الاتجاه الأول فيه على استذكار واقعة الطف المفجعة والتي راح ضحيتها حفيد رسول الله ﷺ ومعه الثلة الطاهرة من الأهل والأصحاب وذلك في العاشر من المحرم في عام ٦١ للهجرة. إن هذه الذكرى يعيشها عشرات الملايين المسلمين في باكستان وأندونيسيا وماليزيا والعراق وإيران والبلدان الخليجية وغيرها في أجواء من الحداد العام جراء الظلم والقهر اللذين نزلا بآل محمد ﷺ واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام بتلك الصورة المروعة.

في حين أن الاتجاه الآخر يقوم على إحياء عاشوراء، عيداً ويوم بهجة ومسرة استناداً إلى روايات معينة تقول بذلك وتدعو إلى تكريمه بالصيام والعبادة.

لقد وجدتُ بأن مناقشة موضوع ثنائية تخليد هذه الذكرى، ضرورة لا بد منها من أجل أن يقف أتباع الاتجاهين على تفسير كل منهما لطريقة تعاطيه مع هذه المناسبة، توخياً لنبذ الاختلاف، وتعبيد طريق التآخي الإسلامي ووحدة الصف المطلوبة في عصرنا الحاضر:

- بين عاشوراء الحزن والعزاء في المشرق الإسلامي وعاشوراء العيد والفرح في المغرب الإسلامي تُطرح إشكالية الازدواجية في تخليد هذه المناسبة فما هو الطريق للخروج من هذا التناقض، تعريفاً بالماهية الحقيقية لعاشوراء؟

د.زهير غزاوي:

إن صورة العالم الإسلامي الراهن بين مشرقه ومغربه تعبر عن تراكم أحداث تاريخية، بين صعود لمدرسة أهل البيت في المغرب وغروبها بعيد انتهاء الدولة الإدريسية والفاطمية في المغرب، والمد والجزر الذي وسم ثورة الدعاة الإسماعيليين من شمال أفريقيا بحيث سيطر المذهب المالكي المعادي لاتجاهات التشيع هناك وثبات المذهب في المشرق حتى تحوّل إلى نبع لا ينضب لأفكار أتباع المذهب الجعفري الإمامي. كل ذلك أدى إلى تحوّل التشيع في ظل القمع السلطوي لفكر المذهب إلى أقليّة إسلامية، خاصة وأن حالة التعصب التي تعامل بها النخب من كلا الطرفين مع فكر الطرف الآخر وحتى اليوم جعلت من مقاربة وتفهم نتائج الثورة الحسينية تدخل في خانة التكفير والنبذ، سواءً في أندونيسيا (أكبر دولة إسلامية) أو في المغرب العربي بعيد انحسار المد الشيعي هناك. ومع ذلك فلا يمكن اطلاق حكم مطلق على التعامل مع المسألة بمقياس الحزن والفرح، ذلك أن التاريخ الإسلامي وكذلك الفقه لم يدرسا كما يجب، هنا وهناك، ومارست السلطات وفقهاؤها دوراً في إقصاء فكر الآخر، وتتحمل الأغلبية مسؤولية أكبر في هذه المسألة.

المشهد اليوم يتمثل في غلبة التعصب، سواء التكفير من جانب نخب دينية من السنّة أو ثقافة اللعن من جانب الشيعة أو بعض نخبهم، وكان أن تصاعد التعامل مع الرموز الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين إلى درجة وضعهم في مرتبة القداسة، ولعلّ أبرز مثال على ذلك ماعاناه المفكرون الذين تصدوا لنقد صحابي مثل عمرو بن العاص في مصر من هجوم شرس من قبل رجال الدين. وهكذا ارتفعت المتاريس بديلاً عن الحوار العقلاني للتاريخ الإسلامي. وبما أن السلطات تسعى وسعت إلى إرضاء رجال الدين بديلاً عن الحقيقة، وتحولت المناهج الدراسية في التاريخ والديانة إلى مجرد نصوص تعبر عن الطبقة المهيمنة وليس عن الحقيقة، ومنعت كتب مذهب أهل البيت من التداول، حتى في المكتبات العامة، وعن الدارسين الساعين للبحث عن الحقيقة إلى درجة الحرب الثقافية، فإن أياً من الحلول المطروحة للخروج من هذا المأزق وأحدها تجميد

البحوث التاريخية والفقهية عند ما وصلت إليه قبل ألف سنة، أمر لا يبشر بخير، وستبقى احتفالات ذكرى مأساة الحسين أمراً يتولاه الشيعة، مع مشاعر متضاربة من قبل أهل السنّة، بين التعاطف والرفض، خاصة وأن الفضائيات تنقل مشاهد تثير الكثير من مظاهر التخلف وأبرزها الفضائيات الغربية التي تمتلك أهدافها المعروفة.

الشيخ قاسم آخوند:

إن من يقيم عاشوراء العيد والفرح، فإن بعضهم قد يندرج ضمن إطار المعادين لخط أهل البيت عليهم السلام جهلاً بحقيقتهم، فهؤلاء البعض عاشوا النطاق الضيق في تربيتهم الإسلامية ويعتبرون أن ما يقوله شيخهم هو الصحيح وكلام المخالفين له هو كلام الأعداء. لذلك يجب علينا أوّلاً: إرشادهم وتوعيتهم بحقيقة يوم عاشوراء الإمام الحسين ومصاب أهل البيت عليهم السلام، في مثل هذا اليوم وبيان مكانتهم الاجتماعية والدينية في الكيان الإسلامي. وبعد أن تتبيّن لهم الحقائق ويتضح لهم زيف بعض الأحاديث المنسوبة للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، فإنهم سينبذون فكرة الفرح في يوم عاشوراء من تلقاء أنفسهم.

د.محمود عكام:

الحزن انفعال والفرح انفعال، وعلينا توظيف كل الانفعال ليكون سبيلاً إلى حركة مستقيمة وفق معطيات السماء الواردة في القرآن الكريم، ولنجعل من الحزن على الإمام العظيم فرحاً بانتصار الدم على السيف ولنجعل من الفرح - بنجاة نبي الله موسى - في هذا اليوم كما تروي أحاديث أهل السنة طريقاً إلى تذكّر ما قام به الإمام الحسين فأنقذ ونجّى مسيرة الرسالة الإسلامية من الانحراف. ومن ينفعل فرحاً سينفعل حزناً إذا وعى ورشد ورُشِّد، والعكس كذلك سليم.

والمهم أن نعلن لكل الناس: أن الحزن الجبان مرفوض وأن الفرح الشامت مرفوض وأن الحزن والفرح حينما يكونان عبثيين فهما مرفوضان، فتقويم وتصحيح الانفعالات مطلب ديني وإنساني واجتماعي.

د.عبد الكريم الشبلي:

أفرزت الدعاية الأموية لتشويه الثورة الحسينية، بروز عدة حلول توفيقية تباينت حسب الظرفية، وراجت عدة أحاديث (من صنف الإسرائيليات) تدعو لإحياء ذكرى عاشوراء بالاحتفال والصوم.. وذلك لتنفير العامة من إحياء ذكرى عشوراء الإمام الحسين عليه السلام أوإقامة مجالس العزاء. وهذه الظاهرة المشتتة لجهد ووعي الأمة الإسلامية تعمّقت بفعل التباينات الأيديولوجية وانتشار المذاهب والفرق، وهي سمة لم تسلم منها أية جهة من العالم الإسلامي عامة.

والمغرب الإسلامي يعيش كذلك هذه الازدواجية من الإحياء والاحتفال بيوم عاشوراء. وهذا لا يدل على نجاح الدعاية الأموية بقدر ما يشير إلى قلة وعي الأمة وغفلتها عن حقيقة الاستكبار الذي يبذل قصارى جهوده لفرض لونه الواحد، وتكبيل الأمة بالولاء له ولشرعيته الوهمية. فعلى النطاق الرسمي يعتبر يوم عاشوراء عيداً دينياً يجند له الخطباء لتذكير العامة سواء بطوفان نوح عليه السلام، أو بنجاة إبراهيم عليه السلام من النار، وهذه الإيحاءات ترسّخت في لاوعي الأمة، إلى حد أن الاستكبار أصبح يستمرئها ويحتفل بها ليتقرب إلى العامة، ولكن يجب أن نشير إلى أن هناك مناطق من المغرب الإسلامي[1] حافظت على طريقة خاصّة في إحياء ذكرى عاشوراء، تمثّلت في إشعال النيران الكثيفة والتنافس بين الأحياء لصنع أكبر قدر من النيران، ثم يتفانون في القفز والمشي عليها، دون أن يقدموا تفسيرا واضحاً لذلك. وكأنّها تذكّر بإحراق الخيام ومعسكر الإمام الحسين عليه السلام.

د.علي أبو الخير:

لا أعتقد أن هناك عيداً وفرحاً في المغرب الإسلامي شماتةً فيما حدث في كربلاء ؛ فهذا أمر مضى وولى ، ولكن ما يحدث هو أن عاشوراء أو يوم العاشر مِن مُحَرَّم وُضِع له أحاديث اعتبرها المسلمون السنة مِن حقائق التاريخ

---

[1] خاصة بعض قرى الساحل التونسي القريبة من المهدية عاصمة الفاطميين. ويطلقون على هذه النار اسم "السامور".

الإسلامي ، مثل أنَّه اليوم الذي نزل فيه آدم مِن الجنة ، واليوم الذي نجّى الله فيه إبراهيم مِن النار ، وموسى ومَن معه مِن فرعون ، وكُلّ ذلك حدث مِن أجل إبعاد المسلمين عن ذكرى عاشوراء الحقيقية وما حدث للحسين وآله في كربلاء .

ومِن ثَمّ .. فإنه ليس هناك تناقض بالمعنى المعروف ، والمطلوب هو التركيز على الملحمة الكربلائية يوم عاشوراء وإعطائه الأبعاد الحقيقية للثورة ضد الظلم.

ليس هناك بَيْن المسلمين الآن مَن يرفض ثورة الحسين إلا المستكبرون، كما أنَّه ليس هناك كاره للحسين مثلما كان يفعل الأمويون ومَن جاء بعدهم، وكُلّ ما في الأمر أن احتفال بَعْض المسلمين بيوم عاشوراء بُنِي على أسباب خلافية فقهية لأنهم أخذوها مِن مصادر اعتبروها صحيحةً في نظرهم وهو نفس الميراث المسكوت عنه في التاريخ الاسلامي ! .

الشيخ جواد الخالصي:

الشرق يحزن لأنه يفهم عاشوراء من وجهة نظر محدودة وهي مأساة الحسين وأهل البيت عليهم السلام ، والمغرب يفرح لأنه عيد الهجرة أو بداية العام الهجري أو مناسبات ذُكرت عن عاشوراء قبل الإسلام وبعده. والحقيقة أن هجرة الحسين من المدينة إلى مكة ومن ثم إلى العراق وكربلاء هي استمرار لهجرة جده الحبيب من مكة إلى المدينة ونحو نفس الهدف وهو إحياء أمر الأمة بإقامة العدل تحت راية الإسلام. وكل إنسان يفرح للهجرتين لأنهما أحيتا الدين الحق ، ويحزن للجوانب المأساوية التي أصابت النبي وآل بيته الطاهرين فيهما. فما ذكر مؤمن مصائب النبي وآل بيته ، خصوصاً مصيبة الحسين التي أبكت رسول الله في حياته ، إلا استعبر وبكى.

د.سهيل زكّار:

عاشوراء هي ذكرى. أنا دائماً مع الحزن مع ما حدث. لكن الحياة أكبر من الحزن ، والحياة هي عطاء واستمرارية ، ودروس ومواعظ. وأنا أتعامل الآن مع ذكرى عاشوراء ، من خلال دروسها وليس بمجرد ممارسة نوع من أنواع الطقوس ، مجالس العزاء وغير ذلك. لابأس إذا استخدمت هذه المجالس

في سبيل حث النفوس، لكن لا عمليات وصم وكرنفالات وتسييل للدماء وتعذيب للجسد. هذا لم يعد يصح وما أظن أن الإمام الحسين لو شاهد هؤلاء الناس وهم يفعلون ما يفعلونه سيكون راضياً.

إن علينا لتخليد المناسبة إستخدام أدوات معاصرة مستوحاة من الرسالة والفكرة. إن الإمام الحسين حمل عقيدة ولم يحمل سوطاً ليضرب جسده، والإمام الحسين قدم الجسد في سبيل الرسالة واستُشهد. لاحاجة لتعذيب الجسد. أنا بحاجة إلى الجسد القوي المتين في سبيل الجهاد وفي سبيل البناء والعطاء. لا يجوز أن نحوّل ذكرى كربلاء إلى مجرد طقوس. كربلاء ذكراها ينبغي أن تكون تجديداً بناءً لإعادة التمسك برسالة الإسلام. نحن نحتاج إلى ما يمكث في الأرض، وما مكث خلال هذه القرون المديدة هو رسالة الإمام الحسين ورسالة الإسلام.

الأستاذ أحمد جبريل:

عاشوراء الفرح والعيد الذي هو مقدس عند المسلمين، يوم نجاة سيدنا موسى عليه السلام من طاغوت مصر. بعد المواجهة التي تمت بين موسى وهارون من جهة وبين فرعون من جهة أخرى وما يمثل ذلك من مواجهة وصدام بين الحق الناصع الذي جاء به النبي موسى وبين فرعون يمثل الظلم والطغيان... وما تكبده أتباع موسى عليه السلام من تعذيب واضطهاد على يد فرعون من ذبح الرجال واستحياء النساء وسومهم سوء العذاب... ثم المنة الإلهية عليهم بالخلاص من البلاء الفرعوني العظيم.. وفي النتيجة كان انتصار الحق على الباطل، انتصاراً لدين الله.

ويوم عاشوراء المشرق الإسلامي يوم الحزن والعزاء، على سيد الشهداء ومن معه من آل بيته وأصحابه والبلاء الذي لحق بهم من تشريد وترويع وتعطيش، وحصار على يد أدعياء الإسلام. وعبيد الحاكم الجائر المارق على الدين، والمواجهة غير المتكافئة بين الحق الذي يمثله الحسين وأصحابه والباطل يمثله يزيد وأتباعه، وانتصار حق الحسين عليه السلام في إصلاح أمة جده وصبره على

الأذى وصموده في المواجهة وتمسكه بالعقيدة التي تهون أمامها النفس والأهل والولد، لهو في حد ذاته انتصار للحق وانتصار لدين الله الذي يختلف عن المشهد الأول ولكن بمشهد الحزن.

والطريق للخروج من هذه الإشكالية على حد تعبيركم. رغم إنها من وجهة نظري ليست إشكالية. بل هي صورتان ومشهدان لانتصار الحق على الباطل أحدهما مشهد محزن، والثاني مشهد مفرح، وكلا المشهدين مرتبطان بالمشيئة الإلهية. ﴿لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا﴾ في الحالتين والمشهدين السابقين نصر للإسلام... هو أن يحتفل المسلمون في جميع بقاع العالم بهذين المشهدين، في يومين متتاليين يوم حزن ويوم فرح.

السيد حسن النوري:

إن ما صنعه الأمويون من اعتبار يوم مقتل الإمام الحسين عليه السلام عيداً لهم ترك أثره على بلدان بعيدة في السكنى والتواصل مع حقيقة النهضة الحسينية، وليس ما يفعله أولئك من عيد أوفرح منطلقاً من روح عدائية للإمام الحسين عليه السلام وثورته، بل هو نابع من جهل للأصول التي كرست هذا الابتهاج، يكفي لتغيير هذا الوضع إن نبيّن أساس هذا الفرح والاحتفال، وهو أساس أموي باطل، ونركّز على فظاعة ما جرى ذلك اليوم (يوم العاشر من محرّم) ولن نجد مسلماً يدرك إن هذا اليوم هو يوم مقتل الإمام الحسين يشعر بالهناءة والبهجة، فضلاً عن أن يحتفل ويظهر الفرح والسرور لأي مناسبة...

ولن نحتاج إلى زيادة بيان في ما ورد وروي عن النبي والعترة الطاهرة في محبوبية إظهار الحزن والشعور الوجداني بالمأساة، والتفاعل مع الحدث من أجل إشباع الجانب العاطفي أولاً وللحصول على الثواب والأجر والبركة..

وإنما كان سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام من كبار الشافعين يوم القيامة لأنه مصدر إلهام وهداية في الدنيا، وببركة كلماته وسيرته تزداد علاقة المسلمين بأهداف الإسلام التي دافع عنها الإمام الحسين، فهو شفيع هداية في الدنيا وشفيع بركة ومغفرة يوم القيامة، كما يقول صاحب ظلال القرآن في

تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾(غافر، ٥١)

الأستاذ ادريس هاني:

عاشوراء التي أصبحت مناسبة للتذكير بمقتل أبي الأحرار وأهله، وبمصابهم الجلل، لا يمكنها إلا أن تكون عاشوراء الحزن.وأعتقد أنه لا بد من التدقيق أكثر في السؤال. فليست عاشوراء حزينة عند كل المشارقة، كما أنها ليس عاشوراء عيد الفرح عند كل المغاربة.ففي المغرب هناك ثقافة متعددة وطقوس متعددة تعبر عن نفسها في عاشوراء بأساليب متعددة.وأنا شخصياً لا أعرف من فلسفة حقيقية وتبرير معقول للحالة العيدية لعاشوراء في بعض الطقوس الغرائبية في المغرب الإسلامي.إن للحسين وعموم البيت العلوي في الوجدان المغاربي مكانة خاصة هي نفسها التي جعلت منا حسينيين لم تزدنا تجربتنا المعرفية الأخرى سوى بصيرة في هذا الإحساس . وأنا شخصياً لم أكسب وجدانيتي الحسينية سوى من فطرتي المغربية وليس من جهة أخرى ؛ ثق تماماً! فالذين يحتفلون ويضربون الدفوف في بعض مناطق المغرب مثلا ، لا يتصورون الموضوع .ولا تحضر عندهم مصيبة الحسين كما تحضر عند أغيارهم. ولا هم يحتفلون بمقتل الحسين، حاشا أحداً يفعل ذلك في مغاربنا المعروفة بحبها لآل البيت الأطهار. بل هم يجهلون عاشوراء ولا يعرفون مصدر هذه الاحتفالية العيدية ولا موضوعها.وحتى لو عرفوا أن في هذا اليوم قتل الإمام الحسين ، فلا يستطيعون الربط .فالمسألة ليست منطقية أو معرفية بل هي سوسيولوجية وثقافية ، ومن هنا مفارقتها. إن عاشوراء عند هؤلاء هي مجرد عيد يتعلق بمكانة "اليوم" المذكور في ذاته ، كيوم له قدسيته .ولهذا الجهل والغفلة بعاشوراء بمدلولها الكربلائي، سبب تاريخي ، لا أخفي أن تكون آثاره يزيدية.وبما أن المغاربة لا يمكنهم أن يقبلوا بالإحتفال والشماتة بمقتل الحسين ، فإن سياسة التجهيل التي استبعدت الموضوع الحقيقي للاحتفال، وأبقت عليه كطقس غامض يمارس بلا وعي.كانت تدرك بأن محاولة إقناع المغاربة بجعل

يوم مقتل الحسين عيداً للفرح والأهازيج دونه خرط القتاد. لكن هناك تعبيرات أخرى وإن لم تكن في حرارة الطقس الأول ، إلا أنها تستحضر الوعي بالموضوع العاشورائي، والحزن على مقتل ابن بنت النبي.وهذه الشرائح الواسعة لا تظهر لأنها تكون في حالة انزواء وحزن ولا تخرج إلى الشارع ولا تشعل ناراً ولا تصب ماءاً..المهم المسألة هي مجرد طقس ثقافي يمارس هنا من دون استحضار لموضوعه التاريخي.إنها مسألة وعي مرة أخرى.وهي المفارقة التي تجدها في تعبير آخر ، حيث تتقاطر شرائح واسعة في المولد النبوي على إحدى الأضرحة، وبدل أن يكون يوما للفرح والأهازيج يتحول إلى يوم ضرب الرؤوس بالسكاكين واستقبال القدور بالهامات وأكل الشوك وافتراس الماشية وما شابه من ألوان الطقوس. فهل يقال أنها حالة دموية لاستقبال ذكرى المولد النبوي. لقد قلت سابقا أنها طقوس اجتماعية تستقي رمزيتها من الوجدان الشعبي والثقافي ، وفي هذا الإطار، يغلب اللاوعي على الوعي وتستبد المفارقة.إنني أعتقد أن المخرج من اللامعنى في الطقس الاجتماعي، هو بتكثيف الوعي بمضمونه وفلسفته . وهذا في ظني أمر ممكن اليوم. والشعوب العربية سوف تتعلم الكثير عن عاشوراء، وستخرج من سبات اللاوعي واللامعنى في ممارستها وطقوسها الشعبية.وهذا أمر ممكن.

■ ■ ■

المحور السادس:

عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام
لتقويم المسيرة الإسلامية

التاريخ الإنساني مثلما هو حافل بعناصر الخير، فإنه مليء بعناصر الشر أيضاً. والرسالة الإسلامية شأنها شأن الرسائل السماوية الأخرى، ابتليت بأناسٍ أوتوا حظاً معينا من الذكاء، لكنهم عوضاً أن يوظفوه في المجالات التي تخدم الأمة وتعزز في نفوس أبنائها عوامل الإيمان و القوة والاتحاد، انعطفوا بما عندهم إلى آفاق أخرى بعيدة عن الدين والتقوى والورع، الأمر الذي جر ويلات كبرى على الإسلام والمسلمين على مر العصور.

لقد أخذ البعض على الإمام علي (عليه السلام) في زمانه أنه أقل دهاءً من معاوية بن أبي سفيان فما كان رده عليهم إلا رد الإنسان الرسالي المؤمن النبيل عندما قال: (ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر) "نهج البلاغة". وراهننا المعاصر وقد يكون المستقبل كذلك، عرضة لمثل هذه الابتلاءات، ما يدعو أبناء الأمة الإسلامية إلى أن يكونوا على مستوى مطلوب من الفطنة والحصافة للتميز بين الحق والباطل عند الفتن والمفاصل الصعبة والمعقدة.

إن ما يشهده العراق بعد مرحلة الإطاحة بالطاغية صدام، من فتنة واضطراب وتناحر، يجعلنا أمام مسؤولية معرفة من هم الدهاة الغادرون الفجرة الذين لا يتورعون عن تسعير أوار الاقتتال الداخلي بين أبناء الوطن الواحد. ومن هم دهاة العصر الذين تحالفوا مع الشياطين وسخروا أنفسهم لتمزيق الأمة في وقت هي أحوج ما تكون فيه إلى الألفة والمودة ووحدة الصف أمام التحديات الاستكبارية الراهنة. وانطلاقاً مما مضى جاء السؤال الآتي:

- إذا كان دهاة الزمن الماضي استطاعوا حرف الرسالة عن مسارها الصحيح وتحويل الحكم الاسلامي الى ملك عضوض، فمن هم دهاة هذا الزمن وما هو هدفهم في معاداة الرسالة الاسلامية ؟

د.علي أبو الخير:

لا يمكن تسمية أشخاص بعينهم بأنهم دهاة الزمن الحديث ، ولكن أفعالهم وأقوالهم تشي بهم ..

منهم مَن قال : إن خطر الشيعة يفوق خطر اليهود .

ومنهم مَن زعم أن الشيعة يريدون تأسيس هلال شيعي في منطقة الهلال الخصيب .

وأكثرهم يعمل جاهداً على تغيير مسار التاريخ ويتخذ شيعة العراق مطيّةً لاتهاماته .

شيعة العراق أغلبية في العراق وإن ظلوا أقليّةً داخل دولة الخلافة العثمانية ، ولذلك لَمْ يحكموا أنفسهم معظم تاريخهم ، وعندما تأسس العراق الحديث اعتبر السنة أن الحكم مِن حقهم على هذا الاعتبار التاريخي ، وعندما تعرض شيعة العراق للظلم والاضطهاد والقتل الجماعي لَمْ يحدث أن نقد دهاة الزمن الحديث ما كان يقوم به صدّام حسين .

لقد تحالف العرب مع الأمريكان بَعْد حرب الخليج الثانية ، فبينما حمت أمريكا الأكراد في الشمال عام ١٩٩١ ومنعت صدّام مِن محاربتهم تركته يقتل الشيعة في نفس العام فيما يُعرف بالانتفاضة الشعبانية تحت صمت عربي ودولي مريب .

والآن يقولون بأن شيعة العراق يستقوون بإيران ، ولا يقولون إن السنة يستقوون بميراثهم التاريخي الفكري والعسكري ، رغم أن الهم الإسلامي عام ومشترك .

الشيخ جواد الخالصي:

إنَّ أهداف دعاة الرسالة الإسلامية واحدة بين الماضي والحاضر، وإنّ الدهاة أو البلهاء في الحقيقة لمعاداتهم الحق والهدى، هم أنفسهم في الماضي والحاضر. فالإسلام يريد العدالة وهم يريدون التسلط بالظلم والعدوان، والإسلام يريد المساواة، وهم يريدون الإستئثار والإستحواذ، والإسلام يريد الإخاء بين البشر وربطهم بعبادة الإله الواحد الأحد، وهم يريدون أن يميزوا بين البشر على أساس

العرق أو اللون أو الولاء والإتّباع تحقيقاً لمطامعهم. والخلاصة هي أنَّ الإسلام يريد ربط الإنسان وتكريمه من خلال علاقته بالله الخالق الواحد، وهو مبدأ التوحيد، وهم يريدون نسيان الله والآخرة وربط الإنسان من خلال تسخيره بالمصالح المادية الخانقة، وبحياته الدنيا فقط وإبعاد البشر عن فهم حقيقة الحياة وأنها ممر إلى الحياة الآخرة الباقية، وأن الدنيا هي مزرعة يحصد الإنسان بعدها عمله الصالح في الحياة الدائمة.

ومن خلال هذا المخطط القديم والحديث، يجري الإساءة إلى أبناء الأمة، ومن خلال ذلك تجري الإساءة إلى الإسلام ورسالته، تارة بمهاجمة الشيعة واتهامهم بالارتباط بالمشروع الاستكباري الخطير في العراق، مستغلين وقوع البعض في مخاطر ذلك المخطط، مستغلين جراحات الناس، وآلامهم وصمت بعض الرموز في تحقيق ذلك الهدف الخطير. أو أن يُتهم أهل السنة [مع التحفظ على التسميات سنة وشيعة] بأنهم من أتباع النظام السابق دون تفريق بين ضحاياهم على يد ذلك النظام وصانعي المأساة منهم، وهم ليسوا وحدهم في ذلك الدور، أو أن يُتهم أهل السنة في تحقيق أهداف المشروع الاستكباري في لبنان، والحكام المحسوبين عليهم في العديد من الدول العربية والإسلامية، وهذا كله يتناقض مع مبادئ العدالة التي ينادي بها الدين، والمبادئ التي قامت ثورة الحسين على أساسها.لأن الذي يمثل المبادئ هو من يتمسك بها، لا من يناقضها ويعمل بطريقة تشوهها وتسيء إليها.

فإذا كان هنالك من حوَّل الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض (اللفظ وارد في حديث نبوي، وهو يشكل واحداً من إعجازات النبوة)، فإننا يجب أن نحذر من أولئك الذين يحولون ثورة الحسين وسيرة آل البيت عليهم السلام إلى وسيلة استئكال واسترزاق بآل البيت، ما يؤدي بالنتيجة إلى تشويه صورة هذه المدرسة العظيمة التي تمثل أصالة الإسلام، كما يجب أن نحذر ونتنبه ممن يريد استغلال هذه الممارسات للإساءة إلى أهل البيت منطلقاً من دوافع نفسية حاقدة ومواقف متشنجة مسبقة.

الأستاذ حسين شرف الدين:

منذ الإيجاد الأول، والإنسان يعيش تجربة الصراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر، ومنذ أن امتحن آدم بالمواجهة في أمر السجود واللاسجود له، والأمر وعلى مرّ مئات الآلاف من السنين مازال في الذهن العام يعتبر تجربة بشرية لأن الانسان لم يتخذ موقفاً نهائياً، وإنما يعيش الامل بالوصول يوماً إلى نهاية الصراع بالقول: للباطل ألف جولة وللحق صولة. ويعيش فكرة المخلّص الذي يملأ الأرض عدلاً، هذا في من يؤمن بالغيب، ومن لا يؤمن، فله اعتقاده بأن الصراع دهري وبه يتحقق التطور والتغير. وكل ما نعتبره انحرافاً فهو من طبيعة الصراع هذا.

الإسلام مستهدف منذ كان، ولا يجب أن نبحث عن السبب، فالاسلام في تكوينه يفجر الجديد، وما على المسلمين، إلا أن يدركوا مصادر تلك العين التي ﴿يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾.أما أن يسعوا إلى إضاعة الوقت بمحاولة البحث في عقول الأعداء وما يخططون له، فلن يصلوا إلى نتيجة سوى الانشغال بالأطياف ليكونوا هم أهداف تفجير الحقد والمؤامرات. دهاة الزمن أو حمقاه ليسوا شغل الذين يقومون بالعمل الصالح وهم مؤمنون، والعمل الصالح مع التوجه الايماني المطلق، يحفظ من مزالق كثيرة، ومنها أنه يكشف له الكثير من الوسائل والاساليب التي يعمل لها دهاة الزمن، وهم هم في الماضي والحاضر. ويكون من العمل الصالح أن يراقب المؤمن مواقع أقدامه في الميادين المزروعة بالمتفجرات ويستشعر الاجواء السامة.

الأستاذ أحمد الحسن:

طبعاً، استطاع معاوية المعروف بدهائه وسعة حيلته التمهيد لتأمين البيعة لابنه يزيد بالخلافة من بعده من خلال شرائه ضمائر الناس ذوي النفوس الضعيفة، محوّلاً بتصرفه هذا الخلافة إلى ملك عضوض. قاطعاً الآمال بتحقيق حكم ديمقراطي قائم على أساس تداول السلطة وفق مبدأ الشورى الذي نص عليه القرآن الكريم. وبهذا التصرف يكون معاوية قد عبّد الطريق أمام حكم الاستبداد والإنفراد بالسلطة بواسطة القوة.

إنّ هذا الدهاء السياسي قد عانينا من آثاره السلبية في الماضي كثيراً ولا نزال نعاني منه حتى اليوم ولكن بأساليب مختلفة تتلاءم مع ظروف العصر، حيث نرى الحكام يستأثرون بالسلطة ويستقوون على شعوبهم المغلوبة على أمرها بقوى الاستكبار والهيمنة العالمية. وكلنا يدرك مدى معاداة القوى الإستكبارية للرسالة الإسلامية وما تبتكر من أساليب لضرب المسلمين وتعميق خلافاتهم فيما بينهم، كي يبقى المسلمون ضعفاء لا حول لهم ولا قوة. ولعلّ ما يجري الآن في العراق يشكل درساً وتجربة للمسلمين للاتعاظ به وأخذ العبر منه. وإن التركيز على الشيعة والسنة في العراق يخفي مرامي خبيثة وأهدافاً شيطانية كي ينصرف الشعب العراقي إلى الخلافات الداخلية بدلاً من توحيد قواه لمواجهة الاحتلال الأجنبي، والعمل على وحدة الشعب العراقي أرضاً وشعباً وسيادة.

إن حب آل البيت ليس مقصوراً على الشيعة، بل إن السنة لا يقلون في حبهم لآل البيت عن الشيعة. ولكن القوى الاستكبارية تركز على الخلاف كي تمنع الشعب العراقي من الخروج من عقد الماضي والانطلاق نحو المستقبل بإرادة موحدة وعزيمة قوية لبناء مجتمع ديمقراطي يوفر الحياة الكريمة الهانئة لأفراد الشعب العراقي كافة وتحقيق الاستقرار الأمني والطمأنينة النفسية.

الأستاذ أحمد جبريل:

إن دهاة هذا الزمن، الذين يريدون حرف الرسالة عن مسارها الصحيح، هم الحركة الصهيونية العالمية، والدول الاستكبارية وفي المقدمة منهم الإدارة الأمريكية وإسرائيل، الذين ما فتئوا يحيوكون المؤامرات ويحركون الفتن الداخلية في بلاد الإسلام عن طريق عملائهم وأزلامهم من ضعيفي الإرادة الذين تم شراؤهم بحفنة من الدولارات أو بوعد بمنصب، والجهال المضللين من المسلمين. وهدفهم من ذلك واضح جلي هو أن يبتعد المسلمون عن دينهم الحق ولا يقوموا بالعمل بأصوله ويبتعدوا عن سنة رسول الله ﷺ لأن ذلك كله يؤدي إلى فقدان الأمة الإسلامية لثقتها بنفسها، فتضعف إرادتها وتذوي شخصيتها وتتبدد مقاومتها وتتشوه ثقافتها فتصبح تابعاً للصهيونية العالمية وللإدارة الأمريكية، تحركها وسائل إعلامهم كما تشاء، وتوجههم كما تريد، حتى يتسنى لهم تنفيذ

مخططاتهم الرهيبة ومشاريعهم التي تهدف إلى السيطرة على مقدرات الأمة الإسلامية ونهب خيراتها وضمان عدم مقاومتها في المستقبل القريب.

د.عبد الكريم الشبلي:

لم يتورع الاستكبار على طول التاريخ الإسلامي عن توظيف كل الوسائل لحماية عرشه، ولعل أخطرها على الإطلاق: السلاح الفكري والدعاية، فقد عمد دهاة الحكام المسلمين الأوائل إلى وضع الأحاديث لإنفاذ وتمرير مشاريعهم.. والأخطر من ذلك الاستناد إلى نصوص شرعية بما يخدم مصلحتهم وأبرز مثال على ذلك محاجة أبي بكر وعمر للأنصار في سقيفة بني ساعدة بحديث: " الخلفاء من قريش" .. وكذلك الشعار الذي رفعه "لا حكم إلا لله".. ويستهدف هؤلاء سواء عن بصيرة أو لا وعي، أن يفرضوا على الأمّة وجهة نظرهم ويلبسوا عليهم دينهم، وربّ كلمة حق يراد بها باطلا..

إن هذا السلاح تواتر استعماله كثيراً لخدمة الاستكبار. وأصبح اليوم يدرّس في الجامعات ويوظّف العلوم المعاصرة: الإحصاء والإعلام والدعاية والاستراتيجية.. وهذه العلوم التي ازدهرت في الغرب وتفنّن في توظيفها لضرب الفكر والوحدة والوعي للأمة الإسلامية. وإذا تطلعنا اليوم إلى علاقة الغرب بالعالم الإسلامي ككل، فإننا نجدها تنحو إلى اتجاه واحد، مما يفسح المجال لترسيخ نشاط الاستشراق ومراكز البحوث الاستراتيجية التي تعمل من الداخل، دون أن ننسى الحركية المشبوهة للمؤسسات الغربيّة والمواضيع التي تطرحها وسائل الإعلام بشكل مستمر وغير بريء.. هذا الاستكبار العالمي الذي لا تخفى علينا قيوده المكبلة لكل حكام العالم الإسلامي، نراه يستقطب اليوم النخبة المثقفة ويحاول توظيفها بشكل أو بآخر لخدمة وتمرير مشاريعه السياسية والثقافية والاقتصادية، ونحن نجزم أنها لم توضع لخدمة المسلمين وإنما لضرب مصالحهم وحماية الاستكبار والصهيونية..

ويتركز نشاط الاستكبار العالمي اليوم في الساحات الإسلامية المتوتّرة وخاصة في الشرق الأدنى حيث يتم محاولة إشعال النعرات الطائفية، ودغدغة الأحلام القومية لمزيد من تفتيت العالم الإسلامي والإبقاء على حالة الغفلة

والضعف.. مقابل ذلك يتذرع الاستكبار العالمي بكل حيلة لمنع الجمهورية الإسلامية الإيرانية من اكتساب التكنولوجيا المتطورة..

السيد حسن النوري:

قضية الصراع بين الحق والباطل قضية قديمة جديدة، ولأن الباطل لا يستطيع المحاصرة بأهدافه ومشاريعه الحقيقية، لهذا هو يرفع شعارات الحق ليكون بهذا موجوداً طفيلياً يتغذى على طاقات الآخرين، وهو غير أصيل ولا ثابت ولا مستقر، لهذا فهو يستخدم الدهاء والمكر والخديعة والأساليب الملتوية للوصول إلى أغراضه ومطامعه. ورد في القرآن الكريم الحديث عن هذه الخصال {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال}

والحق خط واحد عبّر عنه القرآن الكريم {ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}. أما الباطل فهو متعدد ويجمع اتجاهاته المتعددة مواجهته مع الحق.

لهذا كان النفاق والشرك والإلحاد في جبهة واحدة دخل فيها أيضا من أصحاب الديانات السماوية من باع آيات الله بثمن بخس وقليل.

كان معاوية والأمويون قد خدعوا قطاعاً من المسلمين حين رفعوا شعارات ظاهرها إيمان وباطنها كفر، تستهدف التضليل والتزوير وتحريف الكلم عن مواضعه..

ودهاة اليوم سياسيون ودينيون مزيفون وكفار وشذّاذ آفاق ورأسماليون كبار، جمعهم هدف واحد هو إبعاد فاعلية الرسالة الإسلامية وتشويه شعاراتها والتشكيك في صدقيّة الدعاة إليها ومحاصرتهم والتضييق عليهم، وأعان هؤلاء على مشروعهم الخبيث جهل وغباء حمله بامتياز جملة من خوارج العصر الحديث وتداخلت المصالح والأساليب فأصبح خوارج العصر علي يقين من أنهم اخترقوا جدار المعلومات الحديدي واعتقدوا أنهم يستطيعون الآن أخذ المفتاح.

د.سهيل زكّار:

إلى حد بعيد التغى المُلك العضوض، وقامت محله الدكتاتوريات، والطغيان المدعوم في كثير من الأحيان من الإدارات الأمريكية. فالآن نحن مع رسالة الإمام الحسين لنقف ضد الطغاة والطغيان، وضد أنواع الصليبيات الحديثة والصهيونية، من خلال درس الحسين. لكن دروس الماضي ومن جملتها أو أعظمها درس النهضة الحسينية علينا دائماً أن نتعامل معه استفادةً واستلهاماً. وأن لا نتوقف من النهل من هذا المعين لأنه رسالة النبي المصطفى ﷺ. يكفي أننا عندما نتعامل مع رسالة الحسين، ونتعامل مع رسالة الإمام علي، ونتعامل مع رسالة النبي المصطفى ﷺ فإن هذا يعني الإسلام، بلا انحرافات وبلا غلو. لأن هؤلاء العظماء، هم أكثر الناس جذباً، وأكثرهم كرماً وحلماً وعطاءً. ويكفيني أن الإمام الحسين أعطى دمه في سبيل المُثل، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، ما أكرم الحسين.

د.نعيمة شومان:

مما لا شك فيه، إن الهدف الأول لهؤلاء الصهاينة هو ترويع المسلمين، للوصول إلى القضاء على الإسلام وإبادة المسلمين وذلك، لتحقيق هدفهم المنشود الوارد في بروتوكولاتهم، التي نفذت بحذافيرها على مدى مائة عام، وهو تهديد العالم، وتمكين المسيح المنتظر- حسب رأيهم- من العودة إلى أرض فلسطين، بعد أن كانوا قد صلبوه بأيديهم، فهو يأبى ذلك طالما مازال يوجد -- حسب رأيهم- مسلم واحد على أرض فلسطين.

إن شاربي الدماء، وآكلي لحوم البشر، لا يقنعون بديلاً عن إبادة كافة الشعوب، لكي يعيشوا وحدهم على وجه الأرض فهذه كلها ملكهم كما أشار عليهم ربهم. ولذا فإن زرع الخلافات والضغائن والأحقاد بين نفوس المسلمين، وبين أبناء الجسم الواحد من الطوائف، هو دينهم المعبود وشريعة هذا الدين وإذا كان مجرم العصر جورج بوش الابن، كما يسميه الأميركان، قد سمح، نتيجة الانتخابات الأولى للشيعة بالوصول إلى الحكم في العراق، بحجة حرصه على

الديمقراطية أمام الملأ، فإنه قام – في الواقع - خلال تلك الفترة بتشويه سمعة الشيعة كحكام، من خلال مئات الألوف من الضحايا منهم، وفي نظر الشيعة أنفسهم، لئلا يصلوا ثانية إلى الحكم لعدم حصولهم على الأكثرية.

وبصريح العبارة، إنني أعتقد، كما يعتقد بعض الأساتذة الفرنسيين ومنهم: آلان باركز، أن السيد مقتدى الصدر كان على حق في مقاومتهم وإخراجهم من العراق بقوة السلاح. فالإستقلال يؤخذ ولا يعطى...! كما أن المداهنة، والحرص، والحكمة، لم تعد على العراق وعلى رأسهم شيعتها إلا بالإبادة، وإن الحرب الأهلية التي يحذرها الحريصون على عدم التهور، قد وقعت عليهم وحدهم (من طرف واحد)، من عدو غاصب غدار وجشع، ليس له من هدف إلا القضاء على المسلمين بشيعتهم وسنتهم المتمسكين فعلاً بتعاليم الإسلام.

د.محمود عكام:

لقد استُغِل إسلام بعضنا قبل أن تستغل شيعة العراق أو غيرها ظلماً وافتراءً من أجل الإساءة إلى الإسلام الأصيل، وهذه سنة الله في خلقه، فسيكون هناك أناس من بني جلدتنا يتظاهرون بديننا وفكرتنا ولكنهم يُخفون في أنفسهم عدواناً وكفراً، فهؤلاء منافقون، وطبيعي جداً أن يستغل الكافرون المنافقين ضد المؤمنين، فالله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون .

أكرر لك أيها الأخ القارئ ضرورة الالتفات إلى ذاتك ومن معك ممن يشابهك صادقاً فاعملوا.. وإيانا والالتفات إلى ما يفعله المستغلون فهم – أي المستغلون الفاسدون المفسدون – يضعون في أهدافهم إحداث ضجيج للفت المسلمين الواعين عن مسارهم .

﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾

د.ادريس هاني:

دهاة الماضي عرفناهم كما عرفهم الجميع. ومن لم يعرفهم فلقد استيقنتها نفسه. لكن دهاة اليوم لهم دبيب مثل دبيب النمل.فهم في كل مكان وينحدرون

من كل حدب وصوب.وأهدافهم في تقويض الرسالة المحمدية بينة واضحة .ومحاولتهم النيل والتجديف ضد مدرسة أهل البيت أبين و أوضح.وما أستطيع قوله هنا، أن مدرسة أهل البيت هي من التجذر والمتانة والعمق ، بحيث لا خوف عليها من خصومها.إنما المطلوب والتحدي القائم اليوم كيف نعرف الآخر بالقيم النبيلة التي تنطوي عليها هذه المدرسة. وبأن الأمة الإسلامية اليوم في حاجة لأن تقاد بنهج هذه المدرسة، إن كانت تريد النجاة.ولا أجد ما يمنع من ذلك سوى المكابرة.فقيم الحسين وأفكار الحسين هي التشخيص العملي لجوهر الخطاب الإسلامي.فرسالة الحسين هي خير للأمة كلها.المصالحة مع قيم الحسين والعمل على إخراج الملحمة الحسينية من الخصوصية الطائفية إلى رحابة المحتوى الإسلامي المفتوح ، خير ضامن لنجاح هذه المهمة.إننا لا نرى أن من حق المدرسة السنية أن تفرض على الشيعة أن يتنازلوا ليتحركوا في اتجاهها ، ولا أن يفرض الشيعة على السنة أن يسقطوا بالجملة في نمطهم، ولكن المطلوب والممكن ، أن يتحرك الجميع ليلتقيا معا في تقاطع الوعي بواجب التقارب والوحدة ومصلحة الأمة.

■ ■ ■

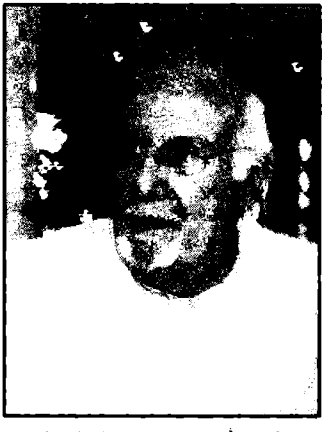

المفكر الأستاذ حسين شرف الدين

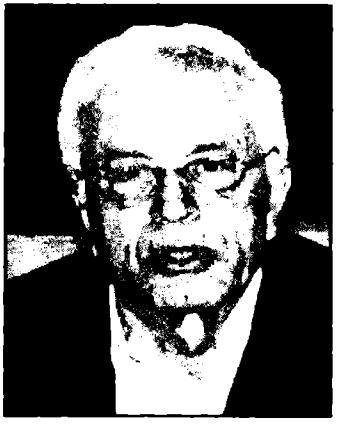

الدكتور زهير غزاوي

الباحث د. عبد الكريم الشبلي

المحور السابع:

الثابت والمتغيّر

في نهضة سيد الشهداء عليه السلام

إن ثـورة الإمـام الحسـين عليه السلام باعتـبارها نهضـة حضـارية راقـية، تتمـتع بمواصفات، أصبحت معروفة بها ودالة عليها، ومتميزة بها عما سواها من حركات وانطلاقات قديمة أو حديثة على المستوى العالمي. من هنا فقد أرتأيت طرح السؤال الآتي لتوضيح ماهية هذه الثورة الرسالية والإيمانية، بما يتصل وقدرتها الخارقة على بعث القيم الأخلاقية والمعنوية والإنسانية، وصولاً إلى الوحدة والتلاحم والتناصر بين بني أمة محمد صلى الله عليه وآله وبني البشر كافة:

- ما هو الثابت وما هو المتغير في ثورة الإمام الحسين عليه السلام؟ وهل يمكن لذكرى فاجعة مروعة كهذه الثورة أن تكون منطلقا لإرساء الامن والسلم والتسامح في أنحاء العالم وكيف؟

د.عبد الكريم الشبلي:

كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام صرخة مدوية عبر التاريخ في ضمير الإنسانية جمعاء. لأن الإمام عليه السلام لم يفدِ نهضة بنفسه فقط، بل أيضاً بأولاده وأهله وأصحابه الذين انتخبهم من صفوة المخلصين في المجتمع الإسلامي.. وشعار هذه الثورة لم يكن السلطة، ولا حتى أي مطلب فئوي ولا دنيوي ضيق، بل كان نداؤه عليه السلام "إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي"، وكانت صيحاته: "هيهات منّا الذلّة". فهذه الثورة هي قبل كل شيء إحياء للخط الرسالي الذي استمات في سبيله الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام، وجوهرها التمسك بالقيم الإنسانية الخالدة والدعوة إلى الحق والعدالة..نجحت هذه الثورة في تقويض عرش يزيد بن معاوية وهدم البيت السفياني، لكن الاستكبار لم يزل قائماً، وهو موجود بيننا، والشعارات التي رفعها الإمام عليه السلام ساهمت عبر التاريخ في خلق ثورات متواصلة أقضّت مضجع المستكبرين وذهبت بعروش آخرين، ولازالت صيحتها مدوية إلى اليوم: "هل من ناصر ينصرنا"، فتستحث همم النخبة الإسلامية الواعية حتى تتحرك على النهج الرسالي الحسيني وتنتبه إلى الاستكبار المتربص بأمتنا وإلى المؤامرات التي تحاك ضدها..

إنّ الثورة الحسينية لم تكن تسعى لإهراق الدماء وهتك الحرمات، بل استنفذت كل وسائل الجدال والإقناع بالتي هي أحسن، بل كان الهدف هو استتباب السلام والقيم السمحاء، ولكنّ هذه المطالب الشرعية تصطدم في كل مرة بالأفق الضيق للاستكبار الذي يقيس الأمور العامّة والخاصة على السواء، من زاوية مصلحته واستمرار أمره، وكأنه من المخلدين!

د.سهيل زكّار:

سيدي، كلمة الثابت هذه لا أحبها، إلا إذا قلنا ما هو الثابت وما هو المتغير في فهم نهضة الإمام الحسين، وأن كل ما في ثورة الإمام الحسين عليه السلام من مبادئ هو ثابت. أما المتغير في الفهم، فهذا تابع للعصور والاجتهادات. أما عندما

نقول: إن في ثورة الإمام الحسين ثابتاً ومتغيراً، فهذا قد يوحي أن فيها تناقضات، في حين أنّ الإمام الحسين ما حمل أدنى تناقضات. كان كله انسجاماً ووحدة وإيمان، وكله فهماً وثباتاً، لأنه في الإسلام والإيمان لا يوجد ثابت ومتغير. ليس لي أن أقول (أشهد أن لا إله إلا الله) وأقف، وأقول: لربما أن محمداً رسول الله هو متغير. هذا كفر. الثابت دائماً هو (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، كله ثابت، وموضة المتغير التي سمعناها من بعض الأدباء، وأُغرينا نحن ببعض هذه الكلمات، أرجو ألا يصير الأمر بأنه كل ما لاح لنا سراب ظنناه ضوءً.

إن الشطر الثاني، أجبت عليه أكثر من مرة. فخروج الإمام الحسين لم يكن فقط منطلقاً لإرساء السلام والأمن، لأنه خرج في سبيل السلام والأمن والعدالة والمبادئ. طالما هي موجودة، وهذه المبادئ هي الإسلام. فالإسلام بتطبيقه كفيل بإرساء الأمن والسلم والتسامح والعدالة. ونحن نقول أن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان، ونزيد على هذا ونقول: لا يصلح زمان ومكان بدون إسلام. كل المجتمعات تتخبط لأنها بعيدة عن الإسلام. والمجتمعات الإسلامية، أشد تخبطاً، لأنها إبتعدت عن الإسلام. والبعد عن الإسلام هو بعد عن رسالة الإمام الحسين، لأن رسالته هي رسالة الإسلام.

د.ادريس هاني:

لا يوجد عندي ثابت غير خاضع لضرب من الحركة، بالمعنى الذي تفيده الحركة الجوهرية.فكل شيء يبدو لك ثابتا فهو يتحرك على نحو من الحركة، بها يتكامل الثابت وبها تتشكل أبعاده فيكسب تعابير شتى تدين لذلك الجوهر.ولذا فإنني لا أتحدث عن ثابت في قبال متحول، بل أتحدث عن ثابت متحول برفع واو العطف، لأؤكد على أن ثمة أحد أحد فقط، لا يخضع للحركة ولا للثبات، وإن كان هو كل يوم في شأن .فهو يتعالى عن الثابت والمتحول في آن واحد.من هنا أرى أن كل ما في نهضة الحسين هو ثابت متحرك.حيث القيم الإنسانية العليا تعبر عن نفسها بمستويات مختلفة وتتحرك في مديات النفوس والاجتماع بمراتب شتى.فالقيم كالأفكار تسبح في أنساق اجتماعية وشروط موضوعية هي ما يمنحها

الشكل الأكثر قابلية للتطبيق والتشخص.وأعتقد أن القيم التي صدرت عنها مواقف وشعارات النهضة الحسينية ،تشكل تعاليم قابلة للتكيف بأشكال مختلفة مع الأنساق الاجتماعية والمنظومات القيمية التي دان بها الإنسان في أوج نضجه الحضاري.نعم ، إذا كان ولا بد أن نتحدث عن ثوابت ، ولو بالمعنى العام ، فإنني أعتقد أن رعونة يزيد لم تعد مقبولة في هذا العصر.وأعتقد أن آخر أرعن كان يملك وقاحة يزيد، هو "صدام" المخلوع، الذي كان يقتل العلماء والفضلاء من مواطنيه صبراً ومن دون أي مبرر.وأعتقد أن هذه الرعونة التي فرضت التحدي على الحسين وأهله، لم يعد لها وجود اليوم. وحتى لو ظلت مظاهر الظلم سارية فإنها لم تعد قادرة على ممارسة الطغيان العاري.وفي مثل هذه الحالة ، فإن أسلوب التعبير عن المطالب العادلة للشعوب أمسى ممكناً دون هذه التراجيديا السوداء التي خلدتها ذكرى شهادة أبي الأحرار.أنا لا أخاف من المستقبل على صفاء القضية الحسينية كما لا أخاف من المستقبل على الإسلام ، لثقتي في عظمة المحتوى وممانعة القضية العادلة، في وجه طوفان التزييف.

الشيخ محمد حسن تقي:

الثابت في ثورة الإمام الحسين عليه السلام يمثل الأهداف الأساسية التي نهض الحسين عليه السلام من اجلها، وهي على سبيل المثال لا الحصر: ١- الثورة على الطغيان.٢- رفض الذل. ٣- المحافظة على المبدأ. ٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ٥- حق الطاعة لولي الأمر.

أما التغيير في ثورة الإمام الحسين "عليه السلام" فيقصد به تغُّير المصداق في مفردات الثورة وعناصرها وزمانها ومكانها.

فمثلاً إن كان يزيد بن معاوية متواجداً في عام (٦١ ه) ويمثل طرف الفساد في المجتمع، فالحسين كان في ذلك الزمان يمثل جانب الاصلاح. هاتان الشخصيتان تتغيران من زمن إلى زمن، ويتغير المكان الذي يستوعب أو يكون مكاناً للحدث حسب الضرورة. فبعد كربلاء الحسين بسنين كانت واقعة فخ وبعدها في زماننا الحالي حصلت واقعة دير ياسين وبعدها مجزرة بحر البقر ومجزرة قانا والآن في العراق.. فبعضها كان في أربعينيات هذا القرن وبعضها في سبعينياته

وبعضها في ثمانيناته وبعضها يجري في أيامنا هذه. إذاً الزمن يختلف والمكان تارةً فلسطين وأخرى مصر وثالثة لبنان ورابعة العراق وهكذا...

والهدف يتطابق تماماً مع تلك الاهداف لكل طرفٍ من واقعة كربلاء، فالعدوان أينما وقع والظلم أينما وقع زماناً ومكاناً يكون مقتدياً بمثلهم الأعلى، يزيد والطرف الآخر يسير على منهج، واهداف الحسين عليه السلام في رفض الظلم والفساد، والصراع قائم.. إذاً هذا ترجمان حقيقي لقول الصادق عليه السلام: " كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء."

أما حركة الحسين والسائرين على هديه فمعروف الغاية منها:

١- سلامة القيم التي يجب أن يسير الإنسان عليها.

٢- حرية الإنسان بممارسة قيمه وعاداته.

٣- نفي الظلم.

٤- الاستقامة في هذه الحياة: " إن كان دين محمدٍ لم يستقم.." إذاً الاستقامة هي الهدف والاستقامة هي النتيجة التي يسعى لتحقيقها الثُّوار الحسينيون المبدئيون..

الشيخ جواد الخالصي:

الثابت في الثورة والسيرة الحسينية، هو الالتزام بالحق في وجه الباطل، والعدالة في مواجهة الظلم، والالتصاق بالكتاب والسنة، في طلب الإصلاح في أمة محمد صلى الله عليه وآله – كما ورد ذلك في نصوص كلمات الإمام الحسين في مسيرته (إني لم أخرج أشِراً ولا بَطَراً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله). فهي استمرار لموقف جد الحسين، خاتم الأنبياء. الذي ينتمي إليه الحسين ويشكل استمراراً له في شخصيته وسيرته ورسالته. أما المتغير فهو الوسائل المتبعة، وبعضها قد إستخدمها الحسين نفسه قبل الثورة، وهي تستند إلى الدعوة والإرشاد وإلى النصيحة والموعظة الحسنة، فليس السيف وحده الذي يحقق الأهداف، ولكن الذي يغمد السيف ويرضى بالذل ويعيش حياة الدعة لا يمكنه أن يحقق أي هدف، لأنه مستسلم وبلا مشروع، فمن ضَمَن حقَّ الأمم في

السيف -المقاومة- يستطيع أن يمارس كل الطرق الأخرى إذا لم يكن هنالك ضرورة لاستعمال السيف ولم يكن من المستسلمين للظالمين، فضلاً عن المحتلين المستكبرين. ومن هذا المنطلق الواعي والواقعي يأتي مسعى بناء السلم والأمن، فالثورة والحرب في نهج القرآن هما لتحقيق السلم والعدل وذلك يرفع الفتنة ومنها الظلم والفساد والإستبداد والعدوان والبعد عن نهج الحق وإتباع ما يخالف الكتاب والسنة، والسير مع أهل البدع وأصحاب القول المخترع.

الأستاذ أحمد جبريل:

إن الثابت في ثورة الإمام الحسين عليه السلام هو أسس العقيدة الإسلامية بكل ما تحويه هذه الكلمة من معاني التوحيد والعبودية والعقيدة والشريعة. والحفاظ على هذه الأسس نقية خالية من أهواء الحكام والسلاطين وعلمائهم ومشايخهم، وتحريك روح الثورة والتمرد على الظالم وعدم الخضوع له ولا بأي شكل من الأشكال" هيهات منا الذلة". وتثبيت ثقافة الصمود والصبر والعزة والكرامة الإنسانية وكان الإمام الحسين عليه السلام المثل والقدوة في ذلك خلال حياته ويوم عاشوراء يوم استشهاده وإلى آخر الزمان بعد وفاته. وستبقى طريق الحسين هي طريق النصر والخلود.

نعم إن ثورة الإمام الحسين تشكل ثورة حقيقية ضد الظلم والفساد والانحراف الفكري وطلب الإصلاح في الأمة الإسلامية بعدما طلب منه والي يزيد بن معاوية البيعة ليزيد في المدينة، ورفض الإمام لهذه البيعة لأنه كان يرى أن يزيداً قد انتهك جميع حرمات الإسلام ومثل الحسين بن علي عليه السلام سليل النبوة لا يبايع مثل يزيد، فطلب يزيد قتال الحسين عليه السلام وواجهه بجيش كبير نظمه عبيد الله بن زياد والي يزيد على الكوفة وفي العاشر من المحرم سنة ٦١ هجري جرت المعركة الفاصلة التي استشهد فيها الحسين ومن كان معه وهم ٧٢ شهيداً من أهل بيته وأصحابه. إن مسيرة الحسين منذ خروجه من المدينة المنورة حتى مواجهة جيش يزيد، والحديث الذي دار والنقاش الذي حدث بين الطرفين والمواقف والحوادث التي حدثت آنذاك حتى استشهاد الإمام الحسين هي منطلق لإرساء الأمن والسلم والتسامح في المعاملة الإنسانية ورفض العنف وتجنب

الحروب، ورفع شعار انتصار الدم على السيف. والنظر إلى الحرب على أنها آخر وسيلة للصمود ومواجهة الطواغيت ورفض الذل والاستسلام، إنه طريق الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها(الإسلام) طريق كل إنسان حر تنجذب إليه الضمائر الإنسانية الحرة. وإن المسلمين اليوم وكذلك الشعوب المظلومة، في فلسطين والعراق وأفغانستان وفي كل البلاد التي يقع عليها الظلم الصهيوني والجور الأمريكي يمكنها الاستلهام من ثورة الحسين ومسيرته وسيرته وتضحيته وصموده ليرسموا مستقبلاً مشرقاً، وحياةً كريمةً بعيدة عن العبودية والاستغلال.

السيد حسن النوري:

الثابت في الثورة ليس هو جسمها المتمثل بأشخاصها المعينين من رجال ونساء وشباب رضع وفتيان، وكهول وشيوخ، وليس الثابت هو أرض المعركة ومكانها وزمانها، بل الثابت هو روحها وأهدافها وشعاراتها وهي شعارات عامة التحقق وهي مطلب الجماهير والشعوب.

ومن عوامل خلود ثورة الإمام الحسين عليه السلام بطولة الثائرين النادرة وشجاعتهم الفريدة ونضوج رؤاهم ودقة تشخيصهم، فهم أهل البصائر، ومن عوامل خلودها كونها غير قابلة للنسيان والفظائع التي حصلت فيها جعلتها في ذاكرة الأجيال.. لأن الأذهان يعلق فيها كل ما هو مثير وبالغ وقد حدثت في عاشوراء أحداث ليس لها مبرر حتى بحساب من يريد القضاء السريع على أعدائه.

هذه الفظائع دخلت أدبيات المسلمين في شعرهم وقطعهم الأدبية وظل الناس يتساءلون عن ذنب الأطفال والنساء والمرضى وهم عاجزون عن المقاتلة. لماذا تقطيع الرؤوس وحملها إلى الشام؟

لماذا حرق الخيام؟ لماذا منع الماء عن المقاتلين وعوائلهم؟

لماذا التنكيل بالأسرى وأخذهم بالقسوة والغلظة؟

إن هذه المقاطعة تدفع الإنسان للتساؤل لماذا حصلت؟

والإجابة لا بد أن تتعرض لذكر الظالمين وأوصافهم وهي تنطبق على ظالمي الأمس واليوم وغداً.

ولماذا ثار الامام الحسين وأصحابه وأهل بيته؟ من أجل الإنسان والعدل والإسلام.. ما هي أهداف الإمام الحسين عليه السلام ؟ سيكون في رأس قائمة أهدافه :

- الإصلاح
- إشاعة الأمن والسلام
- تحقيق روح العدالة، ورفض التجزئة الاجتماعية

هذا كله بعملية تشبه تداعي المعاني يوصل إلى رأس الخيط هناك عدل وظلم وحق وباطل، فمع من تكون؟

الأستاذ حسين شرف الدين:

الثابت في ثورة الامام الحسين عليه السلام هو (البذل في سبيل الله)، والمتغير هو آلية البذل، وتحدد حسب الظروف المقتضية، وطبيعة ما يبذل لأجله. وهنا علينا أن ننظر إلى ما لأجله كان البذل. إنّ المبدأ الاسلامي في باب الدفاع أن الخوف على الاسلام أو على الارض أو العرض والمال والحدود من موجبات الدفاع، ومن يموت أثناء الدفاع فهو شهيد.

في ما تقدم من إجابات، كان الظاهر فيه الخوف على الاسلام لو تولى يزيد الحكم. فوجب الدفاع، وكان واضحاً عند الامام الحسين عليه السلام هذا الوجوب منذ اللحظة التي دعي فيها للقاء الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي يزيد على المدينة، إذ تحسب الحسين عليه السلام بأن أخذ معه ثلاثين شخصاً من أصحابه وغلمانه، وأوقفهم على باب الوالي ليقحموا الولاية إذا سمعوا صوته يرتفع، ولكنه سلام الله عليه أنهى اللقاء بالقول مثلي لا يبايع مثله... وخرج.

هذا المشهد هو التعبير الكامل عن الموقف الثابت لوقائع مثبة تؤكد الخطورة على الاسلام، أما الآلية أو الاساليب التي تعتبر من المتغيرات لأنها تراعي ظروف السير في طريق الثابت، فكان له سلام الله عليه عدة محاولات حتى لا يبلغ الخصوم مرامهم، إذ جعجعوا به الدروب، وسدوا أمامه كل إمكانية تحاشي الصدام المُسلّح. فظروفه الموضوعية غير مساعدة على فتح المعركة في ذلك الحين، فعمل على كسب الوقت ليجري متغيراً مناسباً وإذ سدت السبل

لم يكن له إلا أن يمارس الاسلوب الذي لا بد منه، وهو الشهادة.

أعود للتأكيد بأن علينا أن ننظر إلى ما نريد نحن وليس إلى ما يرضي الآخرين، ونحن أدرى بما عندنا وما يجب، وعلى الآخرين أن يفهمونا بما عندنا وليس بما يرسمونه لنا.

د.محمود عكام:

الثورة الحسينية كفعلٍ حسيني فهي ثابتة كلها ولا متغير فيها وعلينا أن نعرفها كما هي وأن ندرسها على حقيقتها، ولا شك في أنها كانت ولا تزال منطلقاً لإرساء الأمن والتسامح، وحين نقول هذا نحيل – المستغرب والمتسائل – إلى مقولات الإمام الحسين التي صدرت عنه قبل الثورة وأثناءها وبعدها مثل: (لعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذات الله) وكقوله : (إني لم أخرج بطراً ولا أشراً وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد ﷺ)، وغيرها كثير، وما أحوجنا يا أخي إلى قراءة متمعنة جادة لهذه ((الثورة)) المنهجية الإنسانية الساعية إلى بناء الإنسان وفق قيم العدل والأمان والسلام والاطمئنان. لقد قدم الإمام الحسين ((دمه)) فداء لدماء كثيرة حقنها، وأعطى((رأسه)) ليكون منافحاً عن رؤوس الإنسانية كلها وهي تمتلئ معرفة وعرفاناً وقدرة على المواجهة بالكلمة الصادقة الجريئة المخلصة .

د.زهير غزاوي:

الثابت والمتغير في ثورة الإمام الحسين يمكن تلخيصهما فيما يلي:

الثوابت أساساً تمثلت من خلال ما شرحه الإمام الحسين عليه السلام عبر أقواله المنقولة تاريخياً والثابتة صحتها ويأتي على رأسها ثابت الإصلاح. فقد قال الحسين عليه السلام: لقد خرجت من أجل الإصلاح في أمة جدي، ولم أخرج أشراً ولا بطراً . والإصلاح يعني مكونات النظام السياسي الإسلامي بكامله بدءاً من شكل السلطة التي تحولت إلى ملك عضوض بديلاً عن الشورى المعتمدة في هذا النظام حتى ولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. ورغم اعتقاد مدرسة أهل

البيت بأن الخلافة محصورة في الإمام علي والأئمة من أولاده، فقد تعاون الإمام أمير المؤمنين مع الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه ومنحهم الشرعية إلى أن قامت الحرب الأهلية ضده عندما تولى السلطة عام ٣٥ هـ، ومن ثم نجاح رأس الأسرة الأموية معاوية بن أبي سفيان في الاستيلاء عليها باتفاق مع الإمام الحسن عليه السلام بعيد اغتيال الإمام علي عام ٤٠هـ على أن تعود الخلافة إليه، بعد وفاة معاوية.

لقد جاءت خطوة معاوية بن أبي سفيان في التوصية بالخلافة لابنه يزيد التي رفضتها الغالبية العظمى من أهل الحل والعقد، ونعني بهم الصحابة الكبار، حدثاً أثار الفتنة في الدولة الإسلامية، خاصة في طريقة الحصول على البيعة وإقصاء الرموز الكبرى منهم وإجبارهم على البيعة عن طريق التهديد، وهكذا انتشر التمرد في الولايات ضد المركز في دمشق، وبدا أن الإسلام المعتمد كأساس للنظام، يتعرض للتحريف والتشويه، خاصة وأن الخليفة يسعى إلى تشويه السنّة النبوية عبر التشجيع على وضع الحديث وإخفاء كل النصوص التي تمنح الشرعية لرموز أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

إن الثابت الآخر البالغ الأهمية كان الحفاظ على جوهر العقيدة الإسلامية من التحريف وإثبات مقولة رسولية هي: لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقد عرف عن يزيد بن معاوية انحلاله الخلقي وبعده عن الإسلام وتشجيعه للنعرات القبلية التي استطاع الإسلام أن (يهدئها) في عهد الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين تمهيداً لصيانة الأمة الإسلامية الموحدة. لقد اعتبر الإمام الحسين أنّه مسؤول عن إعادة العقيدة إلى أصولها الرسولية لأنه مؤتمن على ذلك، ولم يكن أمامه من سبيل لتحقيق هدفه إلا الثورة، كآخر الحلول، حتى وهو يعلم بانعدام توازن القوى مع مركز دمشق.

الثابت الثالث إذاً هو إقرار نظرية الثورة كوسيلة للإصلاح في العقيدة الإسلامية، ومعروف أن هذه النظرية تحديداً واجهت في الفقه الإسلامي، عبر ضغط السلطات المتعاقبة على الفقهاء، جدلاً كبيراً إلى درجة الرفض القاطع إسلامياً من قبل فقهاء أهل السنّة والجماعة، كما رأينا عند الماوردي والغزالي وغيرهم، بمعنى عدم شرعية الخروج على (الحاكم المتغلب).

أما المتغير الوحيد الذي أفرزته ثورة الحسين ومأساة كربلاء التي قتل فيها هو وأهل بيته جميعاً ما عدا الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام أنه لم يطرح نفسه بديلاً شرعياً وحيداً كخليفة للمسلمين، فهو ورغم إيمانه بشرعيته من خلال أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله الشهيرة، كالمباهلة والغدير وغيرها، فقد (عَلِمَ) أن الخلافة لن تؤول إلى سلالة أهل البيت في زمن قريب، وهو ما أكده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فيما بعد، والأحاديث الصحيحة عن خروج الإمام المهدي(عجل) في آخر الزمان ليتولى السلطة ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وتأكيد الصادق أن السلطة ستكون في بني العباس، لهذا لم يرشح من النصوص اصرار الحسين على أنّه قام بثورته من أجل أن يتولى الخلافة (اشراً أو بطراً) وأن هدفه الرئيسي ليس ذاته، بل الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي ببساطة: إثبات الإيديولوجيا كدستور للدولة دون تحديد ضرورة ولاية أهل البيت كهدف للثورة، وهو ما برز من خلال ما نقله التاريخ من أقواله أثناء وقبل المفاوضات مع جيش بني أمية القادم لقتله، وهو ما أكده علماء مدرسة أهل البيت، ولعلّ أحدثهم العلامة محمد مهدي شمس الدين رحمه الله وغيره من أبحاثهم.

إنّ هذا المتغير الذي برز من خلال أدبيات كربلاء أكدته مجريات الأحداث حتى الغيبة الصغرى عام ٢٦٥هـ، وكان ذلك متداولاً من خلال الأحاديث النبوية التي اعتمدها علماء مدرسة أهل البيت وغيرهم في شأن (الغيبة) والظهور في آخر الزمان، فقد أكد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام على سبيل المثال أنّه لن يتول الخلافة رغم أن المأمون العباسي نصّبه ولياً للعهد، ثم قام العباسيون باغتياله في منطقة طوس التي دفن فيها. وتسمى اليوم بمدينة مشهد.

لقد ترك الإمام الحسين عليه السلام مسألة تداول السلطة في الدولة الإسلامية مفتوحة على الاحتمالات كافة ، حتى وهو يؤكد شرعية وإسلامية خروجه وحقه في الخلافة، وبذلك أثبت واقعيته السياسية حفاظاً على المصلحة الإسلامية العليا. هذا الأمر بالتأكيد فتح مجالاً شرعياً لتهدئة الجدل حول قضية

تداول السلطة وترك الأمر مفتوحاً لنظرية الشورى من جديد لتأخذ مداها في الاجتهاد الفقهي في قضية النظام السياسي الإسلامي. بديلاً عن استنزاف سلالة أهل بيت رسول الله في مسائل الصراع والخروج ونزف المزيد من الدماء، ورسخ بذلك السلم الأهلي والتسامح عندما حيّد تلك السلالة وأبعدها عن هذا الصراع، رغم أن ذلك لم يتحقق بعد ذلك كما أراد، لكن الحسين قام بواجبه في تحديد الثوابت والمتغيرات حفاظاً على الإسلام بالدرجة الأولى في دولة كانت تسيطر على العالم القديم في زمن من الأزمان حتى انهيار الدولة العثمانية.

د.علي أبو الخير:

كُلّ ما جاء في ثورة الحسين ثابت مِن منطلق مفردات الثورة، ولكنها متغيرة في الأسلوب والإمكانات المتاحة لتفجير طاقات أي ثورة جديدة، وفاجعة الإمام الحسين في كربلاء قَدْ يمكن أن ترسي السلام والأمن في المنطقة والعالم؛ لأن التصدي للظلم والاستكبار وهزيمته تمنعه مِن محاولاته المتكررة في التصدي للإسلام، وهذا يتوقف على التوحد والتقارب بَيْن المسلمين إن لَمْ يكن في استلهام كربلاء في الذاكرة فليكن في استلهام الحسين مِن الذاكرة والضمير التاريخي لأمة الإسلام.

■ ■ ■

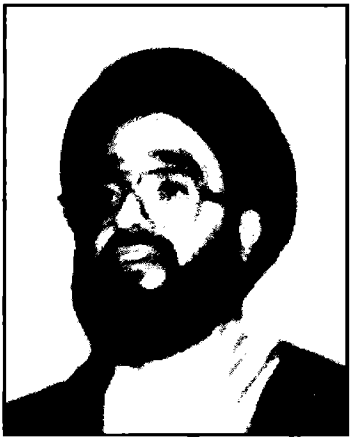

سماحة السيد محمد الموسوي

فضيلة الشيخ جواد الخالصي

الدكتور إدريس هاني

المحور الثامن:

عاشوراء بين الماضي والحاضر

كيف يمكن توظيف عناصر الثورة والإفادة منها في معركة الإسلام مع الكفر الدولي ؟

إنّ الثورة الحسينية تقدم لنا في هذا السبيل دروساً وأسئلة كما أجوبة محددة إزاء وضع كهذا على أن المعركة بين الحق والباطل ستبقى خالدةً خلود الحسين الشهيد وهو حَدَّد على الأرض عناصر المواجهة ومقياس الحكمة وشروط الحاكم وهنا نحيل السؤال القادم على ضيوفنا كي ينهلوا من الثورة أهدافها ومن الحسين روعة وقداسته إيمانه .

- الآن وقد زالت بواعث معاداة بني هاشم تاريخياً في ما يتصل بالإمامة وكل ما يرتبط بها ومنها ثورة الإمام الحسين عليه السلام، فما هي تصوراتك لعرض أهداف ملحمة عاشوراء بلحاظ التحديات الاستكبارية الراهنة المتربصة بالإسلام وبني أمة محمد صلى الله عليه وآله كافة؟

السيد كامل الهاشمي:

قضية الإمام الحسين عليه السلام ونهضته هي أكبر من أن تختزل في قضية الصراع بين بني هاشم وبني أمية، وهي أيضاً أكبر من أن تختزل في لحظة تاريخية أو زمنية معينة، نعم .. للصراع بين البيتين الهاشمي والأموي رمزيته التي تحكي عن واقع الحرب المستعرة على الدوام بين معسكر الحق والخير والفضيلة من جهة، ومعسكر الباطل والشر والرذيلة من جهة أخرى، ولكن ما أرادت الثورة الحسينية فعله في الواقع البشري هو أن تتجاوز بالإنسان حدود التاريخ والأشخاص والمسميات والأماكن لتفصح له عن ضرورة فهم عملية الصراع بين هذين المعسكرين بوصفها حالة قائمة على الدوام في واقع الإنسان، وأن المطلوب منه دائماً أن يتخذ موقفاً حاسماً تجاه هذا المعسكر وذاك، من دون أن يلجأ إلى الفرار من مواجهة مقتضيات الحرب والصراع.

ووفق ذلك، لا يمكن للثورة الحسينية أن تنفصل -بمفاهيمها وقيمها ومبادئها وصورها- عن خدمة مجتمعاتنا المسلمة المعاصرة في ما توجهه من حرب ضروس من قبل قوى الاستكبار العالمي، بل لا ثورة تمتلك القدرة على العطاء في هذا المجال بشكل خاص، كثورة أبي الأحرار سيد شباب أهل الجنة الحسين الشهيد عليه السلام، فمن ثورة الحسين عليه السلام نتعلم كيف ندافع عن الحق ونتمسك به، ومن ثورة الحسين عليه السلام نتعلم الإصرار على الموقف والثبات على المبدأ، ومن ثورة الحسين عليه السلام نتعلم الوفاء للقيم والجهاد في سبيل العقيدة والدين ... وهذه هي القيم التي حينما تترسخ في حركة أيّ مجتمع بشري فمن المحال أن يفتقد العزة والكرامة لأن الله تعالى يأبى له ذلك، كما قال الحسين عليه السلام يوم خير بين الحرب والشهادة في سبيل الله تعالى، وبين الدعة والسكون والرضى بالذل والهوان فقال قاصداً ابن زياد رئيس معسكر السلطة الأموية الفاسدة: (ألا وإن الدعي ابن الدعي قد تركني بين السلة والذلة وهيهات له ذلك مني! هيهات منا الذلة! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طهرت وحجور طابت، أن يؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام) [الشيخ الطبرسي: الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٤-٢٥].

د.عبد الكريم الشبلي:

من الخطأ القول أن بني هاشم استردوا اعتبارهم في التاريخ الإسلامي، لأن السياسة السلطانية التي استهدفتهم بالتشويه والسب واللعن طيلة القرنين الأولين للهجرة، اختار بعدها فقهاء السلطان حلا توفيقياً، يعبّر في حد ذاته عن جوهر تنظيراتهم المزاجية، فتركوا اللعن أوّلا ثم اعترفوا بأن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام هو الخليفة الرابع!!

ولئن برز هذا التوجه في القرن الثالث الهجري لإلجام البحوث التاريخية والحديثيّة والمدارس الكلامية التي أخذت تنبش في الماضي وتجمع التراث الإسلامي بأساليب علمية بدأت تتبلور تدريجياً.. ومع انكشاف الشرعية الحقيقية لهؤلاء، وعجز فقهاء البلاط عن تغطية شرعية الاستكبار، بل رأيناهم يعجزون عن تصنيف كتاب في مناقبه ولو استناداً إلى الأحاديث الموضوعة[1] . ولهذا فرض الاستكبار منذ ذلك الوقت وإلى اليوم، تحريم الخوض في المسائل الخلافية. وبدأ بذلك يفرض على الأمة الخيارات التوفيقية، فبرزت نظرية عدالة الصحابة، ورفع التكليف عن الخلفاء!.. وكان شعار الإمام الحسين عليه السلام" لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد".

فالمطلب الحسيني هو إظهار الحقّ كله، وإعلاء الشرعية كلها، ولم توضع هذه الحلول التبعيضية، التي رفضها الإمام الحسين عليه السلام، إلاّ لتغطي عورات الاستكبار وتحمي عرشه. ومرجع التشتت المذهبي والفكري للأمة الإسلامية إنما يعود إلى هذه الحلول التوفيقية والتلفيقية. وهل كان إحياء ملحمة عاشوراء إلا انتصاراً للشرعية الحقيقية التي تعلو عليها، رغم كل المحاصرة والتضييق على امتداد التاريخ. ولذا نقول لأصحاب الفكر النيّر والضمائر الحيّة، هلمّ نقارع الحجّة بالحجة وندحض الشبهة بالبينة، فالمصادر أصبحت متوفرة في جميع الفنون والأغراض وفي متناول الكل.. كما أن الاستكبار اليوم لازال يتوسل

---

[1] نضرب مثالاً لذلك قصة الإمام النسائي وكتابه فضائل أمير المؤمنين عليه السلام مع أهل الشام.

ويتذرع بالشرعية الوهمية التي أسسها الحكام الأوائل: فتراهم يلجؤون إلى المغالطة والمراوغة، ويوظفون كل وسائل الدعاية والتطبيل، ويستخدمون الإغراء حيناً والوعيد أحياناً.. وتراهم يحاربون ذكر النهضة الحسينية التي تعريهم وتكشف زيفهم. ولهذا يجب أن تتضافر الجهود والأقلام لبسط أهداف المشروع الحسيني، ليس فقط لأنها تمثل الشرعية الحقيقية، بل أكثر من ذلك لأنها أثبتت جدارتها في إسقاط أعتى طواغيت العصر في إيران (الشاه بهلوي)، وفي إذلال الجيش الصهيوني الغاشم ودحره عن الجنوب اللبناني.. إلى حدّ أنّ المستكبرين اليوم صاروا يخشون من ذكر اسم أبناء الحسين عليه السلام وتلامذته، ولا سيما الإمام الخميني(قدس سره) والسيد حسن نصرالله. الأمين العام لحزب الله في لبنان

د.نعيمة شومان:

كما ذكرت سابقاً، حبذا لو شددنا في المغالاة على وحدة الإسلام والمسلمين، والحض على نسيان الضغائن والأحقاد المزروعة في قلوبهم، والتأكيد على دور التحديات الاستكبارية في استغلالها وزرعها في النفوس.

لقد آن الآوان لأن ينفر المسلمون ويصفحوا فيما بينهم، وأن يكرسوا جهدهم ضد المهيمنين الصهاينة المستكبرين، الذين نجحوا الآن إلى حد كبير، في تحويل العداوة إلى المسلمين فيما بينهم، عوضاً عن توجيهها إلى إسرائيل، كما فعلوا في توجيه أسلحة صدام العراق إلى قلب الجمهورية الإيرانية الإسلامية خلال عقد من الزمن، ومن ثم إلى الكويت العربية، والتي كانت حسب ادعاءاته سوف تتجه إلى تحرير فلسطين.

وإنني أشيد هنا بخطاب سيادة رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدكتور محمود أحمدي نجاد، التي تُثلج قلوب المسلمين من كافة الطوائف، باتجاهه ضد الأعداء الحقيقيين وكشف خداعهم وأكاذيبهم وخزعبلاتهم على العالم أجمع.

د.سهيل زكّار:

ثمة أحاديث كثيرة، تذكر أن "من يعادي أو يؤذي النبي صلى الله عليه وآله في فاطمة، في الإمام علي، في أولاد السيدة الزهراء، فإنّ في ذلك إيذاءً للنبي صلى الله عليه وآله، والإيذاء

للنبي ﷺ ، هو إيذاء للرسالة"وهو قد يوصل الإنسان إلى مرحلة الكفر. ولا أتصور أن هناك مسلماً صادقاً في عقيدته يمكن أن يكون معادياً لبني هاشم وبخاصة آل الرسول من بني هاشم. أما الذين يتظاهرون بالإسلام ويضمرون كُرهاً لأهل البيت عليهم السلام ، فإنّه يُحكم عليهم بالنفاق ولا يحكم عليهم بغير ذلك.

د.ادريس هاني:

علينا أن نراجع الموقف من الآخر بوصفه معادياً لبني هاشم.فإذا كان تاريخنا شهد بعضا من هذه النماذج ، فإننا اليوم نشهد تراجعا ،وإن عوض بعضه في النقمة على أتباعهم اليوم.لكن هذا لا يهم ولا يجب أن ينسينا مطلب الوحدة والتقارب.والملحمة العاشورائية تتيح فهما أكبر بما يجب على طليعة الأمة النهوض به.والخطاب الحسيني هو في جوهره خطابا للتحرر والتحرير.ولغته في هذا المجال أوضح من كل خطاب آخر.إن الحسين الذي أخبر بأنه لم يخرج أشراً ولا بطراً ولا مستكبراً ،قد عبر على أن رسالته هي ضد الظلم والاستكبار بكل أطيافه.والحسين لما التمس من خصومه أن يسمحوا له بالاتجاه إلى إحدى الثغور لحماية الحدود ، كان يطلب منهم أن يكون حسينياً ضد العدو الأكبر للأمة قبل أن يكون حسينياً ضد الطغمة الظالمة في الداخل.والذي يملك أن يثور في وجه الظلم الصغير فهو بالفحوى يملك أن يثور في وجه الظلم الأكبر.من هنا يتعين أن نعيد بناء الحدث الحسيني ليستجيب للمطالب العادلة لأمتنا اليوم ؛ أي علينا أن نستلهم من قيم الملحمة الحسينية ما يجعلنا حسينيين في مقاومة التخلف والجهل والاستبداد والاستعمار والظلامية..فعاشوراء هي عنوان ثورة أمة ضد معوقات نهوضها.

د.علي أبو الخير:

إن الاستكبار العالمي يخوض حرباً ضد الإسلام ، ومواجهة هذا التحدي بتبني الفكر التكفيري - مثلاً - يصب في خانة أعداء الإسلام ، ونتذكر أن الانتصار الإسلامي ضد هذا الاستكبار عبر التاريخ قام على غَيْر أسس التكفير إطلاقاً ..

فمثلاً : انتصر المسلمون في مصر على الصليبيين وأسروا ملك فرنسا لويس التاسع في المنصورة ، وكان الذي تصدى لهم هم عامة الشعب المصري

في القرى المنتشرة على النيل ، وهو ما حدث مِن قَبْل في حطين ومِن بَعْد في عين جالوت ضد التتار ، ولَمْ يحدث أن قام الفكر التكفيري بالانتصار ؛ لأنهم منفرين وليسوا غيورين سوى لأنفسهم .

كما أن الانتصار التاريخي للثورة الإسلامية في إيران ضد نظام الشاه الاستكباري المعتمد على القوى المهيمنة الدولية جاء عبر استنهاض الملحمة الحسينية .

لذلك .. فإن أهداف الملحمة العاشورائية تلتقي مع الأهداف الإسلامية العامة ، أو لنقل : إنها قائدة الجهاد ضد التحديات الاستكبارية .

الأستاذ حسين شرف الدين:

الأهداف لا تعرض، فهي ليست تسجيلاً وثائقياً، والامامة تسمية لموقع اجتماعي اتخذ مصطلحاً ثبت عند الشيعة للدلالة على الأئمة الإثني عشر (علي بن أبي طالب والأحد عشر من أبنائه عليهم السلام) وتوقفوا عليه طيلة قرون لتأكيد مواصفات الامامة العامة للامة، وحتى تستمر فيهم عقيدتهم في شؤون الحياة، وهذا الاعتقاد لم يزل قائماً بالاعتقاد بغيبة الامام الثاني عشر وبظهوره يوماً، وبانتظار الظهور، يرجع الشيعة إلى شخصية دينية عالمة يأخذون الاحكام منه بصفته نائباً للامام.

أما بالنسبة للحياة المدنية فإن كانوا يمارسونها حسب القوانين المدنية القائمة، فكل جماعة في بلد ما يعيشون حياتهم باعتبارهم من نسيجه العام ملتزمين دينياً أو غير هذا، والميزة عند الشيعة أن ليس فيهم عقدة الاقلية، وحتى وإن عوملوا على هذا الاساس، فهم يصرون على حق الانسان فيهم، ومرجعيتهم الدينية تركز لهم مشروعية سلوكهم في الحياة العامة كمواطنين.

إنّ الشيعة يعيشون مرونة تشريعية مميزة لا تنال من عقيدتهم، ولا تعزلهم عن مجتمعهم، بل تدخلهم في صلب المشاركة بجدية الفعل وانفتاحية التفاعل، لذلك لا نجد عقيدتهم تفصلهم عن معتقدات الآخرين، وهم بهذا وبتوافقهم مع النظام العام أو في معارضتهم، ووقوفهم بوجه الطغيان والاستكبار في أدنى

مواقعها المحلية إلى أوسع دوائرها العامة يدللون على الشراكة وليس الانعزال. والملحمة العاشورائية في أبعادها وفي كيانها وفي مستوى تضحياتها، وبالخصوص إذا إلتفتنا إلى أن من أصل ثلاث وسبعين شخصاً من الذين حاربوا بين يدي الامام الحسين عليه السلام واستشهدوا، كان فيهم ثمانية عشر طالبياً، يعني من ذرية أبي طالب، من ذرية أمير المؤمنين علي وشقيقيه عقيل وجعفر، ومن ذرية عبد الله بن جعفر شهيدان أمهما زينب إبنة علي عليه السلام. وهذا مما اعتدنا ألا نبرزه في استغراق الطالبين وتشيعهم بروح الفداء ومن تشيع بها فهو هو! المشاركة لبلوغ الحق ايجاباً أو سلباً.

السيد حسن النوري:

أولاً : لم تكن المواجهة بين خط الإسلام الأصيل خط الولاية وبين خط أعدائه ومنهم الأمويون بسبب عامل قبلي أو جغرافي إنما هو صراع بين الحق والباطل، ومن كان يعادي الإمام الحسين ع لم يعاده لأنه ينتسب إلى بني هاشم بل لأنه يمثل الحق ولا يجتمع حق مع باطل، وقد صرح الإمام الحسين وصرح أعداؤه أنهم لا يريدون لشخصه سوءاً إنما هم يستهدفون استئصال روح الثورة.

(ألا أن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ..)

وقد قالوا للإمام الحسين عليه السلام: (لن ندعك حتى تنزل على حكم ابن عمك).

ثانياً: إن ملحمة عاشوراء لم تطرح في أدبياتها إلا الشعارات الأصيلة: الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واسترداد كرامة الأمة وبعث روح التضحية فيها وتطوير وتنمية مشاعرها الإنسانية.. وهذه الشعارات هي مطمح كل شريف وأبيّ.

ولبعث الهمم وشحذها لا بد من طرح القدوات التاريخية خصوصاً ما يكون منها مورد احترام المسلمين كلهم.. وليس من المغالاة أن تقول أن الإمام الحسين ونهضته كانت محل احترام غير المسلمين أيضاً ممن اطلع عليها.

ثالثاً: أعتقد أن هناك بعداً مهماً يمكن إثارته هنا وهو أن أهداف القيادة والإمامة لا يمكن أن تتحقق كاملة إلا من خلال التلاحم بين الأمة والقائد، وهذا لن يحصل ما لم يتم معرفة مواصفات الإمام وشخصيته وتعيينه من بين من ادعى انه الإمام الشرعي، ولكن إذا لم يتيسر للإمام أن يحقق أهداف الأمة كاملة بسبب يعود إلى المأمومين، فإن هذا لا يعفي الإمام من أن يقوم بما تيسر تحقيقه من أهداف الإمامة، ولهذا نجد أن الأئمة عليهم السلام رغم عدم اعترافهم بشرعية غيرهم للإمامة والقيادة، نراهم يقومون بأداء أدوار عديدة لا يستطيع غيرهم أداؤها، لأنها مرتبطة بمؤهلاتهم الخاصة عن علم وحلم وإخلاص.

هذا الأمر جعل البعض يتصور أن الأئمة أعرضوا عن أهداف الإمامة السياسية واكتفوا بالإمامة الفكرية والعلمية والروحية.. وهذا خطأ بالغ الخطورة لأن الإمامة ليست حقاً للإمام قابلاً للتنازل.أو الإسقاط أو المعاوضة، وعلى نفس المنوال نقول: إن المسؤولية تقع على عاتق الأمة، وعلى مرجعياتها أن تقوم بنفس الدور، فهي الآن في الصف الأول من صفوف المواجهة مع الاستكبار وكافة أعداء الإسلام، ولن تجد أكثر معاداة لمناهج الكفر وأساليبه من أتباع منهج أهل البيت عليهم السلام والسائرين على نهج الشهادة نهج الإمام الحسين عليه السلام.

الشيخ جواد الخالصي:

كما هو معروف فإن المقصود من قراءة التاريخ، أخذ العبر والدروس وعدم تكرار الأخطاء التي وقع فيها السابقون، وثورة الحسين درس كبير للأمم والأجيال للدفاع عن الحق مهما كان الثمن، والتأكيد على مبادئ العدالة والمساواة التي جاء بها الدين الحنيف، والتي أمست مهددة عشية العودة السريعة لقوى الجاهلية وظهور بوادر تسلط الملوك، الذين يهمهم أمر الحكم لا أمر الدين والشرع الحنيف. وأمام التحديات الاستكبارية المعاصرة، ما أحوجنا إلى ثورة الحسين ودروسها الكبرى. وإن الفداء وعاشوراء، اسمان مقترنان نحتاج إليهما دائماً في مواجهة الجاهلية الجديدة والاستكبار العالمي، الذي يعيد مقولة الطغاة المستكبرين الأوائل، ولكن بأحدث الأجهزة وأخطر وسائل الإعلام.

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص، ٢٨]. وتتكرر مقولة الاستكبار والمستكبرين ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر، ٤٠].

فلا بدّ من الاستلهام من ثورة الحسين وأحداث كربلاء في هذه المواجهة، خصوصاً في مراحل التحدي الأكبر وانطلاقة صرخة الرفض التاريخي الذي لا يتزعزع "فوالله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد". "ووالله لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما" وقوله "ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه" ثم يجمع التوجيه الكامل للثورة وارتباط أبناء الأمة وطلاب الحق والعدالة بمبادئها فتأتي ضمن مقولته الشاملة "إن لكم فيّ أُسوة". فمن تأسى بالحسين سيأخذ كل دروس الثبات والإصرار على الحق في مواجهة الاستكبار المعاصر الذي هو أخطر ما مر على البشرية من ظلم وفساد واستغلال عبر التاريخ الطويل. وقد أجاد الشاعر:

هـــذي تعالـــيمُ الحُسَـــينِ بِكَـــرْبلا
وَمَـــنْ شـــايَعَ السِّـــبْطَ الشَـــهيدَ تعلّمـــا

د.زهير غزاوي:

إن المشهد الإسلامي الراهن، ومن خلال ما شهدنا من ردود أفعال على نجاح الثورة الإسلامية في إيران أو وصول الشيعة إلى السلطة في العراق، أو القوة الجهادية الضخمة لحزب الله في لبنان، رفعت إلى السطح مشاعر عداء واضحة للتشيع بدفع من الغرب المتصهين، حتى أن طرح مفهوم الهلال الشيعي جاء ممّن يقول أنه ينتمي إلى بني هاشم في هذا الزمان؛ لهذا لا يمكن الحديث عن عداء لبني هاشم قد انتهى، ذلك أن أهل بيت النبي ﷺ لا زالوا حاضرين عبر مراجعهم الذين يطرحون العداء للغرب المهيمن، والقضية لم تعد تاريخية ومضت، فقد استمر الشيعة على إصرارهم على إحياء ذكرى أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الحسين كأنهم غادروا الدنيا البارحة، وهم الذين فجروا زلزال

المنطقة عبر الثورة الإسلامية في إيران كما عبّر موشي دايان. وعندما يكون عنوان المنبر الحسيني هذا العداء للغرب والاستكبار العالمي، فلن نتوقع أن يقف هؤلاء مكتوفي الأيدي، وها هم تمكنوا فعلاً من دفع الغالبية في العالم الإسلامي، وخاصة في لبنان والعراق والأردن والسعودية إلى التقوقع خلف شعارات طائفية.

إنّ هذا الرد الغربي جاء مدروساً إلى حد الاتقان، وما الفعل الذي قامت به إحدى الصحف الدانماركية من استفزاز مشاعر المسلمين إلا جزءاً من هذا الرد، وليس بغرض الإساءة للرسول ﷺ وحسب، فكما يقول آلان ثورين في كتابه (إنتاج المجتمع) إنَّ الطبقة المهيمنة تسعى دائماً إلى استفزاز الطبقة المسيطر عليها من أجل فهم ما يجري في داخلها ودراسة القوى المحركة فيها، فإن الغرب الصليبي الصهيوني يقوم بعمل علمي منظم لدراسة الشرق الجديد عبر استفزازه. وهنا يجب القول: إن الحرب المعلنة على إيران الإسلامية تعتبر علمياً جزء من هذا المخطط. إن استثمار أهداف الثورة الحسينية للتصدي والحشد أمر مشروع على أية حال، ولكن ليس بالبرامج والوسائل المستخدمة حتى هذه اللحظة.

د.سعيد يعقوب:

نعم لقد زالت بواعث معاداة بني هاشم تاريخياً فيما يتصل بالإمامة. ولكن الإرث التاريخي الذي يرفض وجود الإمامة والعصمة عند أئمة آل البيت ما يزال قائماً.

- أولاً: آل البيت في العرف الذي كرسه بنو أمية ثم بنو العباس هم أناس عاديون لا يجوز رفعهم فوق الدرجة العادية من الناس وإلا أصبحت عصبية قبلية وهي من بقايا الجاهلية وإن شاء أحدهم أن يعترف بالإمام الصادق إن كان مثقفاً وسمع به فهو فقيه عادي مجتهد.. ثم إن ما اعتاد الناس عليه أن الشيعة يقدسون آل البيت كعرف فارسي قديم قبل الإسلام من رفع الملوك وتقديسهم كما ذكرت...

إن هذا السؤال غريب شكلاً وغريب موضوعاً أما أنه غريب شكلاً فإن معاداة الإسلام الأصيل هدف كل المستعمرين والدهاة والدهاقنة على مر العصور وإلا فكيف سيستعمرون هذه المنطقة من العالم إن كان الناس فيها متمسكون بكتاب الله الذي يدعو إلى العزة والكرامة ورفض الذل.. (هيهات منّا الذلة).

أما أنه غريب موضوعاً فإن هدفهم من معاداة الرسالة الإسلامية هو الإسلام نفسه... وبسبب هذا العداء يلجؤون إلى وسائل التفريق بين السنة والشيعة ومنها إشاعة أن الشيعة يعظمون علي والحسين أكثر من تعظيمهم لمحمد نفسه وأن الشيعة، يقدسون آل البيت لأن الشيعة منهم فرس والفرس كانوا يعظمون ملوكهم قبل الإسلام كما ذكرنا.

ويحرضون على إهمال مكانة آل البيت وفعلاً بدأ هذا الإهمال منذ العصر الأموي بل منذ معاوية نفسه وقد قرأت مرة في تاريخ ابن عساكر أن أحد شيعة أهل العراق في أواخر العهد الأموي جاء إلى الشام وجلس في مسجدها الكبير (الجامع الأموي) فحضر إحدى حلقات الدرس هناك وحين انهى المدرس درسه سأله أحد الحضور من هو علي بن أبي طالب فأجابه المدرس الشيخ الشامي عن علي أنه (أفّاق كان بالعراق نازع أمير المؤمنين معاوية الأمر فنصر الله معاوية عليه..) قال العراقي: فتعجبت جداً إلى درجة الدهشة فاعتزلت حلقات الدرس وجلست مسنداً ظهري إلى حائط المسجد فوجدت بجانبي شيخاً مُسناً يجلس لوحده أيضاً فقلت في نفسي لعله يكون مثلي. فسأله يا شيخ أن في تلك الحلقة من يشتم علي بن أبي طالب فأجابني الشيخ الوقور: بلغني أن أناساً يشتمون الحجاج أما علي بن أبي طالب فمن ترى يكون؟ وأخذ يمشط لحيته بأصابع يديه ويكرر هذا السؤال لنفسه فمن ترى يكون من ترى يكون؟؟ إذن فإنّ وسائل الإعلام الأموية خلال أقل من تسعين عاماً استطاعت أن تتجاهل آل البيت تجاهلاً تاماً، لذلك فنحن حتى هذا اليوم نجد كثيراً من المسلمين لم يسمعوا بالأئمة السجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والهادي والعسكري.. جهلاً تاماً ونهائياً وإن صادف أن سمع أحدهم بأحد الأئمة فإنه يحسبه فقيهاً أو عالم دين عادي. المهم حتى لا أطيل فإن أحد الأشخاص وهو شاب متدّين قلت له: صلِّ على محمد وآل محمد فقال: أنا أصلي على محمد كما أمرني الله: ﴿يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ ولم يقل على النبي وآله.. هكذا اذن نكاية بالشيعة يريد أن لا يصلي على آل البيت اطلاقاً.. إن هذا هو هدف الدهاة من معاداة آل البيت ومعاداة الإسلام الأصيل.. وهذه هي بعض وسائلهم في ذلك..

د.محمود عكام:

يا أخي : لا تقوى ضرورة عرض الثورة الحسينية ودروسها وعبرها ومنهجيتها في عصر وتضعّف في عصر، بل هي قوية في كل العصور وسائر الأزمنة والأمكنة، عندما يكون هنالك استكبار وعندما لا يكون هنالك استكبار ...

فثورة الإمام الحسين – باختصار – مسيرة متكاملة لإنسان عظيم فيها كل ما يحتاجه الإنسان بل الإنسانية من قيم ومبادئ تنفع الناس، على مستويي النظرية والتطبيق والمهم أن أكون أنا وتكون أنت مؤمنين بها معتقدين بمشروعيتها وقدوتها وبعدها لا علينا من قبول الناس أو رفضهم لها بل همنا أن نعمل ونعمل وإذا عملنا فسيرى الله عملنا ورسوله والمؤمنون .

■ ■ ■

مع الوزير السوري السابق أحمد الحسن

مع الشيخ نبيل الحلباوي إمام جامع مقام السيدة رقية 2006

المحور التاسع:

أهمية استلهام النهضة الحسينية لمواجهة التحديات الاستكبارية

أهم درس حُسيني للثورة هو الاستلهام والاستنطاق وتفصيل العناصر كي تبقى الثورة الخالدة مشرقة في النفوس، مضيئة كالقناديل في ليل الأمة الإسلامية البين وكذلك كان لابد من الإفادة الموضوعية من الثورة ووسائلها وثقافتها المجهرية وعنفوان وشجاعة زعيمها الذي أرخصَ الدمَ وقدمَ كل غالٍ ونفيس من أجل الإسلام وعزته وحرية الأمة.

لكن كيف يكون تجسيد حقائق الثورة وتجسير العلاقة بين الأمة والثورة؟

السؤال التالي وإجاباته توضح ذلك فإلى الإشكالية :

- هل ينبغي لتجسيد أهداف ثورة عاشوراء الخروج على الحكام والأنظمة في بلداننا كما فعل الإمام الحسين عليه السلام مع ملاحظة أنّ التهديد الأكبر الذي هو الكيان الصهيوني يعشعش بين ظهرانينا وهو محمي بلا حدود بالاستكبار العالمي؟

الشيخ محمد حسن تقي:

يقول الإمام علي عليه السلام: " لو فعلها بنو الأصفر لوضعت يدي بيد معاوية ".

ذكرنا في ما سبق بأن الهدف من ثورة عاشوراء تحقيق العدل ومقاومة الظلم واستقامة دين رسول الله صلى الله عليه وآله. وهذه الأمور تحقيقها يتم بشكل نسبي. قد يتحقق العدل بنسبة ما وكذلك قد يتم مقاومة الظلم بنسبة ما ويمكن أن تتحقق الاستقامة للدين بنسبة ما.. ولكن يمكن أن لا يكون موجوداً شيءٌ من تلك النسب.

الموقف بالحركة وعدمها ونوعها يتحدد بمقدار هذه النسب . فهناك بعض العيوب قد تكون من الداخل وقد تكون من القيادات في بعض البلدان الإسلامية وهذا شيءٌ خطير ولكن الأخطر من ذلك عندما يكون الهدف مَحقُ الحق وإزهاقه كاملاً وهذا يحصل من الخطر الخارجي من العدو الخارجي وقد يقال بأن الصراع يأخذ شكلين رئيسيين:

١ - صراع داخلي أو تناقض داخلي.

٢ - صراع خارجي أو تناقض خارجي.

وفي مثل هذه المواقف وفي سبيل المصلحة العامة الأهم نجمد الصراع الداخلي في سبيل محاربة الصراع الخارجي.

ومما لا شك فيه بأنه في مثل هذه الموارد لا يجوز الخروج على الحكام والأنظمة في بلادنا، حتى مع التقصير وحتى مع وجود موارد الخلاف والاختلاف.. فهناك مسألة أهم هي مقارعة الأعداء، أعداء الله، وأعداء الوطن وأعداء الأمة والمبدأ..

وموقف الإمام علي عليه السلام الذي ذكرته سابقاً في إحدى الإجابات حيث قال: عندما وصل إليه خبر أن الروم يستعدون لغزو بلاد الإسلام فقال عليه السلام: لو فعلها بنو الأصفر لوضعت يدي بيد معاوية..

نعم هذا هو الموقف السليم وهذا هو الموقف الذي يجب أن يكون محل اقتداء لنا نحن كأمة واحدة لها هدف واحد ويهددها عدو واحد شرس همه الوحيد القضاء على كل القيم والمفاهيم والمبادئ التي يسعى الإسلام لتحقيقها.

والعدو في هذا المجال يجمع قصارى جهده ويوحد صفوفه بالرغم من اختلافها ضد الإسلام فيجب على المسلمين أن يوحدوا قواهم ومواقفهم من أجل الرد وحماية البلاد والقيم.

د.سهيل زكّار:

الخروج على الحكام والأنظمة وفكرة الانقلابات، شيء، وفكرة تهيئة المجتمعات شيء آخر.. إن الانقلابات كلها أخفقت، وأدت إلى انتكاسات. قبل أن يقوم الإنسان بأي عمل ينبغي أن يُعد الجماهير، وعندما يكتمل مشروع إعداد الجماهير إسلامياً، ما من أحد من الطغاة يستطيع المثابرة على التسلط. أنا على يقين أن مسلم ابن عقيل سفير الإمام الحسين لو لم يُوقع به، ولو كان بقي مسلم ابن عقيل في الكوفة، وهيَّأ كل أهل الكوفة لكان أطاح أهل الكوفة بعُبيد الله ابن زياد والي يزيد بن معاوية، ولتبدَّل التاريخ. إن العمليات الانقلابية ليست مجدية. المجدي هو نشر الرسالة، ولذلك أرى أن تكون مجالس ذكرى كربلاء مجالس تجديد لبناء الذات، وليس للطم والصراخ. هذا ما أراه، ويخيل لي أن الإمام الحسين لو كان حياً لما طالب بغير ذلك. وبلا شك إن روحه هي التي توجه مثل هذا الكلام، وطبعاً أنا يحق لي أن أقول هذا، لأن الإمام الحسين هو جدي، ومن المستحيل أن ينقلب الدم إلى ماء.

عاشوراء ونظرية الثورة من أجل التغيير من جهة ومواجهة المحتل الغاصب من جهة أخرى، مسألة تمتلك الكثير من الواقعية والمصداقية. وليس من شك أن استلهامها من قبل المقاومتين اللبنانية والفلسطينية أدى أغراضاً بالغة الأهمية. فالمقاومة الإسلامية، وبسبب من غلبة التشيع على جماهيرها في جنوب لبنان، قامت بهذا الاستلهام إلى أقصى الحدود وانتصرت فعلاً، أما المقاومة الفلسطينية فقد أدخلت عاشوراء وكربلاء في أدبياتها للتعبير عن المظلومية، سواءً من العدو أو الصديق على حد سواء.

وبكل تأكيد فإن عاشوراء تحولت رمزاً للثورة عند الجميع بلا خلاف، فلم يجرؤ إلا القليل على إدانة خروج الإمام الحسين، بل أن دولة تنتهج مذهب السنّة كمصر لازالت تقدس رموز عاشوراء كالحسين وزينب، وبما أن التراث

الإسلامي لازال يشكل الذاكرة والوجدان للأمة التي بلغت المليار وأربعمئة مليون مسلم اليوم فإن الاصرار على إحياء المناسبة والكتابة عنها وظهور الفضائيات سيظل يفعل فعله في تجذر أهداف هذه الثورة وتحويلها إلى رمز لكل ما هو نبيل وخيّر من أجل تحقيق القيم التي أنتجتها، كالعدالة والحرية والكرامة والإصلاح. ستبقى على أية حال في الوجدان الإسلامي كله، حالةً تحريضيةً لتغيير الواقع الإسلامي الراهن، وليس من شك في أن الحسين عليه السلام تمكن من ترسيخ مقولة أن الدم ينتصر على السيف في ظل الفارق الهائل في توازن القوى بالنسبة للأمة الإسلامية المستهدفة من الاستكبار العالمي الصليبي.

الشيخ جواد الخالصي:

من الخطير أن نحيل فهمنا القاصر للثورة الحسينية، إلى سبب للفوضى والإنفلات، فللثورة شروطها خصوصاً على الحكام المسلمين، وللجهاد شرائطه، من جهاد الفتح والطلب وجهاد الدفع وصد العدوان، وكذلك فإن الخروج المسلح على الحكام هو آخر الدواء، لأنه أخطره، ويجب ألا يكون الخروج مسبباً لفساد هو أكبر من مفاسد بقاء الحكم نفسه. ويجب إتباع كل الوسائل للإصلاح والتغيير الداخلي، وهذا يشكل تمهيداً للثورة إذا لم تنفع الوسائل معها، وكانت سيرة الحاكم تتسم بالظلم والعدوان والإستهانة بمصالح الأمة، وقد قال الحسين راوياً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "من رأى منكم حاكماً جائراً مستخِفاً بحرمات الله، ناكثاً لعهد رسول الله صلى الله عليه وآله سائراً في عباد الله بالأثم والعدوان، ولم يأخذ عليه بقول أو فعل كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله". فالساكت على الظلم والذي يسايره في ظلمه سيكون مع الظالم في مصيره النهائي، وهو تجسيد لقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. وبين الركون إلى الظالم والعمل معه لتأييد ظلمه طمعاً في غنائمه، وبين الثورة المسلحة، مسافة واسعة. إن على المؤمن الواعي ألا يستعمل الأصعب مع تيسُّر الأسهل والأدنى والأقل خسارة. وإن أدنى المواقف ألا يدخل مع الظالمين في عملهم، وأعلاها الثورة المسلحة والخروج بالسيف. ويأتي بينهما النهج بالكلمة الحسنة، ومن ثم بالكلمة الغليظة، ومن ثم بالمكافحة، ومن ثم بالدعوة إلى التغيير السلمي، ومن ثم إلى التغيير الجماهيري، وأخيراً إلى الثورة.

فالثورة هي برنامج عمل متكامل وليس انتقالات نفسية يخفف من خلالها بعض الناس عن الكبت الذي يعانونه. وكربلاء مدرسة كاملة للثورة والإصلاح والتغيير، وكذلك هي صورة رائعة للبطولة والفروسية والشهادة.

الأستاذ أحمد الحسن:

على الرغم من اختلاف الظروف السائدة الآن عما كان عليه الوضع في عصر الإمام الحسين عليه السلام فإن أهداف الثورة وأغراضها السامية تبقى قائمة. وحيث أن معركتنا مع الكيان الصهيوني الذي يشكل التحدي الأكبر والتحدي الأكثر خطراً على الأمتين العربية والإسلامية بما يعطيها الأولوية في هذه المعركة وما تتطلبه من حشد للطاقات وتعبئة للقوى والإمكانات لمواجهة هذا الخطر والتصدي لمشاريعه التوسعية .. لكن رغم ذلك لا يمنع الأنظمة والحكام من الإستجابة لإرادة شعوبهم، والعمل على توفير ظروف ديمقراطية أفضل تسمح لهذه الشعوب في المشاركة بشكل أوسع في القرارات المصيرية وتهيئة مناخات أكثر حرية، تساعد في تفتح طاقات الإبداع الكامنة لهذه الشعوب، حيث الحرية والديمقراطية تشكلان الركيزة والدعامة الصلبة في مقاومة قوى الاحتلال ومجابهة الأخطار الخارجية المحدقة في الوطن. فالشعوب الحرة هي التي تقاتل استبسالاً في الدفاع عن أوطانها والتي لا تضنّ بالتضحية بكل غال ونفيس من أجل حماية الوطن وصيانة ترابه، وهذا يستدعي من الأنظمة، الإتعاظ من تجربة انهيار الاتحاد السوفييتي حيث سقط من الداخل وليس بهجوم من الخارج على الرغم من كل مظاهر القوة التي كان يبدو فيها. لقد إنهار الاتحاد السوفياتي لأن الإنسان كان مهمشاً ومقصياً ومهاناً ومسلوب الكرامة والحرية. حيث عندما تسقط كرامة الإنسان يسقط معها كل شيء.

كما أن على الأنظمة والحكام الاتعاظ من الثورة الحسينية وما حققته من إنجاز متميز في إيران حيث انتصرت جماهير الشعب المنضوية تحت لواء الثورة الحسينية على أكبر قوة عسكرية في الشرق الأوسط، فانهارت أمام إرادة الجماهير المسلحة بالإيمان، المستلهمة لمبادئ ثورة الحسين وقيم ثورة الحسين عليه السلام.

د.عبد الكريم الشبلي:

هذه الأنظمة والحكام الذين ابتليت بهم الأمة الإسلامية يشكلون المستوى الأول من الاستكبار، وهم يخضعون بدورهم إلى هيمنة وضغوط الاستكبار العالمي الذي يروّج مشاريعه بشتى الطرق: السياسية والاقتصادية والثقافية.. وقضايا الأمة الإسلامية اليوم لا يمكن أن نلخصها ونلقي أعباءها على كاهل الأنظمة القائمة، غير أنها تكرّس بشكل أو بآخر هذه المنظومة من التبعية المتعددة المستويات، ونراها تتباين تدريجياً عن هموم الأمة وحاجياتها، ولا ننسى مقولة الإمام علي عليه السلام "كما تكونون يولّى عليكم"، فالمسؤولية مشتركة وتتحملها أساساً النخبة الواعية.

ولعل المنهج الأصوب للإصلاح هو ما سطّره الإمام الحسين عليه السلام عندما انطلق في فئة قليلة ليخاطب أمته بلغة عصره عبر الخطب والشعر ودعوة القبائل العربية، والتنقل بين المراكز الرئيسة للإسلام حتى يسمع صوته، ولو فرضنا أن المواجهة مع الاستكبار حتمية، فحريّ بنا أن نبحث بيننا عن نخبة جهادية في منزلة واستعدادات أصحاب الحسين عليه السلام، حتى نضمن استمرارية مشروعنا ونجاحه. لكن التقنيات العصرية تخول لنا أسلحة فكرية وإعلامية كفيلة بإبلاغ صوت الإمام الحسين عليه السلام إلى كل الآذان، إذا أحسنّا توظيفها، بما في ذلك الإعلام المكتوب والمرئي والمسموع..

كما أن رياح التغييرات السياسية نراها تهزّ هذه الأنظمة هزاً، وتجعلها تتساقط تدريجياً كأوراق الخريف، إلاّ أن زمام هذه التغيرات يجب أن لا يفلت من بين أيدي أمتنا والنخبة الواعية، لأن الممسك الحالي الرئيسي للّعبة السياسية هي قوى الاستكبار العالمي، التي تحاول أن تتدخل لتوجيهها لفائدتها، لكن تلامذة الإمام الحسين عليه السلام هم أفضل من يتصدى لمناوراتهم المقيتة. ولهذا انتصرت الثورة الإسلامية في إيران، ودحر حزب الله الجيش الإسرائيلي عن جنوب لبنان، كما أنّ نفس الحرية السياسية يكون دائماً فرصة لتعبر الأمة عن رفضها الجذري للاستكبار وأعوانه سواء في فلسطين السليبة أو في العراق النازف، وهذه المكتسبات الأخيرة التي جنتها الأمة فرضت على إسرائيل حالة

حصار شعبي جعلتها تنكفئ في أحلك فترات تاريخها القصير، وتتسارع إلى اتخاذ إجراءات وقائية ودفاعية، لأنها أول من يعلم أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام خالدة ولا يمكن إخمادها، وإنّما تحتاج إلى العزائم لإرجاع الأمور إلى نصابها.

السيد مجتبى الحسيني :

كان الإمام الحسين عليه السلام قد أمضى عشرين سنة بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ولم يثر، وبقي لمدة عشر سنوات من إمامته ولم يثر. لكن ثورته كانت بمعنى عدم الخضوع مقابل الحكومة الجائرة، وليس أن يقوم بثورة مسلحة ضد الحكومة، لذلك فضرورة شرح واقعة عاشوراء واضحة تماماً.

وعلى هذا فكل نهضة مسلحة وانتفاضة على الحكام، ينبغي أن تكون من أجل الوصول إلى نتيجة وما يهمنا هو أن نعمل على نحو يترك أثره في قلوب الناس حتى يصيروا محبين للعدالة، وليعتنق الناس فكر الإمام الحسين عليه السلام. ولو أقبل الناس على فكر الإمام الحسين عليه السلام، فسيقوم النظام العادل من تلقاء ذاته. وبما أن الدين يقوم على أساس العقيدة والإيمان لذلك، ينبغي أن يبدأ من الناس عن طريق التثقيف، عن طريق الإيحاء. وهكذا فبعد أن يشكل الناس حكومتهم، فمن أراد أن يتجاوز حدودها، فإنهم سيدافعون عن هذه الحكومة، وعليه أعتقد، أنه مادام الشعب مستعداً، وأراد الشعب حكومة العدل، فإن الثورة ستقوم ذاتياً، وسيتم التغيير. وعلى هذا الأساس ينبغي أن نوظف كل طاقاتنا من أجل إحياء فكر أبي عبد الله الحسين عليه السلام، الذي هو الفكر الإيماني الأصيل، عزة النفس، كرامة النفس، عدم الخضوع مقابل الصهيونية، وعدم الخضوع لأمريكا، وطلب العدل في المجتمع. وكان لنا أسوة في ذلك بأمير المؤمنين، فهو لم يقبل البيعة إلاّ بعد أن احتشد الناس عليه وبايعوه، وعندما تجاوز الآخرون حدّهم بعد ذلك، حارب أمير المؤمنين علي عليه السلام المتجاوزين، وحارب المعتدين.

ولهذا أرى أنّ الأُمّة ينبغي أن تنصرف إلى الإرشاد والهداية وتبيان الإسلام الأصيل وتقوية روح طلب العدل عند الناس، وعندما يتعزز هذا التوجه عند الناس، سيزهق الباطل من تلقاء ذاته وسيقبل الناس الواقع الجديد.

السيد حسن النوري:

هناك أولويات عندما تتزاحم مسؤوليات الأمة ويتقدم عقلاً وشرعاً الأهم على غيره، فعندما لا يكون بمقدور المجتمع أن يعمل على أكثر من جبهة ويدخل أكثر من ميدان عندئذ يتوجب اختيار الجبهة الأهم وتجميد باقي الجبهات..

عندما يكون العالم الإسلامي مستهدفاً من قبل الاستكبار العالمي والمكر الصهيوني فلا بد من التكاتف والتلاحم حكاماً ومحكومين من أجل مواجهة مكائد الأعداء وصد هجومهم. ولا يحل تضعيف القوى التي يمكنها تشكيل خط مواجهة مع ذلكم العدو.

هذه الموضوعية كلها على نحو الافتراض ولست أتحدث عن واقع نأمل أن يتحقق وهو أن يرقى أفق القيادات وأرباب السياسة إلى مستوى أفق المحكومين والشعوب المغلوبة على أمرها والتي تتفجر فيها طاقات المجاهدة والجهاد والمواجهة، بينما يسعى الحكام إلى استرضاء الشياطين كبيرها وصغيرها.

هذه الموضوعة أيضاً لا تعني أن الحكام سيحصلون على شرعية إسلامية من خلال سكوت أو تجميد أحكام المواجهة معهم بسبب وجود غرض شرعي أهم وهو التصدي للعدو الذي يريد الاعتداء على مقدسات الإسلام وحرمات المسلمين.

بل لعل هذه المسألة تتطلب حواراً بين الإسلاميين وحكامهم حول ضرورة الإصلاح والبحث عن أفضل السبل وأساليب الحكم التي تسعى إلى تحقيق العدل والعزة، العدل مع المحكومين والعزة في مواجهة الأعداء.

وعلى أي حال الأحكام والتشريعات ليست في مستوى واحد بل هي متدرّجة من حيث الأهمية مما يجعل المسؤولية نحوها مترتبة متدرجة أيضاً عندما يحصل تزاحم ويكون المكلفون غير قادرين على أدائها في وقت واحد.

وتحديد ما هو الأهم من الملاكات ليست مسألة كيفية أو انتقائية بل لها ضوابط شرعية وكواشف خاصة لا يهتدي إليها إلا أهل الخبرة من فقهاء الشريعة.

الأستاذ أحمد جبريل:

يجب على المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يجسدوا أهداف ثورة عاشوراء كما جسدها الإمام الحسين، بالعودة إلى الإسلام والعمل بتعاليمه. وحشد طاقات المسلمين في مواجهة العدو المركزي، "أمريكا وإسرائيل" لأنهما أساس البلاء ومصدر النكبات. وما الحكام والأنظمة الموجودة في بلاد المسلمين إلا أدوات تأمر بأمرهم وتنفذ رغباتهم، وبسقوطهم لا يتحقق النصر على العدو المركزي وإنما تضعف شوكته بشكل طفيف وأما بهزيمة "أمريكا وإسرائيل" فإنه تسقط تلقائياً معهم كل الأنظمة والحكام التي صنعوها.

والإمام الحسين عليه السلام وجه دعوته وجهاده ضد القوة الرئيسية في ذلك الوقت التي كانت تهدد الإسلام والمسلمين، وهو الحاكم المنحرف الذي خُدع المسلمون به، فقد كان الخطر على الإسلام في ذلك الوقت من الحاكم والسلطان الذي يأتمر المسلمون بأمره ويطيعوه... أما العدو الخارجي في ذلك الوقت المتمثل بالروم على حدود الدولة الإسلامية فقد كان تأثيرهم أضعف من أن يسقطوا الإسلام أو يستجيب لهم المسلمون.

د.سعيد يعقوب:

في القرن الحادي والعشرين وبعد أحداث أيلول.. بل وقبل ذلك وقبل استلام الفريق المتصهين الإدارة الأمريكية والعالم وبعد إزالة المعسكر الشيوعي، صار الإسلام هو العدو – ولا بد لهم من عدو-

لم يعد الغرب يقبل صوتاً إسلامياً حتى لو جاء إلى الحكم بطريقة ديمقراطية وكأنه يقول: إن للديمقراطية حدوداً كما رأينا موقف الغرب من فوز حماس في الانتخابات النيابية الفلسطينية ووصولها إلى السلطة في العام ٢٠٠٦.. وبما أن الحس العام في كل الشرق العربي والمغرب العربي وكل دول العالم الإسلامي هو حس إسلامي فإن المطلوب تغذية هذا الحس وتضامن جماهيري ضد من يكنون له العداوة، أما الخروج على الحكام في مثل هذه الظروف فإنه يشكل شرخاً كبيراً في الصف الواحد يفيد منه الصف المضاد. بل بالعكس على

الجماهير أن تتكاتف مما يجبر الحكام أن تحترم مشاعرها لأن الحكم يضطر لمسايرة الرأي العام عادة.

د.نعيمة شومان:

إن الخروج على الحكام والأنظمة في بلادنا، لتجسيد ثورة عاشوراء، هو ما تطمح إليه الصهيونية العالمية وحليفتها أمريكا، لإلهاء المسلمين فيما بينهم، وإشغالهم عن إسرائيل، وهذا – كما ذكرت- ما فعله صدام.

صحيح كما ذكرت، أن التهديد الأكبر لشعائرنا وديننا يكمن في الكيان الصهيوني ذلك السرطان الرهيب، ولا بد من اجتثاثه من هذا الجسم المريض، ومن دونه، فإن كافة المشاكل الجانبية، ستجد الحل السليم في الجسم السليم. ويقال بأن العدو الصهيوني محمي بلا حدود من قبل الاستكبار العالمي، وإن المسلمين عاجزون عن مجابهته والوقوف في وجهه كما يدعي عملاؤه، الذين لا يفتأ كبارهم يزرعون الخوف والوجل في قلوب المسلمين في مجابهتهم، ومجابهة هذا العدو اللدود. كما يطالبونهم بالحرص وتوخي الحكمة وعدم التهور، تلك التي لم يحصد المسلمون من ثمارها سوى الذل والخنوع، وسلب الأراضي والثروات والممتلكات، والتخلي عن دينهم وتحوير قرآنهم، وطمس معالم هويتهم.

والحقيقة أن كل ما لدى قوى الاستكبار من قوى، منوط بما لدى المسلمين من طاقة (بترول- غاز- وغيره..) إلى جانب القوى الاستراتيجية والمالية التي صودرت واستعمرت.. وإذا ما كنا نعلم أن الطاقة البترولية هي في طريق النفاذ ولا يوجد أي بديل عنها بمثل قوة الطاقة الصادرة عنها، وأن أي بديل آخر لا بد له من البترول لإنتاجه، وهو لا يصلح بأي حال من الأحوال لإقلاع الطائرات الحربية المحملة بأسلحتها الجهنمية ولا حتى الطائرات المدنية، فلماذا لا نستعمل سلاح البترول قبل نفاذه، لإنقاذ المسلمين من الهلاك، وكسر شوكة الطاغين؟!..

وكما ذكرت لقد كان الحسين عليه السلام أول من وصف الحرص بالجبن، الذي يهدر عزة الرجل الأبي، ولا يضيف لعمره المقدور لحظة". كما أن الإجماع الحكومي على عدم الاعتراف بالعدو الإسرائيلي لم يسبق له أن

تحقق قبل هذه المرحلة الراهنة، بين القوى المحيطة بإسرائيل: (حماس، حزب الله، سورية، وإيران).

فعلى من ينادي بهذا الهدف أن يصل القول بالعمل: "فالآن الآن، وليس غداً... وإلا فلا...."! آمل أن يلهمنا الله، ويلهم جميع المسلمين صواب الرأي وحسن الاختيار، لحماية هذا الدين القويم، والرد عن أبنائه وأبناء جميع البشر من المستضعفين المظلومين، وجلّ من لا يخطئ...

د.محمود عكام:

نحن لا نعلن الخروج على الحكام ولكننا ننصحهم ونطلب منهم ونلح عليهم أن يكونوا في خط الحسين على سبيل الانتماء أولاً، فإن فعلوا ذلك – وأظنهم سيفعلون – تعاونّا معهم من أجل مواجهة خطوط الظلم والاستعباد.

فالحاكم – في النهاية – إنسان يعتقد ويقول ويعمل، فإن كان موافقاً لنا في الاعتقاد والقول ومخالفاً لنا في العمل فنعمّا هو وما مخالفته في الفعل إلا تقصير، وكلنا يجري عليه ما جرى عليه، بل حتى ولو كان اعتقاده وقوله ادعاءً فإننا لن نكذبه، بل سنجعل من ظاهر كلامه وادعائه حجة لنا عليه. وعلينا أن نشعر حكامنا بأن الكيان الصهيوني تهديد لنا ولهم، وأن من وراء الكيان الصهيوني أيضاً هو عدو لهم ولنا، ولنصبر على هذا الإقناع لأنهم – أي الحكام – أناس منا ومن بني جلدتنا، ولن يدخل العدو عليهم استثناء التدمير مهما قدموا من تنازلات، لأنهم معنا - في نظر الصهيونية ومن ساعدها - في سلة الإبادة عاجلاً أو آجلاً.

د.علي أبو الخير:

إن مواجهة التهديد الاستكباري المتمثل في الصهيونة مرتبط أصلاً بمواجهة الأنظمة الفاسدة ؛ لأنها جميعاً تهادن الصهيونة والاستكبار، ولا يمكن مواجهة الخارج قَبْل مواجهة الداخل ، وما قام به الإمام الحسين يجب أن يتكرر ؛ لأن الظلم واحد وإن تغطّى بأردية الدين ، والدين براء مِن أي ظلم ، خاصة إن أتى مِن حاكم يدعي الإسلام زوراً وإفكاً .

د.ادريس هاني:

قلنا أن ثورة الإمام الحسين، متعددة الأبعاد. وإذا ما رأى فيها البعض أنها إيحاء باللون الأحمر بديلاً عن اللون الأسود، فإنني لا أقبل بهذه القراءة الإستبدالية التي تختزل ثورة الإمام الحسين في اللون الواحد . إنها بالأحرى تختزل كل هذا التعبير الممتد امتداد المعنى، والمتعدد باللون الأسود والأحمر ، بل أضيف هنا اللون الأبيض؛ لون السلام الذي عبر عنه الإمام الحسين من خلال الكلمة والموقف. إنها ثورة من أجل الكرامة والحرية ، حيث لا استقرار للإنسان إلا في مجتمع كريم وحر يتمتع بكامل حقوقه . وهي الدعوة التي عبر عنها الإمام زين العابدين ، وهو يلخص كل رسالة عاشوراء التي شهدها وهو على فراش المرض: " اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة" .إن المشهد الحسيني بكل تعابيره صرخة حية من أجل السلام والعيش الكريم.فهو الذي خطب في الناس أنه لم يخرج أشراً ولا بطراً وإنما خرج طلباً لإصلاح أمة جده يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.ثورة الحسين لم تكن في غايتها القصوى سوى ما تطلعت إليه أفئدة الأحرار.ولهذا جاء نداؤه إنسانيا .

لقد قدم الإمام الحسين كل ما في وسعه ليتجنب المعركة. وقد التمس في مفاوضاته مع محاصريه أن يخلوا سبيله وأن يسمحوا له بأن يذهب ويرابط في ثغر من ثغور المسلمين، فيصوب سيفه ذوداً عن حمى الإسلام وحدود الدولة الإسلامية كواحد من جنود الإسلام، فلم يقبلوا منه إلا أن يقبل بالذلة، فقال لهم حينئذ: " هيهات منا الذلة".ومع أنهم أكثر الناس معرفة بجدية وصدق الحسين، فلا هو من أهل الغدر ولا من منبته.لكن القوم رأوا أن يصفوا القضية الحسينية في العراء، ويطووا صفحة هذا التحدي الحسيني.وبدل أن يمضوا في المفاوضات إلى الحد الذي يحولوا فيه جريمة قتل بقايا آل محمد ، إلى ما يجعلهم يفيدون من الحسين في إصلاح الأمة ، جعلوا من الحسين العدو الأول.ويكفي أن الجيش الذي قاتلوا به الحسين هو جيش أعد لمواجهة الديلم.أربعة ألاف جندي معد لمحاربة بقايا الأمبراطورية الرومانية، يوجه للفتك بسبعة عشر ممن تبقى مع الحسين.فقاتلو الحسين هم من حاد عن المشروع الكبير من مواجهة تحد خارجي

إلى إبادة الحسين ومن معه ، إنها هزيمة أمة ، وهي تفوق كل البدع التي ابتدعها بنو أمية في تاريخهم الأسود.بدعة أن تقاتل حفنة من المعارضين بجيش نظامي جرار.وكان دون ذلك مندوحة لو شاءوا.الحسين قاتل بعد أن لم يتركوا له خياراً آخر.ولو وجد خياراً لكان موقفه كأخيه الحسن. ولو أن أخاه الحسن انقطعت به الأسباب ولم يجد في الصلح مخرجاً لكانت كربلاء الحسن قبل كربلاء الحسين.الحسين لم يخرج على نظام بل خرج على منطق الإذلال.ومن هنا أعتقد أنه آن الأوان لتطوير فهم أعمق لمحتوى رسالة الحسين.الحسين كان يطلب الإصلاح في أمة جده ، وكان كما أخيه قد يقبل بالحد الأدنى ، كما يخبر دعاء ابنه زين العابدين : "اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة".لكنهم لم يسمحوا حتى بالحد الأدنى وغلقوا الأبواب في وجه كل الخيارات الممكنة. ومن هنا يجب أن ننطلق في قراءتنا لنهضة الحسين واستيعابنا لفلسفة عاشوراء ، على أساس فقه الأولويات والأهم والمهم وتأويل الحدث والسمو برمزيته إلى ما يخدم نهضة الأمة وتقدمها ووحدتها.

■ ■ ■

المحور العاشر:

الإمام الحسين عليه السلام
في الفكر الإنساني والعالمي

لم تكن ثورة الحسين عليه السلام مقصورةً على أمة دون أخرى، بمقدار ما هي في مفاهيمها وروحها ومقاومتها تمثلُ نزوع أية أمة في التمكين والبناء وترسيخ الوجود.

لذلك تحول الإمام الحسين من ثائر بالإمامة وزعيم إسلامي مقدس إلى زعيم للحرية وشاخص كبيرٍ في أية أمةٍ تريد استلهام دروس الإباء والحرية وتأصيل الوجود.

وعلى هذا الأساس كان لنا سؤال يتعلق بتأثير فكر الثورة الحسينية على الآخرين وحجم تأثرهم بمفاهيمها .

فإلى السؤال والإجابات

- من خلال قراءاتك للأفكار العالمية هل لك أن توضح للقارئ مدى تأثر الآخرين (غير المسلمين) بثورة الإمام الحسين عليه السلام قدامى ومعاصرين وما هي حصيلتهم في هذا الاتجاه اعتناقاً للإسلام أو مؤلفات أو مواقف مشرفة؟

السيد حسن النوري:

رغم قلة ما هو مترجم بلغات العالم المختلفة عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام، مع ذلك نجد جملة من المشاهير نسبت إليهم كلمات قالوها في حق الإمام الحسين عليه السلام وفي استشهاده وهي تدلل على موضوعية هؤلاء وإدراكهم بشكل أفضل من بعض المسلمين، للأبعاد الحقيقية لثورة سيد الشهداء. والأسماء التي قالت في حق الحسين بعض الكلمات وهم :

١. المهاتما غاندي قائد وزعيم هندي شهير حرر الهند من الاستعمار البريطاني: "تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر".

٢. غوستاف غرونباوم مستشرق أمريكي: "إن الإمام الحسين وعصبته القليلة المؤمنة عزموا على الكفاح حتى الموت، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تحظى بإعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا".

٣. المستشرق الهنغاري اجنانس جولدتسيهر"... أيقنت أن الورع الكامن في أولئك الناس والحماسة المتدفقة منهم بوسعهما أن يهزا العالم هزاً فيما لو وجّهها توجيها صالحاً، وانتهجا السبيل القويمة، فلهؤلاء الناس واقعية نظرية في شؤون الدين.

٤. الباحثة الانجليزية جر تروديل: " بالرغم من القضاء على ثورة الحسين عسكرياً، فإن لاستشهاده معنى كبيراً في مثاليته، وأثراً فعالاً في استدرار عطف كثير من المسلمين على آل البيت..."

٥. المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن: "دلت صفوف الزوار التي ترحل إلى مشهد الحسين في كربلاء والعواطف التي ما تزال تؤججها في العاشر من محرم في العالم الإسلامي بأسره كل هذه المظاهر استمرت لتدل على أن الموت ينفع القديسين أكثر من أيام حياتهم مجتمعة.

٦. المستشرق الانكليزي د ج هوكارت: "أن مأساة مصرع الحسين بن علي تشكل أساساً لآلاف المسرحيات الفاجعة.

٧. العالم الأنثروبولوجي الأمريكي كارلتون كون: "حدثت في واقعة كربلاء فظائع ومآسي صارت فيما بعد أساساً لحزن عميق في اليوم العاشر من شهر محرم

من كل عام... فلقد أحاط الأعداء في المعركة بالحسين وأتباعه، وكان بوسع الحسين أن يعود إلى المدينة لو لم يدفعه إيمانه الشديد بقضيته إلى الصمود.. في الليلة التي سبقت المعركة بلغ الأمر بأصحابه القلائل حداً مؤلماً، فأتوا بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم فحضروه في ساعة من الليل، وجعلوه كالخندق ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب وأضرموا فيه النار لئلا يهاجموا من الخلف.. وفي صباح اليوم التالي قاد الحسين أصحابه إلى الموت، وهو يمسك بيده سيفاً وباليد الأخرى القرآن ، فما كان من رجال يزيد إلا أن وقفوا بعيداً وصوبوا نبالهم فأمطروهم بها فسقطوا الواحد تلو الآخر، ولم يبق غير الحسين وحده... واشترك ثلاثة وثلاثون رجلاً من رجال بني أمية بضربة سيف أو سهم في قتله، ووطأ أعداؤه جسده وقطعوا رأسه".

٨. الآثاري الانجليزي ستفن لويد : "إن الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرى الحسين ومقتله ويعلنون الحداد عليه في عشرة محرم الأولى كلها. على مسافة غير بعيدة من كربلاء رجع الحسين إلى جهة البادية، وظل يتجول حتى نزل في كربلاء وهناك نصب مخيمه، بينما أحاط به أعداؤه ومنعوا موارد الماء عنه وما تزال تفصيلات تلك الوقائع واضحة جلية في أفكار الناس إلى يومنا هذا كما كانت قبل ١٢٥٧ سنة. وليس من الممكن لمن يزور هذه المدن المقدسة أن يستفيد كثيراً من زيارته ما لم يقف على شيء من هذه القصة، لأن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل إلى الأسس وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها قط من دون أن ينتابني البكاء.

٩. الكاتبة الانجليزية فريا ستارك: " أصبح اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي وهو العاشر من محرم يوم حداد ونواح عند المسلمين... ففي مثل هذا اليوم من كل عام تمثل مأساة النضال الباسل والحدث المفجع الذي وقع للإمام الشهيد وغدت كربلاء من الأماكن المقدسة في العالم، وأصبح يوم كربلاء وثأر الحسين صيحة الاستنفار في مناهضة الظلم..".

١٠. المستشرق الأمريكي فيليب حتّي: "الحق أن ميتة الشهداء التي ماتها الحسين بن علي قد عجّل في التطور الديني لحزب علي، وجعلت من ضريح الحسين في كربلاء أقدس محجة .

١١. المستشرق الألماني كارل بروكلمان: "لقد قدم الحسين بن علي أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة".

١٢. الآثاري الانكليزي وليم لو فتس: "أخذ الحسين على عاتقه مصير الروح الإسلامية وقتل في سبيل العدل بكربلاء..

١٣. المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون: "على مقربة من مدينة كربلاء حاصر هراطقة يزيد بن معاوية وجنده الحسين بن علي ومنعوا عنه الماء ثم أجهزوا عليه، إنها أفجع مآسي الإسلام طراً.

١٤. الباحثة الانجليزية أ س ستيفنس: "جاء الحسين إلى العراق عبر الصحراء ومعه منظومة زاهرة من أهل البيت وبعض مناصريه.. وكان أعداء الحسين كثرة، وقطعوا عليه وعلى مناصريه مورد الماء، واستشهد الحسين ومن معه في مشهد كربلاء، وأصبح منذ ذلك اليوم مبكى القوم وموطن الذكرى المؤلمة كما غدت تربته مقدسة وتنسب الروايات المتواترة إلى أن الشمر قتل الحسين لذا تصب عليه اللعنات دوماً وعلى كل من قاد القوات الأموية ضد شهداء كربلاء.. فالشمر صنو الشيطان في الإثم والعدوان من غير منازع".

د.زهير غزاوي:

لقد أشرت في سياق حديثي إلى المستشرقين، وبما أنهم لم يكونوا عادلين في تناولهم لهذه الثورة، بل وانحازوا إلى الغالبية المتمثلة بأهل السنة في توصيف الخروج الحسيني بأنه مجرد حدث في سياق الصراع على السلطة، فكانت مدرسة أهل البيت في رأيهم عنوان الدكتاتورية، في مقابل (ديمقراطية) الطرف الآخر، كما عبّر غولد تسهير وبروكلمان وهوفمان وغيرهم، بل أن الأخير يقول: "أي قدر كان ينتظر الإسلام لو أن علياً حضر السقيفة الخ.."

لقد تناولت هذه الآراء في كتابي: الإمام جعفر بن محمد الصادق بين الحقيقة والنفي، وخصصت بحثاً كاملاً حول تلك الآراء. وليس من شك في أن آخرين سعوا إلى دراسة المشرق من أجل فهمه وليس حكمه مثل بطروشوفسكي في كتابه (الإسلام في إيران) أو المستشرق هنري كوربان في كتابه (الشيعة الإثنا

عشرية)، ورغم وجود الكثير من الأخطاء وسوء الفهم فإن فهم الثورة الحسينية وتأثيراتها القديمة والحديثة بدا مُنصَفاً عندهم ومتسماً بعرض الحقيقة من أجل الحقيقة. لهذا لا يمكن التعويل على آراء الغرب في تقديم بحث منصف في نهضة الإمام الحسين، لأن الغالبية الساحقة إنحازت ضد التشيع لأسباب أعتقد أنها تتصل بسعيهم إلى خلق مزيد من الانقسام في الساحة الإسلامية. وبالتأكيد فإنني عبرت في كتاباتي حول الأئمة عبر شهادات هؤلاء أن فخر المدرسة أنها تحوز على العداء المطلق من قبل الغرب المسيحي واليهودي.

د.عبد الكريم الشبلي:

شهادة الإمام الحسين عليه السلام لم تكن مقتصرة على مخاطبة المسلمين، بل هي صرخة ونداء عبر التاريخ إلى كلّ الإنسانية، تركت أثرها العميق في كل ضمير حي يبلغه صداها، ومن هنا توجب على مناصري أهل البيت الوفاء بحق الحسين عليه السلام، والعمل على تبليغ مشروعه الثوري. ولعل رهبان دير حلب كانوا أوّل المستجيبين لهذا النداء.. كما أن ظاهرة التشيع لأهل البيت اليوم ترتكز على لفت انتباه جانب كبير من النخب الواعية إلى مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، فاختاروا التجند للمطالبة بحقه.

د.محمود عكام:

لعل في ذكر الأسماء تحجيماً للآثار العظيمة للثورة الحسينية العظيمة، وما مثالك في هذا إلا مثال من يطلب ذكر أسماء الذين أعجبوا بالإسلام واقتنعوا به مبدأ صالحاً للإنسان وللحياة .

لذلك أقول : لا شك في أن هناك كثيرين وكثيرين وكثيرين من بني الإنسان قاطبة مَنْ تأثر بالحسين وثورته ومسيرته ومنهاجه، وقد حُدِّثت عن احتفالات تقام ومهرجانات تنشأ في أقاصي بُقع الدنيا تحمل بصمة وعنوان الحسين في أيام عاشوراء، والمحتفلون لا يعلمون من هو الحسين ؟ لكنهم بالتوارث يحتفلون بقيمة إنسانية عظيمة اسمها الحسين فيفرحون ويطربون، وما هذا إلا لأنَّ الحسين خرج من دائرة التاريخ الإسلامي ليكون ركناً ركيناً في التاريخ الإنساني، أوليس

جده ﷺ قبله انعتق من أن يكون لعالم المسلمين وحدهم ؟! فقد غدا عنواناً خيراً في مساحات الإنسانية كلها .

السيد محمد الموسوي:

إن مأساة الحسين عليه السلام هي البوابة التي دخل منها ملايين البشر إلى الإسلام، ولا زالوا يدخلون. وهذا واضح في مختلف بلدان العالم. وأما مشاهير العالم فقد قالوا في الحسين الكثير، أنقل لكم هنا بعض كلماتهم:

" إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي.."

الباحث الإنكليزي. جون أشر

"إنّ مأساة الحسين المروّعة ـ على الرغم من تقادم عهدها ـ تثير العطف وتهز النفس من أضعف الناس إحساسا وأقساهم قلباً..إن مذبحة كربلاء قد هزّت العالم الإسلامي هزاً عنيفاً.."

المؤرخ الإنكليزي جيبون

"على الهند إذا أرادت أن تنتصر فعليها أن تقتدي بالإمام الحسين.. تعلمت من الحسين كيف أن أكون مظلوماً فانتصر."

غاندي.. محرر الهند

"اصبح اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي وهو العاشر من محرم يوم حداد ونواح عند المسلمين.. ففي مثل هذا اليوم من كل عام تمثل مأساة النضال الباسل والحدث المفجع الذي وقع للإمام الشهيد وغدت كربلاء من الأماكن المقدسة في العالم، وأصبح يوم كربلاء وثار الحسين صيحة الاستنفار في مناهضة الظلم..

المستشرق الأمريكي. فيليب حتي

"لأن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل إلى الأسس وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها قط من دون أن ينتابني البكاء..."

الكاتبة الإنكليزية ـ فريا ستارك

"...إن وقعة كربلاء ذات أهمية كونية، فلقد أثّرت الصورة المحزنة لمقتل الحسين، الرجل النبيل الشجاع في المسلمين تأثيراً لم تبلغه أيّة شخصية مسلمة أخرى.."

المستشرق الأمريكي غوستاف غرونيباوم

"إن الإمام الحسين وعصبته القليلة المؤمنة عزموا على الكفاح حتى الموت، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تتحدى إعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا.."

الكاتب المؤرخ الإنكليزي السير برسي سايكس

د.علي أبو الخير:

نذكر هنا الثورة الهندية الكبرى التي قادها المهاتما غاندي الذي قال : "تعلمت مِن الحسين كيف أكون مظلوماً وأنتصر" ، ولقد كان تأثر جوزيف لينين بالفكر الثوري الحسيني في ثورته البلشفية رغم انحرافه بالثورة فيما بَعْد، ومارتن لوثر مؤسس الكنيسة البروتستانتينية تأثر بالفكر الإسلامي العام الذي صدر مِن الأندلس ، وكانت الثورة الألمانية المناصرة للوثر ضد البابا في روما مستلهمةً الفكر الحسيني بصورة عامة .

إن الثورات ضد الظلم عادةً ما تتشابه في مفرداتها ، ولكن تظل الثورة الحسينية تجسيداً حيّاً لرفض الظلم .

الأستاذ أحمد جبريل:

إن الدين الإسلامي هو دين عالمي أممي للعالمين من الإنس والجن، وليس لفئة أو لطائفة، وفي كل مطلع شمس يدخل في دين الإسلام أناس جدد من ديانات مختلفة شتى لأنه الدين الوحيد الذي بقي دون تحريف. وهو يخاطب الفطرة الإنسانية، ويلبي حاجاتها، ويشذبها ويصقلها ويربيها على أحسن ما تكون التربية وأفضل ما يكون الصقل للإنسان. والثورة الحسينية هي جزء من الإسلام. بل هي امتداد لدعوة جده المصطفى محمد ﷺ بل هي أهم حلقة في تاريخ الإسلام يربط بين العقيدة والتضحية والثبات على المبدأ. والوقوف في وجه

الظلم والإنحراف... وإن العصر الحالي قد زاد فيه الإنحراف وأخذ يعم الإفساد الصهيوني والطغيان الأمريكي مناطق شاسعة على سطح الأرض، ويرى كثير من المفكرين والعلماء أن الخلاص بالإسلام مثل المفكر والفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي.. وغيره كثيرون.

د.سهيل زكّار:

لقد لوحظت قضية كربلاء، من قبل عدد من المستشرقين، ولكنَّ كتابات الاستشراق تتقصد التأكيد على أن المجتمع الإسلامي فيه تناقضات. أنا أتصور أن الحركة النهضوية الإصلاحية للإمام الحسين تلغي التناقضات. صحيح أن عدداً من المؤلفين الغربيين يحاولون ملامسة الحقيقة، لكننا لا ننتظر من الناس أن يحلّو مشاكلنا. آن الأوان أن نكتب تاريخنا بأنفسنا ونقدم وجهات نظرنا للناس جميعاً، آن الأوان أن نوقف عملية التبعية الفكرية وأن نتوقف عن استيراد شرح الإسلام وتفسيره من قبل غير المسلمين. كم من مرة عُرضت عليَّ قضايا تتعلق بالإسرائيليات، فقلت لأولئك الباحثين المستشرقين: أيها العلماء لماذا تفسّرون رجالاً، هم أبطال الله جل وعلا بأقوال الحاخامات. ونحن الآن — ويا للأسف - نحاول أن نفهم الإمام الحسين من خلال المستشرقين واللاهوتيين الصليبيين؟! هذا لا يصح مطلقاً. نحن نفهم الإمام الحسين من خلال ذاتنا، ورسالتنا وإسلامنا، وعلينا أن نصدر فهمنا هذا للآخرين لا أن نستورد مفاهيم الإسلام من قبل المستشرقين..

د.نعيمة شومان:

لا أعتقد أنَّ لدى الآخرين (من غير المسلمين) حصيلة مؤثرة بثورة الحسين عليه السلام اللهم، إلا المختصين في هذا المجال، واليهود الذين يتخذون مما يعرض من مظاهرها، ذريعة للتنكيل بالإسلام ودرجة قساوته على المسلمين. وبصورة عامة فإن من يتابع وسائل الإعلام الصهيونية، يعتقد أن الشيعة غير مسلمين...! ويمكنكم الاتصال بالأستاذ الكبير إلى العنوان التالي، كتابة

Alain Parguez, 85, Bd Lefebvre 75015- Paris

أو العنوان الإلكتروني: alain.parguez@nëhes.com

لاستشفاف رأيه بهذا الخصوص. وهو مؤيد كبير للإمام الخميني.

والأستاذ

Henri Bartoli- Président du centre de la Société Europeénne de Culture. 10 Rue Des Fleurs. 75013-Paris.

ويمكنكم توجيه الأسئلة باللغتين الفرنسية أو الإنكليزية.

د.سعيد يعقوب:

نعم إن غير المسلمين تأثروا بفكر آل البيت أكثر من عموم المسلمين حتى أن بعض مثقفي السنة اهتموا بآل البيت عن طريق المستشرقين فقط ومنهم من تابع اهتمامه به حتى تشيع فعلاً وأنا شخصياً أعرف بعض الناس كان تشيعهم بهذا الشكل..

كل المثقفين عرفوا ما قاله غاندي من أن الحسين علمه كيف يكون مظلوماً فينتصر. ولا حاجة لتكراره، أما عن المستشرقين الذين بحثوا في بطون الكتب بعقلية حيادية فقد مدحوا آل البيت عليهم السلام تماماً كما مدحوا ابن خلدون وصلاح الدين الأيوبي مثلا.. لأنهم لا يؤمنون بالإمامة ولا بالعصمة.

أما بعض المستشرقين فقد كان دورهم سلبياً فهذا غولدتسيهر مثلاً وصف الإمام علي بأنه يحمل فكر الغضب والحقد.. .. والمستشرقون أنواع منهم من كان حيادياً يبحث عن الحقيقة والحقيقة فقط ومنهم من كان حيادياً معتدلاً وهؤلاء عرفوا مكانة آل البيت ومنهم من أسلم على مذهبهم ولا ضرورة للأسماء لأنني لا أحب تكرار ما يقوله الكثيرون وأكتفي بذكر المستشرق الروسي بطروشوفسكي.

■ ■ ■

المحور الحادي عشر:

المنبر الحسيني
ومواصفات الخطباء
والمبلغين العاشورائيين

كـ المنبر الحسيني، ثورة في مكانه وزمانه يستلهم الواقعة ويعملُ على تجلية صورتها في النفوس تأصيلاً للإمامة والحرية وتحريكاً للمشاعر وتعزيزاً للأفكار واسقاطاً لمعنى أن تكون حراً في زمن الهيمنة وسيداً في زمن الخُنوع.

لكن لا بد من مواصفات وأخلاقيات وسلوكيات ومقاييس يُحتكم إليها في قيام منبرٍ حسيني خلاّق.

السؤال المتعلق بهذا الأمر طرحناهُ فكانت هذه الإجابات.:

- كيف يمكن تقديم الملحمة الحسينية بعيداً عن الإفراط والتفريط أوالتركيز فقط على عرض مظلومية أهل البيت عليهم السلام كما تعودنا ذلك في خطاباتنا السابقة غالباً. وما هي تصوراتك للمواصفات المطلوبة للخطباء والمبلغين العاملين في حقل المنبر الحسيني في الوقت الحاضر ؟

د.حسين شرف الدين:

أكثر الاشياء تعقيداً عند الانسان ـ حسب رؤيتي للمهام ـ هي عملية المواجهة مع الجمهور مباشرة دون حجاب من شاشة تلفزيون أو مجلة حتى ولا ورق، ولقد كان للمنبر رهبة بحيث أن قيس بن ساعدة، أشهر خطيب عند العرب كان يقول: ماشيبني سوى المنابر. وإذا أردت أن أتفهم هذا القول، وأنا أوافق عليه تماماً، فإنني أجد فيه الاحساس الكامل بالمسؤولية، أولها أنه يحترم نفسه وجمهوره ومنبره في أن يختار عبارته بأناقة وحرفة، ويحسن استهلال كلمته، ولا يخرج عن غرض المناسبة ويختار إنهاء خطبته بمجرد أن يكون قد أتم فكرتها، دون أن يدخل موضوعاً خارجاً عن المناسبة، وأن تكون طريقة عرضه لموضوعه بشكل محبب وسلس وأن يكون عنده شيء من الفراسة متأملاً وجوه الحاضرين، فإذا لاحظ ارتياحاً لنقطة تعرض لها فيركز على توضيحها، ويتجنب ما لا يجد له استجابة، ولكن أولاً وأخيراً ومن أسس احترامه لنفسه ومنبره وجمهوره أن يكون مثقفاً، وصاحب اطلاع واسع ودقيق في كل ما يتحدث عنه وله تماس مع عصره دون أن يعتمد في أحاديثه على سماع لأمور حساسة فيقع في شراك الجهالة.

الشيخ جواد الخالصي:

لكي نتجنب الإفراط والتفريط، ولكي لا تتحول الثورة الحسينية إلى المصيبة العاطفية فقط، لا بد أن يتصدى للمنبر عموماً والمنبر الحسيني خصوصاً، خطباء أكفاء يملكون العلم والتقوى والإيمان بالإسلام، لأن الإسلام هو رسالة الثورة، وممارسة هذه الرسالة، لكيلا يكون هؤلاء المتصدون من الذين يقولون ما لايفعلون، أو الذين يتحدثون عن زهد علي عليه السلام ويمارسون حياة خصومه السلطوية المترفة، ويتحدثون عن إباء الحسين وإصراره على المبدأ حتى الشهادة، وهم يقدمون أنفسهم رخيصة من أجل المال، ويتواضعون أمام أصحاب النفوذ إلى حد التذلل والتملق، ومن ثم يتنازلون عن المبادئ أمام التحالفات الخطيرة مع قوى الكفر والضلال والجاهلية، كما جرى ويجري في العديد من الساحات

الإسلامية. كما يجب أن يتحلى الخطيب بالعلم الشرعي والعبادة الصحيحة والمعرفة الدقيقة بسيرة النبي ومن ثم سيرة آل البيت التي تشكل امتداداً عملياً إيمانياً لها.

د.سعيد يعقوب:

أن تقديم فكر آل البيت يجب أن يتم بكامل الصدق والحقيقة.. لماذا؟ إن صاحب الحق قوي ولا حاجة له لأن يبالغ أو يكذب لأن الناس قد يكتشفون بعض المبالغة فيرفضون الفكر كله.

إن الحسين صاحب حق، صاحب حجة، صاحب منطق أتاه على مزايا كثيرة جداً، وقد أوضح كل ذلك وأقام الحجة على الناس.. وأصلاً هو إمام زمانه وحجة الله على خلقه.. وقد أدى الأمانة تماماً حتى في لحظة ذبحه قال لذابحه أتعرف من أنا؟ وأقام الحجة عليه كما أنه استطاع بحجته ومنطقه أن يكسب بعض الخصوم.. مثل الحرّ بن يزيد.. لذلك أكرر أن الخطباء والمبلغين يكفيهم أن ينقلوا ما قاله الإمام نفسه والسيدة زينب والإمام السجاد بعد ذلك ليوصلوا الرسالة. وقد وصلت وأقنعت الكثيرين.

السيد حسن النوري:

إن المنبر الحسيني بمختلف اتجاهاته (إن صح التعبير) سواء منه التاريخي المناقبي والتاريخي المأساوي، والتاريخي القصصي العام أو الاجتماعي التربوي، أو الثقافي والعلمي أدى دوراً مشهوداً في التربية والتثقيف في (الساحة الخلفية) من المجتمع..

لأن الإعلام الذي تولى الساحة الإمامية لم يكن من مصلحته التبليغ لمشروع الإمام الحسين عليه السلام، فكان ولا يزال يملأ العقول والقلوب باتجاهات غير اتجاهات ثورة الإمام الحسين هذا في الغالب وقبل نهضتنا المعاصرة.. كان المجتمع بحاجة إلى فكر تاريخي ملهم وتقديس للرموز والقادة الإلهيين فاستطاع التاريخيون المناقبيون إشباع هذه الحاجة. والمجتمع بحاجة إلى القصص الهادف المربي فكان التاريخي المأساوي والعام متكفلاً بهذه المسألة.

وتولى المنبريون الاجتماعيون والتثقيفيّون الجوانب الفكرية والتربوية بشكل مباشر ومركز.. التقى أحد المسلمين من أبناء المذهب السني شيعياً يعمل في أستديو تصوير وتحادثا وتسامرا وانكشف كل منهما أمام الآخر... قال الأول للثاني هل أنت خريج أو طالب شريعة قال: لا.. قال: من أين لك هذه الثقافة التاريخية والدينية؟ هذه هي المرة الثانية التي يخطأ ظني فقد التقيت شيعياً مثلك وحسبته طالب دراسات الشريعة.. قال الثاني للأول: إن ثقافتي هذه تراكمت من خلال الاستماع إلى خطباء المنبر الحسيني... وأوضح له ما يفعله المنبر في مجال التثقيف العام والخاص.

هذا لا يعفي أهل الشأن من محاولات رصد السلبيات وتجاوزها والبحث عن أفضل الأساليب في صنع الخطباء الأكفاء، ووضع مناهج رائدة في هذا السبيل هناك دراسات حديثة عن الخطابة والخطباء يمكن الاستفادة منها. وهناك خطباء لهم خبرات واسعة يمكنهم الكتابة عنها أو عقد دورات لأجيال الخطباء لإيصالها لهم.

إن أفضل المواصفات يمكن تلخيصها في الجوانب العملية والعلمية والذاتية.

إن غياب الوعي بخطورة دور المنبر من جهة وعدم وجود جهة مسؤولة عن حماية المنبر من مجموعة من الجاهلين الذين استشهد الإمام الحسين عليه السلام تحت نصال كلماتهم وبسيف غباوتهم.

إن معرفة هاتين الجهتين تجعلنا ندرك بوضوح عوامل وعلل الظواهر غير المناسبة مع شأن وعظمة قضية الإمام الحسين عليه السلام وهي قضية الإسلام، كيف يكون الحال إن علمنا أن هؤلاء صاروا مصادر لكل ما هو سلبي وضار بقضية الإمام الحسين عليه السلام

إن بعض الخطباء وهم قلة يتقنون بإحكام أداء دورهم ولكن الآخرين وهم كثر لم يراعوا أصول الخطابة وأهدافها كافة.

لهذا استعاضوا عن هذه الأصول المضيعة بأمور برعوا فيها أيما براعة، حفظ النصوص وقص القصص والتفنن في الأداء الصوتي، لن أتحدث عن شروط النجاح في كل عمل لأن بعضها عند بعض الخطباء والعاملين في الشأن

الحسيني غلب على بعض، هذه الشروط هي الرغبة وبذل الجهد وتوفير الوقت الكافي وسماع كلام أهل الخبرة.

الشيخ محمد حسن تقي:

الخطيب أو المبلغ أياً كان يحمل في طيَّات رسالته مضمون مهمة الموضوع الذي يتكلم عنه، لابد له من أن يحيط بالموضوع إحاطة تامة وألا يكون العطاء مجزوءاً أو منقوصاً وقد يؤدي دوراً سلبياً في أداء رسالته. و الخطيب أو المبلغ الحسيني لا بد له من أن يحمل في كل كلمة وموقف وتصرف له حركةً وموقفاً من المواقف الحسينية. الهدف من ذلك إيصال ذلك الصوت الذي هدر في الحادي والستين للهجرة، وفي العاشر من المحرم منه ليفيض ذلك الصوت مؤثراً وفاعلاً في الإنسانية أجمع نظراً لعموم وشمول الهدف لتلك الحركة.. ودور الخطيب الحسيني تارة يكون:

١- ضمن الوسط الولائي العاطفي المحض: هنا التركيز على الجانب العاطفي حتى وإن كان المضمون بسيطاً يعطي نتيجة في حدها الأدنى التمسك بهذه الشعيرة من شعائر الله.

٢- ضمن دائرة أوسع من خلال مجلس عام أو ندوة عامة أو مؤتمر عام، أو حتى بواسطة إحدى الفضائيات المتوفرة الآن. هنا البحث يختلف وهذا هو المهم. هنا لابد أن يتوفر في المبلغ أو الخطيب الحسيني مواصفات منها:

أولاً: الاطلاع العلمي، لابد للخطيب المتصدي لمجلس عام من أن يكون واسع الاطلاع في مختلف المجالات العلمية التي لها علاقة في البحث منها:

أ- **الأمور العقائدية**: على خطيب المجلس أن يكون دارساً دراسة واعية لدورة عقائدية بمستوى جيد حتى لا يقع في مطبات قد تؤدي به إلى مداخل غير صحيحة و تؤدي إلى عكس الهدف المنشود.

ب- **الأمور الفقهية**: لابد أن يكون مطلعا على الأحكام الفقهية حتى لا يقع ضمن عرض للبحث بتناقضات فقهية قد تحصل، فقد يشيد بموقف ما وللشرع موقف آخر.

ت- **الأمور الأخلاقية**: لأن البحث العام حسينيٌ أو لمناسبة أخرى، لابد للخطيب من أن يتعرض للأمور الأخلاقية التي حث الشارع الحكيم عليها، ومن خلالها يؤدي إلى صلاح الفرد، فالتركيز على مثل هذه الأمور ضروري جداً.

ثانياً: إمكانية التلاؤم مع الوسط الذي يعيش فيه أو الوسط الذي يؤدي رسالته ضمنه.

فكثيراً ما يتم الحديث من قبل بعض المجتمعات عن سلوك ما لمبلغ ما لا يتوافق مع سلوك الوسط الاجتماعي الذي يبلغ فيه، وقد يكون تصرفه غير مخل بالنظام أو الشرع، لكن العرف إن لم يتقبل ذلك قد يعطي نظرة غير صحيحة وغير سليمة عن المبلغ وعن الرسالة التي يؤديها، وهذا يشمل جلسته ومشيته ومنامه وطعامه وشرابه وحديثه ومزاحه وغير ذلك.

ثالثاً: الابتعاد قدر الإمكان عن تتبع الشاذ المروي في واقعة كربلاء: وهذا شأنه شأن ما ورد في السنّة المباركة لرسول الله ﷺ، فهناك الكثير من المدسوسات هدفها النيل من الرسالة أو الحركة، وهنا يمكن أن يتمثل بإعطاء دور لبعض الموجودات غير العاملة في كربلاء وإعطائها دوراً ما أو موقفاً ما، وهذا كثيراً ما نسمعه ويؤدي إلى ردة فعل عكسية عند البعض أقول: حتى وإن حصل شيء ما كإعجاز مثلاً ولكن جعل الآخرين يتقبلونه، هذا أمر جد مشكل.. فلا يجوز لي أن أجعل ذلك وسيلة لاستدرار العواطف والدموع.

رابعاً: ما ذكر ثالثاً يجعلنا نقول بأن الواقعية في العرض لها دور كبير ومفيد جداً، وبذلك نكون قد خاطبنا عقل السامع وفكره، وهذا ما نبغي إليه وما نريد الوصول إليه.

خامساً: أن لا يكون نظر المبلغ منصباً فقط على مسألة البكاء والبكاء فقط، بالرغم من أهميته وعظيم أجره، وأن لا تكون هي الغاية فقط، ومن أجل ذلك نتيح لأنفسنا تتبع ما ورد في الفقرة الثالثة ونبتعد عما ذكرناه في الفقرة الرابعة.

بهذا الشكل وضمن هذا الإطار يمكن أن نحقق شيئاً ما مفيداً من إحياء الذكرى إنشاء الله.

السيد كامل الهاشمي:

علينا أن نؤكد على أن الخطباء الحسينيين يمثلون الناطق الرسمي الأول اليوم باسم الثورة الحسينية، وكما كانت الثورة الحسينية ناجحة وموفقة ومتقنة في أدائها وفي كل مواقفها فمن اللازم أن يتمثل الخطيب الحسيني هذا النجاح والتوفيق والإتقان في مهمته الشريفة التي يقوم بها من أجل إيصال رسالة الثورة إلى الآخرين، وبصورة مختصرة ما أراه هو ضرورة أن يتوفر الخطيب الحسيني على مهارات ثلاث لا يمكنه الاستغناء عنها جميعها، وهي:

أ- مهارة التفكير: بمعنى أن يكون قادرا على تحليل وفحص كل الأبعاد التي حركتها أو أرادت أن تحركها الثورة الحسينية في وعي وضمير الناس.

ب- مهارة التعبير: وهي المهارة التي يحسن من خلالها الخطيب الحسيني توصيل أفكاره وتحليلاته إلى المستمعين بأفضل أسلوب.

ج- مهارة التأثير: وهي حاصل اجتماع المهارتين السابقتين في أداء الخطيب الحسيني، واستخدامهما ضمن مشروع تغييري يستهدف تحقيق متطلبات الإصلاح والصلاح في الذات والمجتمع.

د.سهيل زكّار:

عن مظلومية آل البيت أقول: إنّ أهل البيت ليسوا أسرة، وإنما هم رسالة، أنا لا أتعامل مع أهل البيت إلا على أنهم هم الذين حملوا الأمانة، وأهل البيت جاهدوا في سبيل الله، وسيبقون هم المثل الأعلى لكل مسلم. مثل أعلى وليس أكثر من ذلك، هم قدوة. ونحن الآن إذا جمعنا أخبار شمائل النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، وشمائل آل البيت عليهم السلام وقدمناها نموذجاً للمثل الأعلى الذي علينا أن نجمع المسلمين حوله، يكون هذا عملاً رائعاً. لأنه في ماضي الأيام كان المسلمون يفتقرون إلى مرجعية المثل الأعلى. لا شأن لنا بما هو موجود من بعض المرجعيات، مثل المرجعية القومية الشوفينية أو القومية العلمية أو الدعوات المتسترة هنا وهناك، لأنها ليست من الإسلام في شيء.

طالما نحن نؤمن بلا إله إلا الله محمد رسول الله، فليكن لدينا مثل أعلى، هو السيرة العطرة والشمائل الرائعة للنبي المصطفى ولآله ﷺ نقدمها لكل المسلمين حتى نحذو حذوها، الإمام أحمد بن حنبل بقي مدة طويلة لا يأكل البطيخ (الدلاع)، قيل له لماذا؟ قال: لم اهتدِ بعد إلى الطريقة التي كان النبي المصطفى ﷺ يأكل بها هذه الثمرة. فإذن نحن عندما نمتلك المثل الأعلى ونسلك السلوك الأخلاقي لهذا المثل الأعلى، فهذا كفيل بحل الكثير من مشاكلنا وإعادة الوحدة إلى المسلمين وإلغاء الطائفية. في أيام النبي ﷺ لم تكن هناك طوائف، في أيام الإمام علي (كرم الله وجهه) لم تكن طوائف، في أيام الحسين عليه السلام لم تكن طوائف. إنّ الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه كان شيخاً للإمام مالك، وشيخاً لأبي حنيفة. والإمام مالك وأبو حنيفة هما من تلاميذه: والإمام مالك كان أستاذاً للشافعي، والشافعي كان أستاذاً لأحمد ابن حنبل. هنا إذاً المصدر، وهذا هو المثل الأعلى الذي مثّل الإسلام والمسلمين، ولم يمثل طائفة. ونحن عندما نتعامل مع السادة من آل البيت، نتعامل مع رسالة وحدة الأمة، وحدة الإسلام والمسلمين. وهذا يكفينا، أو هذا ما نحتاج إليه الآن، بل نحن بأمسّ الحاجة إلى هذه الرسالة في أيامنا هذه.

الشيخ قاسم آخوند:

البعض يريد منا أن نبقى فقط أسرى البكاء على مظلومية أهل البيت عليهم السلام في مجالسنا دون التعرض لبيان أسباب مظلوميتهم، وماذا فعلوا حتى صاروا مظلومين. إن الهدف الأساسي والمهم من إقامة المجالس يجب أن يكون توضيح وبيان حقيقة مدرسة أهل البيت عليهم السلام وما هو دورهم الاجتماعي والديني في المجتمع الإسلامي وما الذي يشكله وجودهم في الأمة الإسلامية؟ كذلك التعريف بالمعادين لخط أهل البيت عليهم السلام وموقعهم من الإعراب في المجتمع الإسلامي، لذلك يجب أن يتوفر في الخطيب الناجح الصفات التالية:

١: أن يكون عالماً مثقفاً ومطلعاً على التاريخ بشكل دقيق.

٢: أن ينبذ التطرف ولا يتعصب لرأي، ولا يعتمد في آرائه عصبيته الدينية.

٣: أن يكون واعياً لدوره الحساس كمرشد ومبلغ للأمة.

٤: أن يكون هدفه إحقاق الحق بالجدل الحسن والمنطق العلمي المبين.

٥: أن لا ينسى أن للبكاء أثره العميق في النفوس، لذلك فليكن بكاؤه وإبكاؤه في إطار عرضه الدقيق لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام، انطلاقاً من فهم عميق لأبعاد هذه المأساة وتوظيف ذلك في خدمة الوعي الديني والالتزام الإصلاحي في المجتمع.

الأستاذ أحمد الحسن:

مما لا شك فيه أنّ الإعتدال والبعد عن الإفراط والتفريط هو من السلوك المتسم بالحكمة والعقلانية، حيث الإفراط والتطرف في عرض مظلومية أهل البيت عليهم السلام ومحاولة استحضار التاريخ بشكل مفرط ومبالغ فيه، قد يسيء إلى فكرة الثورة الحسينية نفسها التي يجب أن تقدم كأنموذج للثورة الملتزمة بمبادئ وضوابط خلقية تشكل المنهج القويم الذي ينتهجه دعاة الثورة الحسينية. ومن هنا تتأتى أهمية اختيار الدعاة والمبلغين ممن أوتوا معرفة واسعة وإطلاعاً عميقاً بالتاريخ وأحداثه. ممن يمتلكون الموهبة والمقدرة على تحليل أحداث التاريخ وربطها بالظروف المحيطة بها وتفسير انعكاس تلك الظروف على الأحداث. وإعتماد الحوار المنطقي الهادئ الذي ينأى عن الشحن العاطفي والإنفعال النفسي، حوار قائم على أساس من إحترام القناعات المتبادلة بشكل يسمح في تبديد الإلتباسات الخاطئة التي تكونت في أذهان العامة عبر القرون، والتركيز على تصفية النفوس وتطهير القلوب من المواقف القبلية المسبقة بما يؤهل الداعي والمبلّغ من إثبات حضوره في وعي المتلقّي وذهنه، وأن يدرك الداعي والمبلغ لمبادئ الثورة الحسينية وقيمها السامية، أنها ليست وقفاً على فئة من المسلمين دون الأخرى، بل هي قيم ومبادئ تستحث جميع المسلمين للتمسك بها والدفاع عنها، وعيشها سلوكاً يومياً وممارسةً حياتية. على الدعاة والمبلغين للمنبر الحسيني وبحكم وعيهم وإدراكهم لمقتضيات العصر أن يميزوا بين الدين والتاريخ، فالدين مقدس، أما التاريخ فهو نتاج بشر وأن الخلافات بين مذاهب الإسلام وطوائفه

في جُلّها خلافات تاريخ وليست خلافات جوهرية في العمق، والخلافات التاريخية تحكمها مصالح البشر.

د.عبد الكريم الشبلي:

تعتبر المجالس الحسينية وسيلة تربوية ناجعة، ومنبرا فعّالا في تصوير الملحمة الحسينية وتبليغ صوتها إلى العامّة والخاصّة معاً. وبغضّ النظر عما يشوبها أحياناً من الخرافة والتساهل في الروايات، فإن دور هذه المنابر كبير في حفظ التراث الحسيني والكشف عن مظلومية أهل البيت عليهم السلام. ويعود ذلك أساساً إلى ارتكازها على الأسلوب العاطفي ومخاطبة القلوب واستدرار دموع المحبين.. وهذا ضروري في سياقه الخاص، لكن الغريب أن بعض القنوات التلفزيونية الفضائية تنسى أنها تخاطب شرائح واسعة وغير متجانسة من المسلمين ومع ذلك نراها تقتصر على هذه المجالس بعينها، وتعجز عن تحويلها إلى مادة علمية تغذي العقول وتستقطب الجميع، وهذه الظاهرة راجعة إلى غياب برنامج واضح وعملي للتبليغ، وكذلك إلى نوعية ومستوى المبلغين.

فالخطيب الحسيني وخاصة المبلغ يجب أن يكون واعياً بجسامة الدور الذي يلعبه، والخطاب الذي يلقيه، ويجب أن يكون العقل حاضراً في هذه المجالس: من خلال اعتماد الروايات العلمية الموثوقة عند مختلف المدارس، وباجتناب الخرافة. وحتى تجنب بعض المواقف الخاصة التي يمكن أن تخلق حساسية معينة لمستمع غير متعوّد على أجواء المجالس. ولذا يجب أن تتوفر في الخطباء والمبلغين الشروط العلمية اللاّزمة التي تؤهلهم للحديث والنقاش في المسائل الخلافية عموما، والإلمام التام بحيثيات وأهداف المشروع الحسيني. وبالتالي نحتاج اليوم إلى تجديد مضمون هذه المجالس وتطويرها، بعد أن هيمنت عليها لهجة إقليمية معينة ونصوص مضبوطة لا تتماهى وقابلياتنا اليوم.

د.محمود عكام:

أهم ما أسعى إلى أن يتحقق به المبلّغ أمران : التوثيق والتحقيق وبعدها يأتي الصدق في الحال لهجةً وسلوكاً وقولاً، وكذلك التحمل والصبر والبذل

والتضحية، والمشكلة أنني أسمع أحياناً من بعض مبلّغي الثورة الحسينية من الشيعة من الأخبار ما لا أعتقد صحته فينتابني شعور بالحزن على ما يُروى، وأتمنى لو أن هذا المبلّغ وثق قوله وحديثه وحكاياته وقصصه وحينها فسيحمل الحجة على الآخرين بوضوح وجلاء، ولطالما آلمني أيضاً استبعاد بعض مبلّغي السنة عما ثبت أنه صحيح من أخبار تتعلق بالإمام الحسين خشية الاتهام بالتشيع وسبحان الله !!.

وما المانع أيضاً يا أهل السنة والشيعة، من أجل الوحدة والاتفاق، أن لا يبقى أحد منكم على اعتماد قول ما، في أمر ما، يخالف صاحبه إذا كان بإمكانه وحسب معطيات مبادئ الفقه وأصوله عنده الأخذ بقول آخر، فالإسلام ليس بعض الفقه بل هو كل الفقه وفق القواعد الثابتة لغوياً وشرعياً ومنطقياً ...

د.علي أبو الخير:

الإشكالية هنا تقع على عاتق خطباء المنبر الحسيني وقدرتهم على عرض الملحمة الحسينية، ونذكر هنا الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله، وهو مِن الذين أسهموا بشكل مؤثر في توضيح وعرض ملحمة الإمام الحسين عليه السلام ..

وعملية الإفراط والتفريط مرتبطة بشكل وثيق بسيرة الحسين ذاتها، وشرح الملحمة الحسينية – سواء على المنبر أو في الكتب – لا تنفك ترتبط بمظلوميته، ولا يمكن الفصل بينهما، وكلها ملحمة، والمطلوب هنا هو في إبراز الثورة ضد الظلم والسياسة المنحرفة.

كما يمكن الربط بَيْن السياسة الحسنية التي حافظت على الجماعة الصالحة وبين ثورية الحسين، وارتباط كُلّ ذلك بسيرة صاحب الرسالة النبي محمد صلى الله عَلَيْه وآله وسلم، وكلها مرتبطة بسيرة النبي وملحمة الإسلام وأصوله القرآنية.

د.ادريس هاني:

أحياناً، تكون المسألة أبعد من مجرد وجود إفراط أو تفريط في الأسلوب الذي يقدمه أتباع أهل البيت بخصوص الخطاب الحسيني.المسألة في تصوري تتعلق باختلاف في الأذواق واختلاف في الأنماط. وهذا ليس من حق أي قارئ للظاهرة

من الخارج أن يستشكل عليها من ناحية الإفراط والتفريط ، على أساس أحكام القيمة .وحده علم اجتماع الثقافة يمكنه أن يقف على المعقول الثاوي في صلب اللامعقول في كل ممارسة طقسية ذات بعد سوسيو ـ ثقافي.وأنا شخصيا أستمتع بالفرجة في كل أسلوب له مرجعيته في الثقافة الرمزية لشعب من الشعوب.أحيانا أستحسن بعض الأنماط الاحتفالية وأحياناً أستقبحها ، لكنني أتفهمها. وأما ما يسمونه الحماقة ، فهي أحكام معيارية تدل على جهل حقيقي بنسبية الطقوس والثقافة الاحتفالية من وجهة نظر اجتماعية وانتروبولوجية.لكن ما أريد التنبيه إليه بهذا الخصوص ، هو أن ضرورات توسيع مدى المتلقي المفترض للخطاب الحسيني وضرورات عالميته تفرض نوعا من التخفيف من وطأة التضخم في النمط الخاص ، لأننا نرى أن الطقس الحسيني في خصوصيته الاحتفالية المحلية أحيانا يسبق المعطيات الموضوعية الملهمة والفلسفة التي تختفي وراء حرارة الطقس.وبالتالي ، أحياناً ولا أقول دائما ، هناك ، تأثير سلبي ، يجعل الوعي بالفلسفة الحسينية مُتأخراً عن التأثر اللاواعي بطقوسيتها.بل أخشى أن تتحول الرسالة الحسينية في فلسفتها الإنسانية الكلية إلى ظاهرة سوسيو ثقافية محض ، تغطي على بعدها الأيديولوجي والتاريخي الموضوعي ومحتواها النهضوي والرسالي ، الذي يلامس الوعي والعقل بقدر ما يلامس الوجدان واللاوعي.لكن هل يمكننا الحديث عن وقف كل التعبيرات الشعبية والطقوسية العاشورائية؟!.

في تصوري المطلوب هو التوازن.أعني إعطاء الوعي حقه مقدار ما نعطي للاوعي.أي أن يوجد نوع من التوازن يؤدي إلى تعدد في الخطاب.المشكلة هي إذن ، في اختلال التوازن.نحن نعلم أن المتلقي المفترض يشكل القاعدة الاجتماعية الشعبية الأوسع.لكن هذا لا يعني إغفال الشريحة الواسعة التي تتطلع إلى تشكيل حالة ارتكازية في منطقة الوعي بالقضية الحسينية.من ناحية أخرى أعتقد أن الطقس الحسيني والقالب الذي يقدم به الخطاب ، ليس مرفوضاً مطلقاً حتى مع وجود ما يبدو منفراً في ثقافات أخرى.فهذا أمر طبيعي.إننا نفهم الطقس الحسيني في تعبيره الشعبي والثقافي الرمزي ، حكاية عن (الجنان) يُقصد (الجنون) مفرط

بمحبة الحسين، يترجم أقصى الولاء.والمحبة للحسين ولعموم أهل البيت هي أمر بسيط يشتد ويضعف، فلا حدود له.بل كل يحب بطريقته والكل يتنافس، "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"، لقوله ﷺ "حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا" . فهناك من يحب كثيرا وهناك من يحب قليلا ، ومن الحب ما قتل! ويبدو لي أن ما لا يفهمه الآخر في الأسلوب الذي تقدم به القضية الحسينية، هو أن هناك قيمة في الوجدان الشيعي تقوم على اعتبار الانجنان بحب الحسين: "حب الحسين قد أجنني".فالمظاهر التي تشاهد في المناسبات، دالة على أن المطلوب هو إظهار الإنجنان بحب الحسين، وليس المقام مقام معالجة برهانية أو جمالية .وإذا كان هناك من ينعت الشيعة بأنهم مجانين من خلال طقوسيات عاشوراء، فله الحق أن يقول ذلك ما دام هو خارج دائرة تأثير الوجدانية الشيعية الحسينية . وذلك في اعتقادي دليل على أن الشيعة نجحوا في تقديم المراد؛ بأن حب الحسين قد أجَنّهم.أعتقد أن المطلوب هو التوازن في الخطاب وفي الطقس للكشف عن الوجه الكوني للخطاب. على أن الحديث عن الوجه الكوني للخطاب لا يعني القضاء على الجانب الشاعري والطقسي للخطاب، فللكونية طقوسها المقبولة أيضا.الملحمة الحسينية هي إنسانية متعددة الأبعاد. وتضخم الحالة الوجدانية واختزالها في الطقس الاحتفالي راجع إلى سعة القاعدة السوسيولوجية الشعبية للمجتمع الذي يتعاطى هذه الاحتفالية مقابل محدودية النخبة وثقافتها.لكن هذا التنوع في الأبعاد العاشورائية لا يظهر منه إلا الجانب الطقسي.وعلينا أن نوسع من الجانب التحليلي والقرائي الذي يدرس الملحمة الحسينية من خلال أبعادها وزواياها الأخرى.

هذا في الإطار العام .أما من ناحية المبلغين وخطباء المنبر الحسيني ، فعليهم أن يتحلوا بثقافة عالمية، تمكنهم من استحضار الوعي العالمي والذوق العالمي ، ويكونوا أكثر توازناً. والخطباء في هذا المقام مطالبون أكثر من غيرهم بتحصيل حد أدنى من الثقافة العالمية والاجتهاد في مراعاة الذوق المشترك.وعدم الاستسلام للسبات الانفعالي والعاطفي الذي يقوم عادة على حساب منطق المحتوى الرسالي للمادة الحسينية.إن القدرة على السيطرة على ناصية الوجدان الشعبي في

العرض العاشورائي أثناء سرد الأطوار الموحية في نعي الحسين، لا ينبغي أن تسرق وعي الخطيب وتجعله يتسامح فيما أسميناه المحتوى المنطقي و الموضوعي لرسالة الحسين.هناك ما يعرف بالكوريز - الكاف المعجمة - عند خطباء المنبر الحسيني، والكلمة فارسية، يعنون بها الهروب.وهي تقنية خطابية تنقل ذهن المتلقي بنكتة ينخرم فيها السياق بصورة خفية إلى المصيبة من دون سابق إنذار، ولكن بذكاء خطابي.ويحتاج الإنسان أن يكون متمثلاً للوجدانية الحسينية حتى يسامح هذه الانعطافة الخطابية، حيث البعض يبالغ في التسامح أحياناً إلى حد غير معقول.على الخطيب أن لا يمارس الغوريز المنطقي فضلا عن الخطابي، لأن ذلك غير مقبول من المتلقي العالمي الذي لا زالت تنقصه المعطيات. إن الثقافة الحسينية كما تمارس في المجتمع الشيعي ، تجعل المتلقي المفترض لا يرى في الأطوار التي يكاد يحفظها عن ظهر قلب ، سوى لحظة سماع لاستحضار مصيبة لا تغيب عنه تفاصيلها . ولكن المتلقي خارج دائرة تأثير الوجدانية الشيعية تنقصه المعطيات.

إن التضخم من الحالة الوجدانية ليس هو المشكل، بل المشكل يكمن في غياب حد أدنى من فكرنة الملحمة الحسينية وحد أدنى يوازي ذلك من الدراسة الواعية لمضمونها النهضوي.

هناك خطاب حسيني منبري نشأ وتطور وتراكم في مجال سوسيو- ثقافي معين، كما يفترض متلقياً محدداً سلفاً. لكن المنبر الحسيني لم يطور خطابا مفتوحاً، ولم يفترض متلقيا مختلفا، قد تنقصه المعطيات المتعلقة بالمحتوى التاريخي والمنطقي للمصيبة، أو قد لا يتمتع بالحاسة السوسيو- ثقافية لالتقاط اللغة الرمزية والذوقية لهذا العرض البكائي الممسرح.

من ناحية أخرى يجب التأكيد على المحتوى الحضاري الكبير ، والبعد المشروعي لملحمة الحسين.إن الخطباء يركزون بالتفصيل على المقتل ، وعلى إبراز اللحظات الدراماتيكية للجريمة.فلا ينسون جزئية من جزئيات المقتل. وهذا أمر مهم نجح فيه المنبر الحسيني إلى أبعد الحدود. لكن قضية الحسين ليست مجرد وصف لمقتل، بل هي وصف لقتل استتبع أشكالاً من القتل لمشروع أمة ومشروع

نهضة.أي البعد الشأني للإمام الحسين وموقعيته الرسالية داخل الأمة .

إن نضج الخطيب الحسيني وثقافته تنعكس بصورة تلقائية على المحتوى ، فتكبر القضية بمستوى ثقافة الخطيب وعلمه . وفي هذا السياق يمكننا الحديث عن نماذج تركت بصماتها على المنبر الحسيني من أمثال الشيخ الوائلي رحمه الله ، الذي استطاع أن يطور نمطا خاصاً في الخطابة الحسينية ، استدمج فيها العلم والتحقيق بفن الخطابة وما يقتضيه من نكات بيانية ، فكان نموذجاً للخطيب الذي يفقه عصره ويفقه موقعية الخطيب الحسيني ومسؤوليته.وهناك نماذج كثيرة ، حيث أفضل أن لا أتحدث عن الأحياء ، استطاعوا أن يطوروا أسلوبهم الخاص ويثروا تجربتهم الثقافية ويعصرنوا خطابهم الحسيني المسؤول ويكيفوه ضمن جغرافيا الحساسيات المختلفة.وأعتقد أن المنبر الحسيني يجب أن يتحول إلى شعبة تخصصية ، وأن الخطابة الحسينية يجب أن تصبح تخصصاً ، ومادة للدراسة يتعلم فيها الخطيب فنون الخطابة و التزود بالمعارف والعلوم الضرورية للخطيب.فحيثما أبرزنا المشروع الحضاري والنهضوي الذي قضى في سبيله أبو الأحرار ، كبرت الملحمة الحسينية وأصبحت أكثر عقلانية وبالتالي أصبحت الوجدانية نفسها مقبولة بهذا اللحاظ.إن الحسين قد فتح صفحة بيضاء ، علينا أن نعرف كيف نكتب عليها أعظم جملة للتعبير عن ملحمة ، لا زلنا نرى أنها قادرة على أن تلهمنا بالشيء الكثير.

د.زهير غزاوي:

يجب الاعتراف أن ما يقوم به أقطاب المنبر الحسيني شهد حالات من المد والجزر وهنا يبرز اسم الدكتور أحمد الوائلي كأول مجدد في هذا المجال. إن خطباء هذا المنبر في غالبيتهم محدود الثقافة العامة ، ويعتمدون الوسائل القديمة المتداولة منذ مئات السنين. رغم ضرورة توفر الصوت الجميل لامتلاك التأثير العاطفي المطلوب فإن ذلك لا يغني عن أن الخطيب يقدم نفسه فقيهاً ومتمكناً من التاريخ ويسعى إلى تقديم إشكالات معاصرة ، وواعظاً ، وتلك مهمة بالغة الصعوبة. ومن أجل توفير شروط منبر حسيني يتسم بالحداثة ، فإن أول ما يجب فعله ، هو إجراء عملية تأهيل لهؤلاء. حتى يكون المنبر مدرسة حقيقية ، وليس واجباً

عابراً، وتلك مهمة المرجعيات الدينية أن تضع البرامج الضرورية لهذا التأهيل بما في ذلك اختيار الكوادر القادرة.

السيد محمد الموسوي:

الخطيب الحسيني النافع هو الذي يعيش مع الحسين قلبا وفكرا وسلوكا ويوجه الناس الى أتباع مدرسة الحسين التي هي مدرسة النبي صلى الله عليه وآله. ولا بد من توفر ما يثير العاطفة الأيمانية ويجري العبرة (بفتح العين) باعتبارها نتاجا طبيعيا لحب المؤمن لرسول الله وأهل بيته الطاهرين، كما لا بد من شحذ العقول لأخذ العِبرة (بكسر العين) من جهاد الأمام الحسين الذي يهدف الى احياء الدين في حياة المسلمين.

■ ■ ■

فضيلة السيد عبد الله نظام

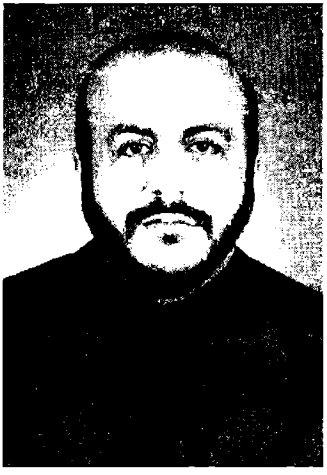

المفكر الدكتور محمود عكام

فضيلة الشيخ إبراهيم اليزدي

فضيلة السيد حسن الشوري

فضيلة السيد كامل الهاشمي

فضيلة الشيخ قاسم آخوند

المحور الثاني عشر:

إحياء ذكرى عاشوراء

بعيداً عن الفئوية والتعصبات القومية

ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي ثورة إنسانية قبل أن تكون ثورة الإمام المسلم ضد رموز الجاهلية ونظام الاستبداد المظلمة.

لهذا تسامت الثورة على الشعارات القبلية والقومية والعنصرية واحتجت على جوهر كفاح الإنسان من أجل الحياة بيد أن البعض لا يزال يَسِمُ الثورة بالشيعية، كونها صدرت عن إمام الشيعة، وبالإيرانية كون الإيرانيين يحبون هذه الملحمة الخالدة كغيرهم من أبناء الأمة الإسلامية.

السؤال الذي طرحناهُ يحاول أن يعالج هذه الإشكالية عبر الإجابات الواردة.

فإلى السؤال والإجابات

- بين تفريس الشيعة إذا كانوا عرباً وتعجيم عاشوراء إذا ما استذكرها الإيرانيون، يبدو أن الثورة الحسينية عرضة دائماً لتجاذبات طائفية وقومية يسوقها أعداء الأمة، كيف السبيل لتجاوز هذه الإشكالية باتجاه توحيد المسلمين على الخطاب الثوري العاشورائي من جهة، وعولمة هذا الخطاب من جهة أخرى؟

د.عبد الكريم الشبلي:

من عجائب زماننا الرديء أن دعاة العولمة عموماً، أو أصحاب شعارات الوحدة خصوصاً في صلب أمتنا الإسلامية المقموعة، نراهم يوزعون التهم بالطائفية والعنصرية بين الفينة والأخرى: لا سيما أن هذه الاعتبارات التشويهية المفارقة للحقيقة والمتلبّسة بالصبغة السياسية، تتخفى وراءها أطماع الاستكبار ومصالحه التي تتناقض جوهرياً مع شعارات ثورة الإمام الحسين عليه السلام. ويجب أن نذكر هنا أن منهج الاستعمار والاستكبار على مر الزمن (هو فرّق تسد)، ولذا نراهم يتوسلون بإشعال النعرات والعصبيات الطائفية وبذل التهم الرخيصة التي تستهلكها وسائل الإعلام وأصحاب الرؤوس والأفئدة الفارغة.

ولا يخفى علينا أن هذه الادّعاءات تهدف ظاهرياً إلى عزل العملاق الإيراني عن باقي العالم الإسلامي، باعتباره النموذج الناجح اليوم على المستويات كافة، والجدير بالاقتداء والمحاكاة بخلاف المناهج الغربية الغريبة عن أمتنا الأصيلة.. لكن الغرض المبطن لهذه الأباطيل الزائفة هو الإلباس على المسلمين حقيقة دينهم، لأنها تتضمن اتهاماً صارخاً لعاشوراء الحسين ونهج أهل البيت عليهم السلام، وهذا التشويه تستجيب له العامة التي لبت لها بدون دراية وللأسف الشديد بحقائق الأمور، كما يهلّل له التكفيريون الذين يتربصون جهلاً بأولياء أهل البيت عليهم السلام وينساقون كلهم عن لا وعي وراء الزيف والباطل لخدمة مخططات الاستكبار.

لكل هؤلاء نقول أن برنامج الصهاينة الأمريكان لإشعال الفتنة الطائفية في العراق وتأزيم المنطقة.. سقط منذ الوهلة الأولى عندما خرجت الملايين من العراقيين موحدة وملبية نداء الحسين عليه السلام في ذكرى أربعينية استشهاده. ويجدر بنا أن ننوّه هنا بحنكة وحكمة المراجع العظام، لدورهم في توعية الشارع العراقي بصفة خاصة، ومنعه من الاستجابة للاستفزازات الطائفية رغم الدماء التي تنزف منه كل يوم. ورغم الانتهاكات الكثيرة لكل المقدسات الإسلامية... ولا يخفى على العاقل أن السقوط في مهاوي الطائفية والانزلاق إلى الفتنة هو الخطر

الحقيقي الذي يتهدد الأمة الإسلامية كلها. وتتناقض والمشروع الحسيني الوحدوي. فلا مفر من كشف ألاعيب الاستكبار وتعرية الشعارات الجوفاء التي ترفع باطلاً، لأن المؤامرة لاتحاك ضد طائفة دون أخرى، وإنما تستهدف الأمة بأجمعها وتحارب الإسلام حيثما حلّ! ولذا يتوجب علينا اليوم التمسك بنداءات الإمام الحسين عليه السلام إلى مجمل الأمة الإسلامية، حتى تتراص الصفوف، وتتنبه إلى خطر الاستكبار وتهديداته لوحدتنا ولمقوماتها وأساساً لهويتها الإسلامية[1].

السيد محمد الموسوي:

إحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين ظاهرة عالمية تقوم بها الشعوب الإسلامية من أقصى الأرض إلى أقصاها، وهي لا تختص بقومية دون أخرى، فهي جزء بارز من تراث وسلوك المسلمين في الصين والهند وبورما وتايلند وأوروبا وتركيا والجزيرة العربية وإيران وآسيا الوسطى وأفريقيا.. وسائر بلاد الأرض التي يسكنها المسلمون واتهام الشيعة العرب بأنهم فرس، إضافة إلى كونه نكوصا عن تعاليم القران الذي ساوى بين البشر وجعل معيار التفاضل منحصرا في التقوى، هو افتراء على التاريخ والواقع معا. فالتشيع لعلي عليه السلام ظهر منذ بدايات العهد النبوي وكان من الشيعة عيون الصحابة كسلمان وأبي ذر وعمار والمقداد وغيرهم . ثم انتقل التشيع من الصحابة إلى التابعين والأجيال التالية إلى اليوم ، بالرغم من شدة الصعوبات التي واجهها أتباع أهل البيت من قبل السلطات الغاشمة. ومحاولة تفريس الشيعة العرب تنطوي على الإفتراء أولاً وعلى المفهوم الجاهلي ثانيا الذي يفرق بين الأمة على أساس اللغة والقومية. وكيف يتناسى من يروج تهمة تفريس الشيعة أن أئمة الشيعة هم أهل البيت النبوي، بينما أكثر أئمة مخالفيهم من الأعاجم ، ولا عيب في ذلك لدى المسلم

---

[1] نشير بعجالة إلى بعض بنود هذه المؤامرة: من انتهاك مقدسات الإسلام والنيل من حرمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، رأينا ونرى ذلك في مختلف أنحاء العالم الغربي. ويستند الاستكبار العالمي لتكريس الفرقة بين المسلمين إلى عدد من الرموز الطائفية ذوي الأفق المحدود لتمرير مشاريع الفتنة والتفتين.

البصير بدينه.

السيد حسن النوري:

التوحيد في كلمة المسلمين كان ولا يزال من أهم الهموم لدى الدعاة المخلصين الواعين وهو هدف وليس وسيلة يسعى الإسلام إلى تمثله وتحقيقه.

ومن يرى أن الإسلام يدعو إلى تمجيد قومية ما على غيرها فهو لم يفهم الإسلام وعالميته وروح رسالته، ومن واضحات التاريخ أن الفكر الإسلامي ليس حصيلة جهود علماء ومفكري قومية واحدة، بل اشترك في رفد هذا الفكر علماء من مختلف القوميات، وهذا هو سر تنوعه وتطوره وحيويته وقبول الشعوب الإسلامية به وتعايشهم مع مفرداته، فهناك العرب وغير العرب فيهم الفارسي والتركي والهندي و...

ومن يقرأ تاريخ المذاهب الإسلامية وسيرة كبار المحدثين يجد غير العرب يمثلون أكبر عدد من علماء المذاهب والمحدثين ومفكري الإسلام..

لسنا مع العروبية أو التفريس أو أي قومية أخرى، بل نحن مع القرآن الكريم (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

وليس من حق أي قومية إلغاء قومية أخرى أو التقليل من دورها وشأنها... وليس من حق أي قومية فرض الوصاية على قوميات أخرى ولا يعني اتخاذ أهل قومية ما مذهباً معيناً من مذاهب الفقه الإسلامية، إن المذهب أصبح مفيداً لتلك القومية وستنعكس على المذهب ما يجري على تلك القومية من أحكام تكونت عنها حقاً أو باطلاً..

إذا كان الفرس قد اتخذوا التشيّع مذهباً في فهم العقيدة الإسلامية وفي معرفة الشريعة والأحكام الفقهية فإن هذا لا يعني تفريس التشيع خصوصاً مع ملاحظة أن التشيع دخل إلى قلوب وعقول الإيرانيين في مرحلة متأخرة عن ولادته وانتشاره.

التشيع ولد تحت ظلال النصوص القرآنية والنبوية فهو مع الإسلام حدوثاً

وبقاءاً وآمن بمنهج التشيع العرب وغيرهم من الصحابة، ومن التابعين وممن تأخر عنهم. لا يصح إذن أن نقول إن الشيعة فرس أو موالون للفرس لتحجيم دور الشيعة ووضعهم في زاوية ضيقة (زاوية القومية). ولا يعني هذا الانتقاص من الفرس أو حضارتهم، لكن التشيع ليس فارسياً أو تركياً أو تابعاً لقومية وأحيط علماً أن من أعمدة التشيع من هو عربي وفارسي وتركي وهكذا. ليس الفرس كلهم شيعة وليس كل أئمة المذاهب وأعلام الثقافة الإسلامية عرباً...

ماذا نصنع للأسلوب الشيطاني والفرعوني والأموي قديماً، والأمريكي والغربي حديثاً، الذي تسعى إلى تفتيت الشعوب الإسلامية من خلال إشاعة العنصرية والروح القومية، وخنق هذه الشعوب داخل بواتق أو بوتقات العنصر واللون واللغة والجغرافيا. وبين أيدينا القضية الفلسطينية التي تحولت إلى قضية شعب واحد بدل أن تكون قضية الشعوب العربية بل الشعوب الإسلامية، ومن يقرأ كتاب إيران والإسلام يجد الأدلة الثابتة على أن أعمدة الفكر والثقافة ومصادر العلوم الإسلامية هم من مختلف القوميات، ونحن نعلم أن الجميع يرى هؤلاء رؤية فيها الكثير من الاحترام والتقدير، والشعوبيون موجودون دائماً، وهم وسائل لخدمة المستفيدين من توزع الطاقات الإسلامية وتفرقها، لهذا نجدهم من العرب أو الفرس أو الكرد أو الأتراك... ولكن عندما تدخل القومية أذهان السياسيين فإن هذا هو الخطر الأكبر...

في (فترة متقاربة) من أيامنا هذه، نجد تصريحات شعوبية وقومية وطائفية تصدر من قادة سياسيين ورؤساء أو وزراء في العراق، تنال من مذهب الشيعة ومن الإيرانيين، وإذا كان لا يصح أن نقول إن ولاء العرب السنة ليس لبلدانهم حين يعتبرون البخاري من كبار رجال الحديث.

كذلك من يرجع إلى فقهاء شيعة، لا يصح أن نقول إن ولاءه ليس لعروبته أو بلده، وبالعودة إلى إشكالية تفريس الشيعة وتعجيم عاشوراء نجد أن توقيت هذه الإثارة ومكان انطلاقتها وتصاعد وتيرتها شواهد على النوايا السيئة المقصودة لمثيريها. وليدرس بعناية ما وراء أن يظهر الإعلام (العربي والإسلامي) مواكب المسلمين الشيعة في عاشوراء يعنونها بعنوان حج الشيعة وشعائر الشيعة

وطقوسهم، وتارة يقولون عن كربلاء والنجف أنها من المناطق المقدسة لدى الشيعة.

السيد عبد الله نظام:

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي ثورة ما قبل المذاهب الإسلامية وإن الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام هم خونة الدين والأمة سفاكون مجرمون حاقدون على الإسلام وأهله لقد أرادوا الثأر من الإسلام ومن رسول الله صلى الله عليه وآله فقتلوا أهل البيت عليهم السلام في كربلاء وقتلوا عميدهم الإمام الحسين عليه السلام واستأصلوا حتى الطفل الرضيع.

ويزيد لا يصلح أن ينسب إلى مذهب أو طائفة فهو محارب للإسلام عدو لله ورسوله فماذا يقال في رجل حكم ثلاث أو أربع سنوات قد اختار في كل سنة لعدوانه هدفاً عزيزاً على الإسلام والمسلمين بل يمثل الإسلام والمسلمين ففي السنة الأولى استأصل آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله في كربلاء وفي السنة الثانية هاجم المدينة المنورة وقتل عشرة آلاف من أبناء الصحابة رضوان الله تعالى عليهم واستباح مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام وهو ما يعرف بوقعة الحرة وفي السنة الثالثة حاصر مكة المكرمة ورمى الكعبة الشريفة بالعذرة والمنجنيق، والمجرمون ليس لهم وطن ولا دين هويتهم إجرامهم لذلك لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ثورة الإمام الحسين عليه السلام على أنها ثورة خاصة من خلال مذهب أو قومية فهي قد حصلت قبل نشوء المذاهب الإسلامية فضلاً عن أن الذين صنعوا مأساتها لم يرفعوا شعاراً مذهبياً إنما كان همهم الثأر من الإسلام لا أقل من وجود هذا الهدف عند يزيد وبعض أعوانه بينما كان هم الطائفة الأخرى هو الطمع في الدنيا وحب الجاه والمال والسلطان فاجتمع الكفر والردة والنفاق وحب الدنيا والشهوات ليشكل الجميع مشعلاً يذكي ناره حقد قديم من أمية على هاشم وقتل للأهل والعشيرة في غزوة بدر الكبرى على يد الإمام علي عليه السلام والمسلمين والأنصار منهم بشكل خاص وقد تم ليزيد ومن معه الثأر من الطرفين.

وثورة الامام الحسين عليه السلام ليست ثورة يخلدها الفرس ويبتعد عنها العرب

فإنه لم يكن في أحد الجيشين شخص واحد ليس عربياً ولو بالولاء فلا ينبغي أن تكون ثورة الحسين عليه السلام عرضة لتجاذبات طائفية أو قومية لأنها كما بينا هي بعيدة عن كلا الأمرين.

والذي ينبغي أن يلتفت إليه جميع المسلمين أن ولاءهم وحبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأهل بيته والذي هو فرض بصريح القرآن الكريم لا يمكن أن يجتمع مع السكوت عن ظالميهم فضلاً عن مودته والاعتذار عنه كما عليهم أن يلتفتوا إلى أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام وشهادته إنما كانتا لأجل الحفاظ على الدين ولقد شارك مع الإمام الحسين عليه السلام شخصيات مختلفة الانتماءات ولكن جمع الجميع شيء واحد وهدف واحد هو الحفاظ على الإسلام.

وأما الربط بين التشيع والتفرس فإنه على خلاف الحق والإنصاف لأن إيران عبر التاريخ لم تكن شيعية ، لقد تأسست المذاهب الإسلامية الأخرى على يد علمائها فإن كبار المؤسسين لتلك المذاهب هم من الإيرانيين بل يمكننا أن نقول إن أئمة الحديث والتفسير والفقه والكلام الذين عليهم المعول عند إخواننا من أهل السنة كلهم من الإيرانيين (الفرس) ولا ضير في هذا على ما اعتقد لأن الإسلام قد ألف بين الجميع عرباً وعجماً وصهرهم في هوية واحدة هي الإسلام ومن المخجل أن نحمل المذاهب الإسلامية على القوميات لأن هذا الأمر سيفرغ الحضارة الإسلامية من مضامينها كما إن إخراج غير العرب من تلك الحضارة بدعوى عدم إخلاصهم فإنه يعني تفريغ هذه الحضارة من أعلامها لأن الإنصاف يقتضي الاعتراف بأن أئمة العلم حتى علماء العربية (لغةً وأدباً) لم يكونوا في معظمهم من العرب فما أسوأ هذا التقسيم وأتعسه وما أزراه على قائليه والذاهبين وراءه .

لذا لا بد من النظر إلى عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام بموضوعية تامة بعيداً عن الموروثات والعقد الطائفية والمذهبية وأن نعتبرها ثورة كل الأمة الإسلامية بجميع أطيافها على الظلم والانحراف لما يمثله صاحبها من قداسة لدى الجميع ولما أوضحه من أهداف ثورته. ولكونها من الناحية التاريخية كما ذكرنا قد حصلت قبل نشوء المذاهب الإسلامية وما أحوجنا في هذه الأيام إلى دروس الإمام الحسين

عليه السلام في العزة والإباء والشهادة حتى نصمد في وجه أعدائنا ونرجع إلى سابق عزنا وقوتنا إن شاء الله.

الأستاذ أحمد الحسن:

بادئ ذي بدء لا بد من تحرير الذكرى الخالدة للثورة الحسينية من جميع التجاذبات القومية والطائفية المذهبيّة، لأن القيم السامية والمبادئ المثالية الرفيعة التي ثار من أجلها الإمام الحسين عليه السلام أسمى من أن تستغلها هذه القومية أو تلك الطائفة وتستأثر بها وكأنها حكراً لها دون غيرها. حيث يجب أن تتحول هذه الذكرى إلى عامل جمع وتوحيد للمسلمين كافة بمختلف انتماءاتهم العرقية والمذهبية، لأن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، هم موضع محبة واحترام من قبل جميع المسلمين، ولا ينبغي لطائفة أو قومية الإدعاء بأن محبة آل البيت محصورة بها دون سواها. كما أن أهداف الثورة الحسينية هي حافز لجميع المسلمين للنضال ضد قوى الطاغوت والجبروت والظلم والعدوان، إحقاقاً لقيم الحق وتكريساً لمبدأ العدالة الإجتماعية وإرساءً لقواعد المساواة بين البشر.

وأن المسألة ليست مسألة فارسية أو أعجمية أو عربية ولا مسألة سنّة وشيعة. بل المسألة الأهم من هذه وتلك هو التركيز على إيجاد حالة وجدانية لدى المسلمين جميعاً، تسمو بهم فوق الخلافات العصبية والعنعنات الطائفية، وتحررهم من عقد الماضي وتراكماته التاريخية، كي تصفو نفوسهم وتتطهر قلوبهم من كل التلوثات التي لحفت بهم عبر القرون. وتبقى مسألة الإنتماء المذهبي أو الفقهي مسألة اختلاف في وجهات النظر يجري حولها الحوار وصولاً إلى التفاهم والتقارب في الرأي بدلاً من استمرار الفرقة والتشرذم وتكفير كل فريق للآخر. الأمر الذي يضعف من شوكة الإسلام ويوهن من قوة المسلمين.

د.زهير غزاوي:

ليس من شك في أنه من ساهم باتهام التشيع بأنه نتاج (فارس) كان المستشرقون، وهؤلاء أدركوا باكراً أساليب التفرقة بين المسلمين، وزيفوا التاريخ، لأنهم أول من درس هذا التاريخ علمياً عبر مصادره التي تمكنوا من

الحصول عليها في فترة التخلف الإسلامي زمن الدولة العثمانية. لقد تمكنت هذه الإمبراطورية التي حكمها الترك، من دفع هذا العالم الإسلامي إلى الجمود في وقت نهوض غربي مسيحي بارز.

لكل ذلك يمكن اعتبار فكرة عولمة وأسلمة الخطاب العاشورائي مهمة جليلة للقوى الإسلامية كافة وليس لأتباع مدرسة أهل البيت، وقد تحملت إيران الإسلامية عبئاً كهذا، ولكنه بحاجة إلى عقود طويلة من العمل الفكري الشاق، ومزيد من المؤتمرات ونهوض الإعلام الإسلامي العقلاني والمحدد الأهداف معاً، وهنا يجدر الذكر أن ذلك بحاجة إلى كوادر مؤهلة يبدو أن الجمهورية الإسلامية في إيران لم تنجح حتى الآن في تكوينها، ذلك أنَّ مرحلة انتقالية بين الثورة والدولة، دفعت منطقياً إلى تباطؤ مشروع بالغ الأهمية كهذا.

د.محمود عكام:

من أجل عولمة الخطاب العاشورائي وتوحيده علينا أن نبدأ بالمسلّمات قبله ألا وهي القرآن الكريم وشخصية النبي محمد " ، ومن المسلّمات ننطلق لنتحدث عن تابعات وفيّات لهذه المسلّمات .

فهناك فئة تخشى من أن تكون الثورة العاشورائية بديلة في الحديث والاقتداء للسيرة النبوية ولعل هذه الخشية نبعت من كون المتحدثين عن الثورة العاشورائية لا يتحدثون عن السيرة النبوية أيام عيد المولد النبوي الشريف بنفس القوة والزخم التي يتحدثون بها عن عاشوراء ؛ فالخطاب العاشورائي هو وليد شرعي عظيم ونسيب رفيع للخطاب النبوي وما مَثَلُه إلا كمثل الحسين مع محمد صلى الله عليهم جميعاً .

وإني لأظن – ظناً يقارب الاعتقاد – أننا لو انطلقنا من المسلّمات أو من القرآن والسنة باتجاه الثورة الحسينية لحصدنا توحيداً أكبر ولقاء أكثر، فهيا أيها الشيعة وكذلك أيها السنة إلى خطاب قرآني نبوي علوي حسيني حسني فاطمي، وليس هذا الخطاب متعدداً – وحاشا – بل هو نور من نور وضياء من ضياء وذرية طيبة عظيمة بعضها من بعض .

تحيتي الكبيرة والحميدة للأخ حميد حلمي زادة، الرجل الذي عرفته متوازناً معتدلاً واعياً، وفقك الله وجزاك عن كل القراء الواعين خيراً.

السيد كامل الهاشمي:

لا عجب أن يواجه استذكار عاشوراء بما يواجه به اليوم من تشويهات وتمويهات، فالتحدّيات الصعبة والمعقدة التي أثارتها الثورة الحسينية لحظة حضورها وتكونها أمام الذات الإنسانية والمسلمة تستعيد نفسها في ذكرى الثورة في كل عام، فالثورة الحسينية في لحظة نشوئها وتكونها أراد لها الإمام الحسين عليه السلام أن تكون منهجاً فاصلاً تمام الفصل بين الحق والباطل، وبين الاستقامة والاعوجاج، وبين الهدى والضلال، وبين العدل والظلم، وهذا المنهج الفاصل يصعب على الكثير من الناس أن يكونوا صريحين وصادقين في التعامل معه بجدية، كونه لا يقبل أنصاف الحلول والمهادنة، وهو المعنى الذي لا يمكن للثورة الحقيقة إلا أن تمثله في حياة البشر، فهي على الدوام لحظة الفصل بين مرحلتين أو واقعين: واقع منفي، وواقع مثبت، ومن أجل أن تبقى الثورة الحسينية حية وفاعلة في النفوس مادام المسلم يحمل رسالة الدين والإسلام إلى البشرية من الضروري أن تستثير ذكراها تحفيز الأفكار والمشاعر والمواقف في الاتجاهين السلبي والإيجابي، كي ما تتجدّد عملية الاختبار والامتحان والفصل والتمييز التي أرادتها الثورة الحسينية في مرحلتها الأولى.

ووفق ذلك فإن الثورة الحسينية تحمل أسباب حياتها وإنسانيتها وعالميتها في داخلها منذ أن وجدت وتكونت وأضحت أمراً واقعاً وقائماً في التاريخ الإنساني والإسلامي، وهو الأمر الذي لا يمكن لأحد أن يغيّره أو أن يتجاوزه، وبذلك صارت الثورة الحسينية مؤسسة مبنية ومكتملة تعيد إنتاج نفسها في كل زمان ومكان وعبر كل جيل وأمة لأنها تتوفر على خطاب ديناميكي متجدّد يذكّر الناس -مسلمين وغير مسلمين- في كل حين ووقت بأن ثمة جريمة لا تغتفر ولا يصح السكوت عنها قد حدثت في يوم العاشر من محرم عام ٦١ للهجرة، وأن من واجب كل إنسان حر عاقل يحترم ذاته وضميره ووجدانه أن يكون له موقف تجاهها، وإعادة توزيع الناس لمواقفهم من الثورة الحسينية في كل زمان ومكان بين

السلب والإيجاب ، والرفض والقبول ، والتصويب والتخطئة ، هو ما يعني أن الثورة ظلّت قادرة على أن تبقى حية وفاعلة في النفوس والضمائر على الدوام.

د.ادريس هاني:

إن مقاصد الثورة الحسينية أوسع من المدى الذي تردت إليه بفعل الاختزال الطائفي لها. وهو وضع يستدعي وقفة تأمل قصوى.والحالة الطائفية الاختزالية ليست صناعة شيعية محضة ، بل هي نتاج أزمة قطيعة داخل الأمة تعدت إلى مستوى الاختلاف في اعتبار الرموز وكيفية استحضارها في الوجدان المسلم. فالحسين وقضيته يحضران في الوجدانية الشيعية على خلاف ما يحضران في الوجدانية السنية.وطبيعي أن المجتمع السني لم تتوفر له الشروط الكافية ولا عاش الظروف الموضوعية لتطوير ثقافة حسينية ، لأسباب تاريخية مشهودة .وهذا لا يعني أنهم قتلة الحسين.ففي اعتقادي لا وجود لقتلة الحسين بيننا.إن الحسين أكبر من أن يكون رمزا لطائفة أو لقومية ما. وأما خطاب التفريس والتعجيم لكل مظاهر التشيع فهو يقوم على مغالطة كبرى ،تحجب حقيقة أن المظاهر الحسينية انتقلت إلى فارس من البلاد العربية.وإن تلبست بمظاهر التجربة الذوقية الصفوية وقبلها البويهية. فتلك ثمرة التثاقف الطبيعي. والذين درسوا تاريخ الدولة الصفوية يدركون بأن التشيع الإيراني ساهم فيه أعلام من الأحساء وجبل عامل.هذا من الناحية التوثيقية. وفي تصوري ، فإن الدعوة المذكورة تحمل في ثناياها سخف القول وضحالة التصور.فالدارسون للثقافات يدركون كم هي خاضعة لقانون التبادل والإنسياح و التثاقف.فإيران تؤثر بقدر ما تتأثر.واستقباح الثقافات لمجرد كونها غير عربية غير مفهوم من الناحية العلمية ولا مقبول من الناحية الأخلاقية. هذه النزعة البالية التي تحاول تصوير فارس كما لو أنها شر حضاري ، نزعة جاهلية مردودة بقول صاحب الدعوة: "لو كان الإسلام في الثريا لناله رجال من فارس". هذا فضلا عن أنها مردودة تاريخياً، لجهة كون الحضارة الإسلامية مدينة في كل فنونها وصنائعها للعقل الفارسي المسلم.وحينما تنازع الصحابة يوم الخندق حول من يفوز بفضل نسب سلمان الفارسي ، حيث قال المهاجرون سلمان منا ، وقال الأنصار سلمان منا ، حسم صاحب الدعوة ﷺ النزاع

قائلا : " سلمان منا أهل البيت".فكان سلمان الفارسي هو سلمان المحمدي.وكل فارسي أسلم واتقى يكون من سنخ سلمان ، أي بقدر سلمانيته يكون أقرب إلى أهل بيت النبوة.وكما أنقذ سلمان الفارسي المسلمين يوم الأحزاب حين بلغت القلوب الحناجر،بفكرة الخندق ، فإن فارس تستحق اليوم إحتراما لقاء ممانعتها ولقاء نصرتها، فلا ينطق بلغة التفريس والتمييز العنصري البغيض في المعتقد الإسلامي إلا مغالط. لا يجوز الحكم على أمة من خلال مواقف نشاز وانفعالية تنطلق من هنا أو هناك.فنحن العرب لدينا من ينزع مثل هذا النزوع إلى حد الفحش. لكنه يظل نزوعاً غريباً على فكر الأمة ووجدانها. وكان بالأحرى لو شئنا توسيع هذه النزعة لحكمنا بتفريس كل الحضارة الإسلامية، متى ما علمنا بأن المدرسة السنية فقهاً وأصولاً وحديثاً هي من نتاج قوم من الفرس.فالبخاري و مسلم وابن حنبل والترمذي وابن ماجة والدارقطني والطبري والغزالي و...و...هؤلاء كلهم أعاجم وجلهم من فارس فأين يذهبون؟ولقد كانت إيران قبل تشيعها على اعتقاد الأمويين في سب علي بن أبي طالب على المنابر.وكانت مناطق منها، آخر من قبل بالتراجع عن هذه البدعة في زمن عمر بن عبد العزيز.

وأما الحديث عن كيفية عولمة الخطاب الحسيني ، فأنا أعتقد أن المسألة تتعلق بالمخاطب قبل المتلقي.فالخطاب الحسيني رهين بنضج وثقافة الحامل للخطاب.فيمكن أن يرقى الخطاب برقي حامله ، ويمكن أن يتقزم الخطاب فيأخذ شكل حامله حيثما أضفى على الخطاب رؤيته المحصورة أو دثره بخصوصيته الضيقة. فالخطاب الحسيني قد يصبح عالمياً كونياً إذا توفر الحامل الكوني والإنساني.أي أن يرقى الخطاب ليلامس وعي العالم ونضج العالم.ومن هنا يجب الأخذ بعين الاعتبار، الذوق العالمي والثقافة العالمية في تقديم رسالة الحسين، واستنطاق ملحمة الحسين وتأويل ثورة الحسين.

د.علي أبو الخير:

مِن جديد نؤكد أن تشويه الشيعة عموماً يتم عن طريقين هما :

الأول : اتهام العرب الشيعة بأنهم أعاجم أو موالون للأعاجم و يقفون ضد العروبة .

والثاني : تشويه فكرهم الثوري .

وقَدْ تم هذا في بطون الكتب التاريخية ، ويستحضرها المعاصرون في أي صراع ، حدث هذا أثناء الحرب بَيْن العثمانيين والصفويين ؛ فَقَدْ أشاع العثمانيون بأن العجم يتخذون التشيع أسلوباً لضرب الإسلام ، ويتهمون شيعة العراق العرب بأنهم عملاء للعجم ، حتّى المحاولة التي قام بِهَا نادر شاه مِن أجل التقريب بَيْن السنة والشيعة قالوا عنها بأنها تقيّة لضرب وحدة المسلمين خفيةً ، حَتَّى أثناء الحرب العراقية – الإيرانية كان الخطاب العراقي – الصدّامي يقوم على هذا النهج التاريخي : الفرس المجوس ، قادسية سعد وقادسية صدّام .

الغريب أن الخطاب العربي في صفته العامة انحاز لهذا الخطاب الدياغوجي البحت ؛ لأن الخوف مِن التصدير الثوري الكربلائي الذي اتخذته الثورة الإسلامية في إيران أخاف الكثيرين فتخلوا عن علمية الخطاب السياسي وانحازوا إلى الخطاب الطائفي .

إن السبيل لتجاوز إشكالية توحيد الأمة على الخطاب الثوري العاشورائي لا بد أن يقوم على محاربة الفكر التكفيري ، وقيام علماء الأمة بالتقريب بَيْن المسلمين ، ثُمّ والأهم مِن ذلك إعادة قراءة التاريخ العاشورائي قراءةً جديدةً مع شرح أبعاد هذا الفكر الثوري وامتداداته المعاصرة في حزب الله والمقاومة الفلسطينية : حزب الله بثوريته واستشهاديته التي تمكن بهما أن يهزم الدولة اليهودية ويجبرها على الانسحاب بدون عقد معاهدات أو اتفاقيات ، والمقاومة الفلسطينية التي تمكنت مِن فرض إرادتها على الساحة الفلسطينية لأنها تبنت نفس المنهج الثوري العاشورائي .

الشيخ محمد حسن تقي:

من أخطر الدعوات الهدّامة للإسلام والتمسك به الدعوات القومية ، والتركيز عليها في العصر الحاضر هدفه تقسيم وتجزئة البلاد الإسلامية ، وتعميق بذور الخلاف بين اتباع الدين الواحد ، بل و حتى بين اتباع المذهب الواحد. وذلك بتنمية روح الإنتماء القومي على حساب الإنتماء الإسلامي. والذي يقوم أو قام بذلك هم أعداء الدين الإسلامي ، لذا وعلى هذا الأساس ، عندما كان

الإيرانيون يمثلون أكبر تجمع شيعي ولائي لأهل البيت عليهم السلام ، فقد نمت هذه الفكرة موضوع السؤال... وهو كل عمل يلتزم به محبو أهل البيت "ع" ينسب إلى العجم (الإيرانيين)، بل ينظر إلى كل مسلم شيعي على أنه ذو أصول فارسية أعجمية إيرانية إما عِرقاً أو ولاءً وعاطفةً، وهذا أمرٌ جِدُّ خطير أن يحصل تقسيم الأمة الإسلامية وعناصر كل أمة حسب انتمائها المذهبي، فتخلق كل أقلية ولو كانت أقلية نسبةً في بلدها إلى البلد الذي يمثل فيه أكثريات مذ هبية تتوافق مع تلك الأقليات.

السبيل للخلاص من ذلك: التركيز على مسألة التقوى والإخلاص لله: "لا فرق لعربيٍ على أعجميٍ ولا لأبيضٍ على أسود إلا بالتقوى". كما قال رسول الله. وهذا الخطاب الرسولي هو ترجمانٌ للخطاب الإلهي القائل: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم منّ ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...﴾

إذاً التركيز على هذه القيم من جانب، والتركيز على دحض ثقافة الدعوات القومية الهدّامة لوحدة الأمة الإسلامية، وذلك بالدعوة إلى القواسم المشتركة بين المسلمين مثل: التوحيد- النبوة - التقوى- الولاء لله- البراءة من أعداء الله.

هذه الأمور متفق عليها بين كل المسلمين فليكن التركيز عليها في سبيل رَصِّ الصفوف لهذه الأمة التي تداعت عليها الامم كما تتداعى الأكلة على قصعتها. هذه الأمة التي تتوجه إليها الأنظار من اجل صرفها عن التمسك بدينها وقيمها مع التركيز الشديد على التقوى الناتجة عن اعتقاد جازم بل هي خلاصة الأمور الاربعة الأخرى. ونلاحظ بأن الخطاب العاشورائي العملي مثّل كل ما نقول أفضل تمثيل.

بكل معاني التقوى ومصاديقها، والإخلاص لله ولرسوله بل العشق الإلهي

تركت الخلق طراً في هواكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني في الحب إرباً ... لما مال الفؤاد إلى سواكا

هل هناك ذوبانٌ وإخلاص لله وتقوى أكثر من هذا ....

أما عولمة هذا الخطاب: فنظراً للأبعاد التي ذكرتها في الجواب على السؤال الثالث الأبعاد الخمسة كلها تمثل شمولاً عاماً مكانياً وزمانياً وقيمياً فهل هناك عولمة أكثر من هكذا عولمة فاعلة ومؤثرة ...

السيد مجتبى الحسيني :

إن قضية كربلاء في رأيي، هي من الأمور التي ينبغي أن تذوب فيها التعصبات القومية من الآن فصاعداً، وإن الأمر لكذلك والحمدلله. إننا نرى الآن أن الإمام الحسين عليه السلام كان إنساناً عربياً، انتقل من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ومن ثم إلى الكوفة، كل خط السير هذا هو عربي. وكان العسكر على الجانبين، سواء أصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام أو الجيش المقابل لهم، في أكثريتهم من العرب. ولكن في الوقت نفسه نرى في إيران وباكستان والهند، وغيرها لا يهم الناس ما إذا كانت الفئتان اللتان تحاربتا عرباً أو عجماً، لأنهم ينظرون إلى قضية عاشوراء بوصفها مسألة دينية، لا عربية ولا أعجمية. وعلى هذا ينبغي أن نجعلها وسيلة لوحدة الأمة الإسلامية. إن طبيعة الإنسان لا تتغير بكونه عربياً أو فارسياً. حتى البيئة والجو يكون تأثيرهما أشد. إن أهل سورية اليوم أكثر شبهاً بالترك منهم بالسودانيين. وإن أهل السودان عرب، ولكن أخلاقهم وأشكالهم وطباعهم وطعامهم يختلف عمّا لأهل سورية تماماً. أو أن السوريين يزداد شبههم بالإيرانيين عن شبههم باليمنيين ، من حيث الأخلاق والشكل والطباع. وعلى هذا فالجو مؤثر، وجو الحياة السياسية والاجتماعية مؤثر. ولكن اللغة أقل الأشياء تأثيراً. لكن من المؤسف أنه يجري تضخيم مسألة اللغة إلى هذا الحد ونفخها إلى هذا الحد بحيث أن المرء يجد اليوم في الخطابات والأحاديث السياسية والإعلامية وحتى الدينية تتداولُ مصطلحات "العربية والإسلامية".

عندما جرى الحديث عن أولئك الذين فجروا القبة المطهرة لحرم الإمامين العسكريين عليهما السلام في مدينة سامراء المشرفة جاء في بعض الأقوال أنهم ليسوا شيعة ولا سنة ولا عرباً. ما معنى هذا؟ نعم، إنهم ليسوا شيعة، لأن التشيع فكر. وليسوا سنة، لأن التسنن فكر. واتباع هذين المذهبين كانوا قد أدانوا هذا العمل.

لقد كان معاوية عربياً، وأبو لهب عربياً وأبو جهل عربياً، كما كان النبي الأعظم ﷺ عربياً هو الآخر. لا يمكننا أن نقول أن أبا جهل لم يكن عربياً. إن العروبة لغة، يستعملها البعض كما هي الفارسية أيضاً. إن عندنا في بلاد فارس كما في جميع بلدان العالم مجرمين وشقاة كثراً، وعندنا أناساً طيبين.

إن الانتماء إلى أرض معينة ليس دليلاً على الطيبة أو السوء. وعليه، أريد أن أقول إنه على كل حال لا إشكال في الأمر، فاللغة وسيلة انتقال الثقافة، تترك أثراً في المجتمع. لكن ليس لها من الأهمية بحيث يمكن أن توقع الخلاف بين جمع تعداده مليار وثلاثمائة مليون مسلم، فنترك هذه الرابطة الموجودة بينهم ونقول: إسلام وعرب، أي أن نفصل العرب عن المسلمين، فهذه إهانة للعرب. ينبغي ألا نسمح للآخرين أو لأنفسنا بتمزيق أمتنا قطعة قطعة بل ينبغي أن نقوي أنفسنا. ينبغي ألا نسمح لتوجهات كالقومية أو الليبرالية أو غيرها بأن تشتت هذه الأمة الإسلامية.

وبالنتيجة، فإن وجهات النظر حول واقعة كربلاء متفرقة ومختلفة. ولحسن الحظ فإن ذكرى عاشوراء وأبي عبد الله الحسين عليه السلام خارجة عن نطاق اللغة. أي أن المسلمين جميعاً، أو الشيعة في الأقل، وحتى غير المسلمين، وتحديداً كل ما يتقبل فكر كربلاء، لا يهتمون لكون الحسين عليه السلام عربياً. في باكستان يحبون الإمام الحسين إلى حد العشق، ولا يهتمون أصلاً بكونه عربياً وهم من الناطقين باللغة الأردية. أو في إيران فإن عشاق أبي عبد الله الحسين عليه السلام يعتبرونه منهم وليس عندهم أدنى تعصب بصدد اهتمامهم بشخص عربي. وفي الوقت نفسه يكرهون شمر بن ذي الجوشن وكذلك يزيد بن معاوية، لأنهما كانا عربيين. وعلى هذا يمكننا أن نستفيد من هذه الفرصة، أي قضية أبي عبد الله الحسين عليه السلام من أجل تلاحم الأمة الإسلامية وتوحيدها.

ولحسن الحظ فليس ثمة استغراب من أن إيران تقيم مراسم العزاء وباكستان تقيم التعزيات كما تقيمها أفغانستان والهند، وأنها في العراق تقام على نحو لافت وكذلك في لبنان. أي أن عندنا في العالم أكثر من مئتين وخمسين مليون شيعي، منهم سبعون مليون إيراني والباقون غير إيرانيين. وعلى هذا فإن

خصوصية البلاد لا علاقة لها بالأمر وإنما الإعتقاد والمحبة هما المهمان.

فلو أننا قدمنا حركة الإمام الحسين عليه السلام كما هي، فإن من يسمعها يعتبرها دليل عزة، ودليل كرامة. إن حركة أبي عبد الله لم تكن حركة سفك للدماء، إذ أن الإمام لم يتحرك من أجل الحرب والقتل، ولكنه خرج لهدف الإصلاح في أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله.

عندما نبحث في هدف أبي عبد الله فإننا نجد أن حركته لم تكن حركة دموية أو مجزرة. بل إن هذه الحركة تبحث في الدين كله. ولم يكن الإمام يريد أن يحمّل يزيداً المسؤولية، لأنه كان يعرف ما يفعله يزيد بن معاوية إنما هو إنحراف عن الدين، هو ظلم بحق المسلمين، وإجحاف للناس، لم يكن الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يدعم الجرائم التي كان يرتكبها يزيد بن معاوية، في الأقل من أجل ألا تتم باسم الإسلام. جاء إلى مكة المعظمة، وكانت دعوة أهل الكوفة له حركة ديمقراطية مئة بالمئة، بمعنى: إننا نمنحك الرأي فتعال وقم بإدارة أمورنا، عندما خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة لم يأت إلى الكوفة لكي يقاتل، ولكنه جاء يقيم فيها حكومة عن طريق دعوة الناس. لم يكن يريد شن حرب، وفيما بعد عندما وصل إلى مقربة من الكوفة وبعد أن خالف الناس وتراجعوا ولم يفوا، قال الإمام الحسين: لا حرب عندي مع أحد. إنني عائد من هذا المكان الذي جئت إليه، إذا لم تكونوا تريدونني فأنا عائد.ثم كان يكرر في أقواله: "لم تستحلّون دمي؟"لماذا تقاتلونني، فأنا لا أريد قتالكم.

إن الإمام الحسين عليه السلام لم يأت قط من أجل الحرب، وإنما جاء تلبية لإقامة حكومة عادلة ولخدمة الناس، وبعد أن رفض الناس ذلك بقي الموقف على هذا النحو: يريده العدو أن يبايع وهو يرفض البيعة، وهذا أمر لا يقبله كل الأحرار في عقائدهم وحتى إن لم يكن لهم دين ولا إيمان، كان الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يستفيدوا من حريتهم هذه. وهكذا، فإننا إذا ما أردنا أن نقدم الإمام الحسين عليه السلام على أنه إنسان عزيز، عزيز النفس، ليس مستعداً للخضوع للذل، فأنا أتصور أنه مثل أعلى للعزة الإنسانية والكرامة الإنسانية، وما من إنسان ينادي بالحرية ينكر هذا، وعليه يكون الإمام الأسوة الطيبة لطلاب الحق والعدالة.

ولهذا فحول شعار المظلومية: لم يكن الإمام الحسين عليه السلام مثل بعض الناس الذين يتمردون على حكومة باطلة أو أنهم يقاتلون ديناً وينافسون ويسيلون الدماء ثم ينهزمون. لم يقم الإمام الحسين عليه السلام من أجل إسالة الدماء والإنكسار. لقد قال الإمام الحسين عليه السلام: "أنا لا أبايع" فقام الخصوم بالهجوم ودافع هو عن نفسه واستشهد. ففي أي وقت كانوا سيكفّون عنه كان الإمام الحسين عليه السلام سيتوقف، حتى اللحظة الأخيرة. وعلى هذا يمكن إعتبار ذلك دليلاً على غربة الإمام الحسين عليه السلام، وربما كان البعض لا ينتبهون فيتصورون أن الإمام الحسين عليه السلام تمرّد كما يتمرد البعض على حكومة ما من اجل المنافسة فدخل حرباً وانهزم فيها.

الشيخ نبيل الحلباوي:

إن الحسين عليه السلام وجل الثائرين معه من أهل بيته وصحبه كانوا عرباً، ولكنه وإياهم لم يثوروا من موقع عروبتهم بل من موقع إسلامهم، وإيران في تبنيها للنهج العاشورائي، وإن كانت أمة يشكل الفرس أغلبية فيها، لا تنطلق في هذا التبني من فارسيتها، بل من إسلاميتها وحبها لأهل البيت عليهم السلام، وائتمامها بالحسين عليه السلام. والخطاب الثوري العاشورائي أفضل ما يوحّد المسلمين- لو فهم حقّ الفهم- باعتباره خطاباً إسلامياً لا طائفياً ولا قومياً، ثم إنه تعبير عن منهج إسلامي ثوري لإنقاذ المستضعفين في الأرض، فهو إنساني بمقدار ما هو إسلامي. وهذا هو أفق علميته المستمدة من علمية الإسلام في مقابل العولمة التي تقولب الناس جميعاً في إطار ملائم لمصالح فئة وجماعة خاصة.

وهكذا يلتقي في الإطار الرحب والأفق الواسع، للمنهج العاشورائي، العرب والفرس والأتراك والأكراد والشركس وسائر مكونات الأمة الإسلامية، فلا يصح أن ينظر إلى المسألة في الزقاق الضيق لتعجيم العرب أو تعريب الفرس.

الأستاذ أحمد جبريل:

إن السبيل المفيد والطريق الصائب باتجاه توحيد المسلمين على الخطاب الثوري العاشورائي. هو بالعودة إلى الجذور، إلى أسس الدين الإسلامي ومنابعه

الحقيقة وتحديد الأهداف الإنسانية والإسلامية "لعاشوراء" وهي تصحيح مسار المجتمع المسلم ووضع ضوابط متينة لمنعه من الانحراف والزيغ تحت ضغط شهوات الحكام والسلاطين وتهديد الطغيان الخارجي. وتحريك روح الثورة والتمرد والغيرة في نفوس المسلمين، ووضع أسس قويمة لمجتمع المسلمين من خلال العقيدة الإسلامية والتصور للإسلام المحمدي. الذي لا يعتمد على الطائفية والمذهبية، ولا على القومية والعصبية. فالإسلام هو خاتم الديانات ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء- للناس كافة، لا لعربي ولا لفارسي. رحمة للعالمين أحد أسسه العقائدية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾، ولم يقل عرباً وفرساً ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾.. لا لتتقاتلوا وتتنافروا...﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ...﴾ وليس أقواكم أو أغناكم.... وفي الحديث النبوي عن الرسول الأكرم ﷺ عن العصبية قال "دعوها فإنها نتنة" فلماذا التعصب الطائفي أو المذهبي أو القومي وبين أيدينا كتاب الله وسنة نبيه وسيرة أهل بيته والتابعين الصالحين من المسلمين؟!

■ ■ ■

المحور الثالث عشر:

الجذور المعنوية والتاريخية لنهضة الحسين الشهيد عليه السلام

ثمة مرتكزات في نهضة سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عميقة الجذور عمق الماضي السحيق، كما أن لثورته الملحمية في عاشوراء سنة ٦١ للهجرة، رصيداً معنوياً وإنسانياً كانت مسيرته قد مرّت بمراحل ومحطات كثيرة وساطعة معاً، تراكم فيها كمٌّ هائل من الجهود والعذابات والتضحيات ومن ثمّ الانتصارات، وشكّلت برمتها في ما بعد، النموذج الإيماني الفذ الذي جاء به خاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، رحمة للعالمين جميعاً. وبما أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذه المسيرة، الإلهية المنشأ، المتواصلة مع تواصل هذه الحياة الدنيا، فإن من الظلم ـ أو لنقل ـ من السذاجة بمكان، قراءتها بمعزل عن خلفياتها وموروثاتها الحافلة بنضالات المؤمنين والموحدين ومآثرهم الخالصة لوجه الله سبحانه وتعالى على مرّ الأزمان.

فالإمام الحسين الذي تربّى في بيت النبوة ومهبط الوحي والتنزيل، وانتهل من ينابيع العشق الإلهي مباشرة وبدون أيّ واسطة، لهو الأجدر والأكفأ والأصلح ممن سواه، على رسم المنحى الذي ينبغي للأمة الإسلامية والبشرية كافة، التزامه والسير فيه، كونه الصراط المستقيم المؤدي إلى سبيل الهداية والرشاد.

من هنا فقد حرصت على أن أقدّم للمتابع الكريم في هذا المحور جملة من الحوارات والدراسات والقراءات، التي تلامس هذا البعد المهم من عدة جوانب، لتضع أبناء الأمة، أمام معالم مشرقة، تصقل لديهم أيَّ توجه نحو فهم عقلاني وموضوعي يهدف إلى معرفة ماهية الثورة الحسنيية وإلهاماتها، معرفة دقيقة:

حوار مع سماحة
آية الله السيد محمد حسين فضل الله (*)

□ ماهي تصوراتكم لدراسة فكر الثورة الحسينية في إطار معالجة قضايا الأمة؟

□□ بسم الله الرحمن الرحيم، عندما ندرس قضية الإمام الحسين عليه السلام فإننا لا بد أن نبدأ بدراسة شخصيته في كل منطلقاته الروحية والإسلامية بشكل عام بحيث نتابع الإمام الحسين عليه السلام في حياته مع أبيه الإمام علي عليه السلام ومع أخيه الإمام الحسن عليه السلام وكيف واجه الأحداث التي أحاطت بتلك المرحلة، وكيف تأثر إيجابياً بأسلوب أبيه وبالقضايا التي واجهته، وبالتحديات التي تعرض إليها. وهكذا في إدارة الإمام علي عليه السلام لمسألة الخلافة في إبعاده عنها، وعلاقتهِ بالخلفاء الذين سبقوه، وكيف عبر عن الموقف في كل ما يتصل بالواقع الإسلامي آنذاك، امتداداً للحروب التي فرضت عليه في الجمل وصفين والنهروان. وهكذا بالنسبة إلى حركة الإمام الحسين مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وكيف واجه الأوضاع القاسية الصعبة التي انتهت بالهدنة التي عُقدت مع معاوية بن أبي سفيان. وكيف عاش التجربة الإسلامية بعد وفاة أخيه الإمام الحسن عليه السلام: لماذا لم يعارض معاوية؟ لماذا كان يطلب من أصحابه أن يهدأوا حتى يموت معاوية؟ هل هو من جهة التزامه بما اتفق عليه الإمام الحسن مع معاوية وتوقيعه على وثيقة الهدنة أو وثيقة الصلح وما إلى ذلك؟ ثم نحاول

(*) مرجع ديني، ومفكر إسلامي.

دراسة أسلوب الإمام الحسين لندقق في كل النصوص التي رويت عنه أو نسبت إليه فقد نلاحظ أن هناك بعض النصوص التي لا تنسجم مع حركة الإمام الحسين عليه السلام كما هو في النص الذي نسب إليه (وخُيِّر لي مصرعٌ أنا لاقيه وكأنّني بأوصالي تُقطّعُها عُسلان الفَلَوات بين النواويس وكربلا).

□ هل تشكون في هذا النص؟

□□ أنا أرفضه، لأنه ليس من الطبيعي أن الحسين عليه السلام يخرج لطلب الإصلاح في أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله ويريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويريد تغيير الواقع الإسلامي، ثم يتحدث بهذه اللغة المأساوية عن مصرعه من دون أن يتحدث في هذه الخطبة عن خطتهِ وعما يفكر فيه وعن الواقع الإسلامي آنذاك. لا بد أن ندرس، إذا وجدت هناك نصوص موثوقة، كيف مارس الإمام الحسين عليه السلام عملية الدعوة في مكة، وكيف تحرك في طريقه إلى العراق حتى وصل كربلاء، وندقق في كل كلماتهِ التي توحي بأن الحسين لم يخرج مقاتلاً، وإنما خرج إماماً مُصلِحاً مغيّراً للواقع منفتحاً على وعي الناس، من أجل أن يصل بالناس إلى حقائق الإسلام على مستوى النظرية وعلى مستوى الواقع. ثم يختم كلامه في خطبتهِ المعروفة (إني لم أخرج أشِراً ولا بَطَراً ولا ظالماً ولا مفسِداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمةِ جدي. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ أصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)، فالظاهر أن هذه الخطبة هي التي تمثل الإمام الحسين في خطّ الفكر والتطبيق للعملية الإصلاحية التي انطلق بها لتغيير الواقع الفاسد. نحن عندما نقرأ (فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ اصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) لا بد أن ندرس هذا النص لنعرف أن الإمام الحسين عليه السلام خرج كجدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله إماماً مصلحاً متحركاً في رسالته من أجل تغيير الواقع بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. لقد كان هذا حوارهُ مع الحر بن يزيد الرياحي. وهكذا كان حواره مع جيش عبيد الله بن زياد في كربلاء. إلا أن الإمام الحسين عليه السلام وقف وقفة الاستشهاد عندما طلب إليه أن يعطي الشرعية ليزيد بن معاوية (إنزل على حكم بني عمك) بالإضافة إلى

الإنصياع لأمر ابن زياد والي بني أمية على الكوفة، من دون أية مفردة من المفردات في قضية النزول على الحكم، لقد طُلب من الحسين عليه السلام أن يُعطي الشرعية للحكم بالمطلق، لكل ما يقوم به يزيد ولكل ما يقوم به ابن زياد. عند ذلك قال لهم كلمتهُ المعروفة: (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد. ألا وإن الدعيَّ ابن الدعيِّ قد ركز بين اثنتين بين السِلّة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحُجُورٌ طابت وجُدود، طَهُرتْ من أن نُؤثرَ طاعةَ اللِئام على مصارعِ الكرام). إذن، لا بد أن ندرس ذلك كله، وندرس الأسلوب الحسيني حتى في حركتهِ القتالية بنصوص موثوقة. لأن العاطفة أدخلت في المأساة أشياء كثيرة. لا بد لنا أن نتعرف، كيف كان الإمام الحسين عليه السلام يفكر في حركة الدعوة وفي أسلوب الدعوة وفي حركة القتال وفي العناوين التي فرضت القتال.

□ لماذا آل الأمر إلى دفع الإمام الحسين عليه السلام حياته ثمناً بتلك الطريقة المروعة في عاشوراء؟

□□ قلنا أن الإمام الحسين عليه السلام انطلق من أجل تغيير الواقع، تغيير الذهنية وتغيير الناس. لكي ينسجم ما يفكرون به مع ما يتحركون به خلافاً لما قال له الشاعر الفرزدق: (قُلوبُهم معك وسُيوفُهم عليك). وأراد تغيير الواقع، واقع الحكم وواقع السلوك. ولذلك فإن الحسين عليه السلام خرج ثائراً. لكنه في خروجه كان مسالماً، بمعنى أنه لم يضع في حساباته أنه يريد أن يقاتل من دون أن تكون هناك أية ظروف واقعية للقتال بالمعنى الذاتي أو بمعنى الخطة التي يبادر فيها على القتال، بقطع النظر عن التحديات التي يواجهها من الآخرين. ولكن القوم عندما بادروا بحشد الجيوش ليفرضوا عليه النزول على حكم يزيد بن معاوية وعبيد الله ابن زياد لكي يعطي الشرعية التي رفض إعطاءها سابقاً عندما التقى مع والي المدينة بعد الإعلان عن وفاة معاوية واستخلاف يزيد، فإن القضية أنه وقف الموقف الذي لا يملك فيه أن يتفق معهم. وعندما واجه الإمام الحسين عليه السلام الموقف فإنه رأى أن القوم لن يتركوه، ولهذا بادر بتهيئة الظروف الصعبة جداً ليدخل في مواجهته لهم بهذه الطريقة التي لاتزال تهزُّ الضمير الإنساني.

□ ما هو السِّر الإلهي في أن لا تأخذ الأمور مجرياتها الطبيعية ابتداء من خروج أبينا آدم عليه السلام من الجنة، وصولاً إلى المجزرة التي طاولت حفيد خاتم الأنبياء، الإمام الحسين عليه السلام ومن معه في كربلاء؟

□□ هناك نقطة يجب أن نفهمها من خلال القرآن وهو أن الله سبحانه وتعالى لم يُجرِ الأمور على أساس الغيب والمعجزة، بل أجرى الأمور منذ أن جعل في الأرض خليفة. أجرى الأمور على حسب القوانين الطبيعية التي وضعها في طبيعة الإنسان، وفي طبيعة الظروف المحيطة التي وضعها في طبيعة الإنسان، وفي طبيعة الظروف المحيطة بالإنسان في كل نقاط الضعف ونقاط القوة. فالله سبحانه وتعالى عندما وضع آدم في التجربة الصعبة، فإن القضية كانت قضية تدريب آدم على أن يواجه موقفاً في الجنة سوف يواجه أمثاله عندما ينزل إلى الأرض. وقد خلق للأرض ولم يخلق آدم للجنة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، ولذلك فإنَّ الله سبحانه وتعالى أراد لأدم أن ينطلق بكل نقاط ضعفه وبكل بساطته ﴿لقد عهدنا إلى آدم فنسي ولم نجد له عزما﴾، ولذلك فإن الله أدخل آدم في هذه التجربة ليعرفه من خلال ما أحاط به، ومن خلال ما وقع فيه، أنَّ هناك مخلوقاً يَغشُّ ويقسم بالله كذباً ويخدع وهو إبليس. ولذلك أنزله الله معه إلى الأرض من أجل أن يمارس التجربة الواقعية. أما نقيضه ممّا حدث للأنبياء الذين قتلوا من خلال بني إسرائيل ومن خلال غيرهم، أو ما حدث للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله في المشاكل التي واجهها في الدعوة، وفي الضغوط والحروب التي خاضها، مما فرضهُ عليه القرشيون المشركون، وهكذا الحال بالنسبة إلى الإمام علي عليه السلام، فإنه أجرى الأمور بحسب طبيعتها، وهكذا بالنسبة إلى قضية الإمام الحسين عليه السلام فإن الله أجرى الأمور على حسب طبيعة الظروف الموضوعية التي أحاطت بعلي وبالحسن كما أحاطت بالحسين عليه السلام، ولو كان الله يريد أن يربط المسألة بالغيب أو بالقضاء والقدر في هذا المجال لكان قادراً على أن ينجي الحسين وأن ينقذه، وأن لا يجعله يخوض هذه المأساة المفجعة القاسية في كل ما واجه سبط رسول الله في كربلاء.

□ ما هي أهمية النهضة الحسينية على مر التأريخ؟

□□ نحن نرى أن النهضة الحسينية هي من المسائل التي يمكن أن تستوحي منها الإنسانية، هذه التجربة الرائعة التي تتمثل في موقف الإمام الحسين عليه السلام في كل خطوط التجربة، ثم تتمثل في الإمام الحسين في هذه الروح التي تقدم كل شيء.تقدم أطفالها وشبابها وأصحابها، ثم تقدم حياتها من أجل قضية عادلة هي قضية الإسلام.. القضية التي يؤمن بها الإمام الحسين. إننا نستطيع أن نستخرج من كلّ ذلك، الخطّ العام. أن نقدم قضية الإمام الحسين للعالم كله باعتبارها قضية الإنسان العظيم الذي أعطى كل شيء لله. إننا نلاحظ مثلاً أن المسيحيين الذين يعتقدون بأن السيد المسيح عيسى عليه السلام قُتل وصُلب وأنه ضحى بنفسه في سبيل الناس، ويعتبرون أن الناس مخطئون، وأن عيسى جاء من أجل أن يكفر عن هذه الخطيئة الإنسانية التي بدأها آدم، إنهم يحتفلون بالمأساة التي يفترضونها في السيد المسيح عليه السلام وفي تضحيته وفي كونه الفادي مما يخضع للمناقشة بيننا وبينهم. ولكننا عندما ندرس الإمام الحسين عليه السلام في كل الماسأة الواقعية والحقيقية وندرس السيد المسيح، نجد أن العناصر الموجودة في موقف الحسين تتميز بشكل فوق العادة عن العناصر التي يُتحدَّث فيها عن المسيح، كما إننا عندما نريد أن نقارن بين العناصر النفسية المأساوية التي عاشتها السيدة مريم عليها السلام والحالة النفسية المأساوية التي تتميّز بالصلابة والشجاعة والتحدي ورد التحدي التي عاشتها السيدة زينب عليها السلام فإننا نجد بوناً كبيراً، ولكنَّ المشكلة أن أتباع أهل البيت أدمنوا مسألة المأساة في قضية الإمام الحسين عليه السلام وابتعدوا كثيراً عن مسألة القضية الرسالية الإنسانية المنفتحة على الواقع الإسلامي كله وعلى خط الإسلام كله، وهذا ما جعلهم يسجنون قضية الحسين في سجن المأساة بعيداً عن كل الإيحاءات الرسالية والإنسانية التي يمكن أن تجعل هذه القضية قضية تتسع لكل ما عاشه الإنسان.

□ سيدنا لكننا لا نستطيع إغفال الدور التغييري والتعبوي لاستذكار المأساة الحسينية؟

□□ إننا لا ننكر قيمة المأساة وقيمة العاطفة في القضية الحسينية، لأنه لولا الجانب المأساوي والأسلوب العاطفي لماتت القضية. إن كثيراً من قضايا ثورات

الحق على الباطل -وقد كتبتُ ذلك في أكثر من كتاب من كتبي- ذات صلة بالعاطفة وبالقضية الحسينية، لكنَّ هناك فرقاً بين أن تُحرِّك العاطفة كقضية شخصية، وبين أن تحرك العاطفة كحركة في خط الرسالة، القضية هي أن الأسلوب الذي يُطرح ويحرِّك في القضية الحسينية، هو أسلوب المأساة في علاقتنا بالإمام بصفة شخصية، لا علاقتنا بالحسين الإمام والحسين الرسالة والحسين التغييري. ولذلك أصبح القارئ والخطيب الناجح عندنا هو الذي يملك صوتاً شجياً يستدرُّ الدموع، وهو الذي يمكن أن يأتي بكثير من القضايا الخرافية غير الواقعية التي يحشدها في المأساة من أجل أن يثير المشاعر في هذه المسألة.

□ **ألا ترى معي أن المسلمين في إيران وأبناء المقاومة الإسلامية في لبنان قد استطاعوا تطوير استذكار المأساة باتجاه النهضة؟**

□□ أنا لا أتكلم بالمطلق، ولكني أتكلم عن الظاهرة. ونحن نعرف أن الإمام الخميني رحمه الله استطاع أن يحرك عاشوراء في اتجاه عملية التغيير ضد المستكبرين ونحن نعرف كلمته (كُلّ ما عندنا من عاشُوراء)، وهكذا امتدت إيحاءات هذا الثائر الكبير إلى المقاومة الإسلامية في لبنان، والتي استطاعت أن تقدم التضحيات الهائلة لتهزم إسرائيل في نهاية المطاف. ونحن ندعو إلى تحريك عاشوراء الرسالة والقضية والحرية والعزة والكرامة، وأن نحرك المأساة في هذا المضمون ولا نحرك المأساة كمسألة إنسانية ترتبط بالحسين شخصياً ولا ترتبط به رسالياً.

□ **ماذا وراء اتهام الشيعة العرب بأنهم فرس، وتعجيم عاشوراء إذا عاشها الإيرانيون أيام شهري محرم وصفر؟**

□□ أنا أعتقد بأنها تهمة باطلة، لأن مسألة التشيُّع هي مسألة ممتدة عبر التأريخ، ونحن نعرف أن أكثر الشيعة هم عرب وليسوا فُرساً، وإذا كانت أغلبية الفرس قد دخلت في التشيع وركّزت كل أحداث التشيع في خطابها وفي عاداتها وتقاليدها ومقدساتها، فليس معنى ذلك أن التشيع العربي لم ينطلق بأصالة في هذا الإتجاه.

نحن نعرف أن التشيع عاش في العراق ولم يكن العراق في أغلبيته فارسياً، وعاش في لبنان وعاش في كثير من المواقع العربية. إذن فإنّ هذه التهمة انطلقت

من خلال القلق في الأوضاع السياسية التي تحاول أن تحرك الجانب المذهبي، وفي الجانب القومي، وأن لا تعتبر أن التشيع انطلق من حالة ثقافية فكرية تسند إلى الكتاب والسنة، بل الإدعاء بأنه انطلق من خلال حالة قومية فارسية، تتحرك من أجل إسقاط الإسلام أو من أجل إسقاط العالم العربي في مسألة الشعوبية وما إلى ذلك. إن هذه المسألة انطلقت من خلال الإرباك السياسي الذي يعيشه هؤلاء الذين يتهمون التشيع بالفارسية لعقدة مذهبية معينة.

□ هل ثمة حقيقة بين ما يقال عن حالة تخاصم بين بني هاشم وبني أمية وبين ما جرى في عاشوراء؟

□□ تاريخياً نحن نعتقد أن الحسين عليه السلام لم يطرح قضية الهاشمية والأموية في كلماته. ولو أردنا نحن أن ندرس عناوين الخطاب الحسيني في عاشوراء، لرأينا أنها عناوين الإسلام. أما الحكم الأموي، فلم يكن مُستَغرباً أن يعتمد أشخاصه الخطابَ القبليَّ والعشائريّ في التعامل مع كلّ ما كان يعتبر تهديداً لسيطرتهم، وذلك لأنهم كانوا يعيشون المسألة العائلية في فهمهم للواقع، وهذا ما قاله أبو العلاء المعري:

عبد شمس قد أضرمت لبني هاشم ... حرباً يشيب منها الوليدُ
فابن حرب للمصطفى وابن هند ... لعليّ وللحسين يزيدُ

إننا نقول إن القضية ليست قضية بني هاشم وبني أمية. فمن الممكن جداً أن يكون بنو أمية والذين وقفوا ضد الإسلام ومن معه ثم معاوية بن أبي سفيان ثم يزيد بن معاوية، ربما كانوا يفكرون من خلال العقدة الأموية ضد الهاشمية، لأنهم لم ينفتحوا على المسألة الإيجابية في هذا المجال. وقد انطلق كثير من المحللين في تحليلهم لمسألة الصراع الأموي الهاشمي الذي تتمثل رموزه في النبي محمد صلى الله عليه وآله وفي علي والحسن والحسين عليهم السلام، فحاولوا أن يفسروا ذلك تفسيراً عائلياً، ولكن المسألة ليست لها أرضية واقعية في هذا المجال. حتى أن الشيعة — كُلّيَةً - لم يرتبطوا بالنبي صلى الله عليه وآله كونه هاشمياً، لم يرتبطوا ببني هاشم. ولذلك نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل سورة في ذم أبي لهب، ولم يُنزِل

في ذمِّ أبي جهل أية سورة قرآنية رغم أنه كان أعتى أعداء النبي من مشركي قريش.

□ سيدنا لماذا يوم عاشوراء وبِمَ تفسرون اختلاف الروايات حول استذكاره إلى حدٍّ التناقض؟

□□ إنَّ عاشوراء هو يوم للإسلام. والحسين قال خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي. وعندما يصرّح حفيدُ رسول الله ﷺ بهكذا خطاب، فإنه يمثّلُ تجسيداً حيّاً للقيم الإسلامية والإنسانية في العزة والكرامة والمحافظة على استقامة المسيرة التي جعلها الله أمانة في أعناقنا جميعاً، وفي محاربة الظلم والفساد في كل عصر. وهو يؤكد على أن الإصلاح في أمة جده المصطفى ﷺ، هو مسؤولية كل فرد من أفراد هذه الأمة، كلٌّ حسب دوره وإمكاناته في كل المجالات. ولكن هناك روايات تقول بأنَّ النبيَّ موسى عليه السلام كأنه انتصر في عاشوراء، وعلى ضوء هذا اعتبر يوم عاشوراء، يوماً مباركاً، من جهة ارتباطه بالنبيِّ موسى. وبهذا تفسّر الروايات التي تُروى عن الرسول ﷺ فيها. لكنَّ الذكرى تطورت إلى الأسهل، عندما احتفل بها بنو أمية على أساس انتصارهم في يوم عاشوراء على الإمام الحسين عليه السلام.

(إذن، برأيي ليس ليوم عاشوراء كموقع في الزمن، قداسة ذاتية، وإنما المسألة هي أن ثورة الإمام الحسين وتضحياته ومأساته، هي التي جعلت من عاشوراء شيئاً يوحي بالقداسة.

□ من وراء صُنع عاشوراء الفرح والتبرك والصيام؟

□□ نحن نرى أن عاشوراء فيها خطان؛ الخط الأول ما يرويه بعض الرواة عن النبي ﷺ من الصيام فيه باعتبار إرتباطها بمسألة موسى، لكننا لم ندقّق في صحة هذه الروايات وعدم صحتها. أما اعتبار عاشوراء عيداً فإن الأمر كان ينطلق من خلال بني أمية الذين ركزوا ذلك في وجدان الناس من خلال الدعاية والإعلام الموجّه بالنسبة للروايات التي تقول بارتباط عاشوراء بالنبي موسى عليه السلام. وأنني لم أدرسها دراسة علمية، ولكن بالنسبة إلى بني أمية، أنا

أقطع بأنهم تعمدوا التمويه على واقعة عاشوراء الحسين المفجعة من خلال جعلها عيداً ويوماً للتبرك.

□ لماذا يتحسس البعض من الاستذكار السنوي لعاشوراء حتى وصل الأمر لهذا البعض باعتبار خروج الإمام الحسين عليه السلام بأنه تمزيق للأمة أصلاً؟

□□ هؤلاء لو فرضنا أنه لو ترك لهم الأمر لقالوا بمقولة قريش أن النبي صلى الله عليه وآله عندما انطلق بدعوته بأنه سفّه أحلامنا وأثار المشاكل عندنا وجعلنا ندخل في حروب وما إلى ذلك. هؤلاء الذين لا يملكون معنى الحق والباطل في المعركة من الممكن جداً أن يقولوا بأنَّ أية ثورة ضد الباطل هي تمزيق للأمة الملتزمة، لكن القضية أن هؤلاء لا يعيشون الحالة الرسالية التي تجعل القيادات تدخل في صراع لم تفرضه هي في الجانب العُنفي، بل فُرِضَ عليها، فكانت في موقع الدفاع عن نفسها ولم تكن في موقع مواجهة الواقع.

□ ما معنى شيوع ظاهرة التكفير في القرن الحادي والعشرين ولا سيما ضد أتباع أهل البيت؟

□□ إنا نعتقد أن التكفير هي مسألة تأريخية بل وأن تكفير الشيعة هو مسألة تأريخية، وهناك الكثيرون ممن يحركون الثقافة الإسلامية في وجدان المسلمين، يتحدثون عن تكفير الشيعة، وفي مقدمتهم السلفيون الوهابيون. ربَّما يمتدُّ البعض في خارج هذا الإطار ولكن المسألة قائمة على هذا الأساس، فإن هؤلاء يستحلون دماء الشيعة ويعتبرون أيضاً أن الشيعة كفاراً لا يجوز الزواج منهم ولا تؤكل ذبائحهم وغير ذلك. وقد سمعنا الكثير من هذا في بعض المناطق المعاصرة في بعض البلدان، لكن لم تكن هناك ظروف تقتضي الامتداد في مسألة القتل واستحلال دماء المسلمين الشيعة، وإلى أن رأينا بعض الأحداث في العراق، حيث صرَّح زعماء التكفيريين بإستحلال دماء الشيعة لأنهم كفار، ولأنهم مرتدون، إلى غير ذلك من الكلمات اللامسؤولة في هذا المجال. وهناك أيضاً في السلفية الوهابية من يكفِّر المسلمين الآخرين الذين يؤمنون بالشفاعة للأولياء والذين يزورون قبور الأولياء. إن هذه المسألة تمثل الإنحراف في فهم الكتاب والسنة.

□ لِمَنْ يجب توجيه الخطابات والنداءات لتقويم هذا الانحراف الفكري؟

□□ علينا أن ننفذ طريقة ثقافية موضوعية عقلانية وإسلامية، لتوعية الناس في هذا المجال، كما إن علينا أن ننفذ حتى إلى الجانب الشيعي الذي دخله في بعض الأشكال حالات الغلو، علينا أن نحاول تطهير الذهنية الشيعية من حالات الغلو التي تجعل الآخرين يتجهون إلى رميهم بالغلو والكفر والضلال.

□ ألا تستدعي خطورة الموقف محاورة علماء السلفية في السعودية بشكل خاص؟

□□ في تصوري أن هناك شيئاً ما في الحوار بدأ ولكنني أتصور أنه لا يزال في الجانب السياسي ولم يمتد إلى الجانب الثقافي.

□ كيف يمكن أن نطور الخطاب الحسيني لجميع أبناء الأمة بعيداً عن أية مذهبية؟

□□ عندما نطرح بأن الإمام الحسين عليه السلام لم ينطلق في خطاب مذهبي بل انطلق في خطاب إسلامي. علينا أن نحرك المفردات الإسلامية في الخطاب الحسيني لنقدم الحسين إماماً مصلحاً محبوباً من كل المسلمين، وأن نقدم ثورته على أساس أنها ثورة إسلامية لتغيير الواقع الإسلامي الداخلي إلى الأفضل، فبذلك نستطيع أن نجمع كل المسلمين على القضية الحسينية.

□ هل ينبغي لتجسيد أهداف عاشوراء وثورة الإمام الحسين الخروج على الحكام والأنظمة؟

□□ إن الإمام الحسين كان مُصلحاً يركز مفاهيم القرآن ومفاهيم السنة ولكنه حوَّل خروجه إلى حركة تنفتح وعلى التضحية على الثورة وتنفتح على الخط التغييري. ولذلك فنحن في هذا المجال يمكننا أن نقدم الحسين عليه السلام كإنسان يحرك القرآن ويحرك السنة في اتجاه الواقع المنحرف والواقع الظالم الذي كان يضرب بظلالِهِ في حياة المسلمين.

□ سماحة السيد من الذي قتل الإمام الحسين فعلاً؟.

□□ الذي قتله هو الشعب الجاهل الذي يُغلِّب مصالحه المادية على

التزاماتهِ الإسلامية، الأمر الذي جعل هذا الشعب أو هذه الجماهير، تخضعُ لحاكم مثل يزيد اتخذ مال الله دولاً وعبادَهُ خِولا، كما قال الإمام الحسين عليه السلام. لذلك نحن علينا أن نعمل على تثقيف الشعوب الإسلامية بحقائق الإسلام في قضايا الحكم وفي قضايا الواقع حتى يعرف المسلمون أن مسألة الخضوع للحاكم الظالم وتنفيذ إرادته حتى في قتل القيادات الصالحة، أن كل هذا خيانة للإسلام والمسلمين وهو مصداق لقولهِ تعالى: ﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[هود: ١١٣]

إن علينا أن نؤصِّلَ العقيدة الإسلامية في أذهان المسلمين بحيث أنها تتجسد فيهم فكراً وعاطفة وحياة، هذا يتوقف على العلماء والمثقفين المسلمين، أن لا يعيشوا لذواتهم وأن لا يخافوا من الناس ولا يخضعوا لهم كما يتحدث البعض من أنّ القيادات حتى الدينية تخضع للعامة لأنها تخاف من العامة وهذا ما يدعو إلى الأسف.

□ ماذا وراء هذا التناغم الغربي في الإساءة للمقدسات الإسلامية؟ وما هي دعوتكم في هذا الاتجاه؟

□□ من الطبيعي أن الغرب يختزن في داخله بشكل عام العقدة ضد الإسلام، وأن الثقافة الغربية حتى في المدارس وحتى في كتب الدراسة التي يدرسها الأطفال، تتحدث عن الإسلام بأنه دين عنف ودين إرهاب ودين قتل للناس بطريقة وبأخرى كما هو دين بداوةٍ، ولا يصور المسلم إلاّ ويركب الجمل ويعيش في البداوة والصحراء. ومن هنا فإن ما حدث من خلال الصور المسيئة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وما حدث في أمريكا وغيرها من الأبحاث والدراسات التي تتحدث عن الإسلام بشكل مشوه، إنما ينطلق من خلال الخلفيات التاريخية ضد الإسلام والمسلمين ولا يبعد أن يكون للصهيونية العالمية دور في هذا المجال.

(إننا نقول للمسلمين الذين يعيشون في الغرب أو الذين ينفتحون على الغرب في مراكز الدراسات إن عليهم أن يخططوا لأجل إفهام الإنسان الغربي بحقيقة الإسلام وأنه دين رحمةٍ ومحبةٍ وعدالةٍ وانفتاح على الإنسان وعلى

الحوار والتسامح وأن يقدموا صورة النبي صلى الله عليه وآله بالطريقة التي يفهم منها الناس أن رسول الله يُمثِّل الإنسان الذي ارتفع في إنسانيته إلى أن يكون خيراً للبشرية كلها. إن علينا أن نحتج ونستنكر ونخرج بالتظاهر ونمارس الأساليب السلمية وفي مقدمتها المقاطعة الاقتصادية التي استطاعت أن تجعل البلدان التي نشرت صُحُفها الصور المشوِّهة للإسلام ومقدساته، تفكر في الطريقة التي تتفادى فيها النتائج السلبية على مستوى الاقتصاد وعلى مستوى التعقيدات بينها وبين شعوب العالم الإسلامي في هذا المجال. بيد أنني لا أجدُ مصلحةً في الأساليب السلبية العنيفة لأنها قد تعبر عن حالة انفعالية نفسية لدى المسلمين، لكنها قد لا تفيد شيئاً بل قد يستفيد منها الغرب المعادي أكثر مما نستفيد منها نحن.

***

فلسفة ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) واستشهاده

بقلم العلاّمة الأستاذ أبو الأعلى المودودي (رحمه الله)(*)

هدف الشهادة:

تتظاهر عشرات الملايين من المسلمين شيعة وسنّة في المحرم من كل عام ليظهروا غمهم وحزنهم على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. لكن لم ينتبه منهم إلاّ أقل القليل- بكل أسف- إلى الهدف الذي لم يبذل الإمام في سبيله روحه الغالية فحسب، بل ضحّى حتى بأطفاله وعائلته. إنّ إظهار الحزن على أهل البيت والأسى على استشهاد أحدهم ظلماً وعدواناً، وكذلك حزن المتعاطفين والمؤيدين والمحبين لأهل هذا البيت، هو أمر فطري. فمثل هذا الحزن والأسى يظهره كل أسرة في العالم، ولا قيمة أخلاقية له أكثر من كونه نتيجة فطرية لحب أهل هذا البيت وحب المتعاطفين معهم لشخص هذا الشهيد وذاته الشريفة.

(*) العلامة الشيخ أبو الأعلى المودودي (رحمه الله) (١٩٠٣- ١٩٧٩) من كبار مفكري العالم الإسلامي وأحد رموز تحرير الهند من الاستعمار البريطاني. وهو مؤسس الجماعة الإسلامية في الباكستان وله مؤلفات كثيرة في الإسلام السياسي وتفسير قيّم للقرآن الكريم وأبحاث عقائدية مهمة. وقد كتب هذه الدراسة في عام ١٩٦٠م، لكنّ ذوي العقول المتحجرة منعوا وصوله إلى أيدي المسلمين في مختلف بلدان العالم العربية خشية أن يتعرفوا على حقيقة مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فيستلهموا منها أسباب النهوض والمقارعة بوجه حكام الجور، ويقوّضوا مصالح قوى الاستكبار الغربي والصهيونية البغيضة في المنطقة، والنص مترجم من اللغة الأردية إلى العربية، وقام بهذا الجهد المشكور الأستاذ أحمد إدريس. ونظراً لأهميتها، فقد استقيت هذه الدراسة من العدد (٦٢) لمجلة الثقافة الإسلامية، الصادرة بتاريخ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م عن المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: أي شيء تميّز به الإمام الحسين فجعل الحزن عليه يتجدد كل عام بالرغم من مرور كل هذه القرون الطويلة؟ فإنْ لم تكن شهادته لهدف عظيم وقصد جليل فلا معنى - إذاً- لاستمرار الحزن عليه قروناً بدافع الحب لشخصه والانتساب له، بل وأيّ وزن يمكن أن يكون لهذا الحب الشخصي- مجرد الحب- في عين الإمام نفسه؟ فإن كانت نفسه أعزّ عليه من هذا الهدف فلماذا ضحّى بها؟ إنّ تضحيته بنفسه دليل في ذاتها على أنّ الهدف كان أعز عليه من روحه. ولهذا فنحن إن لم نسع في سبيل تحقيق هذا الهدف وظللنا نعمل خلافه، فمهما بكينا على ذاته ولعنّا قاتليه، فلا أمل في أن يُثني الإمام الحسين علينا، ويستحسن فعلنا هذا يوم القيامة، كما أنّه لا أمل في أن يقيم ربه لبكائنا وحزننا هذا وزناً. فعلينا الآن أن نرى أيّ هدف استشهد في سبيله الإمام الحسين؟ هل كان هو أحق بالحكم فضحّى بنفسه لأجله؟ إنّ من يعرف سيرة أهل بيت الإمام الحسين وسمو أخلاقهم لا يمكن أن يظن- حتى مجرد الظن- أنّ هؤلاء كانوا يريقون دماء المسلمين من أجل الحصول على السلطة والحكم لأنفسهم. ولو سلّمنا جدلاً- ولو لقليل- برأي من يرون أنّ هذا البيت كان يدّعي أحقيته بالحكم، فإنّ تاريخ خمسين عاماً- منذ عهد أبي بكر- إلى عهد معاوية- شاهد على أنّ القتال وإراقة الدماء للحصول على السلطة، لم يكن أبداً ديدن أهل البيت ولا سجيّتهم، ومن ثم فلا محالة من التسليم بأنّ الإمام كان يرى آثار تغيّر كبير في المجتمع المسلم آنذاك، وفي روح الدولة الإسلامية ومزاجها ونظامها، وأنّه لم يكن يعتبر ضرورة التصدي لهذا التغير وإيقافه- ولو اقتضى الأمر القتال- جائزاً فحسب بل فرضاً مفروضاً.

تغير مزاج دستور الدولة وهدفه

أي تغيّر كان ذاك؟ إنّ الناس- بالطبع- لم يكونوا قد غيّروا دينهم، بل كان الحكّام والمحكومون يؤمنون بالله ورسوله وقرآنه، كما كانوا يؤمنون به من قبل. وكان قانون الدولة الإسلامية، كما هو، لم يتغير، وكانت الأمور والقضايا في عهد بني أمية يفصل فيها في المحاكم وفق أحكام الكتاب والسُنّة، كما كان الحال قبل وصولهم إلى السلطة، بل إنّ تغيير القانون لم يقع في أيّ دور من أدوار الحكومات الإسلامية قبل القرن التاسع عشر الميلادي.

إنَّ بعض الناس يركزون على سلوك يزيد الشخصي ويصورونه على نحو يُفهم منه خطأً أنّ التغير الذي نهض الإمام لمنعه كان فقط مجيء شخص سيء الخُلق إلى السلطة غير أنّه - حتى مع التسليم بأسوأ ما يمكن تصوره عن سيرة يزيد وسلوكه الشخصي كما هو - لا يمكن التسليم بأنّ النظام إنْ كان قائماً على أسس صحيحة فإنّ مجرد مجيء شخص فاسد الأخلاق إلى سدة الحكم، يمكن أن يكون أمراً عظيماً ينفد منه صبر رجل واع، فاهم، عالم بالشريعة علماً عميقاً، كالإمام الحسين. لذا فإنّ هذا الجانب الشخصي في يزيد لم يكن التغير الحقيقي الذي أقلق الإمام. إنّ الأمر الواضح الذي يظهر أمامنا جلياً، من دراسة التاريخ دراسة عميقة، أن تغيير دستور الدولة الإسلامية وطبيعة ادائها وهدفها، كان هو الفساد الذي بدأ بولاية عهد يزيد ثم جلوسه على العرش فيما بعد. صحيح أنّ نتائج هذا التغيير لم تتضح آنذاك، إلاّ أن صاحب البصيرة يستطيع أن يعرف - بمجرد تغيّر اتجاه العربة - أنّ طريقها قد تغيّر، وإلى أيّ جهة سيأخذها الطريق الجديد. فكان تغيير الاتجاه هو الذي رآه الإمام الحسين وقرّر أن يقاتل ويضحّي بروحه في سبيل إعادة العربة إلى مسارها الصحيح.

نقطة الإنحراف:

ولكي نفهم هذا الأمر فهماً تاماً علينا أن نرى ما هي الخصائص الأساسية لدستور الدولة ونظامها الذي ظلّ سارياً أربعين عاماً برئاسة رسول الله صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين، وما هي كذلك خصائص نظام الدولة الآخر، الذي بدأ بولاية عهد يزيد والتي ظهرت في مملكتي بني أمية وبني العباس فيما بعد.. فبهذه المقارنة نستطيع أن نعرف على أيّ طريق كانت العربة تسير، وعلى أيّ طريق سارت بعد وصولها إلى هذا المنعطف. وبهذه المقارنة أيضاً نستطيع أن نعرف لماذا قام ذلك الشخص الذي تربّى في أحضان رسول الله صلى الله عليه وآله، والسيدة فاطمة، والإمام علي، وقضى حياته كلها في أفضل مجتمعات الصحابة منذ طفولته إلى شيخوخته، لمنع العربة من أن تسير في هذا الخط الجديد بمجرد وصولها إلى هذا المنعطف ؟ ولماذا لم يعبأ بالعواقب التي يمكن أن تنتظره جراء وقوفه أمام هذه العربة الضخمة القوية الكاسحة ليغيّر اتجاهها؟

بداية ملكية البشر:

كانت أولى خصائص الدولة الإسلامية الإقرار ـ لا باللسان فقط بل بالقلوب الصادقة وتأكيد ذلك بالسلوك العملي ـ بأنّ الملك لله، وأنّ الرعية رعية الله، وأنّ الحكومة مسؤولة أمام هذه الرعية، وأنّها ليست مالكة الرعية، وأنّ الرعية ليسوا عبيداً لها، وأنّ أوّل فرائض الحكّام أن يضعوا في أعناق أنفسهم ربقة العبودية لله، ويذعنوا له، ثم بعد ذلك يقوموا بمسؤولياتهم في تنفيذ قانون الله في رعيته. لكن الملكية البشرية التي بدأت تسود المسلمين بولاية عهد يزيد انحصرت فيها عقيدة ملكية الله، في الاعتراف بذلك باللسان فقط، أمّا من الناحية العملية فتبنت النظرية نفسها التي تبنتها كل ملوكية بشرية، وهي أنّ الدولة دولة الملك والأسرة الحاكمة، وأنّها هي مالكة أرواح الرعية وأموالهم وكراماتهم وكل شيء، وإذا أريد لقانون الله أنْ يُنفذ في هذه الممالك، فعلى العامة فقط، في حين يكون الملوك وأسرهم وأمراؤهم وحكّامهم مستثنين في الغالب.

تعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان هدف الدولة الإسلامية نشر المحاسن التي يحبها الله، والقضاء على المساوئ التي يبغضها، لكن بعد اختيار طريق الملكية البشرية لم يعد للحكومة هدف سوى فتح البلدان، وإخضاع الشعوب، وتحصيل الخراج، والعيش في رفاهية وترف. ولم يُعْلِ الملوك كلمة الله إلاّ في القليل، وانتشر على أيديهم وأيدي أمرائهم وحكّامهم، قليل من الخير وكثير من المساوئ، وغالباً ما تعرّض عباد الله الذين عملوا على نشر الخير، ومنع الشر والفساد، ونشر الدين، والتحقيق في العلوم الإسلامية وتدوينها لغضب الحكّام، لا لعونهم ومساعدتهم، وظلّوا يؤدون واجبهم بالرغم من مقاومة الحكّام، كما ظلّت آثار سياسات الحكّام ورجال حكوماتهم وأساليب حياتهم، تدفع المجتمع ـ بالرغم من جهود هؤلاء العلماء ـ إلى تفشّي الانحطاط الخُلُقي الدائم، حتى لم يتورع الحكام عن وضع العراقيل أمام نشر الإسلام، حفاظاً على مصالحهم، وكان أسوأ مثال لذلك ما حدث في حكومة بني أمية من فرض الجزية على من دخل في الإسلام من غير المسلمين.

لقد كانت روح التقوى وخشية الله هي روح الدولة الإسلامية التي كان رئيس الدولة نفسه أكبر نموذج لها، فكان موظفو الحكومة والقضاة والقادة العسكريون جميعاً مفعمين بهذه الروح ثم كانوا ـ بدورهم ـ يملأون المجتمع كله بهذه الروح. لكن حكومات المسلمين وأمرائهم، ساروا في طريق الملكية، حتى اختاروا الكسروية والقيصرية أسلوباً لحياتهم، فغلب الظلم والجور على العدل، وحل الفسق والفجور محل التقوى، وبدأ عصر الخلاعة والمجون، وخلت سيرة الحكّام وسلوكهم من التمييز بين الحلال والحرام وانقطعت صلة السياسة بالأخلاق. وبدلاً من أن يخافوا هم أنفسهم من الله، راحوا يخيفون عباد الله من أنفسهم، وبدلاً من إيقاظ ضمائر الناس، طفقوا يشترون ذممهم بعطاياهم وأموالهم.

المبادئ الأساسية للدستور الإسلامي:

كان ذلك هو التغيّر الذي لحق بالروح والمزاج والهدف والنظرية. وإلى جانبه حدث تغير آخر مثله في أسس الدستور الإسلامي. فلقد كان هناك سبعة أسس هي أهم مبادئ الدستور الإسلامي غيروا كُلاً منها وقلبوه رأساً على عقب.

١ - الانتخاب الحرّ: كان حجر الزاوية في الدستور الإسلامي أن تقوم الحكومة برضا الناس الحر، وألاّ يسعى أحد للحصول على السلطة بجهده ونفسه، بل يختار الناس بمشورتهم أفضل رجل ويوكلون إليه السلطة وألاّ تكون البيعة نتيجة السلطة بل سبباً وموجباً لها، وألاّ يكون للمرء أي تدخل من محاولة أو مؤامرة في حصول البيعة له، وأن يكون الناس أحراراً في أن يبايعوا أو لا يبايعوا، وألاّ يصل المرء إلى السلطة إلاّ إذا بويع، فإذا حجب الناس عنه ثقتهم، لم يتمسك بالسلطة والحكم. وقد جاء الخلفاء الراشدون جميعاً إلى السلطة عن هذا الطريق ووفق هذه القاعدة، لكن وضع معاوية صار مشكوكاً فيه، ومن أجل ذلك لم يُعدَّ من الخلفاء الراشدين مع كونه صحابياً. حتى كانت توليته يزيد العهد، الخطوة الانعكاسية التي قلبت هذه القاعدة الدستورية رأساً على عقب، إذ بها بدأت سلسلة الملكيّات العائلية الوراثية التي لم يُتح للمسلمين من وقتها حتى اليوم، العودة إلى الخلافة الانتخابية. فراح الحكّام يصلون إلى السلطة ـ لا برضا الناس الحر ـ، بل بالقوة والجبر، وبدلاً من حصولهم على السلطة بالبيعة، أخذوا يحصلون عليها بالإكراه

والقوة. ولم يعد الناس أحراراً في أن يبايعوا أو لا يبايعوا، ولم يعد انعقاد البيعة شرطاً للبقاء في السلطة، إذ - أولاً - لم تبق للناس حرية في ألاّ يبايعوا من تسلم مقاليد السلطة بالقوة. ثم حتى إذا هم لم يبايعوا، فإنّ من آلت إليه السلطة لم يكن مستعداً للتخلي عنها، وحين ارتكب الإمام مالك جريمة الافتاء ببطلان هذه البيعة الجبرية في زمن المنصور العباسي جلدوه وخلعوا كتفه.

٢- نظام الشورى : وكانت أهم قواعد هذا الدستور بعد ذلك أنّ الحكم بالشورى، فيستشار من وثق الناس بعلمهم وتقواهم وسداد رأيهم - كالذين كانوا أعضاء الشورى أيّام الخلفاء الراشدين - مع أنّهم لم ينتخبوا انتخاباً حرّاً، وكانوا، بإصطلاح عصرنا، معينين لا منتخبين - إلاّ أنّ الخلفاء الراشدين لم يعينوهم لكونهم ممن يؤيدونهم في كل شيء، أو يعملون على خدمة مصالحهم، بل هم اختاروا بمنتهى الإخلاص والإيثار، أفضل عناصر المجتمع، ممن لم يكونوا يتوقعون منهم إلاّ قول الحق وممن يؤمل منهم أن يشيروا عليهم في كل أمر بالرأي الأمين الصحيح وفق علمهم وضميرهم، ولا يتوقع منهم أحد أن يتركوا الحكومة تسير في طريق الخطأ، أو تنحرف عن مسارها. ولو كانت طريقة الانتخابات العامة المتداولة في بلادنا اليوم، رائجة آنذاك، لاختار المسلمون هؤلاء بعينهم ووثقوا بهم.

لكن ما إنْ بدأ العهد الملكي، حتى أخذ مبدأ الشورى يتغيّر وراح الملوك يحكمون بالاستبداد والجبر، فصار الأمراء ورجال البلاط المتملقون وولاة الأقاليم وقادة الجيش، أعضاء مجلس الشورى، وأصبح مستشاروهم ممن إذا استُطلع رأي الناس بشأنهم لحصلوا على آلاف الأصوات التي تلعنهم مقابل أيّ صوت واحد يؤيدهم. وعلى خلاف ذلك، كان الذين يعرفون الحق ويقولون الحق وأهل العلم والتقوى، ممن كان الشعب يثق بهم، غير أهل للثقة في أعين الملوك والسلاطين، بل على العكس مقصرين أو في الأقل مشكوكاً فيهم.

٣- حرية التعبير عن الرأي: كان المبدأ الثالث لهذا الدستور أنّ للناس الحرية الكاملة في التعبير عن رأيهم، إذا كان الإسلام قد جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضاً على كل مسلم وليس حقاً من حقوقه فحسب. وكان سير المجتمع المسلم ودولته على الطريق الصحيح يعتمد على أن تكون ضمائر الناس وألسنتهم

حرة، وأن يقدروا على الاعتراض على كل خطأ يرتكبه أكبر رأس في المجتمع، وأن يقولوا الحق علانية، ولم يكن هذا الحق مكفولاً للناس فقط أثناء الخلافة الراشدة، بل كان الخلفاء الراشدون يرونه فرضاً عليهم، فكانوا يشجعون الناس على ممارسته. فلم يكن أعضاء مجالس شوراهم وحدهم بل يمارسون دور تقديم المشورة، بل كان جميع أفراد الشعب أحراراً في أن يتكلموا، ويعترضوا، ويحاسبوا الخليفة نفسه، وهو ما كان الناس، يُمدحون عليه، لا أن يُضطهدوا أو يتعرضوا للتهديد. ولم تكن هذه الحرية منّة من جانب الحكّام يتصدقون بها على الشعب، بل حقاً دستوريا أعطاه الإسلام للشعب. وكان الخلفاء الراشدون يعتبرون التزامه فرضاً عليهم. وكان تطبيقه من أجل الخير فرضاً فرضه الله على كل مسلم. وكان الاحتفاظ بجو الدولة والمجتمع مناسباً لتأديته، وجزءاً مهماً من مهام الخلافة في نظرهم. لكن ما أن بدأ دور الملكية حتى قيّدت الضمائر بأقفال غلاظ، وكُممت الأفواه، وأصبحت القاعدة: "إنّكم إنْ أردتم أن تفتحوا أفواهكم فبالمديح والثناء، وإلاّ فاسكتوا. وإنْ كانت ضمائركم حيّة إلى درجة لا تستطيع معها الامتناع عن قول الحق فاستعدوا للسجن والقتل". وراحت هذه السياسة تجعل المسلمين ـ شيئاً فشيئاً ـ جبناء، خانعين، عبيداً للمصالح، فَقَلَّ فيهم من له الجرأة على قول الحق والصدق، وارتفع ثمن التملق والمداهنة، بينما انخفضت قيمة الحق والاستقامة والصدق. فابتعد الأكفاء المخلصون الأمناء الأحرار عن الحكومة، وخلت قلوب الناس من أية رغبة أو عاطفة للإبقاء على أيّة حكومة من حكومات الأسر المالكة، فإذا أزاحت ملكية ما أختها لم يتحرك الناس قط للدفاع عنها، وإذا سقطت إحداهن، حفروا لها هاوية عميقة ورموا بها فيها، فأخذت الحكومات تجيء وتذهب والناس لا يعدُو كونهم متفرجين لا يهمهم شيء في مشاهد المجيء والزوال والصعود والنزول.

٤ - المسؤولية أمام الله والناس: والمبدأ الرابع الذي يتصل بالمبدأ الثالث اتصالاً وثيقاً هو مسؤولية الخليفة وحكومته أمام الله والناس. فأمّا بالنسبة للمسؤولية أمام الله، فإنّ الإحساس الشديد بها حرم الخلفاء الراشدين النوم ليلاً والراحة نهاراً. وأمّا مسؤوليتهم أمام الخلق فقد كانوا يعتبرون أنفسهم مسؤولين

أمام الشعب في كل وقت، فلم يكن مبدأ حكومتهم في هذا أن "يُستدعَوا" إلى مجلس (البرلمان) فحسب عن طريق تقديم مذكرة استجواب، بل كانوا يقابلون الناس وجهاً لوجه خمس مرات في اليوم أثناء الصلاة، وكانوا يتحدثون إلى الناس ويسمعونهم خلال اجتماع صلاة الجمعة. وكانوا يسيرون بين الشعب في الأسواق كل يوم، بغير حرس خاص، أو من يفسح الطريق لهم، وكانت أبواب قصر رئاستهم (أي بيوتهم المتواضعة) مفتوحة لكل فرد، وكان كل إنسان يستطيع في كل هذه المناسبات أن يقابلهم ويسألهم ويستجوبهم. فلم تكن مساءلتهم مقيّدة ومحدودة، بل دائمة وممكنة في كل وقت، ولم تكن ثمّة مساءلة عن طريق النّواب وأعضاء البرلمان، بل من قبل الشعب مباشرة، لأنّهم جاءوا إلى الحكم بإرادة الشعب، وكان رضا الشعب وحده هو الشيء الذي قد يعزلهم في أيّ وقت، ويأتي بغيرهم غيرهم. لذلك لم يشعروا بخوف ولا خطر في مواجهة الناس والتقائهم، كما لم يكن الحرمان من السلطة خطراً في نظرهم يفكرون في تفاديه قط.

ولكن ما إن حل عصر الملكية، حتى انتهى أصل الحكومة المسؤولة. أمّا فكرة المساءلة أمام الله فربما بقيت على الألسنة فقط، لكن لم تظهر آثارها في السلوك العملي. وأمّا مساءلة الشعب للحكام، فمن هذا البطل الذي كان يستطيع مساءلتهم؟ لقد كان الخليفة آنذاك غازي قومه وفاتحهم. فأي غاز يُسأل أمام المقهورين؟ لقد جاء إلى السلطة بالقوة، وكان شعاره "من كانت عنده قوة فلينتزع منّا السلطة". فكيف يمكن أن يُواجه أمثال هؤلاء شعوبهم؟ وأنّى كان للعامة أن تقترب منهم؟ حتى الصلاة كانوا إذا أدّوها ففي مساجد قصورهم الآمنة، لامَعَ الرعاع والعامة. فإنْ صلّوا خارج قصورهم فوسط جمع غفير من حرسهم الخاص الموثوق بهم غاية الثقة. فإذا خرجت مواكبهم أحاطت بها الفرق المسلحة من كل جانب تفسح لهم الطريق.

٥ - بيت المال.. أمانة: كان المبدأ الخامس للدستور الإسلامي أنّ بيت المال (خزانة الدولة) مال الله وأمانة المسلمين، لا يدخله شيء من طريق غير طريق الحق، ولا ينفق منه شيء إلاّ في الحق، وحق الخليفة في هذا المال من وجهة نظر القرآن، لا يزيد عن حق الوالي في مال اليتيم. من كان غنياً فليستعفف، ومن كان

فقيراً فليأكل بالمعروف. والخليفة مسؤول عن تقديم كشف حساب لكل قرش يدخل في بيت المال أو يخرج منه، وللمسلمين كل الحق في أن يطلبوا منه هذا الحساب، وقد عمل الخلفاء الراشدون وفق هذا المبدأ بأمانة تامة، فكان كل ما يدخل خزانتهم إنّما يدخل وفق القانون الإسلامي، وكل ما ينفق إنّما ينفق في الطرق المشروعة، فمن كان منهم غنياً خدم الدولة مجاناً بلا راتب، بل لم يكن يأسف على أن ينفق من ماله الخاص من أجل الشعب، ومن كان يستطيع خدمة الأمّة طول الوقت، كان يأخذ راتباً قليلاً جداً لسد احتياجاته، كالذي يتقاضاه أوسط الناس، بالعدل والإنصاف. ثم كان في مقدور كل فرد أن يطلب في أيّ وقت حساب الداخل في خزانة الدولة والمنصرف منها، وكانوا هم مستعدين في أي وقت لتقديمه إلى كل من يطلبه. وكان كل فرد من أفراد الشعب يستطيع أن يسأل الخليفة في ملأ عام من أين جئت بهذا القماش اليمني مع أنّ نصيبك فيه لم يكن يكفي لصنع ثوب طويل لك؟

فلمّا تبدلت الخلافة ملكاً، لم تصبح الخزانة مال الله والمسلمين، بل مال جلالة الملك، ودخلتها الثروات من كل طريق مشروع وغير مشروع وأنفق منها أيضاً بلا خوف في كل طريق شرعي وغير شرعي. ولم يعد في مقدور أحد أن يسأل عن حسابها. فكانت الدولة كلها وجبة شهية يمد إليها كل العاملين في الحكومة أيديهم، كبيراً كان أو صغيراً، كل حسب ما يتسنى له، وغاب عن الأذهان حتى مجرد تصور أنّ السلطة ليست صك الإباحة الذي عن طريقه يحل لهم هذا النهب، وأنّ الأموال العامة ليست لبن أمهم "فيشفطونه" بلا حساب أو مساءلة من أحد.

٦- **سيادة القانون وحكومته:** وكان المبدأ السادس لهذا الدستور سيادة القانون (يعني قانون الله ورسوله) وحكمه في الدولة، وأن لا أحد فوق القانون أو يحق له أن يعمل حراً خارج حدود القانون. وأن يكون القانون واحداً للجميع، من أصغر الناس إلى رئيس الدولة وأن يطبق على الجميع بالتساوي وبلا محاباة. وأن لا يعامل أحد معاملة مميزة عن غيره في القضاء. كما أنّ المحاكم ينبغي أن تكون حرة من كل ضغط من أجل توفير العدالة والإنصاف. ولقد عمل الخلفاء الراشدون بهذا المبدأ فقدموا أفضل نموذج له فكانوا مقيدين بقيود القانون الإلهي.. ومع أنّ

سلطتهم كانت تفوق سلطة الملوك إلاّ أنّ قرابتهم أو صداقتهم لأحد، لم تخرج عن حدود القانون فتنفعه بشيء، كما لم يضر غضبهم أحداً فيظلمه خلافاً للقانون. وكانوا إذا اعتدى عليهم أحد طرقوا أبواب المحاكم مثلهم مثل عامة الناس، فإنْ كان لأحد شكوى ضدهم، رفع عليهم دعواه وجرّهم إلى المحاكم. كما أنّهم وضعوا نوابهم وقادتهم والمسؤولين في دولتهم في قبضة القانون. فلم يكن ثمّة مجال لأحد أن يفكر مجرد تفكير في التأثير على مجرى العدالة ورجال القضاء. ولم تبلغ رتبة أحد أن يخالف بها القانون أو يخرج من حدوده، ويفلت من المؤاخذة. لكن ما إنْ تحولت الخلافة إلى ملك حتى تفسخت هذه القاعدة أيضاً وتناثرت أجزاؤها. فلم يرتفع الملك وأمراؤه وحاشيته وحكامه فوق القانون فحسب، بل الجواري وعبيد بلاطه السفلة. فاستبيحت رقاب الناس وأموالهم وعزّتهم وكرامتهم، وأصبح للعدالة معياران، أحدهما للبائسين والضعفاء، والآخر للأقوياء، وصار الويل للقضاة الذين يحكمون بالعدل والإنصاف، حتى فضّل الفقهاء الأتقياء الجَلد والسجن على أن يجلسوا في كرسي القضاء كي لا يصبحوا مَطيَّةً ووسيلةً للظلم والعسف فيستحقوا بذلك عذاب الله.

٧- المساواة التامة في الحقوق والمراتب: كانت المساواة التامة بين المسلمين في الحقوق والمراتب المبدأ السابع من مبادئ الدستور. وقد طُبق هذا المبدأ في الدولة الإسلامية الأولى خير تطبيق، فلم يكن بين المسلمين فرق باعتبار الجنس أو الوطن أو اللغة أو غير ذلك، ولم تكن القبيلة والعائلة والحسب والنسب، أسباباً لتفضيل أحد على آخر فكانت حقوق جميع المؤمنين بالله ورسوله، واحدة متساوية، وإذا كان ثمة فضل فباعتبار سيرته وأخلاقه وكفاءته وصلاحيته وخدماته. فلما قام النظام الملكي مقام الخلافة، راحت شياطين العصبية ترفع رؤوسها في كل ركن من أركان الدولة. فصارت رتبة الأسرة الحاكمة ومنزلة حماتها من العائلات والبيوتات أعلى من كل شيء، ونالت قبائلهم حقوقاً فوق حقوق الآخرين، فتأججت العصبيات بين العرب والعجم، بل ظهر الصراع بين القبائل العربية نفسها، وصفحات التاريخ شاهدة على ما ألحقه هذا الأمر بالأمّة الإسلامية.

الإمام الحسين وسلوكه الإيماني:

كانت هذه هي المُتغيرات التي ظهرت بانقلاب الخلافة الإسلامية ملكاً عضوضاً، ولا يستطيع أحد أن ينكر أنّ ولاية عهد يزيد كانت بداية هذه التغيرات. كما لا يستطيع أن ينكر أنّ جميع المفاسد التي ذكرناها آنفاً إنّما وُجدت في النظام الملكي بعد مدة وجيزة من هذه البداية.

ومع أنّ هذه المفاسد لم تكن قد ظهرت بتمامها وكمالها حين اتخذت هذه الخطوة (ولاية عهد يزيد) إلاّ أنّ كل صاحب بصيرة، كان بوسعه أن يعرف أنّ هذه المفاسد كلها نتائج حتمية لهذه الخطوة، وأنّها ستقضي على جميع الإصلاحات التي أوجدها الإسلام وجاء بها في نظام السياسة والدولة، لهذا لم يستطع الإمام الحسين على ذلك صبراً، وقرّر أن يتحمّل أسوأ النتائج التي تنتج من جرّاء الثورة على حكومة راسخة مسيطرة، ويخاطر بمحاولة وقف هذا الانقلاب.

لقد كان الجميع يعرفون عاقبة مثل هذه المحاولة، لكن الإمام باقتحامه هذا الخطر الجسيم، وتحمّله نتائج هذه العملية الرجولية الإيمانية، أثبت أنّ الخصائص الأساسية للدولة الإسلامية، هي رأس مال الأمّة الإسلامية الذي إنْ ضحى المؤمن برقبته وأسرته وذويه وعياله في سبيل الحفاظ عليه، لا يكون قد عقد صفقة خاسرة. وأنّ المؤمن إذا ضحّى بكل ما يملك في سبيل تقويض وإيقاف التغيّرات التي ذكرناها آنفاً، وهي الآفة العظمى للدين والملة، فلا ينبغي له أن يأسف على ذلك قط. ...ليستحقر هذا من شاء، وليسمّه عملاً سياسياً، لكنه كان في عين الحسين بن علي عملاً دينياً خالصاً، ولهذا اعتبر التضحية بروحه من أجل ذلك شهادة، فاسترخصها وجاد بها في سبيله.

***

مع المرحوم الشيخ أحمد الوائلي 1998 - مقام السيدة رقية دمشق

حوار مع

آية الله الدكتور أحمد الوائلي (قدس سره)(*)

□ سماحة الشيخ ما هي وظيفة المنبر عموماً والمنبر الحسيني خصوصاً؟

□□ وظيفة المنبر عموماً بناء الإنسان ثقافياً مع تأكيد عقائدي يشدّ ذوي العقائد إلى منابعهم الأساسية ووظائفهم الدينية ومثلهم العليا شرط أن يكون أميناً في إيصال النبع للعطاشى، كما هو، من دون إضافات وبدون أن يسبغ من ذاته عليه وأن يكون المنبر مؤهلاً لذلك علمياً. والمنبر الحسيني في ذلك لا يختلف عن المنبر عموماً لأن استعراض أحداث واقعة الطف والاستفادة من معطياتها، يعتبر من مفردات المطلب الذي أشرنا إليه وهو بناء الإنسان آخذاً بعين الاعتبار مشخصاته الفردية. فالمنبر ثقافة لغير المسلم، ومرشد ومبلغ للمسلم عموماً يرشد للحقائق الكامنة وراء الواقعة.

(*) المفكر الإسلامي الراحل العلامة الشيخ أحمد الوائلي شخصية دينية مرموقة عرفته مجالس الوعظ والإرشاد في مختلف أنحاء العالم. ويعتبر عالماً مجدداً في مسيرة المنبر الحسيني، وصاحب مدرسة خاصة في هذا الاتجاه ولهذا فقد وجدتُ بأنه خير من يستطيع أن يحدد طبيعة وظائف وأهداف ومواصفات المنبر الإسلامي الرسالي ورواده. من هنا جاءت الأسئلة الموجهة إلى سماحته(طاب ثراه) محمّلة بالهموم التي صار يحس بها متلقو خطاب هذا المنبر الحساس والمصيري في حياة أمتنا الإسلامية ولا سيما في المرحلة الراهنة. وقد نشر هذا الحوار مع عميد المنبر الحسيني في جريدة كيهان العربي الإيرانية بتاريخ (٢) محرم ١٤٢٠هـ (٢٠ نيسان ١٩٩٩م)، وكان سماحته لاجئاً في سورية حتى سقوط نظام الطاغية صدام. وعندما عاد إلى العراق وافته المنية بعد أسبوع واحد فقط من رجوعه إلى أرض الوطن (المؤلف).

وسيأتي بعد هذا الحوار موضوع هو إحدى محاضرات الشيخ الراحل ﷺ بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، وقام بإلقائها بُعيد الانتصار الكبير الذي حققه حزب الله في لبنان على العدو الصهيوني وطرده خاسئاً من الجنوب في أيار عام ٢٠٠٠.

□ ما هي الثوابت التي ترونها أكيدة في عرض الثورة الحسينيّة وصولاً للنتائج وابتعاداً عن نزعات المبالغة أو الإسفاف؟

□□ الثوابت في عرض الثورة الحسينية كما أعتقد أكثر من واحد، وأهمها تشخيص دوافع النهضة عند الإمام الحسين "عليه السلام" ودوافع خصومه والتنبيه إلى أخطاء من يذهب إلى أنها دوافع فردية. وانطلاقاً من ذلك لفت نظر من يشك لسبب وآخر بمشروعية النهضة ووضع يده على الأدلة على ذلك وبعد ذلك استعراض معطيات هذه النهضة على صعيد الواقع الخارجي من حيث رد التيار الجاهلي والإطاحة بمرض الظلم ونصرة المبادئ الإسلامية. وأما على صعيد النفوس فإذكاء جمرة التضحية واعدادها لتكون معدة للوقوف بوجه كل انحراف مماثل.

□ نعلم ما للمنبر الحسيني من دور فعال ومؤثر في ترشيد المسيرة العقائدية والأخلاقية للأمم والشعوب فهل لسماحتكم رؤية محددة في هذا المجال؟

□□ عملية الترشيد في المسيرة الأخلاقية والعقائدية، تنقسم إلى نوعين النوع الأول الترشيد المحض المجرد عن الانفعال والكهربة العاطفية كما هو الحال في الترشيد السائد الذي تقوم به جهات من محض الجانب الإرشادي، والنوع الثاني الإرشاد المعمّد بالدم والتضحية وهذا النوع من الإرشاد إذا أحسن المنبر توظيفه وتقديمه للسامع وأوصل جذوته إلى المتلقي فإنه سيصنع إرشاداً حياً فاعلاً وسيطرح في الساحة جذوة لا تنطفئ، فينبغي للمنبر أن يملك الوسائل المؤدية لذلك وإلا بقي مجرد إداة للبركة.

□ لا يستطيع أحد إنكار عطاءات الثورة الحسينية على مر العصور ويقول قائدنا الراحل الإمام الخميني(قدس سره) أن كل ما عندنا هو من عاشوراء. انطلاقاً من مسيرتكم الطويلة والمباركة عالمياً في شرح وتفصيل هذه الملحمة الخالدة، كيف يمكن استخلاص الدروس اللازمة منها لإفادة المجتمع الإسلامي والإنساني بغية توخي سبل الاستقامة والتقوى والتحرر في الحياة الدنيا وصولاً إلى النجاة والنعيم في الآخرة.

□□ ذكرتني كلمة الإمام الراحل قدس سره بالبيت الذي يُروى أن مصعب بن الزبير أنشده لما نهوه عن القتال فقال:

وإنَّ الُـأولى بـالطفِّ مـن آلِ هاشـمٍ تَأسَّـوا فَسَـنُّوا للكـرامِ التأسِّـيا

إن ثورة الطف عامل غني بالإثارة والأيحاء. أما الاستيحاء منه فلا بد من أمرين: الأول المؤثر في العرض ويتكون من مجموعة أشياء أولها الخطيب الموهوب المتوفر على جملة من الصفات وثانيهما القابل وهو المتلقي الذي لابدَّ من تهيئته واعداده بالوسائل السليمة والمشروعة.

ولكل من هذين الأمرين وسائل وشروط لا مجال لاستيعابها هنا وقد استعرضت قسماً منها في كتيب لي صدر هو – تجاربي مع المنبر- أرجو مراجعته للتعرف على ذلك وما لم أذكره هناك يحتاج إلى فصول أحاول إن شاء الله إضافتها لهذا الكتيب واستيعابها في الطبعة الجديدة. وبالجملة فعدم أخذ العطاء المطلوب من النهضة لا لنقص النهضة وإنما اللوم على المنبر.

□ من هم المؤهلون لارتقاء المنبر وما هي مواصفاتهم وهل المنبر حصر على شريحة الخطباء والوعاظ فقط؟

□□ المنبر الحسيني حصر على الخطباء الحسينيين، لأن في ذلك مهارة إضافة إلى الثقافة ولا تأتي المهارة إلا من التدريب والممارسة، فهي إذاً لمن يقوم بذلك. أما صفاته أي الخطيب فينبغي أن تكون صفات العالم الإسلامي لأنه أصبح يقوم بوظائف العالم فيُفتي على المنبر ويؤصل العقائد ويفلسف التاريخ والخ. يضاف لذلك العلوم والآليات ذات العلاقة بواقعة الطف. وقد شرحت ذلك مفصلاً في (تجاربي مع المنبر). وبالجملة أصبح الأمر بالنسبة للخطيب صعباً لضرورة توفره على مؤهلات تناسب مستوى العصر.

□ ما هي الآفات التي تهدد المنبر؟ وتهدد مخاطبيه في الوقت الحاضر؟

□ تهدد المنبر آفات من الخارج أهمها تقييد حرية الكلمة وفرض إتجاهات معينة عليه ومحاولات إفراغه من محتواه حتى يعود إلى ممارسة باردة. وواضح من هي الجهات التي تفرض عليه ذلك وتهدده من الداخل عوامل أهمها الهبوط بمستواه إلى مجاراة الخرافة والشعوذة والأسطورة وإرضاء النزعات الهابطة، ويهدده الخطيب غير الكفء والجهة التي تريد من وراء إحياء هذه الذكرى منافع

شخصية ولا تتوخى هدفاً رسالياً أو عقائدياً وغير ذلك ولا بد من الوقوف بوجه ما يهدد المنبر حتى يستمر في مسيرته حاملاً لرسالته، ويتوقف ذلك على مؤسسات غير موجودة فعلاً. وسيظل المنبر يشكو من أمراض كثيرة أبرزها جهل القاعدة التي ليس لها قابلية صنع المنبر العملاق.

□ ثمة حواجز تحول دون فهم أهداف ثورة الإمام الحسين(ع) في كربلاء من قبل إخواننا من اتباع المذاهب الإسلامية الأخرى. برأيكم على من تقع المسؤولية في ذلك وما هي وسائل تبديد التصورات الخاطئة المحيطة بالرسالة النبيلة لملحمة عاشوراء؟ وما هو دور المنبر في هذا الاتجاه؟

□□ ظاهرة ابتعاد اخواننا المسلمين عن المراسم الحسينية تتحمل مسؤوليتها جهتان:

<u>الأولى:</u> الدعاية المغرضة التي يتعرض لها هؤلاء الأخوة، فتصوِّرُ لهم المنبر بأنه مظهر من مظاهر شق وحدة المسلمين وشتم تراثنا وشخصياتنا ونبذ عقائدنا وبذلك تبعدهم عن الدنّو للمنبر لأنه يؤلف خطراً فيما يقوم به من كشف الحقائق ودحض الشبهات. ثم هو يشكل ممارسة عملية في تجسيد عقائد الشيعة وذلك ما لا يريدُه أصحاب المصالح ومن يعيش على أنغام الفرقة منذ عهد الأمويين والعباسيين وأتباعهم، <u>والجهة الثانية</u> هي بعض المنابر الجاهلة المرتزقة التي لا يهمها إلا المادة ولو على حساب وجود الطائفة وكرامتها وكذلك بعض الممارسات التي لا تلتقي مع جلال الذكرى ومع أهداف أهل البيت عليهم السلام في إحياء أمر آل محمد صلى الله عليه وآله. إنّ هذين العاملين تضافرا على إبعاد حتى بعض أبنائنا عن المنبر. ولو أتيح لهذه المراسم الخلاص من هذين العنصرين، ففي عقيدتي سيساهم كل مسلم في الإنتهال من نبع آل محمد صلى الله عليه وآله. وكم كان موقف مرشد الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي رائعاً عندما شجب بعض السلبيات في هذا المجال ولكنه للأسف الشديد تُرك وحده في الميدان، أمّا لأن البعض يرى أن في حذف بعض الزوائد تعريضاً للقضاء على الأصل، أو لأنه حدثت تجارب في الميدان لم تنجح وتحتاج إلى زمن طويل ولأجواء مساعدة. وأنا لا أشك أن كثيراً ممن يمارس بعض الزوائد يمارسُها عن عقيدة بأنها شعار يُقرِّبُ إلى الله ويجسد بعض المواساة،

ولو تصدى ذوو الشأن لإرشاده لأعطى الإرشاد نتائجه. وأخطر ما في الأمر ما قد يحصل من تمزق بالساحة حينما يفعل من لا يخاف الله ما يفعل ويسعى وراءأغراضه وإن أدت إلى هدم الدين.

□ هناك أيضاً غموض قد يكتنف النص التاريخي والروائي لهذه الثورة إذ يشاهد تباين في استعراض وقائعها. تُرى ما هي أهمية مراجعة هذا الحدث الخطير بدقة للخروج بنص تاريخي أصيل يعزز أهداف الثورة الحسينية وغاياتِها على مر الأجيال؟

□□ النصوص التاريخية الموثوقة متقاربة في نقل المضمون إن لم تكن موحدة. أما الغموض والاختلاف فهو تلوين من بعض الأقلام والألسن ناتج من اختلاف المستويات وتباين الأهداف وتعدد الرؤى. وهناك كتب – مقاتل - توخّت الوصول إلى المصادر الصحيحة والسليمة وإلى حد ما وُفّقتْ وإن لم تَخْلُ من تأثير المزاج. واعتقد أن الخروج بنصوص تاريخية أصيلة ، عمل يحتاج إلى مؤسسة ومجموعة من الباحثين الأكفاء في ميدان علم الرجال والدراية وفلسفة التاريخ وبدون ذلك يبقى أي عمل في هذا المضمار خداجاً ولا أجد مسؤولاً عن ذلك إلا الوسط العلمي الذي ينبغي أن لا يقتصر نشاطه على استنباط الحكم الشرعي من أدلته وإن كان وظيفته الأولى، ولكن تنقيح وضبط أمثال واقعة الطف التي أصبحت سمة مميزة للطائفة لا يقل أهمية عن ذلك.

□ الخطاب الإسلامي لملحمة عاشوراء هو الآخر تشوبه بعض السلبيات قد يعود قسم منها إلى تلكؤ أو ضعف دور المنبر هنا وهناك. ولأن سماحتكم مرجعية معروفة في تاريخ المنبر الحسيني فإننا نرجو أن تضعوا النقاط على الحروف بهذا الشأن؟

□□ تتضح الإجابة على هذا السؤال مما ذكرناه في المؤهلات التي ينبغي توفرها في الخطيب والخطابة. وقد ظهرت ولله الحمد علائم وبوادر مشجعة من الخطباء الذين ارجو لهم التسديد والتوفيق لأداء رسالتهم. ولكن مجهودهم ما دام فردياً سينتهي بنهايتهم - ولكل أحد نهاية - إلاّ إذا وفقنا إلى مؤسسة ثابتة الأركان تتخصص في مجالات المنبر كما هو الحال في مؤسساتنا الفقهية والأصولية المشرفة ، عندئذ نطمئن على وضع مستقر للمنبر.

□ أخيراً شيخنا الفاضل ما هو السبيل لجعل المنبر الحسيني مقبولاً ومطلوباً في كل عصر ومصر ومن كلّ المسلمين بلا استثناء؟

□□ الوسيلة لجعل المنبر مقبولاً ومطلوباً في كل عصر تتجلى في إدراك أن وعاء العلوم والمعارف هم آل محمد وبعدهم أعلام المسلمين الذين يصدرون عن الكتاب والسنة لا عن الهوى، ومتى سلمت مصادر المنبر وكان الأداء علمياً ومسؤولاً فسيتحقق هذا الهدف ولا شك أنّ في ذلك تفصيلاً ولذلك آليات ربما نعود لها إن شاء الله تعالى.

❖❖❖

نص المحاضرة:

في ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، نجد أنفسنا أمام مساحتين، المساحة الأولى هي مساحة العظة والعبرة، ونستجليها من التاريخ، والمساحة الثانية هي مساحة الحسرة واللوعة يمليها علينا الموقف. وسنمر إن شاء الله بهما معاً.

أولاً: إنَّ مساحة العظة والعبرة، نستطيع التعرف عليها عن طرق كثرة الزيارات للحسين عليه السلام. إننا إذا مررنا بتاريخ الأئمة (صلوات الله عليهم)، ومررنا بكتب الزيارات نلاحظ أن هذه الكتب بالنسبة للأئمة تُعطي كل إمام زيارة واحدة أو زيارتين، أما إذا أردنا المرور بتاريخ الحسين عليه السلام نرى أن الزيارات الخاصة به، تملأ الساحة، وأنّ الحسين استبد بالساحة. لكن هناك سؤالاً يطرح نفسه وهو أين موقع هذه الزيارات من المشروعية الإسلامية؟ الحقيقة أن مسألة زيارة القبور بصورة عامة، فضلاً عن زيارة الإمام الحسين أمر بديهي عند المسلمين لا غبار عليه، والذين يشذون عن هذا المعنى هم فئة قليلة لا يعتد

بقولهم، ولا قيمة لآرائهم لأنها غير ناهضة وغير قائمة على علم. بينما يرى فقهاء المذاهب الإسلامية بأجمعها، أن مسألة زيارة القبور عندهم تكاد تكون محل إجماع. وهذا المعنى يبدأ ابتداءً من النبي٥، حيث تقول زوجته عائشة٧: هبط عليه جبرائيل فأمره بأن يذهب إلى زيارة أهل البقيع، فكان رسول الله٥ يذهب إلى البقيع ويقف على القبور ويقول: " السلام عليكم ديار قوم مؤمنين ونحن بكم لاحقون، أللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد"، يستغفر لهم ويقف على القبور قليلاً ثم يرجع".

أما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان يقف على قبور أحبائه وأعزائه وزملائه من الصحابة ويخرج لزيارتهم. والزهراء عليها السلام، فإن مجموعة من كتب التاريخ تقول أنها كانت تذهب إلى مرقد النبي من بعد دفنه وتقف على القبر وتأخذ شيئاً من ترابه وتقول:

" ماذا على من شمَّ تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا

قل للمغيَّب بين أطباق الثرى لو كنت تسمع صرختي ويُكائيا.

لقد كانت فاطمة عليها السلام تزور قبر أبيها وتزور قبر عمها حمزة بن عبد المطلب، وتقف على قبور الشهداء بأُحد وتزورهم، وكان معظم الصحابة يذهبون إلى الزيارة ليقفوا على القبور ويزوروها. وفي أحد الأيام رجعت عائشة وعيناها مملوءتان بالدمع، سألها أحدهم: "يا أم المؤمنين أين كنت؟ قالت: كنت عند زيارة قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر". وهكذا كانت نساء النبي يذهبن لزيارة القبور، وكان الصحابة والتابعون يفعلون ذلك أيضاً. كما تذكر الروايات التي نصَّت على التزامهم بهذا المعنى، وأنهم كانوا يرون في الزيارة استجابة لما أمر به النبي صلى الله عليه وآله: "إني كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها الآن فإنها تذكركم بالآخرة."

الزيارة إذاً غطاؤها الشرعي بإجماع المسلمين موجود، والغاية أيضاً معلَّلة، والنبي صلى الله عليه وآله كان يعلل سبب الوقوف على القبور بأنه للعظة والعبرة، فيعتبر الإنسان، ولكن بماذا يعتبر؟ يعتبر أن هؤلاء كانوا مثلنا أحياءً فوق ظهر

الأرض ثم صاروا إلى باطن الأرض، يعتبر بما أسلفوا وقدموا بين أيّديهم إلى خالقهم. ويعتبر بأن الدنيا بأجمعها تنتهي إلى هذه النتيجة، ولقد كان هذا الاعتبار موجوداً عند المسلمين عامة.

نعود لحديثنا عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام، الذي استبد بالساحة كما ذكرت في بداية الحديث، ومعنى استبداده بالساحة، أن زيارته تستوعب أبعاد السنة كاملةً. فأول زيارة للحسين عليه السلام كان في يوم العاشر من محرم من بعد مصرعه سنة ٦١هـ، حيث زارته عائلته مباشرةً، ولما جنّ عليها الليل، كانت أول الزائرات هي عقيلة الطالبيين، السيدة زينب إبنة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، حيث طلعت تشق طريقها إلى المصارع، وصاحت: يا رسول الله، هذا حسينك بالعراء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرد إلى آخر الزيارة. هذا مما أنّت به أخاها، فزارت وجلست قليلاً عند جسد أخيها الإمام الحسين عليه السلام، وسكبت اللوعة والحسرة والدموع، وأخذت العبرة من هذا الموقف المشرّف، ورجعت وهي مملوءة بالعنفوان الذي أوصاها به أخوها الحسين. قبل استشهاده.

ومن هنا نرى أن الروايات في فضل زيارات اليوم العاشر تقول: (أن من زار الحسين في اليوم العاشر من محرم وبات تلك الليلة عند قبره، كان كمن تشحط بدمِهِ مع الشهداء)، لأن الزائر بعد هذا يشعر بحرارة الموقف وكأنه في قلب الواقعة.

ثم تأتي الزيارة الثانية مباشرة، للإمام الحسين عليه السلام وهي زيارة الأربعين، فعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن هذه إحدى علامات الإيمان، حيث يعدد علامات الإيمان بأنها خمسة: العلامة الأولى: التختم باليمين، وقد يلفت النظر أن الإنسان قد يلبس الخاتم باليمين، وهذا يكون من علامة الإيمان، وهو شيء ملفت للنظر، فما هو الفرق أن يلبس الخاتم باليمين أو باليسار، مازالت اليمين عضواً من جسد الإنسان واليسار عضواً من جسد الإنسان. ولكن ما يبدو أن هذه كانت رمز علامة لأهل البيت عليهم السلام، ونوعاً من الإقتداء، كما لو أن أحد المؤرخين يقول: "أن النبي صلى الله عليه وآله كان عند لبسه عمامته، يسدل لها ذؤابة بين كتفيه، ونعرف كيف كان النبي يتحنك بها وكيف يضعها، لكن هذا المؤرخ يقول: نحن تركنا هذه السُنّة، لماذا؟ يُجيب: مخافة التشبه بهؤلاء الذين يسمون

أنفسهم شيعة. (ومن هذه الرموز إذاً التختم باليمين، ويبدو أن الأئمة عليهم السلام كانوا يضعون الخاتم في يمينهم، ولذلك فإن الرواية التي روت أن الإمام أمير المؤمنين عندما كان يصلي ودخل رجل يستعطي من المسلمين في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، مدَّ إليه الإمام علي عليه السلام يمين يده، وفيها الخاتم، فانتزع ذلك الفقير الخاتم. إذن يبدو هذا نوعاً من الإقتداء، ولولا ذلك، لا فرق بين اليد اليسرى أو اليمنى فكلاهما سواء في جسم الإنسان، لكن لأنَّ هذا المعنى عُرف عند أهل البيت وعرف به معنى الاقتداء اعتُبر علامة من علائم الإيمان. والإقتداء بأهل البيت هو في حد ذاته دليل على ماذا؟ إنه دليل على الإقتداء بالقرآن، لأنهم عِدْلُ الكتاب..

أيضاً هناك صلاة الواحد والخمسين، إن الصلاة الواجبة الملازمة للإنسان هي سبعة عشر ركعة للواجبات والباقي للنوافل التي يصليها الإنسان مع الظهر ومع العصر ومع المغرب ومع العشاء ومع الصبح. فالمداومة على هذه النوافل من علائم الإيمان وللتأكيد على أنّ الإنسان لا يمنعه حرٌّ ولا بردٌ ولا كسلٌ من المداومة على الصلاة دائماً بين يدي الله، والصلاة هي كالنهر الجاري يغتسل الإنسان منه فإذا اغتسل، تزول عنه الأوساخ، كذلك الصلاة، فإنها تغسل الأوساخ الروحية والأوساخ المعنوية، والمداومة على الصلاة من علائم الإيمان. الثالثة: التي أقول أنها قرينة على أن المراد من التختم باليمين هو اتّباع لِما كان عليه أهل البيت، هو الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، أي قراءتها بصوت مرتفع في الصلاة، وهناك كلمة للفخر الرازي المفسر، عندما يأتي على ذكر البسملة فإنه يقول بالجهر بالبسملة، ويوضح: أنا عندما أجهر بها أكون قد وضعت يدي على المدرك وعلى الدليل، لأنني اقتديت بعلي بن أبي طالب في هذا، والاقتداء بعلي يعني أنه أمسك بالعروة الوثقى. لماذا؟ لأن النبي قال لعلي: (إنك مع الحق والحق معك يدور معك حيث تدور). إذن: هذه علامة أخرى من علامات الإيمان، بهذا المعنى وباعتبار أنها مأخوذة من مصدرها الصحيح وفيها نوع من القدوة، ومِن اتباع لأهل البيت، الذين هم عدل الكتاب.

أيضاً يعدّ تعفير الجبين من علائم الإيمان، إن الإنسان عندما يصلي يعفر جبينه تذللاً لله عز وجل؟ يعني يسجد على التربة ويعفّر خديه، ويعفر بها جبينه

إشارة إلى التذللُ، إلى التواضع ساعة الوقوف بين يدي الله عز وجل، كأنه يريد أن يقول: يا رب أنا عفرت بالتراب هذا الجبين تواضعاً لك، فارحم لي هذا الجبين يوم يوضع على التراب ويوم يوضع الإنسان وحيداً فريداً في قبره.

ومن علائم الإيمان أيضاً زيارة الأربعين، والمواظبة عليها. فلماذا تعتبر هذه الزيارة من علائم الإيمان؟ إنّ كل زيارات الحسين تؤدي للإيمان، أو هي عمل إيماني، وورد في فضلها أنها من علائم الإيمان، فما السبب، في أنها كذلك؟ السبب هو أنّ هذه الزيارة ينفعل فيها الإنسان أكثر مما ينفعل بالزيارات الباقية للإمام الحسين عليه السلام، كيف؟ تبدو الزيارات الباقية كأنها غير داخلة في قلب الواقعة. إنّ زيارة الأربعين تتزامن مع حادث إرجاع رؤوس الشهداء إلى الأجساد، وهذا يعني أن الإنسان سيعيش أجواءَ أحزان ودموع وآلام، فيها لون من ألوان التقرب إلى الله ومظهر من مظاهر المودة لذوي القربى. يعني عندما أقول أنني أُوالي أهل البيت عليهم السلام، فإنَّ موالاتي تتجسد بأن أفرح لفرحهم وأحزن لحزنهم. أُشارك وأُساهم معهم بالأفراح والآلام، وهذه الزيارة فيها آلام ودموع وفيها موقف يكلِلك بالحزن أكثر من غيره وفيه تُشاطر أنت أهل البيت عليهم السلام حزنهم، وعن هذا المعنى يقول الإمام عليه السلام: (نَفَسُ المهموم لمصابنا عبادة). وإذا احتمل أحدهم الهم من أجل مصاب كهذا فهو في جو عبادة، ولا شك في أن هذه الزيارة تجعل الإنسان ينفعل فيها أكثر وينغمر فيها أكثر، إن زيارة الحسين ليست مجرد طلب للثواب، الزيارة فيما أرى أبعد من هذا، الزيارة بواقع الأمر فيها أجواء يخشاها الظالمون، تخشاها العروش التي كانت معاصرة آنذاك. هذه الزيارة كما يرويها الشيخ المفيد في التأديب، عن الإمام العسكري عليه السلام في التأكيد على فضلها: عندنا مثلاً تجد في (أنه من أحب أن يصافحه مائة وأربع وعشرين ألف نبي فليزر الحسين). نعم، تأمل توافد مواكب النبيين ومجيئهم إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام وهم يصافحون المؤمنين في زيارتهم. وعلى ما تذهب إليه جملة من الروايات وبعض الزيارات فإن من أراد الله أن يغفر ذنوبه جميعها، فليزر الحسين في النصف من رجب مثلاً، وفي شعبان، وفي العيدين.

أن السنة على مدارها تستوعبها زيارات الحسين، فما السبب؟ هذا اللون من إصرار أهل البيت على زيارة الحسين ومن إصرار أعدائهم على منع الزيارة؟ لو رجعنا للتاريخ فإننا نلاحظ أن أهل البيت لا يتسامحون في زيارة الحسين أبداً، "يقول حنان ابن سدير: أتيت على الإمام الصادق عليه السلام، فقال له الإمام: يا حنان، قلت لبيك يا سيدي، قال: أتزور الحسين في كل يوم، قلت: لا، قال: أتزوره في كل أسبوع، قلت: لا. قال: أتزوره في كل شهر، قلت: لا. قال: أتزوره في كل سنة، قلت: نعم، قد يكون ذلك. فقال الإمام الصادق: ما أجفاكم بالحسين، هو بجانبكم وتدع السنة تمر لتذهب إليه". مع العلم أن هذا المعنى وارد في زيارة البقيع أيضاً. وحتى في كتب المذاهب الإسلامية الأخرى، فإنه يستحب أن يذهب الزائر لزيارة البقيع كل يوم، لأن البقيع فيه شهداء، والوقوف على قبور الشهداء له معنى.

"يقول الإمام له: أنتم ما أجفاكم بالحسين، قلت: سيدي، إذا لم أستطع زيارة الحسين ووجدت ظروفاً حالت بيني وبين زيارته وهو بعيد عني ماذا أصنع، وما هي طريقة الزيارة؟ قال له الإمام: تصعد إلى أعلى موضع من دارك وتستقبل قبورنا، وتزورنا وتومئ بيدك إلى القبور فإنه يصل إلينا، حتى وإن كنت بعيداً ولم تستطع الوصول لئلا يفوتك شرف الزيارة وفائدتها.

رجل آخر هو وسام، يروي عن الإمام الصادق عليه السلام ويقول: "أتيت الإمام الصادق، وقلت يا ابن رسول الله إنني كثيراً ما يحال بيني وبين الزيارة هناك ماذا أصنع؟ قال الإمام: تتطهر وتصعد إلى أعلى السطح وتوجه وجهك إلى كربلاء وتزور الحسين".

إن هذا الإصرار وتعبير الإمام من خلال قوله ما أجفاكم بالحسين وحديث الروايات الأخرى من أن: زيارته تمنع الفقر، وتمنع الغرق، ورواية أخرى تقول: إذا طلع أخلف الله على عياله. فهناك جملة من الروايات كما نلاحظ، تشدد على زيارة الحسين، هذا إلى جانب التشديد على زيارات أهل البيت؛ وكان هذا التوجه بدأ من رسول الله ٥، فعن أم سلمة٧ أنها قالت: دخل عليّ رسول الله في بيتي ليلة من الليالي وهو أشعث أغبر، قلت له فداؤك نفسي

يا رسول الله، أرى عليك آثار الغبار، والسفر والألم، قال: آنفاً رجعت من كربلاء ومدَّ يده فأخرج لي تربة وقال لي: هذه التربة يدفن فيها ولدي الحسين، احتفظي بها، ألا من زاره من بعد مقتله (مصرعه) فأنا الشفيع له يوم القيامة. تقول أم المؤمنين أم سلمة أن هذا دفعني وأشعرني بأهمية الزيارة، وبعد ذلك تقول: من اليوم العاشر من المحرم تفقدت التربة ورأيتها تبدَّلت دماً.

"إنَّ التبشير بما للزائر من فضل ومن شفاعة بدأ من أيام النبي، وبعد ذلك ما روي عن الإمام أمير المؤمنين لما مرّ في طريقه إلى صفين حيث مرّ على كربلاء، فقال: ها هنا مصارع فتية وشهداء تسبق أجسادهم أرواحهم إلى الجنة، وبشَّر بما للزيارة من فضل. إنَّ أهل البيت عليهم السلام كانوا يصرون على الزيارة بأنفسهم، كانوا يجيئون لزيارة الحسين، فما هذا الإصرار وما سببه؟ في مقابل ذلك. ما هي موانع من الزيارة من الجانب الثاني أقصد المنع عن زيارة الحسين عند الآخرين؟ يمكنك أن تتصور كيف أن الشيعة كانوا يطلعون للزيارة في الليالي الظلماء البهيمة، يتخفون بالنهار ويسيرون بالليل، إلى أن يصلوا للقبر فيزورون ويرجعون. لا بد وأنه قد مرّ عليك بعض الروايات التي تقول إن هؤلاء الذين أرسلوا كحراس على قبر الحسين ليمنعوا الناس من الزيارة كانت تأتيهم السهام بالليل، فيقولون هذه السهام كانت ترميهم بها الجن. ليس الأمر كذلك بل كانت الشيعة يرمونهم بها، لماذا؟ لأنهم كانوا يريدون الوصول إلى القبر وكان الآخرون يحولون بينهم وبين القبر. كانوا يطلعون ليلاً لزيارة الحسين، يزورون ويرجعون، لأن المنع كان شديداً أيام الأمويين لأنهم كانوا حتى يخشونه قبراً، وأيام العباسيين صارت أشد، حتى وصل الأمر إلى درجة قتل ٩٠٪ من الزوار. مثلاً إذا ذهب عشرة أشخاص للزيارة، فإن تسعة سوف يقتلون ويبقى واحد على قيد الحياة. ما سر هذا المنهج؟! لقد كانت هناك شجرة على قبر الحسين يستظل بها الزوار ويعرفون منها مكان القبر، فإذا بها تقطع ويُحرق تراب كربلاء، وتحرق المنطقة، وتسلط المياه على قبر الحسين. ما سر هذا الحقد والعداء؟ قد يقول قائل: لماذا لم يمنعهم الإمام علي الهادي عليه السلام الذي عايش هذه المضايقات الدموية أيام المتوكل العباسي من الزيارة. ويقول لهم مثلاً إن زيارة الحسين فيها إلقاء للنفس في

التهلكة، وحماية النفس واجبة، في حين أنّ زيارة الحسين مستحبة. فكيف إذاً يُقدَّمُ المستحب على الواجب، مع أن هذا الأمر يلحق بهم ضرراً، لماذا لم يمنعهم الإمام عليه السلام آنذاك، ولماذا لم يمنعهم الأئمة قبل ذلك؟ بل بالعكس، لقد كنا نرى الأئمة يحدثون ويذكرون بالتأكيد على الزيارة، يقول أبو هاشم الجعفري: "دخلت على الإمام الهادي عليه السلام وقد كان يشتكي من علة، جلست قليلاً ثم عندما أردت الخروج من عنده مدّ يده لصرة دفعها لي، وقال: جد لي واحداً من أصحابنا ليذهب إلى الحائر ويدعو لي عند قبر الحسين، يزوره ويدعو لي هناك. يقول: فعلاً أخذت المال وخرجت. ولما خرجت رأيت أحدهم في طريقي فقلت له: هل عندك نية للزيارة؟ قال: نعم، قلت: تأخذ هذا المبلغ عوضاً عما تقوم به من عمل وتذهب لتدعو للإمام الهادي بالحائر عند قبر الحسين. يقول: التفت لي الرجل وقال: أسألك سؤالاً، قلت: سَلْ، قال: أوليس الإمام الهادي هو الحائر؟! هذا إمام وهذا إمام، فإذا تصرّف الإمام الهادي فإنه يتصرف بنسبته للإمامة، فهو إمام أيضاً، فالحائر هنا أيضاً، إذن لماذا لا يدعو هو لنفسه؟ يقول أبو هاشم: والله دخلت الشبهة في ذهني. فرجعت إلى الإمام الهادي وقلت: يا سيدي هذا الرجل أحرجني، فقال لي: ما الخبر؟ قلت له: أن يأخذ هو المال ويدعو لك وأنت الإمام عند الحسين، وقال لي: أوليس هو الحائر؟ قال الإمام الهادي له: بلى. ولكن إذهب وقل له إن لله أماكن يُحِبُّ أن يُدعى بها ليجيب، حيث وضعها معالم للإجابة.

ألا ترى أن الصخور التي في الكعبة هي موجودة في كل مكان، فمن الممكن أن نأخذ مجموعة من الصخر، نبني فيه مربعاً ونطوف حوله. ولكن لماذا هذا المكان؟ ولماذا هذه الصخور بصورة خاصة؟ كذلك فإن الأيام كلها سواء، فلماذا يختار الله يختار لنا شهراً معيناً سمّاه شهر رمضان؟ هناك أماكن وهناك أشياء أراد الله عز وجل أن تكون معالم لدينه وأراد أن يدعى بها ليجيب. قال الإمام الهادي عليه السلام إذهب وقل له وأخبره أن من جملة هذه الأماكن قبر جدّي الحسين".. ما هو سر الدفع إلى قبر الحسين عليه السلام من أئمة أهل البيت، وبالروايات المستفيضة، والإمام الهادي عليه السلام عندما كان يرى الرقاب تضرب. لماذا لم ينه

الشيعة؟ ما الهدف وما السر؟ إن السر واضح، أؤكد لك أن المسألة أصبحت مظهراً من مظاهر إقامة الدين، والدفاع عن العقيدة، وكأن المؤمنين بهذه الزيارة يتصدّون للذين تحدوا رسالة رسول الله ﷺ في من حمل رسالة رسول الله من بعده، في الحسين نفسه.

إن الحسين عليه السلام عندما خرج، لم يخرج ليدعو إلى نفسه، بل ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجسد رسالة السماء، ظهر باعتباره إمتداداً لجده رسول الله. فتحدى هؤلاء الذين أرادوا هدم الدين. وبذلك فإن إحياء ذكرى الحسين عليه السلام يبدو كأنه مظهر من مظاهر إحياء الدين وإحياء العقيدة التي تتجسد في زيارة الحسين، وإلاّ فبدون هذا لا نجد مبرراً لسفك الدم، وليس عندنا مبرر بحيث أن الأئمة يرون الناس يذهبون للزيارة ويرون دماءهم تسفك، ومع ذلك لا ينهونهم عن ذلك. لا يوجد إذن إلا هذا المعنى.

إن إحياء العقيدة، وإحياء الدين وإحياء معالم الدين، كل ذلك أصبح مظهراً من مظاهر زيارة الحسين، فليست المسألة عبارة عن مشوار بضعة خطوات يمشيها الإنسان، يقعد عند قبر، وينفعل انفعالاً عاطفياً ويرجع؟ لا. بالعكس هناك أهداف للزيارة أبعد من هذا. أول هدف أنني بهذا التحرك أقف بوجه الظالمين، وأقول: إن الله أراد لهذا الرجل الخلود، وأنتم أردتم أن تميتوه، لكن هيهات، فأنا ممن يجسد دعم هذا الذي هو تحت التراب، أنا أتيت أجسد موقفه وأدعم خروجه. بتعبير آخر إنني اعبر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنني عندما أقف على قبره أقول له: أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين، فأنا سأكون مفردة من مفردات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنا أتيت لأدعم موقفاً يترتب على إحيائه دعم الدين. فهذا هدف، والهدف الثاني هو أنني عندما أقف على قبر الحسين، فإن الأئمة لا يدعونني أزور بما أعبر أنا عنه بحرية، ولكنهم يعطونني صيغة معينة لأعبر بها من الزيارة. فعندما أقف على القبر، أثناء زيارات الحسين المطلقة على سبيل المثال فإنني أقول: السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله السلام عليك يا وارث إبراهيم

خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله ... الخ، إنّ هذه الصيغة التي يعطيني إياها الإمام أثناء هذه الزيارة فإنه يعطيني صيغة أخرى لزيارة النصف من شعبان، ويعطيني صيغة مغايرة لزيارة النصف من رجب أو أول رجب. ويعطيني تعبيراً معيناً، كما في زيارة الأربعين موضوع هذا البحث وهناك زيارة معينة زار بها الصحابي الجليل جابر ابن عبد الله الأنصاري الإمام الحسين عليه السلام بعد مصرعه بفترة وجيزة، فما المراد من وراء كل ذلك؟ إنّ المراد هو أن أستوعب مفاهيم الزيارة، معنىً ومضموناً، كيف؟ بتعبير مختصر أنني بهذه الزيارة أنفعل بروح الحسين. قد يكون هناك من يزور الحسين زيارة باردة، في حين أن زائر آخر يقف ليرى الدم هناك ويتساءل؟ لماذا أريق هذا الدم الطاهر هنا؟ ثم يجد الجواب هاتفاً من أعماق نفسه: إنّه أريق دفاعاً عن دين الله، أريق للوقوف في وجه الظلم. هذا الدم الذي سال على هذا الثرى، ما كان يستهدف هدفاً مؤقتاً رخيصاً، إنه أريق لصون كرامة الإنسان، أراد للإنسان أن يعيش مكرّماً.

إن هناك جانبين، جانباً دينياً وجانباً اجتماعياً لنهضة الإمام الحسين عليه السلام، وأكثر الكتاب يريدون أن يفرغوا واقعة عاشوراء من محتواها الاجتماعي، بينما ثار الحسين بدافع المحتوى الاجتماعي، لحفظ الإنسان وللدفاع عن الإنسان عنه وعن كرامته، لأن الحسين عليه السلام يقول عندما يخطب خطبته: (ألا وأن الدنيا قد أدبرت وتنكّر معروفها وذهبت حذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه ليرغب امرؤ في لقاء ربه، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع هؤلاء الظالمين إلا شقاقاً وبرما). أنا إذاً عندما أزوره أحرص على أخذ مفاهيم معينة من هذه الزيارة وأريد أن استوعب هذه المفاهيم، أريد أن أفهم ما فيها من معنى. وكأن أهل البيت عليهم السلام يريدون لي أن أدرس في هذه المدرسة، مدرسة أبي الشهداء. مدرسة الحسين، أدرس بها، واستوعب المفاهيم، وهذا أحد الشعراء يقول:

يمـــت يومـــك اســـتجلي روائعـــه ... فاشـــبعت ناظـــري مـــوارة صـــورهُ

مـــا رُمـــت رائعـــة إلا وجـــدت بـــه ... كـــأن كـــل سمـــو فـــيه منحصـــرُ

لو شئت قلت، وما دنيا الفتوح سوى ... دنياك إنك دنيا ملؤها ظفر
لقد رأيتك فيها ألف قادمة ... تهوى الشواهق إذ تستوبئ الحفر
وفكرة تستشف الغيب ما وهبت ... إلا لتخلى والطغيان ينتحر

إنّ هذه المفاهيم هي التي يحرص أهل البيت عليهم السلام على أن تتغلغل في الأذهان لتبني المسلم. نضرب مثلاً من عندنا كمسلمين، فأنا اليوم والله أعلم مملوء بالفخر عندما أرى أفراد المقاومة الإسلامية في لبنان الذين أخرجوا اليهود بهذا اللون من الذعر من الجنوب، فأنا أرى أن هؤلاء هم أولاد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، الذين تتلمذوا في مدرسة أبي ذر، هذه المدرسة التي استشعرت النضال في وجه الظلم. أنا أريد فرداً مكهرباً بالحسين، بأخلاق الحسين، بموقف الحسين، ببطولة الحسين، بعنفوان الحسين، وعندما أراه بهذا اللون اعتبره ذخراً للوطن، وذخراً للعقيدة وذخراً للإنسانية، وموئلاً للكرامة، هذا المعنى الذي يريده أهل البيت من الوقوف على قبر أبي عبد الله الحسين، وعندما أقف على قبره يفترض أن أكون متكهرباً بأخلاقه، وبمبادئه، أجسد المواقف التي جسدها، هذا هو الإصرار، وهكذا فإن الهدف من الإصرار على زيارة الحسين هو: أولاً التعلم من مدرسته، ثانياً: مواساة رسول الله صلى الله عليه وآله، بماذا أواسيه؟ بالحزن، بالألم الذي طرأ على أهل البيت بسبب هذه الواقعة. ثالثاً: زيارة الحسين تعتبر وقوفاً بوجه الظلم والظالمين.

هذا اليوم جاءنا خبر أن الزحف يسير على طرقات كربلاء من جوانبها الأربعة(*)، جموع المؤمنين يأمّون مرقده مشياً على الأرجل، إنّ هذا اللون من الزحف بحد ذاته هو جهاد وتحدٍ للطغيان، تحدٍ لمن يريد أن يقف بوجه الصوت الذي انبثق من تحت التراب ينادي (والله لا أعطكيم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر

(*) هو الزحف المليوني مشياً وركباناً إلى كربلاء لزيارة مرقد الإمام الحسين عليه السلام في ذكرى الأربعين من كل عام. وكان أبناء الشعب العراقي المسلم قد أقدموا على تحدي الإجراءات القمعية لنظام الطاغية صدام في عام ٢٠٠٠، وكسروا الحظر الذي كان مفروضاً على هذه المراسم طيلة السنوات السابقة.

إقرار العبيد).. يا أبا الشهداء غرد في مسامعنا بصوتك، يا أبا الشهداء املأنا بالعنفوان من موقفك، يا أبا الشهداء إجعلنا ممن يقولون صدقاً: "يا ليتنا كنا معكم، فنفوز فوزاً عظيماً". إنّ إصرار أهل البيت على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، لم يأت جزافاً بل أرادوا للمؤمنين الوصول إلى القبر لأخذ العظة والعِبرة، لا لمجرد السير على تراب كربلاء حتى الوصول إلى القبر. لا، إن المراد أكثر من ذلك.. إنني أذهب إلى القبر وأرجع وأنا محمّل بمعطيات مدرسة الحسين، بمدرسة أهل البيت.

فيا أبا عبد الله إننا نحملك في أرواحنا، في مشاعرنا. وإنَّ الإمام عندما يقول لي إن هذه الزيارة هي من علائم الإيمان، فإن المقصود هو أنني اجتلي عظة وعبرة من موقف الحسين، أن استعيد ما الذي جسده الحسين على تربة كربلاء، ولقد جسد هناك الصبر والإباء والبطولة والعزيمة وجسد حتى الرحمة، وجسد النفس الكبيرة. إنك عندما تقف على رمل كربلاء، ماذا تتصور؟ تتصور أن هناك رجلاً واقفاً ينظر لجيوش خرجت لتقاتله، وهو يبكي، تقول له أخته زينب: "فداؤك نفسي يا أبا عبدالله، ما عهدتك تبكي، لِمَ هذا البكاء، يقول لها الحسين عليه السلام: أبكي على هؤلاء القوم يدخلون النار بسببي، من أجلي". تأمل هذه النفس الكبيرة. إن تاريخ التشيع يقوم على حمل التضحية من بدايته إلى نهايته.

ثم نرجع إلى المساحة الأخرى، مساحة الدموع، التي لا بد من المرور بها هنا. إنَّ ليلة الأربعين تقع في قلب المأساة. كيف؟ لأن الأجساد عندما دُفنت في كربلاء دفنت بغير رؤوس، فالرؤوس أُخذت مع السبايا إلى الشام. طيف بها بالبلدان، إلى أن أوصلوها إلى الشام، الروايات توزعت، ويوجد ما لايقل عن عشرين رواية في مكان الرؤوس، رواية تقول إن قسماتها أُرجع إلى المدينة المنورة، وقسم منها دفن في مكانه، ورواية تقول بالشام، وأخرى تقول أن بعضها بالقاهرة، وأخرى تقول أن بعضها في عسقلان.

الروايات متعددة، ولكنني ألفت نظرك لشيء، وهو أن كل عضو ينفصل من الحسين في أي مكان يقع، سوف يحمل سمات الحسين، ويحمل عنفوان

الحسين، ولأن أهل البيت هم رحمة في حياتهم وهم رحمة بعد استشهادهم، فإنّ كلّ أثر من آثارهم في كل مكان يجب أن يُحتفى به، ويجب أن يزار، لأننا عندما نزوره نزور فيه عزيمتهم، وأخلاقهم، ومواقفهم. ولكن أصح الروايات تؤكد أن رؤوس شهداء عاشوراء، أُعطيت للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام. الذي عاد بقافلة السبايا من أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة ولكنه عرّج بالقافلة قبل العودة إلى مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله، على كربلاء، ودفن الرؤوس الطاهرة مع الأبدان. وها هي كربلاء اليوم عادت مزاراً للملايين من أتباع الحسين ونهجه في كل عام.

***

الحسين (عليه السلام)
في صفحات التاريخ الإسلامي

د.سهيل زكار (*)

□ ما هي الخلفية التاريخية لعاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام)؟

□□ بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وأصحابه ومن أخذ بهداه إلى يوم الدين. شهد التاريخ الإنساني عدداً كبيراً من الوقائع، ومازال يشهد، من هذه الوقائع ما يحدث ويمر ونتائجه تذهب فوراً ومنها وهو قليل جداً ما يحدث، لكن تستمر نتائجه، تتفاعل أبد الدهر. من الحوادث النادرة التي وقعت وتفاعلت مع الأحداث ومع الناس عبر العصور، ومازالت تتفاعل، النهضة الحسينية. والأمر هنا مرتبط بعدة عوامل، على رأسها: شخصية الإمام الحسين(عليه السلام) وعن أبيه وآله.

□ أراك سميت التحرك الحسيني بالنهضة، ما الذي يدفعك لاطلاق هذه التسمية؟

□□ لأنه، عليه السلام، نهض في سبيل أمة جده الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله. عندما أقول ثورة أعني خروجاً على نظام، ومعنى ذلك أنني اعترف بوجود نظام يمتلك شرعية، وأنا أثور عليه أو أتمرد، لكن عندما أقول نهضة، أعني بذلك تقليداً لما قام به المصطفى ٦، وانطلاقاً من عدم الاعتراف بالنظام القائم. الإمام الحسين(عليه السلام)، نهض في سبيل الأمة، ونهض في سبيل تجديد رسالة جده وهي الرسالة الإسلامية، في وجه سلطة ملكت أو حاولت أن تملك شرعية الأمر

(*) عالم تاريخ سوري- نائب رئيس اتحاد المؤرخين العرب.

الواقع، لكن هي سلطة استبدادية، من ثم هي لا تمتلك الشرعية الدينية ولا سواها، ولذلك أنا شخصياً أدعو ما حدث في كربلاء باسم (النهضة الحسينية)، طبعاً الإمام الحسين نهض في سبيل أمة النبي ﷺ، عندما أقول الأمة أعني المسلمين جميعاً و أريد أن أشير إلى ما يجري في أيامنا هذه من محاولات غريبة ومشبوهة بالتمييز بين المسلمين، بالقول هذا شيعي، وهذا سني، وهذا كذا وهذا كذا.. الإسلام إسلام واحد، "إن الدين عند الله الإسلام".

ونحن جميعاً ننتمي إلى الإمام الحسين، وعن طريقه ننتمي إلى جده ﷺ، وكذلك ننتمي إلى أبيه الإمام علي (كرم الله وجهه)، ونحن عندما نتحدث علمياً عن أمر من الأمور، نتأسى بقوله النبي الأكرم ﷺ: "أنا مدينة العلم وعلي بابها".

فعلينا أن نأتي البيوت من أبوابها، وأن نأتي البيوت من أبوابها يعني أن علينا أن نتعامل مع القضية تعاملاً علمياً ومنطقياً وحيادياً بالوقت نفسه، ومن هنا أنا أقول مرة أخرى النهضة الحسينية، ولا أقول ثورة ولا أقول ملحمة وإنما أقول هي تجديد للرسالة النبوية التي بدأها وأكملها بوحي من الله تعالى الرسول المصطفى ﷺ.

□ نريد أن نخرج من عندك بمنظومة تاريخية متكاملة، أنت ضليع في التاريخ، وقرأت الظروف التي سبقت ثورة الإمام الحسين. حبذا لو تشرح لنا الظروف التاريخية التي جعلت الإمام الحسين ينطلق في نهضته. أكانت هناك ظروف خارجية تهدد كيان الأمة الإسلامية الفتية؟

□□ سيدي، التهديد الأعظم الذي تسلط على الرسالة الإسلامية هو أن ابن زعيم القافلة أو زعيم التجار في مكة اغتصب السلطة. يذكر البلاذري في كتابه (أنساب الأشراف) أن أحدهم دخل على معاوية فسلم عليه، فقال أنت سيد العرب، أبوك كان في الجاهلية سيد العرب وأنت الآن سيدهم في الإسلام.

اذن فالقضية قضية الاستئثار بالزعامة من الجاهلية إلى الإسلام وهذا ما ألغته الشريعة الإسلامية. معاوية بن أبي سفيان وصل إلى السلطة بالمال و بالسلاح، وهذا شكّل اغتصاباً، وهو حاول أن يضفي على نفسه شيئاً من

الشرعية، وأن يعالج الأمور بالحلم وبالسياسة وبالمال، وفي سبيل إضفاء الشرعية على نفسه سمى نفسه خال المؤمنين، على أساس أن أخته أم حبيبة رضي الله عنها كانت واحدة من أمهات المؤمنين، ولأسباب وظروف كثيرة سكت الناس أو حاولوا اللجوء إلى الصبر، لكن معاوية في أيامه الأخيرة حوّل السلطة في الإسلام إلى قيصرية؛ يعني إلى ملك عضوض استبدادي، وشكّل هذا ظاهرة استبدادية جديدة في تاريخ الدعوة الإسلامية. وهنا عندما وصل إلى السلطة يزيد ابن معاوية، تأزمت الأمور بشكل خطير. كل الناس كانوا يعرفون وصايا معاوية إلى يزيد قبل وفاته أوصاه بعدة وصايا، باستخدام السيف والمال.

□ لم يكن لدى معاوية غير يزيد من الأبناء؟

□□ كان له أكثر من ابن، لكن يزيد هو الابن الأهم. وكان فيه خصائص كثيرة سببت اختياره، أولاً: إنَّ أخواله كانوا من قبيلة كلب، وكانت قبيلة كلب تشكل عصبة الدولة الأموية والقوة الضاربة للدولة في بلاد الشام .كانوا مسيحيين وقوة، وأخذ الإسلام ينتشر بين صفوفهم، وهنا يقال إن ميسون (أم يزيد) لم تدخل الإسلام، أو إن دخلت الإسلام ظلت محافظة على تراثها وعقيدتها، ومن ثم ربت يزيد بعيداً عن بلاط معاوية في دمشق، بقرية تُسمّى (صدد) بين المسيحيين و البدو، فنشأ نشأة أعرابية، ولم ينشأ نشأة إسلامية؛ حتى أن بعض المستشرقين مثل (لامانس) وغيره تحدثوا عن يزيد بأنه كان أموياً مسيحياً. لكن القضية هنا أن يزيد بات الآن من مهامه تثبيت شرعية الاغتصاب، وتثبيت شرعية الاغتصاب يكون بالسيف والمال، وكان في مخطط يزيد إعلان ردة جديدة في ظل السلطة على الإسلام، وبالفعل كان أمامه عدة حرمات، هي: بيت الله يعني مكة المكرمة المسجد النبوي الشريف يعني المدينة المنورة وآل الرسول صلى الله عليه وآله، وبالفعل عندما نفحص تاريخ يزيد نجد أنه ارتد ضد هذه الحرمات الثلاث وخرقها، قتل آل البيت، تصفية جسدية بلا رحمة وبلا مسوغات، استباح المدينة المنورة على الرغم من كل التحذيرات، استباح مكة وقذف الكعبة المكرمة بحجارة المنجنيق، وبأشياء ملوثة. اذن نحن هنا أمام واقع جديد ولا شك لديّ أن الإمام الحسين كان على معرفة بهذا كله.

□ إذن كان الإمام (عليه السلام) يعرف نفسية يزيد؟

□□ كان على دراية بوصايا معاوية وبالسياسة التي ستتبعها الدولة، وكان مدركاً تمام الإدراك أنه هو الهدف الأول مع أسرته للتصفية، وكان أيضاً بلا شك يدرك أن يزيد يحمل في طيات نفسه الضغائن للثأر لجده ولعشيرته من الذين قتلوا في معركة بدر. ومن ضمن هذه المعطيات وفوق هذا كله مسؤولية الرسالة: إنه (عليه السلام) يمكن أن يكون فكّر بذاته وحمل مسؤوليات نحو نفسه وأسرته، لكن القضية التي شغلته وكانت محور اهتمامه هي قضية الرسالة، ومصير الإسلام إن داخلياً أو خارجياً، والإسلام لم يأت ليؤسس ملكاً، وإنما جاء لتحرير البشرية، وتأسيس الملك يعني خدمة أسرة حاكمة وعدم خدمة العقيدة.

□ ثمة من يقول إن هناك تهديداً خارجياً من خلال حكومة الدولة الرومانية الشرقية أو الدولة البيزنطية، هل يمكن أن يكون يزيد من خلال تربيته النصرانية أضمر تحقيق آمال تلك الدولة ؟

□□ هو في الحقيقة لا يوجد في مصادرنا ما يشير إلى وجود تهديد مباشر، لكن بيزنطة لم تتوقف عن تفكيرها باسترداد الأراضي التي فتحها المسلمون. عدا عن ذلك فإنّ الإسلام لم يكن قد انتشر وعمّ بين صفوف سكان البلاد المفتوحة إن شرقاً أو غرباً، وسقوط أو ضعف الإسلام والسلطة كان سيسبب انتكاسة هائلة للعقيدة. لكن الحقيقة أنا ما زلت ألح على مسألة الردّة على الإسلام، لأنه عندما نجد أنه تمّ إبادة العلم أو حَمَلة العلم الإسلامي (أنا مدينة العلم وعلي بابها) فإن إبادة آل البيت كان يُعَدُّ في تفكير يزيد بن معاوية، إبادة للرسالة، وعندما نستعرض ما حدث لدى استباحة المدينة نجد إنها شملت أعداداً وافرة جداً من حَمَلة العلم، ومن رواة الحديث، ومن فقهاء الإسلام.

ونظرة سريعة على القائمة التي قدمها لنا خليفة ابن خياط وغيره من العلماء حول الذين قتلوا في معركة (الحرة) حين استباحة المدينة المنورة، نقف مذهولين ونقول أنه، لولا أن الله تعالى قال: ﴿إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾ (الحجر، ٩) ولولا الحفظ الرباني لهذه العقيدة لاندثرت مع مقتل الرجال الذين قتلوا في هذه الإبادة الجماعية، سواء من آل البيت في واقعة كربلاء

أو من أهل المدينة المنورة؛ مدينة الإسلام الأولى، في معركة الحرّة.

إذن فإن القضية كانت بهذه الأبعاد، وطبعاً ما كانت بيزنطة تفرح بشيء أكثر من وقوع حرب أهلية بين المسلمين، كما أنّ الإمبراطور البيزنطي والبيزنطيون كانوا سيشعرون بالمتعة وبالفرح العارم بإبادة أسرة النبي صلى الله عليه وآله، الذي كان السبب المباشر في نجاح حركة الفتوحات وفي قيام الإسلام، وهم يعزون قيام الإسلام إلى جهود النبي صلى الله عليه وآله كفرد وليس كنبي، لكننا نؤمن أنه صلى الله عليه وآله كان لا ينطق عن الهوى وجاء بالإسلام من عند الله تعالى وأكمل رسائل الأنبياء جميعاً، لكنهم لم يعترفوا بذلك فكان النبي يمثل هو وأسرته عليهم السلام عدواً مباشراً لهم.

□ إذا علمنا بأن يزيد كان بصدد طمس العقيدة، فهل كان يُريدُ إسلاماً سطحياً، باعتبار أن الدين الحنيف هو الذي أوصله إلى السلطة ولولا ذلك لما تجاوزت مغانمه رحلة الشتاء والصيف- قبل الدعوة- أم كان يفكر في تشكيل مملكة عربية مجردة من الإسلام أصلاً؟

□□ هنا نتعامل مع المسألة النفسية التي يعيش بها الإنسان عندما يؤسس أسرة حاكمة ويجعل نفسه هي الشرعية ومصدر السلطان، وبيده المال وبيده الرجال، فهذه طبيعة المُلك. إنّ معاوية أراد أن يؤسس أسرة معاوية، أعني من الصعب أن يقول الإنسان: إنه أرادها أمويةً، هو أراد حكماً أُسرياً ينتمي إلى معاوية، وانتماء السلطة إلى معاوية جعله يختار يزيداً، وعندما حُذر من إقدامه على ذلك من قبل عدد من أبناء الصحابة ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص، عبد الله بن عمر بن الخطاب.. وعبد الله بن الزبير وسواهم، قال لعبد الله بن عمرو بن العاص: يا بني والله لو نظمت أنت وأمثالك في خيط يمتد من هنا إلى الكوفة، لما آثرت إلاّ يزيداً عليكم جميعاً.

اذن هو آثر المُلك ولم يؤثر الرسالة، وهذه طبيعة موجودة عند كل الناس الذين يتاح لهم الأمر لينشئوا ملكاً، ويصبحون يعتقدون أنهم هم وليس سواهم الشرعية، وهذه طبيعة كثير من الحكام.إنّ الإسلام يضبط الحاكم، لكن عندما يتمرد الإنسان على الإسلام ولا يعود يعترف به، فإننا نتعامل هنا مع قضية سلطوية محضة. لنتذكر: مرة قيل بأن الجنرال فرانكو ديكتاتور إسبانيا، عندما

كان على فراش الموت ويحتضر، تجمهرت أعداد كبيرة من الناس أمام قصره، فجاء بعض المستشارين إليه وقالوا: مولانا إنّ الشعب الإسباني جاء واجتمع ليودعك. فنظر إليه باستغراب وتساؤل ودهشة وقال له: وإلى أين الشعب الإسباني ذاهب ؟ هو لم يكن يظن أنه سيموت، إنما ظن أن الشعب الإسباني مسافر! لا هو الذي سيسافر؛ هذه طبيعة رجال السلطة لا يعود يتملكهم إلا شعور واحد هو الحفاظ عليها، والحفاظ عليها برأيهم، يتم من خلال التوريث للأبناء. هنا نحن نتعامل مع قضية حدثت عبر التاريخ، فلا يجوز لنا بشكل من الأشكال أن نعقد مقارنة بين وريث الرسالة وحامل الرسالة الذي نهض مرة أخرى في سبيل تثبيت الرسالة وإعادة الطريق القويم ليسلكه الجميع. إن الإمام الحسين(عليه السلام) ضرب بنفسه المثل الأعلى فسلك الطريق، بينما يزيد هنا مسألة أخرى ووضع آخر، لكن مما يؤسف له أن الإمام الحسين ملك الرسالة، لكنه لم يكن يملك المال و السلاح، والمال والسلاح قد ينتصران وبالفعل فإن المال والسلاح قتلا الحسين وآله في كربلاء.

لكن الذي حقق النصر مع الأيام، هو رسالة الحسين، ورسالة الحسين تجعلنا نتحدث اليوم في دمشق عن النهضة الحسينية ونوجه اللوم والإدانة إلى يزيد.. هذا هو الانتصار.. في كل أزماتنا التي مرّت بنا إلى الآن، ومرت بالمسلمين فيما مضى، استلهم الناس حادثة كربلاء والنهضة الحسينية فحققوا من الانجازات الشيء الكثير، ويكفيني أن أسوق هنا مثلاً ما حدث في إيران بالتدريج من ثورة تأسّياً بالنموذج الحسيني .

□ الإمام الحسين ، وهو يعرف نفسية يزيد، خلفيته، توجهه، هل كانت أمامه خيارات أخرى غير المجابهة؟

□□ لم يكن أمامه خيارات، حامل الرسالة ليس لديه خيارات، لديه خيار واحد هو الرسالة، الرسول صلى الله عليه وآله ذهب إلى الطائف ولاقى مالاقاه من عنت أهل الطائف، والتجأ والدم يسيل من كعبه الشريف إلى كرمة خارج الطائف وهو في حالة التعب والانزعاج والشعور بالألم، قال: "يا رب أنا ضعيف إلى من تكلني...." لكنه صلى الله عليه وآله ما لبث أن تذكر أنه مكلف بالرسالة وانتفض على الفور

وقال: "إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي" فهنا لا توجد خيارات، نحن أمام خيار واحد هو الرسالة، لا مجال .. لقد قيل للحسين (عليه السلام) التجئ إلى اليمن، لكنه إذا التجأ فرّ وتخلى عن الرسالة. ولم يكن من شأن حفيد المصطفى صلى الله عليه وآله وابن علي (كرم الله وجهه) وابن الزهراء البتول عليها السلام، ومن غير الممكن أن يهرب من وجه الرسالة، ويتخلى عن الرسالة، ولذلك كان لا بد من أن يُقدم على حمل الرسالة، ولا سيما وأن الدعوات جاءت إليه وهي كثيرة من أهل العراق ومن أهل الكوفة، وحتى في الفترة التي سبقت موت معاوية نفسه.

□ هناك من يرى أنَّ الإمام الحسين على قلة أعوانه وأصحابه دخل في مواجهة خاسرة وألقى بنفسه إلى التهلكة ماذا تقولون في هذا المجال؟

□□ هو دخل في المواجهة على أساس أنه حامل للرسالة، دخل في المواجهة دخولاً علمياً وعقلانياً، بدأ يعد إمكانياته وأرسل ابن عمه مسلم ابن عقيل إلى الكوفة لإعداد الأجواء، هو هنا اقتدى بجده المصطفى صلى الله عليه وآله. عندما التقى النبي المصطفى بوفد الأنصار، وبايعهم في العقبة الثانية، أرسل معهم مصعب بن عمير ليهيئ الأجواء لهجرته إلى المدينة المنورة. كذلك الإمام الحسين إلتقى وفوداً من أهل الكوفة وتلقى رسائل كثيرة من أهل الكوفة كما إنه الحسين (عليه السلام) استجاب للدعوات وهيأ تهيئة علمية لتحركه الاصلاحي واقتدى بفعل النبي والجد صلى الله عليه وآله، فأرسل ابن عمه مسلم إلى الكوفة، يعني أن كل خطواته كانت سليمة.. لكنه فوجئ بأن أهل الكوفة خافوا من الطغيان وسيف يزيد الذي أغراهم بالمال، وعندما قامت المواجهة، لم يعد بالإمكان التراجع، والحال إنه كان يتوقع خروج أهل الكوفة إليه واستقباله، فإذا بأهل الكوفة ينقلبون عليه ويتخاذل من تخاذل، ويخشى من خشي، وجيش عملاق يضم أكثر من عشرين ألفاً، يقطع الطريق على الركب النبوي، الذي يتألف من أطفال ونساء وعدد ضئيل جداً من الرجال الحاملين للسلاح..

□ برأيك كم عددهم؟

□□ كل الركب النبوي، أو ركب آل البيت لم يصل إلى ٧٠ إنساناً، والمقاتلون بينهم كانوا بعدد أصابع اليد، فتصدى لهم جيش من الأعراب على

رأسهم عمر بن سعد بن أبي وقاص، لكن القائد الفعلي كان شمربن ذي الجوشن الكلابي، قبل هذا، جاؤوا للحسين(عليه السلام) بخبر استشهاد مسلم بن عقيل، المصادر المتوفرة وهي كثيرة ومتعددة شبه إجماع فيها على أن خبر (مسلم وصله بينما كان سبط الرسول الأكرم على الطريق). يقال إن أول من لقيه على الدرب هو الفرزدق الشاعر، وكل الذي قاله له الفرزدق: أهل العراق، أو أهل الكوفة قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية.. إن التاريخ يقول بأن الحسين (عليه السلام) عندما كان في مكة ، لم تكن مثل هذه الوقائع قد حدثت على الاطلاق.هو خرج من مكة على أساس أن الأمور قد رتبت، لكن الأخبار المتوترة التي قد وصلت إلى يزيد جعلته يعزل والي الكوفة ويكلف عبيد الله بن زياد بالذهاب من البصرة إلى الكوفة وقمع النهضة الحسينية، ولما وصل وَجَد عمر بن سعد مكلفاً بولاية الري في ضاحية طهران الحالية في إيران.. فقال له: قبل أن تذهب مع هذه القوة التي أنت مكلف بقيادتها في المهمة المسنودة إليك، اذهب أولاً إلى قتل الحسين، وإذا رفضت اردد لنا عهدنا، يعني : عزلناك.... هناك حقيقة هي إنني ألاحظ في كثير من الأخبار أن شمر بن ذي الجوشن كان هو القائد الفعلي ومراراً عندما تردد عمر بن سعد هدده بأنه سيعزله، أو يعدمه.

□ قيل عن يزيد إنه قبل ذلك أرسل الناس لاغتيال الحسين(عليه السلام) في مكة؟ هل لديك معلومات في هذا الاتجاه؟

□□ ربما، لكن لا يوجد شيء مؤكد، وأنا لا استبعد محاولات الاغتيال، على أساس أنني أعرف أن الإمام الحسن(عليه السلام) اغتيل بمؤامرة دبرها معاوية من قبل واللجوء لمؤامرة الاغتيال ممكنة.. لكن لا وضوح حول هذه القضية، الوضوح أن مروان بن الحكم أشار على والي المدينة المنورة أن يسجن الحسين وأن يقتله في البداية، إنما في مكة لا يوجد شيء واضح ولكن لايستبعد أن تقدم عليه السلطة الأموية، وينبغي هنا أن نتذكر أمراً ، من الذي كان يحكم الخلافة في دمشق، يزيد أم المستشار؟ بتصوري كان المستشار سرجون. ويروى بأن سرجون الرومي - مسيحي أرثوذكسي- كان بقصر الخضراء في دمشق فاستدعاه يزيد ، وسأله عن القضية وأخذ رأيه، فقال له سرجون: لو أشرت عليك بما

كان معاوية سيقدم عليه هل ستلبي وتنفذ، فقال له: نعم. فأوصاه بقتله..

□ من هو سرجون؟

□□ سرجون، أبوه كان واحداً من زعماء الكنيسة الذين تفاوضوا على تسليم دمشق. وربما كان من دوافعه إلى ذلك، دوافع لاهوتية، لأن الكنيسة في دمشق لم تكن موالية لكنيسة هرقل، بسبب فوارق بالعقيدة حول طبيعة الأقانيم الثلاث، الأب والابن والروح القدس، والعلاقات بينها. هرقل كان من اتباع المذبح القرقزوني، بينما رفض السوريون من المسيحيين الأرثوذكس معتقدات هذا المجمع و كانت فئة الموارنة في وسط سورية وحدها المؤيدة لمذهب الامبراطورهرقل. و سرجون وأبوه ساهما في تسليم المدينة من جهة باب الجابية، ولما وجدت الإدارة الأموية نفسها بحاجة لرجال، استخدمت أباه منصوراً من قبل ومن ثم سرجون بن منصور. إنّ رجال الإدارة في تلك العصور كانوا دائماً رجال لاهوت، ورجال اللاهوت أتقنوا فن الإدارة والسياسة آنذاك.

□ ما الذي دفع سرجون إلى اسداء هذه النصيحة (الجريمة) ليزيد؟

□□ هل أجرد سرجون من عقيدته؟ قطعاً لا.. لم يكن قد دخل الإسلام، لقد تعامل مع حاكم مسلم بينما ظل هوغير مسلم. من هنا لما قلت إنه كانت هناك ردة سلطوية على الإسلام، عنيت به ذاك وفهمت خلفيات هذه الردة. والحقيقة لقد تفاعلت الأمور بعدها، لكن الذي يهمني أن هذا الحدث الجلل، ما برحت مؤثراته قائمة حتى اليوم.

نحن نستلهم كل الدروس منه، إنَّ عدداً كبيراً من الثوار ومنهم سليمان بن صرد الخزاعي والتوابون إلى غيرهم استلهموا درس النهضة الحسينية، ولما نصل إلى التاريخ الحديث نجد أيضاً إن الذين حرروا جنوب لبنان من العدو الإسرائيلي، هم من اتباع هذه المدرسة.

□ حبذا لو تحدثونا عن عنوان منهجية الإمام الحسين منذ خروجه؟

□□ هو أعلن بكل بساطة أنه لم يخرج أشراً ولا بطراً ولا في سبيل مال ولا في سبيل سلطان، خرج في سبيل تنفيذ الرسالة التي أوكلت إليه، ومن ثم هذا هو العنوان الكافي، لأنه عندما أقول: خرج حاملاً رسالة جده التي عُبث بها

وأُريد حرْفُها وتحويلها إلى ملك عضوض، يكفي هذا العنوان..

□ أيمكن أن تحدثنا عن الأبعاد الفكرية في نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، وأدواته في النهضة؟

□□ مكانته وعلمه وخطاباته وسلوكه وأخلاقياته، كلها هي برنامجه، ولولا أن الناس وجدوا فيه الوريث والخليفة الشرعي - مئة بالمئة- لأبيه وجدّه لما بايعوه. لقد رأوا فيه الأمل، الناس كلهم رأوا أنه هو الذي سيقودهم إلى طريق الخلاص، وسيعيدهم إلى الإسلام في سيرته الأولى، وطبعاً هو كان بحاجة لمركز قوة، ما كان بإمكانه البقاء لا بمكة ولا بالمدينة، لأن مكة والمدينة لم تكونا تتمتعان آنذاك بالوضع الاستراتيجي ولا العسكري، وكانت قوى الإسلام آنذاك مستحضرة في عدة معسكرات: معسكر الجابية يعني دمشق في يد يزيد، معسكر الكوفة، معسكر بصرى، معسكر الفسطاط، وهو بعيد.. معسكر بصرى موتور من أيام معركة الجمل، معسكر الجابية بيد يزيد، اذن ليس أمامه إلا معسكر الكوفة والكوفة هي حاضرة أبيه، لم يبق أمامه غير الكوفة، وكانت مؤهلة من حيث الرجال والقدرات، لكن من حيث الوحدة الاجتماعية لم تكن مؤهلة.. لأنها مدينة ناشئة جديدة ولم تكن من حيث البنية الاجتماعية مستقرة ولا من حيث البنية السياسية..

□ هل كانت الكوفة عربية مئة بالمئة؟

□□ الكوفة من حيث التأسيس عربية وسكانها كلهم عرب. تأسست أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد القادسية، ربما في سنة ١٧ أو ١٨ للهجرة، فهي كانت حديثة التأسيس.

□ أكان أهل الكوفة كلهم عرباً؟

□□ كلهم قبائل، وكل قبيلة كانت تشكل مدينة، أو مجتمعاً قائماً بذاته، وسلطة وحزب إلى غير ذلك، وهذا كان من أسباب نجاح السلطة الأموية في بث الشقاق والاختلاف بينهم.

□ بلحاظ المصاعب والعذابات التي سببها أهل هذه المدينة لأبيه وأخيه، ما الذي جعله يلجأ إلى الكوفة؟

□□ أولاً لا يوجد معسكر آخر بديل.. وهناك من بعث منها بالرسائل إليه وهذه حجة عليه.. وهناك أيضاً التجربة النبوية عندما هاجر المصطفى صلى الله عليه وآله إلى المدينة، أوس وخزرج ومهاجرون....، فقط وحدّها النبي صلى الله عليه وآله وصنع منها أمة ونفى الخبث، يعني اليهود وسواهم من المنافقين، وعزز السلم الأهلي، الحسين (عليه السلام) هو ايضاً حمل الرسالة وذهب ليوحد المجتمع في الكوفة ويعيده إلى الجادة القويمة، ومن ثم يعيد وحدة دار الإسلام، ويستأنف الإسلام مسيرته في الفتوحات وفي عملية الدعوة إلى التوحيد.

□ كيف انقلبت الأمور ١٨٠ درجة ؛ حتى صارت قلوب أهل الكوفة مع الحسين (عليه السلام)، وسيوفهم مع بني أمية؟

□□ الطغيان يفعل المستحيلات، هل يمكن للإنسان أن يتغافل أو ينسى ما صنعه زياد بن أبيه في الكوفة؟ لقد حكم الكوفة بالدم والحديد، لأكثر من عقدين من الزمن، ولم يكتف بذلك إنما قام بقتل كبار الزعماء ومنهم حجر بن عدي ورفاقه. ولم يقتصر عمله على هذا، فقد نفى من الكوفة أكثر من ٥٠ ألف أسرة، إلى بلاد أطراف خراسان، ومن ثم وصولاً إلى بلاد ما وراء النهر، وجلب الأعراب، والأعراب لا دين لهم.. جلبهم من الجزيرة ومن كل مكان. هذا المجتمع كان يمكن اصلاحه على رأي الحسين(عليه السلام)، ولكن كان يمكن استغلاله أيضاً، وعبيد الله بن أبيه استغل الوضع بالقمع، وعملية قتله مسلم ابن عقيل، كانت رسالة واضحة إلى الذين كانوا معه.. فقمعت وأخافت الجميع، وارتعب الجميع وأنا لا أعتب على الناس إذا ارتعبوا وخافوا، دعنا نتصور أن مجتمعاً يعيش والسيف فوق رأسه، والدينار أمام عينيه لمدة ربع قرن، تصور نفسية هؤلاء الناس كيف ستكون، هذا ما حدث..

□ هل كان هؤلاء يدعون أنفسهم مسلمين؟

□□ هم شهدوا بالشهادتين.

□ كيف يقتلون ابن بنت نبيّهم، حفيد رسول الله، هل يعقل أن تسقط كل الاعتبارات أمام بعض المغريات؟

□□ لو أمروا بقتل نفوسهم لفعلوا، لو أمروا بقتل آبائهم لفعلوا، من أجل المال.. الذي يصاب بالرعب، تنمحق لديه كل القيم الأخلاقية وينقلب إلى وحش، إلى ذئب.. وهؤلاء مثلهم المعبر هو شمر بن ذي الجوشن، هؤلاء أناس زالت من نفوسهم العقيدة — إذا بقيت عقيدة- كانوا مستعدين أن يفعلوا كل المحظورات، وفعلوا كل المحظورات عندما استباحوا المدينة، وهتكوا أعراض أهلها... كانت عندهم الفاتحة، هتك حرمة آل البيت فأقدموا عليه، بقي تكملة المدينة ومكة حيث هتكت حرمتاهما لاحقاً.

□ هناك حديث يقول: إن حرمة الإنسان المؤمن عند الله هي أفضل من الكعبة؟ هم ضربوا أطهر رمز إنساني، اكتسحوا هذه الحرمة، ما مردّ ذلك؟

□□ يا سيدي.. يقال دائماً أن الملك عقيم وعضوض.. لا يعرف وفاءاً وكل صاحب سلطة غير عقائدية يستخدم الدم والمال.. ويحاول إقناع نفسه أن الله تعالى غفور رحيم.. نعم .. الله تعالى غفور رحيم، لكن حقوق الناس يجب الحفاظ عليها.. لهذا نحن نقرأ في النهضة الحسينية، حقوق أمة ومستقبل رسالة.

لما تولى عمر بن عبد العزيز السلطة، ووجد أن ولاة بني أمية وحكامهم يفرضون الجزية على الذين دخلوا في الإسلام، وحاول أن يمنع استيفاءهم الجزية، وقالوا له إن هذا سيدمر الخراج.. فقال كلمته المشهورة: "إن الله تعالى أرسل محمداً هادياً ولم يرسله جابياً" فقتلوه بعد أيام.. دسوا له السم وقتلوه..

□ ماذا أسس الإمام الحسين بنهضته؟

□□ يكفيه شرفاً أنه أعاد الروحانية والأخلاقية. نحن نتعامل مع التاريخ والوثائق وحتى خلال العصر العباسي فإن الإمام محمد بن الحسن الشيباني كتب كتاباً عظيماً اسمه (السير الكبير) حول السياسة الداخلية والخارجية للأمة.. طرح سؤالاً : ماذا عن القضاة الذين يعينهم حكام الاستبداد؟ هل تعيينهم صحيح؟ وهل ما حكموا به صحيح؟ وربما نجد أن كثيراً من الفقهاء حكموا بعدم صحة أحكامهم وتعيينهم. نحن لا نستبعد أن الله تعالى ورأفة بعباده وحرصاً على

العقيدة، بتر يزيد عائلياً وهو في مطلع شبابه ﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ [سورة الكوثر] ابحث في الدنيا كلها بطولها وعرضها هل تجد إنساناً ينتمي ليزيد؟.. أبداً. (حتى في الشام يقال باللغة الدارجة: إلعن يزيد وزيد). نترك الحكم لله تعالى وللحكم الرباني.. ونحن الآن في دمشق وفي البلد الذي كان فيه يزيد ونتحدث ضد يزيد ومع الرسالة الحسينية..

□ لماذا لم يتسلم ابن يزيد معاوية الثاني الحكم؟

□□ مستضعف، كان يسمى أبو ليلى، لأنه كان طفلاً وضعيفاً غير مؤهل واختلفت الروايات.. المهم أن حسان بن بحدل بن أنيف خال يزيد تسلّم الحكم لحوالي الشهرين أو أكثر و سلمه من ثم إلى مروان بن الحكم. وهنا دخلنا في مرحلة جديدة لها مواصفات أخرى في تاريخنا الإسلامي.

□ ما هي المعالم التي خلفها الإمام الحسين للأمة الإسلامية؟

□□ يكفي أنه أضاء مشعلاً كتب بأحرف من نور الرسالة الإسلامية، وهذا المشعل لم ينطفئ ولن ينطفئ باذن الله تعالى.. يكفي.. وهذا المشعل سار بهداه وفي ظله ما لا يعد ولا يحصى من المسلمين. وما زلنا نحن الآن نسير تحت ضوء أو نور هذا المشعل. حكامنا كثيرون، منهم من يأتمر بإرادة من أمريكا، ورغبة بالملك و المال، وهم يحاولون إضفاء الشرعية على إسرائيل، ونحن نقول: إننا نتأسى بالإمام الحسين(عليه السلام) لم نعترف بشرعية يزيد، ولن نعترف قط بشرعية إسرائيل، وأنا كمواطن وكمسلم أنتمي إلى الرسالة الإسلامية أقول: لا تطبيع، لا بد في يوم من الأيام أن تزول إسرائيل، إن الجزائريين بعد مضي أكثر من ١٣٠ عاماً رفضوا الاعتراف بشرعية الاستعمار الفرنسي، وخاضوا حرب تحرير قدموا فيها أكثر من مليون شهيد، لنكمل هذه المسيرة ونرفض إسرائيل والمتعاونين مع إسرائيل، وقد يكون ثمة أناس بعضهم من يحملُ نسباً هاشمياً أو غير ذلك، اقول لابأس ﴿إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح﴾[هود، ٤٦]، والعمل الصالح والذي كان من أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله هو الإمام الحسين(عليه السلام).

□ هل لك أن تستعرض ولو بسرعة، ما أعقب نهضة الإمام الحسين من منعطفات مهمة على مر التاريخ؟

□□ العصر الأموي كان كله ثورات ومعظمها خاضها الشيعة، أو رجال من شيعة آل البيت، وعندما استخدم كلمة الشيعة، لا أعني مذهباً من المذاهب، وإنما أعني الانتماء إلى آل البيت، كما استمر هذا التحرك الثوري النهضوي في العصر العباسي. إن التراث الفكري الذي خلفته النهضة الحسينية: الشعر، الأدب، الفقه، الفن، العمارة كل ذلك كان هو المهم، وهذا هو الذي يكتب له الاستمرار.. سيف يزيد علاه الصدأ، فاهترأ مع يزيد، أما النور فمستمر، ودم الحسين شهاب رباني، لن يطفئه أحد وهكذا رسالة الإسلام.

□ دكتور نأتي للدور النسوي في نهضة عاشوراء، لو تحدثونا عن الدور الذي قامت به السيدة زينب رضي الله عنها بنت الإمام علي عليه السلام؟

□□ هذه السيدة السبطة تستحق كل الثناء.. هذه أخت الحسين وابنة أبيها.. سيدة ملكت كل الشجاعة وملكت كل الصبر. إن المرأة أخت الرجل وأن الحياة قوامها رجل وامرأة، وأن الإمام الحسين عندما فارقت جسده روحه الطاهرة وأبيد أهله، ولم يَبْقَ من وُلده إلا علي بن الحسين (زين العابدين، علي الأوسط) تولت السيدة زينب المسؤولية عن الأسرة الكريمة، دافعت عن الحسين، وقفت موقفاً كله شجاعة في وجه عبيد الله بن زياد والي يزيد في الكوفة، في وجه القتلة، في وجه يزيد. تصبرت عندما رأت الطفلة رقية تفقد حياتها، تصبرت عندما رأت كل الآلام.. حملت أعباء الدنيا كلها، ولم تفقد شجاعتها، وبالتالي كانت هي التي كلفت بحماية بقاء هذه الأسرة الكريمة واستمراريتها، لها تحية كلها احترام وتبجيل، وطلب للرحمة ولابأس أن نقول بالشفاعة لهذه السيدة التي لا نظير لها، ولا عجب في ذلك فهي ابنة الإمام علي وفاطمة الزهراء وحفيدة النبي صلى الله عليه وآله وأخت الحسن والحسين.

□ ما الذي دعا الجيش الأموي إلى أن يأخذ عائلة الحسين أو السبايا عبر طريق مناطق بعيدة، إلى أن أوصلها إلى الشام؟

□□ النظام الموروث من أيام الامبراطورية البيزنطية كان يقوم على التشهير

بأسرة المهزوم، أو الذي عدته السلطة خارجاً عليها – هو نظام بيزنطي نفذ تمام التنفيذ- كان من تقاليد هذا النظام أن يؤتى برأس المتمرد بالنسبة لها، وبكفه الأيمن، ويوضع هذا الرأس على رمح أو سنان رمح، ويحمله جندي يقف في مركز المدينة، أو المركز الذي هو مطروق أكثر شيء من الناس، وغالباً إما في المعبد أو في القصر.

وتتعرض الأسرة لكافة أنواع الإهانات. وفي كثير من الأحيان كانوا يعرَّضون النساء إلى ما لا يمكن وصفه من الاغتصاب وغير ذلك، ولكن بفضل شجاعة السيدة العقيلة زينب وحكمتها، حافظت لنا على طهارة هذه الأسرة وحافظت لنا على الإمام زين العابدين الذي ينحدر من صلبه الآن، كل السادة الأشراف في الدنيا من نسل الحسين(عليه السلام).

□ كيف كان موقف أهل الشام من الأسرى من آل الحسين؟

□□ صعب أن نتحدث عن أهل الشام.. لم تكن دمشق قد غدت مدينة مسلمة.. المدن وشعوبها لا تتحول بين عشية وضحاها.. المدينة كانت كما كان حالها قبل الإسلام.. لكن السلطة الآن تبدلت، والتغيير في البنى الاجتماعية والعقائدية سيأخذ زمناً طويلاً.. القبائل التي رافقت الفتح لم تكن تسكن في دمشق.. كانت تسكن في القرى وفي أرياف الغوطة.. المدينة ما تزال مدينة كما كانت قبل الإسلام.. ولذلك لا أتوقع شيئاً.. كانت مدينة عربية ولكنها قائمة حسب النظام البيزنطي، لا تنس أن دمشق تكوّنت منذ عام ٣٣٣ قبل الميلاد، يعني منذ أيام الإسكندر المقدوني، وقد عاشت إلى ما بعد معركة اليرموك في ظل حكم غربي، أو أوروبي ألف سنة.. فلا يتوقع الإنسان أن تتبدل خلال أيام.. صحيح أنه حصل تبدل في السلطة والحكم، لكن المجتمع لم يتبدل.. لذلك لا نتوقع مشاعر وموقفاً يعبر عنه أهل المدينة يضاف إلى ذلك أنه إذا حدث شيء من هذا النوع فإنه لم يسجل وليس لدينا مادة إخبارية عنه.. قلت لا يوجد شيء موثّق لكن ربما حمل كثير منهم في قلوبهم التشفي والضغينة، وفرحوا بالفتك بآل البيت وتأملوا خيراً أن تقع حرب أهلية.. المحرك الديني هو أقوى محرك في حياة البشر.. ولانستطيع التنكر لذلك.. هذا ما حدث، لكن حمداً لله أن الضوء

لم يَخْبُ وأن النور الحسيني لم ينطفئ ولن ينطفئ لأنه نور الإسلام.

□ إلاَم تعزون وجود عدة مقامات زيارة للإمام الحسين والسيدة زينب والسيدة رقية ، هذه الطفلة التي لم تتجاوز ٤ سنوات؟

□□ من آيات الله تعالى أنه محق كل أثر للقتلة ونشر آثار وأماكن آل البيت عليهم السلام في كل مكان من بلاد الشام.. ثمة مسألة هي أنه تساورني شكوك حول المكان الذي نسميه السيدة زينب.. أنا أعتقد أنه مقام السيدة رقية ابنة زينب ، إنما أنا وقفت على مكان في دمشق بمنطقة المهاجرين وزرت الضريح.. واعتقد أنه ضريح السيدة زينب الحقيقي. وعلى مقربة منه قبر أو مقام زين العابدين..

□ و لكن الإمام زين العابدين(عليه السلام) مدفون بالبقيع؟

□□ الذي رأيته ضريح للسيدة زينب وعلى بعد خطوات يوجد ضريح لزين العابدين.

□ من المعلوم أنّ الثورة الإسلامية في إيران استندت إلى نهضة الإمام الحسين ، وكذلك المقاومون في لبنان استلهموا تلك النهضة...وقد التقيت بعض الفلسطينيين وقالوا : أيام مجزرة أيلول في الأردن ، طغت مواقف شامخة كلها كانت تحكي حسيناً ، حتى أن المرحوم ياسر عرفات عندما حوصر في مقرّه برام الله في العام ٢٠٠٢ قال: أنا أريد أن أموت حسينياً ، ما الذي جعل هؤلاء ينشدُون إلى الحسين(عليه السلام) على الرغم من أن التاريخ حافل بنماذج بطولية أخرى؟

□□ كل إنسان يبحث عن المثل الأعلى . يضاف إلى ذلك ، أن الحسين ليس ملكاً لمذهب الشيعة ، الحسين ملك لكل المسلمين وهو المثل الأعلى للجميع . وأنا دوماً أتعامل مع الثورة في إيران على أنها ثورة إسلامية.. إسلامية.. ولا أرغب باستخدام كلمة شيعي أو حنفي ، أو حنبلي أو شافعي ، وإنما (الدين عند الله الإسلام) ولا أقبل بتصنيف الإسلام . هو دين واحد وليس مثل المسيحية كنائس وديانات. الشيعة مدرسة فكرية ، وعندنا الشوافع مدرسة فكرية ، الحنابلة مدرسة فكرية ، ونحن ربما الآن بحاجة لمدارس تنطلق من التراث وتلبي حاجات العصر والمستقبل.

□ هذا يدحض دعوى من يقول بأنَّ نهضة الإمام الحسين كانت عامل تقسيم؟

□□ نحن الآن، لسنا فقط نستلهم هذه النهضة برفض سياسة الأمر الواقع والقوى الاستكبارية، ورفض شرعية الأمر الواقع التي فرضتها إسرائيل وقوى الاستعمار وعلى رأسها أميركا، القوى الصليبية كلها، وإنما أيضاً نقول أن الحسين عنوان الأمة الإسلامية، الحسين (عليه السلام) نهض ليعيد اللحمة الإسلامية الإيمانية إلى هذه الأمة، والحسين مثّل رسالة أبيه ومن قبله رسالة جده، ولم يمثل لا كتلة ولا حزباً.

□ مادام هو يمثل رسالة جده، فهو يمثل رسالة كل الأنبياء أليس كذلك؟

□□ هو إمام لجميع المسلمين، وليس إماماً لفئة.. هو إمامي، هو إمامك، هو إمام المسلم في ماليزيا، في أندونيسيا، في أقصى طرف من أفريقيا وفي كل طرف من أطراف الدنيا.

□ لماذا يعارض البعض إحياء ذكراه؟ طالما أنه يولّد ثورة إسلامية في إيران، يولد مقاومة إسلامية في لبنان؟ ومادام هو المثل الأعلى للأحرار؟

□□ هنا بيت القصيد.. هم يريدون إلغاء الإسلام.. الأعداء والصليبيون مع الصهيونية وعملاء الصهيونية، ومثلما فعل الطاغية يزيد باستباحته المدينة حينما قَتَل أعداداً هائلة من العلماء، فالآن وفي سبيل إبقاء السلطة لبعضهم يعملون لكي نطبِّع مع إسرائيل، نعطيهم القدس، هؤلاء هم مستعدون حتى لتعديل القرآن الكريم، كأننا نحن وضعناه، وليس بكتاب الله تعالى، وهم حاضرون لإلغاء بعض الآيات، وبعض الأحكام منه لكن ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾[البقرة، ١٢٠] أبدا.. فنحن لسنا بحاجة لرضاهم، نحن بحاجة لرضا الله تعالى.

□ اذن أنتم تقولون بأهمية إحياء ذكرى الحسين؟

□□ طبعاً أنا أستلهم كل الدروس واستلهم في ساعات اليأس هذا الموقف وهذه النهضة لأعاود الموقف من جديد .. علينا جميعاً الاستلهام وليس أجمل من أن يستضيئ الإنسان بنور دم الحسين مشعلاً لن ينطفئ أبد الدهر.. لأنه مشعل الرسالة السماوية.

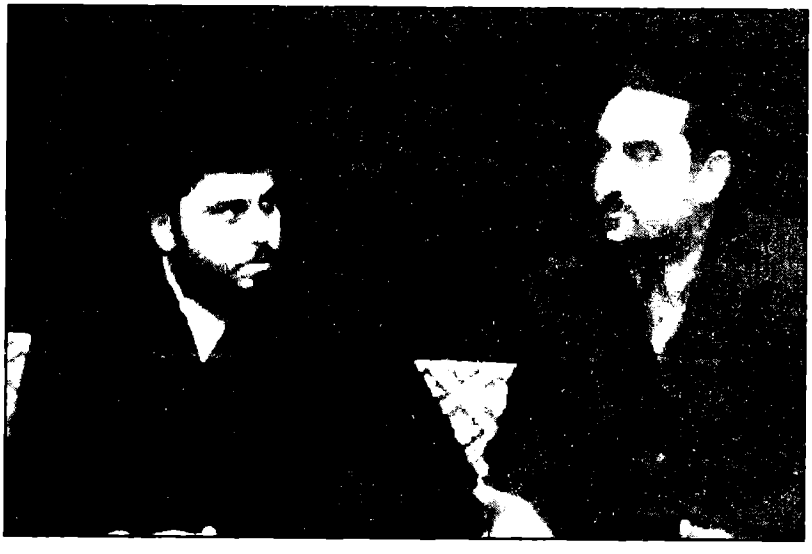

مع فضيلة السيد مقتدى الصدر في دمشق -محرم 1427

حـــوار مع
العلاّمة السيّد مقتدى الصدر (*)

□ لماذا هذا الاهتمام البالغ الذي يبديه الشعب العراقي بإحياء ذكرى عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام ؟

□□ أخي العزيز ليس هو اهتمام مُختص بالشعب العراقي المجاهد بل هو عام لجميع أهل الحق في مشارق الأرض ومغاربها لكنّ ظهوره في العراق أكثر من غيرها من البلدان، حيث أنّ مركز الإيمان وعاصمة أمير المؤمنين ومكان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في هذا البلد، مما زاد بالاهتمام بطبيعة الحال.

وليس هذا فقط ولكن حسب فهمي والإنسان لا يتعدى فهمه، فإنّ الوعي الإسلامي الصحيح والنضوج الإيماني الحقيقي هو في العراق، أو قل هو مُركّز فيه أكثر من أي منطقة أخرى. ومن العوامل التي زادت في ذلك:

أولاً: كثرة البلاءات والحروب والضغوط التي تُمارس ضد هذه الشعائر والكل يعلم أنّ كل ممنوع مرغوب.

ثانياً: إنّ العراق عموماً والنجف الأشرف خصوصاً، مركز التشيّع، بل هو مقر المرجعية الناطقة التي كانت ولازالت تؤكد على مثل هذه الشعائر ولا ننسَ ما كان عليه السيد الوالد (قدس سره الشريف) وفي زمن الهدام (صدام) عليه اللعنة والعذاب حيث يعطي أوامره لزيارة الإمام الحسين عليه السلام ومن على منبر الجمعة

(*) زعيم التيار الصدري في العراق.

(**) كنت قد التقيت سماحته في دمشق عندما زارها خلال شهر محرم لعام ١٤٢٧ هجري. والتقى فيها كبار المسؤولين وعلى رأسهم قائد سورية سيادة الرئيس الدكتور بشار الأسد. وقد قدّمت له أسئلتي حيث وافاني بإجاباته عليها مكتوبة بعد عودته إلى النجف الأشرف بالعراق.

المقدسة وكان الهدّام يمنعها مرة تلو الأخرى، سواء في زيارة الأربعين أو النصف من شعبان مضافاً إلى الشعائر الأخرى.

ثالثاً: وجود مراقد أئمة معصومين في عراقنا الحبيب، وهذا يزيد من إيمان الشعب العراقي، فوجودهم عطاء معنوي يغتذي وينهل منه الجميع فهم جميعاً كالشمس التي غيبها السحاب.

إذن فالشعب العراقي هو مركز الإيمان، وهذا ما تَنبّه إليه العدو قبل أن نتنبه له، فلذا جعل من العراق أهم الدول المُحتلة، فإذا سقط بيده الأهم فالمهم لا محالة ساقط. لكن كلا وألف كلا، فليس لهم إسقاطه فقط قال السيد الوالد (قدس سره الشريف)[1]: إنّ أمريكا وإنْ زعمت تحكيم سيطرتها على كل العالم، حتى أصبح العالم اتجاهها كالقرية الصغيرة كما يعبرون، إلا أنها لن تستطيع إزالة إيمان المؤمنين وقوة الشجعان من المجاهدين، فإنها إنْ استطاعت السيطرة على أجسادنا فإنها لن تستطيع السيطرة على عقولنا وقلوبنا ونفوسنا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

ومما يجب ذكره أنّ أمريكا تقف عقبة أمام الزائرين في الكثير من الأحيان وبصورة سرية لا علنية وفي نفس الوقت تدّعي حرية إقامة الشعائر الدينية لكي لا يكون أمراً ممنوعاً فلا يكون مرغوباً. هذا وهناك أمر يجب الالتفات إليه: وهو أنّ من يُهدد بقصف الكعبة وحرم أمير المؤمنين بل وما قاموا به في سامراء[2] دليل على أنّ ادّعاءهم هذا كاذب أكيداً.

---

[1] هو آية الله العظمى الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر (أعلى الله مقامه الشريف) (١٩٤٣- ١٩٩٩)م، وكان هذا العالم الرباني الجليل قد لقي مصرعه ومعه نجلاهُ، بعدما زلزل النظام العراقي البائد بمواقفه الجريئة من خلال صلوات الجمعة الجماهيرية الحاشدة التي كان يقيمها في جامع الكوفة. الأمر الذي حرَّض النظام الأمني والقمعي الصَدَّامي على قتله ومن معه، في مدينة النجف الشريف حيث كان يقيم عالماً ومرجعاً دينيّاً مجاهداً.

[2] في سابقة تاريخية لا نظير لها في عصرنا الحاضر أقدم أناس مجرمون مجهولو الهوية على تفجير قبة مقام الإمامين العسكريين عليهما السلام في مدينة سامراء بتاريخ (٢٣ محرم ١٤٢٧ هـ) في حركة تآمرية أريد من ورائها إيقاع فتنة طائفية بين المسلمين الشيعة والسنة.

□ ربما يفسر البعض أنّ هذا الاهتمام العراقي ناجم عن عقدة الإحساس بالذنب، لكون أنّ سبط النبي الأعظم ﷺ قد خذله العراقيون آنذاك مما جعله يلقى مصرعه هو وأبناؤه وإخوانه وأصحابه بتلك الصورة المفجعة في كربلاء.

□□ أنا على علم أنّ هذا الإشكال مطروح عالمياً فأقول: إنّ في هذا جرح لمشاعر المؤمنين في العراق، فأينما كان الحسين وفي أي زمن من الأزمان يحدث به، كما هو حال كربلاء، وليس الواجب على العراقيين نصرته فقط بل الجميع سواسية، فإنْ صَدُقَ خذلان الشعب العراقي الإمام السبط عليه السلام فهو ينطبق على الجميع بلا استثناء، وإنْ صدق فهو قد كان في زمنه فما ذنب المؤمنين في زماننا هذا؟ مع أني على يقين أنه لو كان الإمام الحسين عليه السلام باقياً لحدثت واقعة طفٍّ أخرى. وأكبر دليل ما حدث في سامراء فلم يتفوه الجميع ببنت شفة، إلا ما لا يغني ولا يُسمِن من جوع. باستثناء ما قام به بعض المؤمنين من نصرة الحق جزاهم الله خيراً.

ولو أننا تَنازلنا وقلنا إنّ الإشكال صحيح، فأقول: إنّ الذي يشعر بالذنب أفضل ممن لم ولن يشعر به، فإنْ كان الشعب العراقي الصابر شاعراً بذلك فما بال الشعوب الأخرى فأقيموا شعائر الله ولاتحرّموها.

هذا ولا يفوتني أن أذكر قول السيد الوالد (قدس سره الشريف) بخصوص صلاة الجمعة حينما قال: إنّها رحمة خاصة، أقول: إنّ الوقوف مع الحسين في أرض الطف هو رحمة أخصّ من الخاصّة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم، مُضافاً إلى أنّ ما قاله (قدس سره الشريف) بخصوص أصحاب الحسين وأفضليتهم على أصحاب المهدي إذ يقول: إنّ أصحاب الحسين عليه السلام خير من أصحاب رسول الله في بدر، وخير من أصحاب المهدي الذين هم خلاصة الغيبة الكبرى والامتحانات الدنيوية والبلاء الدنيوي خلال الغيبة الكبرى، لأنّ أصحاب النبي ﷺ وأصحاب المهدي يُقدمون على الحرب مع احتمال النجاة، أما أصحاب الحسين عليه السلام فإنهم أقدموا على الحرب مع اليقين بالممات وهذا كاف جداً كفرق بينهما.

عموماً وكما قال السيد الوالد (قدس سره الشريف) فإنّ الكوفة تبقى علوية، فإنني أقول: يبقى العراق علوياً ويبقى الشعب العراقي حسينياً ومهدوياً إن شاء الله.

□ نعلم أنّ النظام الدكتاتوري السابق، تفنن في سوم العراقيين أبشع ألوان العذاب والتنكيل، وأطبق طوقاً شديداً لمنع إحياء مراسم عاشوراء فكيف استطاع العراقيون أن يُحطموا هذا الطوق، وما هو الدور الذي قام به علماء الدين المجاهدون، ولا سيما في السنوات القليلة السابقة لسقوط نظام صدام البائد.

□□ سؤالك يا أخي في محله إن شاء الله تعالى، ولكن دعني أقول قبل الإجابة إن ذلك الحكم لم يكن نظاماً بل كان هو الخراب بعينه والدمار بعينه، فالنظام والظلم لا يجتمعان ويوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم.

أما بعد، فعلى الرغم مما قام به الدكتاتور الهدام وأتباعه من العفالقة الأنجاس، ممن عاثوا في العراق فساداً وتقتيلاً وتشريداً ضد زوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام حتى قاموا بتقطيع أجسادهم وإعدامهم والتنكيل بهم وبلغت بهم الجرأة إلى جعل السائرين إلى كربلاء المقدسة (متسوّلين) وحاشاهم، فقد كتب الله لهم في كل خطوة أجراً وثواباً فهم ما يطؤون من موطئ يغيظ الكفار إلا كُتب لهم به عمل صالح.

إذن، فالعوامل التي ساعدت على تحطيم الخوف والإصرار على هذه الشعيرة ما يلي:

١- إيمان الشعب العراقي.

٢- وجود المراجع الناطقين، الذين جعلوا من هذه الزيارة أمانة في رقابنا وغاية لرضا الله جل جلاله، كما ذكرتَ في جواب سابق إن السيد الوالد (قدس الله سره الشريف) ركّز على مسألة الزيارات في خطب الجمعة سواء زيارة الأربعين أم غيرها، مما أدى إلى تحطيم الوثن الأكبر وسحب البساط شيئاً فشيئاً من تحت أقدامه.

٣- دكتاتورية وطغيان الحكم البائد، مما كان يولد ردة فعل إيمانية قويّة من الشعب العراقي، وهذا ما قلته من أنّ كل ممنوع مرغوب، ولذا نجد أنّه رغم تصاعد الأعمال الإرهابية بعد احتلال العراق فإن إقبال المواطنين على إحياء مأساة كربلاء.وعاشوراء، في ازدياد مستمر رغم كل المخاطر.

٤- ابتعاد الشعب العراقي عن السياسة الدنيوية واقترابهم من مراجعهم ودينهم وعقيدتهم وشعائرهم، لا كما يحدث الآن من تلهي الغالبية بالدنيا والسياسة

الدنيوية، وبالتالي ابتعادهم عن أمور دينهم وشعائرهم... إلا المخلصين منهم.

عذراً، لعلي أطلت، لكن غياب مرجعية ناطقة تأمر وتنهى المجتمع وتطبق الولاية العامة بالصورة الصحيحة قد يؤدي ولو بالتدريج إلى اضمحلال هذه الشعائر كما كانت عليه قبل التسعينات، فالتفتوا رجاءً.

□ هناك من يعتقد أنّ الشيعة يعيشون الحالة الحسينية فقط عند استذكارها أيام محرم وصفر، وإنّ هذه الحالة تبرد وتنحسر، مباشرة بعد مضي المناسبة، فماذا تقولون؟

□□ في هذا المورد من السؤال أجيب بعدة أطروحات:

الأولى: نحن ممن يُطبّق مقولتهم (سلام الله عليهم): (أعيادنا مآتمنا) وهذا يعني أننا لا نكتفي بالشهرين.

الثانية: إنهم أعطوا لقضية الإمام الحسين عليه السلام شهرين مُركّزين، أما في باقي أيام السنة فهم يذكرونه على نحو متفرق- لو صح التعبير-.

الثالثة: إن باقي أيام السنة نُخصّصها لذكر باقي المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فمثلاً شهر رمضان لذكر أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وجمادى الثانية لذكر سيدة نساء العالمين عليها السلام، وهكذا بالنسبة لبقية الشهور. لكن لا ننسَ ما اتخذه بعض الخطباء سُنّة لهم، وهي انهم يختمون خطاباتهم ومآتمهم عن أي إمام بذكر مصيبة الحسين عليه السلام. إذن، فهم يذكرونه جُلّ السنة.

الرابعة: إنّ الشعب العراقي ممن جعل الله في قلبه بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام حرارة لن تنطفئ إن شاء الله، فكيف ينسونه خارج الشهرين، ولعلكم نسيتم أنّ من وقف معه في الطف هم من أهل العراق وقد نسيتم المختار (سلام الله عليه) ونسيتم التوّابين وغيرهم ممن كانوا من أهل العراق؟؟؟. إذن فالنار في قلوبنا من الطف وإلى يومنا هذا؟

الخامسة: على أقل تقدير أننا نذكر المعصومين عموماً والإمام الحسين عليه السلام بالخصوص في شهر – ولو تَنَازُلاً- فما بال المُستشكل الذي لا إمام له؟! بل هم حُرموا ذِكر الرسول صلى الله عليه وآله، وما حدث عدة مرات في باكستان من اعتداء على

الطائفتين المُسلمتين إلا تأكيد أنهم لا خلاقَ لهم ولا إمام لهم... فهم يُمجّدون الإرهاب ويُحرّمون ذِكر الآل والأصحاب، قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

□ كيف تردون على من يتهم الشيعة في أنحاء العالم بأنهم موالون لإيران؟ ولماذا يتم إطلاق مثل هذه التصريحات والحال أن العراق يرزح تحت الاحتلال الغاشم؟

□□ قد أجبت عن هذا المضمون في استفتاء سابق، راجع إن شئت، هذا مضافاً إلى أني اعتقد أنّ مثل هذه التصريحات كانت ولا زالت تصب بمصلحة الغرب والاستعمار لا غير[1].

□ هل يصح ما يعتقده البعض أن تخليد ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، هو مخالف للإسلام وخروج عن إجماع الأمة؟ وما هو سر خلود عاشوراء دون غيرها من المناسبات؟

□□ أجيب عن هذا بأحد جوابين:

أولاً: إنْ قصدتَ بالأمة، الأمة التي خرجت ضد الإمام الحسين عليه السلام، فنعم هو خروج عن الإجماع الساذج والظالم، ونعم الخروج كان خروجه.

---

[1] راجعتُ تصريحاً أدلى به السيد مقتدى الصدر بتاريخ ١١ ربيع الأول١٤٢٧هـ جواباً لسؤال بعض المؤمنين عن أهداف تصريح الرئيس المصري حسني مبارك وقد جاء فيه: (إننا كمسلمين ولاؤنا للإسلام وكعرب فإنّ ولاءنا للعروبة ولسنا تابعين لأحد إلا إنّ أمثال الرئيس المصري من العلمانيين لا يعلمون بمثل هذه الأمور، متناسين أنّ العلاقة الطيبة مع أيّة دولة إسلامية ليست تبعية وليست مُعيبة، بل أنّ المُعيب بل المُحرّم هو الولاء للثالوث المشؤوم – أمريكا، بريطانيا- إسرائيل- كمحالسة اليهود (الصهاينة) أو المُحتلين الأمريكان وأذنابهم، فالعجب من أنّ البعض يدعون إلى العروبة ويدّعي ذلك! فهل أنّ العروبة معناها تبعيتك لتلك الدولة. ولا ننسَ أنّ الكثير من العرب (السنة) يتبعون علماءهم في السعودية أو الأزهر بمصر وهذا ليس معناه تبعيتهم لهاتين الدولتين. علماً أنّ مقر المرجعية الدينية عندنا هي (النجف الأشرف).

هذا ولا يفوتني أن أوجّه نصيحتي لجميع العرب شعوباً وحكومات وأذكّرهم: بأنّ العراق يمرّ بمرحلة صعبة تقتضي منهم الوقوف معه حتى لا ينجرّ إلى الحروب الأهلية والطائفية، ومثل هذه التصريحات لا تخدم إلا العدو- مع شديد الأسف- وتُساهم في إشعال نار الحروب الأهلية والطائفية التي ما زال العراقيون بعيدين عنها، لعلمهم بمخاطرها.

ثانياً: إنْ قصدتَ هو الخروج عن أسس الإسلام، فكلا، فهو المُطبِّق للإسلام الحق خير تطبيق، وصرخته صرخة الحق أمام سلطان جائر، جعلت من التشيع مناراً في جميع الأزمنة وهذا هو الجهاد بعينه، فالجهاد ضد يزيد بن معاوية وضد الظلم والطغيان ولاعب القرود وقاتل النفس المحترمة، أفضل عمل وهو أمر الله لامحال، ومن قال العكس فهو الخارج عن الإجماع، وكما قال سيد الشهداء عليه السلام: هيهات منا الذلة... فلن يرضى بتسلط الظلم على رقاب المؤمنين. والدليل على ذلك قوله عليه السلام: ومثلي لا يُبايع مثله.

واعلم أنّ الخارج من إجماع الحق هو من يُطيع النفس الأمّارة بالسوء ويرضى بالخضوع والخنوع وعدم الجهاد ويرضى بحكم الجور والظلم والطاغوت، والحق كل الحق مع من طلب الإصلاح، فهو القائل: ما خرجتُ أشِراً ولا بَطَراً ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنما لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

هذا بالنسبة إلى الشق الأول من السؤال، أما الثاني: فكما قال الشاعر:

كذب الموت فالحسين مخلد كلما مر الزمان ذكره يتجدد

هذا هو انتصار الدم على السيف، وهذا هو انتصار الحق على الظلم وهو انتصار التضحية على الخذلان، فكما قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران، ١٦٩]. فنحن نجد أنّ ذكر الشهيد ليس كذكر الأموات فقد وجدنا الكثير من المراجع (قدس الله أسرارهم) ماتوا وبقي ذكرهم قليلاً، ومن قُتِل منهم يزداد ذكره يوماً بعد يوم، فما بالنا إذا كان الأمر يرتبط بذكر إمامنا الحسين عليه السلام، فذكره يتعالى بطريق أولى.

وهذا فيه ذكرى ونصيحة للساكتين، ولمن يحب الخضوع والخنوع ولمن رضي أن يكون مع الخوالف فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون. فما أعظم من يجود بنفسه، فغاية الجود، الجود بالنفس، ويا له من جود.

هذا مضافاً إلى أمر مهم جداً.. ألا وهو أنهم خُطت لهم الشهادة، ولولا الشهادة لخُلدوا، لكن الشهادة لم تمنع تخليدهم المعنوي... فإنهم أرادوا قتل

الحسين، ولكنهم لم يقتلوا ذكره وكما قال الشاعر:

ظنوا بأنْ قَتَلَ الحسينَ يزيدُهُمْ لَكِنَّما قَتَل الحسينُ يزيدا

ثم أقول: إن ذكرى عاشوراء ليست الوحيدة التي خلدت، بل أن جميع المناسبات كما عبرت مُخلدة، أنسينا أميرنا علي أم سيدتنا فاطمة أم الإمام الحسن؟ فكلهم ذكراهم مُخلدة، واحداً تلو الآخر وولي بعد ولي وإمام بعد إمام، فكلهم قدّموا أرواحهم من أجلنا، لكنما للجهاد وقع في النفوس، وللسقوط شهيداً في أرض المعركة وقع في النفوس أيضاً.

□ ما هي رؤيتكم لتقديم قضية الملحمة الحسينية بشكل يتناسب مع التطورات العالمية سياسياً وإعلامياً وتبليغياً؟ وما هو حجر الأساس لإيجاد مؤسسة تُعنى بعرض عاشوراء مجرّدة من بعض الممارسات التي قد تسيء إلى رسالة الشهيد الحسين عليه السلام ؟

□□ الحقيقة هذا السؤال يحتاج أن نشكر سائله: فإنّ في كل زمن حسيناً وفي كل زمن يزيداً وكل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء، فعلينا الاتّعاظ مما يحدث في ماضينا لنطبقه في حاضرنا ومستقبلنا... فالسؤال المهم: لو كان الحسين موجوداً في هذه الظروف سواء في عراقنا الحبيب أم بأي دولة من الدول ماذا كان فعل؟!.. هل رضي بالذل والهوان وبالاستعمار والاحتلال، أم ماذا؟!.. أكان قد هادنهم أم لم يهادنهم كما فعل مع يزيد عليه اللعنة، ثم يمكن تجسيد يزيد الآن بالاحتلال والإرهاب، فكما أن الاحتلال والإرهاب يقتل الأطفال، فهو عليه اللعنة قد قتل عبد الله الرضيع عليه السلام ، وكما يعتدي على المدنيين الآمنين، فقد اعتدى يزيد على النساء والحرم وحرق خيمهم... فيا ترى أين حسين هذا الزمان؟!....

ففي أغلب الأحيان يوجد يزيد لكنما يندر مثل الإمام الحسين عليه السلام ، أي نهج الإمام الحسين عليه السلام .... وقد لا أطيل بهذا الجواب على الرغم من كثرة تشعباته، فقد انكسر سنان القلم، والله العالم؟!.. فقد

أَسْمَعْتَ لو نادَيْتَ حيّاً ولكن لا حياةَ لمن تنادي؟.!

هذا وإني على علم بأنّ قضية الإمام الحسين في عراقنا الحبيب باتت

مُستغربة، فالقليل من هو ذاكر لها، حيث أنّ ذكرها يقتضي الجهاد لا المُسايسة، ومن لا يستطيع الجهاد أو يهرب منه فهو يهرب من ذكر قضية الإمام الحسين عليه السلام، والقسم الآخر قد سيّس قضية الإمام الحسين وأخذ يُفسّر ويُعلل حسب مصالحه الدنيوية والسياسية – إذن كيف السبيل لعزل قضية الإمام الحسين عليه السلام عن المصالح والأهواء الشخصية.

أقول إن إيجاد مجتمع معصوم هو الحل، لكن ما الحل لإيجاد هذا المجتمع، الله العالم، فننتظر وأنتم منتظرون، أقصد ظهور الطلعة البهية (عجل الله فَرجه).

□ من المعروف أن عاشوراء كانت ملهمة لإنجازات وانتصارات شاهدها المسلمون سابقاً وفي العصر الحاضر، ومنها انتصار الثورة الإسلامية في إيران بزعامة الإمام الخميني (قدس سره) ودحر الاحتلال الصهيوني من جنوب لبنان بقيادة حزب الله، فهل ثمة استعدادات لإستخدام هذه المناسبة في سبيل تطهير العراق من دنس الاحتلال الأمريكي الغربي؟

□□ أجيب عن هذا السؤال حسب ما أراه: لأنّ هدفنا وكما قال السيد الوالد (قدس الله سره الشريف) هو المجتمع الإسلامي وليس الدولة الإسلامية فقط... فكم من دولة إسلامية وشعبها ضعيف الإيمان وإنْ شئت فانظر بعين الحياد، هذا مضافاً إلى أمر مهم: وكما نُقِلَ عن الزعيم الهندي الماهاتما غاندي: تعلمت من الحسين أن أكون مظلوماً فانتصر، وفي نظري ليس هنالك من مظلوم إلا الشعوب، اللهم فاجعل النصر حليف المظلوم واجعل الخذلان نصيب الحُكّام الظالمين.

ثم أنبهكم إلى أمر مهم آخر، وهو أن الأغلب قد انجرّوا خلف مُخططات الغرب من حيث لا يعلمون وسيّسوا الدين بل وقدّموا السياسة على الدين. مثلاً إنّ السياسة تقتضي حسب رأيهم مُهادنة أمريكا، ونُسِيَ أنّ الاستعانة بالظالم حرام شرعاً، وأنّ السياسة تقتضي وضع دستور حسب ادّعائهم، لكن حين وضع الدستور يتم تناسي قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، وغير ذلك كثير، مما يُحلل حرام محمد ويحرم حلاله صلى الله عليه وآله حتى صار الجهاد إرهاباً والإرهاب جهاداً مع شديد الأسف وأمري وأمركم إلى الله تعالى.

لكن مع ذلك فإن النهضة الإسلامية وعلى الرغم من التخطيط الغربي، موجودة وعلى الرغم من ديمقراطية الغرب التي تقتضي قلب الموازين. ومع هذا وعلى الرغم من حرية الغرب التي تقتضي الفوضوية إلا أنّ الإسلاميين لا زالوا متمسكين بدينهم سواء في العراق أم إيران أم لبنان أم سورية أم مصر أو غيرها من الدول الإسلامية الأخرى. ونتمنى على الله أنْ يَمُنَّ عليها بمجتمع إسلامي حق.

أما جعل قضية الحسين عليه السلام مُقدمة لتحرير العراق فإنني أقول: إن هذا التحرير هو مُنحصر بها لا محالة، إلا أنّ زمانه غير معلوم، وإن شئت فراجع المراجع الأعلام في ذلك لعلهم يجيبون؟ والله العالم؟.

□ ما هو تصوركم لخطاب إسلامي حسيني يواجه التيارات الفكرية المنحرفة، كالتكفير والحقد الشديد على مدرسة أهل البيت عليهم السلام ؟

□□ طبعاً الخطاب ضدهم وليس لهم، فهؤلاء لا خطاب لهم ولا لأسيادهم المحتلين إلا العنف والقتل والتفخيخ والتفجير، وهذا ما ورد في موسوعة الإمام المهدي عجل الله فرجه للسيد الوالد (قدس الله سره الشريف) إذ قال: إنّ الاستعمار ينظر بعين واحدة، ولذا فإنه (قدس الله سره الشريف) فسّر الأعور الدجال صاحب العين الواحدة بالاستعمار حيث أن العين الواحدة تعني أنه ينظر بمنظار واحد وضيِّق ألا وهو العنف.

عموماً، نجد أنّ من سَمّيتهم بالتكفيريين وأُسمّيهم بالنواصب عليهم اللعنة ممن نصبوا العداء لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، نجدهم أتباع حُكّامهم في كلّ زمان ومكان... فلو أنهم كانوا يقفون ضد الظلم والطغيان فعلاً فهو غير مُنحصر بالعراق، لوقفوا ضد حكوماتهم الظالمة، إلا أنهم راضون عنهم أكيداً.

أما نحن أتباع المذهب الشريف وأتباع المعصومين عليهم السلام عموماً وأتباع الإمام الحسين بالخصوص، فنحن لن نرضى بالذل والهوان والظلم والاستبداد، وكما وقفنا ضد الدكتاتور والشيطان الأصغر (الهدّام) سنقف ضد الشيطان الأكبر سواء أمريكا أم غيرها بما تقتضيه الظروف. فنحن لن نرضى بأيّ ظلم وأيّ دكتاتورية ولن نرضى بحكم العلمانية التي رضي بها النواصب، بل لا حُكمَ إلا لله والإسلام الحقيقي النابع من الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أجمعين.

فيا من تدَّعون وقوفكم ضد الدكتاتوريات، لقد مُلِئت دولكم دكتاتورية وظلماً، فأين أنتم من ذاك؟! وما أنتم في العراق بمجاهدين بل أنتم للمدنيين قاتلين، وللعراقيين راعبين وللغرب تابعين وللمحتل مُطيعين، فها أنتم هؤلاء تهادنون المُحتل لتدخلوا في حكم الطاغوت وها هم سياسيّوكم يُجالسون المحتل ونحن نأبى ذلك إطلاقاً.

فنحن ننهل من الحسين ونهجه، وأنتم تنهلون من يزيد عليه اللعنة، وهذا خطاب حسينيٌّ نحن عليه سائرون: هيهات منا الذلة، فليس تفخيخكم لسياراتكم وأجسادكم إلا حقد على الحق ولا يَمُتُّ إلى الشهادة بصلة، فمن يُفجّر نفسه ضد من قال (لا إله إلا الله) فهو عدو لـ(لا إله إلا الله).

وإن كنتم تحملون كلمة (لا إله إلا الله) فقد حملها قبلكم من قال: (لا حكم إلا لله) في واقعة صفين ووقف بوجه إمام زمانه، أفتُحرِّمون على الحسين عليه السلام الخروج على الطاغية يزيد بحجة أنه خروج على إمام الزمان؟! وتُحللون للمارقين والخوارج الوقوف ضد علي ابن أبي طالب (إمام زمانه) عجباً، انظر كيف قلبوا لك الأمور؟!..

□ سماحة السيد من هم العاشورائيون الحقيقيون؟ وكيف السبيل لجعل كل إنسان، مُسلماً كان أو تحررياً، حسينياً ومكافحاً للظلم والطغيان؟

□□ ليعلم الجميع أن جهاد الإمام الحسين ليس هو الغاية بل هو الوسيلة فهو مُقدمة لأمر أهم، فإنْ كان البعض يبتعد عن الجهاد فليحاول الاقتراب من ذاك الأمر الأهم إنْ استطاع، ألا وهو الإصلاح والإصلاح على قسمين:

الأول: إصلاح النفس، ونهيها عن الهوى والملذات وعدم الانجرار خلف حبائل وغرور الشيطان، وجعل طاعة الله هو الهدف، فإنّ الجنة هي المأوى لِمَن نهى النفس عن الهوى، ومن جاع بطنه وكفَّ لسانه أتتهُ الحكمة، ومن أوتي الحِكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

الثاني: وهو يأتي بعد إتمام الأول، فالفاسد لا يُصلِحُ، فأصلِحُوا أنفسكم لتُصلِحُوا مُجتمعاتكم، فالثاني هو إصلاح المجتمع، كما قال تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾.. وصلاح المجتمع

متوقف على صلاح النفس من جهتين:

الأولى: إن المجتمع يتكون من أفراد، فإذا صَلُح الفرد صَلح المجتمع تدريجياً بصلاح أفراده.

الثانية: إذا صَلُح الفرد كان قادراً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو من الأمور المهمة لإصلاح المجتمع...

إذن العاشورائيون هم الصالحون والمُصلِحُون، وطبعاً مُقدمة الصلاح والإصلاح، قد تختلف بين مكان وزمان وآخر، فمرة جهاد الإمام الحسين ومرة علم الإمام الباقر ومرة عبادة الإمام السجاد (سلام الله عليهم أجمعين)، وهكذا اللهم اجعلنا من السائرين على نهجهم بحقهم عليك.

***

معاني المأساة ورموزها

د.عبد الكريم الأشتر(*)

من منطلق الإيمان بأن للعدالة الإلهية ساحات منظورة وساحات غير منظورة أقول: إن مما قد يعجب له المسلم قارئ التاريخ الإسلامي أن يجد رجلاً كيزيد بن معاوية بن أبي سفيان في مقعد خليفة رسول الله ولّما يمض على هجرته من مكة إلى المدينة وقيام دولة الإسلام فيها أكثر من ستين سنة، تحولت الخلافة في نهايتها إلى ملك لا مكان فيه للشورى التي هي عماد الفكر السياسي في الإسلام، وانتقلت عاصمة الدولة الإسلامية بعيداً عن الأرض التي تنزل فيها الوحي، وارتسمت فيها معالم المجتمع الجديد الذي تكون العبودية فيه لله وحده، فحتى نحسن استخلاص معاني المأساة التي نريد بيان خطرها في تطور أحداث التاريخ الإسلامي من بعد، وبيان رموزها التي ما تزال حية إلى اليوم الذي نحن فيه، لا بد أن نلخص أبرز أحداث المأساة التي كانت كربلاء القريبة من شط الفرات مسرحها الدموي الرهيب، وسألجأ في هذا التلخيص إلى مصادرها الأولى في تاريخ الطبري، فإن فيه من التفصيل ومن تعدد الروايات والرغبة في التزام الصدق في روايتها ما يكفينا هنا.

فإن معاوية بن أبي سفيان خرج على جملة ما تم الاتفاق عليه بين الإمام الحسن عليه السلام وبينه في الرجوع إلى المسلمين في اختيار خليفة رسول الله بعد وفاته "أقصد معاوية". فمن هنا تبدأ حدود المأساة بدليل أن الأمر من بعد لم يقتصر على خروج الإمام الحسين عليه السلام، بعد أن قتلوه في العاشر من محرم، فقد خرج على الأمويين رجال آخرون بعضهم رمى إلى الانتقام من قتلة الإمام علي عليه السلام وبعضهم رمى إلى اجتثاث ملك الأمويين من الأصل مثل عبد الله بن الزبير.

(*) مفكر سوري- أستاذ في جامعة حلب. المقال مقتبس من مجلة الثقافة الإسلامية الصادرة في دمشق العدد ٦٢ ـــ عام ١٩٩٥م.

والسؤال الذي لا بد يطرح نفسه هو الآتي: ما الذي كان الإمام الحسين عليه السلام يرمي إليه من السير إلى الكوفة بعد أن رفض مبايعة يزيد "١٨٩/٦" ووصلت إليه منها آلاف الكتب تطلب منه القدوم إليها لمبايعته وقيادة حركة الثورة ضد العرش الأموي في دمشق، ولعله كان في أول الأمر يمني نفسه بالنصر بدليل من حمل معه من أهله وولده. ولكنه احتاط فأرسل من قبله رسولاً هو مسلم بن عقيل يستطلع له الحال، فقبض عليه عبيد الله بن زياد والي يزيد على الكوفة، فقاتل بسيفه حتى أعطوه الأمان، ثم ضربت عنقه وألقيت جثته إلى الناس "١٩٦/٦" وصُلب بالكناسة. ثم كثر تحذير من يحبون الإمام الحسين عليه السلام من أن يتابع الطريق إلى الكوفة، وهو بعد في الطريق إلى مكة، ولكنه أبى إذ كان يريد أن يقيم للناس إماماً يعمل بكتاب الله يأخذ بالقسط ويدين بالحق ويحبس نفسه على ذات الله "١٩٨/٦" كما قال في رده إليهم، وكان مسلم بن عقيل نفسه، بعد أن بايعه ثمانية عشر ألفاً من أهل الكوفة "٢١١/٦" وأرسل إلى الحسين بالقدوم، أرسل إليه كتاباً متأخراً يحذره فيه من نكث أهل الكوفة ويذكره بما لقي أبوه وأخوه منهم، وجاءه وهو بعد في مكة، من ينصح له بالرجوع إلى المدينة، ويقول له: [بلغني أنك تريد المسير إلى العراق، وإني مشفق عليك من مسيرك، إنك تأتي بلداً فيه عمّاله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك بنصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه] "٢١٦/٦" ومثله قول عبيد الله بن مطيع "٢٢٤/٦"، ولكنه أبى وتابع الطريق، وكان الشاعر الفرزدق ممن حذره وقال له قولته المشهورة: [قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية] "٢١٨/٦". ولكنه وهو يقترب من الكوفة وقد أحيط به حين وصل كربلاء، أدرك واقع الحال فلجأ إلى ما يمليه العقل: فخيرهم بين أن يعود، أو يسروه إلى يزيد بن معاوية، أو يلحقوه بالثغور، فأبوا إلا أن ينزل على حكم عبيد الله بن زياد "٢٢/٦" فأبى.

ولكن أناساً من عسكر ابن زياد حوّلهم عرض الحسين إلى صفّه، ورفض ثالوث المأساة: شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد وحصين بن نمير، مثل الحر بن يزيد الرياحي "٦/ ١٢٢". وتقترب هنا المأساة من نهايتها، فتتكشف عن أعظم أمثلة

النبل من ناحية، وعن أخس النزعات البشرية وأبشع صور الهمجية من ناحية أخرى: فإن رجلاً مثل قيس بن مُسْهِر أُصعد القصر وطُلب منه أن يسب الإمام الحسين عليه السلام وأباه، فصعد وقال للناس: أيها الناس! إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، إبن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه] ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب"٦/٢٢٤". رجل مثل زهير بن القين طلب من امرأته أن تلحق بأهلها خشية أن يصيبها الشر بسبب لحوقه بالحسين ونصرته إياه.

وانتهت أخيراً أخبار ما وقع بالكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام : قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة على أبشع صورة، فلم يبق إذاً إلا الإقدام وفيه الشهادة، أو النكوص وفيه الملاحقة والمبايعة، فاختار الإمام أن يقف إلى الجانب الذي صاغ مجريات التاريخ الإسلامي من بعد، ودكّ العرش الأموي كله، فقال قولته المشهورة: [الا خير في العيش بعد هؤلاء] "٦/٢٢٥". ثم أذاع فيمن حوله كتاباً يخول فيه الناس أن ينصرفوا عنه إذا أحبوا أو يسايروه إلى الموت معه.

فأما وقائع الملحمة من بعد فمعروفة، يلخصها قول الإمام لأصحابه الذين قدموا معه من المدينة واختاروا الموت معه: [إن الدنيا قد تغيرت، وتنكرت، وأدبر معروفها، واستمرءت جداً، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا يُعمَلُ به، وأن الباطل لا يُتَنَاهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محباً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما".

وليس من بعد في وقائع الملحمة إلا ما يدمي القلب، فقد ترامى رجال الإمام عليه السلام وأهله وفتيانه على الفداء والشهادة، وبلغ رجال ابن زياد من الهمجية ونقص الإنسانية ما ليس فيه زيادة لمستزيد، حتى أنه طُلب من عمر بن سعد، إذا تم قتل الإمام، أن يوطؤا الخيل صدره وظهره "٦/٢٣٦"، وبلغت المهزلة من شمر ذي الجوشن أن يمني الإمام بالنار قبل يوم القيامة"٦/٢٤٢"، وتسابق ذوو الأطماع على الفوز برؤوس رجال الإمام ليكسبوا بها الجوائز عند ابن زياد، ثم تسابقوا إلى سلب الإمام كساءه بعد أن أبدى من صور البطولة، وهو المفجوع بآله وولده ورجاله، ما تنحني له هامة التاريخ "٦/٣٥٩".

وبلغ من صدق التاريخ أن خلد أسماء أبطال الملحمة، ورعاعها وهمجها رجالاً ونساءً، وطويت هذه الصفحة المخزية من صفحات التاريخ، لتنفتح على إثرها صفحات يشع فيها تاريخ عاشوراء وحياً وحافزاً وآلاماً تعز على الوصف.

والآن يصح أن نستخلص معاني هذه المأساة ورموزها على مدى هذا التاريخ:

١- فإنها كانت تعني على طول التاريخ معنى المواجهة بين القوة الغاشمة والحق الأعزل، وهي المواجهة التي يصحبها الإصرار على الثبات على الحق مهما لحق بناصريه من الأذى والتقتيل وطول الخذلان، وهو المداد الذي تكتب به أنصع صفحات التاريخ الإنساني وأكثرها إشراقاً ونوراً وأملاً.

٢- وتعني المواجهة بين النزعات الإنسانية ونزعات الشر الهمجية التي يصر الإنسان على الانتصار فيها لصور النبل الإنساني بحكم صلاح الفطرة الإنسانية وكراهيتها للشر وأهله، وما أعرف حركة من حركات التحرير لم تقع فيها هذه المواجهة على نحو ما سواء انتصرت أم لم تنتصر، فإن معنىً من أجلّ معاني خلق الحياة يكمن في هذه المواجهة ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ (سورة هود)

٣- ثم إنها تعني أن أي قوة بشرية تملك القدرة الغاشمة على الاستئثار بالسلطة وغرورها الأعمى لا تستشعر ألم المظلومين، ولا يفكر قادتها بالتخلي عنها ما لم تجابه بقوة السلاح على اختلاف معانيه. ابتداءً من قوة الإيمان بنصرة الحق، وانتهاء بالسلاح المشروع، وثورات التاريخ الإنساني على اختلاف الأزمنة والأمكنة هي الشاهد العدل عليها.

٤- ثم إنها تعني أن الملك لا رحم له، كما قال الأمين يوماً في صراعه مع أخيه المأمون. فمهما بلغت قوة الرابطة الدموية، فالملك والدفاع عنه أقوى منها. وما يقول التاريخ، إن صح قوله، عما أظهر يزيد من عطف على الباقين من ثَقَلِ الإمام الحسين وولده، أملته السياسة الماكرة ولم يملِه استيقاظ الضمير، فقد قدّر خطر الموقعة على استمرار الملك الأموي. وهو تقدير سليم أيدته من بعد أحكام التاريخ.

٥- والمأساة من الجانب السياسي منها، تقيّم المواجهة بين الاستئثار بالسلطة لمحبة السلطة في ذاتها وما تغري به من امتلاك القدرة على الناس، وبين السعي إلى

السلطة لإلزام الناس بسلوك جادة الحق "وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألاّ يقارُّوا على كِظّة ظالم ولا سَغب مظلوم"، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام يوماً في بعض خطبه في النهج، وهذا مؤدى الكلمات التي وقف الإمام الحسين عليه السلام يخاطب بها الناس أيام المأساة كما رأينا.

٦- وفي المأساة بعض الصور الرائعة من صراع النفس في مواقف الحسم بين الحق والباطل واستنفار قوى النفس في الانتصار للحق، نجد مثلاً ساطعاً منها في موقف الحرِّ بن يزيد الرياحي، فقد عطف جواده في آخر الأمر، وقلب ترسه وانحاز إلى صف الإمام وقاتل معه حتى الشهادة بعد أن تجاذبته الدواعي المتضاربة "٦/٢٢٢".

٧- وفيها صور أخرى من المستميتين في التزام جادة الانتصار للحق والصدق في مخاطبة النفس واستعذاب الشهادة برغم اقتراب نذر الهزيمة، وصورها ما تزال تزين صفحات التاريخ في من قاتلوا بين يدي الإمام عليه السلام "أبو ثمامة مثلاً ٦/ ٢٥١"، وافتدوه بأرواحهم في نهاية المأساة "زهير بن القين مثلاً "٦/٢٤٤" وعبد الله بن عُمير وزوجه "٦/٤٤٥".

٨- تقابلها صور أخرى من الانحطاط البشري وسقوط الإنسان، نجدها في المسارعين إلى سَلب الإمام لباسه والطامعين في جوائز الباغين [وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار] "٦/٢١٦". وقد سجل التاريخ أسماءهم واحداً واحداً في صفحة من أظلم صفحاته "٦/ ٢٥٧ و ٢٦٠"، وصور أخرى من استيقاظ القبليّات التي سعى الإسلام إلى دفنها، ومن الاستهانة بحرمات الإسلام وذريّة نبيّه التي أوصى القرآن الكريم بحفظ مودتها.

على أننا نستطيع اليوم أن نقوّم نتائج هذه المعركة الظالمة تقويماً صحيحاً تؤيده شواهد التاريخ، فقد كسب البغاة لأنفسهم لعنة الأجيال على امتداد التاريخ الإسلامي، وخُلد المهزومون في ضمائرها، وكانت المعركة قبساً ظل ينير طريقها حتى سقط العرش الأموي آخر الأمر، وشبت ثورات أطاحت برؤوس القتلة، وصحّت نبوءة الإمام عليه السلام، حتى قال أحد المستشرقين الألمان: إني لا أعرف في التاريخ رأساً مقطوعاً كان يضحك من غفلة قاتليه كما ضحك رأس الإمام عليه السلام.

ولعلنا اليوم نستطيع من خلال هذا العرض الصغير لوقائع المأساة ومعانيها أن نستخلص لأنفسنا الرموز التي ترمز إليها ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ونجد بذورها في الثورة الإسلامية في إيران على نحو لا نحتاج في بيانه إلى نصوص المناشير التي نشرت آنذاك بين الناس.

نعم.. إننا لا نريد من وراء هذا العرض أن نظل أسرى هذه المأساة، ولكن معانيها ينبغي أن تظل خالدة، ورموزها ينبغي أن تظل حيّة في نفوس الأجيال دون أن تنزلق إلى وحل الخلافات المذهبية التي لا تزال طرية للأسف في بعض الأحيان.

فإن الإسلام كله هو المستهدف اليوم، وينبغي أن يقف المسلمون كلهم وراءه في معسكر واحد، وهذا هو المعنى الكبير الذي تسعى الثورة الإسلامية في إيران إلى ترسيخه، من وراء معاني المأساة ورموزها الكبيرة.

***

قيمة الوراثة في حياة الإنسان
الحسين وارث الأنبياء (عليه السلام)

آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي (*)

تمهيد:

للوراثة في حياة الإنسان فرعان من التأثير يكسبان الوراثة قيمة وفاعلية كبيرة، وهاتان القيمتان هما:

١- القيمة التكوينية للوراثة.

٢- القيمة الإيحائية والتربويّة للوراثة.

وسوف نستعرض هذين النوعين من التأثير، وما لهما من دور فاعل ومؤثر في حياة الإنسان.

فنتحدّث أولاً عن القيمة التكوينية للوراثة، ونقصد بها التأثير الطبيعي والتكويني الذي تتركه الوراثة في حياة الإنسان في مقابل التأثير التربوي والإيحائي للوراثة، ونتحدّث ثانياً عن الإيحاءات التربوية التي تتركها الوراثة في حياة الإنسان وما لهذه الإيحاءات التربوية من أثر فعّال في حياة الإنسان.

(*) - مفكر معروف وأحد رواد الحركة الإسلامية العالمية وله نشاطات دعوية في العراق والدول الخليجية وإيران وكتب العديد من المؤلفات. وقد خصّني سماحته بهذا المقال، الذي هو عبارة عن تأملات في (زيارة وارث) الواردة في كتاب أدعية مفاتيح الجنان، وخوّلني نشره في إحدى مجموعاتي.

(المؤلف)

١ - القيمة التكوينية للوراثة:

في ضوء دراسة النظرية الإسلامية من التاريخ والارتباط بين مراحل التاريخ المختلفة نقول: إنّ الحضارة الواحدة امتداد واحد على مراحل زمنية مختلفة، وكل مرحلة من هذه المراحل ترتبط بالمراحل السابقة تحكيها وترثها.

ولا يمكن من الناحية العلمية تفكيك المراحل المختلفة للحضارة الواحدة، واعتبار كل شطر منها وحدة قائمة بالذات.

إنّ اليوم الحاضر مرآة للأمس الماضي وجزء لا يتجزأ منه، ولا نستطيع أن نفهم اليوم إن لم نربطه بالأمس، ولا نستطيع أن نفهم الشطر المعاصر من أيّة حضارة إذا لم نبحث عن جذورها ومكوّناتها في المراحل السابقة من التاريخ.

دراسة في الشريحة الحضارية:

إنّ كل شريحة حضارية تعتبر حصيلة جهود طويلة لأجيال من أبناء هذه الحضارة في مراحل مختلفة من التاريخ، ووراثة لميراث الأجيال السابقة في العادات والتقاليد والأعراف والثقافة والتصورات والحبّ والبغض.. وعندما نقتطع نحن هذه الشريحة المعاصرة أو هذا الجيل المعاصر من الحضارة عن جذوره واصوله لا نكاد نستطيع أن نفهمه حقّ الفهم.

ومن السذاجة أن نتصوّر أنّ هذه الشريحة أو تلك من الشرائح الحضارية قد تكوّنت بصورة عفويّة وبمعزل عن التاريخ الذي ترتبط به.

يقول الدكتور محمّد زكي العشماوي في بحث له في مجلة "عالم الفكر".

"ونحن مع إيماننا المطلق بحركة التطوّر التي لا تعرف النكوص أو الرجوع إلى الخلف، فإنّنا نؤمن في الوقت ذاته بأن كل ما يدخره الإنسان ويختزنه من ماضي الحياة البشرية ليس حياة ميّتة، بل لا يمكن أن تموت، لأنها جزء لا يتجزأ من الحياة الكبرى التي لا تفنى والتي لا تهرم ولا تدركها الشيخوخة".[1]

---

[1] مجلة "عالم الفكر". المجلد الرابع. العدد الأوّل، ص١٣: الحاضر ضمير المستقبل للدكتور العشماوي.

البعد الافقي والبعد العمودي لكل حضارة:

إنّ من الخطأ أن نفهم المجتمع والحضارة الإنسانية في البعد السطحي فقط، وأن يغيب عنّا البعد العمودي الذي يعتبر المصدر والأساس لأيّة حضارة.

فليست الحضارة- بالتأكيد- هي مجموعة التفاعلات الاجتماعية التي تحدث على مقطع زمني خاص وعلى السطح المرئي من الحضارة فقط.. وإنّما هناك من وراء هذا السطح المرئي من الحضارة الأعماق غير المرئية فيها.

وفي ضوء هذا الارتباط السببي بين الماضي والحاضر في المقاطع الزمنية المتعدّدة والتفاعل بين عناصر الحضارة الواحدة في المقطع الزمني الواحد نستطيع أن نفهم الحضارة.

التبادل والتفاعل بين عناصر الحضارة الواحدة:

ففي المقطع الزمني الواحد نجد أن عناصر المجتمع الواحد متكاملة مع بعضها في تأثير وحركة متبادلة. فالمدرسة تؤثر في العائلة تأثيراً قويّاً، كما أن العائلة تؤثر في المدرسة، ولا نستطيع أن نفهم عناصر الحضارة الواحدة إذا لم نفهم هذا التاثير المتبادل والمتقابل بين عناصر الحضارة الواحدة وفي مقطع زمني واحد.

الأعماق الحضارية:

وبمقياس أقوى وأبلغ يكون تأثير الماضي في الحاضر في سلسلة مترابطة الحلقات من الأسباب والعلل.

فمبعث رسول الله صلى الله عليه وآله مثلاً في القرن السادس الميلادي له تأثير بليغ، وفوق حدود التصوّر في كل مراحل حضارتنا خلال القرون الأربعة عشر التي مرّت على هذه الأمّة.

ولا يمكن عزل هذا الحادث الكَونيِّ الكبير عن كل مراحل تاريخنا وحضارتنا، وليس من الممكن أن تكون أيّة شريحة من شرائح هذه الحضارة معزولة عن هذا السبب، أو نفهم أيّة شريحة من حضارتنا بمعزل عنه.

والكلام نفسه يصدق في معركة بدر (يوم الفرقان) ويوم الأحزاب وفتح مكّة وواقعة الطّف، وهكذا..

إنّ لكل واحد من هذه الأحداث وغيرها، دوراً تأسيسياً في بناء هذه الحضارة، وليس في الإمكان أن تتكوّن هذه الحضارة بكل خصائصها القائمة فعلاً، بمعزل عن العوامل التاريخية، وغيرها من العوامل، كما ليس من الممكن أن نفهم هذه الحضارة بمعزل عن هذه العوامل وغيرها من العوامل التي ساهمت في بناء وتكوين تاريخنا ومجتمعنا.

وكلّما يزداد هذا العمق كلّما تزداد قيمتُهُ الحضارية في بناء المجتمع، فالمجتمع الذي تمتد جذوره آلاف السنين، يتمتّع بقوّة وصلابة أكثر من المجتمع والحضارة التي تكوّنت في عدّة مئات من السنين فقط.

ذلك أن هذا العمق التاريخي البعيد يعتبر تراكماً كبيراً من الأسباب والعلل من وراء المقطع الحضاري الذي نعاصره.

فقد يكون من السهل أن يتجاوز الإنسان الظروف السياسية التي تكوّنت في عصره من الحب والبغض والولاء والبراءة والأخلاق والسلوك والتصوّرات، ولكن من الصعب جداً- ولا أقول من المستحيل- أن يتجاوز الإنسان الحب والبغض الذي تكوّن خلال ألف سنة من الزمان.

فإنّ مرور هذه الحقبة التاريخية الطويلة على هذه الحضارة يكسبها الكثير من الصلابة والثبات، ممّا يجعل من الصعب جداً أن يتجاوزها الإنسان، وهذا هو (الميراث الحضاري)، الذي نتحدّث نحن عنه في هذه الدراسة.

عراقة الميراث الحضاري:

كلّما يطول الزمن فالظاهرة الحضارية تزداد تأصّلاً وعراقة وعمقاً في وجود الأمّة، وتتمتّع بقوّة واصالة وقدرة أكثر على مواجهة التحدّيات.. ولذلك فإنّ التاريخ تراكم من العمل والجهد والتبنيّ، وكلّما يكون التاريخ أطول يكون الجهد والعمل المبذول في تبيين أيّة ظاهرة اجتماعية أكثر.. ونتيجة لذلك تكون الظاهرة الاجتماعية أقوى وأثبت وأكثر أصالة وعمقاً ومتانة، وأقوى على مواجهة التحدّيات.

فـ (الصلاة) مثلاً ظاهرة حضارية عميقة الجذور في التاريخ، وميراث

حضاري عريق في الأجيال تنتقل من جيل إلى جيل، وكلّما يمرّ علينا زمن أطول تزداد أصالة وثباتاً وعمقاً في حياة الإنسان.

فالعراقة التي نجدها نحن في حياتنا اليومية للصّلاة، والجاذبية التي نجدها في نفوسنا للصلاة ليست حصيلة جهد وعمل فردي، وفي مقطعٍ زمني خاص، وإنّما هي حصيلة جهود وأعمال كبيرة عبر التاريخ في تبنيٍ الصلاة وإقامتها والدعوة إليها وتأكيدها وترسيخها، وهذه الجهود جميعاً تتمثّل اليوم في (الصلاة) التي نفهمها نحن في بيوتنا أو في مساجدنا.

و(الحج) ظاهرة حضارية وميراث حضاري، ورثناه نحن من أبي الأنبياء إبراهيم خليل الرّحمن (عليه السلام).

ولهذه الظاهرة الحضارية عراقة، وعمق خاص، وأصالة في حياتنا وجاذبية خاصّة في نفوسنا، فإذا حان وقت الحج توجّه مئات الآلاف من المسلمين، من كلّ فجٍّ عميق، رجالاً وعلى كلّ ضامر إلى البيت العتيق لأداء فريضة الحج.

يقول تعالى لعبده وخليله إبراهيم(عليه السلام):

﴿وأذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتين من كلّ فجٍّ عميق﴾ (الحج/ ٢٧).

التبنّي الجمعي والعمق الحضاري لفريضتي الصلاة والحج:

وما دمنا نتحدّث عن (الصلاة) و(الحج) كمثالين للظواهر والمواريث الحضارية.. فلا بأس أن نقف وقفة قصيرة عند هاتين الظاهرتين الربانيّتين في حياة الإنسان، فنقول: إنّ القيمة والفاعلية والجاذبية التي تملكها هاتان الفريضتان في حياتنا تعود إلى أمرين اثنين:

الجهد الجمعي الكبير المبذول في إقامة هاتين الفريضتين في المقطع الزماني الواحد، في اجتماعات كبيرة وحاشدة، ولا شكّ أن هذا الجهد والاهتمام الجمعي بهاتين الفريضتين من قِبَل الملايين من المسلمين ينعكس في الصلاة والحج بشكل واضح، ويكسب هاتين الفريضتين هذه الجاذبية والتعاطف والقيمة

والفاعلية في نفوس جماهير المؤمنين، وإلى جنب هذا البعد، هناك بعد آخر للصلاة والحج، وهو البعد التاريخي الذي تحدّثنا عنه.. فإنّ الإقامة الطويلة للصلاة والحج والممارسة التاريخية الطويلة لهاتين الفريضتين عبر القرون، تمنح هاتين الفريضتين قيمة كبيرة وفاعلية وجاذبية خاصّة، وهذا هو الذي نقصده من كلمة (الميراث).

ولهذا السبب يؤكد الإسلام تأكيداً كبيراً على الإهتمام بالإطار الاجتماعي (البعد الاوّل) وبالإطار التاريخي (البعد الثاني) للفرائض.

الإطار الاجتماعي للشعائر الإسلامية:

ففي الإطار الاجتماعي وهو الإطار الأوّل يتفاعل الفرد – تفاعلاً قويّاً- مع الجوّ الاجتماعي تقام فيه الفريضة.. فإن الصلاة جماعة وجمعة لها تأثير متقابل في نفوس المصلّين. والفرد الذي يقيم الصلاة في وسط حاشد من جماعة المسلمين يكتسب من حضور الآخرين اندفاعاً وقوّة وإقبالاً على فريضة الصلاة وتفاعلاً معها، في الوقت الذي يكسب الآخرين بحضوره نفس الاندفاع والقوّة والتفاعل والإقبال.

وهذا التعاطي والتبادل المتقابل من قبل المصلّين يكسب الصلاة في نفوس الجميع أصالة وثباتاً وقوّة وجاذبية.

ولعلّ الاهتمام بالجمعة والجماعة في الإسلام من هذا المنطلق، ورغم أن الانفراد والخلوة في ذكر الله تفيد الإنسان في الإقبال على الذكر كثيراً.. رغم ذلك تفضل الشريعة إقامة الصلاة جماعة على الصلاة فرادى وتؤكدها، حتى روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا صلاة لمن لا يصلّي في المسجد مع المسلمين إلاّ من علّة".[1]

وروي عن الصادق(عليه السلام): "أنّ أُناساً كانوا على عهد رسول الله ﷺ أبطأوا عن الصلاة في المسجد، فقال رسول الله ﷺ: ليوشك قوم يدعون

[1] علل الشرائع للصدوق، ص ٣٢٥، ووسائل الشيعة، ج٥، ص٣٧٧.

للصلاة في المسجد أن نأمر بحطب ليوضع على أبوابهم، فتوقد عليهم نار، فتحرق عليهم بيوتهم".[1]

والجماعة بحكم هذا التأثير المتبادل الذي يتركه كل واحد من الجماعة في الآخرين ليس كمية عددية فقط تساوي مجموعة الأفراد، وإنّما يتحوّل هذا الكم إلى كيف خاص تعبّر عنه الرواية بـ (يد الله)، فالجماعة ليست فقط مجموعة الافراد وإنّما تساوي (مجموعة الأفراد+ يد الله).

يد الله على جماعة المسلمين:

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "يد الله على الجماعة، والشيطان مع من خالف الجماعة".[2]

ويد الله هنا هي القوّة والبركة والرحمة، فعندما يجتمع جمع من المؤمنين تنزل عليهم رحمة الله وبركاته، ويمنحهم الله القوّة والرحمة.

وهذا هو ما ذكرناه من أن الممارسة الاجتماعية للفرائض الإسلامية تمنح الفرائض الإسلامية كثيراً من الجاذبية والقوّة والصلابة والأصالة، وتشدّ الناس إلى هذه الفرائض شدّاً نفسياً وعاطفياً قوياً.. وهذا هو بعض السرّ في قوّة وجاذبية فريضة الحج التي تجتذب الناس من كل فجّ عميق إلى هذا الوادي غير ذي الزرع حول بيت الله الحرام.

وبنفس المعيار يصحّ القول أن هذه التجمّعات القائمة على ذكر الله تعالى وتقوى الله تمنح الإنسان تقوى وعصمة، وتعصم عن الشطط والزيغ والضّلال، وتعتبر الحصن الذي يحصّن المؤمن من عدوان الهوى والشيطان.

فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "يد الله على الجماعة، فإذا اشتذّ الشاذّ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذئبُ الشاةَ الشاذّةَ من الغنم".

وهذا هو الإطار الأوّل (الاجتماعي) (الأُفقي) للصلاة والحج.

---

[1] التهذيب للشيخ الطوسي، ج ٣، ص ٢٥.

[2] كنز العمّال، الحديث ١٠٣١.

الإطار التاريخي للشعائر الإسلامية:

والبعد الآخر للشعائر والفرائض الإسلامية هو البعد التاريخي (العمودي)، ولهذا البعد تأثير كبير في تعميق العبودية والاقبال على ذكر الله تعالى في حياة الناس.

ولهذا الأمر يهتم القرآن كثيراً بالبعد التاريخي للصلاة والإيمان والدين، يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لكم من الدِّين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى: أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه﴾ (الشورى/١٣).

﴿قولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا، وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيّون من ربّهم﴾ (البقرة/ ١٣٦).

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة، وكلاً جعلنا صالحين. وجعلناهم أئمّة يهدون بأمرنا، وأوحينا إليهم فعل الخيرات، وإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة وكانوا لنا عابدين﴾[الأنبياء/٧٢ – ٧٣].

وانطلاقاً من هذا التصوّر للتاريخ والميراث، نقول: إنّ حج إبراهيم(عليه السلام) له تأثير في حجّنا، وصلاة موسى وعيسى عليهما السلام لها تأثير في صلاتنا، ودعوة نوح (عليه السلام) لها تأثير مباشر وغير مباشر على دعوتنا إلى الله تعالى، وإنّ جهاد الحسين عليه السلام في كربلاء وواقِعة الطّف له تأثير مباشر على مسيرتنا ودعوتنا ومواجهتنا اليوم لطواغيت عصرنا، وإنّ أجزاء هذه المسيرة الواحدة من آدم ونوح عليهما السلام إلى اليوم الحاضر أجزاء مترابطة متماسكة، السابق منه يدعم اللاّحق، واللاحق منه يرث السابق.

وعلى هذه المسيرة، تنتقل القيم والتراث، والولاء والبراءة، والحب والبغض، والتصوّرات والأخلاق من جيل إلى جيل.

وحدة المسيرة ووحدة المعاناة ووحدة الثواب:

ومن أروع ما في التصوّر الإسلامي للميراث ووحدة المسيرة: أنّ الأجيال اللاّحقة لا ترث فقط المواريث الحضارية من الأجيال السابقة، فتشاركها في إقامة

الصلاة وإيتاء الزكاة وأداء الحج، وإنّما تشاركها أيضاً في ثواب معاناتها وعنائها الطويل في الصراع من الكفر والنفاق لإقامة هذه الفرائض الإسلامية وتثبيتها.

فقد تحمّل سلفنا الصالح على هذا الطريق الكثير من العناء والمعاناة في الصراع مع الطاغوت لإقامة هذه الفرائض وتثبيتها وتعبيد الإنسان لله.

ونحن (الوارثون) لا تنتقل إلينا فقط هذه القيم والمواريث (العبودية والإيمان والصلاة) من سلفنا، وإنّما إلينا أيضاً ثواب معاناتهم وصبرهم وعنائهم دون أن يكون لنا فعل وتحمّل من هذه المعاناة والعناء.

والجسر العجيب الذي ينتقل عليه هذا الثواب والأجر من دون معاناة وعناء، ويشرك أُناساً في ثواب أُناس آخرين سبقوهم هو الولاء والحب.

وعجيب أمر هذا الولاء والحب، فهو يوحّد أطراف هذه المسيرة المتباعدة، ويجعلها قطعة واحدة، ويشرك اللاّحق في ثواب السابق ويجعل السابق مورداً ومعيناً للاّحق، وهذا هو البعد الثالث (المستقبليّ) لمسيرة الدعوة إلى الله.

روى الحكم بن عيينة، قال: لمّا قتل أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج يوم النهروان، قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين: [طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف، وقتلنا معك هؤلاء الخوارج فقال أمير المؤمنين عليه السلام[1] والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، لقد شَهِدنَا في هذا الموقف أُناسٌ لم يخلق الله آباءهم، ولا أجدادهم بعد، فقال الرجل وكيف يشهدنا قوم لم يُخلقوا!؟ قال: بلى قوم يكونون في آخر الزمان، يشركون فيما نحن فيه، ويسلّمون لنا، فأولئك شركاؤنا فيما كنّا فيه حقّاً حقّاً.[2]

وروى محمد بن سلمة، رفعه قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: إنّما يجمع الناس الرضا والسخط، فمن رضي أمراً فقد دخل فيه ومن سخطه فقد خرج منه.[3]

---

[1] ما بين المعقوفتين زيادة من المصدر.

[2] المحاسن، ص٢٦٢.

[3] المصدر نفسه.

وعن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله الصادق(عليه السلام) قال: لوأنّ أهل السماوات والأرض لم يحبّوا أن يكونوا شهداء مع رسول الله صلى الله عليه وآله لكانوا من أهل النار.[1]

وروى أبو جعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري في كتابه (بشارة المصطفى)، عن عطيّة العوفي، قال: خرجتُ مع جابر بن عبد الله الأنصاري زائِرَيْن قبر الحسين عليه السلام، فلمّا وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات، فاغتسل ثمّ ائتزر بأزار وارتدى بآخر، ثمّ فتح صرّة فيها سعد فنشرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلاّ ذكر الله تعالى، حتى دنا من القبر. قال: ألمسنيه، فألمسته، فخرّ على القبر مغشيّاً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء فلمّا أفاق، قال: يا حسين ثلاثاً. ثمّ قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثمّ قال: وأنّى لك الجواب وقد شُخِبت أوداجك على أثباجك، وفُرِّق بين بدنك ورأسك، فاشهد أنّك ابن خاتم النبيّين، وابن سيد الوصيين وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكِساء وابن سيِّد النقبا، وابن فاطمة سيِّدة النساء، وما لك لا تكون هكذا، وقد غذّتك كفّ سيِّد المرسلين، وربِّيت في حجر المتّقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام. فطبت حيّاً وطبت ميّتاً، غير أنّ قلوب المؤمنين غير طيِّبة لفراقك، ولا شاكّة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، واشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريّا. ثم جال بصره حول القبر وقال:

السّلام عليكم – الشهداء من أصحاب الحسين وأهل بيته- أيّتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين، وأناخت برحله، واشهد أنّكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزّكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتّى أتاكم اليقين. والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لقد شاركنا فيما دخلتم فيه.

قال عطيّة: فقلت له يا جابر، كيف ولم نهبط وادياً، ولم نعلُ جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فُرِّق بين رؤوسهم وأبدانهم وأُوتمت أولادهم وأُرملت أزواجهم.

---

[1] المصدر نفسه.

فقال: يا عطيّة، سمعتُ حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحبّ قوماً حُشِرَ معهم، ومن أحبّ عمل قوم أُشرك في عملهم، والذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحق إنّ نيّتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه عليه السلام.[1]

المواريث الحضارية والمواريث المدنية:

إنّ ما يقال عن الظواهر الحضارية كـ (الصلاة) و(الحج) و(التقوى) و(الإيمان) و(العفاف).. يقال عن الظواهر المادية للحضارة كـ (المسجد) و(المنبر) و(المدرسة) وغير ذلك من الظواهر والأدوات المادية للحضارة، أو ما يطلق عليها أحياناً - بـ (المدنيّة) في مقابل (الحضارة).

فإنّ لهذه الظواهر المادية أيضاً ابعاداً اجتماعية وتاريخية، كما للظواهر الحضارية، وكلّما تتّسع أبعادها الاجتماعية، وتتعمّق أبعادها التاريخية، تزداد اصالة وعمقاً ورسوخاً في ضمير الأُمّة.

فـ (المساجد) مثلاً تمتلك عمقاً تاريخياً في حياة هذه الأُمّة، وهذا العمق التاريخي يمنح (المسجد) قيمة خاصّة في حياتنا الاجتماعية ومركزاً حسّاساً يجعل من الصعب تجاوزه أو تحدّيه من قِبَل أعداء الإسلام.

وهذه القيمة والأصالة والرسوخ في ضمير الأُمّة هي التي حفظت المساجد في تاريخ العدوان على الأمّة وتراثها من اعتداء المعتدين.

وهكذا (الحجاب) للمرأة المسلمة، تمتلك بفضل هذا العمق التاريخي قيمة كبيرة واحتراماً في ضمير الأُمّة، كما تضفي احتراماً خاصّاً على شخصية المرأة.

وسوف نرى أن العمق التاريخي لهذه الظواهر المادية تجعل منها قلاعاً تحمي وتحصّن الكثير من القيم الحضارية في الأُمّة وتحميها من الاعتداء.

فالحجاب يحمي العفاف عند المرأة المسلمة..

والمسجد والمنبر يحميان الصلاة.. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحركة والثورة الثقافية الإسلامية..

---

[1] بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، ص ٧٤- ٧٥، النجف ١٣٨٣ هـ.

وللمحافظة على هذه القيم الحضارية ينبغي أن نحافظ على الأدوات المادية لهذه الظواهر، وأحياناً نحرص على إبقائها على شكلها وهندستها الخاص.

فنحافظ على العمارة التقليدية للمساجد، وعلى التصميم التقليدي للمنابر، وعلى الصورة التقليدية المعروفة للمصاحف في طباعة المصاحف.

وبهذا الترتيب، نحرص على المحافظة على الوسائل المادية للحضارة الإسلامية – قدر الإمكان- على صورتها التاريخية التي تتمتّع باحترام وتقدير خاص في ضمير الأُمّة.[1]

وهذا بعض سرّ قوّة المواريث الحضارية في حياتنا، وفشل أعداء الإسلام في إزالة هذه المواريث من الحياة.

فليس الجهد الذي بذله أعداء الإسلام في القضاء على الفرائض الإسلامية كالصلاة والحج باليسير، وليس الجهد الذي بذلوه للقضاء على الشعائر والشعارات والأعراف الإسلامية كالحجاب ومجالس عزاء الحسين والتحيّة والسّلام، بالشيء الهين.

فقد استخدم أعداء الإسلام كل الوسائل الممكنة من إغراء وإرهاب وترغيب لاجتثاث هذه الأُمّة من جذورها وتمييع أصالتها ومسخ شخصيتها الحقيقية واستيراد الأفكار والتصوّرات والظواهر الحضارية الشرقية والغربية من هنا وهناك.. ولكنّ هذه الأعمال كانت تبوء غالباً بالفشل، ولا يجني منها أصحابها إلاّ القليل.

لقد بذل الشاه رضا خان بهلوي في إيران، ومصطفى كمال أتاتورك في تركيا، جهداً ليس بالقليل في مكافحة المواريث الإسلامية كالصلاة والحج، وحتى أنّ رضا بهلوي منع الحج بحجّة أو بأُخرى لعدّة سنوات وحارب الحجاب وألزم النساء المؤمنات بالسفور وحارب شعائر العزاء الحسيني الذي يمارسه المسلمون

---

[1] ينبغي ألاّ يُساءُ فهم هذه الجملة وتفسيرها بما لا يريد الكاتب. لأن المقصود بهذا الكلام المحافظة على الصور التي تختزنها ذاكرة الأُمّة، وتتمتّع باحترام وتقدير خاص في ضمير الأُمّة والاستفادة من هذه الصورة في تحصين القيم الحضارية الإسلامية وحمايتها.

الشيعة في كلّ اقطار العالم الإسلامي. لكنّ بهلوي أخفق في تحقيق أكثر طموحاته، واستعادت الأُمّة رشدها ووعيها وارتباطها الرسالي التاريخي بالإسلام، وسرعان ما طهّرت ساحة البلاد من مخلّفات بهلوي ونظامه. ومن أسباب ذلك هو عراقة هذه الظواهر الحضارية في تاريخ الأُمّة.

مواقع الثورة والمناعة في حياة الأُمّة:

إنّ هذه النقاط (المواريث الحضارية) تعتبر نقاط القوّة ومراكز المناعة في حياة الأُمّة، وتشبه تماماً الجذور العميقة التي تحفظ الشجرة الباسقة من السقوط.

إنّ هذه الجذور هي التي تمد الشجرة بالغذاء والماء، وتحفظ الشجرة من السقوط.. كذلك المواريث الحضارية، تعتبر الجذور والامتدادات العميقة التي تحفظ الأُمّة وتمنحها المناعة وتحصّنها ضدّ الغزو الأجنبي.[1]

وفي تأريخنا السياسي المعاصر، كلّما تحرّك أعداء الإسلام لغزو المنطقة الإسلامية فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً، اصطدموا بواحد من هذه المراكز (مراكز القوّة والمناعة في حياة الأُمّة)، وتراجعوا أمامه.

---

(١) روى أحد العلماء عن بعض السياسيين، أنّ الانجليز كانوا مندفعين بقوّة للقضاء على الإسلام في إيران، وكانوا يعملون لاستبدال الحضارة الإسلامية في إيران في عهد رضا بهلوى (والد محمد رضا شاه، آخر ملوك إيران والذي أطاحت به الثورة الإسلامية) بالحضارة الغربية وربط البلد بعجلة الحضارة الغربية بشكل كامل.. ولمّا توفيّ المرجع الديني الإمام السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله – أحد كبار مراجع التقليد في النجف الأشرف- أحدثت وفاته هزّة عميقة في كل إيران، ولبست إيران الحداد أربعين يوماً لوفاة هذا العالم الجليل، وأقيمت له مجالس العزاء على مساحة واسعة جدّاً في إيران.. فبدأ الانجليز يراجعون حساباتهم من جديد في إمكان القضاء على الإسلام بشكل كامل، في بلد يهتزّ من أقصاه بهذا الشكل القوي العنيف لرحيل عالم من علماء الإسلام، فكيف يمكن القضاء على الإسلام، واجتثاث جذوره من قلوب وصدور هذه الأُمّة.

يقول هذا السياسي، وهو كان من المرتبطين بعجلة الاستكبار الغربي، إنّ حادث وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله أثّر في تخفيف الضغط المناوئ للإسلام من قبل الانجليز على إيران لفترة من الوقت.

فقد احتّل العدو القلاع والحصون والقواعد العسكرية الضخمة.. ولكنّه عندما اصطدم بالمسجد اضطر للتراجع والانسحاب. وقد احتّل العدو الإذاعة والتلفزيون والصحافة، وأخضعها جميعاً لحركة التغريب، ولكنه عندما اصطدم بصخرة المنبر والحوزات والمدارس الدينية والمساجد والأذان والصلاة ومجالس العزاء الحسيني، اضطّر للتراجع والانسحاب، والسرّ كلّ السرّ في هذه القوّة، هو الامتداد التاريخي لهذه المواريث الحضارية والمدنية في ضمير الأُمّة، ما يجعل من الصعب جداً مداهمة هذه المراكز من قِبَل الأعداء واحتلالها والقضاء عليها.

المحافظة على المواريث الحضارية:

ومن هذا المنظور، يجب علينا نحن الدّعاة إلى الله تعالى، المحافظة على هذه المواريث الحضارية في حياة الأُمّة، وحمايتها وتبنّيها لتحصين شخصية الأُمّة وتثبيتها، والمحافظة على أصالتها وعراقتها.

وبعكس ذلك: فإنّ تعريض المواريث الحضارية العريقة للإهدار والضياع، يعرِّض شخصية الأُمّة للمسخ والضّياع.

ففي سورة مريم، بعدما يستعرض القرآن الكريم شطراً من قصّة إبراهيم واسحاق ويعقوب وموسى واسماعيل وادريس (عليهم السلام)، يقول تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله:

﴿أُولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيّين من ذرّيّة آدم وممّن حملنا مع نوح ومن ذُرّيّة إبراهيم وإسرائيل وممّن هدينا واجتبينا إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سُجّداً وبُكيّاً * فَخَلَف من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصّلاة واتّبعوا الشهوات فسوف يَلقون غَيّاً﴾[مريم ٥٨ - ٥٩].

هذا الخلف الذين يذمّهم القرآن الكريم، هم الذين أضاعوا الصلاة – ميراث الآباء والسّلف - واتّبعوا الشهوات، وينذرهم القرآن بأنّهم سوف يلقون غيّاً.

إنّ من الناس من يحفظ الأمانة في مواريث السلف، ويستلمها ويحافظ عليها من الضياع والدّس والانحراف، ثمّ يسلّمها إلى الخَلَف الذين يلونهم من الجيل الجديد.. وهؤلاء هم الخلف الصالح للسلف الصالح وحملة الأمانة، الذين يصلون الرّحم، ولا يقطعونه. ومن الناس من لا يحفظون الأمانة والعهد،

وتضيع على أيديهم مواريث السلف.. هؤلاء هم الذين تعنيهم الآية الكريمة: ﴿فخلفَ من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصّلاة﴾.

إنّ من الناس من يكون جسراً بين جيلين، جيل سابق عليه وجيل يلحقه، ينقل مواريث الصالحين من الآباء والأسلاف إلى الجيل الذي يلي جيله.. وهؤلاء هم الأُمناء.

ومن الناس من يشكّل فجوة وقطيعة وحاجزاً بين جيلين، الجيل السابق والجيل اللاحق، فيفصل هذا الجيل عن ذلك الجيل، ويقطع الخلف عن السلف، وهذه القطيعة هي أبرز صور الخيانة والعقوق وقطيعة الرّحم.

السنّة والبُدعة:

وقد ورد التعبير في النصوص الإسلامية عن حالتي الارتباط بالسّلف والقطيعة اللّتين تحدّثنا عنهما بالعمل بـ (السنّة) و(البُدعة).

فالعمل بالسنّة هو الارتباط السلوكي بالسّلف الصالح وحالة الاقتداء والتبعيّة الواعية.. وفي مقابل (البُدعة) وهي حالة القطيعة عن السّلف وقطع الجسور، والانحراف عن مسيرة السّلف الصالح إلى الأنماط الجاهلية المستحدثة والقديمة.

إنّ الاهتمام الكبير في النصوص الإسلامية بمسألة السنّة ينشأ من هذه النظرة بالذات ويعبّر عن اهتمام الإسلام بربط الأجيال المتعاقبة بميراث الأنبياء والمرسلين من السّلف الصالح، وشدّهم بهذا الرباط السلوكي بالأنبياء والأولياء والصالحين من سلفنا.

والقرآن الكريم يدعو المسلمين إلى التأسّي بالأنبياء والمرسلين بشكل عام، وبابي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وبخاتم الأنبياء رسول الله صلى الله عليه وآله بشكل خاص:

﴿لقد كان لكم فيهم أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله﴾ (الممتحنة/٦).

﴿قد كانت لكم أُسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾ (الممتحنة/٤).

﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (الأحزاب/٢١).

وقد روي عن رسول الله ﷺ:

"عمل قليل في سُنّة خير من عمل كثير في بُدعة".[1]

وعن رسول الله ﷺ:

"لا يُقبلُ قول إلاّ بعمل ولا يقبل قول وعمل ونيّة إلاّ بإصابة السنّة".[2]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

"سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليكم بالسنّة فعمل قليل في سنّة خير من عمل كثير في بُدعة"[3]

وعن رسول الله ﷺ يقول:

"من تمسّك بسنّتي في اختلاف أُمتي كان له أجر مائة شهيد".[4]

وعن عليّ بن مهزيار، عن منصور بن أبي يحيى، قال: سمعتُ أبا عبد الله الصادق(عليه السلام) يقول: "صعد رسول الله ﷺ المنبر فتغيّرت وجنتاه والتمع لونه، ثمّ أقبل بوجهه فقال: يا معشر المسلمين، إنّما بُعثتُ أنا والسّاعة كهاتين، ثمّ ضمّ السبّاحتين".[5]

ثم قال: يا معشر المسلمين، إنّ أفضل الهدى هدى محمّد ﷺ، وخير الحديث كتاب الله، وشرّ الأُمور محدثاتها. ألا وكلّ بُدعة ضلالة، ألا وكلّ ضلالة ففي النار".[6]

وعن رسول الله ﷺ:

"في القلب نور لا يضيء إلاّ من اتباع الحق وقصد السبيل، وهو نور من

---

(1) بحار الأنوار، ج ٢، ص٢٦١.
(2) بحار الأنوار، ج٢، ص٢٦١.
(3) المصدر السابق، ص ٢٦٢.
(4) المصدر السابق، ص ٢٦٢.
(5) السبّاحة: الاصبع التي تلي الإبهام.
(6) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٦٣.

المرسلين الأنبياء يودع في قلوب المؤمنين.[1]

وعن ابن حميد، رفعه قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين فقال: أخبرني عن (السنّة) و(البُدعة) وعن (الجماعة) وعن (الفرقة):

فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

"(السنّة) ما سنّ رسول الله، و(البُدعة) ما أُحدث من بعده، و(الجماعة) أهل الحق وإن كانوا قليلاً، و(الفرقة) أهل الباطل وإن كانوا كثيراً".[2]

وعن موسى الكاظم عليه السلام:

"ثلاث موبقات: نكث الصفقة، وترك السنّة، وفراق الجماعة".[3]

وفي النصّين الأخيرين تتبيّن أبعاد التلاحم العضوي الوثيق في بناء الأُمّة في الارتباط بمنابع التشريع (السنّة) والارتباط بالقيادة (البيعة) والارتباط العضوي بالأُمّة (الجماعة).

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

"رحم الله خلفائي فقيل يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يُحيُونَ سنّتي ويعلّمونها عباد الله".[4]

والارتباط بين الخلافة والسنّة يلفت النظر في هذا الحديث، فالخلافة تتحقّق باتّباع سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

"أمّا بعد فإنّ خير الأُمور كتاب الله، وخير الهدى هدى محمّد صلى الله عليه وآله، شرّ الأُمور محدثاتُها، وكلّ بُدعةٍ ضلالة".[5]

---

(1) بحار الانوار، ج ٢، ص ٢٦٥.
(2) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٦٦.
(3) بحار الأنوار، ج٢، ص٢٦٦.
(4) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥.
(5) سنن ابن ماجه، ج١، ص ١٧، الحديث ٤٥.

وعنه ﷺ:

"من أحيا سنّة من سنّتي فعمل بها الناس كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة فعمل بها كان عليه أوزار من عمل بها، لا ينقص من أوزار من عمل بها شيئاً".[1]

وكأن الذي يبتدع في الدين ويقطع الأجيال اللاّحقة عن اتّباع السنّة، يتحمّل وزر كل الذين ينقطعون عن المسيرة والخط، دون أن ينقص من أوزارهم شيء.

بين التقليد والثوابت:

يلاحظ كثيراً: أنّ بعض علماء الاجتماع يضعون علامة الاستفهام أمام حالة النزوع إلى السنّة ورفض البدع في الأديان، وبشكل خاص في الإسلام، ويفسرون هذه الحالة بالنزوع إلى القديم والميل إلى التقليد، ورفض التجديد والتحرّك.

ومن هذه الزاوية يدرجون المجتمعات الدينية في قائمة المجتمعات المحافظة والجامدة التي ترفض التحرّك والتجديد والتطوّر، في قبال النوع الآخر من المجتمعات، وهي المجتمعات التي تتّسم بالحركيّة وترفض الجمود على القديم والركود والتقليد.

يقول الباحثان الاجتماعيان (W. F. Ogburn) و (M.F.Nimokoff):

المجتمعات الجامدة- بعكس المجتمعات الحركية- لا تستجيب للتحوّلات الاقتصادية. وترفض التجديد، ولا تقبل التحوّلات الحضارية. تخضع الحياة في هذه المجتمعات لنظام ثابت تقريباً. والسنن والأعراف تتحكّم في حياة الناس بصورة قاهرة. والانتاج الاقتصادي يجري بصورة تقليدية. ولا تتبدّل التصوّرات والأفكار الدينية والسياسية والاجتماعية. والموقع العائلي والطّبقي والاجتماعي لأي شخص يحدّد دوره الاجتماعي وموقعه في المجتمع وحتّى زواجه وموته. ويستحيل تقريباً التحرّك الاجتماعي، ويتحكّم العرف والتقليد على الأخلاق، ويندر الخروج على القواعد والأعراف والأساليب الحاكمة في المجتمع.. وإذا

---

[1] سنن ابن ماجه، ج١، ص ٧٦.

حدث شيء من ذلك يواجه ردود فعل قويّة معاكسة. الطاعنون في السنّ يشكّلون مصادر السنن والأعراف التقليدية، ويتحكّمون على حركة المجتمع. إنّ البيئة الاجتماعية لا تمارس أي دور تحريكي على الأفراد، ولا تدفعهم إلى الإبداع والتجديد. ويجري كل شيء تقريباً بشكل تقليدي وثابت. حتى الزيّ واللّباس والأكل، يتحدّد شكله بصورة مسبقة. ولا أمل يساور أحداً في أن تتطوّر مثل هذه المجتمعات وتتحرّك للإمام، وتجري في جوّ قائم ثابت غير متطور.

هؤلاء الناس يعيشون للطموحات وللأفراح والمسرّات الصغيرة في مسير حياتهم اليومية، وهم سعداء من ناحية أُخرى بالحياة الأبديّة السعيدة التي ينتظرونها بعد الموت.[1]

إنّ مثل هذا التصوّر عن المجتمعات الخاضعة للسنن، أمر شائع في الكتب الاجتماعية وعلماء الاجتماع – في الغالب- ينظرون إلى المجتمعات المرتبطة بالسننِ والمواريث الحضارية، بهذه النظرة السلبية.

وبطبيعة الحال فإنّ هذا التصوّر يشمل المسيرة الإلهية على وجه الأرض في التاريخ، فإنّ هذه المسيرة مرتبطة بسنن ثابتة تتوارثها جيلاً بعد جيل وتحكمها ضوابط وحدود وأعراف وقيم وأخلاق ثابتة وغير متغيّرة، وتحرص أجيال هذه المسيرة أن لا تنحرف عن الخط والطريق، وأن لا تستبدل المواريث الحضارية التي ورثوها من السّلف، بالأعراف والقيم والتصوّرات الجاهلية التي استخدمها الناس، ويعتبرون أي انحراف عن طريق السّلف، من البُدعة المحرّمة وكل أتباع لمسيرة السّلف الصالح، من السنّة الواجبة والمندوبة.

وهذا التصوّر في حساب هذه الفئة من علماء الاجتماع يُدخِلُ المجتمع ضمن التصنيف المذكور في عِداد المجتمعات الجامدة وغير الحركية.

ولا بدّ أن نشير هنا إلى المفارقة العلمية التي يقع فيها كثيراً من الباحثين من هذا النمط حيث يختلط لديهم حساب الثوابت القائمة في حياة الإنسان بحساب

---

[1] نقلاً عن كتاب (علم الاجتماع) لـ أ.ج.آريان بور، (الترجمة الفارسية)، ص ٤٧٨-٤٧٩.

القديم وتقليد القديم والتقيّد بالقديم.. وهذا الخلط هو سبب المفارقة التي يقع فيها هؤلاء.

إنّ في حياة الإنسان ثوابت لن تتغيّر ولا تخضع لحسابات الزمن. وهذه الثوابت هي الأبعاد الرئيسية للإنسان والقيم الحقيقية لشخصيّة الإنسان، وتجاوز الثوابت لا يؤدّي إلى تطوير حياة الإنسان إطلاقاً، وإنّما يؤدّي إلى مسخ شخصيّة الإنسان وتشويهه. وللمحافظة على شخصية الإنسان بأبعاده الحقيقية، لا بدّ من المحافظة على هذه الثوابت، وقد تكون هذه الثوابت في المحتوى فقط، وقد تكون في المحتوى والشكل معاً.

فالحاجة الجنسيّة من الحاجات الثابتة في حياة الإنسان، وطريقة تصريف هذه الحاجة أيضاً من العناصر الثابتة في حياة الإنسان. فلا يمكن أن يتجاوز الإنسان الحاجة الجنسية من حيث المحتوى والمضمون، كما لا يمكن أن يتجاوز الزواج وبناء العائلة من حيث الشكل. ويصحّ أيضاً في حاجة الإنسان إلى المعاشرة الاجتماعية من حيث المضمون أحياناً فقط دون الشكل، ومن حيث المضمون والشكل أحياناً. ويصحّ أيضاً في الجانب الاقتصادي من حياة الإنسان. وهذه المجموعة من الثوابت تشكّل مجموعة كبيرة وواسعة من الحاجات الأساسية في شخصية الإنسان، لا يجوز للإنسان أن يتجاوزها أو يستبدلها بشكل من الأشكال.. وإنّ أيّة محاولة لتخطّي هذه الحاجات، تجرّ الإنسان إلى أن يتجاوز نفسه.

وهذه الأبعاد الأساسية الثابتة لشخصية الإنسان هي التي ترسمها الأديان الإلهية بالإجمال والتفصيل، ويدعو إليها ويعمل بها الأنبياء والمرسلون وعباد الله الصالحون عليهم السلام، وهي ما أسميناه بالتراث والمواريث والسنن، في مقابل البُدع التي تعبّر عن تجاوز الإنسان للسنن الإلهية الثابتة في حياة الإنسان.

وإزاء هذه الحالة (حالة الالتزام بالثوابت الإلهية في حياة الإنسان)، هناك حالة أُخرى، وهي حالة التبعيّة والجمود على القديم والتهيّب من تجاوز كل شيء قديم، والتعصّب للآباء.

والقرآن الكريم يذمّ هذه الطائفة من الناس:

﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا﴾ (الأعراف/٢٨).

﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾ (يونس/٧٨).

﴿قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أُمّةٍ وإنّا على آثارهم مقتدون﴾ [الزخرف/٢٢].

﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها: إنّا وجدنا آباءنا على أُمّة وإنّا على آثارهم مقتدون❖ قال أولَو جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم؟ قالوا: إنّا بما أُرسلتم به كافرون﴾[الزخرف/ ٢٣-٢٤].

وهذه هي حالة الجمود والتبعيّة والتقليد غير الواعي، وهي تختلف اختلافاً كبيراً عن حالة اتباع السنن الإلهية التي يأمر بها الإسلام، والتي تشكّل العمق الحقيقي للإنسان وأصالته والثوابت الإلهية في حياته.

الثوابت والفطرة والصبغة:

وهذه الثوابت في شخصيّة الإنسان هي التي يعبّر عنها القرآن الكريم بـ (الفطرة) كما يبدو:

﴿فأقم وجهك للّدين حنيفاً فطرة الله التي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ [الروم/ ٣٠].

ويظهر من الآية الكريمة أنّ الفطرة هي مجموعة الخصائص التي أودعها الله تعالى في الإنسان[1] والتي خلق الله الإنسان عليها.. وهذه الخصائص تشكّل الجانب الثابت من شخصيّة الإنسان، وتعقّب الآية الكريمة على ذلك بقوله تعالى: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ أي لا يمكن التلاعب والتغيير والتبديل في خلق الله بشكل من الأشكال.

وإنّما (الدّين) استجابة تشريعية لهذه الحاجات والأبعاد التكوينية الثابتة في شخصية الإنسان، والإنسان عندما يستجيب لسنن الله التشريعية ومنهجه الذي سلكه الأنبياء والمرسلون، يستجيب لهذا الجانب الثابت من شخصيّته.

---

[1] معنى الفطرة: الخلق والإبداع، ومعنى الآية الكريمة على هذا تكون كما يلي: لا تبديل لخلق الله في الكيفيّة والشكل الذي خلق الله تعالى الناس وأبدعهم عليها.

وقد ورد التعبير عن هذه الثوابت في شخصيّة الإنسان في القرآن بـ (صبغة الله): ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ (البقرة / ١٣٨).

وهو تعبير بديع عن الجانب الثابت في الإنسان.

فإنّ الله تعالى قد خلق الإنسان بلونه وصبغته الخاصّة التي ميّزه بها، وهذه الصبغة واللّون الذي يتميّز به الإنسان، من صبغة الله، صبغ بها شخصية الإنسان، والدين هو الآخر، الجانب التشريعي من هذه الصبغة، الذي يتناسق مع الصبغة الإلهية في جانبه التكويني.. وهما معاً، صبغة الله، أحدهما الوجه التكويني لهذه الصبغة والآخر الوجه التشريعي لها، ولذلك فهما متناسقان منسجمان.

ولمّا كانت الأصباغ والألوان الجاهلية التي يصبغون بها حياة الإنسان في الأخلاق والأعراف والقوانين والتصوّرات والرؤى، صبغةً غير صبغة الله فإنها تأتي غير متناسقة وهذه الصبغة الإلهية التي صبغ الله تعالى شخصيّة الإنسان بها في التكوين.

روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال:

"يا عباد الله أنتم كالمرضى، وربّ العالمين كالطبيب، فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب وتدبيره به، لا فيما يشتهيه المريض ويقترحه، ألا فسلّموا لله أمره تكونوا من الفائزين".[1]

ويقول الإمام الصادق(عليه السلام) لمفضل بن عمرو:

"ولكنّه خلق الخلق فعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحهم، فأحلّه لهم وأباحه تفضّلاً منه عليهم لمصلحتهم، وعلم ما يضرّهم فنهاهم عنه وحرّمه عليهم".[2]

٢- القيمة الإيحائية والتربوية للوراثة:

تعطي التربية الإسلامية أهمية خاصّة للوراثة في بناء شخصية الإنسان المسلم، ذلك أنّ تعميق الإحساس بالوراثة للأنبياء والشهداء والصدّيقين،

---

[1] مجموعة ورام، ج ٢، ص ١١٧.

[2] وسائل الشيعة، كتاب الأطعمة والأشربة، ص ٢٣٦، عن المصدر السابق.

والارتباط بهذه المسيرة المباركة، يمنح الإنسان حالة الاستعلاء على الحياة الدنيا وزخارفها، والترفّع عن الهوى والأنا والشهوات.

فإنّ الإنسان إذا عمّق في نفسه الإحساس بالارتباط الأُسري، لا يسمح لنفسه التفريط في الله.

كرامة الأُسرة وموقعها الاجتماعي:

وهذا هو سرّ تأثير الوضع العائلي للإنسان في سلوكه ومعيشته.. فإذا شعر الإنسان بأنّه يرتبط بأكرم أُسرة في حضارة الإنسان، وهي أُسرة الأنبياء عليهم السلام، وأنّه خلف هذه الأُسرة وحلقة الارتباط بين أجيال هذه الأُسرة.. فليس من شكّ أنّ هذا الإحساس يبعث في نفسه قدرة كبيرة على الترفّع على المنكرات والمرديات، ويمنحه القدرة على مكافحة الشهوات والأهواء، ويضعه في موضع الاستعلاء على اللّذّات والشهوات التي حرّمها الله عليه.

إنّ الشعور بالنبوّة والوراثة لأُسرة التوحيد والارتباط بها، يمنح الإنسان إحساساً قويّاً بقيمته التاريخية والحضارية، فلا يفرط في قيمه وموضعه وقدرته. وهذا هو سر اهتمام الإسلام بالأساليب التي تشدّ الإنسان لهذا المحور الحضاري الربّاني.

فالقرآن الكريم يعتبر إبراهيم عليه السلام أباً للمؤمنين﴿ملّة أبيكم إبراهيم﴾. ولا شكّ أنّ هذه البُنوّة ليست هي البنوّة النَسَبيّة، وإنّما هي بنوّة العمل ووراثة العقيدة والرسالة.

وعن هذه البنوّة والانتماء يقول رسول الله صلى الله عليه وآله لسلمان الفارسيّ:

"سلمانُ منّا أهل البيت".

وينفي القرآن الكريم أن يكون آبن نوح عليه السلام من أهله:

﴿إنّه ليس من أهلك. إنّه عمل غير صالح﴾.

و(الأهلية هنا تساوي العمل، والعمل وحده هو الذي يرفع الإنسان، ويضع الإنسان، ويربطه بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وأُسرته من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ويقطعه عنهم، ويجعله في امتداد هذه المسيرة المباركة، ويبتره عنها.

إذن هناك تداعٍ مباشر بين الوراثة والعمل، فالعمل تحقيق الوراثة الصالحة، والإحساس بالوراثة يعدّ الإنسان للعمل الصالح.

ومن هنا تأتي قيمة زيارة الأنبياء والأئمة عليهم السلام بعد وفاتهم وخطابهم بالنصوص الواردة في الزيارات. فإنّ السعي لزيارة الأنبياء والأئمة عليهم السلام يعمّق في نفس الإنسان الإحساس بالارتباط بهم باستمرار، ويغذّي هذا الشعور بصورة مستمرّة. كما أنّ إحياء مناسباتهم يؤدّي دوراً فعّالاً في تحقيق هذه الصلة الروحيّة بين الإنسان المؤمن وهذه المسيرة الحضارية الربّانية المباركة.

وبشكل خاص تؤكد النصوص على زيارة الإمام الحسين عليه السلام سيّما زيارة عاشوراء، وفي كل يوم وذلك للموقع الحسّاس الذي يحتلّه سيّد الشهداء الحسين في هذه المعركة المصيرية بين معسكر الرّحمن ومعسكر الشيطان، ولأجل تعميق الصلة بالموقف الحسيني الشامخ والصلب في كربلاء.

إنّ الذين يحرّفون ويكافحون هذه الشعائر الإسلامية يتعاملون معها بجفاف وبسطحية ظاهرة، وباسم الشريعة.. عليهم أن يدركوا أنّ الارتباط بالأنبياء والمرسلين والأئمة والصالحين عليهم السلام بالوسائل والطرق المشروعة، من المسائل التي يتّخذها الإسلام أداة للتربية وشدّ الإنسان المسلم بالمسيرة الإسلامية الكبرى في التاريخ. ويذكّر القرآن بقصص الأنبياء والصالحين هذا المعنى، بصورة مكثّفة وبتكرار وتأكيد بليغ.

ولا شكّ بأنّ توفير هذا المناخ الحضاري للإنسان المسلم والارتباط بهذا الجو منذ آدم عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، من أهم أهداف القرآن الكريم في التذكير بقصص الأنبياء والصالحين. والإحساس بالوراثة يعمّق شعور الإنسان بالمسؤولية بصورة مؤثّرة وقويّة. ذلك أنّ الإنسان عندما يشعر أنّه جزء لا يتجزأ من مسيرة طويلة ذات جذور بعيدة في التاريخ، يستشعر بمسؤوليّة المحافظة على خط الآباء والأسلاف ومكاسبهم وانجازاتهم وتثمينها ودعمها، ويشعر أنّ عليه مسؤولية نقل هذه الامانة التي استلمها من الجيل السابق إلى الأجيال التي تأتي من بعد، وأنّه حلقة من حلقات هذه السلسلة الطويلة، يربط الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل، والجسر الذي يمتد بين الأجيال ويصل فيما بينها.

إنّ هذه المحاسبة في المواريث يعمّق شعور الإنسان بالمسؤولية، وتبعث في نفسه الغيرة على مواريث السّلف والوفاء لهم والحرص على الأجيال المقبلة، وتشعره أنه جزء لا يتجزأ من سلسلة طويلة ممتدة وليس من حقّه أن يفرّط في هذا الميراث الكبير الضخم الذي ورثه من أسلافه وآبائه الصالحين.

وهذه الحالة تختلف كثيراً ممّا لو كان الإنسان يشعر أنّه لوحده مشروع مستقل، غير مرتبط بمن قبله ومن بعده، وهو كيان قائم بنفسه، ولا يرتبط بمسؤوليّة تجاه الآباء، ولا بمسؤوليّة تجاه الأبناء. وشتّان ما بين هذين الشعورين وما ينشأ عنهما من مواقف.

إنّ النمط الأوّل هو النمط المسؤول من الناس والنمط الثاني هو النمط اللامسؤول من الناس، والإحساس من النوع الأوّل هو الإحساس الذي يبني في نفس الإنسان الشعور العميق بالمسؤولية. والإحساس من النوع الثاني يرفع الإحساس بالمسؤولية عن كاهل الإنسان.

والإحساس من النوع الأوّل يبني في نفس الإنسان شعوراً بأنه جزء من كل مترابط ومتضامن على البُعدين الزماني والمكاني، والإحساس من النوع الثاني يخلق في نفس الإنسان شعوراً بأنه شيء منفصل عن التاريخ وعن المستقبل ولا يحمل أيّ مسؤولية عن الماضي والمستقبل. وإنّما يعيش لنفسه، وفي حدود إطار ذاته وشخصيّته.

وهكذا نجد أنّ الإحساس بالارتباط بالسّلف، يحمي الإنسان عن سلطان الهوى والشهوات، ويمنحه المناعة، ويحصّنه ضدّ الشيطان ووساوسه ووسائله ومكره، ويعطي الإنسان قدرة على الصمود والثبات أمام الضغوط التي يمارسها الطاغوت على المؤمنين لحرفهم عن مسيرة السّلف.

ونذكر هنا بعض الشواهد التاريخية على هذه النقطة.

موقف الحسين عليه السلام من البيعة ليزيد:

لمّا مات معاوية، أرسل يزيد إلى الوليد بن عتبة عامله على المدينة، ليأخذ البيعة من الحسين عليه السلام وعبد الله بن عمر وعبد الرّحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير.

فأرسل الوليد إلى الحسين عليه السلام وابن الزبير منتصف اللّيل، فصار إليه الحسين عليه السلام في ثلاثين من مواليه وأهل بيته وشيعته شاكين الأسلحة ليكونوا على الباب فيمنعوه إذا علا صوته، وبيده قضيب رسول الله صلى الله عليه وآله. ولمّا استقرّ المجلس بأبي عبدالله عليه السلام، نعى الوليد إليه معاوية، ثمّ عرض عليه البيعة ليزيد، فقال الحسين عليه السلام:

"مثلي لا يُبايعُ سرّاً، فإذا دعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم، فكان أمراً واحداً".

فاقتنع الوليد منه، لكن مروان بن الحكم ابتدر قائلاً: إن تركته فارقك الساعة ولم يبايع، لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم، ولكن احبس الرّجل حتى يبايع أو تُضرب عنقه.

فقال الحسين عليه السلام: "يا ابن الزرقاء[1]!! أأنت تقتلني أم هو؟ كذِبتَ وأثمت".

ثم أقبل على الوليد وقال:

"أيها الأمير: إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم. ويزيد رجل شارب الخمور، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يُبايعُ مثله، ولكن نصبح وتصبح وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة".

فأغلظ الوليد في كلامه، وارتفعت الأصوات، فهجم تسعة عشر رجلاً قد انتضوا خناجرهم وأخرجوا الحسين من منزله قهراً.[2]

والذي يتأمّل في الحوار الذي جرى بين الحسين عليه السلام ومروان، يلمس

---

(1) نقل سبط ابن الجوزي في كتابه "تذكرة الخواص" ص ٢١٨ ط النجف، عن الأصمعي، عن ابن اسحاق: إنّ أُم مروان اسمها أُميّة وكانت من البغايا في الجاهلية، وكان لها راية مثل راية البيطار تُعرف بها، وكانت تُسمّى (أم حبتل الزرقاء)، وكان مروان لا يُعرف له أب، وإنّما نُسبَ إلى الحكم كما نُسبَ عمرو إلى العاص.

(2) مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزّاق المقرّم، ص ١٢٧- ١٢٨، نقلاً ملفقاً عن ابن الأثير في الكامل، ج ٤، ص ٦، ومقتل الخوارزمي، ج١، ص ١٨٣، والطبري، ج٦، ص ١٨٩، ومناقب ابن شهر آشوب.

بوضوح خلفيّات كلام كل منهما، إنّ مروان يتسلّح بقوّة الأمير (الوليد) وقدرته على السجن والقتل والبطش: (ولكن احبس الرّجل حتّى يُبايع أو تُضرب عنقه).

وأمّا الحسين عليه السلام فهو يتحدّث عن خلفيّة تاريخيّة ذات جذور راسخة وعميقة وأصالة ويقول: "إنّا أهل بيت النبوّة". من بيت النبوّة وأُسرة رسول الله صلى الله عليه وآله، "ومعدن الرسالة، ومُختلف الملائكة"، والنّبع الصافي للوحي، وللرسالة والنبوّة جذور عميقة في الأُسرة كما أنّ للمعدن جذوراً عميقة في الأرض. "بنا فتح الله وبنا يختم"، وقد فتح الله تعالى الرسالة بهذه الأُسرة وختمها بها. ومن هذه الأُسرة أبو الأنبياء عليه السلام، ومن هذه الأُسرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله. ثمّ يقول: "ويزيد رجل شارب الخمور، قاتل النفس المحرّمة، ومعلن بالفسق"، فالفاصلة بين هاتين الأُسرتين كبيرة، ولا يمكن أن يُصافح الحسين عليه السلام يزيد أو يبايعه ويعترف بإمارتِه، وهو الفاسق المعلن للفسق شارب الخمور وقاتل الأنفس البريئة، "ومثلي لا يُبايعُ مثله".

الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء:

وللحسين عليه السلام كلام آخر في يوم عاشوراء خاطب به جيش عمر بن سعد ننقل منه الجملة التي نريد أن نستشهد بها فقط:

"ألا وإنَّ الدّعيّ ابن الدّعيّ قد ركّز بين اثنتين: بين السِّلّة والذِّلّة، وهيهات منّا الذّلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطَهُرَتْ وأُنوفٌ حميّة ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام".[1]

وما أروع الملحمة والصورة التي يرسمها الحسين عليه السلام، وهو في قلب الأعداء، يوم عاشوراء لهذه المعركة.

---

[1] نقل الخطبة عبد الرزاق المقرّم في مقتله، ص ٢٦٢- ٢٦٣، عن اللهوف للسيد ابن طاووس، ص ٥٤. وابن عساكر في تاريخ الشام، ج٤، ص ٣٣٤، والخوارزمي في المقتل، ج ٣، ص ٦.

إنّه يشخّص أوّلاً العدوّ تشخيصاً دقيقاً، ويشخّص موضعه وأصله ونبعه، إنّه على وجه الدقّة (الدّعي ابن الدّعي)، ولا يحتاج الأمر إلى أكثر من هذا التشخيص والتوضيح، ويصفع الطاغية بهذا الكلام أمام جنده وقوّاته، وهو في قبضتهم، ويعلن أنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ (ويعني به: عبيد الله بن زياد عامل يزيد في الكوفة) يخيّره بين (الذِّلّة) ومبايعة يزيد بن معاوية الفاسق وبين (السِّلّة) البطش والقتل.

ثمّ يعلن موقفه من هذا الخيار الصّعب: و"هيهات منّا الذِّلّة".

يقول لهم إنّ هذا الموقف ليس موقفاً شخصياً يمكن أن يتزلزل أو يخضع للإغراء والوعود أو للضغط والإرهاب، وإنّما هو موقف يفرضه عليه (الله) و(رسوله)، وهذا هو البُعد الأوّل لموقف الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، ينبع من الولاء (لله) و(الرسول) والإيمان بالله والرسول صلى الله عليه وآله.

ثمّ يقول عليه السلام: "والمؤمنون" وهذا هو البعد الثاني للموقف، فالمؤمنون في كل مكان يرفضون له الاستسلام والانقياد للفاسق يزيد بن معاوية ويطلبون منه الثبات والصمود وعدم الخضوع للإغراء والإرهاب.

ثمّ يقول عليه السلام: "وحجور طابت وطهرت وأُنوف حميّة ونفوس أبيّة"، وهذا هو البُعد التاريخي والجذور التاريخية العميقة لهذا الموقف. وكأنّ الحسين عليه السلام يريد أن يقول لجيش ابن زياد في يوم عاشوراء: إنّه ليسَ كسائر الناس؛ خشبة عائمة على مجرى الماء، يأخذه التّيار حيث يتّجه، وإنّما هو جزء من بنيان كبير وعريق وأصيل، يرتبط بالله ورسوله من جانب، ويرتبط بالمؤمنين من جانب آخر، ويرتبط بأُسرة طاهرة نقيّة أبيّة للضيم رافضة للظلم من جانب ثالث، فلا يمكن أن يختار طاعة اللّئام على مصارع الكرام.

محمّد بن أبي عُمير في سجون العبّاسيين:

وأودّ أن أذكر نموذجاً آخر من نماذج الصمود والثبات من تاريخنا من المؤمنين الذين تعرّضوا للفتنة، فحماهم الله تعالى بمواقف آبائهم وأخوانهم الذين سبقوهم في الإيمان والابتلاء وبموقفهم من هذه الأُسرة، فلم يخضعوا للإرهاب

والتعذيب وهو محمّد بن أبي عمير رحمه الله.

كان من خيار أصحاب الإمام موسى بن جعفر الكاظم والإمام الرضا عليّ بن موسى والإمام الجواد محمّد بن علي عليهم السلام، وقد أدركهم جميعاً.

وروى عن الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام. ذكر ابن بطّة أنّ له أربعةً وتسعين كتاباً.[1]

يقول النجاشي:

"روي أنّه حبسه المأمون.. وقيل أنّ أخته دفنت كتبه في حالة استتارها وكونه في الحبس أربع سنين، فهلكت الكتب.. فحدّث من حفظه، وممّا كان سلف له في أيدي الناس. فلهذا أصحابنا يسكنون إلى مراسيله. وقد صنّف كتباً كثيرة".[2]

وقد كان رحمه الله طويل السجود كثير الذِّكر والعبادة. روى الكشي، عن الفضل بن شاذان، قال:

"دخلت العراق فرأيت واحداً يعاتب صاحبه ويقول له: أنت رجل عليك عيال وتحتاج أن تكتب عليهم، وما آمن عليك أن يذهب عيناك لطول سجودك، فلمّا أكثر عليه، قال: أكثرت عليّ ويحك لو ذهبت عينا أحد من السجود لذهبت عين ابن أبي عمير. ما ظنّك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة الفجر فما يرفع رأسه إلاّ زوال الشمس.[3]

ويقول فضل بن شاذان: أخذ يوماً شيخي بيدي وذهب إلى ابن ابي عمير، فصعدنا في غرفة وحوله مشايخ له يعظّمونه ويبجّلونه. فقلت لأبي: من هذا؟

قال: هذا ابن أبي عمير.

---

(1) معجم رجال الحديث لآية الله السيد الخوئي، ج ١٤، ص ٢٨١.
(2) رجال النجاشي، ص ٢٢٩، الطبعة الحجرية.
(3) رجال الكشي، ص ٤٩٤، طبعة النجف.

قلت: الرجل الصالح العابد؟ قال: نعم.[1] وقد ألقى هارون عليه القبض "وضرب ابن أبي عمير مائة خشبة وعشرين خشبة بأمر هارون. تولّى ضربه السندي بن شاهك على التشيّع".[2]

وروى الفضل ين شاذان قال:

"سُعيَ بمحمّد بن أبي عمير إلى السلطان أن يعرف أسامي الشيعة بالعراق فأمره السلطان أن يسميهم فامتنع فجرّد وعلّق بين القفّازين فضرب مائة سوط.

قال الفضل: فسمعت ابن أبي عمير يقول: لمّا ضربت فبلغ الضرب مائة سوط، أبلغ الضرب الألم إليّ، فكدت أن أُسمّي، فسمعت نداء محمّد بن يونس بن عبد الرحمن، يقول: يا محمّد بن أبي عمير: اذكر موقفك بين يدي الله تعالى، فتقوّيت بقوله وصبرت، ولم أخبر، والحمدلله".[3]

والإنسان العامل عندما يشعر أنّه جزء لا يتجزأ من مسيرة متّصلة بعيدة الأغوار في التاريخ، ممتّدة على امتداد الزمان، لا يشعر بالفشل والانكسار والضّعف.

فإنّ الفشل يصيب الإنسان، إذا كان لوحده مشروعاً قائماً بالذات، يموت العمل بموته، ويعيش بحياته، وينجح بنجاحه، ويسقط بفشله. وأمّا حينما يكون الإنسان جزءاً من مسيرة مترابطة متماسكة تمتد عبر الزمان، فلن تتوقّف المسيرة إذا مات، ولن تفشل إذا فشل، ولن يكون الفشل إلاّ انتكاسة في المسيرة، سرعان ما تستطيع المسيرة أن تتجاوزه وأن تجبر الخسارة.

إنّ هذه المسيرة قد جاوزت نمرود وفرعون وقوم عاد وثمود ومئات الجبابرة والطغاة المستكبرين على وجه الأرض الذين كانوا يتحدّون الأنبياء والمرسلين، فلم تتوقّف المسيرة وواصلت عملها وتقدّمها.

---

(1) المصدر السابق.

(2) المصدر السابق.

(3) تنقيح المقال في علم الرجال للعلاّمة المامقاني، ج٢، حرف الميم، ص ٦٢.

ومن هذه الزاوية، فليس في حساب هذه المسيرة الفشل والهزيمة بالمعنى الذي يعرفه الناس.. وأكثر ما فيه انتكاسة أو كما يقول القرآن الكريم: قرح، قد أصاب العدوّ مثله أو أكثر منه، وسرعان ما تتجاوز المسيرة مدّة الانتكاسة، ويندمل القرح، وتنشط المسيرة، ولن يكون القرح إلاّ تمحيصاً وتزكية للذين آمنوا، وهذا هو شعور الدعاة إلى الله العاملين في سبيل الله، إذا أصابهم قرح في المعركة أو أصابتهم انتكاسة في ساحات القتال والصراع.

ولنتأمّل هذه الآيات المباركات من سورة آل عمران:

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا، وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين❖ إن يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القوم قرح مثله، وتلك الأيّام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتّخذ منكم شهداء والله لا يحبّ الظالمين❖ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين❖ أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾(آل عمران/ ١٣٩ - ١٤٢).

إن هذه الآيات لم تنزل بعد معركة ظافرة، وبعد نشوة من نشوات النصر، وإنّما نزلت بعد مرارة نكسة أحد بالذات. بعد هذه النكسة المرّة يقول الله تعالى للمؤمنين: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾، وليس من موجب للإحساس بالوهن والحزن.

فإنّ ما أصابهم في أُحُد لن يزيد على أن يكون قرحاً قد أصاب العدو مثله. وأنتم الأعلون، ومسيرتكم هي الظافرة المؤيّدة من عند الله، والنصر لا يتجاوزكم. وما أصابكم من قرح في (أُحُد) فهو لكم تمحيص وتطهير وتزكية، يريد الله أن يزكّيكم به، ولن تدخلوا الجنّة ما لم يصيبكم أمثاله، وما لم يطهّركم الله ويزكّيكم ويمحّصكم به.

إنّ الإنسان العامل الداعية إلى الله يشعر أنّ هذه المسيرة لن تُبتدأ به ولن تُختم به ولن يكون جهده وعمله إلاّ جزءً من المجهود الكبير المتواصل الذي تبذله الأجيال من المؤمنين.

وهذا المجهود عتيد ومتّصل عبر الأجيال والزمان، ولن ينقطع. فإذا نصره الله خلال تحرّكه وعمله فسوف يضيف على مكاسب السّلف مكسباً وعلى انجازاتهم انجازاً في حساب النصر. وإذا ابتلاه الله بفرح وانتكاسة فسوف يكون

سبباً في تمحيصه وتمحيص المؤمنين وتمحيص المسيرة برمَّتها، ويطهِّر المسيرة والصف من نشوات النصر وما يلحق هذه النشوات من الغرور والبطر والرياء.

فلا موجب - إذاً - للإحساس بالوهن والحزن، ولا موجب للشعور باليأس والخوف.

إنّ الداعية عندما يندمج في المسيرة، ويتحوّل من مشروع مستقل قائم بذاته إلى جزء من هذه المسيرة لا يكاد يساوره شعور بالخوف واليأس والوهن والضعف إلاّ عندما تنتابه حالات ضعف الإنسان، فيدركه الله تعالى برحمته ونوره وقوّته، ويبعث في نفسه الأمل والقوّة والثقة بالله تعالى ويشرح صدره ويُذهب عنه الخوف واليأس والشك.

وممّا يُصيب العاملين في سبيل الله عندما ينهضون برسالة الله في اجواء الجاهلية يعبث فيها الحكّام ويشيعون فيها الفساد.. الإحساس بالوحشة والغربة.. الغربة في كل شيء، في التصوّرات والأفكار والعقائد والأعراف والمصطلحات والأخلاق والتقاليد والصلاة وذكر الله.

إنّ الشعور بالوحشة والغربة عندما يتعمّق في نفس الداعية، يعزله ويزويه ويبعث في نفسه اليأس والوهن وأحياناً الخوف.. إنّه يتحرك على عكس التّيار، وماذا تراه يستطيع أن يفعل في وسط هذا الجو الحاشد بمظاهر الجاهلية والفساد.

وليس أضرّ على الدعاة من هذا الشعور، ولا شيء يبعث في نفوسهم اليأس والخيبة أكثر من هذا الإحساس. أمّا عندما يرتبط الداعية نفسياً بأسرة التوحيد الضاربة في أعماق التاريخ والممتدّة في أعماقه، ويشعر بأنه عضو في هذه الأسرة المباركة، وشوط من هذه المسيرة الربّانية على وجه الأرض، وصدى لدعوات الأنبياء والمرسلين وامتداد لهم.. يشعر بالراحة والطمأنينة والثقة والألفة والقوّة.

وتتمكّن الثقة من نفوس الدعاة العاملين في سبيل الله عندما يراجعون مراحل تاريخ ومعاناة أسرة التوحيد في التاريخ.. فيرون إلى جانب هذه المعاناة والتمحيص والمطاردة والاضطهاد والتعذيب والتشهير والتسقيط الذي يرافق حياة هذه الصفوة من الدعاة العاملين في سبيل الله.. يرون إلى جانب هذه الصورة الدامية وإلى جانب الدموع والتضحيات الكبرى.. نصر الله تعالى لهذه العصبة

المؤمنة وتأييده، ويرون يد الله القوّية والقاهرة والرحيمة معها في كل مراحل حياتها.. كلّما نزلت بهم محنة، وكلّما حلّت بهم كارثة، وكلّما ضاقت بهم الأرض بما وسعت، وكلّما قست عليهم الظروف.

ويرون أنّ هذا النصر والتأييد الإلهي للعصبة المؤمنة العاملة في سبيل الله، ليس صدفة، ولا يرونها حادثاً طارئاً، وإنّما هو سنّة من سنن الله الثابتة التي لا تتحوّل ولا تتبدّل:

﴿ونُريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين❖ ونمكّن لهم في الأرض، ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ (القصص/ ٥- ٦).

﴿وعد الله الذين آمنو منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم، وَلَيُمَكِّنَنَّ لهم دينهم الّذي ارتضى لهم، ولَيُبَدِّلَنَّهم من بَعْدِ خوفهم أمناً يعبدونني ولا يُشركون بي شيئاً﴾ (النور/٥٥).

﴿فإنّ مع العُسْرِ يُسْرا❖ إنّ مع العُسْرِ يُسْراً﴾ (الانشراح/ ٤-٥).

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين❖ إنّهم لمنصورون❖ وإنّ جندنا هم الغالبون﴾ (الصافّات/ ١٧١- ١٧٣).

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ (البقرة/٢٤٩).

﴿لقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلّة﴾ (آل عمران/٢٣).

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حُنين﴾ (التوبة/٢٥).

فيزول من نفوس الدعاة العاملين في سبيل الله كل شك وريب وكل يأس وخوف وتنشرح صدورهم بالثقة بالله تعالى ونصره وتأييده.

فمهما تطول معاناة المؤمنين، ويطول عذابهم، وتطول محنتهم، فإنّ الله تعالى لن يتخلّى عنهم ولن يتركهم لوحدهم في مواجهة الظالمين والطغاة، ولا بدّ أن ينصرهم الله، كما نصر الله تعالى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وكما نصر الله تعالى الصالحين من عباده.

وهذا الإحساس بمعيّة الله تعالى وتأييده ونصره لأسرة التوحيد والدعوة إلى الله يبعث في نفوس الدعاة إلى الله الثقة والأمل والطمأنينة والثبات، ويدعم نفوسهم ويربط على قلوبهم، ويشرح صدورهم، ويزيل عنهم الإحساس بالوحشة والغربة في الطريق، مهما قلّ العاملون على الطريق.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

"أيّها الناس لا تستوحشوا من طريق الهدى لقلّة أهله، فإنّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل".[1]

وإذا كانت الموائد التي تستقطب الناس، شبعها قصير وجُوعُها طويل، فما أحرى بالدّعاة إلى الله أن يعتزلوا هذه الموائد إلى المائدة الإلهية التي يجتمع حولها الأنبياء والدعاة إلى الله والصالحون من عباد الله:

﴿وما عند الله خيرٌ وأبقى للّذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوكّلون﴾ (الشورى/٣٦).

﴿ورزق ربّك خير وأبقى﴾ (طه/١٣١).

ويكتب أمير المؤمنين عليه السلام لأخيه عقيل، وقد آثر الحياة الدنيا على أخيه أبي الحسن: "ولا يزيدنّ كثرة الناس حولي عزّة، ولا تفرّقهم عنّي وحشة. ولا تحسبنّ ابن أبيك ولو أسلمه الناس متضرّعاً متخشّعاً، ولا مقرّاً للضيم وهناً، ولا سلس الزمام للقائد، ولا وطيء الظهر للرّاكب المتقعّد".[2]

ومن هذه المسيرة عمل الآباء للأبناء ذكرى ودرس وخبرة الآباء تنتقل إلى الأبناء كدروس، ولا يبدأ الدعاة على الله عملهم من نقطة الصفر، لا في العمل ولا خبرات العمل.

وإنّما تنتقل خبرات العمل من جيل إلى جيل، وفي كلّ مرحلة، يزداد العاملون في سبيل الله نضجاً في العمل وخبرة في أساليب الدعوة إلى الله، ومن أساليب مواجهة الطغاة، ووعياً للعقبات وصعوبات الدعوة إلى الله، وفهماً

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢٠١.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٣٦.

لأساليب مواجهة هذه الصعوبات والعقبات.

والله تعالى يُعلّم نبيّه صلى الله عليه وآله أن يتعلّم الصبر ممّن سبقه حتى أولي العزم من الأنبياء: ﴿فاصبر كما صبر أُولو العزم من الرُّسل ولا تستعجل لهم﴾ (الأحقاف/٣٥).

ويفيض الله تعالى على نبيّه وعلى المؤمنين قصصاً من أنباء الرّسل، ليكون لهم موعظة وذكرى:

﴿وكُلاّ نقصّ عليك من أنباء الرُّسل ما نثبّت به فؤادك، وجاءك في هذه الحقّ وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾ (هود/١٢٠).

وبعد، فهذه بعض الإيحاءات التي يعطيها الإحساس بالانتماء إلى أُسرة إبراهيم عليه السلام، والشعور بوراثة الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله. والحمد لله ربّ العالمين.

***

المرحوم الشيخ عبد الله العلايلي

مع سماحة آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي محرم 1427

الحسين عليه السلام في عهد الدولة الأموية

الشيخ عبد الله العلايلي*

إنقلاب

نستقبل في عهد الدولة الأموية تجديداً يشمل كافة الأوضاع ويتصل بجوهرها، حتّى بات منه المجتمع العربيّ في شَكلِيَّةٍ لا عهد له بها، ثمّ لا تتصل بالعهد الغابر إلاّ اتّصالاً خفياً فيه كثير من الغموض. فهيئة الحكم وطريقة الإجراء والإدارة وقاعدة العمل العامّ لم تعد كما كانت.

ونحن قدّمنا، في فصل القديم والجديد، أنّ الميل إلى التجديد واعتناق أشيائه ظهر في أوائل عهد عثمان، أي في أوائل حكم الأمويين، ضرورة الاحتكاك بنظم

(*) المرحوم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي (١٩١٤- ١٩٩٦)، هو أحد أعلام الأمة الإسلامية، له مؤلفات وكتابات نقدية وتحليلية في التاريخ الإسلامي. ولأن هذا العالم الربانيّ كان صاحب ضمير إسلامي وإنسانيّ حي، فإنه لم يستطع أن يَمُرّ بقضية عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام، دون أن يتوقف عندها وقفة المتأمل والمذهول معاً، لِما حلّ بآل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وهذا ما حضّه على تأليف كتاب يُعدّ أروع ما ألّفه كاتبٌ إسلاميٌّ سُنِّيّ في هذا الاتجاه، وهو كتاب (تاريخ الحسين) الذي طبع لأول مرة في العام ١٩٤١، ثم أعيد طبعهُ في العام ١٩٩٤- دار الجديد (لبنان).

ونظراً للمكانة الدينية والفكرية المرموقة التي يتمتع بها هذا العالم والمفكر الإسلامي اللبناني الراحل (رحمه الله)، وأهمية الدراسة التي أهداها للعالم الإسلامي بشأن الملحمة الحسينية، فقد وجدت بأن الضرورة تقضي بعدم حرمان جُهدي المتواضع من فيض هذا الإنسان المجاهد بالكلمة، فاقتبست من كتابه فصلين هما (الحسين في عهد الدولة الأموية ص٢٢٩- ٢٣٥) و(سلام عليه يوم ولد ص ١٧٩- ١٨٢)، توخياً لمزيد من الفائدة. (المؤلف)

الأمم المختلفة التي غمرها الإسلام وصهرها في بوتقته، ولكنّ هذه النظم لم تزل فيها حيويّة وصلاحيّة للبقاء والأمّة الجديدة ساذجة بعض الشيء، أو في حكم الساذجة، لذلك أفسحت لنفسها مرة أخرى بأن تعيش.

والأمويون، نظراً للاستعداد النفسيّ الذي لم تصقله العقيدة كثيراً، كانوا أكثر جنوحاً إلى تقليد هذه النظم التي هي جديدة بالنظر إلى العرب، فلمّا آنسوا من أنفسهم القوة وجمعوا مقدّرات الحكم في أيديهم، وعطلوا حريّة الشعب وقضوا على رقابته، مالوا بكليّتهم إلى فرض النّظم المقتبسة، واتّصل هذا التّجديد بالشعب، فسرعان ما تغيّر وتحلّل وطلب الحياة طلق الهوى كما يقولون.

وساعد الشّعب على سرعة تحلّله أنّ أكثر رجال القديم ذهبوا ضحيّة الصراع الثوريّ العنيف، فالجمهور الباقي يتألف من الشباب وحدهم وخليط من الأمم المنحلة، فكان لديه الاستعداد التامّ لحركة انقلابية من هذا النوع. إذاً فالأدبيّة الإسلامية أصيبت بانحراف كبير، إن لم نقل بأن الحياة العامّة خرجت عن قاعدتها. وهذا ما يعلل تفشي المجون في مهبط الوحي، وانتشار الحياة اللاهية المفتونة هنا وهناك. ولعل في درس حياة يزيد وصنوف اللهو التي دخلتها، وهو في بيت الملك أو الخلافة - كما يشاؤون تسميته - ما يوقفنا على مدى التجديد الجارف والانحراف الذي شمل الدولة الأمويّة، أو قام معها أوّل ما قامت، إلى أن توارت في استخفاء أبدي. وفي رسالة القيان للجاحظ أقاصيص كثيرة تُرينا ألواناً من العهد الجديد الذي هو انقلاب وليس تجديداً فحسب، المعنى المفهوم من هذا اللفظ.

أمام هذا التجديد الذي انحرف بالحياة عن سنتها الخاصّة التي وضع النبيّ صلى الله عليه وآله طريقتها وثبتت في نفوس أفراد كثيرة وجماعات كذلك، وقف الحسين عليه السلام كمنتقدٍ ومتّهم. وكان يرفع الصوت بالانتقاد الصريح في المناسبات التي تعرض. فحينما قُتِلَ حُجر بنُ عَدِيٍّ كتب الحسين إلى معاوية كتاباً سيظل على التاريخ سجلاً لعبث السلطة وانتقاد الشعب الذي يأبى إلاّ أن تكون له الرقابة الممنوحة من قبل الله.

ومن الخير إثبات هذا الكتاب بنصّه لأنّه يدلنا على أكثر الأشكال التي اصطنعتها السياسة الأمويّة طريقة لها. قال[1]:

"أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنّه انتهت إليك عنّي أمور أنت لي عنها راغبٌ، وأنا بغيرها عندك جدير، وإن الحسنات لا يَهْدي لها ولا يُسدِّدُ إليها إلا الله تعالى.

أمّا ما ذكرت أنّه رقي إليك عنّي، فإنّه إنّما رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنميمة المفرّقون بين الجمع، وكَذِبَ الغاوُون. ما أردت لك حرباً ولا عليك خلافاً، وإنّي لأخشى الله في ترك ذلك منك، ومن الإعذار فيه إليك وإلى أوليائك القاسطين.: حزب الظلمة.

أَلَسْتَ القاتلَ حُجر بن عَدي أخا كندة وأصحابه المُصلّين العابدين، الذين ينكرون الظلم ويستفظعون البِدَع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثم قَتَلْتَهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمانَ المغلظة والمواثيق المؤكدة جَراءَةً على الله واستخفافاً بعهده؟

أولَسْتَ قاتِلَ عمرِو بن الحَمِقِ صاحب رسول الله ﷺ العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه. فقتلته بعدما أمّنته وأعطيته من العهود ما لو فهمته العُصْمُ لنزلت من رؤوس الجبال؟

أولست بمدّعي زياد بن سُميّة المولود على فراش عبيد ثقيف؟ فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله ﷺ "الولد للفراش وللعاهِرِ الحَجَرُ" فتركت سنة رسول الله ﷺ تعمّداً وتبعت هواك بغير هُدىً من الله، ثمّ سلّطتَهُ على أهل الإسلام يقتلُهم ويقطّعُ أيديهم وأرجلهم ويَسْمُل أعينهم ويصلّبهم على جذوع النخل، كأنّكَ لَسْتَ من هذه الأمّة وليسوا منك؟

أولست قاتِلَ الحَضْرَميِّ الذي كتب فيه زيادٌ إليك أنّه على دينِ عليّ كرّم الله وجهه، فَكَتَبْتَ إليه أن اقتُلْ كلَّ من كان على دين عليّ فقتلهم ومثّلَ بهم بأمرك،

---

[1] راجع: **الإمامة والسياسة** لابن قتيبة ج١، ص ٢٨٤، **وأخبار الرجال** لأبي عمر الكشي؛ **واختيار الرجال** لأبي جعفر الطوسي، ج٣٢.

ودينُ عليٍّ هو دين ابن عمه ﷺ الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه. ولولا ذلك لكان شرفُك وشرفُ أبائك تجشُّمَ الرِّحلتين، رِحلةِ الشتاء والصيف؟

وقُلْتَ فيما قلت، انظر لنفسك ولدينك ولأمّة محمّد، واتّق شَقَّ عصا هذه الأمّة وأن تردَّهم إلى فتنة. وإني لا أعلم فتنةً أعظم على هذه الأمّة من ولايتك عليها، ولا أعظَمَ نظراً لنفسي ولديني ولأمّة محمد ﷺ أفضل من أن أجاهرك، فإن فعلت فإنّه قربةٌ إلى الله، وإن تركتُه فإني استغفر الله لديني وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقُلْتَ فيما قلت إنّي إن أنكرتُك تُنكِرْني، وإن أكِدْك تَكِدْني، فَكِدني ما بدا لك فإنّي أرجو أن لا يضرني كيدُك وأن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك، لأنّك قد ركبت جهلك وتحرّضت على نقض عهدك ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نَقَضْتَ عَهْدَك بقتلِ هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، فَقَتَلْتَهم مِنْ غَيرِ أنْ يكونوا قاتَلوا وقَتَلُوا. ولم تفعلْ ذلك بِهم إلاّ لِذِكرِهِم فَضلَنا وتعظيمهم حقّنا، مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مُتَّ قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يُدرَكُوا، فابشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحساب، واعلم أنّ لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظِّنَّة وقَتلِكَ أولياءَهُ على التُّهم، ونَفيك إيّاهم من دُورهم إلى دار الغُربة، وأخذِك للنّاس ببيعة ابنِك الغُلام الحَدَثِ، يَشْرَبُ الشَّرابَ ويلعبُ بالكلاب، ما أراك إلاّ قد خسرتَ نفسَك وتَبَّرت دينك وغَشَشْتَ رعيَّتَك وسَمِعْتَ مقالةَ السّفيهِ الجاهِلِ وأخَفْتَ الوَرِعَ التَقيَّ والسّلام".

هذا الكتاب سِجِلٌ للدِّماء التي سفكها الأمويّون، وهو صرخة في وجه العبث والتلاعب والتجاوز، كما أنه بيان لحقوق الشعب التي لا يمكن التغاضي عنها مهما كلّف الأمر، وأيضاً يكشف لنا عن جانب من الأسباب التي دعته للخروج على يزيد فيما بعد.

على أنّه لم يَسْتَبِحْ الخُروجَ على معاوية وفاءً بعهده، رغم نقض معاويةَ للعهد، ولأنّه لم يستهتر استهتاراً مكشوفاً لا يترُك للنفس عُذراً.

ولله كم هي هذه الكلمة رقيقة شاعرة "كَأَنَّكَ لَسْتَ من هذه الأمّة ولَيْسُوا مِنكَ"، هذه الكلمة المشبعة بالشعور المَحْتِدِيِّ الشريف، وقديماً قال الصّابي: "إنّ الرجل من قوم ليست له أعصابٌ تَقسُو عليهم" وهو اتهام من الحسين عليه السلام لمعاوية في وطنيّته وانتمائه، واتخّذ من الدماء الغزيرة المسفوكة عنواناً على ذلك.

وليس بعد هذا السّجل الذي يلصقه الحسين بمعاوية، ما يحملنا على الشكّ في النتيجة التي قررنا في مقدمة سموّ المعنى في سمو الذات، وهي: "إنّ نظام الحكم في عهد الملوك الأمويّين لم يكن إلاّ ما نسميه في لغة العصر بنظام الأحكام العُرفيّة، هذا النظام الذي يَهْدِرُ الدماء ويُلغي التّعارفَ على المنطق القانوني ويهدِّد كلَ امرىءٍ في وُجوده. وفي هذا العصر إذا كان يُتَّخذُ في ظروف استثنائية لحالات خاصّة، يراد بها الانقياد وإسلاس الأمر بالإرهاب واستباحة البطش، فقد كان في العهد الأمويّ هو النظام السائد. وفي الحقّ أنه لا يمكننا أن نسمّي هذا سلطة قضائية أبداً، بل نُنكِرُ بكل قوة أن يكون في العصر الأمويّ سلطة قضائيّة بالمعنى الصحيح، إلاّ في فترات لا تلبث حتّى يكون التيار من ورائها طاغياً. وأكبر الشواهد على هذا أن الخليفة أو حكومته تأتي ما تهوى بدون أن تتّخذ لمآتيها شكليّات قانونيّة على الأقلّ، ممّا يُشعِرُ باحترام السلطة للقانون. وإن من المهم أن نتحقق من عدم وجود السلطة القضائية في ذلك العهد، وأن نزن الإجراءات الحكومية جميعها بهذا الميزان الذي يعرِّفنا أكثر ما نحن في حاجة إلى معرفته بين يدي الدراسات الأمويّة"[1].

ويناصر هذه النتيجة السّياستان التقليديّتان اللتان اصطَنعتهما الدولة الأمويّة في دَوْرَيها:

الدور الأوّل: يبتدئ بمعاوية الأوّل وينتهي بتنازُل معاوية الثّاني، وكانت سياسة هذا الدور التقليدية هي سياسة زياد بن أبيه الدمويّة.

الدور الثّاني: يبتدئ بمروان، وبالأحرى بعبد الملك، وينتهي بمصرع مروان الجعديّ. وكانت سياسة هذا الدور التقليدية هي سياسة الحَجّاج القائمة على الحديد والنّار. وقد لَفَتَنا إلى هذا التقسيم تصريحُ عمر بن عبد العزيز الذي ذكره القالي في

[1] راجع سُموّ المعنى في سمو الذات، ص ١٠- ١١.

الأمالي، وهو: "ماذا فعل الحجّاج حتّى يؤتمّ به، ذاك زياد الذي جمعهم جمع الذرّ". وهاتان سياستان نعلم من أخبارهما شيئاً كثيراً، ولا أظن كائناً من كان يقول بأنّ القضاء كانت له حُرمة فيهما.

عند قسطنطينيّة: ذَكَرَ ابنُ عساكر أنّ الحسين وفد على معاوية، وتوجّه غازياً إلى القسطنطينيّة في الجيش الذي كان أميره يزيد بن معاوية، وهي الغزوة الثانية.

هذا مَثَلٌ يضيفه الحسين عليه السلام إلى جملة الأمثال الرّفيعة التي ضربها في إنكار الذّات وتناسي الحفيظة بسبيل الخدمة العامّة، وبسبيل إيجاد آفاق جديدة للمبادئ. فالحسين يُدْعى للجهاد ضد عاصمة الدّولة الرومانيّة الشّرقيّة، وهي مغامرة جريئة وخطوة لها خطر فَيُجيبُ، ولكن تحت قيادةِ مَنْ؟!

تحت قيادة يزيد الذي كان يسمَعُ الحسينُ من أخباره المستهترة شيئاً كثيراً، ولكي تَعْلَمَ مَبلَغَ استهتاره وتماجُنِه، نذكر أنّ زياد بن أبيه، نصح لمعاوية، إذا شاء أن يستقيم له أمر ولَدِه، وأن يَضَعَ حدّاً لمباذله وللشائعات المتزايدة من حوله فليبعثه في الغزوات وليبعده عن حياة القصر المشبوبة بالفتون.

فحمله معاوية حَمْلاً[1] على الخروج في هذه الغزوة وانتزعه من أحضان أعابيثه المستهترة على أنّه لم يذعن إلاّ بأن يجمع إليه في المعسكر ناس يملؤون أذنيه بصدى الشهوات، ويخلقون له جواً ذا نسب قريب بالجَوّ الذي فارقه على كَرْه.

فبلاه الحسين عليه السلام وشَهِدَهُ عن قُرب، وخَبِرَ مُيولَهُ وأهواءَه كما لو وَضَعَ عليها اليد، فانكشف له مِن نزغات نفسه ونزعاتها ما جعله عنيفاً في الحملة عليه لدى أيّة مناسبة.

تَكبُرُ النّفسُ بالعقيدة حتّى لا ترى إلاّ إياها...

---

[1] راجع الكامل لابن الأثير، ج٣، ص ١٩٧. فقد ذكر أنّ معاوية سيّر جيشاً إلى بلاد الرّوم فتثاقل عنه يزيد فأصاب النّاس في غزوتهم جوع ومرض شديد فأنشأ يزيد يقول:

ما إن أُبالي بما لاقَتْ جُموعُهُمُ ... بالفَرْقَدُونَةِ مِنْ حُمّى ومِنْ مُومِ

إذا اتّكَأتُ عَلَى الأنماطِ مُرتَفِقاً ... بِدَيْرِ مُرانَ عِندي أُمُّ كُلثومِ

وهذا في الغزوة الأولى التي لم يذهب بها.

وتحول أحلام النّفس وشهوات الغرائز في مذهب سمو العقيدة....

فالحسين عليه السلام أحال غرائزه إلى ما يُساعد عمل العقيدة فيه، فأنكر الذات ومضى إلى الجهاد...

سلام عليه يوم ولد

جاء في أخبار الحسين أنّه كان صورة احتبكت ظِلالُها من أشكال[1] جدّه العظيم، فأفاض النبيّ عليه شُعاعةً غامرة من حبّه وأشياء نفسه، ليتمّ له أيضاً من وراء الصورة معناها، فتكون حقيقته من بعد كما كانت من قبل، إنسانيّة ارتقت إلى نبوّة (أنا من حسين) ونُبوّة هبطت إلى إنسانيّة (حسين مني).

فسلامٌ عليه يومَ وُلد...

الطفولة إنسانيّة لم تمسّها ضراوة الغرائز وشهوات العقل، كالمَطْرَةِ قبل أن تمسَّها الأرض بتربتها فتدخل عليها ألواناً ليست من معناها ولا من طبيعتها.

ثم تتفاضل الطفولة بالبيئة التي تمرّ منها إلى الحياة، كتلك المطرة إذا حلّت في قارورة أو حلّت في تربة.

والحسين الطفل حلّ في بيئة النّبوة التي هي الإنسانيّة العليا في المظهر البشري، فكان بذلك أسمى[2] رجل لأنّه أسمى طفل في أسمى بيئة.

فسلامٌ عليه يومَ وُلد...

---

(1) هذه الشكليّة خاضعة لقانون Atavisme الذي ترجمناه بقانون "التجدّي" من تجدد بمعنى تشكّل بشَكْلِ الجَدّ، وقد جاء في الأصول الاشتقاقية التي أقررناها في كتابنا: مقدمة لدرس لغة العرب، أن المضعّف الثلاثيّ إذا صيغ على وزن تفعّل جاز قلب لامه في التكرار حرف لين، مثل تظنّن قال العرب تظنّى وتمطّط قالوا فيها تمطّى. ونحن أجريناها قاعدة في الاشتقاق مع اختلاف المعنى دفعاً للبْس، وعليه فتجَدَّدَ بهذا المعنى، خروجاً عن اللبس بمفرده تجدّد بمعنى التجديد نقلب اللام فيه حرف لين ونخصُّه بمعنى الذي اتّخذ صورة الجَدّ، وبذلك تكون ترجمة حقيقية لكلمة Atavisme، بمعنى الرجوع إلى الجَدّ.

(2) يقول المثل الإنكليزي: "الطفل أبو الرجل" ومعناه أنّ ما استقرّ في الطفل من كمال أو نقص، هو الذي يبعث الرجل ذا الكمال أو النّقص وليس من يرتاب في أن بيئة النبي صلى الله عليه وآله أرفع بيئة، وأنّ الذي استقر في الحسين الطفل هو أشياؤها، فلم يبقَ ريب في أن الحسين لا يمكن إلاّ أن يكون أسمى رجل، فإنّ طفوليّته كانت أبا رجوليّته.

حينما فصل، أيْ خرج الحسين عليه السلام من قوَّةٍ في النّواة إلى كائن استكنّت فيه القوة على نحو آخر، أُذن لخصائص الوراثة أن تخرج من[1] نقطة الدائرة إلى محيطها.

فسلامٌ عليه يومَ وُلد...

عُلّق النبيّ صلى الله عليه وآله حسيناً، لأنّه رأى ظِلّه ورأى حقيقته في الطفل الوليد، فحبُّ النبيّ له لم يكن بمحض العاطفة فقط، بل بشعور آخر هو الإبقاء على الذات.

فسلامٌ عليه يوم ولد...

"اللهم أحِبَّهُ فإني أُحِبُّه" كلمة كأنّها الوسام من النبيّ صلى الله عليه وآله لمولوده الصّغير، والوسام في لغة المراتب الاجتماعية، منبهة لحامله على أنّه قام بعمل عظيم. وهذا وسام ينبه على عمل خالد سوف يقع من الطفل الجديد، ولم يُمنحه قبل الاستحقاق، لأنّ عمله الخالد سيكون تضحيةً رهيبةً تضع حداً للحياة.

فسلامٌ عليه يومَ وُلد...

النبّوة طاقة تغلب المادّة وتتمدد في القلب والعقل والضّمير، والحكمة طاقة تغلبها المادّة إلاّ أنّها تُسيطر على القلب والضّمير.

والفرق أنّ هذه، أي الحكمة، تبدأ سيرها من المادّة إلى ما وراء وتلك، أي النبوّة، تبدأ السير من الطاقة إلى ما وراء، وبينهما أنّ الأولى لا تخرج عن المادّة إلاّ بمقدار فهي فيها أبداً، كما أنّ الثانية لا تتّصل بالمادة إلاّ بمقدار فهي فوقها أبداً، وجَلْوَة النُّبوّةِ الصغيرةِ حكمة كبيرة.

فسلامٌ عليه يومَ وُلد...

يقول السّيد الطباطبائيّ:

غَـرْسٌ سَـقاهُ رسـولُ اللهِ مِـنْ يَـدِهِ

وطـابَ مِـنْ بَعـدِ طيـبِ الأصـلِ فارِعُـهُ

---

[1] نعني بهذا أن خصائص الوراثة مجتمعة في النبي صلى الله عليه وآله الذي هو نقطة الدائرة انتقلت بالحسين وأخيه اللذين هما الحافظان للنسل النبويّ من الانقطاع، إلى محيط أوسع، شكّل دائرة كبرى.

النّبوّةُ ليستْ شيئاً من عملِ الدّنيا، إلاّ فيما يتّصل بصلاحها وتهذيبها، فميراثها لا يدخل في زخرف الحياة الذي هو سِرُّ التّراب، وإنّما يدخل فيما ينتظمُ التّقوى والفضيلة مِمّا هو سِرّ القلب ومعنى الوجدان.

وكان سِرُّ قلب النّبيّ ﷺ هو إرثَ الحسين منه، فطاب من بعد طيب الأصل.

فسلامٌ عليه يومَ ولد...

لأوّل مرّة يخشع الكمال الإنسانيّ على منظرة الجَدِّ والسِّبط في ساعة قُبْلةٍ أو عناقٍ يدغدغُ أحلام الرّوح، ويمسُّها بتيّار جديد يجعلها وَضيّةً في تسام أبدِيٍّ. خشع الكمالُ الإنسانيُّ لأوّل مرّة وبارك ما يرى.

فسلامٌ عليه يومَ وُلد...

نظر النبيّ إلى الحسين طويلاً ليرى أين هو من طبيعته، ونظر الحسين إلى النبيّ كذلك ليتملأ منه ويُفجّر ينابيعه، ثمّ انصرفا بمعنى واحدٍ، هذا صوب الماضي وهذا صوب المستقبل، ولكنّ الجَدَّ سار وهو يلتفت إلى سِبْطِه الذي أَسْلَمَهُ إلى المستقبل في حنان وحذر.

هذا المستقبل الذي لم يثبت في طبعه من غصن[1] الزّيتون إلاّ أنّه يثمر حبّاً يُلهى المعدة، فلم يأمنه على طفله الذي أرسله بقبس الهيكل، وزيت زيتونه في مصباحه.

فسلامٌ عليه يومَ وُلد...

إرتحل الحسين عليه السلام ظَهْرَ جدِّه العظيم وهو ساجدٌ يُصلّي، وجاء في الحديث أنّ أقرب ما يكون المرء من ربّه وهو ساجد.

ومعنى هذا أنّ النّبوّة السّاجدة كانت معراجاً لهذا الطفل الذي استَودَعَ فيه النبيُّ أسرارَهُ العظمى وإنسانيته العليا.

فسلام عليه يومَ وُلد...

***

[1] في غُصن الزّيتون معنى رمزيّ، فإذا أسفّت الإنسانيّة وغدت تقيس قيم الأشياء بمقاييس المِعَدة، لم يعد لغصن الزيتون معنى سوى أنه يثمر حبّا يدخل في أشياء المِعْدة وإمتاعها.

المرحوم العلامة أبو الأعلى المودودي

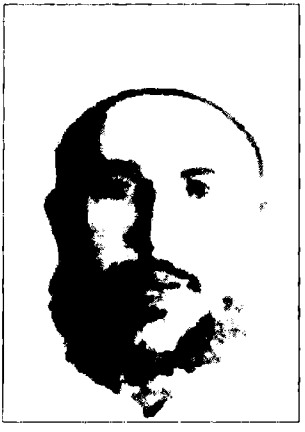

الشهيد عز الدين القسام

مع المفكر السوري الدكتور عبد الكريم البافي - دمشق 2006

كلمة المفكر السوري
الدكتور عبد الكريم اليافي

REPUBLIQUE ARABE SYRIENNE
ACADEMIE ARABE
DAMAS
B. P. 327

No. :

الجمهورية العربية السورية
مجمع اللغة العربية بدمشق
ص.ب ٣٢٧

رقم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه والتابعين والهادين بهديه إلى يوم الدين.

وبعد فقد طلب إليّ الصديق حميد حمي زاده أن أجيب على أسئلة أعدها لكتابه فأجبت أن أجيبه بكلمتي هذه ونشر قصيدة لي قلتها في سيد الشهداء الإمام الحسين وسلالته نبيّ في هذا الجهاد المبارك تضمنت له النجاح والتوفيق في جميع نشاطاته الفكرية والإنسانية.

دمشق ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٧
٢٠ أيار ٢٠٠٦

عبد الكريم اليافي

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه والتابعين والهادين بهديه إلى يوم الدين.

وبعد فقد طلب إليَّ الصديق حميد حلمي زاده أن أجيب على أسئلة أعدَّها لكتابه فأحببت أن أجيبه بكلمتي هذه وبنشر قصيدة لي قلتها في سيد الشهداء الإمام الحسين ومساهمة منّي في هذا الجهد المبارك متمنياً له النجاح والتوفيق في جميع نشاطاته الفكرية والإنسانية.

دمشق ٢٢ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ
٢٠ أيار ٢٠٠٦م.

توقيع: د. عبد الكريم اليافي

***

من وحي عاشوراء ومأتم الحسين

الدكتور عبد الكريم اليافي

قصيدة الشاعر دعبل بن علي الخزاعي (١٤٨هـ/ ٧٦٥م- ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) في رثاء الحسين وآل البيت مشهورة جاء فيها هذا البيت المؤثّر:

بـناتُ زيـادٍ في القُصُور مصونةٌ وآلُ رسُـولِ الله فـي الفَلَـواتِ(*)

(*) **توضيح مؤلف الكتاب :**

الشـاعر دعـبل الخزاعي ألقى هذه القصيدة في حضرة الإمام عليٍّ بن موسى الرضا عليه السلام ، عـندما كان الإمام الثامن منفيّاً إلى طوس بخراسان في زمن المأمون العباسي، الذي أجبر حفيد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله على قبول منصب ولاية عهده وذلك من أجل كسب ودّ الشيعة وأتباع أهـل البيت عليهم السلام، وكان الإمام الرضا يعلم بأهداف المأمون السياسية من وراء فرضه منصب ولاية العهد عليه، فقبلها شريطة ألاّ يتحمل الإمام عليه السلام أوزار الحكم وتبعاته، فرضي المأمون الـذي كـان يقود الدولة العباسية ، في بداية عهده انطلاقاً من خراسان بهذا الشرط، بعدما حَسَـمَ صراعه مع أخيه الأمين وقتله. وحينما استتبت لـه الأوضاع في بغداد، أقدم المأمون عـلى اغتـيال الإمـام الرضا عليه السلام بالسم، وقد دُفن في منفاه الإيراني، وهو ما يعرف اليوم بمدينـة مشهد المشرّفة، التي يؤمّها سنوياً ملايين المسلمين للتضامن مع مظلومية وليّ الله وسليل النـبوة، وتخليد مقامه الشامخ إماماً عارفاً، ومجاهداً مُصلِحاً بالكلمة والموقف بوجه الانحراف والاستبداد .

وتـزامن دخـول دعبل الخزاعي على الإمام الرضا مع عاشوراء، ولما سألـه عليه السلام إذا ما قـال شـعراً في هذه الذكرى، فأجاب دعبل بـ(نعم) وجعل يُلقي قصيدته التائية الشهيرة التي تربو أبياتها على (١٢٠) بيتاً. والتي قال في مطلعها :

تجـاوَبْنَ بالإرنـانِ والزَفَـراتِ

نوائـحُ عُجْـمُ اللفـظِ والـنَطَقاتِ

الإرنان: صوتُ الشهيق مع البكاء. ومما جاء في قصيدة الشاعر:

←

وقد أوحت هذه القصيدة وذكرى عاشوراء إليَّ بالأبيات الآتية:

إلامَ الـــبكاءُ المُـــرُّ في الخَلَـــواتِ ... عـلى مـا مضـى مـن مُؤْلِـمِ النَكَـباتِ
ولـو ذرفـت آمـاقِيَ الـدّمَ مـا اشـتفى ... فـؤادي مـن التأنيـب طُـول حـياتي

بكيـتُ لِرَسْـمِ الـدارِ مِـن عَـرَفاتِ
وأجْرَيْـتُ دَمْـعَ العَـينِ بالعَبَـراتِ
وَفَـكَّ عُـرى صَـدري وهاجَـتْ صبابتي
رُسُـومُ ديـارٍ أقْفَـرَتْ وَعِـراتِ
مَـنازلُ آيـاتٍ خَلَـتْ مِـن تـلاوةٍ
ومَهْـبطُ وَحْـيٍ مُقْفِـرُ العَرَصـاتِ
لآلِ رسـول الله بالخَيفِ مِـن مِـنىً
وبالبيـتِ والتعريفِ والجَمَـراتِ
ديـارُ عـليٍّ والحسـينِ وجعفـرٍ
وحمـزةَ والسـجّادِ ذي الثَفَنـاتِ
وسِـبْطي رسـولِ الله وابْـنَي وَصِـيِّهِ
ووارثِ عِـلمِ اللهِ والحَسَـناتِ
مـنازلُ قَـومٍ يُهتدى بِهُداهُـمُ
فَـيُؤمَنُ مِـنهمُ زلّـةُ العَـثَراتِ
مـنازِلُ كانَـتْ للصـلاةِ وللتُقى
وللصـومِ والتطهيرِ والحَسَـناتِ
هُـمُ أهْـلُ مـيراثِ النبيِّ إذا اعْتَزَوا
وَهُـمْ خَـيْرُ سـاداتٍ وخَـيرُ حُمـاتِ
إذا لم تُـناجِ اللهَ في صـلواتِنا
بأسمـائِهم، لم يَقْـبَلِ الصـلواتِ

حسينٌ قضى واحسرتاه وإنّه ... منارُ التُّقى والدِّينِ والبركاتِ

يُعلِّمُنا حِفْظَ المبادئ كلِّها ... ودرءَ فسادِ الحُكْمِ والشَّهَواتِ

دَعُوني أُنحْ طول الحياةِ على الأُلَى ... قَضَوا في سبيلِ الله في الفَلَواتِ

تُمزِّقُهم أيدٍ وتَفْري جِباهَهُم ... وَهُمْ أنقذُوها من عَمًى وسُباتِ

ولكِنَّها النفسُ الخبيثةُ أوْغَرَتْ ... تِراتٍ[1] لأسيادٍ لها وَهَداةِ

ولكنّها العَيْنُ المريضةُ لم تُطِقْ ... تَوَهُّجَ نُورِ الشمسِ في الضَّحَواتِ

وكم أثَراتٍ أصلُها الجهلُ والعَمَى ... أمَضَّتْ فكانَتْ مَوطِنَ العَثَراتِ

وكم حَسَراتٍ عَضَّت القَوْمَ سالِفاً ... فَأدَّتْ بِعُقْباها إلى حَسَراتِ

ومن يَلْقَ من بيت النُّبوَّةِ واحداً ... يُطالِعْهُ نُورُ اللهِ في القَسَماتِ

ومن يَتْلُ مِنْ آثارِهِم حِكَماً لَهُم ... مَلِيّاً يُلاقِ الدُّرَّ في الصَدَفاتِ

ورثنا مَعَ المجدِ المؤثَّلِ فُرْقَةً ... طوائفُها تَربُو على العُشَراتِ

كفاكم بَني الإسلام ما حَلَّ ساحَكُم ... وأربَعُكُم من فتنةٍ وشِتاتِ

مَضَى ما مضى مِنْ سُؤْدَدٍ وتَخَلُّفٍ ... ولكِنْ علينا عِبءُ ما هو آتي

عليٌّ وآلُ البيتِ يدعُونَنا إلى ... تعاوُنِنا لا مسبلِ العَبَراتِ

تعالَوا نُتابعْ نهجَهُم بحصافَةٍ ... وإحْكامِ سَعْيٍ راسخِ الخُطُواتِ

تعالَوا نَلُمَّ الشملَ في كلِّ مَوْطِنٍ ... لنبني مَجداً خالِيَ الثَّغَراتِ

وأعداؤُنا كُثْرٌ وَهُمْ في دِيارِنا ... فواأسفا للقدسِ والحُرُماتِ

تُمزِّقُنا الأهواءُ شرَّ مُمَزَّقٍ ... ويجمَعُنا دِينٌ وكَنْزُ عِظاتِ

ألا إنّما التوحيدُ غايةُ دِينِنا ... سَيَدْفَعُ عنّا الكَرْبَ والأزَماتِ

يعلِّمُنا نَحْيا حياةً كريمةً ... ونَرفَعُ صَرْحاً عالِيَ الشُّرُفاتِ

---

[1] جمع ترة: وهي الثأر.

فأوطانُـــنا مَشْـــهُورةٌ بكُـــنُوزِها وآمالُـــنا قُدْســـيَّةُ اللَّمَحـــاتِ
إذا قطـرات المُـزنِ ضُـمَّتْ لبعضِـها تَدَفَّـقَ سَـيْلُ العِـزِّ مِـنْ قَطَـراتِ
نعـيشُ بِتَوحـيدٍ وحُـبِّ محمّـدٍ ونحـنُ إذا مِتْـنا فَفـي الغُـرُفاتِ
نَـزُولُ مَـعَ الدُنـيا ويَـبقى كتابُـنا يُـنِيرُ سـناهُ دامِـسَ الظُّلُمـاتِ

***

الشيخ عز الدين القسام
والتأسي بمدرسة الفداء الحسيني

الأستاذ عبد الصمد عز الدين القسام[*]

□ أين موقع الملحمة الحسينية في مسيرة الثورة الفلسطينية وأدبيات مناضليها؟

□□ الملحمة الحسينية أساس ونبراس لدى المجاهدين الأوائل في فلسطين وكذلك من سار على دربهم، وإن لم تُشر الأدبيات الثورية الفلسطينية المعاصرة بوضوح إلى ذلك، إلاّ أنّها حملت في طيّاتها الروح، بينما جسدها الشيخ القائد عز الدين القسام في استشهاده الكربلائي في فلسطين وقبله الشهداء محمد جمجوم، عطا الزير، فؤاد حجازي عام ١٩٢٩، ومازال مجاهدو فلسطين حتى الآن عبر جهادهم واستشهادهم يرفعون راية النهج الحسيني المقاوم.

يقول الشاعر الفلسطيني "حسان فلسطين" بعد استشهاد القائد الشيخ عز الدين القسام** :

(*) حفيد المجاهد الشهيد الشيخ عز الدين القسام (رحمه الله).

** الشاعر حسان فلسطين واسمه الشيخ سليم اليعقوبي، كان مفتي يافا وهو من مواليد اللد عام ١٨٨٠م نفاه الإنكليز من وطنه. توفي أثناء أدائه فريضة الحج سنة ١٩٤٦ وله ديوانان من الشعر (حسنات اليراع) و(النظرات السبع).

قـــتلوك لا كـــانوا ولاكـــان الأُولى

ولُّـوا علـيك ومـا لهـم مـن شـاني

لـك في الحسـين ومـن إلـيه أسـوةٌ

فـيما جَـناهُ علـيكَ ذاك الجـاني

إن كـان أول مـن أصـابوا مقـتلاً

مـنه الحسـين فأنـت عـندي الـثاني

□ ما أهمية استذكار تضحية سبط الرسول الأكرم ﷺ والدروس التي ينبغي استلهامها من نهضة عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام ؟

□□ إن استذكار تضحية سبط الرسول الأكرم، يشكل ينبوعاً لا ينضب في الحثّ على الجهاد وبذل النفس وكل غالٍ في سبيل إحياء الدين ومواجهة الطغاة والمجرمين الظالمين أياً كانوا وأينما كانوا، والدروس التي يمكن استلهامها من نهضة عاشوراء الإمام عليه السلام :

- لا بد من وجود قائد وإمام تجتمع حوله القواعد الجماهيرية يتمتع بالسداد والرشاد والصواب حريصٌ على الدين والأمة.

- أنه لا بد من التصدي للظلم مهما بلغت شوكته وقوته، وما قام به الإمام الحسين عليه السلام كان فاتحة للثورة على كل ظالم غاصب، وناسفاً لعقلية الرضوخ والخنوع للمستبد الآثم.

- أن التضحية بالنفس وبذل الدماء لن تذهب هدراً كما يتخيل البعض وإن استمر الظالم فهو مهزوم لا محالة.

- الاستشهاد هو النصر وفاتحته، الاستشهاد هو سفينة النجاة التي توصل إلى بر الأمان.

- أن الجهاد مدرسة متكاملة لا تتجزأ، نهضة شاملة لكل شيء ونهوضٌ لا يعرف الكلل والتردد، بل يعرف طريقاً واضحاً هو الوصول للحق والحقيقة والكمال المنشود.

□ ما الذي مثله الاستشهاد النموذجي للشيخ عز الدين القسام (طاب ثراه) للشعب الفلسطيني المقاوم؟

□□ استشهاد القسام كان يقظة وصحوة ونهضة وثورة فتحت أبواب الجهاد الذي حاولوا وأده وصرف الناس عنه، كان استشهاده هزيمةً للفكر المستكين المتخاذل وتتويجاً لحياة نيّرة مفعمة بالجهاد والإعداد للثورة ومقاومة الغزوة الانكليزية – اليهودية لفلسطين والمنطقة برمتها، وكيف لا يكون ذلك والشهيد القسام قد اتخذ الإسلام ملجأً ومنطلقاً، مبدأً وممارسة وهو المنتمي نسباً إلى الدوحة النبوية الطهرة فزاده ذلك خيراً وكرماً ونبل محتد.

وعاش ومعه شعاره الخالد: إنه الجهاد نصرٌ أو استشهاد.

□ برأيك لماذا يتوجس البعض من إحياء ذكرى سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ؟

□□ ذكرى عاشوراء يجب ألاّ تغيب من حياة كل المسلمين من حيث أنها ثورة على الظلم والظالمين ودعوة لإحياء الدين ودستور حياة للمجاهدين، من هنا يخاف الكثيرون من إحيائها خوفهم من الحق والحقيقة، ولأنها تؤلب الناس عليهم وتجلو الأبصار وتزيل الغشاوات وتدفع المسلمين للانتفاض ضد الظلم والجبروت وضد الطغاة والمحتلين.

□ كيف يجب عرض الفداء الحسيني واستحضار ذكرى عاشوراء في سبيل إفادة الأمة الإسلامية ؟

□□ من يزعم بأن الإمام الحسين عليه السلام إمامه وقدوته ومنارته يجب أن يتمثل حياته عليه السلام ، بأن لا رغبة في ترف الحياة وأن الحياة عقيدة وجهاد وأن لا مهادنة مع المحتل القاتل الظالم ولا تكفير بدون علم وبصيرة ولا تردد في نجدة الأخ ورفع الظلم، وأن الروح رخيصة في سبيل كل ذلك.

إن استحضار عاشوراء برمزيتها الهائلة حاجة دائمة، من هنا وجب إحياؤها والعمل على تجسيدها ليس كنهاية بل كبداية لا تنتهي ، تنمي الأحاسيس الصادقة والمشاعر العميقة وتستنهض الهمم وتشحذ الأفكار وتنير العقول وما

أعظمها من مستنهض الآن لمواجهة العدوان الأمريكي الصهيوني – الصليبي المستمر على أمتنا، من خلالها يمكن التعبئة والإعداد والتنظيم والتهيئة والبناء والمقاومة بكل أشكالها، باختصار من يريد المقاومة والجهاد من يريد النصر من يريد الحياة فعليه العودة لاستلهام دروس وعبر عاشوراء رمز النهضة الحسينية الخالدة.

***

فتحي الشقاقي.. المفكر الاستشهادي
على نهج الحسين (عليه السلام) (*)

د. سعيد يعقوب

نحن نتحدث هنا عن الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.. هذا الرجل قال كلمة ولا أروع: "لا إسلام بلا فلسطين ولا فلسطين بلا إسلام" حيث أن فلسطين لا يمكن أن تسترد بدون الجهاد وحيث أنه لا يعتبر مجاهداً في هذا العصر من لا يسعى لتحرير فلسطين فهي أولى الأولويات وقدس الأقداس.

مجاهد يعرف أن أدواته بسيطة ورجاله قليلون ويعرف أن عدوه تغذيه عصابات الدنيا كلها بمالها وزخرفها ويعرف أن تحرير فلسطين، كل فلسطين دونه الصعاب والعقبات الهائلة لكنه يرى بنظرته الثاقبة أن ذلك سيقع لا محالة لأن الحق سينتصر يوماً...

ألا يُذكر مثل هذا الموقف بالإمام الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة حين نهض نهضته وهو يعرف أنه مقتول لا محالة لكن حركته نهضوية مستقبلية؟... وقال الشقاقي: حين نعمل لتحرير فلسطين فإننا لا نتوقع نصراً سهلاً ولا قريباً لكننا ننشد إحدى الحسنيين:

الشهادة أو على الأقل إيقاظ النفوس والحفاظ على شعلة الحق دون أن تنطفئ وإن خبا نورها، وتسليم راية الجهاد من جيل إلى جيل.

(*) اعتمدت في هذا المقال المتواضع على الأعمال الكاملة للشهيد فتحي الشقاقي في جزئين إعداد د. رفعت السيد أحمد. إضافة لبعض معلومات من الانترنت. ـــ د. سعيد يعقوب

إن في فلسطين نفساً حسينياً كربلائيا طريق سار فيه عز الدين القسام.. وعظماء كثيرون.. ومنهم فتحي الشقاقي، وكذلك في جنوب لبنان طريق رسمه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (ﷺ) وسارت فيه قوافل إثر قوافل حتى جاء الإمام موسى الصدر والسيد عباس الموسوي والسيد حسن نصر الله أمين عام حزب الله الذي قاد رجال المقاومة الإسلامية في لبنان نحو الانتصار الهائل على العدو الصهيوني مرتين في ٢٥ أيار عام ٢٠٠٠ والأخرى في ١٤ آب عام ٢٠٠٦ وما النصر إلا من عند الله.

إن في كلمات الشهيد فتحي الشقاقي أسلوباً حسينياً لا يخطئه الدارس فيوماً قال الحسين لوالي يزيد "إن مثلي لا يبايع مثله. وقال ما خرجت أشرا ولا بطرا إنما أردت الإصلاح في أمة جدّي رسول الله (ﷺ) وقال لأحد أصحابه لو وجد في من حجر ضب لا تخرجوني وقتلوني.. وقال الشقاقي إن أعداءنا يلاحقون الأبرياء بالذبح في عقر دورهم ويبحثون عن الشطآن الراقدة في مهد السلام ليفجرها بجحيم ويلاتهم... وقال فتحي الشقاقي في ذكرى استشهاد الشيخ المجاهد عز الدين القسام:

في ضحى أحد أيام التاريخ المشهود وقف سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي في ساحة كربلاء ليقدم لنا مشهداً سيبقى في ذاكرة التاريخ وللأبد، رمزاً إنسانياً فذاً للشهادة في سبيل الحق والعدل والواجب، وبعد ثلاثة عشر قرناً من الزمان وفي ضحى أحد الأيام المشرقة وعلى طريق التواصل الممتد ـ تواصل واستمرار هذا الدين العظيم ـ يجيء رائد حسيني آخر يدعى عز الدين القسام يرفع كفه الصغيرة في وجه الغزو الصليبي القادم في وجه بريطانيا القبيح وتابعتها الصهيونية، ويسقط القسام شهيداً حسينياً فوق جبال فلسطين وتشرب الأرض دمه الطاهر وتمتص الشجر روحه المشتعلة فيدخل في قمح الفقراء وخوابي الفقراء.. يأتي إلى دمنا ناراً مقدسة وفرحاً لا ينتهي.. ما أعجب هذا اللقاء بين القسام والحسين، قلة مؤمنة قليلة في مواجهة جيوش جرارة لكنه انتصار الواجب المقدس في صراع الواجب والإمكان، روح واعية مسؤولة في وسط بحر من اللامبالاة والتقاعس".

ويقول الشقاقي في خطبة أخرى:

"أيها المسلمون، في يوم ما وقف حفيد رسول الله الحسين بن علي ليطلق صيحته التي ذهبت في الزمان حجة خالدة (ألا هل من ناصر ينصرنا)؟ لبيك يا سيد شباب أهل الجنة لبيك يا ابن بنت رسول الله والله لا يخذلك إلا جاهل، إلا حاقد، إلا عدو لجدك ودين جدك..

لبيك ولينتقم الشيطان الأمريكي ما شاء فهذه أرض الله إرث المستضعفين، فطالما أن باب الموت مفتوح فلن يمروا.. لن يمروا.. لن يمروا.. أيها الأخوة الشهداء يا من نستحضر في هذه الساعات جهادكم وبطولاتكم.. أيها الذاهبون إلى الموت الجميل.. أيها الكربلائيون على درب الحسين، على دربكم نمضي بعد أن رسمتم لنا بموتكم واستشهادكم ملامح المرحلة الجديدة، لقد كان نهج العمليات الاستشهادية فوق الأراضي اللبنانية وشمال فلسطين هو الرد الإسلامي الفذ والمعجز على تكنولوجيا المستعمر وآلته الجهنمية.

وقال فتحي الشقاقي في ذكرى رحيل الشهيد السيد عباس الموسوي الأمين العام السابق لحزب الله الكلمات التالية:

في ذكرى السيد الكربلائي الحسيني الخميني الفذ نؤكد أن كربلاء خالدة في ضمائرنا والحسين باقٍ في دمنا ووجداننا.. قالوا للسيد عباس لا تذهب جنوباً إلى جبشيت وقالوا لجده الحسين من قبل لا تذهب إلى كربلاء وكلاهما ذهب ووهبنا بموته الحياة وزرع في صحرائنا الأمل.

هكذا الكبار حين ينصحهم الناصحون بأن يؤثروا السلامة يأبون، فالإمام الحسين نصحه ناصحوه بأن لا يذهب إلى العراق لكنه صاحب قضية ليست سلامته الشخصية بأهم منها، وكذلك الإمام الخميني نُصح أن لا يسافر بالطائرة إلى طهران لأن الشاه يمكن أن يُسقطها قبل نزوله في المطار، لكنه قال لهم: نحن في كون مركزه الله ولا يهمنا ماذا يجري لنا وما يفعل بنا. وحين غادر الشقاقي إلى مالطا قادماً من طرابلس ليبيا نصحه الناصحون أن في ذلك مخاطرة قال: إذن هي الشهادة وهذه أمنية خاصة لي..

في عصر الحسين انتقم الله من يزيد فلم يلبث ملكه وملك السفيانيين إلا أشهراً وفي عصر فتحي الشقاقي كان الرد الإلهي مزلزلاً حيث قتل اسحق رابين

رئيس حكومة العدو الصهيوني بعد أيام من إصداره أمراً شخصياً بقتل الشهيد الشقاقي..

وكما قال الشقاقي: "رحل الحسين إلينا ولم يرحل عنا، استشهد ليشهد، وما علينا إلا الجهد وعلى الله النصر.." قولاً حققه الشقاقي بدمه.

لقد ملك الشقاقي من الوعي ما جعله ينفتح مبكراً على الثورة الإسلامية في إيران ورأى في الخميني عن حق أنه رجل عاش كل الإسلام في كل عقله وروحه الأمر الذي جعله يرى في فلسطين همه الأول...

إنني كلما تذكرت السيد موسى الصدر ـ رحمه الله حيا أو ميتاً ـ تذكرت فتحي الشقاقي.. كلاهما كان يتدفق حيوية ونشاطاً وبشراً.. كلاهما كان أمة في رجل، كلاهما كانت فلسطين في دمه وعقله وروحه وشغاف قلبه، كلاهما كان يحمل تعاليم وأفكاراً تتصل بقضايا الإنسان والمستضعفين وبرسالة العدل والحب للبشرية جمعاء، وكلاهما كان مشروعاً إنسانياً فذاً ومتكاملاً وواضحاً، كلاهما غُيِّب في أوج نشاطه بعد رحلة إلى ليبيا!!!

وكما قالت زوجة الشقاقي هذه المرأة الزينبية الصابرة في مناسبة تأبينه:

"خرج فتحي إلى ليبيا كما خرج الإمام الحسين، هو نفسه القدر والواجب الذي أخرجه ليكون شهيداً في مالطة، فقد استشهد في هذه الكربلاء المستمرة التي يذبح فيها الفلسطينيون ليل نهار وتهدم دورهم ونرجو الله أن يحشره في الجنة مع الخميني وعباس الموسوي وراغب حرب وكل أشراف الأمة في مصر وفلسطين وإيران ولبنان..."

وقال الإمام الخامنئي (دام ظله) في بيان نعى فيه الشقاقي:

"لقد خاض جهاداً مريراً بقلب ملؤه الإيمان والإخلاص في سبيل الدفاع عن أرضه ووطنه السليب..."

وأخيراً نعود إلى قول للشقاقي جاء فيه:

"إن حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي في فلسطين، هم قوة إسلامية واحدة تنطلق من آيات القرآن وعلى درب أبي عبد الله الحسين، نمضي إلى تحرير بيت المقدس وأكناف بيت المقدس..."

وقد تحقق أمل الشقاقي وطموحاته بفضل الله تعالى وبسواعد مجاهدي حزب الله بقيادة السيد حسن نصر الله، هذا الانتصار وهذه الوقفة العاشورائية الكربلائية هي التي كان يتمناها الشقاقي ويحلم بها ويراها بنور الله في مستقبل مشرق آت. وستتحقق بقية أماني الشقاقي وأماني الشعوب الإسلامية في تحرير فلسطين وزوال الكيان الغاصب إن شاء الله تعالى.

***

مع الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي 1991

المحور الرابع عشر :

الدور الزينبي الخالد في عاشوراء

السيدة زينب بنت الإمام علي عليها السلام هي ربيبة البيت النبوي الشريف، ولذلك فإنها خير من تمثل دور المرأة المسلمة في ميادين الدين والحياة وبما أن الكتاب يتناول نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) ومنعكساته على امتداد الأجيال، فإن الدور الزينبي الرائع اللصيق بملحمة عاشوراء في محطاتها اللاحقة ولاسيما أثناء سبي نساء آل محمد صلى الله عليه وآله وآل علي (ع) من كربلاء إلى الشام، بعد استشهاد حفيد الرسول الأعظم والثلة الطاهرة من بني هاشم والصحب الميامين في واقعة الطف، هذا الدور يعد معلماً خالداً لمسؤولية المرأة الواعية المجاهدة في المفاصل المصيرية من حياة الأمة. الأمر الذي يحاول هذا المحور في حدود الممكن، تسليط الضوء على بعض جوانبه من خلال ما يلي:

في حضرة
العقيلة زينب الكبرى عليها السلام

ولدت السيدة زينب عليها السلام(*) في السنة الخامسة للهجرة، وفي هذا التاريخ عاد رسول الله صلى الله عليه وآله من سفره، وأشرق بيت فاطمة عليها السلام بقدومه، واحتضن رسول الله الحفيدة وسمّاها زينب وكلمة زينب تعني أصل الشّجرة الطّيبة.

عُرفت بالعقيلة أو عقيلة بني هاشم لأنها كريمة قومها وعزيزة بيتها. كان أمير المؤمنين عليه السلام يردّ الطّالبين بزواجها، وعندما تقدّم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وهو الكفو لعقيلة بني هاشم الذي لقب بـ(بحر الجود)، وافق أمير المؤمنين عليه السلام على زواجه منها.. فأبوه جعفر بن أبي طالب ذو الجناحين وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية من المهاجرات المؤمنات المعروفة بالتقى والصلاح والتي عبّر عنها الإمام الصادق عليه السلام بالنَجيبة.

وزينب عقيلة بني هاشم رغم أنّها تزوّجت وانتقلت إلى بيت ابن جعفر إلاّ أنّها لم تتخل عن المسؤولية لتدير بيت أبيها وتهتم بشؤون أخويها وتصبح المسؤولة بهم أوّلاً وآخراً، فقد انتقلت من المدينة إلى الكوفة تبعاً لانتقال مركز الخلافة وكان بمعيتها زوجها وأولادها لتعيش على مقربة من الإمام بصفتها الإبنة الكبرى لعلي عليه السلام بعد وفاة أمها فاطمة عليها السلام.

وزينب بحكم مركزها في البيت العلوي تختلف عن باقي النساء، فصُورُ مأساة فقد جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمها الزهراء عليها السلام مازالت في ذهنها، وقد شاركت بذلك الأحداث ومشاكل حركات التمرد التي ثارت في وجه أبيها التي

(*) تم اقتباس هذه المقاربة التاريخية من نشرة (الألق الحسيني)، الصادرة عن الهيئة الثقافية العليا لمكتب السيد الشهيد الصدر قدس سره – محرم ١٤٢٧هجري.- النجف الأشرف / العراق.

كان آخرها رؤيتها لـه صريعاً في محرابه بسيف الشقي الخارجي عبد الرحمن بن ملجم، كما قد سمعت وصية أبيها أمير المؤمنين عليه السلام بأن رسول الله أمره أن يوصي إلى ابنه الحسن عليه السلام بالإمامة وولاية الأمر، ويأمره أن يدفعها لأخيه الحسين عليه السلام من بعده ثم لابنه علي بن الحسين عليه السلام ثم لابنه محمد عليه السلام ..فلم تكن زينب عليها السلام بمعزل عن هذه الوصية ووعتها جيداً.

سيرتها ومناجاتها :

كانت عليها السلام عالمة غير معلّمة، وفهمة غير مفهّمة، عاقلة لبيبة، جزلة، وكانت في فصاحتها وزهدها وعبادتها كأبيها أمير المؤمنين وأمّها الزهراء عليها السلام. اتّصفت عليها السلام بمحاسن كثيرة، وأوصاف جليلة، وخصال حميدة، وشيم سعيدة، ومفاخر بارزة. وفضائل طاهرة. حدّثت عن أمّها الزهراء عليها السلام، وكذلك عن أسماء بنت عميس، كما روى عنها محمّد بن عمرو، وعطاء بن السائب، وفاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام ، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبّاد العامري.

عُرفت زينب عليها السلام بكثرة التهجّد شأنها في ذلك شأن جدّها الرسول صلى الله عليه وآله ، وأهل البيت عليهم السلام . وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله: (مارأيت عمّتي تصلي الليل عن جلوس إلاّ تركت تهجّدها وعبادتها المستحبّة حتّى تلك الليلة الحزينة، بحيث أنّ الإمام الحسين عليه السلام عندما ودّع عياله وداعه الأخير يوم عاشوراء قال لها: يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل.

وذكر بعض أهل السير: أنّ زينب عليها السلام كان لها مجلس خاص لتفسير القرآن الكريم تحضره النساء، وأنّ دعاءها كان مستجاباً.

مع الحسين عليه السلام

((والله لا أعطي بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد)) فهمت زينب عليها السلام من خلال كلمات الإمام الحسين عليه السلام وتضحياته، أبعاد الموقف المرتقب ألا وهي تحمل مسؤولية القضية التي ضحى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام في نشر نهضته الجبّارة في وجه الباطل، تلك النّهضة التي هي امتداد للرسالة التي جاء بها

النبي الأكرم ﷺ. لقد مات لها عليها السلام في واقعة كربلاء المكان الأبرز في جميع المواطن، فهي التي كانت تشفي العليل وتراقب أحوال أخيها الحسين عليه السلام ساعة فساعة، وتخاطبه وتسأله عند كل حادث، وهي التي كانت تدبر أمر العيال.

أخبارها في الكوفة:

لما جيء بسبايا أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة بعد واقعة الطف، أخذ أهل الكوفة ينوحون يبكون، فقال بشر بن خزيم الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت علي عليها السلام يومئذ، فلم أرَ خفرة (عفيفة) أنطق منها، كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أومأت إلى الناس أن أسكتوا فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس، ثمّ قالت: الحمدلله والصلاة على محمد وآله الطّاهرين، يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولاقطعت الرنة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة، أنكاثاً تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلاّ الصلف النطف...) إلى آخر الخطبة الشريفة، وهي معروفة.

أخبارها في الشام:

أرسل عبيد الله بن زياد والي الكوفة السيّدة زينب مع سبايا آل البيت عليهم السلام. بناء على طلب يزيد- ومعهم رأس الحسين عليه السلام وباقي الرؤوس إلى الشام، فعندما دخلوا على يزيد دعا برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه، فلمّا رأت زينب عليها السلام الرأس الشريف بين يديه صاحت بصوت حزين يقرح القلوب: (يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يا ابن فاطمة الزهراء)، فأبكت جميع الحاضرين في المجلس ويزيد ساكت. وروي أنّ يزيد عندما أخذ ينكث ثنايا الإمام الحسين بقضيب خيزران، قامت السيدة زينب له في ذلك المجلس، وخطبت قائلة: الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين: أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، فأصبحنا نُساق كما تُساق الإماء، إن بنا هواناً على الله، وبك عليه كرامة، وإنّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً، أمِنَ العدل يا ابن

الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك، وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا، قد هتكتَ ستورهنّ، وأبديتَ وجُوههُن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد.

العقيلة عالمةٌ غير مُعلّمة

هناك خصوصيات لزينب هي نفس خصوصيات فاطمة الزهراء عليها السلام:

١- الولاية والقدرة التكوينية حيث أشارت بيدها إلى الناس وهي في الكوفة فارتدَّت الأنفاس وسكنت الأجراس وهذا يدل على سيطرتها التكوينية على كلّ شيء.

٢- العلم الذي اكتسبته زينب عليها السلام من الإمام الحسين عليه السلام وهو علم الإمامة، قال عنها الإمام زين العابدين عليه السلام: كانت "عالمة غير معلّمة" وقد ظهر كلّ شيء في خطبتها العظيمة في الكوفة والجدير بالذكر أنّ الزهراء عليها السلام أخذت ابنتها زينب إلى المسجد وخطبت الخطبة وكانت زينب آنذاك في السابعة من عمرها.

فكيف استطاعت أن تحفظ الخطبة بأكملها وتنقلها إلى الآخرين حتّى تصل إلينا؟ فولا اتصالها بالغيب لما استطاعت زينب أن تنقل هذه الخطبة الغراء ذات المحتوى العميق. وكأنّ الزهراء عندما خطبت كانت تقول لزينب بلسان حالها أن اسمعي الخطبة جيداً لأنّك أنت أيضاً سوف تخطبين بنفس الأسلوب وأنت بالكوفة، وهذا ما حدث حيث خطبت زينب في الكوفة بنفس النمط كما هو واضح لكل من يتعمق وكأنّ الخطبتين ويقايسهما معاً، وكأن الزهراء هي التي تكلمت في الكوفة فالعبارات متقاربة والنسق واحد.

هناك فرق كبير بين الموقفين فعندما دخلت الزهراء إلى المسجد وخطبت كانت تخاطب المهاجرين والأنصار والأرضية كانت مهيّأة لبنت رسول الله، أما زينب فكانت تعدُّ أسيرة، فالمخاطبون هم أعداؤها الذين قتلوا أولادها وأخوتها، ولكنّها مع ذلك استطاعت أن تسيطر على المجلس سيطرة كاملة، ورغم أنه ينبغي للخطيب أن يركز جميع مشاعره وحواسه ليتمكن من توضيح مقصوده إلا أنّ زينب عليها السلام وبعد تلك المصائب العظيمة استطاعت أن تتحدَّث

وبكل شجاعة وصلابة، وهذا يدلّ على ارتباطها المعنوي بعالم الملكوت الأعلى. كما كانت أمها السيدة فاطمة الزهراء، فزينب رغم أنها كانت تلعنهم وتتهجم عليهم وتعاتبهم والمفروض أن ينفروا ويبتعدوا من خطابها إلا أنهم انقلبوا على ما كانوا عليه وخاطبوها بقولهم: "والله إن شبابكم هم خير الشباب" كلُّ ذلك يدل على قوة روحها عليها السلام.

وفاتها:

توفيت أم المصائب زينب عليها السلام في الخامس عشر من شهر رجب هجري، واختلف في محل دفنها، فمنهم من قال: في مصر: ومنهم من قال في الشام، ومنهم من قال: في المدينة.

***

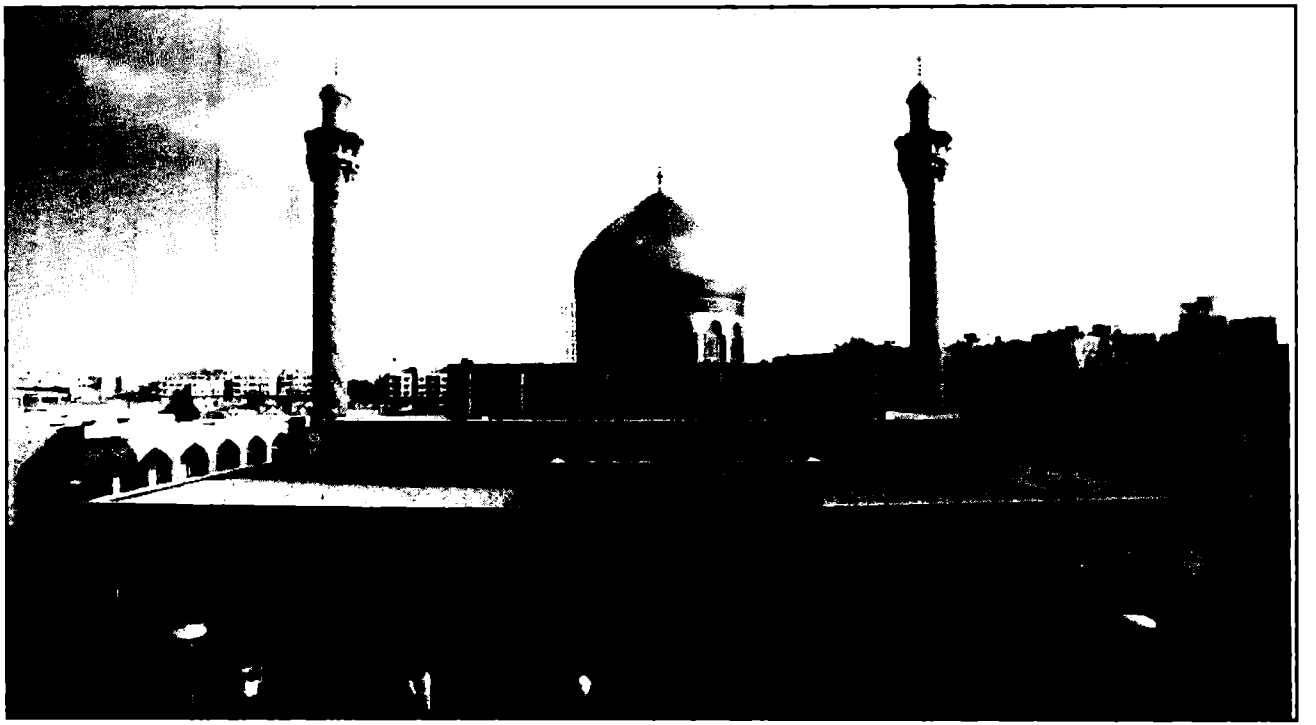

منظر خارجي لمقام السيدة زينب (ع) - سورية ريف دمشق

محطات عاشورائية ثلاث
في مسيرة عقيلة بني هاشم

الأستاذة السيدة رباب الصدر (*)

١ - سلام الله عليها وعلى آلها عقيلة بني هاشم السيدة زينب، لقد وضعت للأمة عناصر تجربة فريدة في المقاومة (السلبية) بحيث لا تزال تجربتها وسيلة صالحة لاستلهام كل المقاومين المهزومين بالمعنى المادي، المختزنين لتفاعلات القوى الروحية.

إنَّ النصر، بالمعنى المادي، مغرور عادة، ولذلك لا يحصن نفسه باحتمالات الردات التي تفجرها الهزيمة، وهذا ما كان في النصر (الزياد-يزيدي)[١]، وربما كان هنالك مبررات لغرور النصر الأموي، مما جعله لا يحسب حساب استئساد الحفرات.

النصر الأموي يرى أن الحياة سارت طبيعية بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، وأن استشهاد الإمام الحسن عليه السلام لم يحدث أية هزة مع شيوع أمر تحضير معاوية مؤامرة التسميم. كما أن الأمور سارت متسقة لمعاوية بعد أن غير أسلوبه فأعدم معارضيه، فخرج عن حلمه المُدّعى، فأعدم وقتل صبراً وصلب حجر بن عدي ورفاقه.[٢]

(*) – السيدة رباب الصدر: شقيقة الزعيم الإسلامي المغيّب الإمام موسى الصدر. وهي ناشطة في مجال الفكر الإسلامي والأعمال الخيرية والاجتماعية في لبنان وأنحاء العالم.

(١) المراد هما عبيد الله بن زياد بن أبيه ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

(٢) الصحابي حجر بن عدي الكندي، شهد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) صغيراً، وكان من خيرة أصحاب الإمام علي عليه السلام. قتله معاوية بعد أن استقدمه وابنه ولفيفاً من أبناء عشيرته من الكوفة إلى الشام قسراً. يقع ضريحه الطاهر اليوم في بلدة عدراء الشام على بُعد حوالي ٣٠ كيلو متراً من دمشق. ويؤم مزاره سنوياً الآلاف من محبي الحق والحقيقة، إجلالاً لقدره وإكراماً لتضحيته العظيمة على طريق الاستقامة والصمود.

وهنالك الكثير مما يذكر في الانحراف الأموي دون أن يحدث خللاً في الحياة السياسية الأموية، وقد بلغ الأمر حدّ الإعلان بنفي الرسالة والنبوة.

أولى بوادر نجاح المقاومة الزينبية لابن زياد في الكوفة وليزيد في الشام، وللإعلام الأموي الذي عمل على تصوير السبايا بأنهم خارجون على الحكم الشرعي، أولى البوادر كانت انقلاب بيت يزيد عليه، ثم إحساسه بحراجة موقفه طوال سنوات حكمه الثلاث، وتكدر العلاقة بينه وبين ابن زياد.

النصر الأموي المغرور، قلبته زينب إلى هزيمة معنوية زلزلت أركان الحكم، فلم يستمر أكثر من ألف شهر، مع توالي بيتين أمويين عليه، كان من المفترض أن يدفعا بالحكم إلى مئات السنين. ولكن البيتين كان لهما ما يزلزلهما من الداخل، فإنكار أولاد يزيد في البيت السفياني، لحقّهم في السلطة، ثم تقويض عمر بن عبد العزيز، في البيت السفياني، لممارسات وقواعد ابتنيت منذ رحيل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، أدى إلى تقويض أركان الحكم.

وحسبنا هذه الإشارات ليعي المسلمون في الحاضر وفي المستقبل إمكانية تحويل الهزيمة إلى نصر، إذا أحسنت الاستفادة من مكامن الضعف في نفسية الخصم وفي ممارساته.

٢- إنّ لحظات خروج الإمام الحسين عليه السلام، تستوعب دروساً قد لا تحصى، لذلك أفضل أن ألفت على نقاط تغطي تساؤلات عدّة:

- نلاحظ أن خطاً نسوياً تَوَحَّدَ في الغاية واختلف في الشكل عند خديجة من النبي، والزهراء من الإمام علي، وزينب من الإمام الحسين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ونتبين أن هذا الخط كان فيه اللحمة بما قام به القياديون.

- وحدة الروح بين قولة الإمام علي عليه السلام عندما ضُرب: (فزت ورب الكعبة) وقولة زينب أمام جثمان أخيها: (اللهم تقبل منا هذا القربان)، ولا تبعد هذه الروحية عن استبشار الزهراء عليها السلام بالموت عندما أبلغها النبي بأنّها أول اللاحقين به.

- المشاركة في اختلاف الباحثين وتعدد القبور بين الحسين وزينب عليهما

السلام، وكأنها إشارة لافتخار أقوام عدة في اعتبارهما، سلام الله عليهما، الرمز لهذه الأقوام.

- الأحداث الإسلامية الكبرى كانت تجري من حول زينب وكان الرجال يحملون تبعات الأحداث، أما حادث الحسين فهو حادثها هي، وفيه فرادة في البيت الهاشمي، إذ لم يعرف من قبل، أن انتقلت المهام في إدارة الشأن العام، وفي حومة الحرب، من الرجال إلى النساء، في آل هاشم، أما في الطف فقد حدث ما لم يكن في الحسبان، وتولت زينب المهام منذ خروج الإمام الحسين عليه السلام ليواجه الأعداء، فكانت هي بحكم الظروف متولية الشأن.

- كانت أول إشارة لتوليها الأمور، ولم يكن في المخيم سوى النساء والأطفال والإمام علي بن الحسين زين العابدين مريضاً، كانت الإشارة بأنها أمسكت هي بزمام فرس الإمام الحسين عليه السلام عند مسيره إلى المعركة في مرحلتها الأخيرة، وكان من يقوم بهذا هو العباس بن علي عليه السلام.

- منذ تلك اللحظة مارست الشأن العام طوال المدة التي كانت بين شهادة الإمام الحسين عليه السلام وبين عودة قافلة السبي إلى المدينة، وقد كان ما كان من مواجهات وعذابات بين الكوفة والشام ذهاباً وإياباً.

وعند وصول القافلة إلى المدينة المنوّرة، كان الإمام زين العابدين عليه السلام قد أبلَّ من مرضه، وهنا نرى القائدة زينب تتنحّى، فيمارس هو عليه السلام القيادة والولاية.

- لم تجرف المأساة زينب، ففي أشد اللحظات الحرجة، وفي الوقت الذي ارتمت فيه على الجدث الطاهر المبضع المقطع لأخيها الشهيد الحسين عليه السلام، تنتفض فتتجه نحو الخيام، وقد تذكرت ابن أخيها المريض، مخاطبة الجدث الطاهر: (أخي، لو خيّرت بين الرحيل والمقام عندك لاخترت المقام، ولو أكلت السباع من لحمي)، ولكن الخيار ليس لها، إنه للمهام.

- ومضت بضعة ايام من الجوع والعطش حتى وصلت قافلة السبي إلى الكوفة من كربلاء، فعلمت نساء الكوفة هوية السبايا، فتقدمت بالطعام والشراب، ولكن زينب كانت تعتذر عن القبول قائلة: **(يا أهل الكوفة، نحن أهل البيت لا نأكل الصدقات)**.

- كان النعمان بن بشير، قائد حملة عودة السبايا من الشام إلى المدينة، وكان كريماً خلوقاً عفيفاً دقيقاً في تلبية ما يطلب منه زلفى إلى الله.

رأت الفواطم أن يُكرمنه لدى الوصول إلى المدينة بتقديم ما ترك لهن من الحلي له عرفاناً وشكراناً، فاعتذر عن القبول لأنه تقرب بخدمتهن إلى الله وليس لأمر دنيوي.

في أقسى اللحظات لا يهمل أهل البيت عليهم السلام المقتضى سواء أكان من المهام العامة، أم من الإلتفاتات الاجتماعية الخاصة.

هذه نماذج من الحركة الزينبية، وفي الذروة من مأساة الطف وما استتبعها من مواجهات كلامية مع الطغاة وحوارات تنبيه وتوعية للناس، والتزام بقواعد السلوك العملي والأخلاقي مع المجتمع، ولا يقوم المقام بتحليلها وتلمس مراميها، ومن هذه النماذج يمكن للأوساط النسائية الأخذ بما يناسب للاقتداء والاستلهام، ولا أرى أن هذه القواعد يمكن أن تنحصر في عصر معين، فقد مورست قبل أربعة عشر قرناً، ومازالت قابلة للممارسة.

٣ - أرغب أن ألفت إلى الإمام الحسين عليه السلام، قد أطلق على نهضته صفة الإصلاح في أمة جده، وهي المطابقة للواقع، إذ أن الحركة الأموية كانت لنسف الأسس الإسلامية، يعني حركة لنسف الأسس الإسلامية، يعني إنقلاباً على الإسلام، وقد اعتبر ابن زياد الرسالة الإلهية أحدوثة كاذبة، كما أن يزيد ردّد شعراً، وهو ينكث الرأس الشريف لشهيد كربلاء، قال فيه:

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل

بينما استشهد الإمام الحسين عليه السلام بالقول:

إن كان دين محمد لم يستقم ... إلا بقتلي يا سيوف خذيني

من هنا، فالمجتمع الإسلامي كان في وضع يحتاج إلى تقويم ما اعوج في مسار المسلمين منذ رحيل النبي صلى الله عليه وآله.

أما الموقف الزينبي من هذا التقويم فكان في حفظ الإسلام في قمة المستويات الروحية، والمناهج العملية والتعاليم الأخلاقية، المتمثلة بمصطلح العصمة وفي هذا

المصطلح ذروة ما يكون عليه الإنسان الإلهي، خليفة الله في الأرض.

الدور الزينبي حَفَرَ خطّين في التاريخ الإسلامي، أولهما: أنه حفر في المسار التاريخي مأساة مميزة الفرادة لتخلد في الذاكرة الشعبية ملحمة اسمها كربلاء، لتكون النهج الامثل في التضحية، بلوغاً لغايات، بعيدةً عن الحياة الدنيا.

ثانيهما، وهو السبيل إلى الأول: حماية الإمامة ونهجها العقائدي والأخلاقي والسياسي والاجتماعي بحماية الإمام زين العابدين وبالتالي الأئمة الثمانية من ذريته عليهم السلام.

فسلام الله عليها وعلى أمها الزهراء وعلى جدتها خديجة، ما بقي نداء الله أكبر يتردد في المعمورة.

* * *

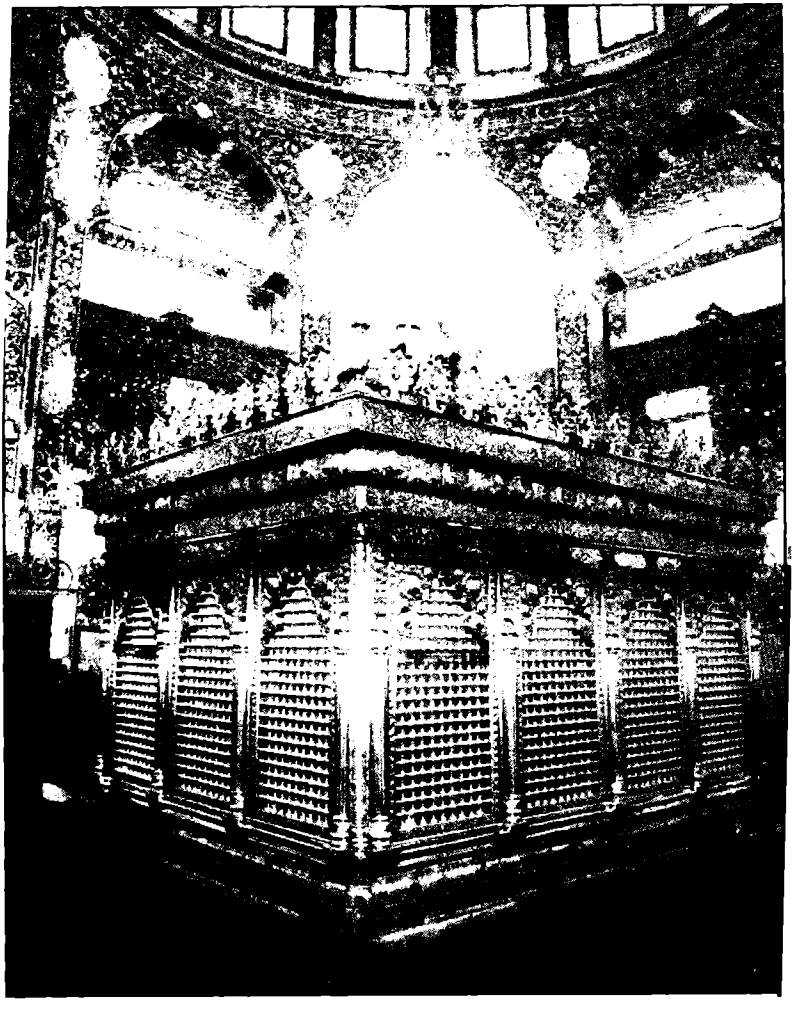

المنظر الداخلي لمرقد بطلة كربلاء السيدة زينب (ع)

أين نحن اليوم من زينب بنت علي (عليها السلام)؟

الدكتورة.مها قنوت (*)

❖ على ما في الدمع من صفاء وطهر، وتهذيب للنفس.. إلا أنه قد يصبح غير مرغوب فيه، في أوقات لا نريد أن يفرق فيها بين الرجل والمرأة، إذ ربما نحتاج أن تتحول الدموع في عيون الجميع إلى قدرات جديدة، وصمود جديد، وحماس أكثر قوة وإيماناً.. إنها تلك الدموع التي لا تخجل من البريق في عين الرجال.. لكن الدمع يعز.. إذ المطلوب... سيف لا يفل، ووقفة لا تعرف الرجوع.

وأعود إلى الموثقة، المحدثة، العارفة، الكاملة، الفاضلة، القانعة، الصابرة، العالمة، غير المعلمة، عقيلة الطالبيين بجميع ألقابها وما دعوها به، أو باسمها، زين الأب "زينب" كما سماها جدها رسول الله صلى الله عليه وآله بالاسم الذي اختاره الله لها، فلماذا نسج الحزن خيوطاً غلبت على فرحة الجد بقدوم حفيدته؟ فرسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن يرفض الأنثى وهو القائل حين بشر بابنته: "ريحانة أشمها ورزقها على الله" وعن حذيفة ابن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "خير أولادكم البنات". فلماذا هذا الحزن..؟ ولماذا ينحني رسول الله صلى الله عليه وآله على الوليدة يقبلها بقلب حزين وعينين دامعتين..؟ أتراه شاهد في عينيها صورة المصير

(*) وزيرة الثقافة سابقاً في سورية وأستاذة الأدب العربي بجامعة دمشق.

** المقال أعلاه وإن اتّصَفَ بسمة التراجيديا الحزينة التي طبَعَت واقعة كربلاء ومظلومية آل الرسول صلى الله عليه وآله إبان فترة السبي، فإنّ أهميّته تكمُن في معالجته هذه القضية أدبيّاً وبما يؤديّ إلى تنوير العاطفة الوجدانية الباعثة على النهوض والتحديّ بوجه الظلم والضلال.

(المؤلف)

الفاجع؟ بيد أن جبريل عليه السلام أبلغه الخبر، وانتشرت علوم المأساة قبل وقوعها بأكثر من نصف قرن.. فإن تحول التراب في قارورة أم سلمة دماً.. فقد قتل الحسين!!.. فمن هي زينب؟.. أبوها علي بن أبي طالب عليه السلام، أمها فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة، أشقاؤها الحسن والحسين وأم كلثوم، ولدت في السنة الخامسة للهجرة، تحيطها المحبة والرعاية وعطف جدها ودلال الوالدين.. حتى كانت السنة الحادية عشرة للهجرة.. تنقلب الأجواء، وتفقد الحفيدة أعظم الأحضان حناناً ورحمة.. يلبي رسول الله – جدها- نداء ربه.. وتكون المصيبة الكبرى.. وأمام ناظري زينب تنكب الزهراء على جثمان أبيها: "وأبتاه.. جنة الفردوس مأواه.. وأبتاه.. أجاب رباً دعاه.." وتمر الأيام ثقيلة حزينة، دامعة .. ولكنها تخبئ للطفلة ألماً عظيماً آخر.. فبعد خمسة وسبعين يوماً ترحل الأم الحنون.. وينطفئ من البيت العظيم نور الزهراء، وتخمد شعلة كانت متقدة بالعاطفة والحنان.. ويعتصر القلب الصغير ألم فقد الأم والحبيبة والراعية.. وتلقي الصغيرة بجسدها الصغير على صدر أمها تودعه.. وتنظر في وجهها وتنادي: "يا أبتاه يا رسول الله.. الآن عرفنا الحرمان من النظر إليك..". على صغر سنها، تشد المسؤولية إلى كاهلها، وتحملها بنضج ووعي والتزام، فتصبح سيدة بيت أبيها، وربة منزله.. ترعى شؤون أبيها وأخوتها، كما كانت أمها الزهراء تملأ فراغ خديجة في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دعيت أم أبيها.. وتتوالى الأحداث، وتكبر القادمات من الأيام.. وقلب زينب يكبر ويتسع.. ربة للبيت وأماً لأخوتها.. وراعية لأبيها، وتتفتح الوردة في بيت أبيها، ويبدأ الخاطبون بالتقرب لمصاهرة النسب النبوي الشريف، ورغبة بالاقتران بالعقيلة زينب وما عرف عنها من فضل وأدب وأخلاق... ويكون الزواج من ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.. يختاره الإمام لابنته لما عرف عنه من الخلق الكريم والشجاعة والكرم... وترزق منه السيدة زينب بأولاد نجباء... عون ومحمد وعباس وعلي وأم كلثوم، وعلى الرغم من زواجها والأولاد فإنها لم تنقطع عن بيت أبيها، وقد بلغ تعلقه بها وبابن أخيه أن أبقاهما معه، ولما ولي أمر المسلمين، وانتقل إلى الكوفة.. انتقلا معه، فعاشا في مَقَرِّ الخلافة، فكانت قريبة من أبيها أمير المؤمنين.. تقف على جانبه في

مواجهة الظروف الحساسة والحرجة. وقد عهد الإمام علي عليه السلام إلى ابنته العقيلة زينب أن تتصدى لتعليم النساء، وبث المعرفة والوعي في صفوفهن، فكانت تفسّر لهن القرآن، وتروي أحاديث جدها صلى الله عليه وآله وأخبار أمها الزهراء، وتوجيهات أبيها عليه السلام.. عاشت في بيت الخلافة، ولكنها لم تنل من امتيازات الخلافة والحكم شيئاً حتى بمقدار سدّ العوز والحاجة.. لكنها كانت تلازم أمير المؤمنين في أصعب الظروف، وتعيش معه الظروف الصعبة القاسية التي مرت بأبيها مدة السنوات الخمس.. من الجمل إلى صفين، إلى النهروان.. على ساعة الرحيل التي شاء الله أن تكون من بيت زينب، وأن ينطلق الإمام من بيتها على ساعاته الأخيرة.. فقد لاحظت السيدة زينب أنّ اباها ليس على حاله.. تقول: "لم يزل أبي تلك الليلة قائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً، ثم يخرج بعد ساعة يقلب طرفه في السماء وينظر الكواكب ويقول: إنها الليلة التي وُعدت بها.. هي والله الليلة التي وعدني بها حبيبي رسول الله". ومع المصاب العظيم بفقد الإمام.. يبدأ الدور الزينبي مجسداً لرحلة نضالية أخرى. فقد أخذت زينب عن أبيها شجاعتها وإقدامها، وفصاحتها، وبلاغتها، وعبادتها، وعلمها، ومحفوظاتها: "اللهم.. إني أسألك يا عالم الأمور الخفية.." وما أخفاه الزمن كان جللاً.. قال صلى الله عليه وآله: "الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا" فكيف وقد امتدت الأيدي تعتصر الريحانتين وتنكل بهما؟.. وتعبر الاحزان الزينبية فاجعة كربلاء.. لم يكن دور زينب في ثورة الحسين دوراً عفوياً، أو مصادفة، أو مراعاة أو مداراة .. بل كانت تعدُّ النفس لمثل هذا اليوم الذي سمعته عن جدها وأبيها، وعلمت أنها لا بدَّ وستمر بما أراد الله لها.. فدخلت الحدث عن سابق تصميم وإرادة ووعي وإيمان..

وتوالى الشهداء في الموقع الواحد.. الحسين والعباس، وجعفر، وعبد الله، وعثمان، ومحمد الأصغر، وأبو بكر، وعمر وإبراهيم.. كلهم أخوتها.. أبناء علي بن أبي طالب عليه السلام وأولاد أخوتها؛ أبو بكر، وعبد الله، والقاسم، أبناء أخيها الحسن.. وعلي وعبدالله إبنا أخيها الحسين.. وسائر رجالات أسرتها وأعزهم.. أنهار الدم الطاهر تغسل جدائلها.. والدمع ينهمر إلى نهاية العمر.. كمسيرة القافلة الحزينة.. والسبايا؟! نساء آل بيت النبي.. ولزينب دورها!! فعلى الرغم من كل

الظروف.. ما وهنت ولا استكانت.. تجمع العيال في الصحراء، وتحرسهم.. وتصبرهم.. وتسلي الإمام زين العابدين في مصابه.. تتسامى على الآلام.. وتحتفظ برباطة جأشها.. تحمي كرامة النساء في القافلة، تمنع الإمام زين العابدين وتقدم نفسها فداءً له: "مالي اراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي.." تخطب في أهل الكوفة، وتجمع الرأي العام حول فجيعها.. توضح الحق من الباطل، وتبين الظلم، وتواجه الظالم.. فلا تأبه ولا تخشى.. ترد كيده في نحره.. فإذا ما اعتقده انتصاراً.. يظهر سُبّة وعاراً عليه مدى التاريخ.. ولربها عابدة متعبدة: "يا عماد من لا عماد له.. ويا ذخر من لا ذخر له.. ويا سند من لا سند له.." عابدة زاهدة ما ادخرت شيئاً من يومها لغدها قط.. تتنازل حتى عن حصتها من الطعام للأطفال والمعوزين معها.. تنتظر لقاء ربها بما ادخرته من طيب العمل والعطاء والصبر والجهاد.. والعبادة. ويوافق انتظارها، الخامس عشر من شهر رجب من السنة الثانية والستين للهجرة تنتقل إلى الرفيق الأعلى..وتترك ذكراً خالداً للبشرية لا ينسى مع الزمن.. ونردد فيها قول الله تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً﴾ صدق الله العظيم (الأحزاب: ٣٩).

ونقف قليلاً نتساءل.. ترى أين نحن من زينب بنت علي؟ أين نحن من مثل أولئك النسوة اللواتي أوقفن التاريخ معتبراً.. ومضين في كل الأجيال.. لا تنسى سيرتهن وعلمهن ومواقفهن..؟ أين نساء هذا القرن من نساء ذلك الزمن.. ومن منّا يمكن لها أن تدّعي أنها ربما قاربت أو كادت.. عظمة زينب وجهاد زينب..؟ أتساءل ونحن في نهاية القرن العشرين: ألسنا جميعاً سبايا القهر والعدوان؟ أئن قُتلت أخت لنا في السودان أو شردت أخت لنا في جنوب لبنان، أو امتدّ آثم يصفع وجه حرّتنا في الجولان، أو نسف المحتل بيت أخت لنا في فلسطين أو روّع قلب أخت لنا في العراق.. ألسنا جميعاً في هذه الحالة.. سبايا الطاغوت ورهينات قافلة الذل والخنوع إلى دولة كبرى ترى من حقوقها، الاعتداء على مقدرات الشعوب والتدخل في سيادتهم الوطنية؟!!.. ألسنا نشعر بالذل الذي عوملت به قافلة السبايا إنْ نحن ربطنا سلسلة المظلومية بين كل هذه الارهاصات والآلام

التي يُقهر فيها الإنسان وكرامته وحقوقه الإنسانية؟ أليس فينا كل يوم كربلاء جديدة يُقهر فيها الحق، ويعلو فيها الظلم.. وتتربع فوق الرقاب دولة واحدة قوية تحاول تدمير العالم حتى يكون تابعاً وعبداً لها؟

رحماك يا بنت علي.. فعيونك الدامعة.. فينا، وقلبك الحزين يدق في صدورنا.. لكن جرأتك وشجاعتك تأبى إلا أن تمتد في أكفنا.. فانظرينا.. نقاتل بالحجارة أمواج الرصاص، ونفتقد الأهل والأولاد والأخوة.. يا بنت علي!! كل قوافل الطغيان لم تلغ الحسين من العيون.. يا بنت علي.. كل قوافل العدوان لن تأخذ الحق من بين الجفون.. فصبراً يا أخواتها.. صبراً يا أخوات زينب في القرن العشرين.. فإن حقاً وراءه مطالب مفتد مؤمن.. لن يموت أبداً.. ومهما حاول الطغاة.. وفي كل زمان. عليك السلام يا زينب.. يا قدوة نساء الزمان.. فبمثلك يُضرب المثل.. وبمثلك يُقتدى.

سماحة الشيخ أحمد حسون - مفتي سورية

السيدة زينب عليها السلام
ووعي المسؤولية الرسالية (**)

العلّامة الدكتور الشيخ أحمد حسون (*)

روضة آل البيت معطاء وكل له منها ارتواء، جثوت في محراب السيدة الطاهرة عقيلة بني هاشم وصاحبة اللواء مستلهماً فيضها، لأتحدث عن وعيها للمسؤولية الرسالية، فالمسؤولية أضحت قضية هامة في حياتنا، لأن المسؤولية في هذا الزمان قد ضاعت في كثير من ساحات حياتنا، فما عاد الناس في أكثريتهم يفرقون بين مسؤولية الرسالة، ووظيفة الحياة، فالرسالة منهج، والحياة مدادها، إن الحياة عقيدة وجهاد، مسؤولية ورسالة.

هذا العنوان في هذا الزمان، الذي تتلقى فيه أمتنا الإسلامية، صفعات تقف فيها على خط الدفاع، وقد كانت يوماً هي صاحبة اللواء في مسؤولية الرسالة وحملها إلى كل مكان، حملناها رجالاً و نساءً على السواء، منهج قرآننا أعلمنا أن المرأة تحمل المسؤولية رسالة كالرجال، إن منعها غيرنا من دخول المحراب وأغلقوا عليها أمام الله الباب، فقد تحداهم قرآننا، وفضح باطلهم رسولنا، وثبت منهجنا ووعينا الرسالي، فالرسالة في حياة المرأة في تاريخنا الإسلامي يبدأ من عمق الزمان.

ففي زمن النبي إبراهيم عليه السلام، يوم سكنت امرأته هاجر في تلك الأرجاء، ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ..﴾(إبراهيم/٣٧)،

(*) مفتي الديار السورية.

(**) ألقيت في ندوة «المرأة المسلمة وأولويات التجديد والإصلاح والتنمية، السيدة زينب عليها السلام أسوة وقدوة»، ١٩ و٢٠ حزيران ٢٠٠٤م. دمشق.

وتركها وإسماعيل في واد غير ذي زرع، في خيمة ولقيمات وقربة ماء.. وتسأل هاجر: هل الله أمرك بهذا، ويطأطئ الرأس نعم، فتقول اذهب فإن الله لن يضيّعنا، وتتحمل هاجر مسؤولية الرسالة، وتتحمل الظمأ والعناء، وفي لحظة ترتجف عندها كل أم أمام طفل كان يبكي من العطش، تحمل هاجر الطفل وتسعى بين الصفا والمروة رسالة لا خطوات، تبقى على الزمان كل الرجال سيسعون خلفك يامن تحملت الرسالة، وفي وسط المسعى بعد سبع تسمع همساً من السماء لا ترى بشراً وتعرف أن المدد جاء، وتتفجر زمزم شفاء ونقاء، هدية من هاجر إلى سيد الأنبياء، من أم حملت الرسالة ومشت فيها بصدق وارتقاء.

رسالتنا أيها السادة لم تقف عند إبراهيم عليه السلام إنما مشت في ذريته وفي أمة اختارها الله في هذه المنطقة، من مصر إلى مكة إلى بلاد الشام، لتعلن أنها نساء ورجالا لا ترضى إلا بالإيمان، فتقف تلك المرأة التي تعلمت الرسالة من هاجر لتقف أمام فرعون زمانه فتقول: ﴿.. رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ..﴾ (التحريم/١١) لتقول للمرأة أنت صاحبة الرسالة مع الأنبياء وأمام الطغاة، وإذا ما تبنت المرأة الرسالة صارت قمة شماء، والرجال الأشداء إذا ما فقدوا الرسالة أصبحوا صعاليك زمانهم لاقيمة لهم ولا ارتقاء.

ومشت مسيرة الحياة لتصل بنا إلى أمّنا العظيمة، جسر بيت آل المصطفى صلى الله عليه وآله خديجة الكبرى وحملها للرسالة مع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله جليلة، منذ جاءها من الجبل وقال دثروني ... فقالت تعال يابن عم أضمك فأنا سأكون يوماً أماً لسيدة نساء العالمين ... فالرسالة مشت معها ويوم غادرت سمّاه عام الحزن، ليعلمنا أن المرأة ضياء إذا حملت رسالة الأتقياء، وسارت مسيرتنا رجالاً ونساءً، حتى أطلت الزهراء بجانب علي عليهما السلام، ولا أستطيع في هذه اللحظة أن أدخل محرابها فإن دَخلْتَ إلى محراب الزهراء لن تخرج أبداً، فهو بحر لا ساحل له، وكله درر وعطاء.

سيدتي أقف في باب ابنتك زينب التي رضعت من لبانك العز والإباء، والتي تحملت مسؤولية الرسالة، إننا حتى اليوم نعيش في ضوء الرسالة الزينبية، هذه الرسالة ما انتهت يوم كربلاء إنما تألقت وابتدأت في كربلاء، لتعلم كل النساء

في كل زمان أن عظمة المرأة إن حملت الرسالة تفوق أعاظم الرجال، عادت المدينة وقد فقدت في كربلاء أعز ما تملك المرأة في الحياة، الابن والأخ والحبيب، لم يستطع ذلك الظلم رغم قساوته أن يحطم قلبها، لأنها تحمل فيه الرسالة، ويكتب والي المدينة إلى الشام: إن أبقيتها أنتجت لك كل يوم علياً.. نعم صاحبة الرسالة لاتنتج من بطنها فقط، صاحبة الرسالة تصوغ بروحها بفكرها بعقلها برسالتها أعاظم الرجال.

بعد إخراجها من المدينة استراح أهل السياسة في بلاد الشام، ومضى الزمان وإذا بها حتى يومنا هذا قبرها محور للأنوار، يفد إليها الملايين كل عام ليتعلموا كيف تبقى الرسالة سارية، فأين قبرك يا سيدة النساء وأين قبر الأعداء، هذه هي الرسالة أيها السادة في زمن نحن فيه نفر من الأضواء، والتاريخ يقصه الله علينا ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ ﴿وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود/١٢٠)، فقصصنا ليست خرافات، إنما أنوار تسري في دماء، ذكرى زينب، ذكرى بدر، ذكرى أحد، ذكرى الحسين، ذكرى الرجال، إنها ليست تاريخاً مضى، إنما مدرسة تخرج في كل زمان أعاظم الرجال، ولاتزال هذه المدرسة تمدّنا، فأضحوا يخافون نساءنا ويخافون رجالنا..

هذه هي الحقيقة.. في فلسطين اليوم استشهاديون هم رسالة لكربلاء، ريم الرياشي، كانت رسالة لكل الأبناء، أرادت أن تكون مثالاً ونموذجاً حياً أمام أولادها وأمام الآخرين في الشهادة والفداء، ذهبت لتكون وساماً لأبنائها، واستشهدت ومنحت دمها مداداً لاستمرار الرسالة والعطاء.. إنها رسالة المرأة لتقول لنا إن جبنتم فنحن تركنا الأبناء وسرنا في طريق الإباء.

زينب سيدتي يا سيدة النساء يا من رأيت أمامك ما فعل بأبنائك وبأخيك سيد الشهداء، أمّة نسيت رسالتها ووعيها لرسالتها، هاهي رسالتك اليوم من خلال الجمهورية الإسلامية الإيرانية وجنوب لبنان، وفلسطين والعراق.. ولقاءات تضيء لنا الأنوار تعود لتوقظنا إلى ضياء السماء..

وقفت سيدتي يوم مولدك منذ عشرين عاماً في محرابك، وقد رأيت ثلاثة ملايين حول مسجدك الأنور، وقد وقف ذلك المنشدُ يمد يديه باتجاهك وهو يقول:

أنا ضيف زينب بنت بنت محمد وعلى الكريم كرامة الضيفان، مائدتك لازالت ممدودة، ونورك لا زال وضّاءً، وتراثك ليس تاريخاً مضى وإنما مستقبل لكل الرجال والنساء..

سلام عليكم آل بيت رسول الله.. والسلام عليكم ورحمة الله.

السيدة زينب عليها السلام
وثقافة المقاومة والممانعة (*)

العلامة الشيخ نعيم قاسم (**)

١ - المرأة والجهاد

كثُر الحديث عن دور المرأة ومكانتها في مقابل الرجل، وذلك بسبب التطبيقات الخاطئة والأعراف السائدة، التي شوّهت الصورة الحقيقية للنظرة الإسلامية التي حرصت على توزيع الأدوار بين الرجل والمرأة بعدالة تنسجم مع قدرتها، من دون أي بخس في الثواب والعقاب، فلا فرق في الصلاح بين جنس وآخر: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، ومراتب التقوى يرتقيها مستحقوها في تنافس شريف مشروع بصرف النظر عن اللغة واللون والعرق والجنس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

بُني الإسلام على أركان منها الجهاد في سبيل الله تعالى، الذي له مكانته المميزة والخاصة إلى درجة ربطه بالله ورسوله عن حب وتفاعل في مقابل متطلبات الحياة الدنيا التي تقف حائلاً أمامه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

(*) نائب الأمين العام لحزب الله في لبنان.

(**) ألقي البحث في ندوة «المرأة المسلمة وأولويات التجديد والإصلاح والتنمية السيدة زينب عليها السلام أسوة وقدوة»، ١٩ و٢٠ حزيران ٢٠٠٤م. دمشق.

(١) سورة النحل الآية ٩٧.

(٢) سورة الحجرات من الآية ١٣.

وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَايَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: »للجنة باب يقال له باب المجاهدين«[2].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: »إنَّ الله عزَّ وجل جعل الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد«[3].

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: »الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض«[4].

واعتبر رسول الله صلى الله عليه وآله تارك الجهاد خاسراً في الدين والدنيا، قال صلى الله عليه وآله: »فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنَّ الله أعزَّ أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها«[5].

فالجهاد طريق لتثبيت معالم هذا الدين في مواجهة الظلم والانحراف والفساد والاحتلال والعدوان والمنكر، يتحقق بإجراءات يقوم بها الرجل من الإعداد والقتال والشهادة في ساحة المعركة، وأمَّا المرأة فلا قتال عليها-إلاَّ بظروف خاصة واستثنائية-لكنَّها شريكة في الجهاد بما تُحسنه في رعايتها لحياتها الزوجية والأسرية: »جهاد المرأة حسن التبعل«[6]، وبما تقوم به من مساهمات في نصرة الدين على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، وما تشكله من دعم خلفي ومباشر أثناء الجهاد سواءً أكان ذلك بالحث وتهيئة الزاد، أو بالحضور الميداني القريب لمعالجة الجرحى وتقديم المساهمات الأخرى ما دون القتال، إضافة إلى القتال لو استلزم ذلك بإجازة الولي الفقيه.

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٤.
(٢) الكافي للكليني - ج٥ ص٢.
(٣) المصدر نفسه - ج٢ ص ٥٠.
(٤) المصدر نفسه – ج٥ ص٤.
(٥) المصدر نفسه – ج٥ ص٢.
(٦) المصدر نفسه – ج٥ ص٩.

٢- السيدة زينب عليها السلام نموذجاً:

إنَّ السيدة زينب عليها السلام هي المثال الأبرز لمشاركة المرأة المجاهدة المسلمة في ميدان القتال في حالتها الأقصى والأقسى، وقد قامت بدورها في الميادين المختلفة على أكمل وجه، فهي الزوجة التي رعت حق زوجها واستأذنته في الخروج مع أخيها، وهي الأم التي أحسنت تربية أولادها فكان منهم من شاركها في مسيرتها إلى كربلاء وجاهد واستشهد مع الإمام الحسين عليه السلام، وهي العالمة التي بيَّنت مواقف الإسلام الأصيلة والثابتة في خطابها للناس في الكوفة والمدينة، وهي الشجاعة التي لم تخف في الله لومة لائم عندما واجهت الحكام الظلمة في مجالسهم كما في حوارها مع ابن زياد في الكوفة ويزيد في الشام، وهي العالمة التي نصرت الدين بتحملها للهم السياسي والإعلامي في إبراز أهداف النهضة الحسينية، وكشف زيف السلطان، وحث الناس على الوحدة حول الهدف للتغيير من أجل الإسلام المحمدي الأصيل، وهي المجاهدة الصابرة التي تحمَّلت فقد الأحبة والسبي والجراح وضعف البدن وجسامة المعاناة والمأساة من اجل إحقاق الحق.

كل هذا الأداء كان يتم في سياق تكاملي، فالسيدة زينب عليها السلام اتخذت مواقفها في كربلاء وما بعدها كجزء من إيمانها وتكليفها الشرعي، وانسجمت بذلك مع دورها كامرأة مسلمة قدَّمت مساهمتها لإحياء وتقويم المسيرة الإسلامية للأمة، فهي لم تخرج عن سياق موقع المرأة المجاهدة في حياتها الخاصة والعامة، لكنها عبَّرت عنه بأحسن وأفضل وأرقى نموذج قدمته مع الإمام الحسين عليه السلام. فالنقاش لا يصح بالحديث عن حالة استثنائية غير قابلة للتكرار أو المماثلة، وإلاَّ ألغينا القدوة النموذج في شخصية السيدة زينب عليها السلام للنساء، أو أثرنا نقاشاً حول خصوصية مُنحت لها كعطية إلهية تنسجم مع ما قامت به كحالة فريدة في التاريخ، وهذا ما لا يقول به أحد.

إذاً نحن أمام السيدة النموذج والقدوة في المقاومة والممانعة، وفي الدور الاجتماعي والسياسي والإعلامي بحسب الحاجة إلى القيام به، سعة وضيقاً، رهناً بالظروف الموضوعية التي تحيط بالأمة، ولا يجوز تعطيل هذا الدور بذرائع واهية،

تغلفها الأنانية أحياناً استئثاراً بالحياة الخاصة الوادعة والهانئة بعيداً عن همِّ الرسالة الإسلامية، والضغوطات الاجتماعية المرتبطة بالأعراف المصطنعة، وأحياناً أخرى بإيجاد قواعد وضوابط لنشاط المرأة لا تنسجم مع عظمة التكاليف الإسلامية لبناء جيل وأمة قادرة على مواجهة التحديات في كل زمان ومكان.

٣- التصميم:

لم تكن المقاومة والممانعة عند السيدة زينب عليها السلام وليدة اللحظة، بل كانت جزءاً من إيمان وقناعة متلازمين، وهي التي كانت تعلم نتيجة المسير منذ انطلاقة الركب الحسيني من المدينة المنورة، بشهادة الإمام الحسين عليه السلام وأهله وصحبه والسبي للنساء والأطفال، فقد أجاب الإمام الحسين عليه السلام أم سلمة عند محاولتها ثنيه عن الخروج من مكة: »يا أماه قد شاء الله عزَّ وجل أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً«[1].

ولم يكن التحاقها بأخيها الحسين عليه السلام لارتباطها العاطفي به، "إن التحاق السيدة زينب بنت علي عليها السلام بحركة الإمام الحسين عليه السلام منذ انطلاقتها من المدينة المنورة هو جزء لا يتجزأ من خطة تحقيق الهدف، فهي أخت الإمام عليه السلام المتزوجة من عبد الله بن جعفر وليست جزءاً من عياله كزوجته وأولاده ليكون وجودها عادياً وضرورياً، وهي تعلم نتيجة هذا المسار للروايات المعروفة عن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وما ذكره الإمام الحسين عليه السلام في جوابه لأخيه محمد بن الحنفية: »إن الله شاء أن يراهن سبايا«[2]، وهي قادرة على تقديم مساهمة كبيرة في إيضاح أهداف الإمام عليه السلام وكشف انحراف الحكم بسبب سعة علمها وقوة منطقها وتبنيها لهذا المنهج«[3].

---

(١) بحار الأنوار-ج٤٤ ص٣٣٢.
(٢) اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٤٠.
(٣) عاشوراء مدد وحياة لكاتب المقالة؛ ص ١٧٦.

٤- مواجهة الخانعين :

ثم نرى السيدة الجليلة تتحمل وعكاء السفر من المدينة إلى مكة المكرمة، ومنها إلى كربلاء مع كل عقبات الطريق، إلى أن تمَّ الحصار في كربلاء ومُنع معسكر الحسين عليه السلام من الماء، وجرت المعارك الضارية التي جسّدت الشجاعة في جانب الحسين عليه السلام وأهله وصحبه، والبشاعة في أداء معسكر يزيد، حيث طاول القتل الشيوخ والشباب والأطفال، وقُطعت الرؤوس أمام الأعين، وحُرقت الخيام من دون مراعاة أي حرمة، ولُوحقت النساء لسرقة حليهن وشق ثيابهن بطريقة يخجل منها من كان له أدنى كرامة، مع كل هذا نرى شموخ الحوراء عليها السلام في صبرها وثباتها وتثبيتها لمن حولها، وهي التي بدأت المواجهة مع أهل الكوفة مباشرة بعد عاشوراء فحمّلت المسؤولية للخانعين والساكتين عن الحق، الذين تراجعوا عن عهودهم ومواثيقهم، وتركوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وحيداً في المعركة، ولم يقوموا بواجبهم الشرعي في نصرة الحق ورفع راية الإسلام لمواجهة الظلم والفساد والانحراف. ومن كان يمكن أن يقوم بهذا الدور، والقوم مسحوقون أمام ابن زياد؟ ومن كان يمكن أن يشير إلى الحقيقة والقوم منغمسون في الاثم الدموي الذي أحدثوه قبل يوم واحد؟ لو وقف أي رجل هذا الموقف لقُتل، ولو مرَّ الزمان من دون صوت مدوٍ بالحقائق لضعفت نتائجها، فكان الموقف الثابت للسيدة زينب عليها السلام عنواناً تأسيسياً لامتداد كربلاء بتثمير آثارها مباشرة قبل أن تجفَّ الدماء، ولم يثنها الثكل عن عزمها في رسم الخطوات الأولى لاستمرارية أهداف كربلاء، بتحميل المسؤولية للأمة التي ستُحاسب وستدفع ثمن فعلها غالياً.

لا داعي للبكاء المخادع: «أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة»[1].

وما هي نتيجة عملكم، «ألا ساء ما قدَّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون». ثم قالت عليها السلام: «فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضُربت عليكم الذلة والمسكنة».

(١) تُراجع الخطبة في بحار الأنوار-ج٤٥ ص ١٠٩.

هل تعلمون عظيم ما صنعتم؟ »أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ وأي حرمة له انتهكتم؟«.

لكن النتيجة معروفة مسبقاً، فمن ناحية »فلا يستخلفنكم المهل«، ومن ناحية أخرى »وإنَّ ربكم لبالمرصاد«.

لم تكن سلام الله عليها تستدر عطفهم في خطابها، ولم تُبرز لهم ألمها، بل رسمت صورة توضيحية لأدائهم وردود أفعالهم ونتائج أعمالهم في الدنيا والآخرة، بعرض متين متسلسل، يبين مواطن الضعف والخلل عندهم، وما ترتَّب عليها من آثار يتحملون مسؤوليتها بالكامل. فلا إمكانية للاعتذار بالبكاء! ولا مجال لطي الصفحة الدموية المرَّة! وبما أنهم اختاروا معسكر الباطل بإرادتهم فليتحملوا كامل أوزاره، إنها جريمة كبيرة تواطؤوا عليها. كان عليهم أن يكونوا مع الإمام الحسين عليه السلام ليكونوا على درب الإسلام الحق.

وهي بموقفها أمام أهل الكوفة، تكون قد بدأت حملتها الإعلامية الهادفة، لتطال شرائح المجتمع كافة، بالوسائل المتاحة في ذلك الزمان، وبحسب الظروف المحيطة بها. ويمكننا القول بأن الحوراء عليها السلام رائدة في العمل الإعلامي التعبوي، حيث رسمت معالمه الأساسية التي تتمثل: بالصدق، والجرأة، وتسمية الأمور بأسمائها، وإعطاء المبررات الدقيقة الواضحة والمقنعة، وتنوع المستهدفين بالحركة الإعلامية، واختيار الخطاب المناسب بحسب الأشخاص، وإبراز أهمية دور المرأة في مواقع لا يؤثر فيها غيرها. لقد أثبتت سلام الله عليها أن الإعلام سلاح فعَّال يجب استخدامه على أكمل وجه لحماية منجزات الشهداء ومتابعة تحقيق أهداف الشهادة.

٥- عناوين المواجهة:

عند قراءتنا لخطبة[1] الحوراء زينب عليها السلام في مجلس يزيد في دمشق، تبرز خمسة عناوين أساسية:

(١) تُراجع الخطبة في بحار الأنوار-ج٤٥ ص١٣٣ و١٣٤.

١ - الشجاعة والجرأة والثبات.

٢ - المنطق المتسلسل والمترابط الذي يكشف عن سعة العلم.

٣ - إبراز المفاهيم الإسلامية الأصيلة.

٤ - تبيان نتائج النهضة الحسينية في مقابل نتائج العمل الإجرامي ليزيد.

٥ - الرضا بقضاء الله وقدره والاطمئنان بتحقيق الأهداف.

إنَّ وقفتها في مجلس يزيد كشفت عن شخصيتها الجريئة والواثقة، فكيف بخطابها الذي أحاط به التقريع بالمخاطب من كل جانب، بدءاً بافتتاح الكلام بالآية الكريمة: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]، مروراً بكلمات مثل: «فشمخت بأنفك. فوالله ما فريت إلاّ لحمك.. إني لاستصغر قدرك.. وهل رأيك إلاّ فند».

والواضح في كلماتها، استهزاؤها بما حصل عليه يزيد، وإبرازُها للخسائر المتلاحقة التي أصابته، على الرغم من وهمه بالفوز وغروره بقتل الحسين عليه السلام، وهذا واضح من خلال استشهادها بالآية الكريمة: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[2]، وقولها: «لتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته.. ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدُنا وشيكاً مغرماً». في مقابل تأكيدها على إنجازات النهضة الحسينية، من خلال إيرادها لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3]، وقولها: «فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا..فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة».

---

(١) سورة الروم الآية ١٠.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٨.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٩.

٦- الدور الأصيل:

لقد كانت الحوراء عليها السلام هادفة في كلماتها التي قالتها، وهي على قلتها في مجموع ما وصل إلينا، لكنّها شكّلت توجيهاً واضحاً لدور المرأة في بنائها الإسلامي الأصيل، وضرورة الاستفادة منه في المواقع الحرجة والصعبة، وتقديمه كصرخة في مواجهة الظلم. فعندما يكون الأداء مواكباً لعطاءات الدم وفي إطار التحدي للخط الآخر، لا محل للبكاء والضعف، بل للموقف والتحدي، وفي هذا المقام يخدم ضعف الجسد في إعطاء الفعالية للمقاومة والممانعة بكشف الحقائق في لحظة عجز الخصم عن استخدام قوة جسده وسلاحه، فمثل هذه المواجهة خاسرة عسكرياً للظالم لأنها في الموضع الخطأ المدمِّر، ورابحة لصاحبة الموقف لأنها في موضع الكلمة التي لا تحجبها حواجز السلطان. أيُّ سهام وجهتها زينب عليها السلام بكلمات قليلة لابن زياد، عندما سألها في مجلسه: كيف رأيتم صنع الله بكم؟ فأجابت: «ما رأيت إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاج وتُخاصم»[1].

هذا النموذج الزينبي شكل مدرسة للمؤمنات المجاهدات في عصرنا، فنساء إيران في وقفتهن ضد الشاه، وخروجهن للتظاهر، وصمودهن على الرغم من التنكيل والقتل والجرح، ورفعهن للشعار الإسلامي باللباس والشعار والموقف والمسار، قد شاركن في هذا الإنجاز التاريخي المنعطَف بقيام الجمهورية الإسلامية في إيران بقيادة الولي الفقيه الإمام الخميني (قدس سره)، وهو القائل في وصيته الخالدة عن نساء إيران: «نحن فخورون بأنّ السيدات والنساء، الهرمة والشابة والصغيرة والكبيرة، حاضرات في الميادين الثقافية والاقتصادية والعسكرية، وجنباً إلى جنب مع الرجال أو أفضل منهم، يبذلن الجهد من أجل إعلاء كلمة الإسلام وأهداف القرآن الكريم».

---

(١) بحار الأنوار – ج٤٥ ص ١١٦.

ونساء لبنان من الأخوات والزوجات والأمهات والبنات قد وقفن وقفة شجاعة إلى جانب المقاومة الإسلامية في مواجهة العدو الإسرائيلي الغاشم، وساهمن مساهمة فعّالة في دعم المجاهدين في أحرج الظروف وأصعبها، غير آبهات بلذة الحياة، وهن يعملن ليل نهار لتعزيز المواقع الأمامية بالأبناء والأحبة، ويتحملن الثكل ورعاية أبناء الشهداء، كل هذا في إطار تربية زينبية حسينية، برزت تماسكاً وجرأة في مواجهة المحتل بالرفض والتصميم والمجاهرة بالعداء، حتى تحقق بناء المجتمع المقاوم الذي ساهمت فيه المرأة المجاهدة مساهمة فعّالة، فكانت شريكاً حقيقياً في النصر الكبير بإخراج المحتل الإسرائيلي من لبنان عام ٢٠٠٠م.

إنَّ الصورة البطولية للحوراء زينب عليها السلام في كربلاء وما بعدها تجسيدٌ للموقف الرسالي في مقاومة الظلم والفساد والانحراف والمنكر، وفي الممانعة التي تحرم الظلمة وأعوانهم من استثمار نتائج مواقفهم وأعمالهم، وهي ترسم لنا حدود مسؤولية أفراد الأمة للحفاظ على مسيرة الإسلام المحمدي الأصيل، في لحظات الشدة وبروز المخاطر.

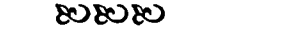

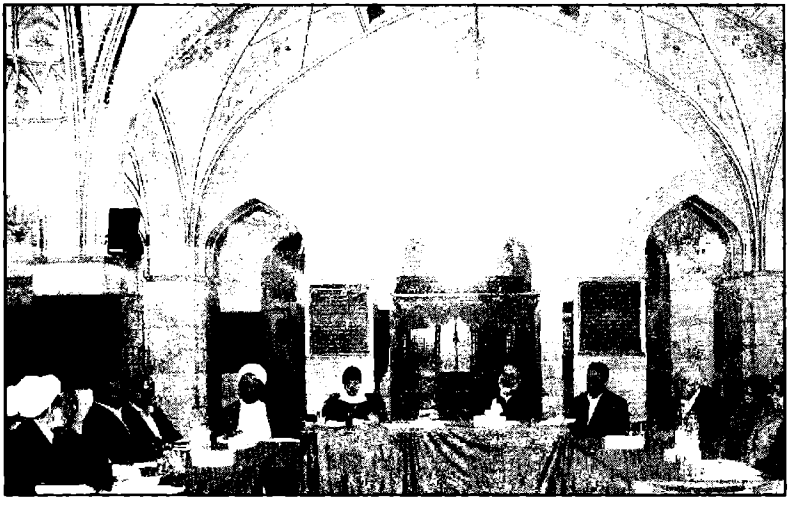

ندوة نهضة الإمام الحسين (ع) في مبرار الدين والعقل
عقدها المؤلف في مقام السيدة رقية ع دمشق 1427

المحور الخامس عشر:

على مائدة الحسين

[ندوة فكرية]

ورقة عمل الندوة

ثمة ضرورة ملحة لقراءة نهضة عاشوراء الحسينية ومكاسبها وفتوحاتها على مدى التاريخ، برؤية علمية وموضوعية معاصرة، تأخذ بعين الاعتبار التحديات الاستكبارية الامريكية والصهيونية القائمة وما تولّد عنها من إفرازات ونتائج استراتيجية وايديولوجية خطيرة بل وشاذة أيضاً كـ"ظاهرة التكفير والتطرف" التي يسعى أعداء الأمة الإسلامية إلى إلحاقها بديننا الحنيف ظلماً وافتراء، ونحن منها براء.

ولا شك بأنّ تقدم وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وتحوّل العالم إلى قرية صغيرة عبر شبكات الاتصالات ذات التطور الهائل، وانفتاح الحضارات والثقافات المختلفة على بعضها البعض بلا قيود أو محددات سياسية أو جغرافية أو عقيدية أو قانونية، كل ذلك يجعل المعنيين بالخطاب الإسلامي، حكومات ومؤسسات دينية وجمعيات أهلية وغيرها، أمام مسؤولية خطيرة فيما يتصل بعرض التضحيات الكبرى التي قدمها حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام والثلة الطاهرة من أهل بيته وأصحابه الكرام في واقعة عاشوراء عام ٦١ للهجرة، بشكل يقبله الرأي العام الإسلامي خصوصاً والعالمي عموماً، بعيداً عن المغالاة أو التفريط، وبما يخدم أهداف الأمة في وعي واجباتها والتحديات التي تمر بها في الوقت الحاضر، لاسيما وأن هناك هجمة دولية حاقدة تتعمد النيل من الإسلام ورموزه ومقدساته، من خلال إشاعة الفوضى والرعب والعسكرة في المنطقة وزرع بذور الفتنة والفرقة بين المسلمين، وصولاً إلى التمكن من رقابهم والأخذ بنواصيهم نحو الاستسلام والخنوع والمذلة، الامر الذي أبى الإمام السبط الشهيد عليه السلام الانصياع له ورفضه رفضاً باتّاً وذلك حينما خيّره طاغوت عصره يزيد بن معاوية، بين السِلّة (القتل) والذِلّة (المهانة)، فكانت

مقولة الحسين الخالدة التي ما فتئ صداها يَطُنُّ في مسامع كل الأحرار الشرفاء على مرِّ الدهور: هيهات منّا الذِلّة.

وإزاء ذلك فإن قراءة موضوع عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام قراءة جادة ومجدية، تستدعي إضاءة مختلف جوانبها ومعطياتها ومنجزاتها في سبيل استخدام الدروس المستخلصة منها، في واقعنا الراهن، وللخروج برؤى وأفكار وآليات عمل، تفيد الأمة الإسلامية في تحصين ذاتها وتطوير مسيرتها، والدفاع عن وجودها ومقدراتها، والتصدي للتكالب الأمريكي الأوروبي الإسرائيلي ومواجهة الاعتداءات والاستفزازات، والانتهاكات الصارخة التي يمارسها هذا التحالف الاستكباري الظالم، ضد مقدساتنا وحُرماتنا، ورغبتنا في التعايش السلمي والحضاري مع باقي الأمم والشعوب في الأرض.

على أنّ هذه القراءة تتطلب قدراً كبيراً من التسلح بالوعي والفهم الصحيحين لما يجري في داخلنا وبين ظهرانينا وحولنا، وكذلك بالجرأة، لكي تكون تفسيراتنا في مثل هذه العملية البحثية صائبة أو مُرضية -على الأقل-، ومن ثم مثمرة عند تفعيلها في معالجة قضايانا والتحديات التي تقف أمامنا داخلياً وخارجياً، شريطة أن تعتمد عملية البحث هذه على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، يضاف إليهما الأدلة العقلية، توخياً للنتائج المرجوة.

ما أحوجنا اليوم ونحن في مثل هذه الأحوال التي لا نحسد عليها، إلى التأسي والاقتداء بالمدرسة الرسالية التي صنعها الإمام الحسين عليه السلام بدمه الطاهر وتضحيته الأسطورية الخالدة، يوم خرج لطلب الإصلاح في أمة جده المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، فجعل من عاشوراء كربلاء يوماً للعبودية الخالصة لله، وتحطيم أصنام القوة والمال، وتقويم الانحراف، وتجسيد القيم الإسلامية والإنسانية الحيّة، في العزة والكرامة والمحافظة على استقامة المسيرة الإيمانية الحقة.

ولقد وجدْتُ أنَّ ثمة ضرورة رئيسية لعقد ندوة فكرية في ذكرى أربعينية سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، للوقوف على آراء شخصيات ذات مشارب مذهبية ودينية وفكرية مختلفة، حلّلت الثورة الحسينية ونتائجها ومكاسبها وأبعادها، كلٌ من زاويته الخاصة، وتوفرت لنا فرصة عقد هذه الندوة في حرم

مقام السيدة رقية بنت الإمام الحسين عليه السلام بتاريخ ١٩ صفر ١٤٢٧هـ، حيث قدَّم الأخوة المحترمون سدنة هذا المزار الشريف كل التعاون والمساعدة المخلصة من أجل إنجاح هذه المهمة، فلهم مني وافر الشكر والتقدير. وحُدِّدتْ للندوة خمسة محاور، وضعت على طاولة البحث والمناقشة، كذلك أُرفقت مع ورقة العمل هذه صفحة تضمنت قبسات من أدبيات عاشوراء، لتكون منطلقاً لبعض المداخلات التي ألقيت خلاصاتها شفوياً ثم طوّرها المشاركون بعد الندوة إلى نصوص مكتوبة توخياً لمزيد من الدقة والعلمية في الطرح (المؤلف)

محاور الندوة:

١- دور الإصلاح في عقيدة الإمام الحسين عليه السلام.

٢- الإمام الحسين عليه السلام والخروج على طاغية عصره: الأساليب والأدوات.

٣- فرضية عدم قيام نهضة عاشوراء.

٤- انجازات استذكار المأساة الحسينية رسالياً وسياسياً وأخلاقياً.

٥- أهمية الأسلوب الحسيني في التصدي للاستكبار العالمي والصهيونية المجرمة.

قبسات من أدبيات عاشوراء

وصية الإمام الحسين لأخيه محمد بن الحنفية:

"باسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: إن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأنّ الجنّة حقٌ والنارَ حقٌ، وأنّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنّ اللهَ يبعثُ من في القبور.

وإني لم أخرُج أشِراً ولا بَطَراً، ولا مفسداً ولاظالماً، وإنما خرجتُ لطلبِ الإصلاح في أُمّة جدي محمد ﷺ وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلَني بقَبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين.."

(المصدر مناقب ابن شهر آشوب ٤ : ٨٨، مقتل العوالم: ٥٤)

الخُطبةُ الأخيرة للإمام الحسين عليه السلام

مخاطباً أهل بيته وأهالي الشهداء الأبرار من اخوانه وأبناء عمومته وأصحابه، قبل لقائه ربَّه شهيداً، وذلك بعد أن بقي وحيداً فريداً لا ناصر له سوى الله تعالى.

"عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فإنَّ الدنيا لو بقيت لأحد وبقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء وأولى بالرضاء وأرضى بالقضاء، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء، فجديدُها بالٍ ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر، والمنزلُ بُلغةٌ والدار قلعة، فتزوَّدوا فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون".

المصدر: بحار الأنوار للعلامة المجلسي

دعاء الإمام الحسين عليه السلام:

لما اشتد الحال به وأثخنته الجراح فتَوسَّد التراب ورفع طَرَفهُ إلى السماء وقال:

"صَبْراً على قضائك يا رب، لا إله سواك يا غياث المستغيثين، ما لي ربٌ سواك ولا معبودٌ غيرك، صَبراً على حكمك، يا غِياث مَنْ لا غياث له، يا دائماً لا نفاذ له، يا محيي الموتَى، يا قائماً على كلِّ نفسٍ بما كَسَبتْ، اُحكُم بيني وبينهم وأنت خيرُ الحاكمين".

(المصدر / أسرار الشهادة ٣ : ٦٨ - مقتل الحسين للمقرم ٢٨٣).

فضيلة الشيخ أحمد راجح

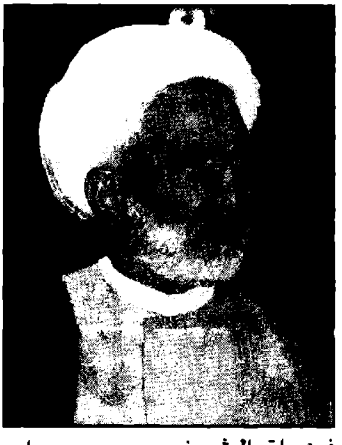

فضيلة الشيخ حسن مهدويان

الكاتبة السورية السيدة مريم خير بك

مداخلة

العلّامة السيد عبد الله نظام (*)

□ الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الميامين وبعد.

فإن ذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام قديمة متجددة تجدد أحداث التاريخ واستمرار صراع الحق مع الباطل ذلك الصراع الذي أراده الله تعالى أن يدور أبداً لتفتن فيه النفوس ولتجري إرادة الله عز وجل في أن يعلن كل شخص عن حقيقة أمره تطبيقاً لقوله تعالى «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون».

وأبطال هذا الصراع لابد وأن يعلن كل واحد منهم عن موقفه بشكل صريح ليعلم كل أناس مشربهم وطبيعة موقفهم دونما لبس أو اشتباه فهذا هو الحسين عليه السلام يعلن سبب خروجه على يزيد ويحدد أهدافه «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً إنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر أن أسير بسيرة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلنا بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ على هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين».

وقد بين اضطراره إلى القتال وأنّ يزيد هو الذي يضطره إلى ذلك قائلاً «ألا ان الدّعي بن الدّعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت وأرحام طهرت ونفوس أبيّة ونفوس حمية».

والإصلاح في منهج الإمام الحسين عليه السلام أمر محوري فهو قيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من أركان الدين ما تركه قوم إلا عمهم الفساد

---

* عميد كلية الدراسات الإسلامية والاجتهاد في دمشق..

وقد ذكره الله تعالى في كتابه المنير «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهو يرى من موقعة كوارث لتراث رسول الله ﷺ وكونه عميد أهل البيت والسبط الوحيد الباقي من شجرة النبوة أنه أحق الناس بالقيام بالإصلاح خصوصاً وهو يرى أن هنالك اعتداء على الدين واستهتاراً بالقيم وأن الجاهلية يوشك أن تطل برأسها من جديد خاصة و أن من يلقب بخليفة المسلمين هو الذي يسعى وراءها ويريد أن يعيدها عملياً بسلوكه وهو ما بينه الإمام الحسين عليه السلام عندما رفض بيعة يزيد عند الوليد بن عتبة والي المدينة قائلاً إن يزيد رجل شاربٌ للخمر قاتل للنفس المحترمة لاعب بالقرود قائم بالفجور ومثلي لا يبايع مثله. وفي مقالة أخرى له عليه السلام «وعلى الإسلام السلام إذا ابتليت الأمة براع مثل يزيد» حيث يفتح الحسين عليه السلام أبواب نهضته على الزمان والمكان عندما جعل المشكلة هي ابتلاء الأمة براع مثل يزيد ولم يقل هو يزيد.

لقد كان يزيد يريد أن يثأر من الإسلام وأهله حتى أنه أنشد بعد وقعة الحرة:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لا هلوا واستهلوا طرباً ... وقالوا يا يزيد لا تُشل

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبرجاء ولا وحي نزل

والإصلاح عند الإمام الحسين لا يكون بلم الصف وتوحيد الكلمة وبلسمة الجراح عبر الاستعانة بالدخلاء والطفيليين والاصطفاف وراء البر والفاجر، إنما الإصلاح عند الحسين عليه السلام إنما هو قلع الفساد وتثبيت القيم ومراعاة أحكام الدين فهو لا يرضى أن يتخذ الغراب دليل طريقه حتى لا يكون الأمر على غرار قول الشاعر:

ومن يكن الغراب له دليلاً ... يمر به على الجيف الكلاب

وكم من مرة أخطأت فيها الأمة الاصطفاف واتخذت الغراب دليل طريقها فمر بها على المصائب والويلات.

إنما الإصلاح في عقيدة الإمام الحسين أن تلتقي الأمة وتجتمع الإرادات على الالتزام بشريعة الله تعالى والالتزام بالمعروف والابتعاد عن الباطل فإن الله تعالى

يقول في كتابه الكريم «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون» فالوحدة مع التقوى لا تفترقان ولا تنفصلان.

إن يزيد قد خطط لكربلاء وأرادها استئصالاً لآل البيت النبوي فلم يكن الحسين عليه السلام بدعة بين الأحرار الكرام ولكن يزيد هو الذي كان بدعة بين الفاسدين فلا يصح أن ننسى أنه وارث كل الصراع الأموي الهاشمي الذي كان قائماً في الجاهلية وتأصل بعد الإسلام والذي كان دوماً صراع قيم في جميع مراحله حيث كانت فيه هاشم صاحبة القيم والأخلاق وكانت فيه أمية صاحبة الظلم والجور.

ويزيد كان وارث كل الحقد الأموي الذي تأجَّج في بدر بدماء عتبة وشيبه والوليد وحنظلة، أي بدماء الأجداد والأعمام والأخوال، وعملت على اذكاء ناره يد المربي سرجون الرومي ودوماً ينبغي أن نبحث في صفحاتنا السود عن أمثال سرجون الذين يريدون الثأر من الإسلام بكل الطرق الممكنة لذا لم يكن للإمام الحسين عليه السلام بد من أن يخوض حربه في سبيل الإصلاح حتى النهاية.

□ **لقد أسس الإمام الحسين عليه السلام لخروجه على يزيد على أساس بيان مفاسد يزيد وشدة استهتاره بالقيم ومدى خطره على الإسلام كقوله عليه السلام وعلى الإسلام السلام إذا ابتليت الأمة براع مثل يزيد الذي لم تكن حالة خافية عن الأمة.**

ولقد دعا الإمام الحسين عليه السلام أبناء كبار الصحابة للخروج معه وعرض ذلك على المهاجرين والأنصار في مكة والمدينة ولكنهم أشفقوا من هذا الخروج وهم بدورهم عرضوا على الإمام الحسين عليه السلام ألا يخرج ولكن يزيد كان قد اضطر الإمام الحسين عليه السلام للخروج عندما أرسل إلى واليه على مكة المكرمة يأمره بأن يأخذ من الحسين عليه السلام البيعة أو أن يقتله ولو كان معلقاً بأستار الكعبة.

واختياره الخروج باتجاه الكوفة على رغم تحذير أبناء كبار الصحابة له من غدرهم وخذلانهم له فقد كانت لهم سابقة في ذلك مع أبيه وأخيه وإنما كان لأجل كتبهم وبيعتهم له فإنهما تحتمان عليه ذلك إذ لا حجة له في التخلي عنهم واختيار سواهم.

لقد خرج الإمام الحسين عليه السلام بأهله وعياله معتماً بعمامة جده رسول الله صلى الله عليه وآله متقلداً سيفه مذكراً الناس بموقعيته من رسول الله صلى الله عليه وآله وبأمه السيدة

فاطمة الزهراء وأبيه علي ابن أبي طالب عليهما السلام فقد خرج بكل وجوده المادي والمعنوي على السواء معلناً بأن العطاء في سبيل الله كما هو عند أهل البيت عليهم السلام ليس له حدود فقد ورث فداء الإسلام فداء الله ورسوله من أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو من الذين شملتهم الآية المباركة ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر، ٩) وممن نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا ﴾ (الإنسان، ٨-٩).

ولقد كان خروجه منفتحاً على الشرائح الإجتماعية جميعاً فقد انضم إليه الأحرار والعبيد والسادة العامة من الناس وقد استطاع أن يجذب إلى حركته بعض المناوئين له اتجاهاً وحركة كما في الحر بن يزيد الرياحي الذي كان قائد طليعة الجيش الأموي التي أرسلت لمواجهته وزهير بن القين الذي كان مخالفاً لأهل البيت عليهم السلام ومنحرفاً عنهم وكذلك وهب بن أم وهب الذي كان نصرانياً فأسلم والتحق بالحسين عليه السلام وكأنه يريد أن يقول للإنسانية أن أتباع الحق موجودون في كل مكان وفي كل مذهب وهم جاهزون لنصرته دوماً إذا وجدوا من يقودهم إليه بإخلاص، فإذا وجد الصدر الواسع الذي يجعل صاحبه يركز على موارد الاتفاق وينسى موارد الاختلاف، فإن فيما يمكن اللقاء عليه من الحق لسعة تكفي في وحدة الموقف خصوصاً إذا ما كان الخطر المحدق سيتناول ما يحرص عليه الجميع ولعل لقاءه الذي دام بضع ساعة مع زهير بن القين هو خير دليل على ذلك فإن بعض الساعة لا تكفي لتغيير الفكر والعقيدة والميول النفسانية والقلبية ولكنه الخوف على أساس الإسلام والذي أثاره الإمام الحسين عليه السلام في قلب زهير بن القين هو الذي جعل الأخير ينضم إلى معسكر الحسين عليه السلام.

لقد كان الإمام الحسين يبين أهداف خروجه ويبين موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله ويقيم الحجة على أعدائه المرة تلو المرة مبيناً بذلك قيمة الفكر والكلمة وهو ما كان له أثر كما ذكرت آنفاً من جذب بعضهم إليه، كما كان تأكيده على القيم الدينية والعبادات كالصلاة عندما بيّن لأحد أصحابه أهمية طلب هدنة من القوم لإقامة الصلاة قائلاً وهل خرجنا إلا لأجل الصلاة وكدعائه لآخر

قائلاً عندما ذكّره بحلول وقت الصلاة (جعلك الله من المصلين) فكانت معركته عليه السلام معركة قيم وتخليد مبادئ لم يردها أن تكون حدثاً شخصياً إنما أراد أن يؤصلها ويرسم لها حدوداً واسعة تخترق معها الزمان والمكان لتنطلق في كل التاريخ وفي جميع الأمكنة كلما كانت القيم والمبادئ الدينية والإنسانية في خطر عظيم.

□ إن التعليم بالمثال هو أرقى أنواع التعليم، وإن التطبيق العملي لأحكام الدين وبيان حدود ذلك هو من الأمور المهمة لا ريب فلا يكفي أن يسمع الإنسان الآية والرواية بل لا بد له وأن يرى كيف تطبق تلك الآية والرواية ولقد بين ذلك القرآن الكريم بقوله (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) والأسوة إنما هي في العمل لا في القول وهو صلى الله عليه وآله كثيراً ما كان يقول صلوا كما رأيتموني اصلي، حجوا كما رأيتموني أحج .. الخ.

وكون الحسين عليه السلام هو السبط الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي عاصر خطر يزيد على الإسلام فإنه إما أن يسكت عن ذلك وسوف تضيع على الناس بذلك السكوت معالم جهاد الطغاة والدفاع عن الدين وطلب الإصلاح في وجه الانحراف والفساد وعندئذ لن يكون هنالك معنى محدد لكل الآيات والروايات التي تأمر بالوقوف في وجه هؤلاء كقوله تعالى ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ وكقوله صلى الله عليه وآله عندما كان يرجع من غزواته مع المشركين: (رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى) وكقوله عليه السلام: (إذا ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولي عليهم شرارهم ثم يدعو خيارهم فلا يستجاب لهم) وإذا ضاعت معاني الآيات والروايات الشريفة ولم يعد لها حد واضح لأن عدم قيام أمثال الحسين عليه السلام بالإنكار على الظالمين مع مكانته العظيمة وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وموقعيته الدينية سيشكل قرينة على إرادة غير الظاهر من تلك الآيات والروايات وكأن هذا الخروج لا يعتبر واجباً ولن يجرؤ أحد بعد ذلك على القيام به لوجود الشبهة في مشروعيته مما سيؤدي إلى دمار القيم وضياع الحقائق إلى الأبد.

وإما أن ينهض الحسين عليه السلام ويقف في وجه الظالمين ليكون حجة على من يأت بعده في ذلك فيؤسس عملياً للوقوف في وجه الطغاة والمنحرفين للحفاظ على الإسلام وأهله وهذا ما فيه حياة الإسلام كما هو واضح بيّن.

إن الحسين عليه السلام هو إمام الشهادة ودرس العطاء في سبيل الله بلا حدود وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله (إن للحسين عليه السلام درجة عند الله لا ينالها إلا بالشهادة) فإمامة الحسين هي شهادة الحسين، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الله عز وجل لم يتدخل تدخلاً إعجازياً يقلب الموازين لمصلحة الإمام الحسين عليه السلام ويدفع القتل عنه وعن عياله وأصحابه فإنما هذا لأن التدخل الإعجازي إنما يتم في مرحلة تكوين الأمم بحيث يكون عدم التدخل نقضاً لغرضه تعالى من بعثه لأنبيائه وقيامهم بالدعوة إليه وهذا ما نشاهده في قصص العديد من الأنبياء وفي حياة نبينا محمد صلى الله عليه وآله أما بعد ما تتكون الأمم وتترسخ الشرائع فإن المسؤولية في الحفاظ على الشريعة تصبح مسؤولية الأمة وعندها تميل الأمور للسير بحسب السنن الكونية لا المعجزة الربانية إلا ما ندر وإن درس الحفاظ على الإسلام كان يتطلب التضحية من الإمام الحسين عليه السلام وأن تسير الأمور بحسب السنن الكونية فتغلب في ساحة المعركة تلك الجموع الكبيرة التي وصلت إلى عشرات الآلاف على تلك الجماعة الصغيرة التي لم تتجاوز نيفاً وسبعين رجلاً ولينتصر بعد ذلك الدم على السيف ويخلد الدين وهو ما عبر عنه الإمام السجاد عليه السلام عندما قال لإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله إذا سمعت الآذان عرفت لمن كانت الغلبة في ذلك اليوم. فكان لا بد من درس في كيفية الحفاظ على الدين وفي بذل الغالي والرخيص في سبيل ذلك ليسلك بعده كل الأحرار في العالم سبيل الحسين عليه السلام للدفاع عن حقوقهم وردع الظالمين لهم فكانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام وتضحيته في كربلاء شمعة أضاءت التاريخ كل التاريخ حتى استضاء بها كل الأحرار وذكرها حتى غير المسلمين.

□ إن العودة إلى التاريخ توجد تواصلاً بين ماضي الأمة وحاضرها، تزود حاضرها بالعبر وبالدروس المستلهمة من حياتها الماضية ، ويجب أن نصرّ على دراسة التاريخ والتدقيق في أحداثه دون أن تتفرق في الحكم عليها فإنها أحداث يتحملها أصحابها وسوف يسألهم الله عنها، وليس لنا دخل أو علاقة بها من هذا الجانب إلا إذا رضينا بفعل بعض أطرافها فإن النبي صلى الله عليه وآله يقول (الراضي بفعل قوم كالداخل فيه).

وإن استذكار المأساة هو أمر مشروع فعله ، الله تعالى في كتابه الكريم عندما ذكر قصة أصحاب الأخدود وخلّد مأساتهم وبيّن سببها قائلاً ﴿وما نقموا منهم إلا

أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ فالاستذكار هو عبور بالمشاعر والوجدان إلى ساحة المأساة لإعادة إنتاجها في أعماق النفس الإنسانية للإطلالة على قيمها ومفاعيلها من جديد وعرضها على الواقع الذي يعيشه الإنسان مما يجعله يستنكر في وجدانه كل ألوان الظلم والسوء ويدفعه إلى التمرد على ذلك. لقد كان نداء يا لثارات الحسين عليه السلام مشعل كل الثائرين على العهد الأموي وهو الذي أطاح بهم في نهاية المطاف كما كان مشعل الثورة على كل المحتلين والظالمين وما ثورة العشرين في العراق والثورة الإسلامية في إيران ومقاومة المحتل في لبنان وفلسطين إلا إشعاعات من ذلك النداء الكربلائي الخالد فهو حركة سياسية ضد الطغاة لكبح ظلمهم والوقوف في وجههم وتأصيل رسالي للإسلام وحث للمؤمن الذاكر على الالتزام به فهذا الدين إنما حفظ بتضحيات أولئك العظام وبدمائهم ونحن أمناء على كل ذلك لا ينبغي لنا أن نفرط فيه وكما أنه تمسك بالقيم والأخلاق لأن فلسفة نهضة الحسين عليه السلام إنما هي الحفاظ على القيم وعلى الأخلاق ، وهذا ما يعطي إضاءة على صراعنا مع أعداء الدين في هذه الأيام من الأمم المستكبرة والحكومات الطاغية فهو صراع قيم وحضارات ونحن في أمسّ الحاجة فيه إلى تأصيل القيم والتمسك بالمبادئ وتحديد الهوية.

□ لقد أحضر الحسين عليه السلام إلى ساحة كربلاء كل وجوده المادي والمعنوي واستنفر كل قواه في معركة فاصلة مع الانحراف وأهله وبقايا الردة والجاهلية وإن الذي عنده أدنى إطلاع على الشخصيات التي صنعت أحداث عاشوراء في طرف الجيش الأموي ليدرك ذلك فقد كان فيهم أبناء قائد جيش مسيلمة ومؤذن سجاح وأهل الأهواء والدنيا وطغام جهّال من الناس لا يكادون يفقهون حديثاً .. ابحث عن شبث بن ربعي وأبناء الأشعث بن قيس وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن لترى ذلك كله ناهيك بطبيعة الحال عن شخصية يزيد.

ونحن لا نحتاج مع الاستكبار العالمي للبحث في شخصيات قادته وزعمائه فالشيء المؤكد أن هؤلاء يريدون الكيد للإسلام وأهله مع غض النظر عن أسمائهم وشخصياتهم فإن طبيعة صراع الحضارات الذي يؤسسون له يفرض عليهم ذلك. فما أشبه اليوم بالأمس.

إن استلهام الدرس من عاشوراء مبني على أن نحشد لمعركتنا مع أعدائنا من الصهاينة المجرمين والمستكبرين الطاغين كل إمكانياتنا المادية والمعنوية وهو ما طالبنا به ربنا في كتابه الكريم ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ فنحن مطالبون بإعداد كل ما نقدر عليه من أسباب القوة مادياً ومعنوياً على السواء حتى نقف في وجه أعدائنا ثم بعد ذلك إما النصر وإما الشهادة فإننا نؤثر ولا شك مصارع الكرام على عيش اللئام فدرس الحسين عليه السلام يبين لنا ذلك فإذا ما التزمنا به يكون الحكم بعد ذلك لله وهو خير الحاكمين.

وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾ وهو القائل: ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾.

إن بعض المظاهر السلبية التي يمارسها بعض محبي الحسين عليه السلام إنما يرجع في حقيقته إلى أن أولئك المحبين المستضعفين لا يقدرون على تجريد الحدث والتفاعل معه بنحو مجرد فإنه مع تنبيه علمائنا المستمر وصدور الفتاوى الناهية عن ذلك يبقى بعض الناس يصرون على تلك المظاهر وهو أمر موجود عند جميع الديانات والمذاهب خصوصاً عند الفئات المستضعفة ، ولسنا في هذه العجالة بحاجة إلى ضرب الأمثلة على ذلك وإنني أدعو أولئك المحبين إلى التخلي عن ذلك حتى لا يساء إلى قضية الحسين عليه السلام فنحن مأمورون بأن نقرب الناس إلى الحسين عليه السلام لا أن ننفرهم عنه وكذلك لا بد من التنويه بأن الحسين عليه السلام هو لكل المسلمين وليس لمذهب دون آخر وليس هنالك من مسؤولية عن شهادته لمذهب من المذاهب بل هو أثبت عملياً أنه لكل البشرية وأن الذين استشهدوا معه كانوا بحسب أصولهم ينتمون إلى فئات مختلفة وغنيٌ عن البيان أن نقول إن نهضة الحسين عليه السلام كانت قبل نشوء المذاهب الإسلامية وعليه فكل المسلمين مدعوون إلى إقامة مجالس ذكرى شهادة الحسين عليه السلام .

اللهم انفعنا بالحسين وفقهنا درس الحسين حتى ندفع عن أنفسنا وديننا ظلم الظالمين وكيد المحرفين آمين يا رب العالمين.

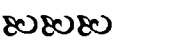

مداخلة العلامة الشيخ حسن مهدويان(*)

نظرة سريعة إلى
وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفيّة

قبل الدخول في البحث عن الزوايا المختلفة الاجتماعية والتربوية لهذه الوصيّة المباركة لا بدّ لنا من الانتباه إلى أمور عدّة:

الأمر الأول: ليس من الإنصاف أن نعتبر قضية الحسين عليه السلام وعاشوراء حركة فقط ودون أن ننظر إلى سائر أبعادها الإنسانية والإسلامية.

الأمر الثاني: إن التفكيك بين حياة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وثورته سبّب عدم فهم ثورته بحقيقتها، كما سبّب عدم فاعليتها وتطبيقها على مختلف الظروف في العصور المنصرمة. مع العلم أنّ حياة الإمام عليه السلام بكافّة مراحلها منذ طفولته في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وابنته الشهيدة، حتى زمن شبابه في عهد معاناة وصبر أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وصولاً إلى إمامة السبط الأكبر الحسن عليه السلام لها قسط كبير في التمهيد لنهضته وتبيين تصرّفاته في مواجهة الحكم الجائر، كما أنّ لأخلاقه السامية وزهده وورعه وشجاعته وإيثاره وإخلاصه لله سبحانه وتعالى شأناً أكبر في صنع ثورته الخالدة.

الأمر الثالث: الكثيرون من الذين ألّفوا أو تكلموا حول نهضة الحسين عليه السلام ركّزوا على كيفية استشهاده واستشهاد أصحابه وأفرطوا في عرض مشاهد مظلوميتهم من دون أن يدرسوا الأسباب المؤثرة فيها والظروف المحيطة بها والأهداف المنشودة منها. وهذا ما أخرج هذه النهضة المقدّسة عن كونها مدرسة

---

* المشرف العام السابق على حوزة الإمام الخميني العلمية للدراسات الإسلامية في سورية.. وقد تناول سماحته موضوع الوصية التي قُدِّمت ضمن ورقة عمل هذه الندوة.

للحياة والعزّة والكرامة وسعادة الدارين، وجعلها فحسب ملحمة مثيرة للبكاء مستمسكة بيد من يتوافى في تحمّل مسؤولياته ويتمنّى الجنّة ببكائه.

الأمر الرابع: إن الأمور المذكورة، جعلت عاشوراء وسيلة استرزاق جمع غفير من الذين لم يعرفوا الحسين عليه السلام وسلوكه ولم يدركوا عاشوراء وقيمتها، كما سبّبت تحامُل جمع آخر على المجالس الحسينية والمراسيم العاشورائية، مع أننا نعتقد أن هناك أسباب أخرى أوجدت أو ساهمت في إيجاد هذه الظاهرة الظالمة.

الأمر الخامس: إذا كنا نريد أن ندرس عاشوراء لنعرف منها طريقة بناء الذات وكيفيّة استنهاض الأمم المستضعفة، فعلينا أن ندرس التاريخ بكلّ ما جرى بعد النبي صلى الله عليه وآله مروراً بعهد الخلفاء وعصر أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وانتهاءً بثورة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، كما علينا أن نبحث في زوايا حياة الإمام الحسين عليه السلام ونفتش عن مواقفه واستراتيجياته وندرس أخلاقيّاته وسلوكياته ونتفهم ما قاله في خطبه وحواراته ووصاياه، بشمولية ودقّة في كلّ ما تحتويه من أمور عقائدية، أخلاقيّة، فقهيّة، سياسيّة، تربويّة وغيرها.

الأمر السادس: إنّ إلقاء نظرة سريعة على بعض العناوين التي يمكن استخراجها من وصيّة الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة المنوّرة يعطينا فكرة عن الجوانب المتعدّدة التي كثر في غفلتنا عنها في ذكر الحسين عليه السلام وثورته الإلهيّة.

نصّ الوصيّة:

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفيّة: إنّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده، وأنّ الجنّة حقٌّ والنّار حقٌّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور.

وإنّي لم أخرج أشِراً ولا بَطَراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي صلى الله عليه وآله محمّد وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فمن قبلني بقبول

الحقّ فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين. وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكّلت وإليه أنيب".

(مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٨٩- العوالم، ج ١٧، ص ١٧٩)

١- خطاب هذه الوصيّة بظاهره موجّه إلى محمّد بن الحنفيّة مع أنّها وصيّة لجميع الأمّة، بل حسب اعتقادنا فإنها وصيّة لجميع الأمم حتّى في الأزمنة المستقبلية التي يتكرّر فيها التاريخ كما تتكرر فيها سنن الله في مواجهة الحق والباطل. والسرّ في هذا يكمن في سياسة الحسين عليه السلام التربويّة والاجتماعية.

أمّا التربويّة منها، أنّه حينما يرى أن أخاه لا يتمكن - وبأعذار مختلفة - من مواكبة كوكبة الثائرين، لا يطرده، لا ينفيه، لا يسقطه بل يستوعبه - كما هو سنّة النبي وأهل البيت عليهم السلام إنه يعطيه دوراً، يوصي إليه، ينصحه أن يبقى في المدينة - بعدما قرّر البقاء - حتّى يطّلع على أحوال أهلها ويجمع الأخبار ويرسلها إليه عند الضرورة.

أمّا الاجتماعية منها أن الحسين عليه السلام يُوصي إليه في الوصيّة، لكن يخاطب فيها جميع من يسمع نداءه، يُعلن لهم مواقفه ويدعوهم إلى نصرته، وهذا يعني أنّه جعل أخاه بجلالة شأنه ومكانته المرموقة عند الناس، منبراً إعلاميّاً حتّى يوصل صوته إلى كلّ من آمن بالله والنبي محمّد صلى الله عليه وآله وهذا النوع من الحركة الإعلاميّة يتكرّر في قرارات الحسين عليه السلام ومحطاته، بدءً من الرسائل الدعائية المندرجة في هذه الوصية واصطحاب أهله ونسائه معه، إلى كيفيّة وداعه قبر النبي صلى الله عليه وآله، وخروجه من المدينة المنوّرة، إلى ما جرى في مكّة المكرّمة، واختياره أنسب وقت لترك مناسك الحج، إلى خطاباته في كل منزل من منازل الطريق منتهياً إلى أروع مشاهد سطّرها وخلّدها في كربلاء وعاشوراء.

٢- الوصيّة يعتبرها عامة الناس، وظيفةً في أواخر أعمارهم، وفيها تحدّد كيفية تصرّف الورثة في أموالهم بعد الموت، كما تُبين ما عليهم من قضاء للعبادات من صوم وصلاة وغيرها، في حين يعتبرها الأحرار والشرفاء وسيّدهم الحسين عليه السلام تذكيراً لهم ولغيرهم بما يهمّهم ويهمّ مجتمعاتهم، كما يقدّم أهمّ ما حصلوا

عليه من تجارب طيلة حياتهم، وتتضمّن إعلاناً عن وجهات نظرهم حول القضايا المصيرية، وكيفية التعاطي معها حسب معتقداتهم وتجاربهم. وهنا نرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام حينما لم يتمكن من البقاء في المدينة المنوّرة فإنّه يقرّر الهجرة ويكتب الوصيّة مشتملة على أبعاد مختلفة، يمكن تلخيصها وتحديدها في أربعة عناوين:

- شهادته بالتوحيد والنبوة والمعاد.
- نفي الاتهامات
- تبيين الأهداف
- الدعوة وطلب النصرة.

ما نركّز عليه في هذا المختصر ليس شرح هذه العناوين بكلّ ما فيها من رموز وأسرار بل التطرّق إلى بعض الجوانب من كل عنوان.

٣- إنّ التخطيط قبل البدء بأيّ حركة، هو من ضروريّات الحركة، حيث لا يمكن الحصول على أيّ نتيجة إيجابيّة إلاّ بعد وضوح الهدف وتحديد الأولويات وتبيين الإستراتيجيات ورسم طرق الوصول إلى النتائج المطلوبة، كما أن الحسين عليه السلام يوضّح في الوصيّة كلّ هذه الأمور بدقّة، فهو يحكي عن مبادئه وقيمه كما يعرب عن رؤيته الواقعيّة حول الوضع الموجود ويعطي صورة واضحة عن كيفيّة تعامله مع هذا الواقع المرير كما يقرّر أهدافه وكيفيّة الوصول إليها.

٤- إنّ تحديد المواقف فيما يشتبه على الناس أمرهـ واجب إلهي وضرورة اجتماعيّة، ولا يمكن الإتكال على ما يعلمه الله من حقائق الأمور فينا، وفي مجتمعاتنا. إنّ الحسين عليه السلام رغم إيمانه بعلم الله وإحاطته بكلّ شيء يؤكّد في وصيّته على مواقفه حتّى ينبّه الناس حول ما يجري في مجتمعهم وما يتوجب عليهم عسى أن يحرّك فيهم الشعور بالمسؤولية للسعي وراء الحلول وإيجاد البديل.

من منظور آخر نجد في هذا التحديد للمواقف احتراماً لشعور الناس ومشاعرهم. إنّ النبي صلى الله عليه وآله ومن معه من أهل بيته لا يهملون الناس حيث كانوا، بل يواسونهم دوماً، يراعونهم ويراعون أحاسيسهم ويهتمّون بهم وبمشاكلهم الفردية والإجتماعية ويسعون لجلب مصالحهم مهما كان يتطلب منهم الجهد والعناء، فهذا هو الحسين عليه السلام يضحّي بكل ما عنده حتّى بطفله الرضيع ليجسّدَ حبّه لهداية

الناس وحرصه على إخراجهم من الظلمات إلى النور.

٥- شهادة الحسين عليه السلام بالشهادات الثلاثة من (التوحيد والنبوة والمعاد) في بداية وصيته ليست من منطلق عرفي فحسب بل تذكير بوجوب بناء أيّ حركة وصنع أيّ قرار على هذه الأصول. بعبارة أخرى هناك تأكيد على أنّ ما يتبنّاه الإنسان في محاربة الوضع القائم، وتحريك الناس على القيام بأيّ أمر إذا لم يكن على محور التوحيد والنبوة والمعاد ولم يحدّد فيه مقدار التزامهم به بالتكليف الإلهي وما يتوجّب عليه بعد الاعتقاد بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وحقيقة الحشر والحساب، لا يمكن الاعتماد عليه ولا يجب الإلتزام به.

كما أن لهذه الشهادات مدلولاً آخر في مدى مظلوميّة العترة الطيبة بعد النبي صلى الله عليه وآله حيث لم يكد يمض على رحيله أكثر من نصف قرن فإذا بابنه وحبيبه وفلذة كبده متشهّداً بالشهادات الثلاثة حتّى لا ينطلي على الناس ما أشيع عنه وعن أهله وأصحابه بعدم الإيمان والخروج على الإسلام والمسلمين.

٦- نفي الإتهامات: إنّ الحسين عليه السلام يعرف مجتمعه ويعرف ما يجري فيه من تزييف للحقائق ولصق للإتهامات بالمصلحين، ففي بداية وصيّته يذكّر الجميع بعدم خروجه أشِراً ولا بَطراً ولا مُفسداً ولا ظالماً، وأنّه لن يقوم بوجه الحكم الأموي من منطلق هذه الدواعي الماديّة ولا يريد أن يظلم أحداً أو يفسد المجتمع كما يشيعون بأنه يروم زعزعة أسس الحكم والدولة. إن على أيّ مصلح أن يعرف ما يجري في المجتمع وما يحاك حوله حتى يتمكن من معالجة الحرب النفسية التي يشنّها العدو لتشويه صورة ذلك المصلح وحجب ثقة الناس عنه..

٧- هناك مدلول آخر في قوله إني لم أخرج أشراً ولا بطراً وكأنّه يريد أن يذكّر الأمّة بأن حالة الأشر والبطر والإفساد والظلم، تشكّل عوامل رئيسية في التحركات الإجتماعية المنحرفة والتخربات المادية غير المبنية على أساس التقوى. فعلى الناس أن يدرسوا اهتمامات أصحاب القرار بدقة ويعرفوا دواعيهم الأساسية في أيّ تحرّك وتحريك اجتماعي حذراً من السقوط في فخّ الشيطان وأتباع الشيطان، الذين يسوسون الناس بالفتن، ويهدرون الدماء تحصيلاً لرغباتهم الشخصية وشهواتهم المختلفة.

٨- إنّ الحصر في بيان أهداف نهضة الحسين عليه السلام في هذه الوصيّة يدلّ على فرعيّة سائر الأهداف. فمثلاً إذا عرفنا أن الحسين خرج إستجابة لدعوات أهل الكوفة أو محاربة يزيد أو حتّى تشكيل الحكومة العادلة لا يمكن أن نعتبر هذه الأسباب، إلاّ أهدافاً فرعيّة، تابعة للهدف الأساس وهو الإصلاح في مجتمع ابتلي بالفساد.

٩- لم يقل الحسين عليه السلام لم نخرج وما خرجنا بل قال: إنّما خرجت، حتّى يركّز على دور القائد في أيّ مسيرة، فالقائد هو الذي يحدّد الهدف والاستراتيجيات ويتحمّل السير بأتباعه باتجاه تحقيق أهدافه، فالمجموعة التي تتحرك مع أيّ قائد يجب أن يكونوا خاضعين لقراراته ومسلّمين أمرهم إليه في تشخيص الهدف وتبيين الخطّة للوصول إليه.

١٠- إنّ عملية الإصلاح والتغيير حركة، ولا تحصل إلاّ بالخروج والسعي والجهاد، لا يمكن أن يُكتفى بالشعارات والندوات وكتابة المقالات وإلقاء المحاضرات، لا يمكن أن يجلس المصلح في البيت وفي زاوية منه، ويتوقع حدوث الإصلاح في المجتمع، عليه أن يقوم بمهامّه وأن يبذل ما في وسعه في المعركة ويصبر ويستقيم حتّى يغير، ولا يغيّر إلاّ بإرادة الله.

١١- طلب الإصلاح: لم يقل الحسين عليه السلام إنّما خرجت لأصلح أمّة جدّي، إذ ليست الأمّة جهازاً يتعطّل ليقوم خبير بتصليحه، إن أبناء الأمة أصحاب وعي وقرار، لا يمكن لأحد أن يقوم بإصلاحهم إلاّ عبر إرادتهم فالمصلح الحقيقي الذي يسعى حقاً إلى الإصلاح، عليه أن يوقظ ضمائر الناس ويحرّك مشاعرهم ويقوي شعورهم بالمسؤولية ويدفعهم لأخذ القرار ويشجعهم للصمود والتصدّي، ويحرّضهم على الجهاد والمثابرة حتّى يتحقق الصلاح والسداد في أمور مجتمعهم.

إنّ الإصلاح من دون إيجاد الفكر الصحيح والتدبر القويم، والتوجّه الحقيقي في الأمّة نحو تغيير الوضع الموجود، لن يتحقّق مهما كانت قدرات القائد المصلح ومن هذا المنطلق نرى في القرآن الكريم بأن الله أنزل كتبه كما أرسل أنبياءه ليس ليقسطوا بل ليقوم الناس بالقسط.

١٢- في قوله لطلب الإصلاح في أمّة جدّي نقاط تربويّة مختلفة ومن جملتها:

أ- إنه لم يصرح بفساد الأمة حتّى لا يجرح أحاسيس الناس ولا يحْرجهم. نعم إذا لم تكن الأمّة فاسدة لم تكن الحاجة إلى إصلاحهم، لكن مع هذا ليس من الضروري أن نصرّح بفسادهم رغبة في إعطائهم الشخصية اللازمة لتبنّي المسؤولية.

ب- تحريك لمشاعر الأمّة، حيث كانت الأمّة مازالت محبّة لرسول الله متمسّكة بولائه، تطيع أوامره وتتبع سننه، فالحسين عليه السلام يذكّرهم بأنه هو حفيد رسول الله وبضعة منه وكم كان الرسول صلى الله عليه وآله يدلّهم على وجوب حبّه وتحصيل رضاه، فكيف الآن يا ترى تتعامل معه حبّاً لرسول الله وتقديراً لجهوده؟

ج- تنبيه لدور الأقرب فالأقرب فهو بما أنه حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّ المسؤولية عليه هي أكثر من غيره، فكلّ يتحمل المسؤولية بمقدار ما يتوجب عليه حسب موقعه ومكانته في الأمة.

١٣- أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر هل هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفس الإصلاح في أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ يعني هل أنّ الإصلاح لا يتحقّق إلاّ بتصدي المسؤولية تجاه من يتركون المعروف ويتعاطون المنكر؟ أم أنه على امتداد خط الإصلاح طولاً ففي مثل هذه الحالة فإنّ الإصلاح في الأمّة، لا يكفي، بل يجب إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتّى تستقيم الأمور؟ أم هو في خط الإصلاح عرضاً، وفي مثل هذه الحالة يجب أن تكون منظومة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلّها فاعلة في المجتمع. إذن فإن مهمّة الإمام الحسين لن تتحقق إلاّ بتفعيل كلّ ما يذكره.

١٤- إنّ المهمّ في بناء الإنسان والمجتمع هو بناء إرادته وعزيمته، فإذا كانت الإرادة قويّة والعزيمة راسخة، تبدأ الحركة وتستمر مهما كانت الصعوبات في البداية وفي المستقبل. إنّ قوله عليه السلام: "أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر" له مدلول آخر غير ما ذكرنا من أهميّة الإرادة وهو أن العبد ملزم بأداء التكليف، عليه أن يفكّر بالمسؤولية تجاه الإنحراف الموجود في المجتمع ويؤدي دوره، أما هل يحقق مقصوده أم لا؟ وهل سيتمكّن من إنهاء الإنحراف أم لا؟ وهل سيلتزم أفراد الأمة بما يأمرهم وينهاهم أم لا؟ هذا ليس من مهمّته، "وما على الرسول إلا البلاغ" هنا الإمام عليه السلام يريد أن يأمر بمعروف تركوه وينهى عن منكر فعلوه، أمّا هل

سيفسحون له المجال؟ هل يتمكّن من الأمر والنهي؟ وهل إذا تمكّن يأتمرون وينتهون؟ هذا شأن آخر ولا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها.

وكأن في هذا التعبير تكمن إشارة إلى عدم فسح المجال له وعدم إعطائه فرصة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن تحقيق العمل بالمعروف وترك المنكر، وذلك بسبب حالة الضغط والكبت والخنق السائدة في ظل حكومة الأمويين.

١٥- إنَّ التأكيد على أن الحسين عليه السلام هو الذي أراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع أنّ أولاده وإخوته ،وأصحابه وأنصاره، كانوا معه يدلّ على دوره القيادي، كما ذكر في الخروج لطلب الإصلاح بما أنه هو صاحب القرار والآخرون أتباعه، أو يدلّ على الإحساس بالتكليف، فهو الذي يتعهّد بأداء المسؤولية تجاه ما يجري في المجتمع، ويريد أن يؤدي ما عليه من حكم الله مهما كانت الظروف حتّى لو بقي وحيداً فريداً، كما آل إليه الأمر في الساعات الأخيرة من حياته الشريفة، فلم يتوقف عن أداء التكليف حتّى بعد استشهاد جميع من كانوا معه وحتّى حينما سقط من جواده وهو مثخن بالجراح... أو يدلّ على أن الأصل في حركته هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتحقق ما يريده إلاّ بأداء هذا الواجب وهو لا يتوقع حصول النتيجة كما أن العقل يقضي تحقق عدم توقع النتيجة. نحن يجب أن نؤدي دورنا ولو لم تحصل نتيجة إلا بعد ألف سنة.

١٦- هناك مداليل أخرى في ما قاله عليه السلام:

أ- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي أهميته تكفي الآيات المباركة التي تأمر بإقامته ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران، ١٠٤] أو لجعله من مواصفات الأمّة المختارة ﴿ الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا لزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ [الحج، ٤١].

ب- ثمة إشارة واضحة إلى أهم عوامل الفساد في المجتمع وكأنه عليه السلام يقول هذا الفساد المنتشر في الحكام وأفراد المجتمع، إنما هو حصيلة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن الناس لم يذعنوا لحكم الأشرار إلاّ بعد تركهم هذه

المسؤولية العظيمة.

ج- إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب اجتماعي لا يعرف الحدود، يُتوجب على الإنسان بعدما رأى ترك المعروف واتيان المنكر، القيام به مهما كان صغيراً على مستوى عمل فرد- أو كبيراً- على مستوى عمل فرد أو مجتمع..

١٧- في قوله عليه السلام أسيرُ بسيرة جدي صلى الله عليه وآله وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام تصريح بوحدة السيرتين، فهناك اتحاد بين السيرة النبويّة والسيرة العلويّة لا يمكن الفصل بينهما، فالذين يريدون السيرة النبوية من دون الالتزام بالسيرة العلوية هم في انحراف عن ما بيّنه الله تعالى في القرآن الكريم من أن الدين بدون ولاية علي عليه السلام أبتر وناقص ولا يرضى به الله كدين كامل ونعمة تامّة.

١٨- قولهُ: فمن قبلني هو نوع من الدعوة، الدعوة القائمة على أساس العزّة والاستغناء الكامل.

١٩- فمن قبلني بقبول الحق، يدلّ على أن في منطق الحسين عليه السلام، فإن الحق هو الأساس، وليس الأشخاص، ولو كان ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. الحسين عليه السلام يريد أن تعرف الأمّة الحق وتقبله، وبقبول الحق يُقبل الحسين، وليس العكس وهذا ما يدلّ على عظمة الحسين. ودعوته.

٢٠- بين الشعار والحقيقة بون بعيد، والحسين عليه السلام يريد الحق والحقيقة وليس الشعار، هو لا يريد من يقبله حسب المصالح الشخصية ويبقى معه، ويدرّ إليه منافعه. فالناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا محّصوا بالبلاء قل الدّيانون) والدّيان من يقبل الدين بحقيقته روحاً وقلباً، وهذا ما يريده الحسين عليه السلام .

٢١- (فالله أولى بالحق) صرّح به الحسين عليه السلام حتّى يدلّ الناس على أن المحور الأساس هو الله في كل حركة وفي كل دعوة إليه سبحانه وتعالى.

٢٢- ممن ردّ عليَّ هذا أصبر: كيف يجب أن تكون ردّة فعل الحسين عليه السلام مقابل نفي الناس لحقه وتركهم لنصرته وعدم استجابتهم لدعوته؟ إلاّ الصبر. والصبر هو ما ينال به الإمام إمامته. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ

فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ {الأنبياء ،٧٣}

٢٣- وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب: البدء باسم الله والشهادة بتوحيده، والختم باسم الله وذكر تجلّيات التوحيد، كل ذلك يجعل من هذه الوصيّة، أنموذجاً حيّاً عن الإخلاص لله والذوبان فيه.

مداخلة

العلاّمة السيد حسن النوري (*)

لأن أبا عبد الله الحسين عليه السلام حرص على بيان شعاراته بشكل دقيق ومتكرر صار واضحاً لدى الجميع أن نهضته انطلقت من أجل الإصلاح في أمة جده الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله.

لقد جاء ذكر الجانب الاجتماعي لثورته عليه السلام في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية وفي حديثه مع الحر عند لقياه به، وكذلك عندما خطب القوم قبل شهادته وكان طول الطريق يؤكد على هدفه الاجتماعي.

ومن الواضحات أن الثائرين مع أبي عبد الله كانت شعاراتهم لا تعدو شعارات الإمام الحسين عليه السلام فهم من أهل البصائر ومن أهل الحكمة والعزيمة. وإنّ مراجعة دقيقة لسيرة الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه تجعلنا على يقين أن هذا الموكب المبارك هو موكب الهادفين الأحرار أصحاب المسؤولية والأمناء على المسيرة والرسالة، وهو موكب الأسوة الصالحة والقدوة الحسنة.

ولن يصعب علينا أن نجيب على سؤال قد يتردد عن السر في خلود هؤلاء، فهل إن فظاعة أعدائهم جعلت سيرتهم تُذكر على كل لسان أم هو رحمة قلوبهم ورقتها ؟ هل خلد هؤلاء بجلدهم وشجاعتهم وموقفهم الصلب أم خلدوا لهزيمة أعدائهم ؟ هل خلدوا لأنهم حملوا صفات الأبطال من المقاومة والصبر إلى الحمية والوفاء؟

(*) من كبار علماء الدين في العراق.

هل خلدهم احترامهم للمقدسات أم فتوتهم وإخلاصهم؟ إن مشهد كربلاء يرينا كل جميل رغم القساوة والغلظة التي كانت السمة الواضحة في أعداء الإمام الحسين عليه السلام.

لقد كان الهدف الواضح للإمام وأنصاره هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح في الأمة الإسلامية فهل تحقق للإمام وأصحابه ما يريدون؟.

إن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم أن جناية الأمويين على الإسلام والمسلمين خيانة كبيرة ولا يكفي لإرجاع الأمة إلى حالتها الطبيعية (الإسلامية) النصح اللفظي.. فالأمة أصابها الخدر الديني، وعشعش في عقلها الفكر القدري والجبري المنحرف، وتركت شعارات الإسلام لتتحول إلى المنطق القبلي، ومن كان من هذه الأمة يعيش الصحوة والوعي يتعرض للتجويع والإرهاب إن لم تطله طائلة القتل والتعذيب. هل أن عودة الوعي إلى الأمة الإسلامية بعد عاشوراء كان صدفة ونحن لا نعتقد بالصدف... كانت خطة الإمام الحسين عليه السلام محكمة وواضحة فهو يريد توظيف الدم والقتل

لهذا استطاعت ثورته أن تحطم الإطار الديني المزيف الذي أطر الأمويون به صورتهم القبيحة، وأرجعت ثورة أبي الأحرار إلى الأمة المسلمة أخلاقية الإسلام لأن هذه الأمة كغيرها من الأمم تتربى من خلال القدوة والمثل الحي.. إنَّ الأمة المسلمة وجدت ابن رسول الله يضحي بأهل بيته وأصحابه وبنفسه من أجل دينه ليطرح لهم عملياً مفهوماً إسلامياً عن أهمية الدين وأنه عِزَّ المسلم وأقدس مقدساته.

وأصحاب الحسين وأهل بيته كانت أمامهم فرص عديدة للنكوص لو أرادوا وللعودة إلى بيوتهم لو شاءوا، لكنهم رفضوا ليعلموا المسلمين درس الثبات والإخلاص ولهذا كانت هذه النهضة والثورة مبعث الروح النضالية الثورية في الأمة المسلمة وكانت عاشوراء مقدمة ثورات هي ثورة التوابين وثورة المدنية وثورة المختار وثورة مطرف بن المغيرة وثورة بن الأشعث وثورة زيد بن علي بن الحسين عليه السلام وثورة أبي السرايا.....

وكانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام تستند على كل النماذج الراقية من شرائح المجتمع لهذا فهي قدوة لكل المصلحين من الرجال والنساء من الشباب والشيب من الفتيان والفتيات ومن جيل الصحابة والتابعين وكان على رأسهم سيد شباب أهل الجنة وأحد أصحاب الكساء الخمسة وابن سيدة النساء وابن أمير المؤمنين وأخو الحسن المسموم. لقد استطاع الثوار أن يكسروا هيبة الحاكم المستبد وأن يكسروا كل الحواجز التي وضعها هو ومنهجه وأسرته أمام صحوة المسلمين ووعيهم .

إن دم الحسين ودم الثوار معه أصبح يضخ في جسد الأمة المخدرة. أمة بلا دم تحولت إلى أمة ثائرة واعية مدركة لمسؤولياتها لا يكون همها خراج ومال أو قضاء ليالي الأنس والانشراح.

إذا كان علماء التربية قد قالوا لنا أن وسائل التربية وطرقها هي الوعظ والإرشاد وهي حكاية القصص وضرب الأمثال وهي التربية بالعادة والقدوة وهي التربية بالمثوبة والعقوبة... إذا كان هذا كله حقاً فقد كانت ثورة الحسين حاملة لكل هذه الوسائل فهو وأصحابه ضربوا المثل وصاروا أحسن مثال يقتدى وقدوة تحتذى وهم أحسن قصة وأروعها وهم الواعظون الراشدون وهم من يثاب بذكر سيرتهم المسلمون ومن يعاقب الله سبحانه من يزيغ عن هديهم.

لقد أثبت الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه أن الدم ينتصر على السيف وأن العنف لا ينتصر. هذه السيرة العطرة جعلت صاحب [في ظلال القرآن] يقرن في تفسيره المذكور الإمام الحسين مع إبراهيم الخليل عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾(غافر، ٥١)

ولنختم بعد ذلك بقولة أن آخر خُطبة للشهيد يكتبها بدمه...

هل بوسع قطرات حبر أن يعبِّرن عن شلالات دم

وهل يستطيع فرد يعيش عصر السكوت إن لم يكن الخنوع

أن يعبر عن روحية الثائرين المصممين على الشهادة

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين عليه السلام الذين بذلوا مهجهم دون دينهم ودون إمامهم.

مداخلة

الأستاذة مريم خير بك(*)

إذا ما عدنا إلى التاريخ البعيد، ذاك الزمن الذي كانت فيه العولمة الأولى ومن بعدها الثانية وجدنا أن كلتا العولمتين كانتا لتوحيد العالم بقوة الحق للوقوف في وجه قوة الباطل والظلم، هاتين القوتين اللتين صارتا السلاح الأول والأساس لعولمة ثالثة تقودها أمريكا والصهيونية العالمية لا لبناء العالم، بل لتدميره وتدمير الإنسان، وتدمير كل قوة حق تقف في وجهها... وتدمير ما أسسته العولمة الأولى بثورة المسيحية والسيد المسيح عليه السلام والعولمة الثانية بثورة الإسلام التي أتى بها الرسول محمد صلى الله عليه وآله لذلك علينا استنهاض عِبرَ التاريخ ودروسه، تاريخنا الممتدّ إلى الحاضر إحياء في النفوس وذكرى للأرواح والقلوب..

وعاشوراء نفحةٌ من الماضي وقبس يجب إضرامه في الروح لتوحيد هذه الأمة عبر ضوء الوحي ووحي العقل وعِبر الحق...فروح الحسين عليه السلام وشهيد الإسلام حين تحل في كيان كل منا هدفاً وانتماءً ومبادئ وثورة وصبراً ووعياً يكون الحسين عليه السلام قد حقّق ما أراده من موقفه...

قال الإمام علي (كرَّم الله وجهه) موجهاً نقده لبعض جيشه وقد سمعهم يسبُّون أهل الشام الذين أتوا لحربهم في صفّين:

إنّي أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكَرتم حالهم لكان أصوب في القول، وأبلغ في العذْر، وقلتم مكان سبِّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم حتى يعرف الحقّ مَنْ جهله ويرعوي عن الغيِّ والعدوان مَنْ لهج به.

نحن الآن -أمة الإسلام- أحوج ما نكون إلى هذا الكلام مع اقتناعنا بـ:

(*) أديبة وباحثة اجتماعية - عضو اتحاد الكتاب في سورية.

١- ضرورة الإيمان بمبادئنا، والثبات على أخلاقيات الإسلام الحقّة..

٢- وقبل كلّ شيء ضرورة الثبات على وحدتنا مع الحوار، الحوار الذي يوصل إلى نبذ الجزئيات الصغيرة المدمّرة وتكريس الهدف الأسمى لدعم الحق والوصول إليه..

٣- أن يكون الوطن هو الشعار الأسمى عندنا.. فمن لا وطن له لا عزة له.. ومن هام في متاهات التشتت بعيداً عن سقف الوطن ضَعُف وذَلَّ وصار كمن يبيت في العراء.

٤- لكي تُحترم قناعاتنا، على المؤمن احترام قناعات الآخرين ضمن حدود الحفاظ على الأمة والوطن.

٥- كلام الإمام عليٍ (كرم الله وجهه)يدل على أن العقل سيد الأحكام، ولغة العواطف لغة مُدمّرة ما لم تُحَصَّن بالحذر والتعقل، لا سيما ونحن نتعرض لأقسى أنواع التهديد في حياتنا وفي أمننا.. لذلك مَنْ شتم سيُشتم وهذا لن يوصل إلى الحقّ لأنَّ الحقَّ يحتاج إلى النضال بالحوار العاقل، المجدي، والموصل إلى سلامة الروح والأوطان والأديان...

ولذلك يجب أن تكون عاشوراء في كلّ ذكرى وإحياء لها عامل توحُّد وحوارٍ واعٍ يكرِّس حالة التوحد والوحدة.

لأننا يجب أن نعود على التاريخ، ليس لإيقاظ الفتنة بل لإستلهام العبر وتقويم الإنحراف واستنهاض الهمم لتغليب الحق على الباطل..

وإذ نعود إلى التاريخ علينا أن نتجاوز صغائر الأمور في سبيل الوصول إلى الهدف الأسمى.. فنفض ما علق على أحداث التاريخ من أدران الماضي لتتجلى بأبهى نقائها وصفائها..

الحق سلطان ولكي نقف بقوة أمام جَورِ الطغاة علينا أن نمتلك قوة الحق ونقاء العاطفة.إنّ عاشوراء في سجل التاريخ وفي مجموعة القيم التاريخية هي ثورة المستضعفين ضد قوة الطغاة ومناسبة عظيمة كهذه يجب أن تكون مناسبة دعوة إلى الوحدة لمجابهة ظلم العتاة اليوم.

مداخلة

الشيخ د.عبد السلام راجح (*)

لا شك أن فتنة قتل الحسين رضي الله عنه مثلت على الدوام صورة تاريخية جديرة بالتوقف والدراسة، شأنها شأن كثير من الفتن التي عاشها المسلمون أو تعرضوا لها أو خطط الآخرون لهم للوقوع فيها، كفتنة عثمان رضي الله عنه، وفتنة أبي سعيد الحنابي القرمطي، وفتنة إشكالية خلق القرآن، وغيرها كثير مما تعرضت له أمتنا الإسلامية.

والمطلوب من الأمة الآن وبعد مضي مئات السنين على تلك الفتن أن تقف منها موقف المستفيد من تجارب السابقين، على سبيل العظة والعبرة، حيث أنها أمم خلت لها ما كسبت ولنا ما كسبنا، فمثلاً: حين نتدبر تاريخ الإمام الحسين، ونقف عند سيرته العطرة نجد أنه كان يمثل امتداداً كريماً لسيرة جده صلى الله عليه وآله في تأكيد الدعوة الإسلامية على أسس من الحكمة والموعظة الحسنة وتفعيل المعاني الإسلامية من إخلاص وتقوى وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، لذلك نقرأ من كلامه رضي الله عنه "لم أخرج أشراً ولا بطراً وإنما خرجت للإصلاح في أمة جدي وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر."

إن فكرة الإصلاح في الأمة هي فكرة سبقت عصرها، لأن الأمة بعد الصدر الأول صدر النبوة والخلافة الراشدة أضحت أكثر احتياجاً لتجديد المفاهيم النبوية في النفوس خاصة عقب الفتن التي ألمت بها إبان تلك المرحلة التاريخية المهمة خاصة وأن البشارة النبوية جعلت الخيرية في القرون الثلاثة الأولى "خير القرون، قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" ما أحوجنا لاستمرار القبس النبوي من خلال دعوات الإصلاح والتذكير والصلة بالماضي

(*) عميد كلية الشريعة - سورية.

النبوي القريب، وهذا ما مثل هماً من هموم الحسين عليه السلام مع إخوانه من الصحابة والتابعين في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الأمة وأسس لاستمرار ذلك النهج الرشيد في الأمة، والذي نتفيأ ظلاله إلى يومنا هذا بفضل من تلك الثلة المباركة.

إن منهج الإصلاح يجب أن يبقى حاضراً في أذهان أبناء الأمة خاصة في هذه المرحلة التي تتداعى فيها الأمم على أمة الإسلام كما تداعى الأكلة على قصعتها رغم كثرة أبناء هذه الأمة، ما يستدعي إعادة النظر في علاقة أطيافها فيما بينهم أو إعادة بناء هذه العلاقة على أسس من وحدة الصف، وجمع الكلمة، ونبذ كل ما من شأنه أن يفرق بين أبناء الأمة الواحدة، ترسيخاً لقوله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ ولقوله: ﴿وتعاونوا﴾ ولقوله: ﴿ واعتصموا﴾.

وهذا يقتضي منا نحن أمة الإسلام أن نعيش ذكرى سلفنا الصالح بكل ما تحمله من معاني الحب والتلاقي والتعاون، فها نحن أمام مثل عظيم من تاريخنا المجيد حين خرج أبو الجهم العدوي في اليرموك يبحث عن ابن عمه أهو من الأحياء أم الأموات، فوجده يتأوه من جرحه فجاءه بالماء، فلما أراد الشرب سمع جريحاً إلى جنبه يطلب الماء هو هشام بن العاص. فقال لابن عمه أعطه فلربما كان أحوج إلى الماء مني، فلما قرب هشام الماء إلى فمه، سمع جريحاً إلى جنبه يتأوه، فقال لأبي الجهم أعطه لأخي فلربما كان أحوج إلى الماء مني، فلما وصل إليه وجده قد مات، فرجع إلى هشام فوجده قد مات ثم رجع إلى ابن عمه فوجده قد مات ولم يشرب أحد منهم.

إن مثل هذه المعاني التي سطرها سلفنا الصالح ومنهم الإمام الحسين عليه السلام مثلت وستبقى على الدوام مصدر إلهام ونبع عطاء لا ينضب للأمة في تمثل أخلاقهم وسيرتهم، ما يعيد للأمة مجدها الذي عاشه سلفنا الصالح، لما حمل من معاني المحبة والإيثار والتقوى والصلاح والإصلاح.

رحم الله الإمام الحسين وأخاه الحسن ووالدهما ووالدتهما، ورضي على آل بيت رسول الله المطهرين الأخيار، عترة النبي المصطفى، ومصابيح الأمة، وعلى الصحابة الكرام، وألحقنا بهم وجعلنا بمعيتهم وصحبتهم والحمدلله رب العالمين.

مداخلة
الدكتور عبد الكريم الشبلي (*)

رفع الإمام الحسين عليه السلام منذ بداية نهضته شعاراً محدّداً: "إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي". وهو بهذا يلخص في آن واحد المشروع الحسيني، وتكليفه ومسؤوليته في تلك اللحظة.، كرأس بيت النبوّة وإمام الزمان.

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام نرجسياً ولا مغامراً، بل استندت نهضته إلى قراءة موضوعية للوقائع، فحاول استنفاذ كلّ الوسائل المتاحة له.

فصعود يزيد بن معاوية إلى سدّة الحكم كان تكريساً لواقع سياسي متعفّن، وحكومة استيلاء غير شرعيّة أسُّها شراء الذمم ولجم الأفواه، وهدفها فرض حكم جاهلي ومجتمع طبقي يتربّع الأمويون وأعوانهم على عرشه.. في حين كانت وثيقة الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية تقضي بانتقال الخلافة إلى الإمام الحسين عليه السلام. ولكنّ الأمويين كانوا أوّل من نقض المواثيق، وتوسّلوا إلى سياسة الوعد والوعيد لإنفاذ أمرهم والاستبداد بالسلطة.

ولذا بمجرد أن علم الإمام الحسين عليه السلام بوفاة معاوية، ومع استهداف الأمويين له، وتهديدهم لحياته، لجأ بأهله إلى مكة، ثم أرسل سفراءه في الآفاق لاستنفار الأنصار، كما إنّه حاول استقطاب المسلمين في موسم الحج سنة ٦٠ هـ، وأيضاً القبائل العربية على طول طريقه إلى الكوفة..

وتوخّى الإمام عليه السلام أسلوب الاقناع وإقامة الحجّة على كلّ هؤلاء، ولم يلجأ إلى المداراة، ولم يفرض خيار الخروج معه عليهم، حتى مع أهله المقربين. وكان يمتلك في العرف السائد حق الاختيار عنهم..

(*) باحث وأكاديمي من تونس.

ويتبين لنا من خلال مجادلته لرموز المعترضين والمحبطين مثل ابن عباس وابن عمر.. أن الإمام عليه السلام كان سطّر هدفاً واضحاً وواعياً تماماً بمصيره، ولهذا نفهم سبب تمحيصه لأصحابه ودقة اختياراته لهم..

وكان الإمام عليه السلام واعياً تماماً بخطورة الأجهزة الأمنية الأموية وكانت تكبل الحريات وتقمع المجتمع، ممّا جعل الشاعر الفرزدق يصف له المسلمين بأنهم "قلوبهم معك وسيوفهم عليك"، فولاؤهم صار رهن إشارة مؤسسات الدولة التي تضمن لهم ولعوائلهم العطاء وتمنحهم القطائع، فأصبحوا مرتبطين حيوياً بالأمويين الذين لم يتورّعوا عن قطع أرزاق معارضيهم، وملاحقتهم بسهولة وحتى هدر دمائهم..

وأمام هذه الوقائع اقتصرت أدوات النهضة الحسينية على عنصرين رئيسيين:

١- البعد الأدبي: تركّز في الخطب العديدة التي ألقاها الإمام الحسين عليه السلام في عرفة، ثم أمام المعترضين وخاصة جند عمر بن سعد، وكانت وسيلة دعائية بالغة الأثر تتماهى والثقافة العربية الإسلامية: فأقامت الحجّة على كلّ الأمّة الإسلامية منذ ذاك الحين إلى اليوم، وأفصحت عن مشروع النهضة الحسينية، وهو تعرية الاستكبار عن شرعيته الوهمية وتشخيص واقع الأزمة العميقة التي تردّت فيها الأمة بعد عشرين سنة من الاستبداد الأموي، فالمسلمون كانوا في غفلة عن الشرعية الحسينية وبحاجة إلى هزّة عنيفة توقظهم من سباتهم..

٢- أما العنصر الثاني فهو إنساني يتمثل في الدور الذي لعبه الأصحاب الخُلّص عندما صمدوا في قلّة أمام جيش جرّار واستبسلوا في الذود عن الإمام وأهله إلى آخر رمق. ولكن الجزء الأهم من هؤلاء تمثل في أهل البيت عليهم السلام من الفتية والنساء والأطفال، وكأن الإمام عليه السلام كان يدّخرهم لدورين: في أثناء الملحمة وبعدها.

فأهل البيت كانوا ولا زالوا يمثلون الثقل الديني والاجتماعي والأدبي في ضمير الأمّة، والخروج بهم في هذه الثورة لم يكن تعريضاً لهم للموت، بل

حماية لهم من التهديد والإبتزاز والتنكيل الأموي، ولا مفرّ من المواجهة معهم في كلّ الأحوال ولذا كانوا خير سند للإمام في ثورته، وسطّروا أفضل عناوين التضحية وبذل النفس في سبيل الشرعية، ثمّ كانت النسوة والصبية خير شاهد لحفظ ذاكرة هذه النهضة ونشر تفاصيلها للأمة فيما بعد، وإلاّ كان من اليسير على الأمويين محو ذكرهم والتستر على جرائمهم..

ويجب أن ننتبه إلى أن الإمام الحسين عليه السلام رغم أن الشرعية القانونية في صفّه إلاّ أنّه لم يفصح عن المطالبة بالحكم، بسبب قصر نظر وقلّة وعي المجتمع الإسلامي آنذاك، وكان يرزح تحت عبء سلطة الدعاية الأموية، وكان من اليسير عليها إقناعهم بأن كل القضية هي مجرد صراع على الحكم وخروج على الخليفة ("إن هؤلاء لشرذمة قليلون")!!

ولكن النهضة الحسينية كانت أعمق وأشمل من هذا بكثير. ونراها حققت أهدافها الآنية والبعيدة إلى حد كبير، ويقاس النجاح بالمكاسب التي حققتها:

- فعلى المدى القريب: انقلب الانتصار لجند يزيد إلى صدى جريمة بشعة بحق المسلمين وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحول إلى لعنة دائمة قوضت أركان العرش السفياني، وأفرزت حركات جهادية لا متناهية استوحت شعاراتها من الدرس الحسيني..

- أما على المدى البعيد: فتحوّلت هذه الحركة إلى مجموعة دروس يستلهمها ضمير الأمة ويرتعد لذكرها كل مستكبر ومن هنا تأتي ضرورة استرجاع ذكرى الثورة الحسينية التي تحتوي على مقومات الخلود والاستمرار:

لأنّها أصبحت عنوان الفداء والتضحية بالنفس والأهل والأصحاب، وحركة الشرعية والحق لأجل الإصلاح وإعلاء الحق وإسقاط الاستكبار.

ولأنّ الإمام عليه السلام وضع إصبعه على موطن الداء الذي ظل ينخر عظم الدين والأمة معاً، ألا وهو الاستكبار الذي يرمي في كل عصر إلى حفظ مصالحه الآنية، ويميل إلى الرغبات الذاتية المزاجية، فكانت الدعوة واضحة إلى محاربة الاستكبار حيثما كان، وعلى أيّة شاكلة تمثل..

دينيّاً ورساليّاً أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يقول لنا إنّه وأهله (وهم من نعلم)، قيمتهم الحقيقية في بذل حياتهم التي لا قيمة لها من أجل إحياء الخط الرسالي الصحيح، الذي استمات من أجله كلّ الأنبياء والرسل والأئمة من قبل ومن بعد، ولولا هؤلاء وثورة الإمام الحسين لما وصل إلينا الإسلام بهذا الشكل.

استراتيجياً تسقط الحسابات المادية الضيّقة مع النهضة الحسينية وتلامذتها، لأنّ الثورات عادة كانت تحتسب كلّ هامش أمل في النجاح والسلطة، لكن الثورة الحسينية كانت ترمي إلى الخلود وانتصار الشرعية، بل كان حظّها من الانتصاروالكسب السياسي معدوما بتلك المقاييس، لعدم تكافؤ الموازين: فتية آمنوا بربهم يحاصرهم جيش جرّار. وهي كذلك صورة فئة قليلة تفرّ بدينها إلى الله من سلطة استكبار ومن أمّة غافلة!

ولذا كان الهدف المنشود عظيما ويحتاج إلى وسائل صعبة واستثنائية، فتهيأ الإمام وأصحابه منذ البدء لهذا المصير التراجيدي ليضيف على الحركة كل عناصر النجاح والخلود.

وأخيراً، فإن إحياء ذكرى نهضة الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن كونها عنوان وفاء وولاء لنهج أئمة أهل البيت، فإنّه ضرورة تحتاج إليها كل الشعوب المستضعفة وخاصة الأمّة الإسلامية حتى تنتبه من غفلتها وتنسج على منوالها، كما أن فعل الإحياء يشكل كابوساً يخيف كلّ مستكبر مستهتر بالقيم الإنسانية وبحق الشعوب في الانعتاق..

مداخلة

الدكتور زهير غزاوي(*)

ما هي حدود المعقولية من قيام ابن بنت رسول الله ﷺ بثاني عمل ثوري في الإسلام منذ مقتل الخليفة الثالث عام ٣٥هـ؟ ولماذا يُطلب من الشيعة أن يقدموا التنازلات وهم الأقلية؟ لم يكن في الواقع تتمة توازن في القوى لدولة إسلامية تحولت من الشورى إلى الملك العضوض، وكانت سيطرة الدولة على ولاياتها إسمية، وانتشرت المعارضة الإسلامية في جميعها، ولا يمكن الجزم برسوخ الدين الإسلامي في الجماهير، ما عدا النخب الثقافية، وبدأ الصراع على السلطة باكراً جداً تحت مختلف الذرائع، واستشرى وضع الحديث النبوي وتأويل القرآن الكريم لدعم كل طرف لمشروعية سعيه إلى السلطة: فئة وحيدة- وبإجماع المؤرخين- كانت تشكل المرجعية والاحترام من قبل الجميع، هذا الجميع الذي لم يستطع التوصل إلى تكوين الأمة الدولة أو الدولة الأمة.

المعقولية، إذا تمعنا في أسباب الخروج، وضعت الحسين (المرجع الأبرز للإسلام) أمام خيارين فإما الإعتزال وإما الاستشهاد، وكلاهما خيار شديد المرارة، لهذا يمكن اعتبار المحاكمة المنطقية التي قام بها الحسين عليه السلام لخطوته المقبلة، من أقسى ما يمكن أن يقوم به مرجع ديني لتحقيق هدف يعرف أنه لن يحقق النتائج المرجوة في مستقبل منظور.

لقد سمع الحسين قول رسول الله "ما أُوذي نبي في قومه مثل ما أُوذيت" وبالتأكيد لم يكن قصد الرسول ﷺ ذلك الأذى الذي لحق به إبان بداية الدعوة، بل كان يعني — وهو ما أكدته الأحداث اللاحقة- مصائبه في أحب الناس إليه، وقد عبرت عنه السيدة زينب بنت الإمام علي عليه السلام بعيد مقتل أخيها الفاجع عندما رفعته إلى السماء وخاطبت الله قائلة "رب هذا قربانا إليك".

(*) مفكر إسلامي فلسطيني.

ليس من شك في أن العالم الإسلامي كان يترقب حدثاً كهذا، بل وبإتفاق المؤرخين أنّه كان يترقب مهدياً يملأ الأرض عدلاً، لهذا كان قرار الخروج ذروة التعقل لتقديم قربان يعيد للدين مكانته، وللنظام السياسي وقفة هدوء للبحث عن الجذور في الدين، وإحداث شرخ يؤدي إلى تشكيل حزب سياسي للمعارضة، يمارس ما يجب على أية معارضة أن تمارسه لتقويم السلطة، إنتظاراً ليوم بعيد يعبره إثنا عشر إماماً ثم انتظار الظهور للمخلّص في يوم مّا كما ورد في كل الأديان السماوية، ثم ظهور الحكومة العادلة في آخر الزمان، وكل ذلك من غيب الله.

لقد كوّن الحسين عليه السلام بوعي نادر وبدمه حزب المعارضة الأقوى في التاريخ كله، وكان عمله عملاً حضارياً متميزاً، تماماً كما ناضل أبوه لدعم التعليم والكتابة في زمن كان تدوين العلم حراماً بأمر من السلطة حتى العام ١٤٣هـ (باتفاق المؤرخين المسلمين يميناً ويساراً).

قمة التعقل في ثورة الحسين أنها كانت مدروسة بعناية فائقة من قبل شخص واحد هو المرجع الأبرز للمسلمين، وإذا جاز لنا التشبيه، فخيار الحسين شبيه بخيار المسيح للصلب (مع إحترامي للخلاف حول مسألة كهذه) ذلك أن حادثة الصلب حفظت الدين المسيحي حتى ظهور الإسلام وأصبحت رمزاً وشعاراً، ومثل ذلك كان فعل الحسين المدروس جيداً، ولعلّه عليه السلام كان في ذروة العقلانية عندما أصر على توسيع المأساة باصطحابه لأهله كلهم بما في ذلك الإمام الرابع علي بن الحسين(زين العابدين عليه السلام).

لقد استند الحسين في ثورته على اكتساب المشروعية من الإسلام ذاته، فلم يكن عمله عملاً انتحارياً بل شُرّع ذلك بحديث نبوي واقع (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) فكيف إذا كانت هذه الكلمة مقدراً لها أن تنتشر في كل الآفاق وتهزّ ضمير المسلمين وتغرس فيهم عنصر القلق واللوم إلى الأبد. لقد أقسم الله سبحانه بالنفس اللوامة، وقد تمكن الحسين من تصعيد هذا الفعل ليجعل وبالتدريج من كل نفوس المسلمين هذه النفس، منذ ٦١هـجرية وحتى اللحظة وإلى نهاية الكون.

المحور السادس عشر:

القائد الإسلامي العاشورائي
السيد حسن نصر الله

أكثر من عشرة أعوام مضت على اللقاء الصحفي الذي أجريته مع سماحة السيد حسن نصر الله (دام عزه). حصل ذلك قبل بضعة أيام من الإعلان عن تفاهم نيسان في العام ١٩٩٦ ، الذي اعتُرف فيه رسمياً بشرعية المقاومة الإسلامية اللبنانية.والمعروف أن ذلك التفاهم ونتيجة للصاعقة التي قصمت ظهر العدو الإسرائيلي بسبب ضربات رجال حزب الله ، انتزع اعتراف الأطراف الدولية به وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، إضافة إلى أطراف إقليمية وجدت نفسها محرجة جداً ، وهي ترى الهمجية الصهيونية ، تحصد أرواح المواطنين الأبرياء العزل ، في عملية غادرة سُميّت آنذاك "عناقيد الغضب" كان من نتائجها المخزية مجزرة قانا الأولى التي وقعت في محمية تابعة لقوات حفظ السلام الدولية. **(ملاحظة وقعت مجزرة قانا الثانية في الأيام الأخيرة للعدوان الصهيوني على لبنان في شهر آب ٢٠٠٦)**

صحيح أن القائد حسن نصر الله حَصَل على مكاسب مهمة من ذلك التفاهم ، إلا أنه لم يغب عن باله قط صورة الأطفال والنساء والشيوخ وقد تحولوا إلى أشلاء ، بالرغم من أنهم التجأوا إلى موقع خاضع لسيطرة الأمم المتحدة كانوا يحسبونه ملاذاً آمناً يمكن أن يقيهم حمم الحقد الصهيوني ، لكن ما جرى هو ا لعكس ، لأن إسرائيل لا تقيم وزناً أبداً ؛ لا للمعايير الدولية ولا الإنسانية.

أذكر أنني عندما أنهيت الحوار مع سماحته ، وكان لصالح جريدة كيهان العربي (راجع نص الحوار في الملحق ٧) ، أوردت سؤالاً قلت له فيه : سيدنا هل لكم كلمة تريدون توجيهها للكيان الصهيوني؟ فأجابني بابتسامة هادئة ، ملؤها العزم والتصميم مع قليل من الاستغراب ، قائلاً : هؤلاء الصهاينة المجرمون لا حديث لنا معهم. بل نكلمهم في جبهات القتال ، وهم لا يستحقون أكثر من هذا النوع من التخاطب.

ثقوا بأنني ومنذ تلك اللحظة آنست في هذا الرجل روح الإمام الحسين عليه السلام في إبائه وعزمه ، واستعداده التام لإدامة المواجهة بلا هوادة ، لدحر العدو الصهيوني الغاصب وإذلاله ، وهو ما حصل فعلاً في ٢٥ أيار للعام

٢٠٠٠، والذي تجدّد أيضاً في ١٤ آب ٢٠٠٦. إن هذا التاريخ الساطع قلب جميع المعادلات لصالح لبنان والعرب والمسلمين قاطبة، فيما اكتشف العالم أجمع هشاشة العدو الإسرائيلي، مع ما زوّدته به أمريكا وحلفاؤها من إمكانات حربية وعسكرية، ربما لا تخطر على بال أحد.

إنَّ قراءة دقيقة للخطاب الذي ألقاه سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله في مهرجان الانتصار على العدو الصهيوني، (راجع الملحق ٤) والذي نفخر أن يتزيّن به الكتاب باعتباره وثيقة تاريخية مهمة، تجعلنا وجهاً لوجه أمام نصٍّ عاشورائي حسينيٍّ بليغ يضع النقاط على الحروف في مختلف الجوانب المرتبطة بالحالة الإسلامية والدينية محلياً وإقليمياً ودولياً.. نصٌّ صريح صادق حازم، مليءٌ بالسموّ والنُبلُ والخلق الرفيع، بعيدٌ عن المهادنة والتسويف، لا ينطق به إلا أهل الصلاح والإصلاح، حملةُ الأمانة الإلهية والمستأمنون على مواريث الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام، وبالتالي فهو خطاب يقدّم صورةً حقيقيةً عما يجب أن يتصف به القائد الإسلامي الحريصٍ على وطنه وشعبه وأمته، والذي تتطلع إليه الجماهير ليأخذ بأيديها نحو برّ الأمان، إلى حيث العزة والكرامة والإباء، بعد عقود من الانكسارات والإحباطات المتواصلة.

لا أذيع سراً إذا قلت: إنني في فترة إعداد هذا الكتاب الحواريّ على مدى أكثر من عام، كنت أشعر بأن ثمة حلقة مفقودة في هذا الجهد. وكنت أرى بأن هناك حاجة ماسة إلى دليل عملي وتطبيقي يبرهن على أنّ النهضة التي أطلقها سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء كربلاء، إنما هي تضحية نهضوية باعثة على الحياة والشموخ معاً، وشعلة معنوية هائلة لن تخبو أبداً، ويُستلهَمُ منها السموّ والاستقامة والإقدام، في أبهى وأقوى مفاعيلها، لتستمدَّ منها الأمة كلّ ما تحتاجه من دروس وتجارب بليغة، تؤدي بالتالي إلى الفتح والظفر، ورفض الهوان والهزيمة، بامتطاء الموت والتضحية بالنفس في سبيل الله، ما دام ذلك يوفر أسباب الحياة الحرّة الكريمة لبني أمة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، ويحصنهم من السقوط في منزلقات الانحراف والضلالة، ويرفع عن كاهلهم أوزار

الخضوع للطواغيت والمتجبّرين في كل زمان ومكان. وهذا هو تفسير معنى مقولة (كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء).

إنّ انشداد الأمة الإسلامية إلى الشخصية الريادية لسماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله، ليؤكد على أنّ البشرية لن تقبل بديلاً عن اتّباع الحقّ، إذا كان ثمة من يجسّده، لذلك فلا عجب ولا غرابة في أن يعيش ذكر هذا القائد الحسيني العاشورائي في وجدان أبناء الأمة وأحاسيسهم، بلا استثناء، لأنه والجند المؤمنين معه، مثلوا الأسوة الحسنة التي أعادت إلى الإسلام هيبته واعتباره، انطلاقاً من مدرسة كربلاء.. وهذا ما يحاول المحور الأخير للكتاب، قراءته عبر نخبة من الأعلام:

القائد اللبناني المطيع للولي الفقيه

حوار مع حجة الإسلام والمسلمين

الشيخ محمد حسن اختري[*]

□سماحة الشيخ ما مدى تأثّر المقاومة الإسلامية اللبنانية بمدرسة عاشوراء ومبادئ ثورة الإمام الحسين عليه السلام؟

□□ إن الذي نشهده اليوم عند المقاومة الإسلامية في لبنان وما شهدناه منذ العام ١٩٨٢ إلى الآن وعلى مدى ٢٤ عاماً، هو أن أبناء الشعب اللبناني، أتباع مدرسة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام، استلهموا نهجه التضحوي الاستشهادي وقدموا أرواحهم ودماءهم قرباناً لله تعالى من أجل الدفاع عن بلادهم ومقدراتهم وتطلعاتهم.

لقد استطاع هذا النهج الاستشهادي أن يفرض احترامه على العالم عندما صَمَدَ أبناء المقاومة الإسلامية طوال ٣٣ يوماً أمام العدو الصهيوني المدعوم أمريكياً بلا حدود.. العدو المُزوّد بأحدث الأسلحة الحربية الفتاكة البحرية والجوية والبرية والذي وُضع تحت تصرفه جميع المعلومات الاستخباراتية الحساسة، ومع كلّ ذلك فإنه فشل فشلاً ذريعاً في قهر المقاومة الإسلامية أو إخضاعها، فيما المقاومة وتأسّياً بالشهادة التي سطرّها أبو الأحرار (عليه السلام) واستذكاراً للفداء المذهل الذي خلّده الحسين (عليه السلام)، تمكنت من الصمود والتصدي بوجه هذا العدو وإلحاق الهزيمة به وتحقيق النصر المؤزر عليه.

إن رمزية هذا الانتصار مردُّها إلى رمزية الاستشهاد التي توارثها المقاومون الأبطال من مدرسة حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وطبقوها خير تطبيق في جهادهم

(*) سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق.

والأمين العام للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام في إيران.

العادل ضد الاحتلال المجرم، فكان أن كتب المولى الكريم على أيديهم الظفر الذي تحوَّل إلى كتلة هائلة من العزة والكرامة ليس للبنان وحده بل للأمة الإسلامية كافة.

□ حبذا لو تحدثتم لنا عن ظروف تأسيس حزب الله وانطلاق المقاومة، وكذلك عن مناقب سماحة السيد حسن نصر الله؟

□□ إن سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله، هو أحد الذين تربَّوا في مدرسة التشيع، وهو أحد طلاب الحوزة العلمية، وكذلك فإنه أحد خريجي مدرسة الثورة الإسلامية، ومن السائرين على نهج الإمام الخميني (قدس الله نفسه الزكية). إنه في ذلك شأن الكثير من تلاميذ نهضة الإمام الراحل، مؤمن إيماناً راسخاً بهذا النهج، وملتزم بتطبيقه على صُعُد التقوى والورع والزهد والجهاد دون هوادة، والاستعداد للتضحية والشهادة في سبيل الله تبارك وتعالى.

إن سماحة السيد نصر الله ـ وكما هو معلوم ـ هو أحد مؤسسي حزب الله الذي جاء على خلفية الاحتلال الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢، لقد شكل المؤسسون، الكوكبة المؤمنة المتدينة الملتزمة بالتعاليم الشرعية الإسلامية، فانطلقوا انطلاقة واحدة، للدفاع عن كرامتهم وحرمة وطنهم، بعدما بايعوا الإمام الخميني (قدس سره)، وشكلوا النواة الأولى لحزب الله في لبنان. لقد استطاع هذا الحزب وخلال فترة وجيزة أن يستقطب أتباعاً وأعضاءً كُثراً. ثم أخذ شيئاً فشيئاً يفرض نفسه على الساحة، حزباً عقائدياً مستقلاً يمتلك قواعد راسخة في صفوف الجماهير اللبنانية، بعد ذلك تحول إلى خيار المقاومة ضد إسرائيل، واستطاع عبر خطوات أولية، وخلال عدة أشهر في العام ١٩٨٢، من إجبار العدو الإسرائيلي على التقهقر والانسحاب من معظم لبنان، وقد واصل نضاله حتى تمكن من تحرير القسم الأعظم من الأراضي اللبنانية المحتلة.

لقد برز من بين الكوكبة المؤسسة لحزب الله، شخصية مهمة استطاعت أن تتألق يوماً بعد آخر، وهو سماحة السيد حسن نصر الله الذي بدأ يظهر قدرة فائقة في إدارة مقاليد السياسة العامة لحزب الله من خلال لجنته المركزية ومجلس

الشورى، فجاءته مسؤولية الأمانة العامة للحزب بناء على جدارته وكفاءته، من خلال الانتخاب الحر الديمقراطي، وصار سماحته ثالث أمين عام لحزب الله.

إن سماحة السيد نصر الله، استطاع بقيادته الحكيمة الصائبة أن يحظى بإجماع أعضاء الشورى المركزية على مواصلة زعامته أميناً عاماً لحزب الله منذ العام ١٩٩٢ وإلى الآن. فلقد ألف قياديو وأعضاء هذا الحزب العقائدي الإسلامي، في شخصيته كل معاني الحكمة والوعي ومؤهلات الفراسة والسياسة والشجاعة، ووجدوا أنفسهم مبهورين بنموذجه الفذ ومدفوعين لتجديد مبايعته قائداً لمسيرة المقاومة المتواصلة.

ويتمتع سماحته بجدارات فائقة، فهو كما قلت، أحد طلبة الحوزة العلمية الدينية ومن أتباع الإمام الخميني الخلّص، ومن الملتزمين بولاية الفقيه التي يمثلها آية الله العظمى الإمام الخامنئي (دام ظله)، وهو من مقلدي سماحته، ومن الذين يعتبرون طاعة الإمام الراحل وطاعة خليفته قائد الثورة الإسلامية السيد الخامنئي، وسام فخر واعتزاز بالنسبة له، وملهماً لكل ما تحقق اليوم من انتصار ومكانة مرموقة لدى حزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان.

وسماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله، هو من علماء الدين الأجلاء، وهو شخصية غاية في التقوى والورع والزهد والعبادة والصلاح، الأمر الذي ترك تأثيراً بليغاً في مسيرة حياته الخاصة، فضلاً عن سيرته القيادية الحالية.

إنه شخص في منتهى التواضع والخُلق الرفيع، لكنه في نفس الوقت شخصية حازمة وقوية وشجاعة جداً.

إن هذه السجايا الرائعة جعلته محط تقدير واحترام قيادات حزب الله وعناصره ابتداءً، ومن ثم الجماهير المتعاطفة مع الحزب من أبناء الطائفة الشيعية في لبنان، ومن ثم المسلمين كافة، وأخيراً شرفاء وأحرار العالم من أتباع الديانات السماوية والمدارس الفكرية المختلفة، الذين وجدوا في سماحة السيد نصر الله، رمزاً للهيبة النضالية، وما يدعو إلى الاعتزاز، فصاروا جميعاً

يفخرون لأنهم يعشقون شخصيته الفريدة وطريقته الفذة في التعاطي مع قضايا المحرومية والاستضعاف، ومقارعة الطغيان والاستكبار. لقد فرض سماحته خلال السنوات الأخيرة، محبته في نفوس مئات الملايين من البشر مسلمين وغير مسلمين، فبدأوا ينظرون إليه باعتباره النموذج الأمثل للقيادة المؤمنة المخلصة، التي نذرت نفسها لله وللأمة دفاعاً عن حياض الدين، وتوّجت ذلك بكل معاني التضحية.

إنّ من خصوصياته المدهشة والمتميزة، أتبّاعه طريقة القيادات الإسلامية الأصيلة في أمتنا، وسيره على هدي إمامنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام، وكذلك سيدنا الراحل الإمام الخميني قدس سره، الذين كانوا القدوة الحسنة في الإيثار والجود بأعزّ أعزّائهم قرباناً في سبيل الإسلام.

فقد قدّم السيد نصر الله نجله وفلذة كبده السيد هادي، شهيداً في سبيل الله خلال معركة المقاومة بوجه العدو الصهيوني، وصار سماحته يفخر بأنه انخرط في قافلة عوائل الشهداء وآباء الشهداء.

□ إلى أيٍّ مدى تمكن سماحة السيد نصر الله من التوفيق بين طاعة ولي الفقيه واستقلالية حزب الله كتنظيم إسلامي وطني في لبنان؟

□□ بداية ينبغي القول أنَّ مسألة ولاية الفقيه وطاعة ولي الأمر، ومسألة طاعة المرجعية في الوسط الشيعي، لا تعبِّر عن حالة من التبعية، كما أنها ليست حركة ذات نزعة استقلالية. فأتباع مذهب الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، أو الشيعة يعيشون على مرّ التاريخ في بلدان مختلفة، لكنهم في مراحل زمنية ما وبناءً على ضرورات ومقتضيات معينة، كانوا يقومون بواجب الثورة والتصدّي للحكومات الطاغوتية.

إنَّ هؤلاء كانوا مقلّدين لمراجعهم العظام، لكنهم وحسبما تقتضي الظروف وتفرض الأحوال، يخوضون نضالاتهم في مجتمعاتهم.

من هنا فلا منافاة بين مسألة التقليد وطاعة ولي أمر المسلمين أو الولي الفقيه، وبين استقلالية حركة أو حزب شيعي ما.

فالشيعة عموماً هم أتباع الولي الفقيه عقائدياً وهم يطيعونه على هذا الأساس. فإذا أصدر ولي أمر المسلمين أمراً، فإنهم لا يترددون في تلبيته وطاعته، لأنهم بذلك ينفذون واجباً دينياً صادراً من قبل الفقيه القائد.

في ضوء ما مضى كانت مبادرة المسلمين الشيعة في لبنان إلى تأسيس حزب وطني، أعضاؤه وكوادره هم من أبناء الشعب اللبناني، وينظمون سياساتهم من خلاله وفقاً لمتطلبات المرحلة والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها بلدهم، وقد قطعوا أشواطاً مهمة خلال مسيرتهم التي قاربت ربع قرن من الزمن.

إن حزب الله هو حزب لبناني مستقل تماماً وهو لا يتلقى أوامر من أحد، أو من أيِّ مكان آخر، بيد أن أعضاء هذا الحزب هم عقائدياً ملتزمون بولاية الفقيه وقيادة سماحة الإمام الخامنئي (دام ظله)، مثلما كانوا من قبل يتبعون تعاليم قائدنا الراحل الإمام الخميني (قدس سره).

إن هذا يعني أن حزب الله وكوادره وأعضاءه، هم في القضايا الدولية والعالمية يتحركون بشكل متواز ومنسجم مع التعليمات الحكيمة والواعية للولي الفقيه وقائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مد ظله)، فيما يتصل بالسياسات العامة الكبرى على مستوى الأمة الإسلامية والمجتمع الدولي.

□ برأيك كيف سيكون دور حزب الله بعد الانتصارات التي حققها أبطال المقاومة الإسلامية وبخاصة في ٢٠٠٠ و٢٠٠٦ إن على مستوى لبنان أو العالم الإسلامي؟

□□ كما هو مشاهد فإنَّ عملية الجهاد والنضال ضد إسرائيل لم تنته بعد. وإن الانتصار الذي تحقق في ١٤ آب ٢٠٠٦، هو إضافة مشرقة إلى سلسلة الانتصارات الباهرة التي حققها حزب الله على العدو الإسرائيلي. إنه صفحة ناصعة سجِّلت بأحرف من نور إحدى الملاحم الخالدة لرجال المقاومة الإسلامية في لبنان.

إن الدرس الذي قدمه سماحة السيد حسن نصر الله، يُعَدُّ نموذجاً عملياً يحتذى به على مستوى العالم الإسلامي، على طريق مقارعة أعداء الأمة.

لقد تحولت تجربة حزب الله اليوم إلى عنوان عريض تلتف الجماهير الإسلامية حوله، تعشقه، تفخر به كل الفخر، وهي مستعدة ومهيأة للانتهال منه لأنه قد ثبتت نجاعته على أرض الواقع.

إن العالم كله الآن مشدوه بالملحمة الرائعة التي سجّلها حزب الله وقائده السيد حسن نصر الله، ولاشك في أن هذا النموذج سيكون موضع اهتمام المسلمين نظراً لفعاليته وتأثيراته المشهودة. ويقيني أن المستقبل القريب سيقدم لنا نماذج واعدة واعية وجريئة من أبناء الأمة، وسيجود علينا بالكثير من العلماء والمفكرين والأحرار والرساليين المتدينين، الذين سيلتزمون هذا النهج الأصيل في بلدانهم، آخذين بعين الحسبان الفرصة الذهبية التي وفّرها حزب الله في لبنان لعموم المسلمين، من أجل استعادة الحقوق المغتصبة ولجم الغطرسة الصهيونية وإزالة إسرائيل من عالمنا الإسلامي الكريم، ودحر الاستكبار العالمي، وعودة الأمن والأمان والاستقرار إلى ديار المسلمين في أرجاء المعمورة.

سيد المقاومة اللبنانية

العماد أول مصطفى طلاس(*)

السيد حسن نصر الله.. سيّدٌ يقول قولاً مسؤولاً سرعان ما يتحوّل القول إلى فعل.. والفعل إلى حالة يفقد فيها العدو صوابه، كيف لا؟ ومجاهدو حزب الله يتقدمون كالشهب ليجعلوا للقول معنىً واضحاً.

استمعت إليه بتقدير وغبطة، وهو يقف أمام العالم بقامته المهيبة وصوته الحازم في رفض الذلّ والانكسار.

نظرت إليه فقرأت في ملامحه عزماً يصعد إلى السماء السابعة حتى يقطفها نجماً نجماً.. وإرادة تتصلب حتى لا يعرف لها لين.. وشموخاً في كبرياء لا يقفها حدّ.. ويعظم الإباء عنده حتى لا يلتوي له عنق.. إنّه الثائر في وجه العدوان، وإن إيمانه وتصميمه ليتألقان في وجه الخطر.. ويتصوّران المستحيل في استبسال عظيم.

إنه الحسنُ قولاً وفعلاً..

يؤمن بنصر الله للصامدين الصابرين..

إنه المبدع عظمةً وسمواً في الموقف..

وما سمعناه عنه، ومنه ليس أساطير.. وإن بدا من فرط إعجازه كالأساطير..

ألم يقدّم للشهادة "فلذة كبده" هادي نصر الله فداءً لهدفه الذي يتطلّع إليه.. وأثبت في ذلك:

إنّه رجل الإيمان والعزم والمضاء..

ورجل الصدق والطهر والنقاء..

(*) وزير الدفاع والقائد العام السابق للقوات المسلحة في سورية.

ورجل التواضع والحب والوفاء..

فهو من أولئك الرجال الأبرار الذين يمثلون أروع نماذج البشرية وأبهاها..

في صفاء جوهره

ونقاء إنسانيته

وصدق إيمانه بربه ووطنه..

وعظيم تضحياته في سبيل ما يرنو إليه بالحق المقدّس لشعبه فوق أرضه، وغيرته على كرامة شعبه، فهو واحد من حزب الله الذين يصدق فيهم قوله تعالى:

﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدّلوا تبديلاً﴾ صدق الله العظيم.

لم يشهد التاريخ المعاصر في كل أنحاء الدنيا رجالاً عقدوا العزم والنية على غاية تناهت في العدالة والسمو، ثم نذروا حياتهم على نسق تناهى في الجسارة والتضحية والبذل..

وها نحن والعالم نشهد على الساحة اللبنانية وقوف المقاومة بقيادة حزب الله، وعلى رأسها السيّد.. الشيخ.. العلاّمة حسن نصر الله، إيماناً وثباتاً وبطولة.. وولاءً لله والحق المقدّس، في سبيل الهدف النبيل يرخصون أرواحهم وأولادهم.. ليكونوا النموذج والقدوة في الموقف والهدف.. وبهم يستعيد التاريخ وهجه المتألق بالسحر والجاذبية من أجل الوطن والأمة..

هو ذا السيد حسن نصر الله.. من قلب المأساة ولد.. وفي حضنها ترعرع..

لكنّه مسلّح بالإيمان الصادق بالوطن والإنسان والحق.. مساحة إيمانه الأرض العربية والإسلامية..

ولهذا فمساحة فعله بقدر مساحة إيمانه، القدس في قلبه كما الجنوب، والجنوب عنده كما الجولان..

أهدى للشعب العربي في فلسطين الذي يواجه بصدره العاري آلة الحرب الصهيونية النازية، المدعّمة بالولايات المتحدة الأمريكية، أهدى روحاً معنوية

جديدة، تضاف إلى روحه المتوقّدة، فها هم جنود العدو يقعون أسرى بيد مقاتلي حزب الله..

فيقوى الأمل لدى أسراه، وأسرى الشعب العربي في فلسطين بالحرية من زنازين العدو الهمجي الذي لا يعرف إلاّ اللغة التي يتكلّم بها السيد حسن نصر الله سيد المقاومة.. وترجمتها الرائعة "إن الحياة عقيدة وجهاد". وها نحن نشهد الهول الذي يحتمله هؤلاء الرجال، ونرى الدور الذي نهضوا به للوقوف في وجه العدوان الهمجي الغاشم وغياب الضمير الحرّ عند من يملكون القوة المدمرة، ولقد كان السيد حسن نصر الله بطلَ الموقف وأستاذه العظيم، فهو لا يريد فتنة، ولا يريد حرباً أهلية، بل يريد وحدة الضمير الوطني اللبناني العربي والموقف الصحيح من الحق الواضح في الدفاع عن المقدسات، من وطن وأمة وعقيدة، فالمقاومون يرون أن اختيار الموت بقاء..

لقد جاؤوا الحياة في أوانهم المرتقب، ويومهم الموعود.. وأملنا لهم بالنصر المادي والمعنوي..

ألا إن نصر الله قريب.

مع سماحة حجة الإسلام الشيخ محمد حسن أختري
سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق ذو القعدة 1427 هـ

القائد العقائدي والإنساني
المحبّ لفلسطين

الأستاذ أحمد جبريل (*)

منذ بداية معرفتي بالسيد حسن نصر الله وجدت في شخصيته مرتكزين مهمين أساسيين هما:

١ ـ الإيمان العميق بالرسالة الإسلامية التي يحملها، وبالقدرة على الانتصار على العدو.

٢ ـ والمرتكز الثاني هو: الإدراك الواضح لضرورة إعداد كل ما تتطلبه معركتنا مع الكيان الصهيوني من قدرة بشرية وروحية ومادية نوعية من أجل حرب طويلة مع هذا العدو.

فهو كمفكر ديني يحسن دوماً تعزيز إيمان المجاهدين والمناضلين بالنصر والتضحية من أجله. وإنّ مناقبيته الشخصية الإسلامية تحقق له دور القائد الذي يمثل القدوة والمثل في التضحية والبذل من أجل مواجهة أعداء هذه الأمة. ..كيف لا وهو سليل العترة النبوية الشريفة.

إن خطابه السياسي يتضمن دوماً التشخيص الواقعي لما يجري على الأرض في لبنان وفلسطين والأمة العربية، مثلما يتضمن الحلول والأجوبة الواقعية من أجل تجاوز كل الصعاب وتحييد ما أمكن من الخصوم والأعداء المتربصين بهذه الأمة وطليعتها المجاهدة والمناضلة...

(*) الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـــ القيادة العامة.

تمكن حزب الله بقيادة المجاهد الحسيني العاشورائي السيد حسن نصرالله، وتمسكه بالهدف، وابتكاره لأفضل الطرق والحلول لكل ما واجهه الشعب اللبناني من مؤامرات ومخططات صهيونية وأمريكية، من تحقيق مكاسب نضالية وجهادية كبيرة في ساحة لبنان.. لقد نجح حزب الله في تحدي كل هذه المؤامرات وخصوصاً محاولات خلق الفتنة والانقسام الطائفي داخل صفوف الشعب اللبناني وبين الشعب اللبناني والفلسطيني والسوري.. نجح في إحباطها وتمكن من كسب ثقة الشعب اللبناني وقياداته الوطنية والإسلامية بل وكسب ثقة جماهير الأمة الإسلامية أيضاً...

أما على صعيد تحقيق المكاسب العسكرية والسياسية على العدو الصهيوني وقوى الاستكبار العالمي، فمن الواضح أن تحرير معظم الجنوب في ٢٥ أيار ٢٠٠٠. وطرد قوات الاحتلال الصهيونية من ٩٥٪ من أراضي الجنوب اللبناني دون قيد أو شرط كان من بين أهم وأكبر الانتصارات على هذا العدو الصهيوني...

ونحن في الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة ـ كنا إلى جانب حزب الله في هذه المعارك التي امتدت في فترة التسعينات حتى تحقيق الانتصار عام (٢٠٠٠).. إن الدم اللبناني الذي أراقه الشهداء من حزب الله في هذه المعارك اختلطت به دماء شهداء فلسطين، ومنهم شهداء الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة..

إن الانتصار العظيم الآخر قد أطل علينا بعد أن سطر حزب الله أروع صفحات الجهاد المقدس والنضال المستمر ضد العدو الصهيوني في حرب تموز ـ آب (٢٠٠٦). فبعد ست سنوات على الانتصار في تحرير الجنوب، أثبت السيد حسن نصر الله أنه تمكن من زيادة قدرات الحزب البشرية والروحية والتضحوية والنارية، إلى حد أذهل قادة العدو وقواته وأجبرهم على إعادة حساباتهم، وإلى التراجع والانسحاب.

لقد جاء الإمام الخميني (قدس سره) بطراز جديد من الإسلام، أو إن شئنا الدقة، جاء بالإسلام الحقيقي.. الإسلام الثوريّ لا إسلام الدراويش أو إسلام أمريكا أو إسلام البلاط، فكانت ثورته مناراً ومثلاً للجميع.واستمر خليفته

الإمام الخامنئي، (دام ظله)، على نهجه، ما جعل إيران قبلةً للثوريين من جهة، ومصدر خوف وتآمر للمستكبرين ومن والاهم من جهة أخرى. وحين يأتي سماحة السيد حسن نصر الله من نفس هذه المدرسة ويحمل لواءها، فمن الطبيعي أن يقف أعداء الأمة ضده ويخشوا انتصاره، فانتصاره هو انتصار لنهج ولمدرسة ولمصلحة، تناقض نهجهم ومدرستهم ومصلحتهم. من هنا رأينا هذا التكالب، العلني والسري، على المقاومة الإسلامية في لبنان عموماً، وضد سماحة السيد بشكل خاص، لأن أيَّ انتصار للمقاومة الإسلامية، وسماحة السيد حسن نصر الله على رأسها، إنما يعني تعرية للأنظمة العربية الجبانة، كما يعني في الوقت نفسه انكشاف كل المتواطئين والمتحالفين مع أمريكا وإسرائيل ضد مصالح بلادهم وشعوبهم.

ويأتي حب السيد حسن نصر الله للقدس وللأقصى الشريف ولفلسطين وأبنائه من منابع عدة. فهذا الشاب الذي نشأ في طاعة الله، وصقله الإسلام وتتلمذ على مدرسة الإمام الخميني وخاض من مطلع شبابه أتون المعارك ضد العدو الصهيوني وضد الأعداء الداخليين، امتلك بفعل كل ذلك، شخصية فذة، إنسانية ووطنية وإسلامية. فالإسلام يذكي في النفس حب الوطن والثورة على الظلم.

وعليه فإن حب سماحة السيد لفلسطين ينبع أولاً من عقيدته الإسلامية الراسخة. ففلسطين بما فيها القدس، تحتل مكاناً مركزياً في الإسلام كما هو معلوم. أي أن الدفاع عن فلسطين يأتي لدى سماحته بمثابة تكليف عقيدي رباني، ومن كان مثل سماحة السيد حسن نصر الله يصدر في كل تصرف من تصرفاته، عن العقيدة، وعن التكليف، فإنه من البديهي أن ينغرس حب فلسطين عميقاً في قلبه.

علاوة على ذلك، فإن هذه الشخصية التي تهذبت وتأدبت بالإسلام الحقيقي، نشأ لديها حسّ إنساني عال وكره مطلق للظلم. فقضية فلسطين، حتى لو أقصينا البعد العقيدي عنها، إنما تمثل العدل في وجه الظلم. لأنَّ الذي أصاب شعب فلسطين وأرض فلسطين لا مثيل له في التاريخ من حيث الظلم

السافر والاضطهاد والاعتداء. وهكذا فإنه من باب حب العدل والانحياز للإنسانية كان سماحة السيد سيقف مع فلسطين وأبناء فلسطين حتى لو غاب التكليف الرباني.

أما وقد اجتمعت في فلسطين كل العوامل السابقة، أي التكليف الرباني بما هي أرض بارك الله حولها وتحتضن أولى القبلتين وأرض المعراج إلى السماء، وباعتبارها أرضاً إسلامية اعتدى عليه الأعداء، إضافة إلى العامل الإنساني والوطني، فإن هذا جعلها في المكان الأعمق من قلب وصدر السيد حسن نصر الله. وإذا أضفنا إلى كل ذلك طبيعة العدو المحتل لفلسطين وعداءه السافر للإسلام وللعرب ولكل المنطقة العربية، ومخططاته لتقسيم المنطقة للسيطرة عليها عموماً، وأهدافه في لبنان وتهديده المستمر له خصوصاً، وإذا أضفنا الفهم الصحيح الذي يتمتع به سماحة السيد لهذا العدو الصهيوني، إذا أخذنا كل ذلك مجتمعاً، أدركنا عمق محبة السيد نصر الله لفلسطين من جهة، وعمق عدائه لهذا الكيان الغاصب من جهة أخرى. ولفهمنا أيضاً مدى التزامه بمقولة القائدين الخميني والخامنئي بأن إسرائيل غدة سرطانية لابد من إزالتها من الوجود.

تحية فخر وإكبار لسماحة السيد حسن نصر الله، الذي جدّد في مقاومته الفذة بوجه العدو الصهيوني المدعوم بالإمبريالية الامريكية، وقفة العِزّ والإباء التي وقفها جده الإمام الحسين بن علي ﷺ، يوم عاشوراء ليصنع للأجيال مدرسة للتضحية والبطولة، ستظل مستمرة بعطاءاتها الملهمة للإيمان والفداء أبد الدهر.

المُنتصرُ لكرامة الأمة المنتهكة

الدكتور عبد الكريم الأشتر(*)

لا يمكن أن تُفصل وقائع المعركة بين حزب الله والدولة الصهيونية عن حقائقها الأولى التي صاحبتها. ولا يمكن أن تفصل حقائقها الأولى عن النتائج التي انتهت إليها (**).

لقد كان أنصار البيت النبوي وأولاده وأحفاده، في أغلب مراحل التاريخ الإسلامي، في صف المعارضة، فعانوا من الاضطهاد والملاحقة وأهوال الحروب التي خاضوها دفاعاً عن إيمانهم بحق آل البيت، وما عانوا، منذ معارك ((صفين)) و ((الجمل)) إلى أيام كربلاء ومقتل الإمام الحسين، وما جرى فيها، مما يخرج فيه المسلم عن كل قيمة من قيم الإسلام، إلى ما يذكّره بقسوة الوثنيين البداة في الصحراء المحرقة.

لقد كنت أحاول أن استكمل قراءة هذه الأيام في كتب التاريخ الإسلامي، وفي تاريخ الطبري خاصة، فما أستطيع أن أتابعها، إذ كان ذهولي مما وقع يغلب قدرتي على الصبر.

فإذا أضيفت إلى هذه الأيام، أيام مقاتل آل البيت الأخرى في دولة العباسيين، وهم من أهل رسول الله (ﷺ) وإن لم يكونوا من أبناء الإمام الحسين وأحفاده، بدت سلسلة المظالم أطول وأثقل كثيراً من طاقة الاحتمال وبدا ورثة الناهضين بردّها، على صلة بحقائقها كيفما تقلبت بهم الأيام.

لقد كان سماحة السيد حسن نصر الله في الحرب الظالمة التي شنتها "دولة" الكيان الذي أقاموه على أرض سرقوها من أصحابها ومن صفحات

(*) مفكر وأكاديمي سوري

(**) قدم الباحث مساهمته بكلمات رقيقة أوردها كما يلي: الأخ الكريم السيد الأستاذ حميد حلمي زادة المحترم.. تحية طيبة أرجو ألا تؤاخذني، فقد كتبت هذه الأسطر وأنا في دور النقاهة، أحييك وأسأل الله أن يجزيك أحسن ما يجزي العاملين، وأسلم لأخيك. د. عبد الكريم الأشتر.

التاريخ الإسلامي، وملؤوا مخازنها بأعتى أنواع السلاح، على صلة بحقائق هذا التاريخ الدامي كله.

كان الانتصار للحق المهضوم وللوطن المسلوب من جهة، والوطن المستباحة أرضه وإنسانه في جهات أخرى منه، وللمظالم والمقاتل وشهدائها الأبرار الذين لم ينتصر لهم أحد في أركان الدنيا كلها، الانتصار الذي يعيد الأرض لأصحابها، ويحفظ دماء الأبرياء المظلومين، يحمل معنى من معاني هذه الوراثة التاريخية، يحمل حميتها وإصرارها وإيمانها العميق بشرعية موقفها.

وكان لما انتهت إليه وقائعه (أعني وقائع الانتصار لهذا الحق المهضوم) الرائعة، وما تجلى من صور الصمود والتضحية والشهادة المستعذبة في أفواه المؤمنين بها، أثرها المزلزل في أركان الدنيا التي نام أهلها زمناً طويلاً عن نصرة المظلومين ودماء الأبرياء وعذابات المعذبين منهم.

على أن سماحة السيد حسن نصر الله وهب هذا الانتصار الذي حققه أبناءه وأهله ووطنه الصغير، من ورثة هذا التاريخ الطويل الذي حملوه في قلوبهم المؤمنة المثقلة بهمومه ومظالمه منذ فجر الإسلام إلى اليوم، وهبه لوطنه الصغير ولأمته العربية والإسلامية كلها، فكان على كل صعيد من البداية الصعبة إلى النهاية المشرقة، جديراً بمعانيه، جديراً بتاريخه الذي كتبوه بدمائهم، وتضحياتهم الهائلة.

سيدي الأخ الكريم سماحة السيد حسن نصر الله!

أرجو أن تقبل مني، وأنا على ما يقولون سليل الأشتر النخعي الكبير، مالك وابنه إبراهيم، هذه الكلمات القليلة، ومعها الإيمان العميق بالحقيقة الإسلامية التي ينبغي أن تذوب في بوتقتها المذهبية بخطوطها العريضة، والطائفية بخطوطها الضيقة، ليبقى جوهرها النقي الساطع في كل نفس مسلمة، تعيش في أرض الإسلام الواسعة. سلمت يا سيدي، وسلمت الكرامة المنتهكة التي انتصر لها حزبك العظيم في دولته الصغيرة الصامدة معك.

وسلمت الأمة التي تحيا اليوم في قلوب أبنائها كريماً بَرَّاً صادق العهد، قادراً على رد العدوان عنها، والسلام عليك حيث تكون.

القائد الفذ :
أسباب النصر والأساليب والنتائج

الدكتور الشيخ وهبة الزحيلي(*)

يئس كثيرون من الناس ممن ابتعدوا واغتربوا عن آيات القرآن الكريم أو يتناسون أو يتجاهلون التاريخ الإسلامي أنه قد حدثت معجزات باهرات غيرت موازين القوى العسكرية، وبدلت وجه التاريخ. ولم يدرك هؤلاء المرجفون والمشوهون لتاريخ الأمة الإسلامية أن المستضعفين قد يحطمون الجبابرة المستكبرين، وأن الفئة القليلة قد تدمر طغيان واستعلاء الفئة الكثيرة، كما حكم القرآن المجيد في آية كريمة هي: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين﴾(البقرة ٢٩)

وما حدث في لبنان في أيام الثلاثة والثلاثين من تموز وآب عام ٢٠٠٦ هو أحد هذه المعجزات، على الرغم من التآمر الدنيء على "حزب الله" وأعوانه، وإغراء بعض الخائنين القيادة الصهيونية بل وإمدادها بالمال وغيره للقضاء على "حزب الله" قضاء مبرماً، لكن قدرة الله تعالى ومشيئته فوق كل هذه المؤامرات والخيانات، فقد تحقق انتصار "حزب الله" بقيادة السيد حسن نصر الله على قوى الشر والبغي والعدوان ومن آزرهم وساندهم بالمال والسلاح وتقديم القنابل الذكية من أمريكا عن طريق اسكتلاندة، وكان الأسطول السابع المرابط في البحر الأبيض يحمي إسرائيل.

وقد تضافرت الأسباب والأساليب المادية والمعنوية على إحراز نصر فريد شبيه بتدمير خط بارليف وطرد "إسرائيل" من الضفة الشرقية لقناة السويس، وتحقيق نصر ٦ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٧٣ أو العاشر من رمضان.

(*) مفكر وأكاديمي سوري ــ رئيس رابطة علماء بلاد الشام ــ عضو المجامع الفقهية الإسلامية

وانتصار "حزب الله" على العدو الصهيوني في جنوب لبنان يرجع لأسباب علمية ودينية، وإعداد خطة حربية ناجحة، تتمثل في الحصاد الآتي:

١ ـ إن صلابة الإيمان وصدق المؤمنين بالله تعالى، وبعدالة الدفاع عن الأمة والوطن والبلاد والأعراض والحرمات، كان له التأثير الكبير في تحقيق انتزاع النصر على قوى الشر والبغي والباطل. فقد أثبت التاريخ كما قال القائد الحربي المشهور في الحربين العالميتين "مونتغمري" والذي تتبع أسباب انتصار المسلمين في فتوحاتهم السريعة، إنّ الإيمان له أهميته ودوره في النصر بنسبة ٧٠٪.

٢ ـ إن الله تعالى يخاطبنا ويأمرنا دائماً بحسن الإعداد والتدريب في قوله: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة...﴾ (الأنفال: ٦) وقد أعد القائد السيد حسن نصر الله ومعاونوه ومستشاروه جنود حزب الله على النحو المطلوب الذي حطم أسطورة جيش إسرائيل الذي يزعمون أنه لا يقهر، كما تحطمت قوة أمريكا في فيتنام وفي أفغانستان وفي العراق والصومال.

٣ ـ لقد انهزم المتخاذلون من العرب الذين قدروا فترة القضاء على "حزب الله"، في ست ساعات أو أقل. ويا ليتهم جددوا إيمانهم بالقرآن، حيث ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم. صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ (البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٨). وهذا ينطبق على حال القيادة العربية والإسلامية أنهم في فرقة معضلة.

٤ ـ أظهر هذا الانتصار عبقرية التخطيط وإدارة أسلوب المعركة واستدراج العدو إلى مكمن قتله وتدميره مراراً بسرية تامة ودهاء كبير.

٥ ـ إن دور الجيوش النظامية أضحى فاشلاً أمام قوة أقوى جيش في المركز الخامس في العالم وهو جيش إسرائيل، وأن المطلوب استخدام أسلوب حرب العصابات وسياسة الكرّ والفرّ، وذلك أدى إلى قلب مفاهيم الموازين العسكرية المعتادة، لأن هناك قوة الله الغالبة التي لا تقهر، ومدداً إلهياً لا ينفذ، وتدبيراً ربانياً محكماً لا يخترق.

٦ ـ لم تقتصر تدريبات وتحركات ميلشيات حزب الله في جنوب لبنان على اللقاء المباشر الذي حطم العدو الإسرائيلي، على الرغم من كثافة طيرانه وبوارجه

الحربية ومدرعاته البرية والبحرية ودباباته وأطنان القنابل المستخدمة، وإنما العجب العجيب؛ كيف تصدى جنود حزب الله في مختلف الأراضي اللبنانية، حيث كان الإنزال الجوي في بعلبك وغيرها، ثم تدمير تلك القوات على يد جبابرة حزب الله المؤمنين بالله والإسلام والقرآن، والموزعين على جميع أجزاء لبنان

٧ ـ لقد دكّت صواريخ "حزب الله" أعماق الكيان الإسرائيلي في حيفا وغيرها، ودمّرت المنشآت الحربية والصناعية، لا للمدنيين كما فعل الجنود الصهاينة الأوغاد الذين هدموا خمسة عشر ألف منشأة سكنية على رؤوس أصحابها من الشيوخ والنساء والأطفال وغيرهم في لبنان.

٨ ـ أسقطت صواريخ حزب الله مثل صاروخ رعد وخيبر وغيرها بعض الطائرات الإسرائيلية، ودمرت بارجة حربية في البحر الأبيض المتوسط.

٩ ـ كانت إعلانات القيادة العسكرية حول حجم الخسائر أقل بكثير من الواقع، كما دلت القرائن والمشاهدات التلفازية. وهذا شأن المعتدين الإسرائيليين دائماً حتى لا تتضعضع جبهتهم الداخلية، ومثلهم ما تعلنه أمريكا وحلفاؤها في العراق وأفغانستان من خسائر الجنود والآليات العسكرية، علماً بأن إسرائيل وأمريكا في الساحات الحربية في لبنان وغيره، استخدموا كثيراً من القنابل الممنوعة دولياً. مثل القنابل العنقودية والفسفورية والذرية والنابالم (رصاص دمدم).

١٠ ـ لقد اعترف قادة الكيان الصهيوني بالهزيمة المنكرة على يد جنود حزب الله، كما أعلنت بعض الصحف الإيطالية عن تحطيم نجمة داود.

١١ ـ يمكن تجديد وتحقيق انتصارات أخرى على إسرائيل وأعوانها كلما تحققت الوحدة، وتمت المؤازرة والمعونة، علماً بأن الشارع العربي والإسلامي كله مع "حزب الله" وأن الأنظمة والقيادات العربية سقطت سقوطاً ذريعاً في أنظار شعوبها.

١٢ ـ ليس جنود حزب الله من السُنة فقط أو الشيعة فقط، وإنما هم من الفئتين معاً، وكل المسلمين والعرب الشرفاء يدركون أن "إسرائيل" ومن وراءها لا يفهمون إلا بتحطيم رؤوسها وقياداتها وقواها المادية، فهم لا يفقهون غير لغة القوة.

١٣ ـ إن مساندة سورية وإيران لحزب الله تسير في الاتجاه الصحيح، فهما مع السيد حسن نصر الله يستحقون التهنئة الحارة والإكبار والتأييد القوي.

١٤ ـ إن الله عـزَّ وجـلّ ينصـر عـباده المخلصـين دائمـاً لقولـه تعـالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (سورة محمد: ٧) ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ (الروم: ٤٧) وأن اسم حزب الله بشارة بالنصر كما قال تعالى: ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ (المجادلة: ٢٢).

١٥ ـ إن شخصية السيد حسن نصر الله الإسلامية، أعطت المثل الواضح بـأن شخصـية المسـلم العـالم قابلـة لتحقـيق العجائـب السياسـية والعسـكرية وغيرها، على عكس ما يتشدق به أعداء الدين والملحدون من أن العلماء لا يصلحون للحياة المعاصرة.

١٦ ـ إن انتصار السيد حسن نصر الله لا يقل لدى المحللين العسكريين والسياسيين عن انتصار الإمام الخميني "قدس سره" في ثورته وإنجازه دولة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، على أنقاض نظام الشاه الظالم الذي كان ربيب أمريكا وحامي مصالحها في المنطقة ثم تخلت عنه.

١٧ ـ نحن المسلمين والعرب من سنة وشيعة وكل فئة شريفة لا خائنة ولا مأجورة ولا متحالفة سراً مع أمريكا وإسرائيل كما أثبت الواقع المكشوف، نحن مع حزب الله وأعماله الناجحة، وندعو لهم الله تعالى بأن يزيدهم نصراً وقوة وعلواً وتمكناً في قهر العدو واسترداد الأراضي المغتصبة.

١٨ ـ إن مما يدهش أكثر من النصر استعداد السيد حسن نصر الله لبناء البيوت المهدمة، وإصلاح المنازل المهشمة، وتعويض المتضررين، وهذه هي سمة القائد المسلم المنصف الإنساني بحق.

١٩ ـ التاريخ يلفظ من حسابه مواقف الخائنين والمتخاذلين والجبناء الذين راهنوا على فشل حزب الله، ولم يراهنوا على إنهزام قوى الشر والعدوان.

٢٠ ـ جدير بالسيد حسن نصر الله أن يتولى قيادة جيش التحرير الإسلامي وتجديد بطولات عظماء القادة المسلمين مثل صلاح الدين الأيوبي وسيف الدين قُطُز في الحروب الصليبية وحروب المغول والتتر، وقادة كفاح ومقاومة الاستعمار الحديث في الجزائر والبوسنة والهرسك والشيشان وكوسوفو وأفغانستان ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

مدرسة حزب الله مدرسة عاشورائية

الدكتور محمود عكام(*)

إذا كانت كل أرض يصمد فيها أبناء الحسين "كربلاء"، وكل واقعة يستبسل فيها أبناء الحسين "عاشوراء"، فإنه مما لا شك فيه ـ أن المقاومة الإسلامية اللبنانية ـ في حرب تموز ـ كانت عاشورائية كربلائية. يقف في طفراء صفتها سيد من أبناء الحسين، فللّه درُّه من داحرٍ للصهيونية الآثمة ليردها على أعقابها مذعورة خاسرة مقهورة، وقد كانت تظن بل تعتقد أنها ستجوب أرض لبنان احتلالاً وطغياناً وإفساداً في برهة زمنية قصيرة وفترة وجيزة.

لقد قاومت لبنان مقاومة تدلل على إيمان بالله راسخ، وثقة قوية بالوعد الإلهي بالنصر، أوليسوا يواجهون الشر ويدفعون عن الإنسانية الضر؟.

فيا حزب الله: أيتها الفئة المؤمنة، ويا أمينه السيد حسن نصر الله عهدنا بكم كما رأيناكم فتابعوا، وظننا بكم كما شاهدناكم فثابروا، وأملنا في وحدة المسلمين على النصر والفتح مقصود على أمثالكم فلا تخيبوا الأمل.

من أجل هذا ندعوكم وندعو أنفسنا إلى مواصلة الجهاد سلماً وحرباً، والجهاد حال السلام بناء وعمل وصناعة وزراعة ومعرفة وتعلم ومجتمع عدالة وإخاء ومودة وإحسان، والجهاد حال الحرب: استعانة بالله وإعداد قوة وابتغاء رفع كلمة الحق وليكن الجهاد بشقيه تحت شعار قول الله ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾، وتحت شعار قول النبي(ﷺ) ﴿من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله﴾ وكلمة الله هي السلام والأمان والاطمئنان والاستقرار والسعادة لبني الإنسان، وكذلك فلنمض تحت

(*) مفكر إسلامي سوري ــ أستاذ في جامعة حلب.

شعار مقولة سيد عاشوراء الإمام الحسين عندما نادى ﴿لم أخرج بطراً ولا أشِراً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله﴾.

تحت هذه الشعارات فلنكن جميعاً نحن من أسلمنا وجهنا لربنا، وعلى "حزب الله" أن يؤطر ذلك كله بإطار من سعة وانفتاح وأخوة وإيمانية، ووحدة إسلامية تتسع لكل المسلمين على مسافة واحدة منهم جميعاً.

وفّق الله لبنان ولا سيما الجنوب لأن أرضه انتمت إلى كربلاء، ووفق ربي المقاومين لأنهم انتسبوا بصدق إلى عاشوراء.

ورعى الله المسلمين جميعاً وهم يعملون بصحة وإخلاص. والله خير مسؤول.

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

الأستاذة مريم خير بك(*)

الأمة بلا تاريخ هي أمة بلا جذور، لذلك نجد أن جميع الأمم حين تريد بناء حاضرها تتمسك بجذورها، لأنَّ ما يؤصل وجودها، ويربطها بالأرض أكثر هو هذه الجذور، التي علق عليها الكثير من الأدران خلال مراحل نموها، وجراء تمسكها بتراب الأرض الذي يمدها بنسغ الحياة..

لذلك حين تتطلع شعوب كل أرض إلى تاريخها فليس من أجل حمل الماضي بكل ما فيه، وكل ما علق عليه من الأدران، بل لكي تستمد منه ما يؤصل وجودها الحاضر، نافضة عنه كل الأدران والشوائب العالقة به، معتبرة بأحداثه، مستهدية برجالاته الرمز وبكل ما عندهم من نقاء وحكمة وتعلقٍ بالفضائل، ورفضٍ للذلّة مهما كان ثمنها، ومهما جر هذا الرفض من تضحيات..

وإذ نعود إلى تاريخنا الإسلامي، إلى نبي الإسلام ﷺ، وآله وصحابته رضي الله عنهم ورجالات الإسلام الذي خطّوا الملاحم في سبيل نصرة الإسلام، لبناء مجتمع إنساني فاضل، وإلى القرآن الكريم وسنة الرسول، وأقوال الصحابة الأجلاء والأئمة الطاهرين نجد الكثير الكثير مما نتمسك به، ومما نستنير بهديه في حالك هذه الأيام، والاتعاظ بِعِبَرِه، إذ ما أقرب اليوم إلى الأمس وما أشبهه به...

وما أقربه بعظمة بعض رجالاته ممن تحلّوا بروح الحق وفضائل الشمائل..

ما أقربه بآلامه وأشجانه، وجوهر أحداثه، وروح أيّامه..

(*) أديبة معروفة، عضو اتحاد الكتاب العرب، وعضو اتحاد الصحفيين في سوريا.

أيام ثار الرسول الكريم ﷺ على من رفض صوت الحقّ وتمسك بأهداب الباطل.. ديدنُه الصبر ورفاق الدرب وإخوة الكفاح، الذين أحاطوا به كما آلَه، فهانت المشقة، وسمت الروح المتغلغلة في نسغ البدن، الذي قوّته المبادئ، ومدّته العقيدة والإيمان بقوة عجزت عن زعزعتها أعتى قوى الظلم، فكان النصر..

النصر الذي لم يكن أبدياً، لأنَّ الدنيا دار بلاء للمؤمنين، وساحة قتال للشرِّ الذي لا يني يطلُّ برأسه كي يقوِّض ممالك الخير بكل ما يُتاح له من أدوات، تنخر في جسد الفرد، الفرد الذي ينخر جسد الأمة لكنَّه لا ينتصر طالما أنَّ هذه الأمة مستقوية بالحقِّ والإيمان وعقيدة المنافحة ضدَّ الظلم...

الحق، هذا المطلب الأوّل والأخير، لكلِّ نفس آمنت إيماناً لا يتزعزع بوحدة الأمة، والتمسك بالمبادئ التي تبقى المطلب الأول والأخير لكلِّ إنسان وشعب وأمة في سبيل إعلاء كلمة الأديان ومنظومة المبادئ الإنسانية كي ينتصر المظلوم على الظالم.

لذلك وأنا أقف متأملة بما نتعرض له من انتهاك حقوقنا كأفراد ودول تفرقت شيَعًا، فأرى نصرة الفئة القليلة على الفئة الكثيرة الباغية، وتآمر الأخ العربي على أخيه، أتذكر ذلك التاريخ الحسيني، لا تذكُّر ضعف وحسرة وحزنٍ، بل تذكُّر استعبار، واقتباس لنفحاتٍ منه، نفحات تضيء لنا ظلمات اليوم، اليوم القريب من الأمس، حيث تأكّد لنا فيه، وحتّى لأعدائنا، بأن الإيمان يخلق المستحيل. وأنَّ الإيمان بالأوطان، نذود عنها بغالي ما نملك، يصنع المعجزات.

وأننا، وفيما نتطلع إلى ماضٍ فيه الكثير، نتعلم القوة والحكمة والثبات ومجابهة الطواغيت، تماماً كما تعلّم الحسين الشهيد من جدّه وأبيه كيف يصنع الإنسان تاريخ شعبه، وكيف يكرِّس قيم الشهادة والقتال من أجل الحق في نفوس المؤمنين بمبادئ الإسلام، هذا التأسيس والتكريس الذي ينطلق من:

- عدم الخشية من العدو مهما كان هذا العدو كثير العدة والعدد، طالما أن المنافح عن مبادئه يملك الإيمان بقضيته، وبعدالة هذه القضية، والإيمان بالقتال حتّى الشهادة أو النصر، وعدم القبول بأي بديل حتّى لو مُلّك الأرض..

- عدم الرجوع بخطواته إلى الوراء طالما أنّه أقدم، وهو مؤمن بحقّه فيما يقاتل من أجله.

- عدم الركون إلى الخونة الطاعنين في الظهر، وترصدهم، والقضاء عليهم، إذ لا مهادنة بالحق.

- الإيمان بالشهادة لأنها جوهر الحياة، ونبض الإيمان، وأساس النصر، ومن يتراجع عن إيمانه بها طريقاً للنصر لن يصل إلى هذا النصر، وسيبقى في سجل الجبناء، وقد تأكد لنا هذا في الأيام الأخيرة من تاريخ أمتنا، هذا التاريخ الذي استهدى بطله ورمزه، حسن نصر الله بمبادئ الحسين الشهيد حين جسّد كل قيم تاريخ جده وأبيه وما فعلاه، وسار في طريق بناء دولة الحق:

- فبنى جيشاً يؤمن بعقيدته إيماناً راسخاً لا يساوم عليه، ولا يرضى عنه بديلاً.

- واتخذ من عاشوراء بكل ما حملته من قيم الإسلام الحق عودة تاريخية للعِظَةِ والعِبرَة ووحدةِ الأمة، مؤمناً بما له وما عليه، لا عودة لنكئ الجراح، وإثارة الضغائن والأحقاد.

- لذلك عزز في روح أبنائه وإخوته المجاهدين معه روح الشهادة التي أقبل عليها الحسين عليه السلام، لا أشِراً، ولا بَطَراً، ولا مفسِداً ولا ظالماً، وإنما طلباً للإصلاح في أمة جدّه محمد صلى الله عليه وآله وأبيه علي عليه السلام، ولأنّه مؤمن أنّ الدنيا لو بقيت لأحد، وبقي عليها أحدٌ لكانت الأنبياء أحق بالبقاء، لكنّ الله خلق الدنيا للبلاء وأهلها للفناء...

عزّز الإيمان بوحدة الأمة في جنوده، وبالتواضع، والبعد عن الغرور، والتقرُّب من الآخر المستكين، أو الشرير والمفسد، علّه يعود إلى الصلاح والتقوى، ويبتعد عن الشر، ويعود إلى صواب الأمة كي يكرس الإيمان بالاتحاد لأنّ في الاتحاد قوة..

- عزّز في النفوس رفض الذلّة متمسكاً بقول الحسين عليه السلام (هيهات منا الذلّة) حتى لو كانت الدنيا ثمناً لها، فلا كرامة بلا وطن، ولا عِزّة بلا أرض، ولا حياة مع الذلّة. لهذا كلّه، وبكل تواضع القادة النبلاء انتصر حسن نصر الله

مع إخوانه الذين حمل لهم في نفسه كلَّ الإجلال والتقدير والاحترام، لا سيما وهم يحترقون بنار المعركة التي لم يكن فيها تكافؤ:

- إذ كان السيد حسن نصر الله وجنوده على حق، بينما كان العدو الطاغية على باطل.

- وكان وإخوته ومن يسانده يدافعون عن أرض تُستباح، أمام جيش مجرم قام على الطغيان والإيمان بقوة السلاح لا قوة الإيمان، والقتل والدمار واستباحة أراضي الغير.

- وتسلح بالإيمان والصبر وقوة الاحتمال، بينما تسلّح عدوهم بالكراهية للشعوب وللمبادئ.

- وكانت الشهادة مطلباً له، وكان الجبن والفرار مطلباً لعدوِّه المؤسَّس على الباطل.

- وكان وجيشه قليل العدد والعدة، وكان عدوّه (كما صُنِّف) أقوى الجيوش في العالم تدريباً وإجراماً.

- وكان مؤمناً بالشهادة أو النصر، وكان عدوه جباناً ما إن يحمى وطيس المعركة، حتّى يتراجعوا خائبين، تاركين عتادهم وعدَّتهم..

- وكان يحمل تاريخ أمته، وكان عدوه بلا تاريخ مُشرِّف، بل يحمل أوزاره..

لذلك ولكل هذه الفروقات وغيرها "صدق وعد نصر الله" وصدق قوله تعالى: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾.

ولهذا ولغيره صدق وعد نصر الله الحقّ الذي تأسس على شرعية الحق والإيمان به وبالقتال في سبيله، تماماً كما يتجسد في قول الحسين الشهيد رضي الله عنه: "إنَّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر".

ولهذا ولغيره استطاعت الأمة العربية والإسلامية أن ترفع رأسها باعتزاز بعد النصر الذي حققه حسن نصر الله وجيش حزب الله وكل من آزرهم من

الأحرار، فتأكّد للعالم أن هذا العدو هو نَمِرٌ من ورق، صنعه الباطل بكل ما يملكه من تزييف للحقائق، وبُعدٍ عن المبادئ والإيمان والعقيدة، والتمسك بالأرض. وأنَّ نصر الله قد أدرك بقوة بصيرته التي أغناها التاريخ بِعِبَرِه، وبإيمانه أنَّ هذا العدو ما هو إلا مجرم استند على الباطل، جبانٌ، كَبُرَ حين تقزّم الآخرون، وقوي حين ضعفوا وضَعُف تمسكهم بالأرض، وانتصر حين تفرقوا وتخلوا عن الإيمان والتمسك بالمبادئ وبالأرض وبالأمة، ولأنهم نَسَوا التاريخ وعِبَرَ الأجداد فانسلخوا عن الحياة التي تعطيهم الخلود، وتعلقوا بأهداب حياةٍ تورثهم الذّل الذي رفضه الشهيد الحسين (ع).

إن نصر الله بما قدَّمه من نصرٍ للأمة العربية والإسلامية، ولجميع المستضعفين في الأرض ليجسد ذكرى الحسين عليه السلام، ويؤكّد أنَّ الإنسان هو من يصنع التاريخ، وهو مَنْ يصنع منعطفاته، تماماً كما نجد الآن في العالم، أثناء المعركة وبعدها، العالم الذي شهد رباناً غريب اللسان والدين لكنَّه ليس غريباً عنهم في منطق الإنسانية فآزروه قلباً، وتغنوا به رمزاً، وقبلوا بقيادته رباناً.. فخرجوا بالمئات والألوف، وهم ليسوا بمسلمين ولا عرب، يرفعون صوره كرمز للنضال الإنساني، في الوقت الذي حاربه الكثيرون من أبناء جلدته...

ونادوا باسمه كمناضل في حين هَزِئَ من هذا النضال بعض أبناء الأمة وهم ليسوا بأبنائها....

وأعلنوا أنَّ الإرهاب هو إرهاب الدولة المنظّم الذي تقوم به أمريكا وإسرائيل وحلفاؤهما، وليس مقاومة هذا الإنسان المؤمن بحق كلِّ إنسان في الحياة الآمنة.. والبعيد عن الإرهاب، وهذا لأنَّه أسس جيشه على فعل المقاومة، والمقاومِ للباطلِ وللشرّ لا بَطِراً ولا مفسداً.. بل يردُّ الفساد والدمار والإبادة والديموقراطية المزيّفة عن أمته وشعبه وإخوانه..

لقد جَسَّدَ حسن نصر الله بمعركته ضد الإرهاب الصهيوني ـ الأمريكي ـ الغربي حالة وضعت أمريكا، وكل من وقف معها من العرب والعجم، أمام بحث عن الذات وعن العنجهية وعن الإدعاء وعن أسباب هذا الانهيار المفاجئ لهذا النمر الورقي والنمور الأخرى الزائفة.

إنَّه، بكل تواضعه، قد جسَّد "حالة تاريخية" كما في منطق العلم الوضعي، جديرة بالدراسة والتدقيق في كلٍّ جزئياتها ودقائقها المذهلة التي عبثت بكلٍّ أوراق اللّعب عند الطرف الآخر...

وإذْ أعود إلى الصحافة خلال شهر الحرب وما بعده، الصحافة العالمية والعربية أجد أنَّ هذا القائد، البطل، قد غزا صفحات هذه الصحافة مقروءة ومسموعة ومرئية، بصوره وأخباره وبطولاته وإيمانه وتواضعه وقيادته الحكيمة وصدقه، وسيظل مثار جدل ودراسات إلى زمن قادمٍ بعيد في تاريخ المستقبل لأنَّه ممن وضع بصمة على صفحة التاريخ، بصمة استهدت بهدي الحسين، وجدِّه الرسول ﷺ وجميع الأنبياء وقادة الثورات كي يبقى كل هذا منارة للحق، الحق المؤسِّس للدول القوية.. والحق الذي اقترنت به قيم الشهادة فظلَّ قائماً في الأرض، ينافح عنه وبه، من امتلكوا قيم هذه الشهادة، وقيم الأنبياء والمكرمين من رجالات الدين والمبادئ عند الله والإنسان...

الإنسان الذي يعود نصر الله ليؤكِّد أنَّه الأساس حين يهتدي بقيم ومبادئ الرسل. وأنَّه القادر على أعتى القوى حين يؤمن بالوطن والأرض والشهادة، وأنَّه، وهو يَتَّحد مع أخيه في الإنسانية والعقيدة "عقيدة المبدأ والحياة"، سيظلُّ أقوى وأقوى، لذلك حضَّهم على نبذ الأحقاد والجهل والتفرقة والتحلي بخلق النبي وآله كي لا يكونوا شتَّامين ولا سبَّابين ولا لعَّانين بل ساعين إلى الحق، كما قال الإمام علي (كرم الله وجهه) لقومه في حرب صفين:

"إني أكره أن تكونوا سبَّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم لكان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبِّكم إيَّاهم: اللهم احقن دماءَنا ودماءَهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم حتَّى يعرف الحقَّ من جَهِلَه، ويرعوي عن الغيِّ والعدوان مَن لهج به"...

قراءة فقهية لجهاد القائد حسن نصر الله

الأستاذ حسين شرف الدين(*)

قالها أحدهم، ولا نعرفه، وقد سارت كلمته وكأنها حتمية في المعارك التي تتماثل فيها الأخلاقيات الداعية إلى المعركة، فعندما قال أحدهم: (كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء)[1] فإنما كان يرمي إلى أن كل معركة ـ على الزمان ـ تلتزم بأخلاقيات عقيدتها في قيامها، وتمضي في طريق الشهادة إلى غاياتها ـ حيثما يكون المكان ـ وبهذا فعاشوراء روح تهيم بالأبد زماناً، وتصول على مدارج الوصول مكاناً، فوقائعهم ـ سلام الله عليهم ـ هي تلك التي يشهدها من هم في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيرعف بهم الزمان ويقوى الإيمان، وما الحرب (العالمية) ضد المقاومة الإسلامية وحزب الله وأشخاص القيادة سوى واحدة من تلك الوقائع، عاشورائية سميت أو سواها. ونحمد الله أن كان في زماننا من يقوم في سبيل الله، بما هو من أزمنة الشهادة التي عناها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وفي مكان من تلك الخارجة من الأمكنة لتتمدد على فضاءات ما تحت العرش.

أخلاقيات المواجهة العاشورائية حددها الإمام الحسين عليه السلام بمبدأ (الإصلاح) بمقابل ما استشرى من انحراف وفساد، وكان قد حدد قبلاً الشخصية القيادية لإدارة كل غرض (الإصلاح أو الفساد) بقوله: (مثلي لا

(*) مفكر إسلامي لبناني (حفيد الإمام المجدّد السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره وصهر الإمام المغيّب السيد موسى الصدر).

(1) هذه المقالة تبين الإجماع في الرأي الفقهي الشيعي لتوفر مصادره لدينا، مع علمي بأنه رأي إسلامي عام لم تتوفر نصوصه لدي لأعممه، كما أن مباني الوقف الوطني تقود إلى ما يماثل هذا الرأي والبحث فيه يطول لكثرة ما يحتمل من استشهادات.

يبايع مثله)، أما ما يحصل بين تحديد الغرض وبلوغ مرحلة أولية حاسمة في المواجهة ـ سياسياً أو عسكرياً ـ، فهو من التفاصيل التي يفرض طبيعتها التجاذب، ومن ثم طبيعة الموقف منها، وهذه التفاصيل لليوم العاشورائي اجتذبت أكثر التحاليل بحيث عفي بقدر ما على الأصل، وخرجت نتائج تحليلية مهملة الأساس.

في النظر بإضمامة العاشورائيات الإسلامية، أحاول أن أتجنب كل المقولات الإعلامية لأنقل رأياً فقهياً يوضح مبدأ الجهاد عند الشيعة، أمس، واليوم، وغداً. إذ الذين لم يعدّوا لنصر الله، التقوا مع من لا ينصرونه بإيراد تساؤلات، وإثارة أسباب يستظلون بها بعيداً عن السبب الرئيس الذي يدعو رجال الله للقيام بمقتضيات الإعداد لإرهاب عدو الله.

قيل الكثير حول الدمار وأسبابه ومسبيه، وحول الشهداء من الآمنين، وحول التشرد والتهجير، والكثير من التفاصيل التي يكثر معها (القضاة) و(أساطين التحليل السياسي)، لتتحمل المقاومة الإسلامية من قومها ما نالته (العاشورائيات) الإسلامية، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله، وستتحمل إلى أن تقوم الساعة، ولا أرى أن نلزم أحداً إلا بما ألزم نفسه.

ظهرت أسماء المقاومة الإسلامية وحزب الله ورجل الله القائد الغيور السيد حسن نصر الله بالالتزام بشرع الله، وشرع الله يلزم بالجهاد، والجهاد يقسم من جهة اختلاف متعلقاته خمسة أقسام:

أحدها: (الجهاد لحفظ بيضة الدين إذا أراد أعداء الله مسها بسوء، وهموا بأن يجعلوا كلمتهم أعلى من كلمة الإيمان بالله، وأن يكون الشرع باسمهم مناقضاً لدين الله عز وجل).

ويجدر بنا أن نلحظ أن موضوعتي كلمة الإيمان بالله والقضاء ترتبطان بالعقيدة والثقافة والبنية الاجتماعية وبالتالي بالتحرر من آلهة الأرض وبحرية القرار.

ثانيها: (الجهاد لدفع العدو عن التسلط على دماء المسلمين بالسفك، وأعراضهم بالهتك).

ثالثها: (الجهاد للدفاع عن طائفة من المسلمين التقت مع طائفة من الكفار فخيف من استيلائهم عليها)

ونلاحظ أن التخوف من الاستيلاء يوجب الجهاد، فكيف بنا والاستيلاء واقع؟

رابعها: (الجهاد لدفعهم عن ثغور المسلمين وقراهم وأرضهم، أو لإخراجهم منها بعد تسلطهم عليا بالجور، أو لجبر بيضة المسلمين بعد كسرها وإصلاحها بعد فسادها والسعي في إنقاذ المسلمين وبلادهم من أيدي الكفرة بالله عز وجل).

أفهم من هذا البند أن الدفاع لا يتوقف عند إخراج العدو، بل استمرار التعبئة والتجهز والعمل على التطهير من آثار العدوان، واستعادة المنطقة المحررة إلى أصالتها عقيدة وثقافة وقراراً وسلامة أمن وحريّة تصرف.

خامسها: (ابتداء الكفار بجهادهم في سبيل دعوتهم إلى الإيمان بالله عز وجل، وغزوهم لأجل ذلك في عقر ديارهم وبحبوحة قرارهم).

وقال: (هذا القسم من خواص النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام النائب عن رسول الله نيابة صحيحة، أو المنصوب الخاص من أحدهما، فلا يتولاه المجتهدون النائبون عن الإمام أيام غيبته ولا غيرهم[1])

البند الخامس هذا خارج موضوعنا لهذه المقالة، والمدار حول النقاط الأربع الأولى، وقد لاحظنا أن من مقتضيات الجهاد ما ينال من عقيدة المسلم وثقافته وقضائه وقراره، وهذه هي النقاط التي تجتهد الولايات المتحدة في التركيز عليها وعلى برامج العلوم الدينية والتربوية، وقد فرضت تعديلها على دول عربية وإسلامية وتشتد في التغيير عند دول أخرى، لتتمكن من السيطرة على ثقافة الشعوب الإسلامية، وبالسيطرة على ثقافة الشعب ـ أي شعب ـ

---

[1] أجوبة مسائل جار الله، المسألة السابعة، السيد عبد الحسين شرف الدين، وللتفصيل تراجع مباحث الجهاد في كتاب كشف الغطاء لإمام الطائفة الشيخ جعفر وغيره من الكتب الفقهية.

يمكن من التصرف بالأرواح والأعراض والأموال، ونشر الرعب والفساد، والهيمنة على رقاب البلاد والعباد، والمتشرع الإسلامي بشفافية صافية وحس مرهف، أوردها في بنود الجهاد، فضمن للأجيال آلية التحرر مما دون الله، وهذا من دواعي الاعتزاز والاطمئنان للأجيال المسلمة التي تشهد أن لا إله إلا الله. وكم نجد المشترع يلتزم بروح هذه الشهادة التي تبدأ بالنفي (لا إله) للبلوغ إلى حقيقة الألوهية (إلا الله)، وليست شفافية فحسب في المشترع بل هي البنية الثورية لعقل المستقبل الإسلامي منذ كان الإسلام إلى قيام الساعة، هذه البنية وحدها، ولا شيء سواها تنتج رجل الله ومن ثم خليفته في الأرض.

ولنتابع للإطلاع على مرجعية البنود الأربعة وآلية العمل بها، فالإجماع الفقهي الشيعي على هذه البنود الأربعة وعلى آلية التنفيذ، هو الصخرة التي تقصر عن بلوغها أي تقولات، إذ تقول بوجوب (وجوباً كفائياً، على معنى أنه يجب على الجميع، إلى أن يقوم به منهم من فيه الكفاية، فيسقط عن الباقين سقوطاً مراعىً باستمرار القائم به إلى أن يحصل الغرض المطلوب شرعاً)[1]، والجملة الأخيرة تؤكد على ضرورة استمرار القيادة وتوفير العناصر الجهادية من طاقة بشرية ومادية وتجهيزية.

والغرض قد يكون محدوداً وقد يتوسع تبعاً لظروف القيام الذي تقتضيه الأطماع الدولية التي هي خصيصة في حركة التاريخ، أما بالنسبة للكيان الصهيوني فأي جزئية في البنود الأربعة تفرض الاستنفار الدائم للجهاد إلى أن يزول اغتصاب الأرض الإسلامية التي باركها الله سبحانه ببركة المسجد الأقصى، فكيف بنا إذا استتبع الاغتصاب موجات من العدوان التوسعي مكاناً، والسيطرة على السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والتربية وغيرها، وإذا راجعنا بدقة كل جزء بل كل كلمة في البنود الأربعة نجدها تهيب بنا إلى الجهاد، إن كان باختطاف جندي، أو كان بعمليات عسكرية. وليس بالضرورة أن يكون لها مناسبة أو مبرر، لأن تأكيد الاغتصاب للأرض وطرد

---

[1] م.س.

أهاليها منها وسلب القرار ممن بقي وغيرها، تأكيد هذا بإعلان كيان للغاصبين على الأرض عام ١٩٤٨ واستمرار الأمر، هو المبرر الشرعي للجهاد والعمل بمقتضيات التشريع الجهادي عندما تتوفر ظروفه.

كما فاجأني التأمل بالبنود الجهادية ودقتها وصلابتها، فأجاتني المرونة المطلقة بآلية التنفيذ، وممن يكون مديرها كما يلي: (ولا فرق في وجوب الجهاد في كل هذه الأقسام الأربعة بين حضور الإمام وغيبته، ووجود المجتهد وعدم وجوده، فيجب على الحاضرين من المسلمين والغائبين - إن لم يكونوا مرابطين على الثغور - أن ينفروا للجهاد تاركين عيالهم وأشغالهم وسائر مهماتهم، ويجب على من كان ذا مال أو جاه أو سلاح أو رأي أو تدبير أو حيلة أن يبذل ما لديه من ذلك).

والسؤال المطروح هنا: إن كان الجهاد في الأقسام الأربعة لا يوجب حضور الإمام وغيبته ووجود المجتهد وعدم وجوده، فمن يحق له القيادة؟ وهل يعني أن أي مفردة في الأقسام الأربعة يغني عن فتوى الفقيه؟

نعود ثانية للرأي الفقهي لنتلقى الإجابة (.... وتجب في هذا المقام - النفرة للجهاد - طاعة الرئيس الناهض بهذه المهمة، العارف بتسريب العساكر وتدريب الحرب، وإن لم يكن إماماً ولا نائباً خاصاً، ولا مجتهداً - لتعذر رياستهم في هذه الأيام)[1] وله أن يأخذ من أموال المسلمين ما يتوقف عليه الأمر، ويجب القيام بهذه الرئاسة على كل من له الأهلية لها، وجوباً عينياً إذا انحصر الأمر فيه، وإلا كان الوجوب عليه كفائياً[2].

ومن الله الرجاء بعدم المؤاخذة في سهو أو نسيان أو خطأ، وقصدي وجهه الكريم بمساهمتي هذه فيما يقتضيه الواجب، ونشكر الله أن أحيانا ليوم نرى فيه عزنا على أيدي رجاله بعد جولات من الذل كان فيها المعلن كلمة الحق والمراد هو الباطل.. اللهم ولا تمتنا إلا على الحق.

---

(١) المقصود زمن الإجابة على مسائل موسى جار الله في النصف الأول من القرن العشرين.

(٢) م.س.

مع الوزير الأسبق الدكتور أسعد صقر - كانون الأول 2006
في مقام السيدة رقية ع -دمشق

مع فضيلة الدكتور محمد الحبش كانون الأول 2006

موهبة إلهية للأمة

الدكتور أسعد صقر(*)

رأيتك في إحدى إطلالاتك التلفزيونية التي ينتظرها الأصدقاء والخصوم بلهفة من يريد جلاء صورة المستقبل في لبنان وما حوله، بعد حرب صمد فيها رجالك الأشداء أمام آلة الحرب الإسرائيلية الهائلة مدة ثلاثة وثلاثين يوماً، خرج عدوك في نهايتها يجر أذيال الخيبة والخذلان.

رأيتك وكنت كما عودتَ الناس، صادق اللهجة، واضح الرأي، حاسم الموقف، تتكلم بثقة، كما لو أن شعبك ينطق من خلالك، ترتفع في نبرة صوتك صورة كبريائه وصموده، وتهدأ كما لو أنها تحبس دمعة تأبى أن تخرج إلى العلن لتعبر عن عمق الجراح ولوعة فراق الشهداء الأحبة الذين رفعوا بشجاعتهم اسم لبنان وأعادوا للعروبة وجهها المشرق الوضّاء.

رأيتك وما شهدت قبلك من يأنس بالشهداء ويستلهمهم حتى لكأنك واحد منهم، ومن لا يعلم قربهم منك وقربك منهم؟ وكيف ننسى أنك قدمت فلذة كبدك "هادي" وهو في مستهل ربيع العمر شهيداً في سبيل تحرير أرض لبنان؟

أليس واقعاً جديداً ذلك الذي ابتكرته أنت ورجالك الشجعان؟ أليس شهاباً يشق ظلمات اليأس والتخاذل، ذلك الدم الطاهر الذي جاد به أولئك الشهداء الأبرار في "مارون الراس" و"عيترون" و"عيتا الشعب" و"بنت جبيل" وغيرها من قرى جنوب لبنان الأبي.

كانوا يواجهون آلة الحرب الإسرائيلية من البر والبحر والجو، ويتقون خناجر الغدر التي يشحذها الأبعدون وبعض ذوي القربى، عندما كتبوا إليك رسالتهم الشهيرة والموت أمام أعينهم: "لقد راهنت يا سيدنا على النصر ونحن والله نعدك به" لقد أعلنوا ولاءهم لك وتصميمهم على إرهاق العدو وإذلاله

(*) مفكر سوري ـــ وزير إعلام أسبق.

والدفاع عن الأرض والحرية والكرامة. وكان جوابك لهم "أقبِّلُ أيديكم القابضة على الزناد، وأُقبل أقدامكم الثابتة في الأرض تزول الجبال ولا تزولون وأنتم الوعد الصادق، والنصر الآتي بإذن الله. جوابي لكم شكر لكم على أنكم قبلتموني في صفوفكم واحداً منكم. أنتم السادة و أنتم القادة وأنتم تاج الرؤوس".

هذه لغة جديدة بين القائد وجنوده لم تألفها أسماعنا من قبل! هذه لغة نسجتها وشائج من الإيمان الصادق ومن روح المسؤولية، ومن عمق الشعور بأهمية التضحية والإيثار وكلها شروط ضرورية لبلوغ النصر.

إنها لغة تشتاق إليها مسامع العرب في كل أقطارهم بعد أن سئموا هتافات الدجالين في مهرجانات النفاق والتشدق بشعارات وطنية يتم اغتيالها كل يوم بأيدي من ينادون بها.

ليس مطلوباً بأن نكيل المديح اليوم للسيد حسن نصر الله وإلى حزب الله على ما أنجزوه وهو يفوق المديح ويعلو عليه، بل المطلوب أن نقف بوعي وإدراك عميق للمسؤولية أمام تجربة حزب الله وقائده لدراستها والاستفادة منها واستخلاص العبر والنسج على منوالها في سلوكنا السياسي وصراعنا القومي مع أعداء أمتنا والمتربصين بمستقبلنا.

من الواجب على الأمة العربية أن تدرس تجربة حزب الله في لبنان لأنها التجربة الناجحة بين سلسلة من التجارب التي خاضتها الأمة منذ سبعين عاماً أي منذ ثورة عام ١٩٣٦ في فلسطين ضد محاولات التهويد بمساعدة البريطانيين والغرب كله لصهاينة أوروبا وأمريكا على استعمار هذا الجزء الغالي من أرض العرب.

منذ ذلك اليوم والعرب يقدمون الشهداء في ثورات وانقلابات وانتفاضات انتهى بعضها إلى نتائج كارثية وآل بعضها إلى الفشل وبقي بعضها الآخر صامداً في نضاله، كما هي الحال في انتفاضات الشعب الفلسطيني المناضل منذ أكثر من ثمانين عاماً أي من عشرينيات القرن العشرين وهو لا يبخل بالتضحيات ولا يعتريه الوهن، وإذا لم يقيّض له النصر حتى اليوم فلأسباب معقدة أهمها أن القوى الغربية المسيطرة على العالم تساند إسرائيل بلا تحفظ ولأن إمكانات الفلسطينيين العسكرية والمادية لا تقاس بإمكانات

عدوهم، والأمة العربية لا تلقي بثقلها إلى جانبهم، وعليهم هم أن يوحدوا صفوفهم وأن يتفقوا على استراتيجية موحدة للمستقبل، يلتزم بها الجميع.

في هذا الخضم التاريخي تأتي تجربة حزب الله في لبنان ويتكلل كفاحها بالنصر المؤزر في الداخل وفي مواجهة إسرائيل.

ففي الداخل أحدث حزب الله نموذجاً عالياً في تقديم الخدمات الاجتماعية والثقافية والصحية وبنيت بفضله المدارس والمستشفيات والمراكز الثقافية في منطقة تخلت الدولة عن مسؤولياتها فيها منذ استقلال لبنان.

وعندما مارس أعضاء حزب الله العمل السياسي في المجل النيابي اللبناني وفي المؤسسات العامة فرضوا نموذجاً أخلاقياً عالياً بسلوكهم وترفعهم وجديتهم في تناول القضايا العامة وشؤون الناس.

أما في مجال مقاومة العدو، فقد قاتل حزب الله الجيش الإسرائيلي الذي احتل لبنان في الثمانينات، دون هوادة مدة ستة عشر عاماً وهو يقدم الشهداء ويجترح البطولات حتى انعقد له لواء النصر الكامل عام ٢٠٠٠ عندما خرج الجيش الإسرائيلي من أرض لبنان مدحوراً لا يلوي على شيء، وكانت المرة الأولى التي يخرج فيها ذلك الجيش من أرض عربية احتلها، دون مفاوضات ودون شروط تمس سيادة البلد واستقلاله.

وبعد النصر العسكري سجل حزب الله نصراً أخلاقياً لا يقل عن النصر العسكري فقد خلف الجيش الإسرائيلي بعد هزيمته مئات من العملاء وراءه ممن نكلوا بأعضاء الحزب وعذبوهم في معتقل "الخيام" و"أنصار" الشهيرين ومنهم من جنده الإسرائيليون في صفوف مخابراتهم فوشى بالعشرات من المقاتلين وأهلهم وتسبب في موت كثيرين منهم والتشويه والدمار للآخرين. وعندما انتصر حزب الله على الإسرائيليين أصبح العملاء بلا حول ولا قوة وظنوا أن الحزب سينتقم منهم جزاء ما فعلوه ولكن قيادة الحزب أعطت أوامرها الواضحة بعدم المساس بأحد وترك أمرهم للمحاكم. وكان في ذلك حقن للدماء وحكمة بالغة في صون الصف الداخلي. ولم تحصل في الجنوب كله "ضربة كف" كما يقال. بعد انسحاب الإسرائيليين.

وفي الثاني عشر من تموز عام ٢٠٠٦ فرضت على حزب الله حرب إسرائيلية جديدة عمد فيها سلاح الجو الإسرائيلي بسيطرته الكاملة إلى تدمير منهجي لقرى الجنوب اللبناني وضاحية بيروت الجنوبية "حيث قيادة حزب الله" وجسور لبنان وطرقاته الدولية ومطاراته وشارك سلاح البحرية الإسرائيلي في عملية التدمير وقد نزح حوالي مليون مواطن من قراهم بعد أن دكت بيوتهم وقتل تحت أنقاضها شيوخ ونساء وأطفال. وجاء دور القوات البرية الإسرائيلية لتقوم بعملية اجتياح لبنان فاستدُعي ثلاثون ألفاً من جنود الاحتياط بالإضافة إلى الجيش العامل، وتقدمت مئات الدبابات الإسرائيلية وقد اعتادت من قبل أن تدخل أي أرض عربية دون خسائر تذكر. أما لبنان فكانوا يزعمون أنهم يخصصون لاحتلاله مجرد فرقة موسيقية! كانت المهمة واضحة. سحق حزب الله وتدمير سلاحه وصواريخه وقتل رجاله وأسر قياداته، واحتلال الجنوب اللبناني ومنع النازحين من العودة إليه.

منذ الخطوة الأولى للمعتدين على أرض الجنوب كانت المفاجأة صاعقة على الجيش الإسرائيلي. ففي قرية مارون الراس الحدودية صمد مقاتلو حزب الله في وجه دبابات الغزاة ومدفعيتهم وأمطر شمال الكيان الصهيوني ووسطه بوابل من الصواريخ، وهذا ما لم تعرفه إسرائيل من قبل، فقد كانت حروبها الماضية تدور على أرض الآخرين وتنعم مدنها ومستعمراتها بالهدوء والأمن. اليوم تتغير المعادلة وتتلقى حيفا وهي ثالث أكبر مدن فلسطين المحتلة رشقات متلاحقة يومية من الصواريخ البعيدة المدى، كما تتلقى أربعون مدينة ومستعمرة مئات الصواريخ كل يوم رداً على هجمات سلاح الجو الإسرائيلي على المدنيين في بعلبك وصور وصيدا وضاحية بيروت الجنوبية وكل قرية في الجنوب اللبناني.

والتحم المقاتلون اللبنانيون الشجعان بالجيش الإسرائيلي في كل قرية حدودية وبلدة وأوقعوا عشرات القتلى والجرحى في صفوف جنود النخبة الإسرائيليين ودمروا عشرات الدبابات واحترق من بداخلها. وكان صمود مقاتلي حزب الله وخسائر الجيش الإسرائيلي غير المتوقعة وفشل كل محاولات التقدّم، مفاجأة أربكت القيادة الإسرائيلية السياسية والعسكرية، وقد بلغت خسائرهم في يوم واحد ثلاثة وثلاثين قتيلاً ومئة وأربعة جرحى وخمس وثلاثين دبابة مدمرة.

وبدأ الإعلام الإسرائيلي والمعارضة يدعون إلى إجراء التحقيقات وإلى استقالة رئيس الأركان ووزير الدفاع ثم بدأ أهل الجنود القتلى يطالبون باستقالة رئيس الوزراء نفسه ومحاسبة المقصرين والمسؤولين عن فشل الحملة العسكرية.

ثلاثة وثلاثون يوماً من الصمود الأسطوري لفتيةٍ مؤمنين جابهوا جيشاً قيل أنه لا يقهر فقهروه وأدموه وأثبتوا عجزه وفشله وفي آخر يوم من الحرب كانت عيترون ومارون الراس وبنت جبيل وعيتا الشعب وغيرها ما تزال عصية على الغزاة يقفون عند أطرافها ويُقتل جنودهم وتدمر دباباتهم في وديانها وعلى تلالها.

كانت حصيلة ذلك كله زلزالاً سياسياً في إسرائيل ونصراً مدوياً للمقاومة ترددت أصداؤه في أوطان العروبة والإسلام من ماليزيا إلى موريتانيا وسارت المظاهرات المؤيدة لحزب الله في عواصم العرب والمسلمين ترفع رايات حزب الله وصور زعيمه السيد حسن نصر الله وتمجد انتصاره على العدوان.

وسقطت آمال الذين راهنوا على هزيمة حزب الله وقتل أفراده واضطرت أمريكا التي أصرت على إطالة زمن الحرب كي تتيح الفرصة لإسرائيل لسحق المقاومة، أن ترضخ أخيراً للأصوات التي تطالب مجلس الأمن بوقف القتال بعد أن أصبح ذلك مصلحة إسرائيلية عاجلة إذ لم يعد ثمة أمل في إحراز نصر ولو كان جزئياً، وسلمت دول الغرب بالأمر الواقع وصدر قرار بوقف الأعمال الحربية من مجلس الأمن بعد ثلاثة وثلاثين يوماً من المماطلة والتسويف.

لقد رأى العالم بأسره والعرب في الطليعة، صنفاً جديداً من القيادة وصنفاً جديداً من المقاتلين في هذه الحرب. كان حسن نصر الله، بإجماع الناس صادقاً إلى درجة الشفافية فيما له وفيما عليه، ثابت الجنان كالطود الراسخ، هادئاً كمحيط بعيد الغور، وهو الذي اعتبرت القيادة الإسرائيلية قتله نصرها الذي تبحث عنه وأخذ الطيران الإسرائيلي بمساعدة العملاء يطارده من بيت إلى بيت ومن ملجأ إلى ملجأ. وحين ظن أحد عملائها أنه رآه يدخل إلى بناء غير مكتمل. كان البناء يتلقى خلال ثلاث دقائق ثلاثة وعشرين طناً من القنابل حسب ما أعلنته إسرائيل ولكنهم أرادوا شيئاً وأراد الله غيره!

ذكر مراسل محطة الجزيرة أنه عندما دخل بعض الملاجئ في شمال إسرائيل (فلسطين المحتلة) قال له الإسرائيليون "نحن نصدق نصر الله ولا نصدق قادتنا".

إن الصدق فضيلة لابد منها للقائد في حالتي الحرب والسلم، وقد عرف العرب في تاريخهم الحديث كثيراً من صنوف الخداع والمراوغة مما يجعلهم لا يجدون من مصداقية القائد بديلاً.

تجربة حزب الله التي قادت إلى النصر في الحرب وفي الإعمار، يجب أن تستفيد منها الأحزاب والمنظمات العربية، ولابد لها إن كانت تبتغي الفوز، أن تستلهم إيمان أولئك المقاتلين بقضيتهم فمن دون الإيمان الراسخ ليس ثمة ثبات في قتال ولا صبر في نضال. فهل تساءلت القيادات السياسية والعسكرية العربية عن مدى إيمان جيوشها بالقضية التي يقاتلون من أجلها وماذا فعلت من أجل ذلك، مع التذكير بأن الغوغائية هي غير الإيمان.

ومع الإيمان نستلهم من حزب الله نظامه وانضباطه وهذا في جوهره موقف أخلاقي قبل أن يكون انصياعاً للأوامر وهو ينبع من إدراك الفرد العميق لحريته ومسؤوليته تجاه الهدف الذي يؤمن به، فهو جزء من كل ولابد لحركته أن تكون منسجمة مع ذلك الكل.

ومن أول الصفات التي هيأت لحزب الله سبيل النصر فضيلة التواضع لدى القاعدة والقيادة وهي فضيلة لا يتحلى بها إلا الأقوياء والواثقون، وهم وحدهم القادرون على محبة شعوبهم وخدمتها بعيداً عن النزعة الاستعراضية والغطرسة والتقاتل على الرئاسات.

إن مسيرة الأحزاب العربية والمنظمات والجماعات، مليئة بالدروس والعبر وأصناف الانقسامات والتباغض والشلل والحروب بين الأخوة وهذا ما يفسر فشلها.

أما قيادة حزب الله وأما شخصية السيد حسن نصر الله فلا تحتويها المقاييس فهي أقرب إلى الموهبة الإلهية التي يمنحها الله للقلائل من بني البشر الذين لا يبتغون من الدنيا مالا ولا جاهاً بل يكرسون أنفسهم لخدمة قضية يؤمنون بها ويستشهدون في سبيلها.

مُعِزُّ المسلمين ورجل القرن الحادي والعشرين

الدكتور الشيخ أحمد راجح(*)

إن انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان رسَّخ حقيقة إيمانية تحدَّث عنها القرآن الكريم فقال: ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ وتعهد ربنا جل وعلا فقال: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾.

وإن من عوامل تحقيق النصر:

أولاً: الإيمان بالله الذي يملك النصر.

ثانياً: الإيمان بالحق الذي ندافع عنه ونعمل من أجله.

ثالثاً: الإيمان بالقيادة طاعة ومحبة.

رابعاً: الإرادة الكاملة لتحقيق الهدف المرسوم من غير تردد أو شك.

وكل هذه الأمور هي التي حققت الانتصارات في مسيرة الدعوة الإسلامية وفي كل المعارك فكان الإيمان بالله ثم العمل كله لله مع الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله هو الغاية والهدف وكانت إرادة المؤمنين التي لا تعرف اليأس ولا الضعف هي الصخرة الصلدة التي تتحطم عليها كل قوى العدوان والكفر، لذلك كان أصحاب رسول الله (ﷺ) يجاهدون من أجل أسمى غاية وأنبل هدف وهو الشهادة في سبيل الله لذا كان رسول الله (ﷺ) يقدم حصة المجاهد من الغنيمة فيقول: ما هذا يا رسول الله؟ فيقول: حصتك من الغنيمة فيقول: ما على هذا بايعتك إنما بايعتك على الإسلام من أجل أن أُجاهد معك فأُصاب بسهم ههنا في حلقي فأستشهد فأدخل الجنة.

(*) داعية إسلامي ومن كبار علماء الدين في سورية.

وأما القيادة فكانت أعظم قيادة في التدبير والتخطيط في البذل والعطاء في التضحية والفداء صورة مشرقة للقدوة الحسنة لذلك جاء الأمر من الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾.

من خلال هذه العوامل المترابطة تحقق النصر في مستقبل الرسالة الإسلامية.

وكان الإسلام وعلى مر الدهور والأعوام وتقلب الليل والنهار هو الحل وخاصة في معارك مواجهة أعداء الإسلام.

ولو أننا استنطقنا التاريخ لوجدنا أن النصر على الصليبيين حين هاجموا بلاد الشام ما تحقق إلا على يد المسلمين الصادقين في إسلامهم بقيادة المجاهد صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين عندما أعاد للقدس عروبتها وإسلامها.

وكان الإسلام هو الحل في معركة عين جالوت حيث تحقق النصر على التتار بقيادة المجاهد الأمير قطز المملوكي.

وفي العصر الحديث كذلك كان الإسلام هو الحل على يد العلماء العاملين الصادقين المخلصين. ففي ا لجزائر كان الشيخ ابن باديس قد هيأ للثورة الجزائرية ضد فرنسا وهو الذي ربى وعلّم قيادة جبهة التحرير الجزائرية.

وفي سورية كان علماء الدين أمثال الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ علي الدقر والشيخ هاشم الخطيب وتلامذتهم وأتباعهم هم رجال الثورة السورية ضد فرنسا المحتلة.

وقد شهدنا وليس منا ببعيد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام السيد الخميني الذي قاد مسيرة الثورة حتى تحقق النصر وأعاد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم وأن الإسلام قادر على أن يقود الأمة لتحقيق ذاتها ومستقبلها وانتصاراتها، وموقف إيران اليوم في مواجهة المنظمات الدولية التي تعمل لتحقيق أغراض دولة الاستكبار والظلم في السيطرة على العالم وهي أمريكا ومن ورائها إسرائيل، هو موقف نابع من عقيدة الشعب الإيراني المسلم.

وكذلك ونحن نعلم وقد عايشنا مراحل القضية الفلسطينية ومن خلال ما يزيد على خمسين سنة، أنه لم تستطع كل المنظمات التي حملت أسماء

وشعارات بعيدة عن الإسلام أن تحقق للشعب الفلسطيني أي مكسب وطني أو سياسي أو اجتماعي مع العدو حتى نزل الإسلام إلى ساحة المعركة بحركة حماس التي أسسها الشيخ أحمد ياسين مع أبنائه من المجاهدين، هنالك تحركت القضية الفلسطينية بالإسلام الحركي الاستشهادي.

ونحن نرى اليوم كل معطيات العدو لإنهاء هذه الحركة والقضاء عليها بالتعاون مع كل القوى العدوة في أمريكا وأوربا ومن معهم من المتخاذلين.

وهنا أصل إلى المقاومة الإسلامية التي استطاعت أن تحقق النصر سابقاً في عام ٢٠٠٠م في جنوب لبنان وأجبرت العدو الإسرائيلي على الانسحاب من غير قيدٍ ولا شرط، بل اعتُبِر ذاك الإنسحاب هروباً واندحاراً أمام ضربات المقاومة الإسلامية اللبنانية.

واستطاعت هذه المقاومة الإسلامية أن تحقق لأمة العرب نصراً وعزة وكرامة من جديد كما تطلع إليها أبناء هذا الشعب في عام ٢٠٠٦.

وقد أثبت الواقع أن النصر يحتاج إلى الإنسان المؤمن القوي الصادق صاحب الإرادة التي لا تعرف الانهزام ولا التردد قبل السلاح والعتاد.

وقد استطاعت هذه المقاومة الشريفة أن تحدد الهدف الذي تعمل من أجله فأعدت الإنسان الذي أثبت وجوده في كل المعارك مع العدو فكان دائماً هو الأقوى والأجدى.

وقد هيأ الله لهذه المقاومة رجُلاً شجاعاً حكيماً مؤمناً صادقاً خرج من بين صفوف شعب المقاومة ليكون قائداً بحق وهو سماحة السيد حسن نصر الله الذي إذا تكلم أقنع، وإذا هدَّد أفزع وإذا وعد كان عند وعده، لفت أنظار العالم برجولته وحرك الجماهير بصدقه وابتسامته، إذا تحدث فمن قلبه، وإذا قال فمن روحه، لذلك كان القائد الفذ الذي لا يتعالى ولا يترفع بل تجده في قمة انتصاراته متواضعاً شريفاً يعيد الفضل أولاً لله تبارك وتعالى، لا يتبجح ولا يتكبّر يعيش مع إخوانه وأهله واحداً منهم لذلك نجد سماحة السيد حسن نصر الله له في كل القلوب محبة واسمه على الشفاه ذِكْراً حسناً وسمعة طيبة.

أقول إن سماحة السيد هو رجل القرن الحادي والعشرين الذي فتح آفاق الأمل المشرق لأمة العرب والإسلام وبشّر بالنصر الأكيد الذي انتظره العرب سنين طويلة، بعد أن دبّ اليأس في القلوب، ووصل الشعب إلى درك الإحباط، وظَنّ بل ربما علم أنه ليس من الممكن الوقوف في وجه اليهود المحتلين لفلسطين، ولكن جاءت المقاومة الإسلامية في لبنان لتقلب موازين القوى ولتغير الصورة من السلب إلى الإيجاب ولتعطي الدليل الأكبر أن جند الإسلام لا يمكن أن تهزم لأنهم حققوا شرط النصر في قوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾.

وعلم العالم نعم العالم كله أن الإسلام لا زال موجوداً وأن المقاومة الإسلامية هي الأصلب والأقوى، وأن أمة الإسلام لا يمكن أن يجفّ عطاؤها، ولا أن تنتهي مسيرتها، ولكن ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾.

وهنا لا بد لي أن أشير وأشير بأن تساند الأيدي، وتضافر الجهود بين المقاومة والشعب، كان له الأثر الواضح في تحقيق النصر، فالرجل والمرأة والطفل الصغير بل كل مسلم ومسلمة وليس في لبنان وحدها ولكن على مساحة العالم العربي والإسلامي، كانت قلوبهم تلهج بالدعاء للمجاهدين (اللهم نصرك اللهم أمدهم بملائكة من عندك، اللهم أمدهم بقوة من عندك).

وهنا يطيب لي أن أقول كلمة أبتغي بها وجه الله خالصة لله أقول: إن انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان بقيادة الأمين سماحة السيد حسن نصر الله، كان له التأثير الأكيد والعظيم في توحيد صف المسلمين من السنة والشيعة تحت لواء (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وإنني أجد أن هذا الانتصار للمقاومة كان أجدى وأنفع من كل مؤتمرات التقريب بين المذاهب، لأن المؤتمرات تكون لفئة خاصة من العلماء والباحثين، أما انتصار المقاومة الإسلامية فكان لقاءً بين أبناء الشعب الإسلامي كله من غير منظمات ولا لقاءات ولا اجتماعات ولا قرارات، ولهذا أجد أن صُوَر الأمين السيد حسن نصر الله قد ارتفعت في كل البلاد وبأيدي كل المسلمين.

وأخيراً أقول: لقد رسمت المقاومة خط الانتصار ودرب التحرير وسيكون المسلمون على الأعداء في كل يوم عاشوراء وفي كل مكان كربلاء، والمسلمون جميعاً يداً واحدة على من سواهم. الله مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

فاتحُ التاريخ العربي الإسلامي

الدكتور طيب تيزيني(*)

جاء الانتصار العسكري الذي حققه حزب الله على إسرائيل ليحدث خرقاً نوعياً خاصاً في الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية، وربما كذلك الأميركية. ولعل أعظم درس أنتجته هذه الحرب تمثّل في أمرين اثنين هائلين. أما الأول منهما فيقوم على سقوط نظرية فوكوياما حول نهاية التاريخ واستقراره، أخيراً على النظام العولمي الأميركي. فلقد جاء الانتصار المذكور ليقدم دليلاً قاطعاً على أن النظام المذكور ليس أبدياً وأنه على شعوب العالم، من ثم، أن تستجيب له على نحو كلي، خصوصاً في حقله العسكري. وقد انسحب ذلك، تحديداً على الجيش الإسرائيلي. فهذا الأخير الذي قدم نفسه على أنه الجيش الذي لا يقهر، عاش هزيمة عسكرية مرغت أنفه في الطين؛ وهو لا يزال يعيشها: لقد انفتح التاريخ، بعد الاعتقاد الإيديولوجي بأنه وصل غايته؛ وانكسر الجيش الإسرائيلي المدجّج بالسلاح الأمريكي، بعد أن كادت الاستراتيجية العسكرية أن تكرس قدرته الخارقة.

أما الدرس الثاني المستخلص من الحرب التي انتهت إلى انتصار حزب الله على الجيش الإسرائيلي، فيحمل دلالات كبرى وذات خصوصية بالغة الأهمية على الصعيد العربي؛ نعني الدلالات التي تتصل باحتمالات المشروع النهضوي التنويري العربي.

فعلى العكس مما انتهى إليه باحثون ومحللون ومفكرون من أن حديثاً عن هذا المشروع غدا من قبيل الوهم واللغو، فقد أتى الانتصار العتيد ليبعث الروح في حياة العرب الخائري القوى، وليقدم إليهم أُمثولة في كيفية اختراق النظام العالمي الجديد بأحد المداخل التي تُفضي إليه، وهو المدخل الإسرائيلي الصهيوني. لقد كاد الجميع أن يرفعوا أيديهم مستسلمين أمام ذلك الشر ومدخله

(*) مفكر سوري ــ أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق.

المذكور، واصلين بذلك إلى الاعتقاد بمصداقية الثنائية الاستشراقية القائلة: الشرق شرق، والغرب غرب، ولا يلتقيان؛ ومن ثم إلى المصادقة على أن الغرب هو صانع التقدم التاريخي بصيغه العلمية والاقتصادية والعقلانية التنويرية، وعلى أن الشرق - بعكس ذلك - إنما هو حقل جيوسياسي وثقافي حضاري لا يحتمل التقدم المذكور، بقدر ما ينتج الخمول والتقاعس ومنظومة الفكر اللاعقلاني الإتكالي واللاتاريخي. فالعرب مسلمين وغير مسلمين كاد يهيمن الاعتقاد عليهم منذ إخفاق مشروعهم النهضوي التنويري في القرن التاسع عشر - بأنهم غير جديرين بمثل هذا المشروع، وبأنهم بالأساس، غير مهيأين لانتصار ما، بعد دخول العالم عصر الاستعمار والإمبريالية (والعولمة الآن).

ويأتي حزب الله بقيادة القائد العربي اللبناني المحنك وسليل البطولات والأبطال في التاريخ العربي الإسلامي الممتد من النبي العربي إلى كوكبة ممن أسهموا في صنع هذا التاريخ في حلقاته المضيئة الكبرى، وكذلك في حلقته المأساوية كما تجلت خصوصاً بالحسين وموسى بابن النصير ويوسف العظمة وغيرهم. لقد أجاب هؤلاء جميعاً عن السؤال التالي بكيفية إيجابية بليغة: هل تستطيع العين مواجهة المخرز؟ وبذلك أسهموا - وآخرون - في الإبقاء على أدلة مفادها أن التاريخ يبقى مفتوحاً، مهما كان محاصراً؛ إلا أن السؤال في ذلك هو التالي: من هم أولئك القادرون على إبقاء هذا التاريخ مفتوحاً، بقدر أو بآخر، حتى في أحلك الظروف وأكثر الأحداث مأساوية؟

ويبقى في معمعان ذلك كله، أن نطرح السؤال التالي على المنتصرين في الحرب ضد الصهيونية والمشروع الصهيوني الأمريكي: أين يجد الانتصار العسكري العتيد تجسداته وتجلياته في المجتمع اللبناني والعربي الإسلامي عموماً؟ هل أتى هذا الانتصار ليجد نهايته في تمجيده، أم ليكون بمثابة الحافز على التأسيس لمشروع نهضوي تنويري عربي في لبنان والعالم العربي الإسلامي؟ إن أهم نقاط التوهج في ذلك ربما تمثلت في أن الانتصار المذكور أعاد الاعتبار التاريخي للمشروع العربي المذكور، الذي يتجلى في مشروع سياسي ديموقراطي حضاري في كل من البلدان العربية، وبحسب الخصوصيات التي يمتلكها كل منها. وهو ولا شك أمر ذو بعد استراتيجي، وحاسم إذا ما وضع في سياقه التاريخي التأسيسي الجديد.

تلميذ مدرسة عاشوراء

الدكتور الشيخ نبيل حلباوي[*]

١ ـ السنن الإلهية في التاريخ ثوابت من الصيغ والمعادلات على صعيد المجتمعات وتطورها ومصائرها لا تتبدل ولا تتحول:

﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾

٢ ـ ومن تلك السنن أن الحق والباطل على مستوى الاعتقاد (أي ما يطابق الواقع وما يخالفه) والخير والشر على مستوى القيم والصلاح والطلاح على مستوى العمل في صراع دائب دائم سيكلل بمشيئة الله تعالى بانتصار الحق والخير والصلاح

﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾

﴿فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾

٣ ـ والإسلام هو المنهج الأشمل والأكمل والأبقى للحق والخير والصلاح يصدّق الأديان كلها ويتوّج مسيرة الأديان الإلهية المنبع الإنسانية المصبّ، ويتبنى منظومة القيم الإنسانية جميعها ويضع الخطوط العريضة لبرامج اجتهادية منظورة تتناغم والزمان ومكتسباته ومقتضياته وتحقق صلاح البلاد والعباد.

لذا كان بحسب السنة الإلهية هو المنتصر في آخر المطاف لينتصر بانتصاره الدين والقيم والسلوك الأمثل:

(*) أكاديمي سوري ـ إمام جمعة مقام السيدة رقية عليها السلام.

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كله ولو كره المشركون﴾

٤ ـ ولكن المشيئة الإلهية تأبى أن يجري كل ذلك إلا بأسبابه وأدواته البشرية المختارة وذلك هو قانون الدفع، فلابد من دور لأنصار الحق والخير والصلاح في مقابل أشياع الباطل والشر والفساد ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾

٥ ـ وقد حمل أعباء هذا الدفع على مر التاريخ وتحملها القادة الإلهيون من أنبياء وصديقين وشهداء وصالحين، أولئك الذين يتوق كل الأحرار والأنصار إلى أن يلتحقوا بركبهم في الدنيا والآخرة وذلك هو مشروع المقاومة الكبرى المظفر في الناس وعند الله تعالى.

﴿أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾

٦ ـ وتنبع قيمة عاشوراء الزمان وكربلاء المكان من دور حفيد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وابن الإمام علي والسيدة الزهراء عليها السلام في أعظم تضحية ملحمية وأكبر عملية استشهادية لحفظ الإسلام من خطر يحيق به ويهدد بتفريغه أو تحريفه أو طمسه؛ لذا صارت هذه الملحمة الحسينية راسمة المنهج ومؤصلة الخط لكل من يريد أن يحافظ على الإسلام ومشروعه المستقبلي المستمر في مقابل أعداء الداخل والخارج.

٧ ـ ومن هاهنا جاءت الثورة الإسلامية في إيران بقاعدتها الشعبية وقيادتها الخمينية لتقولها بملء الفم مرددة مع الإمام القائد قدس سره (كل ما لدينا من كربلاء، كل ما لدينا من عاشوراء) تلك الثورة التي كرست انتصار الدم على السيف والشعب على جلاده، بتداعياتها ومفاعيلها وامتداداتها بحيث دفعت أحد قادة العدو الإسرائيلي التاريخيين موشي دايان ليصرح بقوله: لقد بدأ عصر الظلمات (ويقصد الظلمات التي تحيق بالكيان الإسرائيلي المصطنع والمشروع الصهيوني الخبيث)

٨ ـ وبعد أن أدمنت الأمة ـ بتآمر من الاستكبار العالمي وحليفه الصهيوني والأنظمة العربية الرسمية المتخاذلة والعميلة ـ ثقافة الهزيمة في مقابل العدو الإسرائيلي الذي صوّر جيشه على أنه الجيش الذي لا يقهر، جاءت المقاومة الإسلامية في لبنان ـ بقيادة حزب الله وزعيمه القائد العاشورائي سماحة السيد حسن نصر الله ـ لتنسخ تاريخ الهزائم وتفتح باب الانتصارات مستلهمة كربلاء وعاشوراء، فكان انتصار حرية أكثر الأرض وانتصار تحرير أكثرية الأسرى.

٩ ـ ومع الحرب الإسرائيلية (١٢ تموز ـ ١٤ آب ٢٠٠٦)، والعربية الإسلامية الأولى تمكنت هذه المقاومة بإعدادها المذهل وتمرسها الرفيع بفنون القتال وثقافتها الكربلائية التضحوية وبمجتمع المقاومة الملتف حولها الحاضن لها المتمسك بخيارها على الرغم من أبشع تدمير وتشريد لحق به بفعل آلة الحرب الإسرائيلية الأمريكية، وبقيادتها الفذة المتمثلة بسماحة السيد حسن نصر الله وإخوانه ورجاله، هذه القيادة الفريدة في عقلها وإيمانها واتزانها وثقتها بالله تعالى وبراعة إرادتها للمعركة، تمكنت من تحقيق أعظم انتصار استراتيجي تاريخي على العدو الإسرائيلي، وأمريكا وداعميه الغربيين والأنظمة العربية الفاسدة المتآمرة معه، لتنطلق تداعيات هذا الانتصار في الكيان الصهيوني ومن ورائه الاستكبار الأمريكي ومشروعهما الشرق أوسطي.

١٠ ـ وهكذا انطلقت الأمة انطلاقة جديدة بحيوية وليدة لتستشرق بهذه الانتصارات الأفق الموعود للدولة الإلهية التي ستملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً بقيادة مهدي الأمة وختام الأئمة عليه السلام.

﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾

١١ ـ فما أسرار هذه الصيغة العاشورائية لهذا القائد الكبير وما منابعها؟ إنها ثمرة من تتلمذ على الإسلام المنفتح المعتدل المستقيم عقيدة ومنهجاً وسلوكاً في مدرسة القرآن الكريم والرسول العظيم صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام والصحابة الأخيار رضوان الله عليهم، إسلام الوحدة والعزة والبطولة.

ومن تأثر بعاشوراء الحسين عليه السلام، الثورة الإسلامية المعصومة بكل أبعادها، ووليدتها الثورة الإسلامية في إيران وقيادتها الخمينية فالخامنئية، قيادة العالم العادل الكفيّ وصلته بأستاذه المباشر سماحة السيد عباس الموسوي الأمين العام السابق لحزب الله أحد كبار خريجي المدرسة العاشورائية برتبة شهيد.

ومن جَهِدَ جهده المتميز في هضم الثقافة العاشورائية وبثها في قواعد حزب الله ومقاتليه الأشاوس وقدّم دروسها للجماهير المسلمة والحرة في المراسم العاشورائية على مدى سنوات وسنوات من خلال تلفزيون المنار القناة الإسلامية الشمعة المتألقة.

١٢ ـ وأما تجليات هذه الصيغة العاشورائية لهذا القائد محبوب الجماهير العربية الإسلامية وأحرار العالم فتظهر في مدى عمق رؤيته الاستراتيجية وشموليتها وسمو الأهداف التي يتطلع إليها وحزبه العظيم ونقاء الوسائل والأساليب التي يعتمدها، ومستوى التضحية التي ارتقى إليها حين قدم ابنه وفلذة كبده شهيداً ووضع نفسه باستمرار على أهبة الاستشهاد.

وفي توهج الشعارات التي استحضرها من عاشوراء ليجعلها على شفاه الأحرار وهتاف حناجرهم جميعاً (هيهات منا الذلة)، وتبرز أهمية هذه الصيغة العاشورائية في توحيدها لخندق الجهاد والمقاومة والاستشهاد في لبنان وفلسطين مما يستثير حفيظة الاستبكار العالمي والحقد الصهيوني والتخاذل العربي وفي تذويبها لكل الحواجز التي حاول المستكبرون ويحاولون تكريسها بين أطياف الأمة، ليخرقوا الأمة ويهدروا فاعليتها ويستنفذوا طاقاتها، صراعاً باسم الطائفية والتعصب الديني والقومي والتنافر الإقليمي، مما يُعدُّ مشروع الشرق الأوسط الكبير فالجديد الذي بشرت به وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس مع بدء العدوان الإسرائيلي والحرب الصهيونية الأمريكية، ويحقق أعظم تلاحم وتناغم للشارع العربي والإسلامي في تاريخه المعاصر.

١٤ ـ ويبقى أن آفاق هذه الصيغة العاشورائية وتكريس تأثيرها الإيجابي في مستقبل الأمة انتصارات، متلاحقة وعزةً مؤكدة ووحدة متراصة يحتاج إلى

مشروع استراتيجي شامل يؤطر كل المكتسبات والإيجابيات التي تحققت من خلال تعميق ثقافة المقاومة وتعميمها على الجماهير العربية والإسلامية وحشدها للوطني والقومي والإسلامي.

وبناء مجتمع المقاومة الذي يحتضن المقاومة القائمة، الملتزمة بتوحيد صراعها وتوجيهه ليكون ضد الاستكبار العالمي وحليفته الصهيونية والكيان الإسرائيلي المصطنع، ولا يتخلى عنها مهما عظمت الامتحانات، متأسياً بشعب فلسطين البطل والجنوبيين الذين عادوا إلى ديارهم على الرغم من الخراب وبقاء بعض قوات الاحتلال الصهيوني حتى قبل وقف إطلاق النار ولم يتزعزعوا لحظة واحدة عن نصرة المقاومة خلال الحرب الأخيرة وأبطلوا بذلك أبرز أهدافها.

١٥ ـ وبعد، إن هذا القائد العاشورائي الشاب من أغنى وأخصب ما أفرزته هذه الأمة في تاريخها المعاصر، وهو برهان ساطع على حيويتها وقدرتها على العطاء، وبشارة متألقة بمستقبل واعد لها، ونذير بإفلاس كل مخططات الكيد لها والمكر بها والتآمر عليها من أعداء الداخل والخارج.

فله كل الحب، وكل الاحترام، وحفظه الله ورعاه، وأمد في عمره، وزاده تألقاً وإشعاعاً، وأجرى النصر تلو النصر على يديه، وجعل الأمة كلها حزب الله:

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون﴾ ﴿ومن يتَولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾

صدق الله العليّ العظيم

والحمد لله رب العالمين

المفكر السوري عبد الكريم الأشتر

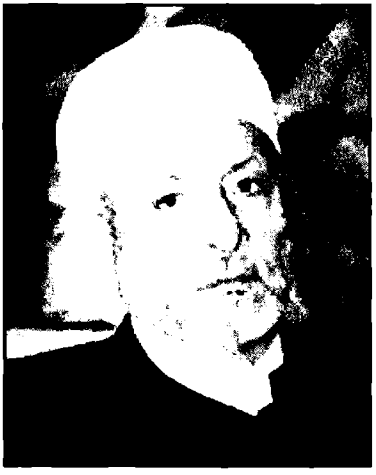

المفكر الشيخ وهبة الزحيلي

الدكتور ماهر الطاهر

المفكر السوري طيب تيزيني

الحسينيُّ النهج والممارسة

الدكتور زهير غزاوي(*)

إذا كانت كربلاء تعنى في التراث الإسلامي مقولة انتصار الدم على السيف، فإن منهج حزب الله عبر سلوك وأقوال أمينة العام ظلت تعنى السعي إلى ترجمة هذه المقولة عبر استثمار الدم من خلال الاقتداء بسيرة الإمام الحسين(ع) وآل بيته في صراعهم غير المتكافئ مع عدو ظالم.

إن المتابع لمسيرة الأمين العام لحزب الله يلمس إصراره الدائم على استخدام المنبر الحسيني في التحريض والتعبئة إلى أبعد الحدود، فهو يحرص سنوياً على إحياء هذا المنبر بنفسه، ويلقي كل يوم من الأيام العشرة لشهر محرم بكلمة دينية ـ سياسية أمام جماهير الحزب، وفي كلماته يُضمن اسقاطات واضحة من الماضي على الحاضر، بحيث تم ربط النضال الحالي للمقاومة الإسلامية برموز وأدبيات تلك المرحلة البعيدة قبل أربعة عشر قرناً. وإذا استعرضنا سيرة ربع قرن من تأسيس الحزب، فإن العهد الذي تولى به سماحة السيد حسن نصر الله قيادته منذ ثمانية عشر عاماً، حفلت بوجه يسعى لكي يجسد التضحية الكربلائية شكلاً ومضموناً. فالأمين العام يتقمص دائماً شخصية الإمام الحسين (ع) سواء في انتمائه لأهل البيت نسباً، أو في سيرته الجهادية والتقشفية، والروحانية معاً. لذلك رأينا في تلك المسيرة انتهاج سياسة ربط عرض القوة الجماهيرية في يوم عاشوراء، بحدث مجزرة الطف باعتبارها انطلاقة مدرسة أهل البيت تاريخياً نحو إصلاح الأمة بمختلف

(*) باحث إسلامي فلسطيني.

الوسائل، وعلى رأسها في الواقع اللبناني، القوة المسلحة، أي بذل الدم في جهاد غير متكافئ من أجل تحقيق مصداقية مقولة انتصار الدم على السيف، والذي تجلى في انتصارات حقيقية متلاحقة، ربما كانت الأولى في مسار الصراع العربي الإسرائيلي الممتد لنصف قرن أو يزيد.

لقد ظلت أهم مبادئ وثوابت حزب الله الذي تأسس على قاعدة النضال لتحرير الأرض والإنسان معاً، بكلمات الإمام الحسين عليه السلام حول الإصلاح في الأمة، وحفظ الدين الإسلامي من الانحراف، ولعل متابعة خطابات السيد نصر الله، وما كتب عن الحزب عبر مسيرته النضالية الطويلة، تثبت مصداقية الرجل والحزب معاً.

فليس معنى الاستشهاد هو سعي للموت أو العدمية، بل ظل في عرف الأمين العام ومفكري الحزب توجّهاً نحو بناء الحياة للوطن اللبناني، وللأمة الإسلامية كلها من خلال التأكيد على ارتباط النضال في لبنان بكل قضايا العالم الإسلامي، وعلى رأسها قضية فلسطين. ومن هذا المنطلق طرحت مسألة المقاومة باعتبارها وسيلة للتأكيد على جوهريتها في إطار الفعل المتكامل لعملية النهوض والإصلاح ومواجهة المستكبرين والتقدم بشكل شامل.

إن كلمات الأمين العام، سواء القديمة منها أو المتجددة أثناء العدوان الصهيوني في ١٢ تموز ٢٠٠٦، تصر على مسألة ارتباط المقاومة بإحياء الأمة والعودة إلى نظرية الأمة الإسلامية الواحدة، التي طرحها الحسين (ع) في زمنه "ما خرجت أشراً ولا بطراً وإنما أردت الإصلاح في أمة جدي".

ذلك أن مفهوم الأمة الإسلامية يعود إلى الواجهة من جديد عبر تأطير الانتصارات التي حققتها المقاومة بمقولة إمكانية الأمة المستضعفة على تحقيق مواجهة مثمرة مع عدو بالغ التفوق باستلهام كربلاء، وتوضح ما حققته من نهوض حقيقي لأمة استطاعت فعلاً من خلال اتباع مدرسة أهل البيت على مر الأزمان، بناء حضارة فكرية وعلمية لا مثيل لها باعتراف الجميع.

يقول باتريك سيل "لقد استطاع حزب الله وأمينه العام أن يقدما حادثة كربلاء قبل أربعة عشر قرناً للعالم المعاصر، كما لم يستطع الشيعة في أي عهد من العهود، وساعد في ذلك أيضاً الانتشار الهائل للفضائيات، والواقع أن مصداقية السيد حسن نصر الله تجلت في هذه الإمكانية ومن خلال تربية المقاتلين على التمثل بالإمام الحسين وآل بيته، نظرية وتطبيقاً".

إن مما تجدر الإشارة إليه هنا أن السيد نصر الله وقد قدم وعداً بالنصر قبيل وأثناء الحرب رغم معرفته بانعدام تكافؤ القوى، والرفض الإقليمي العربي، واستحالة وصول أية مساعدات للمقاتلين في ظروف الرقابة اللصيقة للقوى الغربية وإسرائيل، جاء انطلاقاً من إيمانه العميق بأن الدم سوف ينتصر على السيف فعلاً. وأمام أنظار العالم المشدوهة وهي تشهد انسحاب جيش العدو من الأراضي اللبنانية معترِفاً بهزيمة لا مثيل لها، فإن نظرية جدوى المقاومة الإسلامية، بل والمستضعفين في كل مكان على الأرض، أصبحت من الأمور المحتومة بعيد انهيار معظم قوى الممانعة في العالم الإسلامي رسمياً وشعبياً.

ويطل وجه الحسين المدمّى على شاطئ الفرات في ذلك اليوم القائظ من حزيران وعلى شفتيه ابتسامة، أن ما وعد به قد تحقق، وليصبح سماحة السيد حسن نصر الله مرادفاً للرموز الأكثر شعبية عند المستضعفين في كافة أرجاء المعمورة.

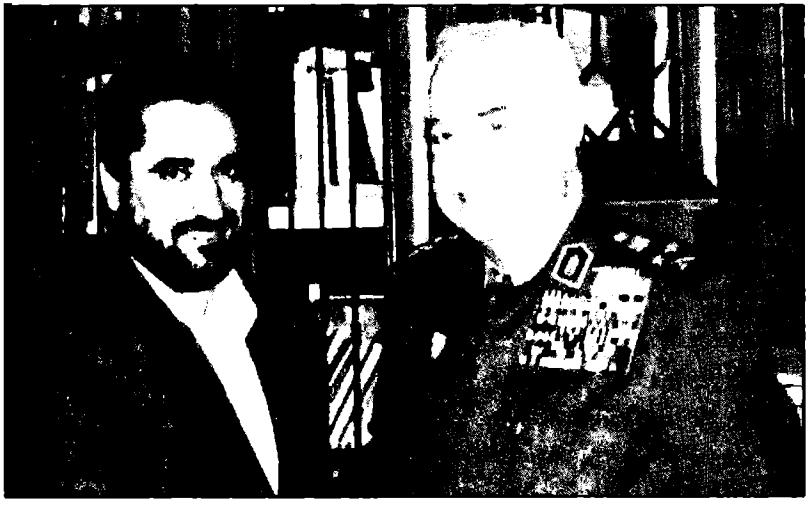

مع العماد الأول مصطفى طلاس ـ دمشق 1998

قائد الجهاد الموحّد
لجماهير الأمة

الدكتور الشيخ محمد الحبش(*)

إنّ قرار الصمود والمقاومة، كان قراراً صعباً، لأنَّ الإسرائيلي ومن ورائه القوة الأمريكية الضاربة، لم يكن يتوقع أن يتمتع المقاومون اللبنانيون بمثل هذه الروح الجهادية.

إنّ إسرائيل وكما تعودت في كل المعارك التي خاضتها، مثل حرب الأيام الستة في حزيران ١٩٦٧ وحرب الثلاثة أيام (١٩٧٣) وحرب اليومين(١٩٨٢)، لم تتصور أن يدوم عدوانها على لبنان سواء ساعات، لكنها وجدت نفسها تخوض صراعاً مريراً على مدى ثلاثة وثلاثين يوماً، كما اضطر ثلث الشعب الإسرائيلي إلى الاحتماء بالملاجئ خوفاً وهلعاً جراء ضربات المقاومة الإسلامية اللبنانية التي طاولت عمق الكيان الصهيوني. لقد كان ذلك كله مدهشاً للعالم، حيث سجّل أبطال المقاومة ملحمة انتصار وصمود وثبات.

من وجهة نظري فإن أبرز ما ميّز ملامح قيادة السيد حسن نصر الله للمعركة، هو كفاءته السياسية، رغم قلة الإمكانات، والطعن من الظهر، وهذه الحالة كانت أشدّ وقعاً من المواجهة المصيرية التي خاضها المقاومون، ذلك الطعن المؤذي الذي لم ينقطع خلال المعركة، لكن سماحة السيد نصر الله تمكن من إغلاق ملف الجدل الداخلي بالكليّة، وتوجّه صوب العدو.

حتى أنه تعامل مع الفتاوى اللئيمة التي صدرت خلال أيام الحرب، تخذِّل عن المجاهدين وتشتت شمل الداعمين للمقاومة، بكل حكمة، فلم

(*) عضو مجلس الشعب السوري ــ رئيس مركز الدراسات الإسلامية في دمشق.

يرغب في فتح هذا الملف أثناء المعركة، وترك كلَّ الناس يتحدثون فيه، إلا فريق حزب الله، لقد مثل هذا الموقف حكمة وإرادة.

إن حزب الله وبعد أيام الصمود الطويلة تمكن من انتزاع اعترافات العدو الإسرائيلي من خلال مواقعهم ومحافلهم التي لا لبس فيها، تؤكد على أن الانتصار، كان لصالح المقاومين، وأن الهزيمة كانت في الجانب الآخر. إن إسرائيل عاشت أزمات متعددة جراء هذا الانكسار، حيث ازدادت وتيرة الاتهامات والمحاكمات والاستقالات، نتيجة للأداء المضطرب والجبان الذي قام به الصهاينة، وبالتالي نتيجة للمقاومة التي لم تلن ولم تضعف أبداً.

إنني عندما أقرأ صمود حزب الله وقائده السيد حسن نصر الله، أتذكر قول الله عزّ وجل: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾.

أعتقد أن حزب الله بهذه الروح المعنوية العالية التي يتسلح بها، لا يمكن لأحد أن يكسره أو يهزمه. وقد قال الله تعالى ﴿ألا إن حزب الله هم الغالبون﴾ .وللتاريخ أقول: إن السيد حسن نصر الله، حقق أكبر نجاحاته على الصعيد السياسي، عندما قاد المعركة بكفاءة واقتدار، وتمكن من إطفاء الفتنة بجميع أشكالها، والتي اجتهد خصومه في إشعالها وظل يقول: إن صواريخ حزب الله لن تعرف إلا اتجاهاً واحداً، وهي غير صالحة ولا مناسبة للتحول إلى أية جهة أخرى. عدوّنا هو إسرائيل، والغاية هي النصر.

إن عمليات المقاومة في لبنان، لم تنفصل عن رغائب الآخرة. والذين يريدون مقاومة بمعزل عن الإيمان، فإنهم واهمون. من أجل ذلك فإن السيد حسن نصر الله، كان واضحاً عندما نادى: (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء). وإن العصائب الخُضر التي شدَّها على جبين فريقه الكربلائي، مكتوباً عليها (هيهات من الذلة)، كانت تستحضر التاريخ بين عيون المقاتلين، وتذكرهم دوماً برياح كربلاء.

لقد مضى على مقتل الحسين ﷺ نحو ثلاثة عشر قرناً ونصف، ولكن الحسين لايزال منصوراً في عين كل مقاوم، على الرغم من أنه هو وأفراد كتيبته، لقوا الشهادة، ولم يبق منهم أحد لكي يفرح بالانتصار. لكننا وبعد

ذلك الماضي الطويل، نرى الناس اليوم ما فتئوا يتحدثون عن يوم النصر الأعظم، عن يوم كربلاء في العام ٦١ للهجرة.

إن السيد حسن نصر الله، كان واعياً لدور تلك التضحية الحسينية، في بناء روح المقاومة، ، ولذلك عرف كيف يدير المعركة. ومع أنه منح المقاومة بُعدها الكربلائي المطلوب لإثارة الهمم نحو الجهاد، إلا أنه لم يُحنّط المقاومة بأفق مذهبي، بل أهدى نصره للبنان ولكل الأمة.

لقد كان مدهشاً وبعد وقف إطلاق النار هو أن الذين شاركوا في مؤامرة السعي لسقوط المقاومة، لم يستطيعوا أن يتحدثوا عكس التاريخ وصاروا يتنافسون من أجل الحصول على مقعد في حفل الانتصار.

إن المقاومين، جسدوا بمآثرهم الروح الكربلائية، روح بدر وخيبر وحنين، روح اليرموك والقادسية، واستحضروا أمامنا التضحيات التي سطرّها المؤمنون الأوائل ورجالات الإسلام العظماء على مرّ التاريخ.

إن صمود أبناء ا لمقاومة الإسلامية في لبنان، كان درساً للعالم يذكرنا بمجد انتصار الدم على السيف، وإن النصر الذي حققوه، يكبر عندما يكون نصراً للأمة. والنبي ﷺ عندما سجّل انتصاراته، لم يكن يستهلكها لمجده الشخصي، وإنما جعلها في ضمير الأمة.

إنه وبعد المكاسب الكبيرة التي حققها حزب الله في آب ٢٠٠٦ فإن سماحة السيد حسن نصر الله، لديه الكثير مما يمكن فعله في إطار الانتقام من خصومه واحتكار النصر، ولكنه لو فعل ذلك فسيكون على خُطى الفاتحين المغامرين المنتصرين. ولن يكون فيه بقية من تراث النبوة مما ترك آل محمد (ص) وآل علي.

ولقد كتبت مراراً وقلت أننا بحاجة إلى رياح الإمام الحسين وثقافة الفداء والشهادة التي نتعلمها من كربلاء، فريضةً طالما ظل في الأرض بغي وظلم، وظلّ في الأرض أحقاد متطاولة، لكن في الوقت نفسه فنحن ندعو أيضاً إلى ثقافة الإمام الحسن. إنني أعتقد بأن روح كربلاء ضرورية لمواجهة الأعداء، وروح الإمام الحسن، ضرورية لبناء الوحدة والجماعة. أنا شخصياً قرأت في سلوك السيد حسن نصر الله، الإمامين الحسن والحسين معاً. إن سماحته عندما

يتطلع صوب الجنوب فهو الحسين، وعندما يتطلع صوب الشمال، فهو الحسن. لقد تمكن من بناء جسور الودّ والمحبة مع أبناء شعب لبنان، على الرغم من اختلافه معهم حتى في مسائل جوهرية.

إنني أعتقد بأن سيرة الإمام الحسن وسيرة الإمام الحسين، كلاهما ملهمتان للقيادة الإسلامية. والذي نتطلع إليه هو أن يدرك المسلمون، أين ينبغي أن توقد نار كربلاء. وأين ينبغي أن تشعل شموع الإمام الحسن؟ إنني أعتقد بأن روح الإمام الحسين التي استعملها حزب الله في مواجهة العدوان، هي ذات لكل مقاومة. بيد أننا نحتاج إلى روح الإمام الحسن للصلح بين المؤمنين.

إن ما يشهده العراق اليوم من نزيف دموي، على خلفية طائفية شقيّة ملعونة، يدعونا إلى مزيد من الوعي بشروط الوحدة الإسلامية، وأن ندرك تماماً أن فتاوى التكفير التي تصدر من هنا وهناك، هي فتاوى تقع مباشرة في غضب الله، ولا تمت إلى الوحدة الإسلامية بصلة. لقد أريقت دماء كثيرة، وأصبح الحديث عن الوحدة الإسلامية يشبه الوهم في كثير من الأحيان، بل إن الحديث عن التضامن الإسلامي أو التقارب الإسلامي، بات عسيراً في هذه الأيام، مع أن الشروط الموضوعية التي تركها رسول الله ﷺ للوحدة بين المسلمين لا تزال موجودة، ولكن مع هبوب رياح البغضاء، علينا أن نعي من جديد بأن الإسلام الذي يأمرنا بمقاومة الظالم وقتاله يوم الجهاد، هو الذي يأمرنا أيضاً بكسر السيف يوم الفتنة.

إن ما يجري في العراق اليوم، هو فتنة، وليس جهاداً، والمطلوب، كسر السيوف، لا إشراعها. ينبغي أن يسود هناك، روح الإمام الحسن في المصالحة والمودة والمحبة، والتصدي لكل اتجاه تكفيري يمزق وحدة الأمة وينشر الشقاق.

عوداً على بدء أقول: إن سماحة السيد حسن نصر الله اليوم، باعتقادي هو زعيم عربي وإسلامي. وأتمنى للأمة أن تجد سبيلاً لإحياء روح الوحدة الإسلامية، عبر صمود السيد حسن نصر الله" من موقعه كقائد للجماهير المسلمة.

نموذج للقائد الثوري من طراز جديد

الدكتور ماهر الطاهر(*)

في أثر الاحتلال الصهيوني العنصري للأرض اللبنانية، والذي وصل إلى حد محاصرة ومن ثم احتلال بيروت في العام ١٩٨٢، انفجر بركان المقاومة الوطنية والإسلامية الباسلة والبطلة في عموم الأراضي اللبنانية المحتلة. حيث شكل حزب الله بكل تضحياته وفعاليته الكفاحية، الرافعة النضالية المعمدة بالدم والتي انتصرت على العدو الصهيوني وأجبرته راكعاً على الانسحاب والهروب من لبنان نتيجة ضربات المقاومين الأشاوس من أبطال المقاومة من أبناء حزب الله والذين قدموا أكثر من (٢٠٠٠) شهيد على مذبح تحرير الجنوب المحتل، حيث شكلت عملية الانسحاب والاندحار الصهيوني عن الجنوب اللبناني أول انتصار يجري فرضه بقوة الكفاح والمقاومة المسلحة على هذا العدو في إطار الصراع مع المشروع الصهيوني، وليبدأ فصل جديد آخر من فصول هذا الصراع التاريخي.

والحديث عن الدور الذي لعبه حزب الله في قيادة النضال المسلح ضد الاحتلال الصهيوني يقودنا إلى الحديث عن الدور الخاص الذي لعبته قيادة الحزب والتضحيات التي قدمتها باعتبارها نموذجاً يحتذى به من قبل كل المناضلين في لبنان والمنطقة والعالم الإسلامي وكل الشرفاء في العالم، وحيث شكل استشهاد الأمين العام السابق للحزب العلامة المجاهد السيد عباس الموسوي، محطة على صعيد تكريس دور الحزب في إطار المقاومة، وتكريس دور القادة الشهداء باعتبارهم نموذجاً ونبراساً وقدوة يحتذى بها، وعلى هذا

(*) مسؤول قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خارج الوطن المحتل.

الطريق وفي إطار هذا السياق التاريخي، كان لتولي السيد المجاهد حسن نصر الله، مسؤولية الأمانة العامة في حزب الله تجديداً وتعميقاً لهذا النموذج والقدوة للقائد الثوري في سياق الظرف اللبناني وخصوصيته، وهنا يحضرنا في إطار الحديث عن دور سماحته الإشارة إلى عدة مسائل.

١ ـ لقد كان لمستوى الانسجام والاندماج الشامل للقول والموقف المعبر عنه من قبل المجاهد حسن نصر الله، والفعل والممارسة الكفاحية والنضالية التي عبر عنها باعتباره أميناً عاماً ورمزاً كفاحياً في المقاومة الإسلامية في لبنان دور كبير في تعزيز ثقة والتفاف الجماهير حوله، كل الجماهير المؤمنة بعدالة القضية التي تقاتل من أجلها المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني في لبنان، ومن كل التيارات.

هذا القول المسؤول وهذا الفعل الثوري الذي ارتبط بالمصداقية، التي إن وعدت صدقت، وهناك أمثلة كبيرة على ما نقول منها على سبيل المثال الإصرار على أن المقاومة سوف يتكلل نضالها بالنصر. وهذا ما تم فعلاً في العام ٢٠٠٠، أو ما وعدت به خلال السنوات الأخيرة من إصرار على تحرير ما تبقى من أراضٍ محتلة متمثلة بمزارع شبعا، والنجاح بطرح موضوعها على جدول أعمال مجلس الأمن والمنظمة الدولية وكذلك إصراره على تحرير الأسرى من لبنانيين وعرب وفلسطينيين من خلال النجاح في عملية الوعد الصادق والتي تكللت بأسر اثنين من الجنود الصهاينة في ١٢ تموز/ ٢٠٠٦

لم يكن ممكناً للمقاومة الإسلامية ممثلة بحزب الله ورمزها وقائدها وسيدها سماحة المجاهد السيد حسن نصر الله أن يحقق النصر لولا ذلك العمل والاستعداد والتحضير المستمر لتوفير وتأمين كل مستلزمات الانتصار، بدءً من الإيمان العميق بعدالة القضية، مروراً بالعمل بعيداً عن أجواء العلنية والاستعراض والتي تؤدي عادةً إلى انكشافنا أمام العدو الصهيوني وعملائه، وانتهاءً بالرد وضرب العدو بأساليب وأشكال وصور وأسلحة لم يُعَدَّ لها من قبل في إطار الصراع منذ العام ١٩٤٨، وهذا ما أدى إلى إفقاد العدو الصهيوني صوابه وتزلزل جيشه الذي أثبت أنه من الممكن أن يقهر ليس مرة بل مرات إذا

ما وفرنا فرص الانتصار عليه ودحره وهذا ما تم في حرب (١٢ تموز - ١٤ آب ٢٠٠٦) في لبنان، حيث كان للجمع المبدع من قبل قيادة حزب الله ورمزها المجاهد السيد حسن نصر الله لاستخدام أساليب حرب العصابات المتحركة في الخطوط الأمامية، واعتماد أساليب الدول المتقدمة تقنياً باستخدام تقنية الصواريخ البعيدة المدى لتقصف على مدار أكثر من شهر كل الشمال الفلسطيني المحتل، ولتعرض حيفا وصفد وبيسان ونتانيا، وكل المدن والبلدات والمجمعات العسكرية والصناعية الصهيونية للضرب والضرب المباشر لأول مرة في هذا المستوى منذ بدايات الصراع في كافة محطاته.

ونعتقد جازمين بأن القدرة الفائقة على الجمع الخلاق بين أسلوب حرب العصابات وبوحدة مع الأساليب والأنماط المتقدمة من أسلحة الصواريخ المتقدمة تقنياً، أكدت هذا الدرس في الإبداع في الحروب الشعبية الثورية.

إن التواضع الثوري العميق والشامل المستند إلى ثقة عالية بالنفس التي عبر عنها سماحة السيد المجاهد حسن نصر الله، عمقت ثقة الجماهير وأعضاء الحزب وكل الوطنيين من كل التيارات في الساحة العربية وقبلها الساحة اللبنانية وكذلك عموم الجماهير في العالم الإسلامي وكل شرفاء العالم، بأن هذا القائد الفذ، هو ذلك الرمز الثوري الذي شكل امتداداً لذلك النموذج الثوري المجاهد في عصر فجر الإسلام.

إن الدور الوطني القيادي الذي لعبه ومثله سماحة المجاهد السيد حسن نصر الله في إطار الساحة الوطنية اللبنانية، هو الذي مكن من الاستمرار لأجل تعزيز وتعميق الوحدة الوطنية وعدم بعثرتها، وإن قدرته الكبيرة على توحيد القوى والطاقات، ومحاولة كسب حتى من يختلف معه، كل ذلك مكنه من النجاح في التركيز على التناقض الرئيسي الذي يحكم موقف كل القوى الوطنية اللبنانية مع العدو الصهيوني العنصري. وهناك ميزات كثيرة أخرى لعبت دوراً في المكانة القيادية لتعزيز دور النموذج الرمز المجاهد حسن نصر الله، منها على سبيل المثال أنه كان أحد القادة الثوريين القلائل الذين يقدمون أرواح فلذات أكبادهم قرباناً للمصلحة الوطنية والمواقف المصيرية، حيث شكل استشهاد ابنه

هادي في العام ١٩٩٧ منارة ومحطة على طريق التضحية بالغالي والنفيس في سبيل الوصول إلى تحقيق أماني الشعب الوطنية ممثلة بتحرير الأرض من الاحتلال الصهيوني.

يتمتع المجاهد السيد حسن نصر الله بكاريزما ثورية وتاريخية خاصة، جعلته يتميز برصيد معرفي ونظري عميق مكنه من امتلاك هذا الوعي الثوري الثاقب، وهذه القدرة الكبيرة على إقناع الآخر والتأثير به.

ويمتاز المجاهد السيد حسن نصر الله بأنه خطيب ثوري وشعبي من طراز تاريخي فريد. له قدرة خطابية مطعمة بمستوى عالٍ من البلاغة في انتقاء الكلمة والتعبير عنها، وقدرة خلاقة على نقل الموقف السياسي المطلوب والمشفوع بأمثلة حسية، تُلهب حماس الجماهير وتساهم في تعميق وعيهم وفهمهم للوضع السياسي المعاش والدور المطلوب منهم.

وقد كان لإيمان سماحة المجاهد السيد حسن نصر الله بحتمية النصر وتأكيده على ذلك في كافة لقاءاته وخطاباته، وارتباطاً بتوفير كل شروط ذلك النصر، دور كبير في تعزيز ثقة الجماهير والقوى وكل شرفاء العالم بدور حزب الله، ودور قائده السيد حسن نصر الله.

إنّ السيد المجاهد حسن نصر الله يعتبرُ رمزاً كفاحياً لصمود وتضحيات المقاومة والشعب اللبناني البطل ورمزاً ثورياً لكل أبناء الأمة العربية والإسلامية وكل أحرار العالم.

لقد كان لي شرف اللقاء مع سماحة السيد حسن نصر الله مرات عديدة. وكل من يلتقي مع هذا الرمز والقائد التاريخي الكبير، يشعر بمدى تأثير هذه الشخصية المتواضعة المؤمنة بعدالة القضية التي تناضل من أجلها.. لقد ترك في نفسي ونفس كل من تشرف بمقابلته عميق الأثر والمحبة والوفاء.

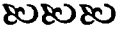

المحور السابع عشر

ملاحق

مع سماحة الشيخ عفيف النابلسي - طهران 1993

ملحق ١
قراءة سريعة لقصة عاشوراء

العلاّمة الشيخ عفيف النابلسي (*)

نهض سيّد الشّهداء في ثورته الإصلاحيّة بعدما استفحل الظُّلم وتعملق وتعالى هتاف الكفر وموجة الإلحاد وعادت الجاهليّة بكلّ عفونتها وروائحها النّتنة إلى الحياة السياسيّة، فكان الواجب الإلهيّ يفرض على الحسين عليه السلام القيام بهذه المهمة، ولولا وقفته لاندرس دين جده، وما أصدق قول الشاعر الذي نظم على لسان الإمام الحسين عليه السلام :

"إن كان دين محمّد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني".

وهذا يعني أنّ الحسين عليه السلام درس التّاريخ والحاضر والمستقبل وخبر المجتمع من أوله إلى آخره وتحدث مع العقلاء بأجمعهم واستنصر أهل الشّرف والغيرة على الدّين والمال العام. فرأى أن لا مندوحة من هذا القيام ولا بديّة من هذه النّهضة فقام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله يؤدّي دوره ويدفع قسطه للعُلا ويفرغ ذمّته الشّرعية من هذا التكليف الإلهي المتعيّن على شخصيته، وليس إلاّ أحد يستطيع القيام بحمل الأمانة لعظيم الخطر وعظم المسؤولية.

وينظر المحللون إلى أن المرشحين لهذا الحمل من أولاد الصحابة لم تكن لهم أهلية ولا كفاءة علمية، ولم يكن لديهم قدرة على تحمل المعركة إلى آخرها، فمن هنا رأيناهم تكلّموا ثمّ سكتوا وكأنّما كان على رؤوسهم الطّير، حتّى قام الفارس المجلي والقائد العبقري وسليل النبوة، فكان هو الوضع الخاص لموضوع خاص، لأن ارث الشّهادة له وحده وعظمة العقل والقلب له وحده، وقد تعلّم من مدرسة جده المصطفى وأبيه علي المرتضى وسيرة أمه السيدة فاطمة الزّهراء، وأخيه الحسن (على نبيّنا وعليهم السلام) وعلى آل بيته الصّلاة والسّلام. ما يكفيه زاداً، مهما كانت وعورة درب الجهاد وقساوة المعركة الفاصلة.

(*) كنت قد دعوت العلاّمة الشيخ عفيف النابلسي (دام عزه). رئيس هيئة علماء حبل عامل للمساهمة في هذا الكتاب من خلال الإجابة على الأسئلة التي تم اعتمادها في مواضيع البحث. بيد أن كثرة انشغالات سماحته حالت دون تحقيق المراد، إلا أنه فضّل أن تكون مشاركته ذات صبغة تاريخية وتحليلية معاً، فكان أن بعث الموضوع أعلاه من لبنان ، والذي ارتأينا أن يأخذ مكانه في الكتاب كعرض لقصة عاشوراء بشكل مقتضب يفيد القارئ في التوفر على بحريات هذه الملحمة الخالدة وتفاصيلها إلى جانب قراءتها فكرياً ووجدانياً.

وإليك ما يلي:

بداية الرحلة

المدينة

لما هلك معاوية واستلم ولده يزيد مهمات الحكم كان حريصاً على بيعة الإمام الحسين له بأي ثمن لأنّه عندما يبايع الإمام الحسين عليه السلام لا يتأخر عنه أحد وبهذا ينهي صراعاً طال أمده ويضمن الحكم لبني أميّة، كما كان رأي أبيه معاوية من قبل وسيد الشهداء ومعه جمع كبير من أهل الخير والحق ومن له رغبة أيضاً في السلطة كعبد الله بن الزبير وابن عمر وابن أبي بكر وكثير من أولاد الصحابة وعلماء الحديث والتفسير كانوا على خلاف بيعة يزيد. ولما كان يزيد بعيداً عن الحكمة والدهاء السياسي ولم يكن له من مستشاريه وأعوانه من هو كذلك سارع إلى واليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو ابن عمه أيضاً بالكتاب التالي: إن معاوية قد مات وبات الحكم بيدي اقلبه كيف أشاء فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على أهل المدينة عامة. ثم أرفق الكتاب بورقة صغيرة منها: خذ الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الرّحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير أخذاً شديداً من أبى فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه.

ولما وصل الكتاب إلى الوالي بعث إلى الإمام الحسين وابن الزبير منتصف الليل رجاء أن يبايعا ليلاً وبعدها لا يتخلّف عن البيعة أحد خصوصاً وأنّ الباقين غير طامحين في الحكم ولم تتوفّر فيهم مواصفات الحُكم وهم عازفون عن الأمر وقد حشر اسم ابن عمر وابن أبي بكر بنظري حشراً حتى لا يقال أن المعارضة كانت فقط في آل البيت وهو ديدن تاريخي معروف كلما لاحت بارقة ومنقبة لآل محمّد جهّزوا لها منقبة مماثلة لغيرهم حتى لا يبقى أهل البيت وحدهم أهل المناقب وإلا فتاريخ ابن عمر بعد ذلك ليس فيه إلا ولاء للظلمة وقد صرح بعد وقعة (الحرّة) بكل جرأة تأييده للظالم السفاح "وقال لحن مع من غلب".

وتذاكر الحسين عليه السلام مع ابن الزبير فأخبره الحسين بفراسته أو بكشفه الرّوحاني أنّ معاوية قد هلك والأمر أمر بيعة واصطحب معه ثلاثين شاباً من شجعان بني هاشم وفيهم العباس بن علي المعروف بقوة شكيمته وطول قامته وأوصاهم الإمام أن يسكنوا ما سكن الإمام وعالج القضية بالحكمة والهدوء وأشار ابن الزبير بترك الزيارة وعدم الذهاب إلى الوالي لكنّ الحسين عليه السلام رأى ذلك بثاقب بصيرته بأنّ إقدامه وعدم خوفه أفضل من جانبين:

الأول: أنّ ذهابه إلى الوالي يجعله في موقع إيجابيّ من الدّعوة. والثّاني يفهّم جيداً حالات الدّعوة ويجيب عليها ويأخذ من هذه المبادرة الجواب المناسب.

ولما عرض الوالي موت معاوية استرجع الإمام، وعندما عرض عليه البيعة أجابه بأنك لا ترضى بيعتنا سراً فقال: نعم قال: إذن تدعو الناس وتدعونا معهم ونرى رأينا فرأى الوليد بأنّ هدوء الحسين وسهولة الجواب يساعد على أخذ البيعة باللين فلا معنى للشدّة إذن ولهذا قال له: اذهب وشكر له استجابته آملاً أن يكون مع النّاس في الموعد الحاشد لاستقبال البيعة.

غير أنّ مروان بن الحكم الذي لا يعرف منه إلا الشرّ لام الوالي وحذّره من المماطلة وقال له الحسين: إنّ فعلك هذا غير سديد يقوم به الجبان والذي لا يفهم السياسة والسلطان والرأي عندي منعه من الخروج حتى يبايع فإن أبى عن البيعة تضرب عنقه وينتهي النزاع وتربح المعركة السياسية.

وخاف الحسين من سوء العواقب وأن يكون الوالي قد بيّت شيئاً من هذا الذي ذكره الباطل مروان بن الحكم.

فصاح على مروان ويلك يا بن الزّرقاء أنت تأمر بقتلي ثم التفت إلى الأمير وقال عليه السلام اعلم أيها الأمير. إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمور وقاتل للنفس المحترمة معلن بالفسق والفجور ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون فأغلظ الوليد في كلامه وارتفعت الأصوات فهجم الشباب الهاشمي ومعهم خناجرهم ومنعوا الوليد من الاتيان بأية حركة غير عادية. وفعلاً أن الأمير لم يكن مجهّزاً لخوض معركة بهذا الحجم فمباغتة الإمام الحسين له وإعلان هذا الرّأي الصّارخ والشّجاع جعله في موقع الجبان المتردد ودخول الرجال بسرعة فوت على مروان فرصته وذهب رأيه عرض الحائط.

لا أعتقد أنّ الحسين عليه السلام كان بعيداً عن جوّ الشّام والبيعة من ناحية الاطّلاع والمراقبة والإعتقاد أو أنّه كان غافلاً إلى هذا الحدّ ينتظر أن يأتيه الغلمان لأخذه إلى البيعة قسراً كما كان أيام معاوية. والواضح عندي أن الإمام عليه السلام كان على علم بكل ما يجري وأن إقدامه لمثل هذا العمل السريع كان وفق خطة تضيع على الوالي أيّة فرصة يأخذها لمنع الحسين من التّحرك، ومن الطبيعي لثائر مثل الحسين عليه السلام أن لا يدير الجو المشحون بواقعية الزعيم العارف حتى يهيء مبررات المعركة الحاسمة لأنّ مماطلته أو بيعته سوف تمنع النّاس من الكتابة إليه ودعوته إلى الكوفة والتّالي لايبقى لا عون ولا ناصر ولا من يحمله المسوليّة فكيف يترك ويرحل أن هي إلا مجازفة دون خطّة. ولكن الخطة التي اتّبعها أحبطت المؤامرة الهادئة التي اتخذها الوالي وأحبطت المؤامرة المقترحة التي قدّمها خيط الباطل مروان وحفزّت الحسين عليه السلام لاتخاذ مواقف حازمة لكسر هيبة الوالي وبالتالي هيبة السلّطة الجديدة المتهوّرة والمجنونة فهذه الصّفعة وصلت إلى الكوفة ووصل صداها إلى كل مكان خلال أيّام مما جعل الجوّ الهادئ يتحرّك وكلّ كامن مستور يخرج من مخبئه فتأمن الجو الحماسي الذي يريده الإمام لبداية انطلاقة الشّرارة الأولى في مواجهة مبدئية بين سلطة عظمى وبين ثورة شعبية بسيطة ليس لها من المقوّمات إلا تاريخ النبوة والإمامة وإحقاق الحقّ وطلب العدالة الاجتماعيّة التي يهفو إليها الجميع.

ونقلوا بعد رفضه البيعة أنّ الحسين عليه السلام توجّه إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله فسطع له نور وشكى إلى جده ما آلت إليه أمور الأمّة وأنه يريد أن ينهض بالأمر. ولا نشك نحن أن الإمام المعصوم قادر على التحدّث مع جده مشافهة سواء جاء إلى قبره أو كان في بيته أو في أي مكان آخر ولكن مجيء الإمام إلى القبر الشريف يجعل الأمور تسير سيراً طبيعياً مقبولاً فينكفئ على القبر ويناجي جده ويخبره بما حصل ويأتيه الجواب الحاسم على القيام بواجبه ويعلمه سنن المشوار والمرحلة ووجوب الهجرة إلى مكّة ثمّ إلى الكوفة وأنه لاخوف عليه بل عليه سلوك الطريق الأعظم وأنّه لن يناله من الوالي ما يكره وعليه الخروج بجلبة

وكثرة الأهل والأولاد والرجال ليحدث ضجة وإعلاماً شعبياً ولو كان التلفاز موجوداً لجيء به ليصور خروج الهاشميات، وأنّ رحلة القهر والموت والشّهادة والتّضحية والمذبحة بدأت ورغم كشف المراحل أمام عيني الحسين عليه السلام أبى إلا أن يطبقّ الخطوات واحدة واحدة وهكذا نفهم أن بداية الرحلة لم تكن عشوائية وإنّما وفق رؤية كشف فيها عن كل المراحل الدامية والمعتمة والمأساوية إلى نهاية عاشوراء ثم بداية رحلة الإشراق الكبرى في إنهيار صرح الدّولة الأموية حجراً حجراً.

مكّة:

أصرّ الإمام الحسين عليه السلام أن يخرج من مدينة جدّه بأهله وإخوانه ونسائه جهاراً ويسلك الطريق الأعظم ورفض أن يسلك الطّريق السّري وعبّر عن هذه الجرأة والشّجاعة ببليغ من النّثر والشّعر. وتمنع على كل محاولات التأخير وكأنه كان على موعد مسبق لا يمكنُ تأجيله ورد نصح الأخوة المحبين برفق دون أن يطلعهم على أسرار الرّحلة وكشوفات اليقين وتكلّم مع الجميع بنفس الثّقة والحكمة والاتّزان والهدوء.

وصل إلى مكة مستشرفاً بها نزول الوحي وغار حراء وآثار أجداده وحنّت مكة بقضها وقضيضها إلى جنابه وعكف النّاس عليه عكوف الطير على الماء.

وذكر ابن كثير في تاريخه أنّ الحسين عليه السلام لما خرج وابن الزبير من المدينة إلى مكّة عكف النّاس على الحسين عليه السلام يفدون إليه ويقدّمون عليه ويجلسون حواليه ويستمعون كلامه.

والذي ينبغي أن لا يفوتنا في هذا الخبر التعبير بكلمة عكف وهي تفيد في كل مشتقاتها معنى التعلق والانقطاع فما كنت بواجد إلا الحسين عليه السلام رجلاً علقه الناس كل الناس عرضاً كأنّما هم من ناحية الدنيا يشهدون فيه حقيقة أخرى من عالم الإبداع الإلهي. فهو إذا نطق كأنّما انطلق لسان الغيب يعبر عن يقينه ويكشف عن خفاياه وإذا صمت كأنما راح الغيب يعبّر عن معناه بطريقة أخرى بلحن آخر فإنّ من الحقائق ما لا يعبر عنه إلا الصمت العميق كالنقطة في ثنايا السّطور، فإنّها تعطي معنى لا يقوم إلا بها ولا يتم إلا إذا كانت وهي بعد إشارة سلبية ولكنّها تدلّ على غرض إيجابي، أو كقرار النغم الصامت فإنه جزء من تمام اللحن الناطق.(١)

وفي الخبر صورة كاملة لمقام الحسين عليه السلام في زمن لم يتخفف من طغيان السّلطة وتحامل المتغلّب، ولكنّ أنّى للقوة أن تحول بين الإنسان وقلبه أو بينه وبين ما هو من ضميره، كيفما امتدت بأسبابها، فإنّها لا تحبك في مواطن الشعور. والخبر بعد ذلك يعرفنا أنّ عكوف النّاس عليه لجميل خلقه وخُلقه وعظيم علمه ومعرفته وهو ردّ طبيعيّ وعمليّ على الإعلام الأمويّ الذي كان يردد بأنّ الحسين عليه السلام قليل الرواية عن جده وفي نفس الوقت سمحوا لأبي هريرة أن يروي عشرات الآلاف من الأحاديث أكثرها موضوع.

وعلى كل حال فالحسين عالم آل البيت ووارث مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله وهو جزء لا يتجزأ من الأنوار المباركة.

---

(١) أيام الحسين ج٣.

وهي تربية أصيلة في أولاد عليّ الذي دنا من الحق حتّى الفناء وتقرّب من الغيب حتّى الزوال حيث لمع برق الغيب في بصيرته فحوله إلى كائن آخر يمشي على الأرض وقلبه متعلق بالرفيق الأعلى.

ومن مكّة أطلّ على الكوفة والبصرة وجميع أرجاء العراق أطل بقلبه المنير على طريق مرسومة ومواجهة محتومة وقلوب محرومة وأنفاس مكظومة ونفوس ملجومة أطلّ على ساحة العراق فرأى صراعاً جاداً بين ذئاب تعاوت لفرائسها وبين عباد قاموا الليالي في حنادسها وافترق الكوفيون فرقاً ثلاثة: موالون لعلي وآله، موالون لبني أميّة أو قل للسّلطة الحاكمة على التل لأن التل أسلم وما لهم والدخول بين السّلاطين. والمعركة لا تكافؤ فيها من الجانب العسكري فهي محسومة سلفاً للسلطة الأموية ولكن القلة المؤمنة أيضاً لها من قوّتها الرّوحية ما يجعلها تربح المعركة السّياسية والإعلاميّة في أوّل فرصة تتاح لبنات الوحي ومخدرات الرسالة. وكلّما قرب الغمام من العراق كانت نفسه تبتهج وصدره ينشرح ووجهه يتلألأ كما يتلألأ القمر ليلة البدر.

والوجوه تسود والقلوب تخاف في يوم المواجهات والرّكب تصطك والزنود تمل والكلام يضعف عند الآخرين إلا سيّد الشّهداء فكان كلّما اشتدّ الخطب وعظم المصاب وتكاثر الأعداء وضاقت الدّنيا يشرق وجهه كأنه أصبح قريباً من ساعة الوصول وكأنّ ساعة الوصول ووقت الفرج بات وشيكاً.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال للحسين عليه السلام أنّ لك درجة مغشاة بنور الله لا تنالها إلا بالشهادة.

السفر إلى العراق:

قبل خروج الحسين عليه السلام من مكّة أوضح الغاية من السّفر ولم يبق في جعبته شيء وحاشاه أن يبهم الأمر على الناس خصوصاً وأنّ المعركة الدّامية قادمة لا محالة وفيها لا ينفع من كان على شفا من دينه فلا بد أن يكون المقاتل مع الحسين يرى بأمّ العين وبأمّ البصيرة أنّه على حقّ ولا يتزعزع أمام أمواج الجيوش العاتية.

فقام روحي فداه خطيباً قائلاً: الحمد لله ماشاء الله ولاقوة إلا بالله وصلّى الله على رسول الله. خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه. كأنّي بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفا وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصّابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة معه في حظيرة القدس تقربهم عينه وينجز بهم وعده إلا من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحل إن شاء الله تعالى.[1]

---

[1] حياة الإمام الحسين، باقر شريف القرشي، ص ٤٨، ج٢.

هل رأيت غبشاً وغشاً وخديعة أو تشويشاً على الأذهان حتى يكثر الأتباع ويقود جيشاً عرمرماً يدفعه للموت أو الخذلان أو ما إلى ذلك؟

نعم رأيت وضوحاً وأنّه مصمم على خوض معركة وأنّ أوصاله ستقطع ونساءه ستسبى في معركة غير متكافئة مع أعدائه عسكرياً ومادياً.

وأنّ كروش الجيش الأموي ستمتلئ من دماء الحسين وأهل بيته وأصحابه ومن الوضوح بمكان أن نفهم إنّ إشراقة الروح الحسينيّة كانت تعلو هذه المسيرة الوحيدة والتيمية التي تعرف ويعرف من فيها إلى حيث يذهبون وأنّهم طلاّب حقّ وعشّاق شهادة وليسوا طلاّب ملك وعشّاق دنيا.

ومن هنا أقدموا على الموت وهم يحتسون كؤوسه صافية ملتذين بمائها الرّيان وعندما ارتوت نفوسهم الظمأى من كؤوس المنيّة تركوا أبدانهم في عرصات كربلاء وحلّقوا بأرواحهم للملأ الأعلى. الموقف القائد والموقف الصائب والموقف الصادق هو موقف سيّد الشهداء ومن هنا غربل المعركة وخصّهم مجتمعين ومنفردين فكانوا البقيّة والزّبدة والعسل المصفّى وذهب من كان له في الدنيا طمع أو شبه طمع وبقي القوم الذين استماتوا في الحب والشهادة وظلوا قائمين مدافعين عن سيّدهم حتّى التحقوا بربّهم نفوسهم صافية وقلوبهم خالصة.

ولابأس بتلخيص فكرة الخطاب الموجز:

١- أنّه نعى نفسه ورحّب بالموت واعتبره زينة للإنسان كالقلادة التي تزين جيد الفتاة وهذا التشبيه من أروع وأسمى ماجاء في الكلام العربي وأفضل القلائد قلادة الموت في سبيل الله.

٢- أنّه أعرب عن شوقه البالغ إلى أسلافه الطاهرين الذين استشهدوا في سبيل الله وقد كان شوقه إليهم كاشتياق يعقوب إلى يوسف حسب ما يقول.

٣- أنّه أخبر أنّ الله تعالى قد اختار له الشّهادة الكريمة والميتة الشريفة دفاعاً عن الحق وذوداً عن حياض الإسلام.

٤- أنّه أعلن عن البقعة الطيبة التي يسفك على صعيدها دمه الزاكي وهي ما بين النواويس وكربلاء.

٥- أنّه أخبر أنّ الذئاب الكاسرة من جيوش بني أميّة لا يقرّ لهم قرار حتى تمتلئ جسومهم من لحمه الزاكي وهو كناية عن تسلّطهم وجورهم على الأمّة ونهب ثرواتها.

٦- وأخبر عليه السلام أنّ ما يجري عليه من الخطوب والأهوال أمر لا محيص عنه فقد خط بقلم القدرة الإلهية وجرى في علم الله من آدم إلى هذا الوقت بالذات ولا يمكن للحسين تغيير مجريات الأمور والوقوف في وجه إعصار المقادير.

٧- أعلن أن الله قرن رضاه برضا أهل البيت " وقرن طاعته بطاعتهم وهو الحق لأنهم دعاة إلى دينه وأدلاء على مرضاته.

٨- أنّه تحدّث عن نزعة كريمة من نزعات أهل البيت " وهي الخلود إلى الصبر والتسليم لأمر الله

على ما يجري من عظيم الأمور وأن الله قد أجزل لهم الثواب على هذا الصبر.

٩- وأخبر أنّ الواقع المشرف لأهل البيت " إنّما هو امتداد ذاتيّ لواقع الرسول الأعظم ﷺ فهم لحمته وفرعه، والفرع لا يختلف عن الأصل وسوف يعودون إلى الأصل في حظيرة القدس لتقرّ عينا رسول الله بعترته الذين أدّوا دورهم بنجاح وهم مخضّبون بدماء الشّهادة.

١٠- أنّه دعا المسلمين إلى خوض معركة الشّهادة والنّصر والانتصار للحق وأنّ الذي يلهب ويبذل مهجته فيه هو موطن نفسه على لقاء ربه.

ومع كلّ هذا الوضوح لم يستجب أحد لا من المكّيين ولا من الحجيج. نعم ربما جاء البعض مدة من الزّمان ثم عاد من حيث أتى لرجحان المعركة العسكرية لخصومه الأمويين وظهور خسران معركة الإمام عليه السلام .

لا أرى الموت إلا سعادة

كلّما فكّرت في هذا النّص يسرح فكري فيه طويلاً ثم انظر بعد ذلك إلى الإمام من وجهة تفسيره للأمور لا من وجهتنا نحن. لأنّنا نرى الموت ألماً وعلاباً وحزناً وترك الأحبة وتقسيم التّركة وهجران الأحباب وتوزيع وتقسيم الأموال وما إلى ذلك.

أمّا نظرية الإمام للموت فهو لذّة وسعادة وحبّ وغرام وطمأنينة وبعدها وضوح ورؤى صالحة وآمال مشرقة ومستقبل زاهر بكلّ ما للكلمة من معنى. أيّ أنّ الإمام رأى الموت سعادة والحياة شقاءً وكلّ حياة في ظلّ دولة الظّلم شقاء مهما كانت أمّا إذا كانت في دولة يزيد فهي الشّقاء الأوّل والأوحد في هذه الدّنيا. من هنا لا بد من تفسير للموت فالحياة في موتكم قاهرين والموت في حياتكم مقهورين.

الإمام كانت تشرق نفسه في وهج المعركة فالنّاس يرجفون والأعداء يخافون والإمام تهدأ نفسه وتسعد روحه ويكثر ذكره وشكره لربه على هذا التوفيق الذي حصل لأنّه سوف ينتقل بعد قليل من عالم الزّوال والفناء إلى عالم الخلود والبقاء والمسألة ليست أملاً وإنّما هي حقيقة واضحة يراها المعصوم بإشراقة روحه وطهارة ذاته وصفاء نفسه.

ومن شدّة الصّفاء لا تبقى حواجز وموانع بل تزول الحواجز والموانع فهي الآخرة في حالة معاينة ومكاشفة يرى نورها وحورها وجنانها وولدانها وكل نعيمها كما يرى في الجانب الآخر العذاب والشّقاء والنّار المستعرة واللاهبة المتغيظة المفزعة المرعبة المخيفة التي تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله.

ومع كل هذا الوضوح وعظم السطوع والإشراقة الروحية كان يتعامل مع المعركة بشكل طبيعي يعدّ العدة ويهيء الأمور ويحس أنّه رجل لا علاقة له بغير المعركة الماديّة وكأنّه مثل هؤلاء البشر العاديين.

ولا شكّ أنّ الحسين عليه السلام أعطى المعركة البعد الماديّ والتهيئة الكاملة على قلة العدد والناصر وأعطى بعد ذلك بعدها المعنوي عندما مسح بيده على أبصار صحبه وربطها ببصائرهم فرأوا جميع ما أعدّ

الله للشّهداء بأم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين.

وهل بعد اليقين مطلب نزعوا عن نفوسهم أجسامها وأجسادها وملابسها وظهرت الرّوح بصفائها وخلوصها وإشراقها وأقدموا إقدام الأحرار واستماتوا في خوض معركة الوصول إلى هذا اللقاء المحمّدي الرّائع وكانت لهم أفضل النّتائج في الدّارين فقضوا شهداء سعداء ووصلوا إلى الأهل والأحبة وجنّة المأوى.

ليلة العاشر

قام الإمام الحسين بكلّ الوسائل التي تمنع الكارثة مع وضوح المعركة عنده وكان عليه أن لا يستسلم للموت ولا للظالمين.

وكان يعلم أيضاً أنّ أصحابه وأهل بيته درجتهم قريبة من درجته وجوههم مشرقة وأرواحهم زاهرة ومضيئة.

ومع كلّ ذلك اختبرهم ولعلّ اختبارهم كان رحمة بأخته زينب التي كانت تخاف أن يترك أخوها الحسين وحده في ساحة الشهادة وإذا صح فزينب كانت بحاجة إلى بعض التوضيحات المعنوية والإشارات النورانية فتعامل سيد الشهداء وفق القواعد العسكريّة حيث يجتمع القائد مع قواده الكّبار قبل بدء المعركة ويضعون خطة لقتال الأعداء وأراد بذلك طمأنينة النسوة جميعهن.

كان الإمام يرى أنّ الأعداء يطلبونه فلو قتل أوّل المعركة لانتهت المعركة وسلّم الآخرون وربّما حاول الأعداء اختصار المعركة بهذه الطريقة لحصرها في شخص وتنتهي بدون سفك دماء الجميع وإن كان هذا ليس ديدنهم فهم لا يتورعون عن سفك أي دم حرام من الشيخ الكبير حتّى الطّفل الصغير.

ولكنّ الأصحاب أبوا إلاّ يكونوا وقود المعركة الأهليّة ويقدّموا أنفسهم في سبيل الله نصرة للحقّ وللدّين الذي يمثّله الإمام الحسين عليه السلام وهكذا كان التّوجيه العام للمعركة ولمّا تحدّث معهم الإمام شوقّهم إلى الجنّة وبغضهم إلى النار وقال لهم في معرض كلامه إنّي لا أرى أصحاباً خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ وأولى من أهل بيتي وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي وتفرّقوا في سواد هذا الليل فإن القوم لا يريدون غيري فإذا وجدوني تركوا غيري وكان هذا الكلام صاعقة وقعت على رؤوس الأهل والأصحاب فبكوا كثيراً. وحلّقت أرواحهم إلى خالقها واستعادوا شفافيتهم وخلعوا لباس البدن وبدت شمائل أرواحهم تأخذ شكلها النير وحقها القدسي وتنادوا مجتمعين متعاضدين معك معك حتى الشّهادة والجنّة شفاعة جدك محمد صلى الله عليه وآله.

كنت أحس في هذه الجلسة أنّ الملائكة صاعدة نازلة وأنّ عبير الجنّة يلفّ هؤلاء وأنّهم كانوا ينظرون إلى منازلهم بالجنّة فعبّروا بكثير من الشوق والوفاء والإخلاص ما يعجز عنه قلم الكاتب وبلاغة الخطيب.

ويا سعادة من حضر شوقاً وجلالاً لسيد الشهداء الذي عبر لهؤلاء شاكراً لهم هذا الوفاء واعداً هؤلاء الأبطال بمرافقته إلى دار الخلود فهو عرف أعماقهم وسبر أغوارهم فإذا هم رهبان الليل وفرسان

النهار وكشف الله تعالى بصائرهم وزادهم بصيرة على بصيرة ونوراً على نور فكانوا هياكل نورانية في لباس الناسوتية يركبون خيولهم ويقتلون عدوّهم وهم مشاعل نور وسيوف حق ونفوس طهورة.

تجلّوا في هذه الليلة بالصّلاة والدّعاء والرّكوع والسّجود والبكاء والخشوع فهم مع سيّدهم ساجدون وأرواحهم عند ربّهم صاعدة ويحقّ القول فيهم أجسادهم في المعركة، وأرواحهم متعلقة بالرفيق الأعلى. ولنعم ما قيل فيهم:

سمة العبيد من الخشوع عليهم ... لله أن ضمتهم الأسحار

فإذا ترجلت الضحى شهدت لهم ... بيض القواضب أنهم أحرار

يوم العاشر من محرم

أحاط العدوّ الأموي بمنازل آل رسول الله من كل جانب حيث لا يتمكّن الطير والوحش من الدّخول أو الخروج وهو منظر مخيف للنّساء والأطفال وقدر العدد من أربعة آلاف إلى ثلاثين ألفاً ما بين فارس وراجل.

ورأى الإمام الحسين عليه السلام رؤياه المشرقة أنه مقبل على الشهادة وأنّ الذين يسفكون دمه اليوم هم فلان وفلان وعبّر عنهم بأنه رآهم في صورة كلاب وبينهم كلب أبقع اشدّ الكلاب لوماً عليه. ورأى بعد ذلك جدّه النبي صلى الله عليه وآله يقول له يا بني أنت شهيد هذه الأمة وقد استبشرت بك أهل السّموات وأهل الرفيف الأعلى، فليكن إيابك الليلة عجّل ولا تتأخر. رؤيا الإمام وحي ويقين وكشف وربما يكون هذا رؤية بالقلب أو تكون رؤية بالبصر ورؤية القلب أكثر يقيناً من عين الرأس، وعين اليقين أو حقّ اليقين لا يكون إلا بالرؤية القلبية فلا فرق عند أهل الكشف من هذا الجانب لكن أرباب القلوب يرون ما لا نرى وينكشف لديهم وحدهم ويرون ذلك بكل وضوح ونحن معهم لا نرى شيئاً لأن أبصارنا وبصائرنا غير مجهزة لذلك فالغشاوة الموضوعة علينا من الشهوات والتشوهات والانحرافات والآثام والمعاصي تمنعنا من رؤية الواقع والحق ويبقى الإمام صاحب البصيرة النافذة والقلب الطاهر والنّفس الصّالحة الشّفافة، هو الذي يمارس هذه الأمور يقيناً.

وعندما ذكر لهم الرّؤية جاراهم لأنه لم يُرِد فتنتهم في هذا الأمر ولما أخبرهم بذلك استعدوا واستعدّ المعسكر القليل العدد طوعاً وتأهّبوا بنفوس صافية إلى لقاء الله وأحسن لقاء الشّهادة وما ظهر منهم ومن سيّدهم بعد من الأعاجيب وهو حقيقة كذلك.

١- أمر الإمام السبّط بفسطاط فضرب له وأتى بجفنة فيها مسك كما أتى بالحنوط فدخل الإمام فتطيّب وتحنّط ولبس الكفن ولبس بعده أصحابه أولهم برير استعداداً للشّهادة.

٢- أيضاً خففوا عن أبدانهم ما يرهقها وكانوا يتصرّفون كأنّهم ذاهبون إلى عُرس الشّهادة الحقيقيّة وهم كذلك ولولا رؤيا حقّ اليقين لما كانوا كذلك. ونقل عن برير بن خضير انه كان واقفاً مع عبد الرّحمن

الأنصاري يلزم دوره للتطيب فبدأ بريرٍ يمازح ويضاحك عبد الرحمن فقال له يا بريرٍ أهذه ساعة باطل وكأن بريرٍ كان أكثر إشراقة من أخيه الأنصاري ولا شكّ أن أصحاب الحسين يتفاوتون في درجات الإشراق والمعرفة. فأجابه بأنّي ما عرفت الباطل كهلاً ولا شاباً وإنّما أرى ببصيرتي الجنّة وما فيها من الحور العين وهم بانتظارنا ولا يمنعنا من الوصول إلا هذه الأجساد إن هي إلا ساعة نميل على هؤلاء القوم بأسيافنا فنقتل فنطير إلى الجنّة. أي إشراقة من روح شفافة هذه الإشراقة، أي بصيرة أنفذ من هذه البصيرة.

٣- خندق الإمام حول الخيام حتى لا يقفز أحد بخيله إلى معسكر النّساء ولتكون المعركة من جانب واحد.

٤- وجّه الإمام احتجاجه الأخير حيث انتهز فرصة وجود هذه الكثرة من جيوش الضّلال وفيهم من كاتبه ليركز إعلاماً حقيقياً صادقاً وليبين لهم ضلالهم وغيّهم ويكشف لهم ضلال بني أمية.

فلبس بردة رسول الله ﷺ ثم تعمم بعمامته ثم ركب فرسه السحاب ثم ارتدى بردته التي كان يلبسها في الجمع والأعياد وبرز بهيئته كأنه رسول الله ﷺ خلقاً وخُلقاً والمقصود من هذا أن يريهم أنّهم إن كانوا مسلمين يشهدون الشهادتين لهذا صاحب الشهادة الثانية وذريته حقاً.

ثم خطب خطابه الشّهير وذكرهم وقال لهم:

أيّها النّاس انسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وحاسبوها هل يحل لكم قتلي أو يجب عليكم محاصرتي ثم عدد جده وأمه وعمه جعفر الطيار وما قيل فيه وفي أخيه الحسن عليه السلام من الصّفات والنّعوت وأنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة. ثمّ أشار إلى بعض جيل الصّحابة الموجودين وقال لهم سلوهم يخبروكم بحقيقة ما أقول ولما كانت نفوس القوم غير قابلة للحق وزيّن قلوبهم كثيف من كثرة المعاصي وأكل الحرام لم تنفذ أشعّة نوره على جدتها سماكة النفوس المُشوّهة وهذه البلاطة السميكة من الشّهوات.

فتصوّر بربك بأنّ أشعة أنوار الحسين ما قابلت أحداً إلاّ ونفذت إلى قلبه وروحه وجلبته إلى الإمام وأصبح من أصحابه إلاّ هؤلاء الذين شربوا الخمر ومارسوا الزّنا واللواط وأكلوا المال الحرام وسفكوا الدّم الحرام ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين، ١٤] وهنا توقّف صوت الحسين عليه السلام ليسمع جواباً فلم يسمع إلا رنين النذالة، انزل على حكم الأمير وينتفض ابن أمير المؤمنين وابن قتال الأقران والشجعان ويرسلها كلمة ملء عين الزّمن دلالة على العنفوان والصلابة في وجه العتاة الطغاة.

"لا أعطيكم بيدي إعطاء الذّليل ولا أقّر قرار العبيد".

تزول الممالك وتزول الدّول وتبقى هذه كلمات خالدة ويبقى الموقف الحسينيّ الشّامخ ويبقى سيّد الشّهداء القدوة في كلّ شيء في الموقف والموعظة والمجابهة والمنازلة كما هو في البيان والمحراب والعلوم سيّد الشّهداء بلا منازع وسيّد البلاغة بلا منازع وصاحب اليقين والإشراق والإلهام والكشف ومنه وعنه تؤخذ كل العلوم وأرباب الكشف وأصحاب القلوب إليه يلجأون ومن نبعه يشربون.

نور الشهادة:

يستعد المعسكران لحسم المعركة وينتظر سعيد بن عبدالله الحنفي إلى النزول فيقول يا ابن رسول الله هذه آخر ساعة لي في هذه الدّنيا وأحبّ أن أودّع الدّنيا بصلاة الجماعة معك وينظر الحسين عليه السلام إلى الأفق فيقول له: ذكرت الصّلاة جعلك الله من المصلّين الذاكرين نعم هذا أوّل وقتها وتبدأ صلاة الجماعة وينبري سعيد ليكون حاجزاً بين الإمام وبين السهام وتتكاثر السهام على سعيد ويقي سيده بنفسه فيخر صريعاً بين يديه ويخاطبه يا ابن رسول الله هل وفيت؟ تأمله ما أطيب هذا النفس وما أطهر هذا الموقف وما أحلى هذه الرّقة هل وفيت؟ فيجيبه روحي فداه نعم أنت أمامي في الجنّة. ما هؤلاء الأوفياء هل هؤلاء بشر أم ملائكة أهم آدميون انسيون أم ملائكة معصومون لو رأيناهم لحن ببصرنا لقلنا إن هؤلاء بشراً إن هم إلا ملائكة مكرمون.

واترعت نفوسهم بكؤوس الرضّا والمحبّة والمعرفة وملئت نفوسهم بالرضا واليقين ولا ريب فَنَفس الحسين عليه السلام إذا صدر ووجد أوعية طاهرة يصنع الأعاجيب ألا قاتل الله جيوش بني أميّة وحظّهم البائس حيث ما استطاعوا أن يغترفوا نقطة من بحر معارف الحسين عليه السلام ولا إشراقة من شمس أنواره المتدفقة المتلألئة.

واستمرّت الملحمة شهيداً أثر شهيد وأثيراً بعد قريب وأميناً وصديقاً والملائكة تتجمع في أعراس الشّهادة وتتأهب الحور العين وتتزين الجنان والملأ الأعلى لملاقاة سيد الشهداء وصحبه.

ويتساقط الرّكب والأهل والأخوة ويرتفعون جلالاً ونفاسة وحماسة وجهاداً يقدمهم نور الحسين والعبّاس وعليّ الأكبر وتحوطهم ملائكة غر ويظلّلهم رضوان من ربّهم ورحمة وروح وريحان وأمّا من كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأمّا من كان من المقرّبين فروح وريحان وجنة نعيم وأما من كان من المكذّبين الضّالين فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم.

إنّما عنفوان الحسين عليه السلام الوحيد، والغريب، أمام العدو المزهو بعدة السلاح وعدد الرجال والخيل ولا تكافؤ في المعركة مادياً.

ولقد صدرت من الإمام محاولات ملهلة ومدهشة ومخيفة أحقاً هذا رجل من لحم ودم أم هذا من عالم آخر.

١- عبر عنه بعض من شهد المعركة ما رأيت مكثوراً أي مغلوباً قط قتل ولده وأصحابه وأهل بيته أشد منه إقداماً وأكثر مراساً وأربط منه جأشاً حتى أن الجميع يهجمون عليه فيشد عليهم بسيفه فينهزمون بين يديه انهزام المعزى إذا شد فيها الذئب.

٢- كان يحمل الشهداء وخصوصاً شهداء آل بيته ليجمعهم جميعاً في مكان واحد.

٣- يصبّر النساء والأطفال ذوات الرقّة والدمّعة على ما هو عليه من رباطة الجأش وهول المعركة يستعر.

٤- يُقتل ولده بين يديه وهنا موقف يكسر الظهر فيتأسى ويجعل ذلك قدوة للأزمان والأجيال.

٥- يقتل أخوه العبّاس وهو حامل الرّاية ويظهر انكسار العسكر لأنّ العباس كان شامخاً ماردا لا يستطيع أحد أن يتقدّم نحو المعسكر لفروسية العبّاس ويزداد الإمام الحسين إشراقة ووضوحاً ويزداد بصيرة في لقياه لجدّه وخلوص روحه من جسده والتحاقه بالرفيق الأعلى.

٦- وأخيراً يأخذ ولده الرضيع يعرضه على القوم، يا قوم أما فيكم مسلم ما ذنب هذا الرضيع وهكذا يقلبه من جهة إلى أخرى حتى يختلف القوم على سقي الماء وبدأ الكلام يعلو في معسكر الأعداء حتى عبّر عن هذه الحال رجل الماني بأن هذه الخطة المحيرة كيف خطرت ببال الحسين عليه السلام في هذه الساعة المتأخرة حتى أدهش العقول وما هذه القدرة في المناورة السياسية والإعلامية، حقاً إنه إمام ابن إمام معصوم كشف الله عن بصيرته فرأى من آيات ربه ما رأى ورأى جده وأباه وأمه وأخاه والأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وإلا فالوقت لا يسمح بمثل هذه الأمور أبداً، ولكن الحسين أعجوبة الدنيا وقدوة الأجيال.

٧- ثمّ يوصي الإمام علي بن الحسين السجاد بوصاياه ويعلمه عن كل شيء ويوصي زينب أن تكمل المسيرة وتلهب العاطفة وتقوّض دعائم دولة بني أمية.

٨- ثمّ أقبل على المعركة بكل بشاشة ونور وإشراق وطمأنينة يقتل فيهم العشرات فيهربون ويفرون بين يديه:

ولما رأى الطاغوت أحكم طوقه ... وخطط أن ينفى ويستعبد الحر

نضا السيف من هول المعارك بارقاً ... وصاول حتى ملّهُ الكر لا الفر

غدا والقنا جام غيل تجمعت ... ومن خلفها للجور عسكره المجر

فما راعه زحف ولا خاف والقنا ... أنابيبه من نازف الدّم تحمر

وصال عليهم صولة هاشميّة ... لشدّتها الشوس البهاليل تزور

ومنكره فر المغاوير في الوغى ... فطعنته فتك وضربته بكر

كأنّ عليا يوم بدر وخيبر ... يعود إلى الدّنيا ورائده النصر

وظلّ على تلك السّمات وعزمه ... يشقّ الليالي والليالي لها ستر

إلى أن قضى والمجد ملء ردائه ... تُجلّلهُ البيض الصوارم والسّمر

فيا أرض ميدي ياسماء تدكدكي ... وأنت فلا تشرق على الناس يا فجر[1]

***

[1] من قصيدة لسماحة الشيخ عفيف النابلسي (دامت بركات).

ملحق ٢
مقام الإمام الحسين عليه السلام وفضائله(*)

حسين مني وأنا من حسين

❖ سنن الترمذي (٢/٣٠٧)

في مناقب الحسن والحسين عليهما السلام ،روى بسنده عن يعلى بن مرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حسين مني وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً.

حسين سبط من الأسباط

❖ سنن ابن ماجة

في باب من فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله. روى بسنده عن يعلى بن مرة، قال: إنهم خرجوا مع النبي صلى الله عليه وآله إلى طعام دعوا له، فإذا حسين يلعب في السكة، قال فتقدم النبي صلى الله عليه وآله أمام القوم، وبسط يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه. فقلبه وقال: حسين مني وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط.

حلم أم الفضل بنت الحارث

❖ مستدرك الصحيحين / محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (٣/١٧٦)

(*) انتخاب وتحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلامية/ مدينة قم المشرفة ـــ الجمهورية الإسلامية الإيرنية .

روى بسنده عن أم الفضل بنت الحارث، أنّها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنّي رأيت حلماً منكراً الليلة. إنّه شديد. قال: وماهو؟ قالت: رأيت كأنّ قطعة من جسدك قطعت وضعت في حجري، فقال رسول الله ﷺ: رأيت خيراً تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك. فولدت فاطمة عليها السلام الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ.

الحسين أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء

◆ أسد الغابة في معرفة الصحابة / علي بن الأثير (٣/٢٣٤)

في ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص، روى بسنده عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه، قال: كنت في مسجد الرسول ﷺ في حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو، فمرّ بنا الحسين بن علي عليه السلام فسلّم فردّ القوم السّلام، فسكت عبد الله حتى فرغوا، رفع صوته وقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى، قال: هذا هو الماشي ما كلّمني كلمة منذ ليالي صفين، ولأن يرضى عنّي أحبّ إليّ من أن يكون لي حمر النّعم، فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه، قال: بلى، قال: فتواعدوا أن يغدو إليه، قال: فغدوت معه، فاستأذن لعبد الله فلم يزل به حتّى أذن له. فلما دخل قال: أبو سعيد: يا ابن رسول الله إنك لما مررت بنا أمس- فأخبره بالذي كان من قول عبد الله بن عمرو – فقال الحسين عليه السلام: أعلمت يا عبد الله إني أحبّ أهل الأرض إلى أهل السّماء؟ قال: إي وربّ الكعبة، قال: فما حملك على أن قاتلتني وأبي يوم صفين فوالله لأبي كان خيراً مني، قال: أجل ولكن عمرو شكاني إلى رسول الله ﷺ: يا عبد الله صلّ ونم وصم وافطر، وأطع عمرو، قال: فلمّا كان يوم صفين أقسم عليّ، فخرجت أما والله ما اخترطت سيفاً ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم، قال: فكأنه قبل منه

◆ الإصابة في تمييز الصحابة / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/ القسم ١/١٥)

قال يونس بن أبي اسحاق عن العيزار بن حريب، قال/ بينما عبد الله بن عمر جالس في ظلّ الكعبة إذ رأى الحسين عليه السلام مقبلاً، فقال: هذا أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم. وذكره كذلك في تهذيب التهذيب (٣٤٦/ ٢).

الحسين عليه السلام وأصحابه يدخلون الجنة بغير حساب:

◆ تهذيب التهذيب/ ابن حجر العسقلاني (٢/٣٤٧)

عن أبي عبد الله الضّبي قال: دخلنا على ابن هرثم الضبي حين أقبل من صفين وهو مع علي عليه السلام فقال: أقبلنا مرجعنا من صفين فنزلنا كربلاء فصلى بنا علي عليه السلام صلاة الفجر ثمّ أخذ كفّاً من بعر الغزلان فشمّه، ثمّ قال: أوه أوه يقتل بهذا المكان قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

◆ تهذيب التهذيب/ ابن حجر العسقلاني (٣٤/ ٢)

عن هرثمة بن سلمى قال: خرجنا مع علي عليه السلام فسار حتى انتهى إلى كربلاء فنزل إلى شجرة فصلّى إليها فأخذ تربة من الأرض فشمّها ثمّ قال: واهاً لك تربة ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، قال: فقفلنا من غزاتنا وقتل علي عليه السلام ونسيت الحديث. قال: فكنت في الجيش الذي ساروا إلى الحسين عليه السلام فلمّا انتهيت إليه نظرت إلى الشّجرة فذكرت الحديث فتقدّمت على فرس لي فقلت: أبشرك ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وحدّثته الحديث قال: معنا أو علينا، قلت: لا معك ولا عليك، تركت عيالاً وتركت مالاً، قال: أما لا قول في الأرض هارباً فو الذي نفس حسين بيده لا يشهد قتلنا اليوم رجل إلا دخل جهنم، قال: فانطلقت هارباً مولياً في الأرض حتى خفي عليّ مقتله.

الحسنان عليهما السلام ريحانتا النبي صلى الله عليه وآله

◆ صحيح البخاري

في كتاب الأدب، باب رجمة الولد وتقبيله ومعانقته، روى بسنده عن ابن أبي نعم، قال: كنت شاهداً لابن عمر وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وآله وسمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: هما ريحانتاي من الدنيا ورواه بطريق آخر أيضاً في كتاب بدء الخلق في باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام ورواه في الأدب المفرد. كما رواه الترمذي في سننه ٣٠٦/ ٢ وأحمد في مسنده بعدة طرق.

◆ خصائص النسائي (ص: ٣٧ روى بسنده عن أنس بن مالك، قال: دخلت (أو ربما دخلت) على رسول الله صلى الله عليه وآله: والحسن والحسين عليهما السلام يتقلبان على بطنه ويقول ريحانتي من هذه الأمة.

الحسنان عليهما السلام أحبّ أهل البيت إلى النبي صلى الله عليه وآله

◆ سنن الترمذي (٣٠٦/ ٢)

في مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، روى سنده عن أنس بن مالك يقول: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله أيّ أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال: الحسن والحسين، وكان يقول لفاطمة عليها السلام: ادعي ابني، فيشمّهما ويضمّهما إليه.

الحسنان عليهما السلام سبطا هذه الأمة

◆ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ علي بن سلطان القاري(٥/٦٠٢)

قال: وعن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام: نبيّنا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عمّ أبيك حمزة، ومنّا من له جناحان يطير بهما في الجنّة حيث شاء وهو ابن عمّ أبيك، ومنّا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين، وهما ابناك، ومنّا المهدي. أخرجه الطبراني في معجمه، وذكره المحب الطبري في ذخائر العقبى.

◆ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى/ محب الدين الطبري (ص: ١٣٥)

عن علي بن الهلالي عن أبيه قال: دخلت على رسول الله في الحالة التي قبض فيها فإذا فاطمة عليها السلام عند رأسه فبكت حتى ارتفع صوتها فرفع ﷺ طرفه إليها فقال: حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ فقالت: أخشى الضيعة من بعدك، فقال: يا حبيبتي أما علمت أنّ الله اطّلع على أهل الأرض اطّلاعة فاختار منها بعلك وأوحي إليّ أن أنكحك إياه؟ يا فاطمة ونحن أهل البيت قد أعطانا الله سبع خصال لم تعط أحد قبلنا ولا تعط أحد بعدنا، وأنا خاتم النبّيين وأكرمهم على الله عز وجل وأحبّ المخلوقين إلى الله عزّ وجلّ، وأنا أبوك. ووصيّي خير الأوصياء وأحبّهم إلى الله عزّ وجلّ وهو بعلك وشهيدنا خير الشهداء، وأحبّهم إلى الله عزّ وجلّ وهو حمزة بن عبد المطلب عم أبيك وعمّ بعلك، ومنّا من له جناحان أخضران يطير بهما في الجنة حيث يشاء مع الملائكة وهو ابن عمّ أبيك وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الامة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيّدا شباب أهل الجنّة وأبوهما- والذي بعثني بالحق- خير منهما، يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت الدّنيا هرجاً مرجاً (أي الاقتتال والاختلاط) وتظاهرت الفتن وتقطّعت السّبل وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقّر كبيراً، فيبعث الله عز وجل عند ذلك من يفتح حصون الضّلالة وقلوباً غلفاً (أي في غلاف عن سماع الحق)، يقوم بالدين في آخر الزّمان كما قمت به في أول الزّمان ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

الحسنان عليهما السلام صفوة الله

◆ تاريخ بغداد/ أحمد بن علي الخطيب البغدادي (١/٢٥٩)

روى بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: ليلة عرج بي إلى السّماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، عليّ حِبّ الله (أي محبوب الله)، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله، على باغضهم لعنة الله.

حبّ الحسنين عليهما السلام حبّ لله ورسوله

◆ سنن الترمذي (٢/٢٤٠)

وروى بسنده عن أسامة بن زيد، قال طرقت النبي صلى الله عليه وآله ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وهو مشتمل شيئاً لا أدري ما هو؟ فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ قال: فكشفه فإذا حسن وحسين على وركيه. فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهمّ إنّي أحبّهما فأحبّهما وأحبّ من يحبّهما.

◆ سنن ابن ماجه (١/٥١)

في فضائل الحسن والحسين عليهما السلام، روى بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني.

ورواه أحمد في المسند (٢/٢٨٨)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/١٤١)

◆ مستدرك الصحيحين/ محمد بن عبد الله النيسابوري (٣/١٦٦)

روى بسنده عن أبي هريرة، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا. فقال له رجل: يا رسول الله إنّك تحبّهما؟ فقال له من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني. قال: هذا حديث صحيح الإسناد.

ورواه أيضاً أحمد في مسنده (٢/٤٤٠) والهيثمي في مجمعه (٩/١٧٩). وانظر في مضامين الحديث في كنز العمال (٧/١٠٨)، سنن البيهقي (٢/٢٦٣)، مجمع الزائد (١٨٥، ١٨١، ٩/١٨٠)، ذخائر العقبى (ص ١٢٤، / ١٢٣)، مسند أحمد (٣٦٩/ ٥)، مسند أبي داود الطيالسي (١٠/٣٢٧).

أمر النبي بالقيام للحسن والحسين عليهما السلام وللذريّتهما.

◆ كنز العمال / للمتقي الهندي علي بن حسام الدين (٦/٢٢٢)

ولفظه: لا يقومنّ أحدكم من مجلسه إلا للحسن والحسين أو ذرّيتهما، قال: أخرجه ابن عساكر عن أبان عن أنس.

الحسنان سيّدا شباب أهل الجنة:

◆ سنن الترمذي (٣٠٦/ ٢)

في مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، روى بسندين عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

ورواه أحمد في المسند (٨٢، ٦٢، ٣/٣)، والبغدادي في تاريخ بغداد (٢٣٢، ٢٣١/ ٩)، وابن حجر في تهذيب التهذيب (في ترجمة) زياد بن جبير، سويد بن سعيد. وفي خصائص النسائي ص ٣٦.

◆ سنن ابن ماجه (١/٤٤)

في باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، روى بسنده عن ابن عمر قال: قال

رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما.

الله زيّن الجنة بالحسنين:

◆ تاريخ بغداد / أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٢/٢٣٨)

روى بسنده عن عقبة بن عامر: قال: قال رسول الله ﷺ: لما استقرّ أهل الجنّة في الجنّة، قالت الجنّة: يا رب أليس وعدتني أن تزينني بركنين من أركانك؟ قال: ألم أزيّنك بالحسن والحسين؟ قال: فماست (أي تبخترت) الجنّة ميساً كما تميس العروس.

◆ أسد الغابة في معرفة الصحابة/ علي بن أثير (١/١٧٨)

في ترجمة بزيغ الأزدي والد عباس ذكر عنه حديثاً، قال: قال رسول الله ﷺ: قالت الجنّة: يا ربّ زينتني فأحسن أركاني، فأوحى الله تبارك وتعالى إليها إني قد حشوت أركانك بالحسن والحسين.

***

ملحق ٣

مقولات في الحسين (عليه السلام) وعاشوراء

"لقد طالعت حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودقّقت النّظر في صفحات كربلاء واتّضح لي أنّ الهند إذا أرادت إحراز النّصر، فلا بدّ لها من اقتفاء سيرة الحسين. لقد تعلمت من الحسين كيف أن أكون مظلوماً فانتصر".

المهاتما غاندي — محرر الهند

على الرّغم من أنّ القساوسة لدينا يؤثرون على مشاعر النّاس عبر ذكر مصائب المسيح، إلا أنك لدى أتباع المسيح ذلك الحماس والانفعال الذي تجده لدى أتباع الحسين عليه السلام لا تمثل إلا قشة أمام طود عظيم.

توماس ماساريك

يقال في مجالس العزاء أنّ الحسين ضحى بنفسه لصيانة شرف وأعراض النّاس، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلّط ونزوات يزيد، إذن تعالوا نتخذه لنا قدوة، لنتخلص من نير الاستعمار، وأن نفضل الموت الكريم على الحياة الذليلة.

موريس دوكابري

حينما جنّد يزيد الناس لقتل الحسين وإراقة الدماء، وكانوا يقولون: كم تدفع لنا من المال؟ أمّا أنصار الحسين فكانوا يقولون لو أنّنا نقتل سبعين مرّة، فإنّنا على استعداد لأن نقاتل بين يديك ونقتل مرة أخرى أيضاً.

جورج جرداق- العالم والأديب اللبناني

لو كان الحسين منا لنشرنا له في كلّ أرض راية، ولأقمنا له في كلّ أرض منبر، ولدعونا النّاس إلى المسيحية بإسم الحسين.

انطوان بارا- مسيحي

حقّاً الشّجاعة والبطولة الّتي أبدتها هذه الفئة القليلة، على درجة بحيث دفعت كلّ من سمعها إلى إطرائها والثّناء عليها لا إرادياً. هذه الفئة الشّجاعة الشريفة جعلت لنفسها صيتاً عالياً وخالداً لا زوال إلى الأبد.

السير برسي كوكس- المستشرق الإنجليزي

هذه التّضحيات الكبرى من قبيل شهادة الإمام الحسين رفعت مستوى الفكر البشري، وخليق بهذه الذكرى أن تبقى إلى الأبد، وتذكر على الدوام.

تاملاس توندون- الهندوسي

والرئيس السابق للمؤتمر الوطني الهندي

وهل ثمّة قلب لا يغشاه الحزن والألم حين يسمع حديثاً عن كربلاء؟ وحتّى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلها.

ادوار دبروان- المستشرق لإنجليزي

"سيرة الحسين مبادئ ومثل وثورة أعظم من حصرها ضمن الأطر التي حصرت بها، وعلى الفكر الإنساني عامة أن يعيد تمثلها واستنباط البشرية وسرّ سؤددها وسرّ حرّيتها وأعظم ما عليها امتلاكه.

الكاتب المسيحي كرم قنصل

"من أجدر من الحسين لأن يكون تجسيداً للفداء في الإسلام؟

المطران الدكتور برتلماوس عجمي

"إنّ ملحمة كربلاء هي ملحمتي الذاتية كفرد إنساني.

الأديب اللبناني بولس سلامة

لا تجد في العالم مثالاً للشجاعة كتضحية الإمام الحسين بنفسه واعتقد أن على جميع المسلمين أن يحذوا حذو هذا الرجل القدوة الذي ضحّى بنفسه في أرض العراق.

محمد علي جناح، مؤسس دولة باكستان

إن كان الإمام الحسين قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنني لا أدرك لماذا اصطحب معه النساء والصبية والأطفال؟ إذن فالعقل يحكم أنّه ضحى فقط لأجل الإسلام.

شارلز ديكنز، الكاتب الإنجليزي المعروف

أسمى درس نتعلمه من مأساة كربلاء هو أن الحسين وأنصاره كان لهم إيمان راسخ بالله، وقد أثبتوا بعملهم ذاك أنّ التّفوق العددي لا أهمية له حين المواجهة بين الحقّ والباطل والذي أثار دهشتي هو انتصار الحسين رغم قلّة الفئة التي كانت معه.

توماس كارليل، الفيلسوف والمؤرخ الإنجليزي

نداء الإمام الحسين وأيّ بطل شهيد آخر هو أن في هذا العالم مبادئ ثابتة في العدالة والرّحمة والمودّة لا تغيير لها، ويؤكّد لنا أنّه كلّما ظهر شخص للدفاع عن هذه الصّفات ودعا النّاس إلى التّمسك بها، كتب لهذه القيم والمبادئ الثبات والديمومة.

فردريك جيمس

من طبيعة الإنسان أنه يحبّ الجرأة والشّجاعة والإقدام وعلوّ الروح والهمّة والشّهامة. وهذا ما يدفع الحريّة والعدالة عن الاستسلام أمام قوى الظلم والفساد. وهنا تكمن مروءة وعظمة الإمام الحسين. وأنه لمن دواعي سروري أن أكون ممن يثني من كل أعماقه على هذه التضحية الكبرى، على الرغم من مرور ١٣٠٠ سنة على وقوعها.

ل.م.بويد

لم يتردد الشّمر لحظة في الإشارة بقتل حفيد الرسول حين احجم غيره عن هذا الجرم الشّنيع.. وإن كانوا مثله في الكفر.

المستشرق الهولندي — رينهارت دوزي

إنّ مأساة الحسين بن علي تنطوي على اسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي.

الباحث الإنكليزي- جون أشر

قام بين الحسين بن علي والغاصب الأموي نزاع دام، وقد زودت ساحة كربلاء تاريخ الإسلام بعدد كبير من الشهداء.. اكتسب الحداد عليهم حتى اليوم مظهراً عاطفياً.

المستشرق الهنغاري — أجنانس غولد تسيهر

... لم يكن هناك أيّ نوع من الوحشيّة أو الهمجيّة ولم ينعدم الضّبط بين النّاس فشرّعت في تلك اللحظة وخلال مواكب العزاء وما زلت أشعر بأنّي توصّلت في تلك اللّحظة إلى جميع ما هو حسن وممتلئ بالحيوية في الإسلام، وأيقنت بأنّ الورع الكامن في أولئك النّاس والحماسة المتدفقة منهم بوسعهما أن يهزّا العالم هزّاً فيما لو وجّها توجيهاً صالحاً وانتهجا السّبل القويمة ولا غروا فلهؤلاء النّاس واقعية فطرية في شؤون الدّين.

الكاتب الإنكليزي — توماس لايل

في نهاية الأيام العشرة من شهر محرّم طلب الجيش الأمويّ من الحسين بن علي أن يستسلم ولكنّه لم يستجب، واستطاع رجال يزيد الأربعة آلاف أن يقضوا على الجماعة الصغيرة، وسقط الحسين مصاباً بعدة ضربات، وكان لذلك نتائج لا تحصى من الناحيتين السياسية والدينية.

المستشرق الفرنسي — هنري ماسيه

لقد حدّثنا أنّ كبار الرّجال من الأقطار الشقيقة من غير الشيعة أنه التقي بمستر روزفلت الصغير، فدار الحديث بينهما على الحرب وويلاتها وأخذ يشرح له آداب الحرب في الإسلام، ويقارنها بوحشية الحروب بين الدول الغربية، فقال له روزفلت: مهما بلغ المحاربون من الوحشية والاعتداء فإنّنا لم يسمع عنّا أننا قتلنا ابن نبي ننتسب إليه، ولا جردنا بنات النّبي وآله من ثيابهم وأخذناهم سبايا غير مكرمين.. قال وحدّثنا فوجمت ولم أتكلم.

روزفلت

إنّ مأساة الحسين المروّعة- على الرّغم من تقادم عهدها- تثير العطف وتهزّ النّفس من أضعف النّاس إحساساً وأقساهم

قلباً. إنّ مذبحة كربلاء قد هزّت العالم الإسلامي هزاً عنيفاً.. ساعد على تقويم دعائم الدّولة الأموية.

المؤرخ الإنكليزي جيبون

نشبت معركة كربلاء التي قتل فيها الحسين بن علي، وخلفت وراءها فتنة عميقة الأثر، وعرّضت الأسرة الأموية في مظهر سيئ .. ولم يكن هناك ما يستطيع أن يحجب آثار السّخط العميق في نفوس القسم الأعظم من المسلمين على السّلالة الاموية والشّك في شرعيّة ولايتهم.

العالم الإيطالي- الدوميلي.

الكتب المؤلفة في مقتل الحسين تعبر عن عواطف وانفعالات طالما خبرتها بنفس العنف أجيال من الناس قبل ذلك بقرون عديدة.

أنّ وقعة كربلاء ذات أهمية كونيّة، فلقد أثّرت الصّورة المحزنة لمقتل الحسين، الرجل النبيل الشجاع في المسلمين تأثيراً لم تبلغه أيّة شخصيّة مسلمة أخرى.

المستشرق الألماني غوستاف غرونيبام

لقد أصبحت كربلاء مسرحاً للمأساة الأليمة التي أسفرت عن مصرع الحسين.

الباحثة الإنكليزية- جرترودبل

بالرّغم من القضاء على ثورة الحسين عسكرياً، فإنّ لاستشهاده معنى كبيراً في مثاليته، وأثرا فعالاً في استدرار عطف كثير من المسلمين على آل البيت عليهم السلام.

المستشرق الألماني — يوليوس فلهاوزن

دلّت صفوف الزّوار التي ترحل إلى مشهد الحسين في كربلاء والعواطف التي ما تزال تؤجّجها في العاشر من محرم في العالم الإسلامي بأسره كلّ هذه المظاهر استمرت لتدل على أنّ الموت ينفع القديسين أكثر من أيام حياتهم مجتمعة.

المستشرق الإنكليزي د.ج.هوكارت

إنّ مأساة مصرع الحسين بن علي تشكل أساساً لآلاف المسرحيات الفاجعة.

العالم الانتربولوجي الأمريكي- كارلتون كون

حدثت في واقعة كربلاء فظائع ومآسي صارت فيما بعد أساساً لحزن عميق في اليوم العاشر من شهر محرم من كلّ عام.. فلقد أحاط الأعداء في المعركة بالحسين وأتباعه، وكان بوسع الحسين أن يعود إلى المدينة لو لم يدفعه إيمانه الشديد بقضيته إلى الصمود.. ففي الليلة التي سبقت المعركة بلغ الأمر بأصحابه القلائل حداً مؤلماً، فأتوا بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم فحضروه في ساعة من الليل، وجعلوه كالخندق ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب وأضرموا فيه النار لئلا يهاجموا من الخلف.. وفي صباح اليوم التّالي قاد الحسين أصحابه إلى الموت، وهو يمسك بيده سيفاً وباليد الأخرى القرآن، فما كان من رجال يزيد إلا أن وقفوا بعيداً وصوّبوا نبالهم فأمطروهم بها فسقطوا الواحد بعد الآخر، ولم يبق غير الحسين وحده، .. واشترك ثلاثة وثلاثون من رجال بني أمية

بضربة سيف أو سهم في قتله ووطأ أعداؤه جسده وقطعوا رأسه.

الأثاري الإنكليزي- ستيفن لويد

إن الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرى الحسين ومقتله ويعلنون الحداد عليه في عشرة محرّم الأولى كلها على مسافة غير بعيدة من كربلاء جعجع الحسين إلى جهة البادية، وظل يتجول حتّى نزل في كربلاء وهناك نصب مخيمه.. بينما أحاط به أعداؤه ومنعوا موارد الماء عنه وماتزال تفصيلات تلك الوقائع واضحة جلية في أفكار النّاس إلى يومنا هذا كما كانت قبل ١٢٥٧ سنة وليس من الممكن لمن يزور هذه المدن المقدسة أن يستفيد كثيراً من زيارته ما لم يقف على شيء من هذه القصّة لأنّ مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتّى تصل إلى الأسس وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها قط من دون أن ينتابني البكاء.

الكاتبة الإنكليزية — فريا ستارك

أصبح اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي وهو العاشر من محرّم يوم حداد ونواح عند المسلمين ففي مثل هذا اليوم من كل عام تمثّل مأساة النضال الباسل والحدث المفجع الذي وقع للإمام الشّهيد وغدت كربلاء من الأماكن المقدّسة في العالم، وأصبح يوم كربلاء وثار الحسين صيحة الاستنفار في مناهضة الظلم.

المستشرق الأمريكي- فيليب حتي

الحقّ أن ميتة الشّهداء التي ماتها الحسين بن علي قد عجل في التطور الدّيني لحزب علي، وجعلت من ضريح الحسين في كربلاء أقدس محجة.

المستشرق الألماني — كارل بروكلمان

في سياق الحديث عن عالمية ثورة الحسين، فقد زار الصين يوماً، أحد قادة منظمة التحرير الفلسطينية والتقى الزعيم (ماوتسي تونغ). فقال الأول لماو: (علّمني النضال)، فردّ ماو: (كيف أعلمك النضال وعندكم ثورة الحسين بن علي ومعركة كربلاء؟! إن هذه لهي ملهمة لكل الثّائرين في وجه الظّلم، السّاعين، إلى العدالة والحقّ والاستقامة). إنّها رسالة أكبر من كل كلام. إنّ الوفاء للحسين عليه السلام يكون بالسير على نهجه في مقارعة الطغيان، ودرء الظلم عن الناس، بغض النظر عن موازين القوى.

الكاتب الفلسطيني سري سمور- جنين

لقد قدّم الحسين بن علي أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة.

الآثاري الإنكليزي- وليم لوفتس

أخذ الحسين على عاتقه مصير الروح الإسلامية، وقتل في سبيل العدل بكربلاء.

المستشرق الفرنسي — لويس ماسينيون

على مقربة من مدينة كربلاء حاصر هراطقة يزيد بن معاوية وجنده الحسين بن علي ومنعوا عنه الماء ثم أجهزوا عليه، إنّها أفجع مآسي الإسلام طراً.

جاء الحسين إلى العراق عبر الصحراء ومعه منظومة زاهرة من أهل البيت وبعض مناصريه.. وكان أعداء الحسين كثر، وقطعوا عليه وعلى مناصريه مورد الماء.. واستشهد الحسين ومن معه في مشهد كربلاء، وأصبح منذ ذلك اليوم مبكى القوم وموطن الذكرى المولمة كما غدت تربته مقدسة.

وتنسب الروايات إلى أنّ الشّمر قتل الحسين لذا تصبّ عليه اللّعنات دوماً وعلى كلّ من قاد القوات الأمويّة ضدّ شهداء كربلاء.. فالشّمر صنو الشّيطان في الاثم والعدوان من غير منازع.

الباحثة الإنكليزية- أ.س.ستيفينس

المصدر : الهيئة الثقافية العليا لمكتب السيد الشهيد الصدر . محرم ١٤٢٧ هجري.- النجف الأشرف.

***

ملحق ٤

خطاب الأمين العام لحزب الله

سماحة السيد حسن نصر الله في مهرجان الانتصار: (*)

نحن أبناء الإمام الحسين عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا خاتم النبيين أبي القاسم محمد بن ابي عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين

السلام عليكم يا أشرف الناس وأطهر الناس... الحمد لله الذي صدقنا وعده، والذي نصرنا ونصر لبنان وشعب لبنان على عدو لبنان. الحمد لله الذي أعزنا وثبتنا وأمننا. الحمد لله الذي عليه توكلنا وإليه أنبنا، وكان دائما كما وعد: نعم المولى ونعم الوكيل. الحمد لله على نصره وعلى عونه وعلى تأييده.

أيها الأخوة والأخوات، أيها السادة جميعا:

أنتم اليوم في الثاني والعشرين من أيلول تدهشون العالم من جديد، وتثبتون بحق أنكم شعب عظيم، وأنكم شعب أبي، وأنكم شعب وفي، وأنكم شعب شجاع. منذ أيام، وكثيرون يشنون حربا نفسية على هذا المهرجان كما كانوا يشنون حربا نفسية على المقاومة "لقد قالوا إن هذه الساحة ستقصف وأن هذا المنبر سيدمر ليخيفوا الناس ويبعدوها،

انتم في ٢٢ من أيلول تثبتون بتصويبكم لاحتفال النصر أنكم أشجع من ١٢ تموز وأشجع من ١٤آب. نعم، أنا أقف أمامكم وبينكم، فيه مخاطرة عليكم وعلي، وكان هناك خيارات أخرى، ولكن إلى قبل نصف ساعة ونحن نتناقش، إلا أن قلبي وعقلي وروحي لم تأذن لي أن أخاطبكم من بعيد ولا عبر شاشة. أقصى ما يتوقعه إنسان هو أن يقدم العدو على خطأ أو جريمة، ولكن ألا يعرف هذا العدو من نحن؟ نحن أبناء ذاك الإمام الذي قال: أبالموت تهددني يا

(*) ألقى هذا الخطاب يوم الأحد ٢٢ أيلول ٢٠٠٦ في ضاحية بيروت الجنوبية، وبحضور الجماهير المليونية التي تحدّت التهديدات الصهيونية بقصف مكان الاحتشاد.

ابن الطلقاء، إن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة. أهلا بكم جميعا... من الجنوب المقاوم المقاتل، إلى البقاع الصامد، إلى الشمال الوفي إلى الجبل الأبي، إلى بيروت العروبة، إلى ضاحية العزة والكرامة، أهلا بكم جميعا .. من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، أهلا بكم جميعا، من سوريا، من إيران، من الكويت، من البحرين، من كل بلد جاءنا محتفيا محتفلا. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. السلام على شهدائكم وعلى عوائل شهدائكم.. السلام على جرحاكم وجراح جراحكم النازفة.. السلام على أسراكم، السلام على دمائكم ، السلام على دموعكم، السلام على أيتامكم، السلام على أراملكم، السلام على بيوتكم المهدمة، السلام على أرزاقكم المحروقة، السلام على أرواحكم وإرادتكم الصلبة التي هي أصلب من جبال لبنان" نحن اليوم نحتفل بنصر إلهي تاريخي استراتيجي كبير، وكيف يمكن لعقل بشري أن يتصور أن بضعة آلاف من أبنائكم المقاومين اللبنانيين، ولو شئت لقلت العدد بالدقة والتحديد، وقفوا ٣٣ يوما في أرض مكشوفة للسماء وأمام أقوى سلاح جو في منطقة الشرق الأوسط وبه جسر ينقل إليه القنابل الذكية من أمريكا إلى بريطانيا إلى "إسرائيل"، وأمام ٤٠ ألف ضابط وجندي، أربعة ألوية من النخبة وثلاثة فرق من جيش الاحتياط وأمام أقوى دبابة في العالم وأمام أقوى جيش في المنطقة، كيف يمكن لبضعة آلاف فقط أن يقفوا ويقاتلوا في ظروف قاسية صعبة من هذا النوع ويؤدي قتالهم إلى إخراج البوارج البحرية من مياهنا الإقليمية، (وبالمناسبة الجيش والمقاومة قادران على حماية المياه الإقليمية من أن يدنسها صهيوني)، وتدمير دبابات الميركافا مفخرة الصناعة الاسرائيلية، وتعطيل المروحيات الإسرائيلية في النهار ولاحقا في الليل، وتحويل ألوية النخبة، وأنا لا أبالغ، شاهدوا الإعلام الإسرائيلي، وتحويل ألوية النخبة إلى فئران خائفة مذعورة من أبنائكم، تخل عالمي وعربي عنكم، وفي ظل انقسام سياسي من حولكم، وإن كان التضامن الإنساني عاليا، كيف يمكن لهذه الثلة من المجاهدين أن تهزم هذا الجيش، إلا بنصر من الله وعون من الله وتأييد من الله سبحانه وتعالى. هذه التجربة، تجربة المقاومة التي يجب أن تنقل إلى العالم، تعتمد على الإيمان واليقين والتوكل والاستعداد للتضحية في الجانب المعنوي والروحي، ولكنها أيضا، تعتمد على العقل والتخطيط والتنظيم والتدريب والتسليح، وكما يقال الأخذ بالأسباب. لسنا مقاومة عشوائية، لسنا مقاومة سفسطائية ولسنا مقاومة مشدودة إلى الأرض لا ترى إلا التراب، ولسنا مقاومة فوضى. المقاومة التقية المتوكلة العاشقة العارفة، هي المقاومة أيضا العالمة العاقلة المخططة المدربة المجهزة. هذا هو سر الانتصار الذي نحتفل به اليوم. أيها الأخوة والأخوات، هذا الانتصار بحاجة إلى وقفة شجاعة كوقفتكم اليوم، أنتم اليوم تقدمون رسالة سياسية ومعنوية شديدة وبالغة الأهمية والخطورة للبنانيين، للعرب، لكل العالم، للصديق وللعدو. أنتم أذهلتم العالم عندما صمدتم كشعب في لبنان من ١٢ تموز إلى ١٤ آب، وكانوا يراهنون على انقسامنا وتفتتنا، وصمدتم كل هذه المرحلة، من

هُجِّر ومن احتَضَن" وجاء الرابع عشر من آب، وكانوا يراهنون أن بقاء المهجرين في أماكن التهجير سوف يشكل ضغطا على المقاومة لفرض المزيد من الشروط عليها، وهي لم تخضع لشروط، ولكن من جديد أذهلتم العالم عندما ركب المهجرون سياراتهم والشاحنات وبعضهم على الأقدام وعند الساعة الثامنة صباحا كانت الضاحية والجنوب والبقاع تمتلىء بأهلها العائدين، المرفوعي الرأس، الأعزاء، الكرام. اليوم، أنتم تذهلون العالم وتقولون للأميركي الذي تكلم قبل أيام وقال: وصلتنا إشارات طيبة من لبنان أن المقاومة تراجعت شعبيتها وبدأت تضعف وتنهار! هذا هو شعب المقاومة.. أنا أقول لهذا الأميركي: عليك أن توجه كتاب ذم وقدح لكتبة التقارير الكذابين الذين يرسلون لكم معلومات خاطئة وتبنون عليها حسابات خاطئة. يجب أن نؤكد اليوم أن هذه الحرب كانت حربا أميركية بالقرار وبالسلاح وبالتخطيط وبالإرادة وبإعطاء المهلة تلو المهلة للصهاينة: أسبوع، أسبوعين، ثلاثة، أربعة.. والذي أوقف الحرب هو عجز الصهاينة. إذا ذكرتم الأيام الأخيرة، أكبر عدد من الدبابات دمر يوم الجمعة والسبت والأحد. أكبر عدد من قتلى جنود الاحتلال سقطوا يوم الجمعة والسبت والأحد، المروحيات سقطت الجمعة والسبت والأحد، ولذلك أدرك الصهاينة أنهم لو استمروا فستكون كارثة، فتدخل الأميركي وقبل حتى بالمسودات، قبل لتقف الحرب. أوقفوا الحرب ليس من أجل لبنان ولا من أجل أطفال لبنان ولا من أجل دماء النساء في لبنان ولا من أجل لبنان الجميل، أوقفوا الحرب فقط من أجل إسرائيل، وأتوا ليبيعونها لنا في لبنان، أن أصدقاءنا الأمريكان أوقفوا الحرب؟ أصدقاؤنا الأميركان أول يومين لم يقبلوا أن يوقفوا الحرب، وأول أسبوع لم يقبلوا وثاني أسبوع لم يقبلوا وثالث أسبوع لم يقبلوا ورابع أسبوع لم يقبلوا! ألم يكونوا مشاهدين لجمال لبنان شهراً كاملاً؟ وإنما كانوا يراهنون، وهذه العبارة استخدمت في بعض القنوات الدبلوماسية، كان القرار أن يسحق حزب الله، وبعد سحق حزب الله تتم تصفية الحساب مع كل أصدقائه وحلفائه وأبناء الخط الوطني السيادي الحقيقي الاستقلالي في لبنان. الذي أوقف الحرب بعد فضل الله عز وجل، أبناؤكم المقاومون وهذا الشعب الأبي الوفي الشجاع الذي احتضن المقاومة ودعمها من الحدود إلى الحدود، والذي ضمها في مساجده وكنائسه وأديرته ومدارسه، هذا هو الذي أوقف الحرب. وإذا كان من أحد يحق له أن يحتفل بالنصر فهو أنتم الموجودون هنا" قد نختلف: هل ما جرى في لبنان نصر أم هزيمة، وأنا لا أريد أن أدخل في هذا السجال، ولكن أقول لكم: من يشعر أن خياره ومشروعه وخطه ورؤيته هي التي انتصرت، يشعر بالنصر ويتحدث عنه، ومن يعتبر أنه هو الذي هزم والذي سقط يتحدث عن الهزيمة" نحن نشعر أننا انتصرنا وأن لبنان انتصر وأن فلسطين انتصرت وأن الأمة العربية كلها انتصرت وأن كل مستضعف ومظلوم ومحروم ومعتدى عليه في هذا العالم أنه انتصر. ونصرنا ليس انتصار حزب.. أُعيد ما قلته في بنت جبيل في ٢٥ أيار عام ٢٠٠٠ ، ليس انتصار

حزب، ليس انتصار طائفة، ليس انتصار فئة، هو انتصار لبنان الحقيقي وشعب لبنان الحقيقي وكل حر في هذا العالم. لا تحولوا الانتصار التاريخي الكبير، لا تسجنوه في علب حزبية أو مذهبية أو طائفية أو قطرية، هذا نصر أكبر بكثير مما تطيقه عقولنا ومما تستوعبه عقولنا. الأسابيع والشهور والسنوات المقبلة هي التي ستؤكد هذا المعنى. يكفي أن أقول في النتائج المباشرة: إن مقاومتكم وصمودكم أفشل كل أهداف العدوان، وهذا انتصار. إن مقاومتكم وصمودكم وجهت ضربة قاسية لمشروع الشرق أوسط الجديد الذي تحدثت كوندليزا رايس أن مخاضه كان في حرب تموز، ولكنه أصبح سقطا لأنه ولد غير شرعي. مقاومتكم وصمودكم فضحت السياسات الأميركية الخداعة التي تتحدث عن حقوق الانسان والحريات والديموقراطية والاحترام" صمودكم ومقاومتكم فضح أمريكا ورفع منسوب الوعي والعداء (الوعي قبل العداء) ليس في العالم العربي فقط، ليس في العالم الإسلامي فقط، في كل العالم. بصمودكم ومقاومتكم يستطيع رجل، أستطيع أن أقول عنه عربي كبير كبير كبير ك (هوغو) تشافيز - رئيس جمهورية فنزويلا- ،أن يقول ما قاله بالأمس في الأمم المتحدة: المقاومة اللبنانية اليوم هي تلهم كل مقاومي العالم وكل أحرار العالم وكل أشراف العالم وكل الرافضين للخضوع والإذلال الأميركي في العالم. هذا هو انتصارنا وهذه هي نتيجة معركتنا أيضا" مقاومتكم كما قدمت انتصار عام ٢٠٠٠ نموذجا لمقاومة التحرير في ٢٠٠٦، قدمت نموذجا للصمود، الصمود الاسطوري، الصمود المعجزة، وهذا سيصبح حجة وأصبح حجة على كل العرب وعلى كل المسلمين، على الحكام وعلى الجيوش وعلى الشعوب. بالأمس ذهبت مجموعة الدول العربية إلى مجلس الأمن تستجدي سلاما وتسوية، وأنا أقول لهم لا أحدثكم عن إزالة "إسرائيل"، أحدثكم عن التسوية التي تطلبونها، كيف ستحصلون على تسوية مشرفة وأنتم تعلنون صباح مساء أنكم لن تقاتلوا لا من أجل لبنان ولا من أجل غزة ولا من أجل الضفة الغربية ولا حتى من أجل القدس. كيف ستحصلون على تسوية معقولة وأنتم تعلنون في كل يوم أنكم لن تستخدموا سلاح النفط، وحتى إذا جاء أحدكم يحدثكم عن سلاح النفط "صرتم تتمصخروا فيه وتتمهزأوا فيه"، هذا الحكي تخلف! لا تريدون أن تقاتلوا ولا تريدون أن تقاطعوا ولا تريدون استخدام سلاح النفط ولا تسمحون للناس أن ينزلوا إلى الشارع ولا تسمحون للمقاومة في فلسطين أن تتسلح وتحاصرونها ولا تعطونها المال وتجوعونها وتقطعوا عنها الرواتب فقط من أجل كوندالیزا رايس، هؤلاء كيف سيحصلون على "تسوية عادلة أو مشرفة"؟ هل الإسرائيلي يعترف بكم أصلا؟ أقول لكم إن الإسرائيليين ينظرون اليوم إلى المقاومة في لبنان وإلى شعبها باحترام وتقدير كبيرين، أما كل هؤلاء الأذلاء فلا يساوون شيئا. حتى من أجل المبادرة العربية التي أجمعتم عليها في بيروت "بدها وقفة ورجال وقوة"، لا تريدون استخدام القوة، إذا هددوا بها ولوحوا بها، أما القول أننا ضعيفون، فشعب لبنان أقام الحجة على كل شعوب العالم،

مقاومة لبنان أقامت الحجة على كل الجيوش العربية والإسلامية. الجيوش العربية والشعوب العربية ليست قادرة فقط على تحرير غزة والضفة الغربية والقدس الشرقية، بكل بساطة وبقرار صغير وببعض الإرادة هم قادرون على استعادة فلسطين من البحر إلى النهر، لكن المشكلة عندما يضع إنسان نفسه بين خيارين: بين شعبه وعرشه فيختار عرشه، بين القدس وعرشه فيختار عرشه، بين كرامة وطنه وعرشه فيختار عرشه. ميزة المقاومة في لبنان وميزة المقاومة في فلسطين أنها اختارت كرامة شعبها ومقدساتها وحرياتها وقدمت قادتها وأبناءها وأعزاءها قرابين لترحل إلى عرش الله سبحانه وتعالى"

اليوم مقاومتكم هزت صورة إسرائيل: صورة الجيش الذي لا يقهر أنهيناها، مقولة الدولة التي لا تقهر أنهيناها، "بجد خلصنا"، أنا لست أجامل وأطلق شعارات، يكفي أن تقرأوا ماذا يجري في فلسطين المحتلة وماذا يقول الصهاينة وماذا يجري بين جنرالات إسرائيل وقادتها، وها هو (إيهود) أولمرت يحتج علينا اليوم ولماذا نعمل احتفال بالنصر اليوم؟ صحيفة يديعوت أحرونوت أجرت استطلاعا للرأي يقول: من ترى شخصا لائقا لرئاسة الوزراء في إسرائيل، أولمرت أخذ ٧ بالمئة، ووزير الحرب البطل أخذ واحد بالمئة! هذه "إسرائيل" المهزوزة في كيانها السياسي والمهزوزة في مؤسستها العسكرية والمهزومة في استخباراتها تغيرت صورتها اليوم، ولا يستطيع أي حاكم عربي وأي نظام عربي أن يذهب ويقدم تنازلات جديدة ويخضع لشروط مذلة ويحتج لذلك أمام أمتنا ويقول نحن لا نستطيع أن نفعل شيئا مع "إسرائيل". في يوم من الأيام قال رجل كهل كبير في السن عارف بزمانه ومكانه وعصره: لو حمل كل واحد منا دلوا من الماء ورماه على فلسطين المحتلة لزالت "إسرائيل" من الوجود. عندما يقف مئة أو مئتين أو ثلاثمئة مليون إنسان فبإمكانهم أن يهزموا "إسرائيل"، عدة آلاف في لبنان هزموا "إسرائيل". هذه الحجة سقطت ونحن يجب أن ندخل إلى مرحلة جديدة وإلى عصر جديد، العصر الذي نملي فيه شروطنا على العدو، العصر الذي نستعيد فيها كرامتنا وحريتنا وسيادتنا ومقدساتنا. إننا في يوم النصر الإلهي وقبل أن أتحدث في الشأن الداخلي، كما في يوم ١٢ تموز أريد أن أؤكد على وصيتين- قلوبنا ومشاعرنا وأحزاننا اليوم هي فلسطين، هي في غزة ورام الله ونابلس، هي في جنين، هي في القدس، هي في كل بلدة وقرية ومخيم فلسطيني يقصف في كل يوم وشاب فلسطين يقتل في كل يوم وبيوت فلسطينية تهدم في كل يوم والعالم كله ساكت، العالم العربي قبل العالم الآخر. إلى متى سوف يبقى هذا السكوت، إلى متى ستتحمل هذا العار. ولا يطلب أحد أن ترسلوا جيوشكم لتدافع عن شعب فلسطين، فقط لنقدم الدعم لهذا الشعب، الدعم المعنوي والسياسي والمالي والتسليحي، وفي فلسطين قادة وعلماء وفصائل وحركات وشباب ورجال ونساء وأطفال قادرون أن يجددوا المعجزة الإلهية على أرض فلسطين. والرسالة الثانية هي العراق، العراق الذي يجب أن ننظر إليه كلبنانيين، كنموذج، لو نجحت الحرب في لبنان كان

الأمريكيون يريدون تعميم هذا النموذج فيه، نحن في الحرب قدمنا كلبنانيين شهداء، من المقاومة والجيش والقوى الأمنية والدفاع المدني والصليب الأحمر ووسائل الإعلام والمؤسسات والأحزاب المختلفة ومن شعبنا الحبيب، قدمنا قرابة ألف ومئتين شهيد، في العراق كل شهر يقتل عشرة آلاف وخمسة عشر ألفا، في حرب عبثية يديرها ويمولها ويحرض فيها الأمريكي والموساد" نحن، المقاومة في لبنان، هي التي حمته من الحرب الأهلية. البعض يقول المقاومة في لبنان تدفع إلى حرب أهلية، أبدا، لو انتصرت إسرائيل لدفع لبنان إلى حرب أهلية، ولسمعتم أصوات الفيدراليات والكانتونات والتقسيم واللغة الإسرائيلية التي كانت ستنطلق من جديد. العراق نموذج يجب أن نتوقف عنده دائما ويجب أن تبقى رسالتنا لشعبنا في العراق الصبر والهدوء والحكمة والتواصل وعدم الوقوع في الفتنة وعدم الرهان على العدو. أما في لبنان فرسالتنا هي أن خلاصنا جميعا ورجاءنا وأملنا هو في بناء الدولة القادرة القوية العادلة العزيزة النظيفة، هذا هو الأمل، ومن المفترض أن هذا هو معقد الإجماع بين اللبنانيين. نحن من هنا نعلن وبدماء شهدائنا نعلن ونستبق الأمور ونقول: إن أي كلام في لبنان يتحدث عن التقسيم هو كلام إسرائيلي وإن أي كلام في لبنان يتحدث عن الفيدرالية هو كلام إسرائيلي وإن أي كلام في لبنان يتحدث عن كانتونات هو كلام إسرائيلي. نحن اللبنانيين قدرنا وقرارنا ومصيرنا ومشيئة ربنا أن نعيش معا وسويا في دولة واحدة، نرفض أن تقسم وأن تجزأ ونرفض أن "تفدرل" وأن "تكنتن" الأصل الذي يحمي وحدة لبنان هو بناء الدولة القوية القادرة العادلة، الذي يحمي سيادة لبنان من الأطماع الصهيونية هو الدولة القوية القادرة العادلة، الذي يعالج الأزمات المعيشية والإجتماعية للبنانيين وللمقيمين في لبنان هو الدولة القوية القادرة العادلة النظيفة العزيزة، وهذا ما نطمح إليه ونتطلع إليه جميعا. الدولة القوية القادرة تعني التي تستطيع وبعزة أن تستعيد كل شبر من أرضها المحتلة، وأن تحمي كل قطرة ماء من نهر الوزاني والليطاني والحاصباني، والتي تستطيع أن تمنع العدو من الاعتداء على سيادتها يوميا، والتي تستطيع أن تطمئن شعبها إلى أنها تحميه بحق، تحميه بالسلاح وبالقوة وبالعقل وبالوحدة وبالتحصين وبالتخطيط وبالإرادة الوطنية، أما الدموع فهي لا تحمي أحداً. نحن نريد هذه الدولة القوية والقادرة والعادلة والنظيفة والمستقلة التي ترفض أي وصاية أو هيمنة أجنبية، الدولة الكريمة العزيزة التي لا تخضع لشروط مذلة، والنظيفة التي لا مكان فيها للسرقات ولا للهدر ولا للصوصية. هذه هي الدولة التي نحتاجها. هذا هو المدخل الطبيعي لمعالجة مسألة المقاومة، هنا نأتي للسلاح، للذين قلوبهم محروقة "بدن يحلّو مسألة السلاح" أنا أقول لهم لا تعالجوا النتائج وتعالوا لنعالج الأسباب، ناقشونا بالمنطق، المقاومة نتيجة لسبب الاحتلال ولاعتقال الأسرى ولسلب المياه والتهديد للبنان والاعتداء على السيادة اللبنانية وهذه هي الأسباب، عالجوا الأسباب، والنتائج يمكن معالجتها بسهولة. عندما نبني الدولة القوية القادرة العادلة التي تحمي لبنان واللبنانيين سوف نجد بسهولة

حلا مشرفا لمسألة المقاومة وسلاحها. أريد أن يسمع اللبنانيون بوضوح، نحن لا نقول إن هذا السلاح سيبقى إلى الأبد وليس منطقيا أن يبقى إلى الأبد، هذا السلاح لا بد له من خاتمة ومن نهاية، المدخل الطبيعي أن نعالج الأسباب فتنتفي النتيجة، تعالوا وابنوا دولة قوية عادلة تحمي الوطن والمواطنين وأرزاقهم ومياههم وكرامتهم وستجدون أن حل مسألة المقاومة لا تحتاج حتى إلى طاولة حوار. أما أن نأتي بالزمن إلى الوقت الذي - بدل أن يخرج الإسرائيلي من مزارع شبعا - يمدون له الشريط إلى الأمام، وبدل أن يحل مشكلة النقاط الحدودية يتقدم إلى الأمام في الخيام ومروحين وفي الضهيرة، وبدل أن نستفيد من حقنا القانوني من مياه الوزاني يأتي فيمد قساطلا ويسرق مياه الوزاني. هل هكذا يمكن أن نحمي الوطن وخيراته؟ لذلك أقول إن أي حديث عن "نزع سلاح المقاومة أو "تسليم" سلاح المقاومة في ظل هذه الدولة وهذه السلطة وهذا النظام وهذا الوضع القائم يعني إبقاء لبنان مكشوفا أمام "إسرائيل" لتقتل من تشاء وتأسر من تشاء وتقصف كيفما تشاء وتسلب أرضنا ومياهنا، هذا بوضوح لا يمكن أن نقبل به. نحن لما قاتلنا منذ عام ١٩٨٢ ولم يمض الشباب زهرة شبابهم في المقاومة ولم يتركوا حياة الرخاء والرفاه والترف ولا الهدوء، ٢٤ - ٢٥ سنة في المقاومة لا لتنتهي المقاومة و"إسرائيل" تحتل الأرض وتعتدي على العرض وتسلب الأمن وتسحب المياه والخيرات، أبدا لا والله. هذا هو الخيار الصحيح الطبيعي المنطقي العاقل المسؤول الوطني. أما الخيارات الأخرى، أريد من هذا المهرجان الكبير وبحضور هذه الوجوه الطيبة والكريمة وهذا الجمهور الذي ينتمي إلى كل الطوائف في لبنان وإلى كل المناطق في لبنان وإلى عدد كبير من التيارات والأحزاب السياسية، أريد أن أقول لهم: إن الرهان على إنهاء المقاومة بالضغط والتهويل والحصار هو رهان خاسر. إن الرهان على إنهاء المقاومة من خلال جرها إلى فتنة مع الجيش اللبناني كما يفكر البعض هو رهان خاسر، الجيش والمقاومة أخَوَانِ عزيزان حبيبان لا يمكن أن يفصل بينهما أحد" والذين يراهنون خارجا وداخلا وأينما كان فأنا أحيلُ هذا المراهن على نزع سلاح المقاومة من خلال حرب جديدة إسرائيلية أو غير إسرائيلية، على وزيرة خارجية العدو (تسيبي) ليفني ووزير حرب العدو وموشي أرينز وزير الدفاع الأسبق الإستراتيجي وليسمعوا منهم الجملة الواضحة وأعيدها على مسامعهم، "كنا نريد - هم يقولون - تفكيك حزب الله بالكامل لكننا اكتشفنا أن أي جيش في العالم لا يستطيع أن يفكك تنظيما كهذا التنظيم". وأنا أقول لهم إن أي جيش في العالم لن يستطيع أن يلقي سلاحنا من أيدينا وقبضاتنا طالما أن هذا الشعب الوفي والأبي يؤمن بهذه المقاومة، أنا لا أهدد بالسلاح، أنا أراهن على هذا الشعب الذي يحتضن المقاومة، أراهن على تلك المرأة الكبيرة في السن الجليلة التي وقفت بين الدمار وقالت- بيتي في بيروت تهدم وبيتي في الجنوب تهدم ونحن مع المقاومة ومع سلاح المقاومة، وقال آخر وأخرى وآخرون: إذا السيد حسن "بيسلّم السلاح بيكون خاين"، وأنا أقول لهم: أعاهدكم يا شعبنا الأبي والوفي والعظيم إني لا أطمح إلى أن

أختم حياتي بالخيانة بل بالشهادة. كل هذه الرهانات هي رهانات خاسرة لأن هناك شعبا في لبنان ومقاومة في لبنان ترفض الاحتلال والذل والهوان والاستبداد والإهانة، وحاضرة أن تقدم أنفسها وأبناءها وأعزاءها من أجل الوطن"

لبنان اليوم، بلا مبالغة، هو في منطقة الشرق الأوسط لم يعد كبيرا، هو قوة عظمى بكم، يحسب له كل حساب ويحسب له الغرب كل حساب وتحسب له "إسرائيل" كل حساب، وينظر إليه العالم المظلوم والمستضعف باحترام وتقدير واعتزاز وفخر. حتى لا يقلق أحد أعيد، لا نريد أن نحتفظ بالسلاح إلى أبد الآبدين، وأؤكد كما خلال ٢٥ سنة، هذا السلاح ليس للداخل ولم يستخدم للداخل، هذا ليس سلاحا شيعيا، هذا سلاح لبناني، هذا سلاح المسلم والمسيحي، هذا سلاح السني والدرزي والشيعي، هذا سلاح كل لبناني يتطلع لحماية لبنان ولسيادة لبنان واستقلال لبنان. وأنا أعاهدكم أن هوية وقضية هذا السلاح سوف تبقى هكذا وهذا عهد مع الله وعهد مع الأمة وعهد مع الشهداء. المدخل إذا بناء الدولة العادلة القوية المقاومة العزيزة الشريفة النظيفة، وإن كان هذا هدف كبير جدا، وكي لا نبقى في النظريات، لن نقف اليوم لنقول سقط من سقط في الإمتحان ونجح من نجح في الإمتحان. سأقول لحن جميعا مهما اختلفنا ومهما تنافسنا ومهما صعبت الأمور بيننا على المستوى النفسي والسياسي، لحن في مأزق حقيقي في لبنان ولا أحد يقدر على القول لحن أكثرية "وما في شي وكل شي تمام البلد ماشي وماشي الحال، مش صحيح". هناك مأزق حقيقي في لبنان اليوم خصوصا بعد الحرب، هناك انقسام وطني حاد وليس هناك انقسام مذهبي، الخلاف الذي يجري هو ليس خلافا شيعيا سنيا أو خلاف مسلمين ومسيحيين أو خلاف دروز وسنة وشيعة ومسيحيين، أبدا. هناك انقسام سياسي وطني، هناك خيارات استراتيجية وسياسية كبرى تتفق عليها قوى سياسية شيعية وسنية ودرزية ومسيحية، وهناك خيارات أخرى تتفق عليها قوى سياسية من نفس الطوائف، وعندما خرج البعض من الشيعة ليقول كلام آخر غير كلام حزب الله وحركة أمل ظنوا أننا سنحزن، لحن كنا سعداء لأن خروج أصوات أخرى تؤيد الموقف الاخر سيؤكد أن النزاع هنا ليس نزاعاً مذهبياً وإنما هو نزاع سياسي. شاهدوا الحسابات الخاطئة، حتى عندما يريدون ايذاءنا ينفعوننا.

وإذن لحن أمام انقسام وطني، وندائي اليوم في مهرجان النصر الذي صنعه اللبنانيون من كل الطوائف ومن كل المناطق، أريد أن أنبه وأقول لا تسمحوا لأحد أن يحول الانقسام السياسي إلى انقسام مذهبي وانقسام طائفي، يحرم تحريك المذهبيات والطوائف للدفاع عن خيارات سياسية. هذا لعب بالنار وتخريب للبلد وهذا تدمير للبلد. نعم في الخيارات السياسية لحن منقسمون، نتنافس، نتحاور، نختلف، يهاجم بعضنا بعضا في الإعلام نذهب إلى الشارع ونذهب إلى الانتخابات، كل هذه الآليات السلمية والديمقراطية مشروعة ومباحة. هذا ما يجب أن أؤكد عليه، طالما هناك انقسام سياسي هناك تحديات خطيرة، وفي مواجهة هذه التحديات لا

يستطيع الفريق الحاكم حاليا في لبنان أن يواصل السلطة والعمل. المدخل الطبيعي هو تشكيل حكومة وحدة وطنية، وأنا هنا عندما أتحدث عن حكومة وحدة وطنية لا أتحدث عن إسقاط أحد ولا شطب أحد ولا حذف أحد، وإنما كما قلت في ٢٥ أيار الماضي، تعالوا لنضع أكتافنا جميعا كتفا بكتف لنحمي لبنان ولندافع عن لبنان ولنبني لبنان ولنعمر لبنان ولنصون لبنان ولنوحد لبنان. بكل صراحة الحكومة الحالية ليست قادرة لا على حماية لبنان ولا على إعمار لبنان ولا على توحيد لبنان. لكن عندما نقول الحكومة الحالية لا يعني أننا نريد حذف أو شطب أو إلغاء أحد أبدا" وإنما نقول تعالوا جميعا لنحمي ولنبني وندافع . إذن بناء الدولة القوية القادرة يبدأ أولا من حكومة وحدة وطنية جدية، وأنا هنا لا أرفع شعارا للاستهلاك، فليسمعوني جيدا، أنا هنا لا أرفع شعارا للاستهلاك ولا لتقطيع الوقت ولا استرضاء لحلفاء أو لأصدقاء. هذا مشروعنا الجدي الذي سنعمل جميعا لتحقيقه في كل قوة في المرحلة المقبلة. والأمر الثاني في بناء الدولة العادلة القوية المقتدرة يبدأ من وضع قانون انتخاب منصف تشعر فيه كل الطوائف وكل التيارات السياسية بان أمامها فرصة واقعية لتمثيل حقيقي ولا تشعر فيه أي طائفة انها باتت مستتبعة لطائفة اخرى"

هكذا نبني الدولة القوية العادلة القوية المقتدرة وهذا هو المدخل لمعالجة كل مشكلاتنا . هنا نأتي الى التحديات والملفات الباقية بسرعة . في قضية سلاح المقاومة هناك شيء له علاقة بالواقع الحالي. يأتون لمحاصرة البحر من اجل ماذا ؟ هل من اجل حماية لبنان ؟ كلا وقالت المستشارة الالمانية (انجيلا ميركل) - اسم الله عليها!!: «إن البحرية الالمانية تقوم بدور تاريخي لحماية حق اسرائيل في الوجود». يأتون من البحر ويريدون محاصرة السماء ومحاصرة الحدود وانا اقول لهم حاصروا واقفلوا الحدود والبحر والسماء ان هذا لن يضعف شيئا لا من ارادة المقاومة ولا من سلاح المقاومة. نحن خضنا حربا ٣٣ يوما وكنا مستعدين لحرب طويلة. ما قدمناه في الحرب هو جزء بسيط من قدراتنا، اذا في بنت جبيل وقفت وقلت انه بحوزتنا اكثر من ١٢ الفاً صاروخ، رجعنا وضحنا وقلنا ١٢ الفاً ليس معناه انه لدينا ١٣ الفاً يمكن ان يكون العدد (أكبر من هيك). اليوم اقول لكل الذين يريدون ان يقفلوا البحار والسماء والصحاري والحدود وللعدو إن المقاومة تملك اكثر من عشرين الف صاروخ. وخلال ايام قليلة وهي خارجة من حرب ضروس استعادت المقاومة كامل بنيتها العسكرية والتنظيمية والتسليحية"

المقاومة اليوم أقوى مما كانت عليها قبل ١٢ تموز لانها راكمت في الحرب تجربة جديدة وإرادة جديدة وعزما جديدا. من يراهن على ضعف المقاومة نقول له من جديد انت تخطئ في الحساب. اليوم المقاومة في ٢٢ أيلول ٢٠٠٦ أقوى من أي وقت مضى منذ العام ١٩٨٢ . الموضوع الثاني هو موضوع الاسرى: اسراكم ابناؤكم سيعودون ان شاء الله كلهم. وانا باسم المقاومة وعدتكم في ١٢ تموز وقلت لكم باسم رجال الله وليس باسمي واسم ابي، باسم

المقاومين قلت لكم لو جاء الكون كله لن يستطيع ان يستبدل هذين الاسيرين الا بمفاوضات غير مباشرة وتبادل. وبعد ١٢ تموز نعم، لقد جاء الكون كله وبقيتم وصمدتم وبقي الاسرى في ايدينا، ولن يُطلقوا الا بعودة الاسرى الذين نطالب بتحريرهم وعودتهم وهذا الملف نحن (مريحين العالم منه).

ثالثا: مزارع شبعا وتلال كفر شوبا، وفود من هذه البلدات الطيبة الصابرة خافت في هذه الايام نتيجة الترتيبات الجديدة في المنطقة الحدودية. انا اؤكد لهم أنه لن يتم التخلي عن مزارع شبعا وتلال كفرشوبا ولن يتخلى احد عن شبر واحد من ارض لبنان المحتلة " في سياق الحرب والمفاوضات السياسية كانت هناك فرصة جدية لتحرير مزارع شبعا وكاد الامريكيون ان يوافقوا بل وافقوا، ثم جاؤوا واخلفوا بالوعد كعادتهم وقالوا لا نستطيع الآن ان نعيد مزارع شبعا الى لبنان، لماذا؟ لاننا لا نريد ان نقدم نصرا الى حزب الله . انا اقول لهم اعيدوها لمن شئتم وقدموا نصرا لمن شئتم ولكن اعيدوها اعيدوها. كان يمكن في سياق الحرب لو توفرت الارادة السياسية الجدية والوحدة السياسية الجدية والمقاومة السياسية المتكاملة لامكننا استعادة مزارع شبعا وتلال كفر شوبا. ولكن انا اؤكد لكم أنها ومع كل الخروقات القائمة هي، على خط التحرير الآن الدولة هي المتواجدة، الجيش اللبناني متواجد هناك، جيشنا الوطني واليونيفل اكتمل عددهم على الخمسة الاف. في السابق عندما كانت المقاومة على الحدود كانت أي جرافة تدخل ولو عشرة امتار تضرب وتهرب، الآن الحدود باتت مفتوحة يدخلون الى أي مكان يريدون. الذي مضى مضى، هذا الامر لا يرتبط بالجيش اللبناني، أعني الجيش اللبناني يملك الشجاعة والارادة والعزم وضباطه وجنوده هم اخوة هؤلاء المقاومين ولا فرق بينهم. المسألة ترتبط بالقرار السياسي: هل ستحول الحكومة اللبنانية الجيش اللبناني الى وحدة عداد شكاوى وتسجيل خروقات؟ هذا معيب في حق الجيش اللبناني. لا الجيش يرضى ولا شعب لبنان يقبل. جيشنا ليس ليجلس على الحدود وبعد الخروقات الاسرائيلية مثل قوات الامم المتحدة المتواجدة منذ العام ١٩٧٨. جيشنا مهمته التي ذهب من اجلها الى الجنوب بقرار من الحكومة اللبنانية الدفاع عن الوطن وحماية المواطنين وأرزاقهم وأمنهم .

«الان الوطن تخترق سيادته وارضه ومواطنون يخطفون بين الحين والاخر ويعتدى عليهم وعلى حقولهم . ما هو القرار السياسي للحكومة؟ حتى الآن نحن صبرنا لاننا لا نريد ان نسجل أي خرق للقرار ١٧٠١ الغير مقدس، لاننا نعرف ان أي خرق بسيط منا ولو كان دفاعا شرعيا ستقوم الدنيا ولن تقعد.إن "اسرائيل" منذ وقف النار تقوم بخروقات واعتداءات وتجاوزات والعالم يسكت. لكن ثقوا تماما لن نصبر طويلا واذا تخلفت الدولة والحكومة عن مسؤوليتها في حماية الارض والمواطنين، فالشعب اللبناني سيتحمل المسؤولية كما تحملها منذ العام ١٩٨٢. واقول للصهاينة اذا كان من احد قدم لكم ضمانات امنية انا لا اعرف، واذا كان من احد قدم

هذه الضمانات تحت الطاولة او فوقها فهذه الضمانات تعنيه هو ولكنها لا تعني المقاومة في لبنان ولا تعني شعب لبنان "

المطلوب اذا ان نشحذ همتنا الوطنية وان نقف خلف جيشنا الوطني وان نسانده وندعمه وان يجهز بأحسن تجهيزات ليكون حارسا للوطن وللقرى والبلدات والحقول والفلاحين والكنائس والمساجد وليس حاميا لاحد آخر - بالنسبة لليونيفل المعززة - نحن رحبنا بكم واجدد ترحيبي بكم في اطار مهمة واضحة، مهمتكم مساندة الجيش اللبناني وليست مهمتكم التجسس على حزب الله او نزع سلاح المقاومة. هكذا قال السيد الامين العام كوفي انان ومسؤولون عديدون. حتى هذه اللحظة لم اسمع من أي دولة شاركت في اليونيفل انها ارسلت ابناءها وجنودها للدفاع عن لبنان واللبنانيين، يخجلون ان يقولوا جاؤوا ليدافعوا عنا ولكنهم يتحدثون عن الدفاع عن "اسرائيل". اليونيفل مرحب بهم طالما انهم ملتزمون بمهمتهم. وانا ادعو قيادة القوات الدولية في لبنان الى الانتباه لانني سمعت بعض المعلومات والمعطيات ان هناك من يريد ان يجر هذه القوى الدولية الى صدام مع المقاومة وسمعت انه في بعض الجلسات قيل ان وجود قوات دولية سيعيد توازن قوى الداخل في لبنان. هذا الكلام خطير، القوات الدولية جاءت من اجل مهمة محددة ولا يجوز لها ان تتدخل في الشأن اللبناني الداخلي وتؤدي الى تورط من هذا النوع. فيما يتعلق في السجالات السياسية نحن ما كنا نريد ان ندخل في سجال سياسي مع أحد. في مرحلة الحرب سمعنا الكثير من الاذى وسكتنا وصبرنا وبعد انتهاء الحرب استمر السجال والهجوم والاعتداء الاعلامي والسياسي على المقاومة وعلينا. لكن في البيانات الأخيرة وصلت الامور الى حد لا يطاق. الله لا يرضى للمؤمنين الذل، لقد وصل الاعتداء الاعلامي السياسي على المقاومة في لبنان خلال الحرب وصبرنا عليه ولكن وصل بعد الحرب الى حد لا يطيقه الا الانبياء ونحن لسنا انبياء. ان يقف شخص ليقول نفهم، اثنان نتفهم، ثلاثة نستوعب، ولكن ان تجتمع قوى سياسية بقضها وقضيضها في البريستول لتأتي بنوابها وقياداتها وأعضاء مكاتبها السياسية ثم لتطلع على اللبنانيين بخلاصة تقول فيها ان الحرب التي حصلت في لبنان هي حرب ايرانية من اجل الملف النووي الايراني ومن اجل تعطيل المحكمة الدولية، حقيقة إنّ هذا الامر ما كنا نطيقه مع اعتزازنا بعلاقتنا وصداقتنا مع الجمهورية الاسلامية في ايران بقيادة سماحة الامام القائد السيد الخامنئي، واعتزازنا بعلاقتنا مع سوريا قيادة وشعبا، نعم قيادة وشعبا بقيادة الرئيس الدكتور بشار الأسد "

نحن سياديون ونحن استقلاليون، لا علاقة لهذا الامر في الحرب، وماضينا يشهد اكثر من ماضيهم. لكن ان يقال ان هذه الحرب التي شنتها امريكا و"اسرائيل" وقالت فيها كونداليزا رايس انها مخاض عسير لولادة شرق اوسط جديد وقال فيها اولمرت وبيريز، وفي الاخر تكون النتيجة ان تهدم بيوتنا وتقتل اطفالنا ونقاتل في حرب قال العرب انها حرب سادسة وقال الصهاينة انها

الاولى والنتيجة اننا نقاتل من اجل الملف النووي الايراني ومن أجل المحكمة الدولية، هذا كلام عيب، هذا كلام فيه غمز "نحن نحترم كل الحريصين علي وعلى عمتي والجبة، انه يا سيد لا تدخل في السجال، الشباب والقيادات في الحزب هي التي تدخل في السجال، لكن هناك حد، حتى أنا (عمامتي وحيتي ليستا أشرف من هذه المقاومة وهؤلاء الناس) اذا كان لعمامتي وحيتي شرف فهو منكم ومن هذه المقاومة ودماء شهدائها. انا ادعو الى وقف السجالات والى تجنب العبارات السخيفة والمؤذية والقاسية وان نبقى في اطار التنافس السياسي المنطقي والمعقول لان مصيرنا في النهاية واحد ولأننا في نهاية المطاف يجب ان نبني لبنان سويا، ولكن لن اسكت انا حسن نصرالله ولن اسكت عن اهانة شعب المقاومة. قبل ايام قام زعيم من الزعماء الكبار في قوى ١٤ شباط ليقول ولو بهدوء ان جمهور المقاومة بلا تفكير، هل انتم بلا تفكير .أنا لا أسمح بذلك .من يقبل هذه الاهانة. وانا احترم جمهوره واحترم شبابهم ونساءهم واحترم خياراتهم اذا كانت وطنية ولكن لا يمكن ان نقبل ان يهين جمهور المقاومة أحد وعليه ان يعتذر. نحن لسنا حزبا شموليا ولسنا نظاما شموليا ولسنا فئة شمولية، انا لا أبي كان (بيك) ولا جدي كان (بيك) ولا ابني سيكون (بيك)،نحن لا نريد أي جدل سياسي، ونحن حريصون من خلال أي صيغة حوار ان نخرج من الانقسام السياسي في البلد. نحن ملتزمون ومن دعاة الدولة ومشروع الدولة وبناء الدولة واقامة الدولة ولكن نحن اصحاب كرامة، كرامتنا قبل كل شيء، لا يمكن ان نسمح لاحد ان يهدر كرامتنا من اجل ان يبني لنا بيتا وقد هدم من اجل كرامتنا"

لا يتصور احد انه يمكن ان يشبع بطننا على حساب كرامتنا ونحن قدمنا دمنا من اجل كرامتنا، هذا نحن. في هذا السياق انا ادعو للعودة الى الهدوء والتعقل ونحن امام شهر رمضان المبارك اعاده الله على اللبنانيين جميعا بخير ونطلب من الله ان يوفقنا لصيامه وقيامه وعسى ان يكون هذا الشهر فرصة للتأمل والتفكر والعودة الى الذات ولرؤية الحقائق، اخرجوا وانظروا الى الحقائق ولا تشتبه عليكم الامور ولا تبنوا اموركم على حسابات خاطئة. زمن الهزائم قد ولى وقد جاء زمن الانتصارات

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملحق ٥

سماحة السيد حسن نصر الله

الأمين العام لحزب الله في سطور

ولد سماحة السيد حسن نصر الله في ٣١/آب/١٩٦٠ وهو من بلدة البازورية في جنوب لبنان، والده السيد عبد الكريم نصر الله ، والسيد حسن هو الأكبر سناً في الأسرة المكونة من ثلاثة أشقاء و خمس شقيقات.

وكانت الولادة والسكن في حي " الكرنتينا " احد أكثر الأحياء فقراً في الضاحية الشرقية لبيروت وهناك تلقى دراسته الإبتدائية في مدرسة " الكفاح " الخاصة وتابع دراسته المتوسطة في مدرسة " الثانوية التربوية " في منطقة سن الفيل.

عند اندلاع الحرب الأهلية في لبنان (نيسان ١٩٧٥) عادت عائلته الى البازورية ، حيث واصل تعليمه في المرحلة الثانوية وعلى الرغم من صغر سنه تم تعيينه مسؤولاً تنظيمياً لبلدة البازورية في حركة " أمل ".

أبدى منذ حداثته اهتماماً خاصاً بالدراسة الدينية متأثراً بالإمام المُغيب السيد موسى الصدر(أعلى الله مقامه الشريف).

تعرّف خلال فترة وجوده في جنوب لبنان على إمام مدينة صور سماحة السيد محمد الغروي ، الذي ساعده في ترتيب التحاقه بالحوزة العلمية في مدينة النجف الأشرف بالعراق اواخر العام ١٩٧٦ ، فغادر اليها ومعه رسالة تعريف من السيد الغروي الى المرجع الديني الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر(قدس سره) الذي ابدى اهتماماً لافتاً به وكلف الشهيد السيد عباس الموسوي(قدس سره) مهمة الإشراف على الطالب الجديد والعناية به على المستويين العلمي والشخصي.

في عام ١٩٧٨ غادر العراق متخفياً متوارياً عن انظار النظام الصدامي القمعي نظراً لحالة الجور والإضطهاد التي مورست ضد الحوازات الدينية ــ علماءً و طلاباً ــ وفي لبنان التحق

بحوزة الإمام المنتظر(عجل الله تعالى فرجه) وهي المدرسة الدينية التي أسسها الشهيد السيد عباس الموسوي الذي كان ممنوعاً بدوره من العودة الى العراق، وهناك واصل دراسته العلمية. والى جانب نشاطه العلمي في الحوزة الدينية في بعلبك عاود السيد نصر الله نشاطه السياسي والتنظيمي في حركة أمل بمنطقة البقاع، حيث تم تعيينه سنة ١٩٧٩ مسؤولاً سياسياً لمنطقة البقاع و عضواً في المكتب السياسي للحركة.

في عام ١٩٨٢ ، انسحب مع مجموعة كبيرة من المسؤولين والكوادر من حركة أمل اثر خلافات جوهرية مع القيادة السياسية للحركة آنذاك حول سبل مواجهة التطورات السياسية والعسكرية الناتجة عن الإجتياح الإسرائيلي للبنان .

واصل نشاطه العلمي في المدرسة الدينية في بعلبك الى جانب توليه مسؤولية منطقة البقاع في حزب الله حتى العام ١٩٨٥ ، حيث انتقل الى منطقة بيروت، وتولى فيها مسؤوليات عديدة.

في عام ١٩٨٧ تم استحداث منصب المسؤول التنفيذي العام لحزب الله، حيث جرى تعيينه في هذا المنصب الى جانب عضويته في شورى القرار (اعلى هيئة قيادية في حزب الله).

في عام ١٩٨٩ غادر الى مدينة قم المقدسة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية للإلتحاق بالحوزة العلمية مجدداً وإكمال دراسته، ولكنه عاد بعد عام واحد ليكمل مسؤولياته بناءً على قرار الشورى وإلحاح المسؤولين والكوادر الأساسيين وتحت ضغط التطورات العملية والسياسية والجهادية في لبنان آنذاك.

في عام ١٩٩٢ تم انتخابه بالإجماع من قبل اعضاء الشورى أميناً عاماً لحزب الله خلفاً للأمين العام السابق الشهيد السيد عباس الموسوي الذي اغتالته القوات الإسرائيلية في ١٦ شباط/١٩٩٢ في بلدة تفاحتا خلال عودته من بلدة جبشيت في جنوب لبنان حيث كان يشارك في احتفال بمناسبة الذكرى السنوية لإستشهاد شيخ شهداء المقاومة الإسلامية الشيخ راغب حرب.

خاضت المقاومة الإسلامية خلال توليه الأمانة العامة للحزب عدداً من الحروب والمواجهات البطولية مع جيش الإحتلال الصهيوني، كان ابرزها حرب " تصفية الحساب" في تموز/١٩٩٣ وحرب " عناقيد الغضب " في نيسان /١٩٩٦ التي توجت بتفاهم نيسان الذي كان احد المفاتيح الكبرى لتطور نوعي لعمل المقاومة الإسلامية أتاح لها تحقيق الإنجاز التاريخي الكبير المتمثل بتحرير القسم الأكبر من الأراضي اللبنانية في ايار/٢٠٠٠.

خلال توليه الأمانة العامة خاض حزب الله غمار الحياة السياسية الداخلية في لبنان بشكل واسع، وشارك في الإنتخابات النيابية عام ١٩٩٢ وفي اول انتخابات نيابية تجري بعد انتهاء

الحرب الأهلية في لبنان، فحقق فوزاً مهماً تمثل بإيصال ١٢ نائباً من اعضائه الى البرلمان اللبناني، مشكلاً بذلك كتلة الوفاء للمقاومة.

في ١٣ ايلول/١٩٩٧، استشهد نجله الأكبر السيد محمد هادي في مواجهة بطولية مع قوات الإحتلال في منطقة الجبل الرفيع في جنوب لبنان.

في ٢٥/ايار/٢٠٠٠ تم على ايدي رجاله ابناء المقاومة الإسلامية في لبنان تحرير الجنوب اللبناني واجبار العدو الصهيوني على الرحيل (باستثناء مزارع شبعا).

في الفترة ١٢تموز-١٤آب/٢٠٠٦ قاد سماحته أبطال المقاومة من ابناء حزب الله، في عملية التصدي لعدوان الكيان الصهيوني الواسع النطاق والذي حاول وبدعم أمريكي اوربي غربي لامحدود وبتواطؤ من اطراف عربية أغاضها المواقف المشرفة لمقاتلي جبل عامل، الإجهاز على هذه المقاومة كلياً وانهاء الوضع اللبناني لصالح مايسمى بمشروع الشرق الأوسط وتكريس الهيمنة الإسرائيلية في المنطقة. بيد أن المعادلة تغيرت وجاءت نتائجها على عكس مايشتهي الإستكبار العالمي وأعوانه، فقد حقق ابناء المقاومة الإسلامية أعظم إنتصار في تاريخ الأمة المعاصر، وتمكنوا بإمكاناتهم المادية والبشرية المتواضعة من إنجاز ماعجزت عنه الجيوش النظامية اثناء حروبها على مدى ٢٥ عاماً ضد العدوان الصهيوني الغاصب. وسجلوا بذلك نقلة جبارة في عملية الصراع العربي ــ الإسرائيلي برهنوا من خلالها على إمكانية دحر هذا الكيان المجرم وإيقاع أقسى الضربات في العمق الصهيوني، الأمر الذي كان يعد شيئاً مستحيلاً في ظل الأوضاع المتدنية والمأساوية للأمة العربية والإسلامية جراء السياسات الخاطئة والمهادنة والإستسلامية التي سادت المنطقة ودولها وشعوبها طيلة الفترة السابقة.

سماحة السيد حسن نصر الله متزوج من السيدة فاطمة ياسين، وله منها خمسة أولاد (الشهيد هادي)، محمد جواد، زينب، محمد علي و محمد مهدي.

في يوم ١٩٩٧/١١/٢٨ أجرت مجلة "مجازين" الفرنسية مع الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله مقابلة، نشرت على صفحاتها الأولى جاء في مقدمتها الآتي: "هذه المرة الأولى التي يوافق فيها السيد حسن نصر الله ــ الأمين العام لحزب الله ــ على التحدث عن حياته، ويرضى ألا يكون ملتحماً كلياً بحزبه وافكاره ودوافعه و نضاله وسياسته في حديث موجه الى الجمهور.

"كاريزمي" هذا الرجل، لديه روح مجبولة بالفولاذ. يتكيّف بسهولة مع تهديد دائم كان ليتلف أعصاب أيّ مواطن عادي في كل لحظة وهو يعرف هذا. (اسرائيل) يمكن أن تسعى الى قتله هو وخاصته ــ زوجته واطفالهما ــ وإن اقتضى الأمر تصفيته عبر قصف مسكنه أو عبر إمطاره بالصواريخ في طريق مهجور كما في حالة سلفه السيد عباس الموسوي... بمعنويات عالية

تعامل السيد حسن نصر الله مع مصرع ابنه الأكبر هادي، الذي استشهد في اشتباك مع الإسرائيليين، كوالد سعيد لنيل ابنه نعمة الشهادة التي تفتح للمؤمن أبواب الجنة.

رأينا هذا جيداً على شاشة التلفزة، لقد أراد تلقي التهاني لا التعازي ، ولم يصدر عنه أيُّ دلالة اعتيادية بالنسبة لمأتم. وهذا موقف _ وفقاً للمقربين منه _ ليس فيه اي ادعاء فإيمان الرجل قوي بحيث أنه حين علم بفقدان اثر هادي لم يتذمر ، مُستقبلاً النبأ كما لو كان شأناً عاماً.

* * *

ملحق ٦

نص رسالة التهنئة التي وجهها قائد الثورة الإسلامية
آية الله العظمى الإمام الخامنئي (دام ظله)
إلى سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله (حفظه الله)
لمناسبة انتصار المقاومة على العدو الصهيوني

حضرة الأخ المجاهد الغالي السيد حسن نصر الله (أدام الله عزه وعافيته)

سلام عليكم بما صبرتم

تحية لكم ولأخوانكم ولمجاهدي حزب الله فرداً فرداً وبعد؛

فإن الذي أهديتموه للأمة الإسلامية بجهادكم وصمودكم المنقطع النظير يفوق حدود وصفي، وإن جهادكم البطولي المظلوم الذي تكلل بالنصر الإلهي، قد أثبت مرة أخرى أن الأسلحة المتطورة الفتاكة غير فاعلة أمام سلاح الإيمان والصبر والإخلاص، وأن الشعب الذي يملك الإيمان والجهاد لا ينهزم أمام هيمنة القوى الغاشمة.

إن انتصاركم كان انتصاراً للإسلام، ولقد استطعتم بحول الله وقوته أن تبرهنوا على أن التفوق العسكري، ليس بالعدد والأسلحة والطائرات والبوارج والدبابات، وإنما هو كامن في قوة الإيمان والجهاد والتضحية مع الاستعانة بالعقل والتدبير. إنكم لأنتم فرضتم تفوقكم العسكري على الكيان الصهيوني، كما كرستم تفوق المعنويات والقيم على الأصعدة الإقليمية والعالمية، وسخرتم من الخرافة القائلة بأن الجيش الصهيوني لا يقهر، وكشفتم النقاب عن الهالة المزيفة لهذا الجيش، وأوضحتم للجميع مدى هشاشة الكيان الغاصب. إنكم لأنتم وهبتم العزة للشعوب العربية وأظهرتم قدرات هذه الشعوب وإمكاناتها الهائلة على أرض الواقع، بعد أن حاولت الأجهزة الإعلامية والسياسات الإستكبارية، إنكار هذه القدرات وشلّها لعشرات السنين. إن ما حدث يشكل حجة من الله تعالى على جميع الحكومات والشعوب الإسلامية وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط. لقد جسدتم مرة أخرى مصداق هذه الآية القرآنية الشريفة ﴿لقد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك عبرة لأولي الأبصار﴾. وأولو الأبصار في عالم اليوم هم تلك الجماهير المليونية والشباب الغياري المؤمنون في دول المنطقة والساسة النزيهون والمستقلون والعقلاء.

إن جهادكم المقرون بالمظلومية، فضح العدو وأماط اللثام عن وجهه الكريه، وإن ما ارتكب من مجازر بشعة بحق المدنيين، وقتله الأبرياء العزّل من النساء والأطفال وتنفيذه مجزرة قانا الثانية وكثيراً من الأحداث المروعة المماثلة، وتشريده آلاف العوائل، وتدميره البنى التحتية لأجزاء مهمة من لبنان وغيرها من المآسي، كل ذلك عرّى عن الصورة الحقيقية لقادة أمريكا وبعض الدول الأوروبية، التي وقفت جنباً إلى جنب مع الكيان الصهيوني البغيض. كما أفصح جهادكم عن حالة الكذب والزيف والرذالة التي تحف بالشعارات الفارغة المنافقة التي يرفعها هؤلاء، كحقوق الإنسان والحرية والديمقراطية، وقد أبان أيضاً حجم المآسي التي يمكن أن تحلّ بالمجتمع الإنساني عندما يكون قادة الدول مجردين من الرحمة والشفقة والمنطق والصدق.

إن التصريحات التي أدلى بها الرئيس الأمريكي - جورج بوش الابن - والتي اعتبر فيها جرائم الكيان الصهيوني دفاعاً عن النفس، ومزاعمه الهزيلة حول انتصار إسرائيل في حرب لبنان، جسدت على مرأى ومسمع العالم نموذجاً سافراً لهذه القسوة والفظاعة وانعدام الحق.

أما لبنان، وما أدراك ما لبنان، فقد تجلى مشرقاً متألقاً بفضل عزيمة شعبه وبسالته، لقد أخطأ العدو في تصوره بأنه يستهدف من خلال مهاجمته لبنان أضعف حلقة في سلسلة دول المنطقة، ليدشن بذلك مشروعه الشرق أوسطي الموهوم حسب مواصفاته هو، إلا أن العدو الأمريكي الإسرائيلي كان غافلاً عن صبر الشعب اللبناني وذكائه وشجاعته، وكان جاهلاً قوة سواعد لبنان الضخمة، وبعيداً عن السنّة الإلهية التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ وقد أفاقته الصفعة القوية التي تلقاها من الشعب اللبناني وشبابه الأبطال وساسته الأذكياء من غفلته هذه.

واليوم يحاول العدو بترهذا الساعد القوي الفاعل، وهو يعمل على إثارة الخلاف بين السياسيين وبث بذور اليأس ونفاد الصبر والشك والتردد بين المواطنين، فعلى الجميع أن يكونوا يقظين أمام مثل هذه الأجواء المسمومة، وسيكون النجاح حليفكم بحول الله وقوته في إحباط مؤامرات العدو، وستحققون بذلك انتصاراً ثانياً إن شاء الله.

إن الجهاد الذي تواجهونه اليوم في هذه الساحة لا يقل أهمية عن جهادكم الزاخر بألوان التضحية والتفاني في الساحة العسكرية. وإن عناصر الصبر والتوكل والإخلاص والتدبير، تشكل المقومات المصيرية في هذه الساحة.

إنني أحييكم وأحيي سائر الأخوة الأبطال في ساحة الجهاد وأقبّل أياديكم وسواعدكم.

السيد علي الحسيني الخامنئي

٢١/ رجب/ ١٤٢٧هـ

١٦/٨/ ٢٠٠٦.

ملحق ٧

الأمين العام لحزب الله لبنان لـ (كيهان العربي)*:
وقف الكاتيوشا مشروط بوقف العدوان ، ووقف عمليات المقاومة ليس واردا طالما هناك احتلال

□ اجرى الحوار في دمشق / حميد حلمي زادة

□□ لاشك ان الاوضاع الكارثية التي يمر بها لبنان تجعل من الصعوبة لقائد ميداني كالعلامة السيد حسن نصرالله امين عام حزب الله الدخول في حوار صحفي مطول نسبيا بلحاظ ظروف و مسؤوليات هذه الشخصية الرائدة في الوقت الحاضر . وقد أبدى سماحته تعاطيا طيبا مع هذه المقابلة التي جرت في دمشق عندما كان السيد نصرالله في زيارة عابرة للعاصمة السورية في اطار اتصالاته السياسية المكثفة الهادفة الى لجم العدوان الصهيوني الغاشم ، ووضع حد للممارسات الهمجية البربرية التي تقوم بها "اسرائيل" في بيروت والبقاع الغربي والجنوب اللبناني المسفوح دما . سألت أمين عام حزب الله في خاتمة اللقاء اذا كان يريد توجيه خطاب الى العدو الصهيوني وحماته ؟ فأجابني مبتسما وبلغة القيادي المحنك: "اننا لا نخاطب هؤلاء ، بل نقاتلهم في ساحة وميدان المقاومة" . صدقوني بهذه العبارة خرج الحوار من حالة الشعور بالمرارة والخذلان التي أوجدتها لشعوبنا . سياسات الانظمة الخانعة ، الى اجواء ملؤها القوة والتحدي والثقة بالنفس في إمكانية دحر عدو الاسلام والانسانية جمعاء "اسرائيل" الغاصبة .

□ سماحة السيد كيف تنظرون الى المساعي السياسية المبذولة الآن لانهاء الازمة في لبنان ؟

□□ مما لا شك في أن المساعي السياسية الدبلوماسية القائمة حاليا هي مساع مفيدة وهي محاولة للتوصل الى وضع يتوقف فيه العدوان الاسرائيلي . ولكن حتى هذه اللحظة لا نستطيع

(*) نص المقابلة التي أجراها المؤلف مع سماحة السيد حسن نصر الله ـ بتاريخ ٢٣/ نيسان/١٩٩٦ قبل أربعة أيام من إعلان تفاهم نيسان. وقد نشرت في جريدة كيهان العربي الإيرانية ـ الطبعة الدولية بتاريخ ٢٤/ نيسان ١٩٩٦.

القول: إننا اقتربنا من نهايته وخصوصا أن هناك عقبات عديدة لازالت تحول دون ذلك .

□ المعروف أن "اسرائيل" بدأت عدوانها على لبنان وفي تفكيرها القضاء على حزب الله ، فهل تم لها ذلك ؟

□□ على هذا الصعيد من المؤكد أن العدو الاسرائيلي لم يتمكن من تحقيق هدفه، فكل الغارات الجوية التي قال إنه أستهدف فيها مقرات وقواعد حزب الله وزعم أنه قتل فيها مجاهدين، لم تؤد غرضها، لذلك فلا صحة لمزاعمه لأنه تبين للناس جميعا بوضوح بأن حزب الله يعيش بين الناس وأن هذه الامور لا تخفى ببساطة .

حتى الآن استطيع التأكيد — ونحن في اليوم الرابع عشر — أن العدو الاسرائيلي عجز عن إلحاق أي ضربة ببنية حزب الله أو بنية مقاومته العسكرية .

□وما هو تقييمكم للمشروع الذي تقدمت به أميركا لحسم النزاع ؟

□□ الاميركيون ومنذ اليوم الاول قدموا شيئا سموه مبادرة وهو ليس بمبادرة، بل محاولة لفرض شروط إسرائيلية على لبنان، وهو محاولة للتوظيف السياسي لما قام به العدو الصهيوني عسكريا ونحن منذ اللحظة الاولى أعلنا رفضنا للطرح الاميركي في هذا المجال لان هذا الطرح يعطي كل الحق للاسرائيلي أن يقتل ويدمر ويفسك الدماء ويسلب منا أيّ حق في مقاومة الاحتلال، والاميركيون حريصون على التفرد في المنطقة واعتبار أن المنطقة يجب أن تكون محكومة لمشاريعهم وارادتهم، و هم حساسون جدا من أي حركة أخرى يمكن حصولها في المنطقة، وهذا الامر أصبح مفهوما من خلال مدى التحسس الاميركي للتحركات الفرنسية والاوربية والروسية التي دخلت على خط المعالجات في هذه الازمة .

□ ما هي شروط حزب الله لوقف إطلاق النار ؟

□□ نحن أعلنا في اكثر من مناسبة بأن وقف اطلاق النار الذي يعنينا هو وقف إطلاق الكاتيوشا على شمال فلسطين أما وقف عمليات المقاومة فهذا ليس وارداً، لأنه طالما هناك احتلال فإن هناك مقاومة للاحتلال . ليس واردا القبول بوقف العمليات ولو لدقيقة واحدة، هذا هو حقنا ونحن نمارس حقنا بالكامل .

أما فيما يتعلق بوقف الكاتيوشا على المستعمرات الصهيونية في شمال فلسطين فهو رهن ومشروط بوقف العدوان برا وبحرا وجوا على لبنان، وفك الحصار البحري عن الموانئ والمرافق والصيادين، والحصول على ضمانات حقيقية بعدم تكرار هذا العدوان على لبنان وشعبه .

□ هل تعتبرون أن أميركا قد بذلت كُلّ ما في وسعها لإيقاف المواجهات الراهنة في لبنان ؟

□□ اذا اردنا ان نكون دقيقين فإن امريكا لا تبذل وسعها فضلا عن كل وسع، لإنهاء المواجهات . هي تحاول الاستفادة من هذه المواجهات لفرض وضع سياسي وميداني لمصلحة "شيمون بيريز" إن ما يعني اميركا هو ان ينجح "بيريز" في الانتخابات وليس وقف نزف دماء الابرياء .

□ مع ملاحظة ما يجري في الوقت الحاضر، هل تعتبرون أن المبادرات السياسية الأخرى ، وصلت الى طريق مسدود ؟

□□ لا نستطيع قول ذلك . لكن الاسرائيليين يصرحون بشكل واضح بانهم لا يرغبون ان يكون الحل عن طريق القنوات الاخرى وهم يفضلون القناة الاميركية .

□ تعزيزاً لسياسة الاحادية القطبية لاميركا بالطبع ؟

□□ طبعا ، وفي اطار العلاقة الاستراتيجية والتبني المطلق ما بين الولايات المتحدة والعدو الاسرائيلي .

□ سماحة السيد نرجو تبيان الفارق بين مصطلح "الهدنة المؤقتة" ووقف اطلاق النار من الناحية العسكرية والفنية ؟

□□ الهدنة المؤقتة تعني أن يقف اطلاق النار بين الطرفين دون تحديد تفاهم معين يضبط الوضع في المنطقة. إن الهدنة المؤقتة لها مخاطر كبيرة لأن بالامكان سقوط هذه الهدنة في كل لحظة، وهذا يعني أن المهجرين من الجنوب والبقاع الغربي ، سيبقون في حالة تهجير واذا ما عادوا الى بيوتهم فسوف يكونون في حالة قلق، وخوف دائم من مغبة خرق "الهدنة" وشن عدوان اسرائيلي ، لعدم التوصل الى تفاهم .

فيما اننا عندما نتحدث عن "وقف للنار" في اطار حل واضح للعدوان فان هذا سيبعث الاطمئنان في نفوس الاهالي وسيعود الناس الى بيوتهم مرتاحي البال ، بناء على صيغة تحاول ضمان أن لا يعاود الاسرائيليون عدوانهم على السكان وتفجيرهم وقتلهم .

□ ما هي معالم الصيغة المطلوبة ؟

□□ من وجهة نظرنا ان المطلوب هو العودة الى تفاهم تموز لعام ١٩٩٣ مع الحصول على ضمانات مؤكدة تمنع العدو الاسرائيلي من معاودة العدوان وممارسة أي شكل من أشكال العدوان أو شن غارات على لبنان وبالتالي عدم العودة الى قتل المدنيين ، إضافة الى فك الحصار البحري بشكل نهائي .

□ الحديث عن الضمانات يقود الى لزوم معرفة الجهة الضامنة والقوة القانونية المستمدة منها ، حبذا ان توضحوا المسألة ؟

□□ هناك دول لم تمارس عدوانا علينا ، ولها ثقلها في العالم وهناك دول يمكن ان تحصل

على ضمانات من الولايات المتحدة الاميركية . بمعنى ان لا تكون ضمانة اميركا بالنسبة لنا ضمانة مباشرة، إقليميا هنا في المنطقة تعنينا بشكل اساسي ضمانة سورية التي هي محور المباحثات او المفاوضات مع الاميركي او مع الوسطاء الاخرين .

□ هل من طرف آخر عدا سورية ؟

□□ السوريون والحكومة اللبنانية من المفترض السعي لان يحصلوا على ضمانات دول اخرى مؤثرة . طبعا البعض يسألنا هل مطلوب ضمانات من الجمهورية الاسلامية الإيرانية. أستطيع القول بأن الجمهورية الاسلامية لا تستطيع أن تضمن عدم قيام "اسرائيل" بعدوان على لبنان . وموقف الجمهورية الاسلامية هو موقف مبدئي ونهائي من موضوع الاسرائيلي وعدوانه.

□ ماذا وراء اتهام المقاومة الاسلامية اللبنانية وحزب الله بعرقلة مايسمى بـ "العملية السلمية" ؟.

□□ هم يحاولون ان يخفوا خلف هذه الاتهامات، العدوان الوحشي والظلم التاريخي الذي يمارسونه بحق شعوب هذه المنطقة . الواقع ان ما يجري في لبنان هو مقاومة ودفاع عن الشعب والوطن والأرض ولا يمكن اسقاط هذا الشعب سواء المنخرط منه في المقاومة أو المؤمن منه بقداسته بقداسة هذه المقاومة باتهامه أنه معاد للسلام او يريد تخريب العلمية السلمية .

□ برأيكم ما الذي جناه زعماء بعض الأنظمة العربية من مساعيهم للتطبيع مع الكيان الصهيوني ؟

□□ عليك أن تتوجه بهذا السؤال اليهم ، بالرغم من انهم لم يجنوا من هذا المسار سوى الخزي والعار ومنح تغطية لمجازر العدو الاسرائيلي بحق الشعوب العربية والاسلامية

□ عندما يقوم حزب الله بأية عملية جهادية تتوجه انظار العالم الى ايران وكأنها الطرف الموجّه لها . ماذا تقولون في هذا المضمار ؟

□□ في أكثر من لقاء صحافي وخصوصا مع الصحافيين الاجانب ومندوبي كبريات المؤسسات الصحافية العالمية ، اكدت بان قرار المقاومة في لبنان هو قرار ذاتي، هذه هي ارادتنا وقرارنا . وما نقوم به هو واجب لمقاومة الاحتلال .

ان الجمهورية الاسلامية الإيرانية تقف الى جانب حق الشعب اللبناني في المقاومة، كما تقف الولايات المتحدة الاميركية تماما الى جانب "اسرائيل" في عدوانها على المنطقة وشعوبها . ونحن قلنا للجميع ، إن قرار المقاومة هو ذاتي . نعم ، الجمهورية الاسلامية وانطلاقا من مبادئها الاسلامية والانسانية وانطلاقا من مصداقيتها وقيمها ، هي تدعم الشعب اللبناني في ممارسة هذا الحق . وفي الحقيقة هذا موضع فخر واعتزاز ووسام شرف للجمهورية الاسلامية ان تكون الى جانب الشعوب ومقاومتها وليس الى جانب المجرمين والقتلة الصهاينة .

□ الابـواق الغربـية استغلت توجيهات سماحة القائد الخامنئي (مد ظله) الى حـزب الله لتعكس صورة سلبية عن طبيعة العلاقة المتبادلة ومنطلقاتها القائمة ؟ ما هو ردكم في هذا الصدد؟

□□ الاحتلال الاسرائيلي هو الذي فرض حركة المقاومة في لبنان . ومن الطبيعي ان تكتسب هذه المقاومة ، شرعية فقهية ودينية من خلال مراجع الدين، وكان هذا معمولا به سابقا في حياة سماحة الامام الخميني (قدس سره الشريف) وهو قائم حاليا في جو الحضور المبارك لسماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله الوارف) .

أن يقف ولي الأمر أو مراجع الدين ليخاطبوا الشعب اللبناني او شعوب المنطقة وليطالبوهم بالمقاومة والصمود والمواجهة ، فهذا امر طبيعي وتاريخي . وهذا هو دأب القيادة الشرعية التاريخية . وبالتالي فإن محاولة توجيه اتهام بهذا الشكل لا معنى لها على الاطلاق .

وانا اقول بكل صراحة : نحن لسنا خائفين من هذه التهمة ، وسماحة ولي أمر المسلمين ليس خائفا من هذه التهمة ، وهو لم يرسل هذا النداء سرا وانما أعطاه لوكالات الانباء لكي يتناقله العالم كله .

□ هل ادت لقاءاتكم والمسؤولين الايرانيين والسوريين خلال التحركات القائمة الى تصورات معينة ؟

□□ نحن في لقاءاتنا مع المسؤولين السوريين ومع جناب الاخ الدكتور علي أكبر ولايتي وزير خارجية الجمهورية الاسلامية الإيرانية، نقلنا رؤيتنا وتقييمنا للاوضاع في لبنان ، ورأينا في كيفية المعالجة ، ونحن على اتصال دائم للوصول الى نتائج معقولة ان شاء الله بما يحقق مصلحة الشعب اللبناني.

□ مـع تصـاعد وتيرة الاعتداءات الصهيونية على الشعب اللبناني وحزب الله كيف سيكون الرد ؟

□□ اننا سنرد ونقاوم ونواجه هذا العدوان بالامكانية المتيسرة . وأهمُّ ما في مقاومتنا هو استمرارها . إن أهم رد هو إن تستمر هذه المقاومة ولا تتراجع ولا تشعر بالخوف من أي شيء .

□ و كيف يمكن استثمار الخلاف القائم بين اوروبا واميركا في رؤيتهما لحل الازمة اللبنانية ؟

□□ إنَّ أي تحول في الرأي العام العربي والاسلامي والعالمي هو بالتاكيد تحول ايجابي لمصلحة مقاومة الشعوب في مواجهة المشروع الاسرائيلي والاميركي . نحن ومنذ فترة نقيم علاقات ولدينا اتصالات ونحاول بشكل دائم وخصوصا عبر سفارات هذه الدول في لبنان ان ننقل وجهات نظرنا ومعاناة شعبنا والمجازر والاعتداءات والاخطاء الصهيونية المتكررة ونحاول

ان نعزز هذا الميل في الرأي العام، و في النهاية اذا قوي هذا التوجه فان بالامكان الوصول الى مرحلة الضغط على العدو الاسرائيلي باتجاه التخفيف من عدوانيته ومن ممارسته اعتداءاته، وان كنا واثقين بان طبيعته العدوانية لن تجعله في موقف كهذا .

في الحقيقه رهاننا الاساسي على صمود شعبنا على مقاومتنا المسلحة ولا نراهن كثيرا على الضغوط الدولية وكما قال سماحة السيد القائد: فإن تجربة الخمسين سنة الماضية من تاريخ شعب فلسطين وشعوب المنطقه اثبتت ان الطريق الناجح والوحيد هو المقاومة المباشرة، نحن نحاول قدر الامكان ان نوظف ونستثمر وان نقوي مثل هذه الاجواء وسنستمر في هذا الاتجاه ان شاء الله.

□ التصـــور الملموس يقول ان "اسرائيل" ضمنت صمت معظم الانظمة العربية تقريـبا تجاه أي اجراء تقوم عليه مصلحتها دون مصلحة العالم العربي . ولربما ما حدث في لبنان لا يؤثر بالشكل المطلوب على مسيرة التسوية .

- الامور ليست بهذه الدقة .لان القرار الصادرعن جامعة الدول العربية ، كان قرارا جيدا . منذ سنوات لم نسمع صدور قرار من هذا النوع .

- ادانة العدوان الاسرائيلي على لبنان .

- تأجيل مؤتمر وزراء الخارجية المنبثق عن "شرم الشيخ" والذي كان مقررا عقده في لوكسمبورغ ، حتى اشعار آخر .

انني اعتقد ان ما يجري في لبنان ، يحرج الانظمة العربية، وان كان اغلبها قد وصل مرحلة لم يعد فيها حياء، إلا ان احداث لبنان قد احرجتها أمام شعوبها التي ارتفعت عندها وتيرة الغضب . قد يقال لماذا لم تحرج هذه الشعوب انظمتها قبل سنة ؟ ان الفارق الآن هو ان هناك عدوانا ومجازر واطفالا قتلوا ومشاهد مروعة يشاهدها الناس في التلفزيون . أمام هذا الوضع لا تملك الحكومات الهامش الواسع وهي لا تستطيع تجاوز الرأي العام الشعبي والمزاج العام الحاكم اليوم في العالم العربي والعالم الاسلامي .

ولذلك مهما بلغت الانظمة العربية والاسلامية سوءاً، إلا انها لن تستطيع البقاء صامتة بشكل مطلق ازاء ما يجري في لبنان ، من جانب آخر عرفنا من الدكتور ولايتي ان هناك مساعي بان تتحرك منظمة المؤتمر الاسلامي لاتخاذ المواقف المطلوبة كمؤسسة عالمية تجمع البلدان الاسلامية . لكن حتى الآن التحرك الاسلامي في اطار هذه المنظمة وكذلك التحرك العربي ايضا في اطار الجامعة العربية ، لم يصلا الى المستوى المطلوب .

□ ماهي برأيكم ما صحة الحديث عما يقال ان اسرائيل قد اخطأت في حساباتها لضرب لبنان ؟

□□ هـم يقولـون و يـتحدثون عـن اخطـاء عملـية و فنـية — عـلى حـد زعمهـم — وان

الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية كانت مخطئة في تقديرها لقوة حزب الله ولعدد الكاتيوشا المتوفر في حوزته ، ولإمكاناته الفنية ، وبالتالي امكانية استمراره في قصف الكاتيوشا على شمال فلسطين .

ومن الطبيعي أن يخطئوا في هذه التقديرات، لانهم غالبا ما يعتمدون على (النفوذيين) الذين يزرعونهم في بنية أي جسم او مقاومة . و نحن نستطيع أن ندعي أن جسمنا نظيف بالكامل على هذا الصعيد . وان العدو الاسرائيلي عجز عن اختراق جسمنا وخصوصا بيئة المقاومة .

ومن جهة اخرى هم يخطئون في طريقة تعاملهم وتفكيرهم برجال المقاومة الاسلامية ، لانهم يظنون بأن التهويل والتهديد والقصف الجوي والمدفعي ، واشاعة الرعب والخوف ، كل ذلك يمكن ان يجعل هؤلاء المجاهدين يتراجعون . لكن هذا كله لا يؤدي الى أي تراجع ، لان العدو الاسرائيلي لا يدرك انه يقاتل فئة مؤمنة بالله وبالآخرة ، وعاشقة للشهادة وزاهدة في هذه الدنيا ومقبلة على الموت . فهؤلاء هم احفاد واتباع امير المؤمنين علي (عليه السلام) الذي كان آنس بالموت من انس الطفل الرضيع بثدي امه .

□والخلاصة التي يمكن الحصول عليها من هذا الحوار؟

□□ إيماننا وقناعتنا، أن المزيد من الصمود والمقاومة سيفرض على العدو الإسرائيليّ، الخروج من هذه المعركة خائباً إن شاء الله، كما حصل في الماضي.

* * *

ملحق ٨

صـــور ولقطات ونشاطات للمؤلف

المقام الطاهر للإمام الحسين(ع)-مدينة كربلاء/العراق

إحياء مراسم عاشوراء بحضور الإمام الراحل الخميني (قدس سره)
في حسينية جماران شمال طهران

مجلس إحياء ذكرى سيد الشهداء في شهر محرم 1427 دمشق الزينبية

سماحة الإمام الخامنئي مستقبلا المجاهد السيد حسن نصرالله

سيد المقاومة الإسلامية العلامة المجاهد حسن نصرالله

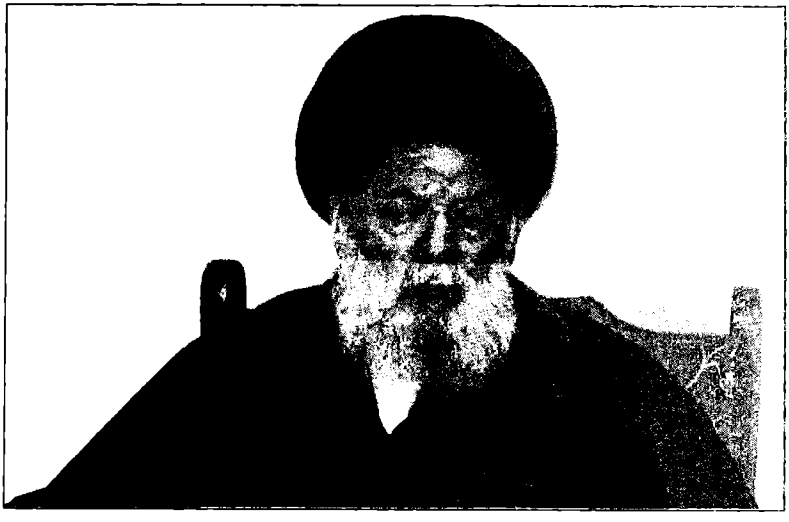

اية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله - دمشق - محرم 1427

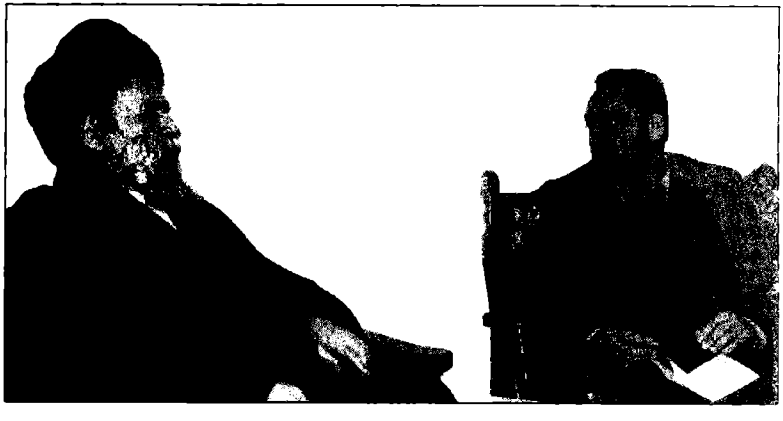

من نشاطات المؤلف - ندوة منوبة الإمام الخميني 1999 دمشق

قاعة اتحاد الكتاب العرب في سورية

من نشاطات المؤلف ندوة يوم القدس العالمي - 1998 مكتب الامام الخامنئي
في بلدة الزينبية - سورية

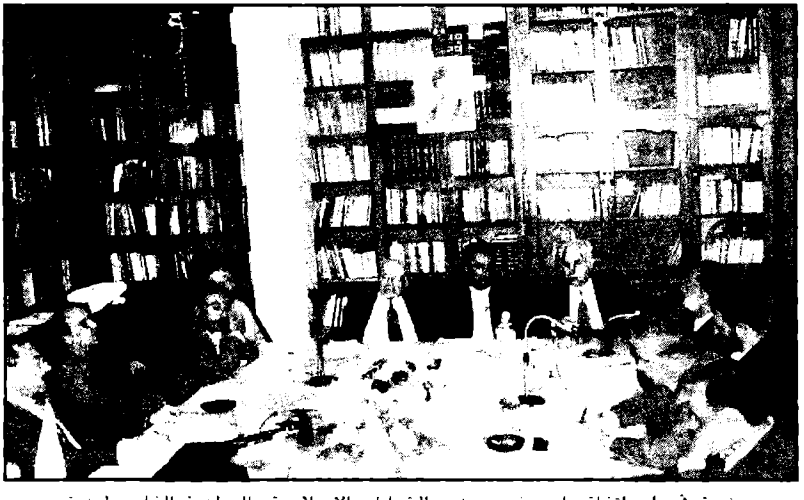

ندوة لخدبات اتفاق واي ريفر بحضور القيادات الاسلامية والوطنية الفلسطينية
واللبنانية والسورية والعراقية - دمشق 1998

الفهرس

الموضوع — الصفحة

دعاء ٥
الإهداء ٦
كلمة المؤلف ٧

تمهيد: منعكسات الثورة الحسينية في الواقع: الجمهورية الإسلامية ونهج قيادتها نموذجاً ١٩

عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام في نهضة حفيده المجاهد آية الله العظمى الخميني (قدس سره) . ٢٣
النهضة الحسينية في فكر القائد الخامنئي (دام ظله) ٣٥

المحور الأول: المدخل إلى دراسة فكر الثورة الحسينية ٤٥

آية الله السيد مجتبى الحسيني ٤٧
العلامة السيد محمد الموسوي ٥١
الدكتور محمود عكام ٥١
الأستاذ أحمد الحسن ٥٢
آية الله الشيخ محمد علي التسخيري ٥٣
الشيخ إبراهيم بن محمد الوزير ٥٤
الدكتور سهيل زكار ٥٧
فضيلة الشيخ قاسم آخوند ٥٨
الدكتور علي أبو الخير ٥٨
العلامة الدكتور نبيل الحلباوي..... ٥٩
الدكتور زهير غزاوي ٦٠
فضيلة الشيخ محمد حسن تقي ٦١
العلامة السيد عبد الله نظام..... ٦٤
الأستاذ أحمد جبريل ٦٦
الدكتور ادريس هاني..... ٦٧
العلامة السيد حسن النوري ٦٩
الدكتور سعيد يعقوب ٧٢
فضيلة الأستاذ الشيخ جواد الخالصي..... ٧٣
العلامة السيد كامل الهاشمي ٧٥
الدكتور عبد الكريم الشبلي ٧٦
الدكتورة نعيمة شومان ٧٨
البحّاثة الأستاذ حسين شرف الدين..... ٧٩
فضيلة الأستاذ الشيخ جودت سعيد ٨٣

المحور الثاني: تطوير الخطاب العاشورائي لإصلاح الأمة وتوحيدها ١٠٣
المحور الثالث: في سبيل تأصيل الخطاب الحسيني ونبذ التكفير ١٢٩
المحور الرابع: الاستذكار السنوي لعاشوراء ١٦٩
المحور الخامس: الماهية الحقيقية لعاشوراء ١٩١
المحور السادس: عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام لتقويم المسيرة الإسلامية ٢٠١
المحور السابع: الثابت والمتغيّر في نهضة سيد الشهداء عليه السلام ٢١٣
المحور الثامن: عاشوراء بين الماضي والحاضر ٢٢٧
المحور التاسع : أهمية استلهام النهضة الحسينية لمواجهة التحديات الاستكبارية ٢٤١
المحور العاشر: الإمام الحسين عليه السلام في الفكر الإنساني والعالمي ٢٥٥
المحور الحادي عشر: المنبر الحسيني ومواصفات الخطباء والمبلغين العاشورائيين ٢٦٥
المحور الثاني عشر: إحياء ذكرى عاشوراء بعيداً عن الفئوية والتعصبات القومية ٢٨٣
المحور الثالث عشر: الجذور المعنوية والتاريخية لنهضة الحسين الشهيد عليه السلام ٣٠٣
حوار مع المرجع الديني سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله ٣٠٥
فلسفة ثورة الإمام الحسين واستشهاده – المرحوم الأستاذ أبو الأعلى المودودي .. ٣١٧
حوار مع المرحوم آية الله الدكتور أحمد الوائلي ٣٢٩
الحسين(عليه السلام) في صفحات التاريخ الإسلامي – د.سهيل زكار ٣٤٧
حوار مع العلامة السيّد مقتدى الصدر ٣٦٥
معاني المأساة ورموزها – د.عبد الكريم الأشتر ٣٧٧
الحسين وارث الأنبياء – آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي ٣٨٣
الحسين في عهد الدولة الأموية – المرحوم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي ٤١٩
كلمة المفكر السوري الدكتور عبد الكريم اليافي وقصيدته بالمناسبة ٤٢٩
الشيخ عز الدين القسام ومدرسة الفداء الحسيني ــ الأستاذ عبد الصمد القسام ٤٣٥
فتحي الشقاقي: المفكر الاستشهادي على نهج الحسين – د. سعيد يعقوب ٤٣٩
المحور الرابع عشر: الدور الزينبي الخالد في عاشوراء ٤٤٥
في حضرة العقيلة زينب الكبرى ٤٤٧
محطات عاشورائية في مسيرة عقيلة بني هاشم – السيدة رباب الصدر ٤٥٣
أين نحن اليوم من زينب بنت علي – الدكتورة مها قنوت ٤٥٩
السيدة زينب ووعي المسؤولية الرسالية – العلامة الشيخ أحمد حسون ٤٦٥
السيدة زينب وثقافة المقاومة والممانعة – العلامة الشيخ نعيم قاسم ٤٦٩

المحور الخامس عشر: على مائدة الحسين (ندوة فكرية) ٤٧٩
قبسات من أدبيات عاشوراء ٤٨٢
دعاء للإمام الحسين عليه السلام ٤٨٣
مداخلة العلامة السيد عبد الله نظام ٤٨٥
مداخلة العلامة الشيخ حسن مهدويان ٤٩٣
مداخلة العلامة السيد حسن النوري ٥٠٣
مداخلة الأستاذة مريم خير بك ٥٠٧
مداخلة الشيخ د.عبد السلام راجح ٥٠٩
مداخلة الدكتور عبد الكريم الشبلي ٥١١
مداخلة الدكتور زهـــير غـــزاوي ٥١٥
المحور السادس عشر: القائد الإسلامي العاشورائي السيد حسن نصر الله ٥١٧
القائد اللبناني المطيع للولي الفقيه – حوار مع سماحة الشيخ محمد حسن أختري .. ٥٢١
سيد المقاومة اللبنانية – العماد أول مصطفى طلاس ٥٢٧
القائد العقائدي والإنساني المحبّ لفلسطين – الأستاذ أحمد جبريل ٥٣١
المُنتصرُ لكرامة الأمة المنتهكة – الدكتور عبد الكريم الأشتر ٥٣٥
القائد الفذ: أسباب النصر والأساليب والنتائج – الشيخ وهبة الزحيلي ٥٣٧
مدرسة حزب الله مدرسة عاشورائية - الدكتور محمود عكام ٥٤١
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه – الأستاذة مريم خير بك ٥٤٣
قراءة فقهية لجهاد القائد حسن نصر الله – حسين شرف الدين ٥٤٩
موهبة إلهية للأمة – الدكتور أسعد صقر ٥٥٥
مُعِزُ المسلمين ورجل القرن الحادي والعشرين– الدكتور الشيخ أحمد راجح..... ٥٦١
فاتحُ التاريخ العربي الإسلامي – الدكتور طيب تيزيني ٥٦٥
تلميذ مدرسة عاشوراء – العلامة نبيل الحلباوي ٥٦٧
الحسينيُّ النهج والممارسة – الدكتور زهير غزاوي ٥٧٣
قائد الجهاد الموحِّد لجماهير الأمة – الدكتور محمد الحبش..... ٥٧٧
نموذج للقائد الثوري من طراز جديد – الدكتور ماهر الطاهر ٥٨١
المحور السابع عشر ملاحق ٥٨٥
ملحق١ قراءة سريعة لقصة عاشوراء – العلامة الشيخ عفيف النابلسي ٥٨٧
ملحق٢ مقام الإمام الحسين عليه السلام وفضائله..... ٥٩٩
ملحق٣ مقولات في الحسين (عليه السلام) وعاشوراء ٦٠٥
ملحق٤ خطاب سماحة السيد حسن نصر الله في مهرجان الانتصار ٦١١
ملحق٥ سماحة السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله في سطور ٦٢٣
ملحق٦ نص رسالة تهنئة قائد الثورة الإسلامية آية الله العظمى الإمام الخامنئي
إلى الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله ٦٢٧
ملحق٧ الامين العام لحزب الله لبنان في حوار خاص مع صحيفة (كيهان العربي) ٦٢٩
ملحق ٨ صور..... ٦٣٧
صدرللمؤلف..... ٦٤٨

صدر للمؤلف

١ - **ثورة الفقيه ودولته** ـ قراءات في عالمية مدرسة الإمام الخميني قدس سره دمشق ـ المطبعة التعاونية ـ طبعة أولى عام ٢٠٠٢، وطبعة ثانية عام ٢٠٠٣، وطبعة ثالثة صادرة في طهران عام ٢٠٠٤.

٢ - **حوارات الزمن الصعب** ـ رؤى استراتيجية في الواقع الإسلامي وتحديات العصر ـ عن مؤسسة البلاغ بيروت ـ لبنان عام ٢٠٠٣.

٣ - **الأمن الإسلامي ومستقبل الأمة** ـ الإمام الخميني ومفهوم إزالة إسرائيل من الوجود ـ (الطبعة الأولى) صدرت عن مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر في كانون الثاني ٢٠٠٤/ بيروت ـ لبنان.(الطبعة الثانية) صيف ٢٠٠٤م من إصدار مؤسسة الإمام الخميني الدولية للدراسات والثقافة والفنون /النجف الأشرف - العراق. (الطبعة الثالثة) ربيع ٢٠٠٥ من إصدار حوزة الإمام الخميني للدراسات الدينية في ريف دمشق. الزينبية.

٤- هذا الكتاب (**زمن الحسين** عليه السلام) : حوارات ومقاربات تحليلية لتجليات عاشورائية معاصرة . الناشر (مؤسسة البلاغ) - بيروت / لبنان ط١ ٢٠٠٧

٥ - **ترجم المؤلف الكثير من المقالات والدراسات السياسية والفكرية من الفارسية إلى العربية وكتب العديد من المقالات**، في الصحافة السورية واللبنانية والخليجية فضلاً عن الإيرانية وله خبرة أكثر من عشرين عاماً في العمل الصحفي والعلاقات العامة.

٦- **شارك في العديد من الاحتفالات والمؤتمرات الإعلامية والفكرية** في إيران واليمن ولبنان ومصر والدنمارك وسورية والعراق